

الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ

لِلْحَافِظِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلَ

ابْنِ عُمَرَ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الجزء الثاني

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٦ ، ٢ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

بَابُ ذِكْرِ أُمَّمٍ أَهْلِكَوَا بِعَامَّةٍ

وذلك قبل نزول التوراة ؛ بدليل قوله تعالى ^(١) : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ﴾ [القصص : ٤٣] . كما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، والبزار ^(٢) من حديث عوف الأغراني ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : ما أهلك الله قوماً بعداب من السماء أو من الأرض ، بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض ، غير القرية التي ميسخوها قردة ؛ ألم تر أن الله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى ﴾ . ورفع البزار في رواية له ، والأشبه ، والله أعلم ، وفقه ، فدل على أن كل أمة أهلكت بعامة ، قبل موسى عليه السلام .

فمنهم : أصحاب الرّس ، قال الله تعالى ، في سورة « الفرقان » ^(٣) : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ ٢٨ ﴿ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا ﴾ [الفرقان : ٣٨ ، ٣٩] . وقال تعالى ، في سورة « ق » ^(٤) : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ ١٧ ﴿ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴾ ١٧ ﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ

(١) التفسير ٢٤٨/٦ .

(٢) ابن جرير في تفسيره ٨٠/٢٠ ، والبزار (٢٢٤٧) موقفا ، (٢٢٤٨) مرفوعا . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٢٩/٥) إلى ابن أبي حاتم .

وقال الهيثمي في المجمع ٨٨/٧ : رواه البزار مرفوعا وموقفا ، ورجالهما رجال الصحيح .

(٣) التفسير ١١٩/٦ .

(٤) التفسير ٣٧٥/٧ .

الرَّسُلَ حَقَّ وَعَيْدٍ ﴿ [ق: ١٢ - ١٤] . وهذا السياق والذي قبله يدل على أنهم أَهْلِكُوا، وَدُمُّرُوا، وَتُبِّرُوا، وهو الهلاك . وهذا يؤيد اختيار ابن جرير؛ من أنهم أصحاب الأُخْدُودِ، الذين ذُكِرُوا في سورة « البروج » ^(١)؛ لأنَّ أولئك، عند ابن إسحاق، وجماعة، كانوا بعد المسيح، عليه السلام . وفيه نَظَرٌ أيضًا ^(٢) . وروى ابن جرير ^(٣)، قال: قال ابن عباس: أصحاب الرُّسِّ أهلُ قريةٍ من قُرَى ثَمُودَ . ^(٤) وقد ذَكَرَ الحَافِظُ الكَبِيرُ أَبُو القَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي أَوَّلِ «تَارِيخِهِ» ^(٥)، عِنْدَ ذِكْرِ بِنَاءِ دِمَشْقَ، عَنِ «تَارِيخِ» أَبِي القَاسِمِ عُبَيْدٍ ^(٦) اللَّهُ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ خُرْدَاذِبَةَ ^(٧)، وَغَيْرِهِ، أَنَّ أَصْحَابَ الرُّسِّ كَانُوا بِحَضْرٍ ^(٨)، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ: حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ . فَكَذَّبُوهُ وَقَتَلُوهُ، فَسَارَ عَادُ بْنُ عَوْصٍ بِنِ إِرْمَ بِنِ سَامِ بِنِ نُوحٍ، بَوْلِيهِ مِنَ الرُّسِّ، فَنَزَلَ الْأَحْقَافَ، وَأَهْلَكَ اللَّهُ أَصْحَابَ الرُّسِّ، وَانْتَشَرُوا فِي الْيَمَنِ كُلِّهَا، وَفَشُوا مَعَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا، حَتَّى نَزَلَ جَجِيْرُونَ ابْنُ سَعْدِ بْنِ عَادِ بْنِ عَوْصٍ بِنِ إِرْمَ بِنِ سَامِ بِنِ نُوحٍ دِمَشْقَ، وَبَنَى مَدِينَتَهَا، وَسَمَّاهَا جَجِيْرُونَ، وَهِيَ إِرْمُ ذَاتُ الْعِمَادِ، وَلَيْسَ أَعْمَدَةُ الْحِجَارَةِ فِي مَوْضِعٍ أَكْثَرَ مِنْهَا بِدِمَشْقَ، فَبَعَثَ اللَّهُ هُودَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ رَبَّاحِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْخُلُودِ ^(٩) بِنِ

(١) انظر تفسير الطبري ١٤/٢٠ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣٤/١ - ٣٦ .

(٣) في الأصل، ح: «جريج». والأثر أخرجه ابن جرير في التفسير ١٣/١٩ .

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ١ .

(٥) تاريخ دمشق ١٢/١، ١٣ .

(٦) في ح، م: «عبد» .

(٧) في ح، ص: «جراد»، وفي م: «جرداد». والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر ذيل تاريخ بغداد ١٧/١١، ١٢ .

ولسان الميزان ٩٦/٤ .

(٨) بلدة باليمن من أعمال زيد . معجم البلدان ٢/٢٨٩ .

(٩) في ح، م: «الخلود»، وفي ص: «الجلود». والمثبت من التاريخ .

(١) عَادَ إِلَى عَادٍ - يَغْنَى أَوْلَادَ عَادٍ - بِالْأَحْقَافِ ، فَكَذَّبُوهُ ، وَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسِّ قَبْلَ عَادٍ بِدُحُورٍ مَتَطَوَّلَةٍ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(٢) ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ شَيْبٍ ابْنِ يَشْرِ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ ^(٣) : الرَّسُّ بَمَثَرٍ بِأَذْرِيحَانَ . وَقَالَ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ أَبِي بُكَيْرٍ ^(٤) ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، قَالَ : الرَّسُّ بَمَثَرٍ رَسُوا فِيهَا نَبِيُّهُمْ . أَيْ ؛ دَفَنُوهُ فِيهَا . وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ عِكْرِمَةُ : أَصْحَابُ الرَّسِّ بِفَلَجٍ ، وَهُمْ أَصْحَابُ يَاسِينَ . وَقَالَ قَتَادَةُ : فَلَجٌ مِنْ فُرَى الْيَمَامَةِ . قُلْتُ : فَإِنْ كَانُوا أَصْحَابَ يَاسِينَ ، كَمَا زَعَمَهُ عِكْرِمَةُ ، [١٤٠/١ ط] فَقَدْ أَهْلَكُوا بَعَامَةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَصِيدِهِمْ ^(٥) : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ ﴾ [يس : ٢٩] . وَسَتَأْتِي قَصِيدُهُمْ بَعْدَ هَؤُلَاءِ . وَإِنْ كَانُوا غَيْرَهُمْ - وَهُوَ الظَّاهِرُ - فَقَدْ أَهْلَكُوا أَيْضًا وَتَبَرَّأُوا . وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَيُنَافِي مَا ذَكَرَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ .

وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ النَّقَّاشُ ، أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسِّ كَانَتْ لَهُمْ مَثَرٌ تَرْوِيهِمْ ، وَتَكْفِي أَرْضَهُمْ جَمِيعَهَا ، وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ عَادِلٌ حَسَنُ السَّيْرِ ، فَلَمَّا مَاتَ وَجَدُوا عَلَيْهِ وَجْدًا عَظِيمًا ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ تَصَوَّرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي صُورَتِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَمُتْ ، وَلَكِنْ تَغَيَّبْتُ عَنْكُمْ حَتَّى أَرَى صَنِيعَكُمْ . فَفَرَحُوا أَشَدَّ الْفَرَحِ ، وَأَمَرَ بِضَرْبِ حِجَابٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ أَبَدًا ،

(١ - ١) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ١ .

(٢) ذَكَرَهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ ٧١/٥ ، وَعَزَاهُ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ .

(٣) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ : « أَصْحَابُ » .

(٤) فِي النُّسخِ : « بَكْرٍ » . وَالْمُثَبِّتُ مِنَ التَّفْسِيرِ ١٢٠/٦ . وَانْظُرْ تَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ ٨٧/١٠ ، وَالْجَرَحُ

وَالْتَعْدِيلُ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٢٦٣/٨ .

(٥) التَّفْسِيرُ ٥٥٧/٦ .

فصدّق به أكثرهم، وافْتَتِنُوا به، وعبدوه، فبعث الله فيهم نبيًا، وأخبرهم أنّ هذا شيطانٌ يخاطبهم من وراء الحجاب، ونهاهم عن عبادته، وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له. قال الشَّهَيْلِيُّ^(١): وكان يُوحى إليه في النوم، وكان اسمه حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ، فعَدَوْا عليه فقتلوه، وألقَوْه في البئر، فغار ماؤها، وعطشوا بعدَ ريّهم وَيَسَتْ أشجارهم، وانقطعت ثمارهم، وخربت ديارهم، وتبدّلوا بعدَ الأنس بالوحشة، وبعد الاجتماع بالفرقة، وهلكوا عن آخرهم، وسكن في مساكنهم الجنُّ والوحوشُ، فلا يُسمَعُ ببقائهم إلا عَزِيفُ^(٢) الجنِّ، وزئيرُ الأسد، وصوتُ الضَّبَاع.

فأما ما رواه - أعنى ابنَ جرير^(٣) - عن محمد بنِ حميد، عن سلمة، عن ابنِ إسحاق، عن محمد بنِ كعب القرظي، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ الناسِ يَدْخُلُ الجنةَ يومَ القيامةِ العبدُ الأسودُ؛ وذلك أنَّ الله تعالى بعثَ نبيًا إلى أهلِ قرية، فلم يُؤْمِنْ به مِن أهلِها إلا ذلك الأسودُ، ثم إنَّ أهلَ القرية عَدَوْا على النَّبِيِّ، فحَفَرُوا له بئرًا، فألقَوْه فيها، ثم أطبقوا عليه بحجرٍ أَصَمَّ». قال: «فكان ذلك العبدُ يذهبُ فيَحْتَطِبُ على ظهره، ثم يأتي بحطبِهِ فيبيعه، ويشتري به طعامًا وشرابًا، ثم يأتي به إلى ذلك البئرِ، فيرفَعُ تلك الصخرة، ويُعيئهُ الله عليها، ويُدلى إليه طعامه وشرابه، ثم يَرُدُّها كما كانت». قال: «فكان كذلك ما شاء الله أن يكونَ، ثم إنَّه ذهبَ يومًا يَحْتَطِبُ، كما كان يصنَعُ، فجمعَ حطبَهُ، وحزَمَ حُزْمَتَهُ وفرغَ منها، فلمَّا أراد أن يَحْتَمِلَهَا، وجدَ

(١) في التعريف والإعلام ص ٢١٥ - ٢١٨.

(٢) في الأصل: «غريف». وعزيف الجن أى صوت الجن. الصحاح (ع ز ف).

(٣) تفسير الطبرى ١٩/١٤، ١٥.

سِنَّةً ، فاضطجع فنام ، فضرب الله على أذنه [١٤١/١] سبع سنين نائماً ، ثم إنه هب ، فتمطى وتحول لشيقة الآخر فاضطجع ، فضرب الله على أذنه سبع سنين أخرى ، ثم إنه هب ، واحتمل حُزْمَتَهُ ، ولا يحسب إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلى القرية ، فباع حُزْمَتَهُ ، ثم اشترى طعاماً وشراباً ، كما كان يصنع ، ثم إنه ذهب إلى الحفرة ، إلى موضعيها التي كانت فيه ، فالتمسه فلم يجده ، وقد كان بدا لقومه فيه بداءً ، فاستخرجوه ، وآمنوا به وصدّقوه . قال : « فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الأسود : ما فعل ؟ فيقولون له : ما ندري . حتى قبض الله النبي ، عليه السلام ، وأهَبَ الأسود من نومه بعد ذلك » . فقال رسول الله ﷺ : « إِنَّ ذَلِكَ الْأَسْوَدَ لَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ » . فإنه حديث مُرْسَلٌ ، ومثله فيه نَظَرٌ ، ولعلَّ بَسْطَ قصته من كلام محمد بن كعب القُرَظِيُّ . والله أعلم . ثم قد رده ابن جرير نفسه ^(١) ، وقال : لا يجوز أن يُحْمَلَ هؤلاء على أنهم أصحاب الرّسّ المذكورون في القرآن . قال : لأن الله أخبر عن أصحاب الرّسّ أنه أهلكهم ، وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا بنبيهم ، اللهم إلا أن يكون حدثت لهم أحداثٌ ، آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم . والله أعلم . ثم اختار أنهم أصحاب الأخدود ، وهو ضعيف ؛ لما تقدّم ، ولما ذكر في قصة أصحاب الأخدود ، حيث تُوعَدُوا بالعذاب في الآخرة إن لم يتوبوا ، ولم يُذكر هلاكهم ، وقد صُرح بهلاك أصحاب الرّسّ . فالله أعلم .

(١) في تفسيره ١٥/١٩ .

قصة قوم يس^(١)

وهم أصحاب القرية^(٢)

قال الله تعالى^(٣) : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُم لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِقُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوُا أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهِتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا

(١) هذه القصة ساقطة من : ١.

(٢) في الأصل ، ح : (ومنهم) .

(٣) التفسير ٥٥٤ / ٦ - ٥٥٩ .

صِيَحَّةٌ وَجِدَةٌ فَإِذَا هُمْ [١٤١/١ ظ] خَلِمْدُونَ ﴿١﴾ [يس: ١٣ - ٢٩]. اشتهر عن كثير من السلف والخلف أنَّ هذه القرية أَنْطَاكِيَّةٌ. رواه ابنُ إِسْحَاقَ، فيما بلغه عن ابنِ عباسٍ، وكعبِ الأَحْبَارِ، وَوَهْبِ بْنِ مُتَبِّهِ^(١). ^(٢) وَكَذَا رَوَى عَنْ بُرَيْدَةَ ابْنِ الْحُصَيْنِ، وَعِكْرِمَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالزُّهْرِيَّ، وَغَيْرِهِمْ^(٣). قال ابنُ إِسْحَاقَ، فيما بلغه عن ابنِ عباسٍ، وكعبِ، وَوَهْبِ^(٤) أَنَّهُمْ قَالُوا: وَكَانَ لَهَا مَلِكٌ اسْمُهُ أَنْطِيخُسُ بْنُ أَنْطِيخُسَ، وَكَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةً مِنَ الرُّسُلِ؛ وَهُمْ صَادِقٌ، وَصَدُوقٌ، وَشَلُومٌ^(٥)، فَكَذَّبَهُمْ. وَهَذَا ظَاهِرٌ أَنَّهُمْ رَسَلٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَزَعَمَ قَتَادَةُ أَنَّهُمْ كَانُوا رَسَلًا مِنَ الْمَسِيحِ. وَكَذَا قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ^(٦)، عَنْ وَهْبِ^(٧) بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ شُعَيْبِ الْجَبَائِي: كَانَ اسْمُ الرُّسُولَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ: شَمْعُونُ وَيُوحَنَّا، وَاسْمُ الثَّالِثِ بُولَسَ، وَالْقَرْيَةُ أَنْطَاكِيَّةٌ. وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ جَدًّا؛ لِأَنَّ أَهْلَ أَنْطَاكِيَّةَ، لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِمُ الْمَسِيحُ ثَلَاثَةً مِنَ الْحَوَارِيِّينَ، كَانُوا أَوَّلَ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَلِهَذَا كَانَتْ إِحْدَى الْمَدِينِ الْأَرْبَعِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا بِطَارِقَةٌ^(٨) النَّصَارَى؛ وَهِيَ أَنْطَاكِيَّةٌ، وَالْقُدْسُ، وَإِسْكَندَرِيَّةٌ، وَرُومِيَّةٌ. ثُمَّ بَعَدَهَا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يُهْلَكُوا، وَأَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ١٥٦/٢٢، عن ابن إسحاق به.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) الدر المنثور ٥/٢٦١.

(٤) في تفسير الطبري: «شليم».

(٥) في م: «جرير». وهو تحريف. وانظر التفسير ٥٥٤/٦.

(٦) بعده في م: «عن». والصواب: وهب بن سليمان؛ فإنه يروى عن شعيب الجبائي ويروى عنه ابن جريج. انظر الجرح والتعديل ٢٧/٩.

(٧) في النسخ: «بتاركة». وأصلها كلمة لاتينية «باتريكيوس»، وعربت إلى «بطريق» رسمًا ونطقًا، وكذلك اعتمدها أصحاب المعاجم بالطاء والقاف. انظر الوسيط (ب ط ر). ودائرة المعارف الإسلامية ٣١٣/٧.

القرآن أَهْلِكُوا، كما قال فى آخر قصتها بعد قتلهم صديق المرسلين : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ لكن إن كانت الرسل الثلاثة المذكورون فى القرآن، بُعثوا إلى أهل أنطاكية قديماً، فكذبوهم وأهلكهم الله ثم عُمرت بعد ذلك، فلمَّا كان فى زمن المسيح آمنوا برؤسليه إليهم، فلا يُمنع هذا. والله أعلم. فأما القول بأن هذه القصة المذكورة فى القرآن هى قصة أصحاب المسيح، فضعيف؛ لما تقدّم، ولأن ظاهر سياق القرآن يقتضى أن هؤلاء الرسل من عند الله ^(١).

قال الله تعالى : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا ﴾ يعنى : لقومك يا محمد ﴿ أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ يعنى : المدينة ﴿ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ ^(٢) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴿ أى ؛ أيّدناهما بثالث فى الرسالة ﴾ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿ فردّوا عليهم بأنهم ^(٣) بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، كما قالت الأمم الكافرة لرسليهم ، يستبعدون أن يبعث الله نبياً بشرياً ، فأجابوهم بأن الله يعلم أننا رُسُلُهُ إِلَيْكُمْ ، ولو كنا كاذبنا عليه لعاقبنا وانتقم مِنَّا أَشَدَّ الانْتِقَامِ ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ أى ؛ إنما علينا ، أن نبلّغكم ما أُرسلنا به إليكم ، والله هو الذى يهْدِي من يَشَاءُ ، وَيُضِلُّ من يَشَاءُ ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾ أى ؛ تشاءمنا بما جئتمونا به ﴿ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ ﴾ قيل ^(٤) : بالمقال . وقيل : بالفعل . ويؤيد الأول قوله : ﴿ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ تَوَعَّدوهم [١٤٢/١ ر] بالقتل والإهانة . ﴿ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ أى ؛ مردود

(١) وانظر التفسير ٥٥٩/٦.

(٢) فى الأصل : « بأنه » .

(٣) سقط من : م .

عليكم ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ أى ؛ بسبب أننا ذكرناكم بالهدى ودعوناكم إليه ،
تَوَعَّدْتُمونا بالقتل والإِهَانَةِ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أى ؛ لا تقبلون الحق ،
ولا تريدونه .

وقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ يعنى : لثورة
الرسول ، وإظهار الإيمان بهم ﴿قَالَ يَنْقُورِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٠٠ ﴿أَتَّبِعُوا
مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ أى ؛ يَدْعُونَكُمْ إلى الحق المحض ، بلا
أَجْرَةٍ ولا جَعَالَةٍ . ثم دَعَاهُمْ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وحده لا شريك له ، ونهاهم عن
عِبَادَةِ ما سواه ، مما لا يَنْفَعُ شيئاً لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أى ؛ إن تركت عِبَادَةَ اللَّهِ وعبدت سواه . ثم قال مخاطباً
للرسول : ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ قيل : فاسمعوا مقالتي ،
واشهدوا لى بها عند ربكم . وقيل : معناه فاسمعوا يا قومى إيمانى برسول الله
جَهْرَةً . فعند ذلك قتلوه . قيل : رَجُمًا . وقيل : غَضًا . وقيل : وثبوا إليه وثْبَةً
رجل واحد فقتلوه . وحكى ابنُ إِسْحَاقَ ^(١) عن بعض أصحابه ، عن ابن مسعود
قال : وَطَّوهُ بِأَرْجُلِهِمْ حتى أخرجوا قُصْبَهُ ^(٢) .

وقد روى الثوري ، عن عاصم الأحول ، عن أبى مجلز : كان اسم هذا
الرجل حبيب بن مرمى . ثم قيل : كان نَجَّارًا . وقيل : حَبَّالًا . وقيل : إِنْكَافًا .
وقيل : قَصَّارًا . وقيل : كان يتعبد فى غار هناك . فالله أعلم . وعن ابن عباس :
كان حبيب النجَّار قد أسرع فيه الجذام ، وكان كثير الصدقة ، قتله قومه ^(٣) .

(١) انظر هذا الأثر وما بعده ، فى تفسير الطبرى ١٦١/٢٢ .

(٢) فى ح ، م ، ص : « قصبته » . والقُصْبُ : المعى . النهاية ٦٧/٤ .

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٥٩/٢٢ .

ولهذا قال تعالى: ﴿ اَدْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ يعنى: لما قتلَه قومه أَدْخَلَهُ اللهُ الجنةَ ،
فلَمَّا رَأَى ما فيها مِنَ النَّصْرَةِ وَالسُّرُورِ ﴿ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ بِمَا
غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ يعنى: ليؤمنوا بما آمَنْتُ به ، فيحصلَ
لهم ما حصل لى . قال ابنُ عباسٍ: نصَّحَ قومه فى حياته: ﴿ يَنْقُورِ اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، وبعد مماته: ﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي
وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ . رواه ابنُ أبى حاتمٍ ^(١) . وكذلك قال قتادة: لا تَلْقَى
المؤمنَ إلا ناصحًا ، لا تَلْقَاهُ غاشًّا ، لما عاينَ ما عاينَ من كرامةِ اللهِ قال :
﴿ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾
تمتّى ، و ^(٢) اللهُ ، أن يَعْلَمَ قومه بما عاينَ من كرامةِ اللهِ وما هجم ^(٣) عليه . قال
قتادة: فلا والله ، ما عاتبَ اللهُ قومه بعدَ قَتْلِهِ ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ [١٤٢/١] أى ؛ ما احتجنا فى الانتقامِ منهم إلى إنزالِ جندي
من السماءِ عليهم . هذا معنى ما رواه ابنُ إسحاق ^(٤) ، عن بعضِ أصحابه ، عن
ابنِ مسعودٍ . وقال مجاهدٌ ، و قتادة: وما أنزلَ عليهم جُندًا ، أى رسالةً أخرى .
قال ابنُ جرير ^(٥): والأوّلُ أَوْلَى . قلتُ : وأقوى . ولهذا قال: ﴿ وَمَا كُنَّا

(١) التفسير ٥٥٧/٦ .

(٢) كذا فى النسخ . وفى تفسير الطبرى: «على» ، وهو ما رجحه محققو ابن كثير ، وانظر التفسير ٦/

٥٥٧ .

(٣) فى م: «هو» ، وفى ص: «هم» .

(٤) تفسير الطبرى ٢٣/١ ، ٢ .

مُنَزِّلِينَ ﴿ أَى ؛ وَمَا كُنَّا نَحْتَاجُ فِى الْإِنْتِقَامِ إِلَى هَذَا ، حِينَ كَذَّبُوا رُسُلَنَا وَقَتَلُوا
وَلَيْتَنَا ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَعِمِدُونَ ﴾ .

قال المفسرون : بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ جَبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَخَذَ بِعِصَايَ
الْبَابِ الذِّى لِبَلَدِهِمْ ، ثُمَّ صَاحَ بِهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً ﴿ فَإِذَا هُمْ خَعِمِدُونَ ﴾ :
أَى ؛ قَدْ أُخِمِدَتْ أَصْوَاتُهُمْ ، وَسَكَتَتْ حَرَكَاتُهُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ .
وَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ لَيْسَتْ أَنْطَاكِيَّةً ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُكُوا
بِتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، وَأَهْلُ أَنْطَاكِيَّةٍ آمَنُوا ، وَاتَّبَعُوا رُسُلَ الْمَسِيحِ مِنْ
الْحَوَارِيِّينَ إِلَيْهِمْ ؛ فَلِهَذَا قِيلَ : إِنَّ أَنْطَاكِيَّةَ أَوَّلُ مَدِينَةٍ آمَنَتْ بِالْمَسِيحِ . فَأَمَّا الْحَدِيثُ
الَّذِى رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ^(١) ، مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ الْأَشْقَرِ ، عَنْ سَفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، عَنْ
ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « السَّبْقُ
ثَلَاثَةٌ ؛ فَالسَّبْقُ إِلَى مُوسَى يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، وَالسَّبْقُ إِلَى عِيسَى صَاحِبُ يَسَ ،
وَالسَّبْقُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » . فَإِنَّهُ حَدِيثٌ لَا يَثْبُتُ ؛ لِأَنَّ حُسَيْنًا
هَذَا مَتْرُوكٌ ، وَشَيْعِيُّ مِنَ الْغَلَاةِ ، وَتَفَرَّدَ بِهِذَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى ضَعْفِهِ بِالْكُلِّيَّةِ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

(١) فِى الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (١١١٥٢) . وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِى الْجَمْعِ ١٠٢/٩ : فِىهِ حُسَيْنُ بْنُ حَسَنِ الْأَشْقَرِ ،
وَتَقَى ابْنُ حَبَانَ ، وَضَعْفُهُ الْجَمْهُورُ . وَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ جَدًّا (السَّلْسَلَةُ الضَّعِيفَةُ ٣٥٨) .
وَسَقَطَ مِنَ السَّنَدِ فِى النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ مِنْ مَعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ : « عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ » .

قصة يونس، عليه الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة «يونس» ^(١): ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]. وقال تعالى في سورة «الأنبياء» ^(٢): ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]. وقال تعالى في سورة «الصفّات» ^(٣): ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٣٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٣١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٣٣﴾ لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴿فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٣٥﴾ وَأَبْلَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٣٦﴾ وَارْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٣٧﴾ فَتَأَمَّنُوا فَمَرَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصفّات: ١٣٩ - ١٤٨]. وقال تعالى في سورة «نون» ^(٤): ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ﴿١﴾ [١٤٣/١] الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٢﴾ لَوْلَا أَن تَدَارَكُمُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٣﴾ فَاجْبِبْهُ رَبُّهُ فَبَعَلَهُ

(١) التفسير ٢٣١/٤، ٢٣٢.

(٢) التفسير ٣٦٠/٥ - ٣٦٤.

(٣) التفسير ٣٣/٧ - ٣٦.

(٤) التفسير ٢٢٦/٨ - ٢٣٤.

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٨﴾ [القلم: ٤٨ - ٥٠]. قال أهل التفسير^(١): بَعَثَ اللَّهُ يُونُسَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى أَهْلِ نَيْنَوَى؛ مِنْ أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكَذَّبُوهُ وَتَمَرَّدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ، خَرَجَ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَوَعَدَهُمْ حُلُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ^(٢): فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ ظَهْرَانِيهِمْ وَتَحَقَّقُوا نَزُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ، قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ التَّوْبَةَ وَالْإِنَابَةَ، وَنَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَى نَبِيِّهِمْ، فَلَبِسُوا الْمُسُوحَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَ كُلِّ بَهِيمَةٍ وَوَلَدِهَا، ثُمَّ عَجَّوْا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَصَرَخُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَيْهِ، وَتَمَسَّكْنَا لَدَيْهِ، وَبَكَى الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، وَالْبَنُونَ وَالْبَنَاتُ، وَالْأُمَهَاتُ، وَجَارَتْ الْأَنْعَامُ وَالْذَّوَابُ وَالْمَوَاشِي، وَرَعَّتِ الْإِبِلُ وَفُضِّلَانُهَا، وَخَارَتِ الْبَقَرُ وَأَوْلَادُهَا، وَنَعَتِ الْغَنَمُ وَحُمْلَانُهَا، وَكَانَتْ سَاعَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً، فَكَشَفَ اللَّهُ الْعَظِيمَ، بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ، وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، عَنْهُمْ الْعَذَابَ الَّذِي كَانَ قَدْ اتَّصَلَ بِهِمْ سَبِيَّهُ، وَدَارَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَنفَعَهَا ءِيمَنَهَا﴾ أَيُّ هَلَّا وَجِدَتْ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْقُرُونِ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ بِكَمَالِهَا. فَذَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ، بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤]. وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُّؤْسَرُونَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أَيُّ ءَامَنُوا بِكَمَالِهِمْ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ؛ هَلْ يَنْفَعُهُمْ

(١) تفسير الطبري ١٧/٧٦، وتفسير القرطبي ٨/٣٨٤. تفسير ابن كثير ٥/٣٦٠.

(٢) تفسير الطبري ١١/١٧١ - ١٧٣، والتفسير ٤/٢٣٢.

هذا الإيمان في الدار الآخرة ، فينقذهم من العذاب الأخرى ، كما أنقذهم من العذاب الدنيوى ؟ على قولين ، الأظهر من السياق : نعم ^(١) « إن شاء الله » . والله أعلم . كما قال تعالى : ﴿ لَمَّا ءَامَنُوا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [١٧٧] فَاْمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿ وهذا المتاع إلى حين لا ينفى أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخرى . والله أعلم .

وقد كانوا مائة ألف لا محالة . واختلفوا في الزيادة ؛ فعن مكحول : عشرة آلاف . وروى الترمذى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ^(٢) ، من حديث زهير ، عن سمع أبا العالية ؛ حدثنى أئب بن كعب ، أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ قال : « يزيدون عشرين ألفاً » . فلولاً هذا الرجل المبهمة لكان هذا الحديث فاصلاً فى هذا الباب . وعن ابن عباس : [١٤٣/١ ظ] كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً . وعنه ، وبضعة وثلاثين ألفاً . وعنه ، وبضعة وأربعين ألفاً . وقال سعيد بن جبير : كانوا مائة ألف وسبعين ألفاً ^(٣) . واختلفوا ؛ هل كان إرساله إليهم قبل الحوت أو بعده ، أو هما أمتان ؟ على ثلاثة أقوال ، هى مبسطة فى « التفسير » .

والمقصود أنه ، عليه السلام ، لما ذهب مغاضباً بسبب قومه ، ركب سفينة فى البحر ، فلجأت بهم واضطربت ، وماجت بهم وثقلت بما فيها ، وكادوا

(١ - ١) زيادة من : الأصل .

(٢) الترمذى (٣٢٢٩) وقال : حديث غريب . وابن جرير فى تفسيره ١٠٤/٢٣ ، وعزاه فى الدر المنثور ٢٩١/٥ إلى ابن أبى حاتم . ضعيف الإسناد (ضعيف الترمذى ٦٣٣) .

(٣) تفسير الطبرى ١٠٤/٢٣ ، التفسير ٣٥/٧ .

يَعْرِقُونَ، على ما ذكره المفسرون^(١)، قالوا: فاشتَوْروا فيما بينهم على أن يَمْتَرَعُوا، فَمَنْ وَقَعَت عليه القُرْعَةُ أَلْقَوْهُ مِنَ السَّفِينَةِ؛ لِيَتَحَقَّقُوا^(٢) منه، فلما اقترعوا وَقَعَت القُرْعَةُ على نَبِيِّ اللَّهِ يُونُسَ، فلم يَسْمَحُوا به، فأعادوها ثانية فوقعت عليه أيضًا، فشمر ليخْلَع ثيابه ويلقى بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القُرْعَةَ ثالثة فوقعت عليه أيضًا؛ لِمَا يريدهُ اللَّهُ به مِنَ الأَمْرِ العَظِيمِ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣٦) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (٣٧) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَت عليه القُرْعَةُ، أُلْقِيَ فِي الْبَحْرِ، وَبَعَثَ اللَّهُ، عز وجل، حوتًا عظيمًا من البحرِ الأخضرِ فَالْتَقَمَهُ، وأمره اللَّهُ تعالى: أن لا تَأْكُلَ له لحمًا، ولا تَهْشِمَ له عظمًا، فليس لك برزقٍ، فأخذه فطاف به البحارَ كُلَّهَا. وقيل: إنه ابتلع ذلك الحوتِ حوتٌ آخرٌ أكبرُ منه. قالوا: ولما استقرَّ في جوفِ الحوتِ، حبسب أنه قد مات، فحرك جوارحه فتحرَّكت، فإذا هو حيٌّ، فخرَّ لِلَّهِ ساجدًا، وقال: ياربُّ، اتخذتُ لك مسجدًا لم يَعْبُدْكَ أَحَدٌ في مثله.

وقد اختلفوا^(٣) في مقدارِ لُبِّه في بطنه؛ فقال مُجالِدٌ عن الشَّعْبِيِّ: التَّقْمَةُ ضُحَى، وَلَفْظُهُ عَشِيَّةٌ. وقال قتادة: مكث فيه ثلاثًا. وقال جعفرُ الصادقُ: سبعةَ أيامٍ. وَيَشْهَدُ له شعرُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ^(٤):

وَأَنْتَ بِفَضْلِ مِنْكَ نَجِيَّتْ يُونُسَا وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

(١) تفسير الطبري ٧٦/١٧، ١٩٨/٢٣، تفسير القرطبي ١٢١/١٥، التفسير ٣٦٠/٥.

(٢) في م: «ليتحققوا».

(٣) انظر تفسير القرطبي ١٢٣/١٥. التفسير ٣٣/٧.

(٤) ديوان أُمَيَّة ص ٣٨.

وقال سعيد بن أبي الحسن، وأبو مالك: مكث في جزفه أربعين يوماً.
والله أعلم كم مقدار ما لبث فيه.

والمقصود أنه لما جعل الحوث يطوف به في قرار البحار اللجئية، ويفتحهم به
لجج الموج الأجاجي، فسمع تسبيح الحيتان للرحمن، وحتى سمع تسبيح
الحصى لفالق الحب والنوى، ورب السماوات السبع، والأرضين السبع، وما
بينهما^(١)، وما تحت الثرى، فعند ذلك وهنالك قال ما قال بلسان [١٤٤/١]
الحال والمقال، كما أختبر عنه ذو العزة والجلال، الذي يعلم السر والتجوى،
ويكشف الضمر والبلوى، سامع الأصوات وإن ضغفت، وعالم الخفيات وإن
دقت، ومجيب الدعوات وإن عظمت، حيث قال في كتابه المبين، المنزل على
رسوله الأمين، وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، وإله المرسلين: ﴿وَذَا التَّوْنِ
إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ
وَكَذَلِكَ نُنْشِئُ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾.

﴿ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ۝ ﴾ أى؛ نضيق. وقيل: معناه نُقَدِّرُ، من
التقدير. وهى لغة مشهورة: قدر، وقدر. كما قال الشاعر^(٢):


فلا عائدُ ذاك الزمانُ الذى مضى تباركت ما تُقَدِّرُ يَكُنْ فلك الأمر

﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ۝ ﴾ قال ابن مسعود،^(٣) وابن عباس، وعمرو بن

(١) فى م: «بينها».

(٢) أورده القرطبي فى تفسيره ٣٣٢/١١. ولم يذكر قائله، بل قال: وأنشد ثعلب.

(٣-٣) سقط من: الأصل.

^(١) ميمون، وسعيد بن جبّير، ومحمد بن كعب، والحسن^(١)، وقتادة، والضّحّاك^(٢): ظلمة بطن^(٣) الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل. وقال سالم ابن أبي الجعد: ابتلع الحوت حوت آخر، فصار ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾  لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٤﴾ قيل: معناه؛ لولا أنّه سبح الله هنالك، وقال ما قال من التهليل والتسبيح، والاعتراف لله بالخضوع، والتوبة إليه، والرجوع إليه، لَلَّيْتُ هنالك إلى يوم القيامة، ولَبِثْتُ مِنْ جَوْفِ ذَلِكَ الْحَوِيّ.. هذا معنى ما روى عن سعيد ابن جبّير في إحدى الروايتين عنه^(٤). وقيل: معناه: فلولا أنّه كان من قبل أخذ الحوت له من المسبحين أى؛ المطيعين المصلين الذاكرين الله كثيرا. قاله الضحّاك بن قيس، وابن عباس، وأبو العالية، وهب بن منبّه، وسعيد بن جبّير، والضّحّاك^(٥)، والشّدّي، وعطاء بن السائب، والحسن البصري، وقتادة، وغير واحد. واختاره ابن جرير^(٦). ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد وبعض أهل السنن^(٧)، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال لى: «يا غلام، إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرّخاء يعرفك في الشّدّة». وروى ابن جرير في «تفسيره»،

(١-١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبري ٨٠/١٧. والتفسير ٣٦١/٥.

(٣) زيادة من: أ.

(٤) تفسير الطبري ٨١/١٧، تفسير ابن كثير ٣٦١/٥، ٣٤/٧.

(٥) هو ابن مزاحم.

(٦) تفسير الطبري ٢٣/٩٩ - ١٠١. التفسير ٣٤/٧.

(٧) المسند ٢٩٣/١، ٣٠٣، ٣٠٧. من طرق، والترمذي (٢٥١٦). وقال: حسن صحيح.

(صحيح).

والْبَرَّازُ فِي «مُسْنَدِهِ» ^(١)، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعٍ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، أَوْحَى اللَّهُ [١/١٤٤ظ] إِلَى الْحَوْتِ، أَنْ خُذْ، وَلَا تَخْذِشْ لَحْمًا، وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا. فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ، سَمِعَ يُونُسُ حِسًّا، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا هَذَا؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ». قَالَ: «فَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا، إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بِأَرْضِ غَرِّيَّةٍ. قَالَ: ذَاكَ عَبْدِي يُونُسُ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ فِي الْبَحْرِ. قَالُوا: الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ؟ قَالَ: نَعَمْ». قَالَ: «فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ الْحَوْتَ فَقَذَفَهُ فِي السَّاحِلِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾». هَذَا لَفْظُ ابْنِ جَرِيرٍ إِسْنَادًا وَمَثْنًا. ثُمَّ قَالَ الْبَرَّازُ: لَا نَعْلَمُهُ يُرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ. كَذَا قَالَ.

وقد قال ابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» ^(٢): حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ ^(٣) اللَّهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنُ ^(٤) أَخِي ابْنِ وَهْبٍ، حَدَّثَنَا عَمِّي، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ، أَنَّ يَزِيدَ الرَّقَاشِيَّ حَدَّثَهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّ أَنَسًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ

(١) تفسير الطبري ٨١/١٧. وكشف الأستار (٢٢٥٤).

قال الهيثمي ٩٨/٧: رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) عزاه في الدر المنثور ٢٨٧/٥ إلى ابن أبي حاتم.

(٣) في النسخ: «عبد». والمثبت من التفسير ٣٤/٧، وانظر ترجمته في تهذيب الكمال ٣٨٧/١.

(٤) سقط من: ح، م، ص.

إلى رسول الله ﷺ: «إن يونس النبی، علیه السلام، حين بدأ له أن يدعو بهذه الكلمات، وهو في بطن الحوت قال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فأقبلت الدعوة تحيُّ بالعرش، فقالت الملائكة: يا رب، صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة. فقال: أما تعرفون ذاك؟ قالوا: يا رب، ومن هو؟ قال: عبدی یونس. قالوا: عبدك یونس الذي لم يزل يُرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة؟ قال: نعم. قالوا: يا رب، أو لا ترحم ما كان يصنع في الرخاء، فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى. فأمر الحوت فطرحه في العراء». ورواه ابن جرير^(١)، عن یونس، عن ابن وهب به. زاد ابن أبي حاتم^(٢): قال أبو صخر حميد بن زياد: فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث، أنه سمع أبا هريرة يقول: طرح بالعراء، وأنتب الله عليه اليقطينة. قلنا: يا أبا هريرة، وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدباء. قال أبو هريرة: وهيا لله له أروية^(٣) وخشية تأكل من خشاش الأرض - أو قال: هشاش الأرض - قال: فتنفشخ عليه فتزويه من لبنها، كل عشيّة وبكرة، حتى نبت. وقال أمية بن أبي الصلت^(٤) في ذلك بيتا من شعره:

فَأَنْتَبَتَ يَقْطِينًا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ^(٥) أَلْفَى ضَاحِيًا^(٥) [١٤٥/١]

وهذا غريب أيضا من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي ضعيف، ولكن يتقوى

(١) في تفسيره ١٠٠/٢٣.

(٢) عزاه في الدر المنثور ٢٨٨، ٢٨٧/٥ إلى ابن أبي حاتم.

(٣) الأروية - بضم الألف وكسرها - أنثى الوعل.

(٤) ديوان أمية ص ٦٥.

(٥ - ٥) في الأصل: «ألقى ضاحيا». وفي ح، م: «أصبح ضاويا».

بحديث أبي هريرة المتقدم، كما يتقوى ذاك بهذا. والله أعلم.

وقد قال الله تعالى^(١): ﴿فَبَذَنَّهُ﴾ أى؛ ألقيناه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ وهو المكان القفر الذى ليس فيه شىء من الأشجار، بل هو عارٍ منها ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ أى؛ ضعيف البدن. قال ابن مسعود: كهية الفرخ، ليس عليه ريش^(٢). وقال ابن عباس، والشدئ، وابن زید: كهية الصبي حين يولد، وهو المنفوس^(٣)، ليس عليه شىء ﴿وَأَبْتَنَّا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾. قال ابن مسعود، وابن عباس،^(٤) وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وهب بن منبه، وهلال بن يساف، وعبد الله بن طاووس، والشدئ، وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني، وغير واحد: هو القزُع^(٥).

قال بعض العلماء: فى إنبات القزُع عليه حكم جمّة؛ منها، أن ورقه فى غاية النعومة، وكثير وظليل، ولا يقرئه ذباب، ويؤكل ثمره من أول طلوعه إلى آخره، نيماً ومطبوخاً، وبقره وبزره أيضاً، وفيه نفع كثير، وتقوية للدماغ، وغير ذلك. وتقدم كلام أبي هريرة فى تسخير الله تعالى له تلك الأروية التى كانت ترضعه لبنها، وتوعى فى البرية، وتأتيه بكرة وعشيّة. وهذا من رحمة الله به، ونعمته عليه، وإحسانه إليه، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أى؛ الكرب والضيق الذى كان فيه ﴿وَكَذَلِكَ نُشِجِي

(١) التفسير ٣٤/٧ وما بعدها. تفسير الطبرى ١٠٢/٢٣.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ٥٤١/١١، ٥٤٢ من حديث ابن مسعود مطولاً.

(٣) فى الأصل، ح: «المنقوش».

(٤ - ٤) فى ١: «وأصحابه».

(٥) تفسير الطبرى ١٠٢/٢٣، ١٠٣، التفسير ١٣٥/٧.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ أَى ؛ وَهَذَا صَنِيعُنَا بِكُلِّ مُؤْمِنٍ ^(١) دَعَانَا وَاسْتَجَارَنَا .

قال ابن جرير ^(٢) : حدثني عمران بن بكار الكَلَاعِيُّ ، حدثنا يحيى بن صالح ، حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، حدثني بشر بن منصور ، عن علي بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعتُ سعدَ بنَ مالكٍ - وهو ابنُ أبي وقاصٍ - يقولُ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اسْمُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ، دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى » . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هِيَ لِيُونُسَ خَاصَّةٌ أَمْ لَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ؟ قال : « هِيَ لِيُونُسَ خَاصَّةٌ ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةٌ إِذَا دَعَوْا بِهَا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٣) فَاسْتَجَبْنَا لَمْ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نَشْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ فَهُوَ شَرْطٌ مِنَ اللَّهِ لِمَنْ دَعَاهُ بِهِ ^(٤) » . وقال ابنُ أبي حاتمٍ ^(٥) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالدٍ الأحمر ، عن كثير بن زيد ، عن المطَّلِبِ بنِ حَنْطَلٍ - قال أبو خالدٍ : أَحْسَبُهُ عَنْ مُضْعَبٍ . يعنى ابنُ سعيدٍ - [١٤٥/١ ظ] عن سعيدٍ ^(٥) قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ دَعَا بِدَعَاءِ يُونُسَ اسْتُجِيبَ لَهُ » . قال أبو سعيد الأشج : يريدُ به ﴿ وَكَذَلِكَ نَشْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وهذانِ طريقانِ عن سعيدٍ .

(١) فى الأصل ، ح ، ص : « من » .

(٢) تفسير الطبرى ٨٢/١٧ .

(٣) فى ابن جرير : « بها » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٤/٤ إلى ابن أبي حاتم ، وانظر ما بعده .

(٥) فى الأصل : « سعيد » .

وثالث أحسنُ منهما؛ قال الإمامُ أحمدُ^(١) : حدثنا إسماعيلُ بنُ عمرَ ،
حدثنا يونسُ بنُ أبي إسحاقَ الهَمْدَانِيّ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ بنِ سعيدٍ ،
حدثني والدي محمدٌ ، عن أبيه سعيدٍ - وهو ابنُ أبي وقاصٍ - قال : مررتُ
بعثمانَ بنِ عفانَ في المسجدِ ، فسَلَّمْتُ عليه ، فمَلَأَ عَيْنَيْهِ مَنًى ، ثُمَّ لَمْ يَرُدُّ عَلَيَّ
السَّلامَ ، فَأَتَيْتُ عَمَرَ بنَ الْخَطَّابِ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلْ حَدَّثَ فِي
الْإِسْلَامِ شَيْءٌ؟ مَرَّتَيْنِ . قَالَ : لَا ، وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ : لَا ، إِلَّا أَنِّي مَرَرْتُ بِعُثْمَانَ
أَيْفًا فِي الْمَسْجِدِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَمَلَأَ عَيْنَيْهِ مَنًى ، ثُمَّ لَمْ يَرُدُّ عَلَيَّ السَّلامَ .
قَالَ : فَأَرْسَلْ عَمْرٌ إِلَى عُثْمَانَ فِدْعَاهُ ، فَقَالَ : مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَكُونَ رَدَدْتَ عَلَيَّ
أَخِيكَ السَّلامَ؟ قَالَ : مَا فَعَلْتُ . قَالَ سَعْدٌ : قُلْتُ : بَلَى . حَتَّى حَلَفَ
وَحَلَفْتُ . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عُثْمَانَ ذَكَرَ ، فَقَالَ : بَلَى ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ،
إِنَّكَ مَرَرْتَ بِي أَيْفًا ، وَأَنَا أُحَدِّثُ نَفْسِي بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، لَا
وَاللَّهِ ، مَا ذَكَرْتُهَا قَطُّ إِلَّا تَغَشَّى بَصْرِي وَقَلْبِي غِشَاوَةٌ . قَالَ سَعْدٌ : فَأَنَا أَنْبِئُكَ
بِهَا ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلَ دَعْوَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَشَغَلَهُ ، حَتَّى قَامَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَاتَّبَعْتُهُ ، فَلَمَّا أَشْفَقْتُ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَى مَنْزِلِهِ ، ضَرَبْتُ بِقَدَمِي
الْأَرْضَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « مَنْ هَذَا؟ أَبُو إِسْحَاقَ؟ » قَالَ :
قُلْتُ : نَعَمْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَمَهْ؟ » قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ، إِلَّا أَنَّكَ ذَكَرْتَ لَنَا
أَوَّلَ دَعْوَةٍ ، ثُمَّ جَاءَ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ فَشَغَلَكَ . قَالَ : « نَعَمْ ، دَعْوَةُ ذِي النُّونِ ؛ إِذْ

(١) فِي الْمُسْنَدِ ١/ ١٧٠ . (إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ) .

هو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له . ورواه
الترمذي ، والنسائي ، من حديث إبراهيم بن محمد بن سعيد به ^(١) .

(١) الترمذي (٣٥٠٥) . والنسائي في الكبرى (١٠٤٩١ ، ١٠٤٩٢) . كلاهما مختصراً . (صحيح
الترمذي ٢٧٨٥) .

ذكر فضل يونس، عليه السلام

قال الله تعالى^(١): ﴿وَلَمَّا يُوَسَّسْ لِمَنْ أَلْمَزَ عَلَيْهِ﴾ [الصفات: ١٣٩]. وذكره تعالى في جملة الأنبياء الكرام، في سورتي «النساء» و«الأنعام»، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام.

وقال الإمام أحمد^(٢): حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». ورواه البخاري^(٣) من حديث سفيان الثوري به. وقال البخاري أيضًا^(٤): حدثنا حفص بن غمر، [١٤٦/١] حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى». ونسبه إلى أبيه^(٥). ورواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، من حديث شعبة به^(٦). قال شعبة فيما حكاه أبو داود عنه^(٧): لم يسمع قتادة من أبي العالية سوى أربعة أحاديث، هذا أحدها. وقد رواه الإمام أحمد^(٨)، عن عفان، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد،

(١) التفسير ٣٣/٧.

(٢) في المسند ٣٩٠/١. (إسناده صحيح).

(٣) البخاري (٣٤١٢، ٤٦٠٣).

(٤) البخاري (٣٤١٣).

(٥) انظر فتح الباري ٤٥٢/٦.

(٦) أحمد ٣٤٢/١. ومسلم (٢٣٧٦). وأبو داود (٤٦٦٩).

(٧) قاله أبو داود عقب حديث (٢٠٢) من سننه، من كتاب الطهارة.

(٨) في المسند ٢٥٤/١. (إسناده صحيح).

عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: « وما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى ». تفرد به أحمد.

ورواه الحافظ أبو القاسم الطبراني^(١)، حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان، حدثنا عبد الله بن رجاء، أنبأنا إسرائيل، عن أبي يحيى القتات^(٢)، عن مجاهد، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ، قال: « لا ينبغي لأحد أن يقول: أنا عند الله خير من يونس بن متى ». إسناده جيد، ولم يخرجوه.

وقال البخاري^(٣): حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، سمعت حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: « لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى ». وكذا رواه مسلم^(٤) من حديث شعبة به. وفي « البخاري » و« مسلم »^(٥) من حديث عبد الله بن الفضل، عن عبد الرحمن بن هزيم الأعرج، عن أبي هريرة، في قصة المسلم الذي لطم وجه اليهودي حين قال: لا، والذي اصطفى موسى على العالمين. قال البخاري في آخره: « ولا أقول: إن أحدا خير من يونس بن متى ». أي؛ ليس لأحد أن يفضل نفسه على يونس. وفي رواية: « لا ينبغي لأحد أن

(١) المعجم الكبير (١١١٢٢). وقال الهيثمي في المجمع ٨/ ٢٠٩: وفيه أبو يحيى القتات. وهو ضعيف وقد وثق.

(٢) في ح، م، ص: « العتاب »، وفي أ: « القطاف ».

وهو أبو يحيى القتات واسمه زاذان. انظر تهذيب التهذيب ١٢/ ٢٧٧.

(٣) البخاري (٣٤١٦).

(٤) مسلم (٢٣٧٦).

(٥) البخاري (٣٤١٤، ٣٤١٥)، مسلم (٢٣٧٣).

يَفْضُلُنِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى». كَمَا قَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ^(١) : « لَا تُفْضِلُونِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، وَلَا عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى ». وَهَذَا مِنْ بَابِ الْهَضْمِ وَالتَّوَاضُعِ مِنْهُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَالْمُرْسَلِينَ .

(١) أوردته القاضي عياض في الشفا ١٧٠/١ بنحوه .

ذِكْرُ قِصَّةِ مُوسَى الْكَلِيمِ،

عليه الصلاة والسلام

وهو موسى بن عمران بن قاهث^(١) بن عازر بن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم السلام، قال الله تعالى^(٢): ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَنَذَيْنَاهُ مِنَ الْجَانِّ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِينًا ۖ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣]. ذكره بالرسالة والثبوة والإخلاص والتكليم والتقريب، ومنَّ عليه بأن جعل أخاه هارون نبيًّا^(٣) وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن، وذكر قصته في مواضع متعددة مبسطة، ومتوسطة، ومختصرة، وقد تكلمنا [١/ ١٤٦] على ذلك كله في مواضعه من «التفسير»، وسنورد^(٤) سيرته ههنا، من ابتدائها إلى آخرها من الكتاب والسنة، وما ورد في الآثار المنقولة من الإسرائيليات، التي ذكرها السلف وغيرهم، إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.

قال الله تعالى^(٥): ﴿طَسَمَ ۖ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۖ نَتْلُوْا

(١) في الأصل، ص: «ماث»، وفي ١: «قاهب».

(٢) التفسير ٥/ ٢٣٢، ٢٣٣.

(٣ - ٣) زيادة من: ١.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) التفسير ٦/ ٢٣٠، ٢٣١.

عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنُ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢١﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٢٢﴾ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ يَخُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٢٣﴾ [القصص: ١ - ٢٦].

يذكرُ تعالى مُلخَصَ القِصَّةِ ثم ييسطُها بعد هذا، فذكر أنه سبحانه يثُلُو على نبيِّه خبرَ موسى وفرعونَ بالحق؛ أي بالصدق الذي كأنَّ سامعَه مُشاهدٌ للأمرِ مُعَينٌ له ﴿٢٠﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴿٢١﴾ أي؛ تَجَبَّرَ وَعَتَا، وَطَغَى وَبَغَى، وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَأَغْرَضَ عَنْ طَاعَةِ الرَّبِّ الْأَعْلَى. ﴿٢٢﴾ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴿٢٣﴾ أي؛ قَسَمَ رَعِيَّتَهُ إِلَى أَقْسَامٍ وَفَرَّقَ وَأَنْوَعَ ﴿٢٤﴾ يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ شَعْبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ سُلَالَةِ نَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ. وَكَانُوا إِذْ ذَاكَ خِيَارَ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَلِكَ الظَّالِمَ الْغَاشِمَ الْكَافِرَ الْفَاجِرَ، يَسْتَعْبِدُهُمْ وَيَسْتَخْدِمُهُمْ فِي أَحْسَنِ الصَّنَائِعِ وَالْحَرِيفِ، وَأَزْدِيَّتِهَا، "وَأَدْنَاهَا، وَمَعَ هَذَا" ﴿٢٦﴾ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢٧﴾. وَكَانَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى هَذَا الصَّنِيعِ الْقَبِيحِ، أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَتَدَارَسُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَا كَانُوا يَأْتُرُونَهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ أَنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ غُلَامٌ يَكُونُ هَلَاكُ مَلِكٍ مَصْرَ عَلَى يَدَيْهِ، وَذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، حِينَ جَرَى عَلَى سَارَةِ امْرَأَةِ الْخَلِيلِ مِنْ مَلِكٍ مَصْرَ، "مَا جَرَى" ^١ مِنْ إِرَادَتِهِ إِثَّاها عَلَى الشَّوْءِ، وَعِصْمَةِ اللَّهِ لَهَا.

(١ - ١) فِي ١: «وَمَا كَفَاهَا هَذَا حَتَّى».

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: م، ص.

وكانت هذه البشارة مشهورة في بنى إسرائيل ، فتحدثت بها القبط فيما بينهم ، ووصلت إلى فرعون ^(١) في مجلس مُسامرته مع ^(٢) أمرائه وأساورته ^(٣) وهم يسمرون عنده ، فأمر عند ذلك بقتل أبناء بنى إسرائيل ؛ حذرًا من وجود هذا الغلام ، ولن يُغنى حذر من قدر .

وذكر السدّي ^(٤) عن أبي صالح ، وأبي مالك ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة أن فرعون رأى في منامه كأن نازًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس ، فأخرقت دور مصر وجميع القبط ، ولم تضر بنى إسرائيل ، فلما استيقظ هاله ذلك [١٤٧/١] فجمع الكهنة والحزاة ^(٥) والسحرة وسألهم عن ذلك ، ^(٦) فقال له الكهنة : هذا غلام يُولد من ^(٧) بنى إسرائيل ، يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه . فلهذا أمر بقتل الغلمان وترك النسوان . ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ أى ؛ الذين يقولُ ملكُ مصر وبلاؤها إليهم ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ أى ؛ سنجعل الضعيف قويًا ، والمقهور قاهرًا ^(٨) ، والدليل عزيزًا . وقد جرى هذا كله لبنى إسرائيل ؛ كما قال

(١ - ١) فى الأصل ، م : « فذكرها له بعض » .

(٢) الإسوار : بكسر الهمزة قائد المعجم كالأمير فى العرب والجمع أساوره .

(٣) ابن جرير فى تاريخه ٣٨٨ / ١ .

(٤) جمع « حاز » وهو الكاهن .

(٥ - ٥) فى ح ، م ، ص : « هؤلاء » .

(٦ - ٦) فى ح ، م ، ص : « فقالوا » .

(٧) فى م : « قادرا » .

تعالى: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا
الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾
[الأعراف: ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ
كَرِيمٍ ۖ ﴾ [٥٨] كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿ [الشعراء: ٥٧ - ٥٩]. وسيأتي تفصيل
ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

والمقصود أن فرعون احتزَز كلَّ الاحتراز أن لا يُوجد موسى، حتى
يجعل رجالاً وقوالب يدورون على الحبالى، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا
تلد امرأة ذكراً إلا ذبحه أولئك الذَّبَّاحون "من ساعته".^(١) وعند أهل
الكتاب^(٢) أنه إنما كان يأمر بذبح الغلمان لِتَضْعُفِ شوكةُ بنى إسرائيل،
فلا يقاومونهم إذا غالبوهم أو قاتلوهم. وفي هذا نظر، بل هو باطل،
وإنما وقع هذا بعدَ بَغْثَةِ موسى فجعل يُقْتَلُ الولدان، كما قال تعالى:
﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ [غافر: ٢٥].^(٣) ولهذا قالت بنو إسرائيل لموسى:
﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ [الأعراف: ١٢٩].
فالصحيح أن فرعون إنما أمر بقتل الغلمان أولاً خَذَرًا من وجود موسى^(٤)
عليه السلام. هذا، والقدر يقول: يا أيها الملك الجبار، المغرور بكثرة
جنوده، وسلطة بأسه واتساع سلطانه^(٥)، قد حكم العظيم الذى لا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٨/١ - ٢٢.

(٤ - ٤) سقط من: ح.

(٥) سقط من: ص.

يُغَالِبُ وَلَا يُمَانِعُ، وَلَا تُخَالَفُ أَقْدَارُهُ أَنْ هَذَا الْمَوْلُودَ الَّذِي تَحْتَرِزُ مِنْهُ،
وَقَدْ قَتَلْتَ بِسَبَبِهِ مِنَ النَفُوسِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، لَا يَكُونُ مَرْبَاهَ إِلَّا
فِي دَارِكَ وَعَلَى فِرَاشِكَ، وَلَا يُغَذَّى إِلَّا بِطَعَامِكَ وَشَرَابِكَ^(١) «فِي مَنَزِلِكَ»،
وَأَنْتَ الَّذِي تَتَبَّنَاهُ وَتُرَبِّيهِ وَتَعَدَّاهُ^(٢)، وَلَا تَطْلُعُ عَلَى سِرِّ مَعْنَاهُ، ثُمَّ يَكُونُ
هَلَاكُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ عَلَى يَدَيْهِ؛ لِمُخَالَفَتِكَ مَا جَاءَكَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ
الْمُبِينِ، وَتَكْذِيبِكَ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ، لَتَعْلَمَ أَنْتَ وَسَائِرُ الْخَلْقِ أَنَّ رَبَّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يَرِيدُ، وَأَنَّهُ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ، ذُو
الْبَاسِ [١٤٧/١] الْعَظِيمِ، وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالْمَشِيعَةِ، الَّتِي لَا مَرَدَّ لَهَا.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَفْسَرِينَ، أَنَّ الْقَبِيْطَ شَكَّوْا إِلَى فِرْعَوْنَ قَلَّةَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ، بِسَبَبِ قَتْلِ وَلَدَانِهِمُ الذَّكَوْرَ، وَخَشَوْا أَنْ تَتَفَانِيَ الْكِبَارُ مَعَ قَتْلِ
الصُّغَارِ، فَيَصِيرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَلُونُ مَا كَانَ يَلِيهِ^(٣) «بَنُو إِسْرَائِيلَ» مِنَ الْأَعْمَالِ
الشَّاقَّةِ^(٤)، فَأَمَرَ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِ الْأَبْنَاءِ عَامًّا، وَأَنْ يُزَكَّوْا عَامًّا، فَوُلِدَ هَارُونُ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فِي عَامِ الْمَسَامَحَةِ عَنْ قَتْلِ الْأَبْنَاءِ، وَوُلِدَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي عَامِ
قَتْلِهِمْ، فَضَاقَتْ أُمُّهُ بِهِ دَرْعًا، وَاحْتَرَزَتْ مِنْ أَوَّلِ مَا حَبَلَتْ بِهِ، وَلَمْ يَكُنْ يَظْهَرُ
عَلَيْهَا مَخَايِلُ^(٥) الْحَبْلِ، فَلَمَّا وَضَعَتْ أُلْهِمَتْ أَنْ اتَّخَذَتْ لَهُ تَابُوتًا، فَرَبَطَتْهُ فِي
حَبْلِ، وَكَانَتْ دَارُهَا مَتَاخِمَةً لِلنَّيْلِ، فَكَانَتْ تُرْضِعُهُ، فَإِذَا خَشِيتُ مِنْ أَحَدٍ
وَضَعْتُهُ فِي ذَلِكَ التَّابُوتِ فَأَرْسَلْتُهُ فِي الْبَحْرِ، وَأَمْسَكْتُ طَرَفَ الْحَبْلِ عِنْدَهَا،

(١ - ١) سَقَطَ مِنْ: ص.

(٢) فِي ح: «تَعْدَاهُ».

(٣) سَقَطَ مِنْ: م، ص.

(٤ - ٤) فِي ح، م، ص: «يَعَالَجُون».

(٥) أَيْ دَلَائِلُ.

فإذا ذهبوا استزجعتهم إليها به .

قال الله تعالى^(١) : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ
كَأَلْفَيْهِ فِي الْبَيْمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ۝ (٧) فَأَلْقَيْتُهَا إِلَىٰ أُمِّ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ
فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ۝ (٨) وَقَالَتْ أُمُّرَأْتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ
عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝
[القصر : ٧ - ٩] . هذا الوحي وحي إلهام وإرشاد ، كما قال تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ
رَبُّكَ إِلَىٰ النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ (١٨) ثُمَّ كُلِّي مِنْ
كُلِّ النَّمْرِثِ فَأَسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۝ [النحل : ٦٨ ، ٦٩] . وليس هو بوحى
نُبُوَّة ؛ كما زعمه ابن حزم^(٢) ، وغير واحد من المتكلمين ، بل الصحيح الأول ،
كما حكاه أبو الحسن الأشعرى عن مذهب^(٣) أهل السنة والجماعة . قال
الشَّهَيْلِيُّ^(٤) : واسم أم موسى يابوخ^(٥) . وقيل : أياذخت .

والمقصود أنها أُرشدت إلى هذا الذى ذَكَرناه ، وأُلقيَ فى خَلْدِهَا ورُوعِهَا أن
لا تخافى ولا تحزنى ، فإنه إن ذهب فإن الله سيرده إليك ، وإن الله سيجعله نبياً
مرسلًا ، يُعلَى كلمته فى الدنيا والآخرة ، فكانت تصنع ما أُمِرت به ، فأرسلته
ذات يوم ، وذَهَلَتْ أن تَرْبِطَ طَرْفَ الحبلِ عندها ، فذهَبَ مع الثَّيلِ ، فمرَّ على

(١) التفسير ٢٣١/٦ - ٢٣٣ .

(٢) انظر الفصل ١٧/٥ ، ١٨ .

(٣) سقط من : م .

(٤) التعريف والإعلام ص ٢٣٩ .

(٥) فى الأصل : «أبارخا» . وفى ح ، ص : «أبارخا» . وفى م : «أبادخا» . والمثبت من التعريف
والإعلام .

دارِ فرعون ﴿فَالنَّقْطَةُ﴾ ١٠٠٠. قال الله تعالى : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَخِزْيَانٌ﴾ قال بعضهم : هذه لأم العاقبة . وهو ظاهر إن كان متعلقاً بقوله : ﴿فَالنَّقْطَةُ﴾ . وأما إن جعل متعلقاً بمضمون الكلام ؛ وهو أنَّ آلَ فرعون قُيِّضُوا لالتقاطه ؛ ليكونَ لهم عَذَابٌ وَخِزْيَانٌ ، صارت اللام معللةً لغيرها ، والله أعلم . ويقوى هذا التفسير ^(١) الثانى قوله ^(٢) : ﴿لَكَ فِرْعَوْنٌ وَهَمَزٌ﴾ وهو الوزيرُ السوءُ ﴿وَجُودُهُمَا﴾ المتابعين لهما ﴿كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ أى ؛ كانوا على خلافِ الصوابِ ، فاستحقوا هذه العقوبةَ والحسرةَ .

وذكر المفسرون أن الجوارى التقطته من البحر في تابوتٍ مُغْلَقٍ عليه ، فلم يتجاسرون على فتحه ، حتى وضَّعنه بين يدي امرأة فرعون ؛ آسية بنت مِزَاجِم بن عُبيد بن الرِّئان بن الوليد ، الذى كان فرعون مصر في زمن يوسف . وقيل : إنها كانت من بنى إسرائيل من سبَّط موسى . وقيل : بل كانت عمته . حكاها الشَّهيد ^(٣) . فالله أعلم . وسيأتى مدحها والثناء عليها ^(٤) فى قصة مَرْيَم بنت عمران ، وأنهما يكونان يوم القيامة من أزواج رسول الله ﷺ فى الجنة ^(٥) . فلما فتحت الباب وكشفت الحجاب ، رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية ، فلما رآته وقع نظرها عليه أحبتته حباً شديداً ، فلما جاء

(١) فى م : «التقدير» .

(٢) بعده فى الأصل : ﴿لَكَ فِرْعَوْنٌ وَهَمَزٌ﴾ ١٠٠٠. أى ؛ هم أهل لهذا التقييض [١ / ١٤٨] ليكون أبلغ فى إهانتهم ، وأقوى فى حسرتهم ، أن يربوا عدوهم فى دارهم . ولهذا قال : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ وَخِزْيَانٌ﴾ .

(٣) التعريف والإعلام ص ٢٣٩ .

(٤) انظر صفحات ٤٢٦ - ٤٣١ .

(٥) انظر صفحة ٤٣٣ .

فرعونُ قال: ما هذا؟ وأمرَ بذبْحِهِ، فاستوهبته منه ودَفَعَتْ عنه، وقالت: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾. فقال لها فرعونُ: أَمَا لِكَ فَنَعَمْ، وَأَمَا لِي فَلَا. أَى؛ لَا حَاجَةَ لِي بِهِ. والبلاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمُنْطِقِ. وقولُها: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ وقد أَنَالَهَا اللَّهُ مَا رَجَتْ مِنَ النَّفْعِ؛ أَمَا فِي الدُّنْيَا فَهَذَاهَا اللَّهُ بِهِ، وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ فَأَسْكَنَهَا جَنَّتَهُ بِسَبَبِهِ ﴿أَوْ نَتَّخِذْهُمُ وَلَدًا﴾ وذلك لِأَنَّهُمَا تَبَيَّاهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِهَما وَلَدٌ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَى؛ لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَرِيدُ اللَّهُ بِهِمْ، أَنْ قَيِّضَهُمُ لِلتَّقَاطِطِ، مِنْ النُّقْمَةِ الْعَظِيمَةِ بِفِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ. ^(١) وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ الَّذِي التَّبَقُّطُ مُوسَى وَرَبَّتُهُ ابْنَةُ فِرْعَوْنَ، وَلَيْسَ لِامْرَأَتِهِ ذِكْرٌ بِالْكُلِّيَّةِ ^(٢). وَهَذَا مِنْ غُلْطِهِمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ قُودًا أُرِ مُوسَى فَرِحًا إِنْ كَادَتْ لِتَنْبَذِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣) وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصَيْبَةٍ قَبَضَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَى نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(٣) [القصص: ١٠ - ١٣]. قال ابنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضُّحَّاكُ، وَغَيْرُهُمْ: ﴿وَأَصْبَحَ قُودًا أُرِ مُوسَى فَرِحًا﴾ أَى؛ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا إِلَّا مِنْ

(١ - ١) زيادة من: ص.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٢/٥ - ١٠.

(٣) التفسير ٢٣٣/٦، ٢٣٤.

أمر^(١) موسى ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أى ؛ لَتُظْهِرُ أَمْرَهُ وتَسْأَلُ عَنْهُ جَهْرَةً . ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ أى ؛ صَبَرْنَاهَا وَثَبَّنَاهَا ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٤٨/١ ط] وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ ﴿وَهِيَ ابْنَتُهَا الْكَبِيرَةُ﴾ ﴿قُصْبِيَّةٌ﴾ أى ؛ اتَّبَعِي أَثَرَهُ وَاطْلُبِي لِي خَبْرَهُ ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ . قَالَ مُجَاهِدٌ : عَنْ بُعَيْدٍ . وَقَالَ قَتَادَةُ : جَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَكَأَنَّهَا لَا تَرِيدُهُ . وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَمَّا اسْتَقَرَّ بِدَارِ فِرْعَوْنَ أَرَادُوا أَنْ يُغَذُّوهُ بِرِضَاعَةٍ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيًا وَلَا أَخَذَ طَعَامًا ، فَحَازُوا فِي أَمْرِهِ ، وَاجْتَهَدُوا فِي ذَلِكَ ، أَيْ عَلَى تَغْذِيَّتِهِ بِكُلِّ مُمْكِنٍ فَلَمْ يَفْعَلْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ فَأَرْسَلُوهُ مَعَ الْقَوَائِلِ وَالنِّسَاءِ إِلَى الشُّوْقِ ؛ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَنْ يُوَافِقُ رِضَاعَتَهُ ، فَبَيْنَمَا هُمْ وَقُوفٌ بِهِ وَالنَّاسُ عُكُوفٌ عَلَيْهِ ، إِذْ بَصُرَتْ بِهِ أُخْتُهُ ، فَلَمْ تُظْهِرْ أَنَّهَا تَعْرِفُهُ ، بَلْ قَالَتْ : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُمْ نَصِيحُونَ﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢) : لَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ ، قَالُوا لَهَا : مَا يُذَرِّيكِ بِنُصِيحَتِهِمْ وَشَفَقَتِهِمْ عَلَيْهِ ؟ فَقَالَتْ : رَغْبَةٌ فِي صِهْرِ الْمَلِكِ ، وَرَجَاءٌ مِنْفَعَتِهِ . فَأَطْلَقُوهَا وَذَهَبُوا مَعَهَا إِلَى مَنْزِلِهِمْ ، فَأَخَذَتْهُ أُمُّهُ ، فَلَمَّا أَرْضَعَتْهُ التَّقَمَ ثَدْيِهَا وَأَخَذَ يَمْتَصُّهُ وَيَرْتَضِعُهُ ، فَفَرِحُوا بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا ، وَذَهَبَ الْبَشِيرُ إِلَى آسِيَةَ يُعْلِمُهَا بِذَلِكَ ، فَاسْتَدْعَتْهَا إِلَى مَنْزِلِهَا ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ عِنْدَهَا ، وَأَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهَا ، فَأَبَتْ عَلَيْهَا وَقَالَتْ : إِنْ لِي بَقْلًا وَأَوْلَادًا ، وَلَسْتُ

(١) سقط من : ص ، م .

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١١٣٢٦) ، والطبري في تفسيره ١٦ / ١٦٥ ، وأبو يعلى (٢٦١٨) .

وغيرهم .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٥٦ - ٦٦ : ... ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم ابن أبي أيوب وهما ثقات . والحديث معروف بحديث الفتون الطويل .

أَقْدِرُ عَلَى هَذَا إِلَّا أَنْ تُرْسِلِيهِ مَعِيَ . فَأَرْسَلْتَهُ مَعَهَا ، وَرَبَّيْتُ لَهَا رَوَاتِبَ ، وَأُجْرَتَ عَلَيْهَا النِّفَقَاتِ وَالْكُسَاوَى وَالْهَبَاتِ ، فَرَجَعَتْ بِهِ تَحَوُّزُهُ إِلَى رَحْلِهَا ، وَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَهُ بِشَمْلِهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى آتِيهِ كَمَا نَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ أَي ؛ كَمَا وَعَدْنَاهَا بَرْدَهُ وَرِسَالَتِهِ ، فَهَذَا رَدُّهُ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ الْبَشَارَةِ بِرِسَالَتِهِ ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وقد امتنَّ اللَّهُ بهذا على موسى ليلةَ كُلِّهِ ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا قَالَ لَهُ ^(١) : ﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾ (٢٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ﴿ ٢٨ ﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي النَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةٌ مِمِّي ﴾ [طه : ٣٧ - ٣٩] . " وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ " ﴿ وَلِصْنَعِ عَلَى عَيْنِي ﴾ قَالَ ^(٣) قَتَادَةُ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ^(٤) : أَي تُطْعَمُ وَتُرْفَقُ وَتُعْذَى بِأَطْيَبِ الْمَاكِلِ ، وَتَلْبَسُ أَحْسَنَ الْمَلَابِيسِ ؛ بِمَرَأَى مَنِي ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِحِفْظِي وَكَلاَعَتِي لَكَ فِيمَا صَنَعْتُ بِكَ وَلَكَ ، وَقَدَّرْتُهُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرِي ﴾ إِذْ تَمْشِي أُنْخَلِكَ فَنَقُولُ هَلْ أَذْلُكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَمَا نَقَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنُ وَقُلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ﴾ [طه : ٤٠] . وَسُورِدُ حَدِيثَ [١٤٩/١] الْفُتُونِ فِي مَوْضِعِهِ بَعْدَ هَذَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .

(١) التفسير ٢٧٧/٥ ، ٢٧٨ .

(٢ - ٣) سقط من : ح ، م .

(٣) قبله في ح ، م ، ص : (إِذْ) .

(٤) التفسير ٢٧٨/٥ .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّتِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّتِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكُمُ لَٱلْعَافُونَ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَعَمْتُ عَلَىٰ فُلَانٍ أَكُنتَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ [القصص: ١٤ - ١٧]. لَمَّا ذَكَرَ تعالى أَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَىٰ أُمِّهِ بِرُدِّهِ إِلَيْهَا، وَإِحْسَانِهِ بِذَلِكَ، وَامْتِنَانِهِ عَلَيْهَا، شَرَعَ فِي ذِكْرِ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ؛ وَهُوَ احْتِكَامُ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ، وَهُوَ سُنُّ الْأَرْبَعِينَ، فِي قَوْلِ الْأَكْثَرِينَ، آتَاهُ اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا؛ وَهُوَ الثَّبُوءُ وَالرَّسَالَةُ الَّتِي كَانَ بَشَّرَ بِهَا أُمُّهُ، حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَٰكٍ وَجَاءَهُ مِن مِّنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ثُمَّ شَرَعَ فِي ذِكْرِ سَبَبِ خُرُوجِهِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ، وَذَهَابِهِ إِلَىٰ أَرْضِ مَدْيَنَ وَإِقَامَتِهِ هُنَاكَ، حَتَّىٰ كَمَلَ الْأَجَلَ، وَانْقَضَىٰ الْأَمَدُ، وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ لَهُ، وَإِكْرَامِهِ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ كَمَا سَيَأْتِي.

قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾. قال ابن عباس، وسعيد بن جبئير، وعكرمة، وقتادة، والشَّذِيُّ: وذلك نصف النهار. ^(٢) وفي رواية ^(٣) عن ابن عباس: بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ ^(٣) ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أَي؛ يَتَضَارَبَانِ وَيَتَهَاوِشَانِ ﴿هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ أَي؛ إِسْرَائِيلِيٌّ ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أَي؛ قِبْطِيٌّ. قاله ابن عباس، وقتادة، والشَّذِيُّ، ومحمد بن إسحاق

(١) التفسير ٢٣٤/٦، ٢٣٥.

(٢) (٢ - ٢) سقط من الأصل، ح، م.

(٣) تفسير الطبري ٤٤/٢٠. التفسير ٢٣٥/٦.

﴿ فَاسْتَعْنَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعِنِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ وذلك أن موسى ، عليه السلام ، كانت له بديار مصر صَوْلَةٌ ؛ بسبب نسبته إلى تَبْنَى فرعون له وتريبته فى بيته ، وكانت بنو إسرائيل قد عَزُّوا وصارت لهم وَجَاهَةٌ ، وارتفعت رءوسهم بسبب أنهم أَرْضَعُوهُ ، وهم أحواله ، أى من الرضاعة ، فلَمَّا اسْتَعَاثَ ذلك الإسرائيلى موسى ، عليه السلام ، على ذلك القبطى ، أَقْبَلَ إليه موسى ﴿ فَوَكَّرُ ﴾ قال مُجَاهِدٌ : أى طَعَنَهُ بِجُمُعٍ ^(١) كَفَّهُ . وقال قتادة : بِعَصَا كانت معه ﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ أى ؛ فمات منها . وقد كان ذلك القبطى كافرا مشركا بالله العظيم ، ولم يُرِدْ موسى قَتْلَهُ بالكلية ، وإنما أراد زَجْرَهُ ورَدْعَهُ ، ومع هذا قال موسى : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ^(١٥) قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ^(١٦) قَالَ رَبِّ [١ / ١٤٩] بِمَا أَتَّعَمْتُ عَلَى ^(٢) . (أى ، مِنَ الْعِزِّ وَالْجَاهِ) ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ .

﴿ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُ ﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ^(١٧) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَنَّى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ^(١٨) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ أَلَمَّا يَأْتِمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ^(١٩) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ^(٢٠) [الفصل : ١٨ - ٢١] . يخبر تعالى

(١) فى ح ، ص : (بجمع) .

(٢) - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) التفسير ٦ / ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

أَنَّ موسى أَصْبَحَ بِمَدِينَةِ مِصْرَ خَائِفًا أَيَّ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، أَن يَعْلَمُوا أَن هَذَا الْقَتِيلَ الَّذِي رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ إِنَّمَا قَتَلَهُ مُوسَى فِي نُصْرَةِ رَجُلٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَقَوَّى طُنُوبُهُمْ أَنَّ مُوسَى مِنْهُمْ وَيَتَرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَصَارَ يَسِيرُ فِي الْمَدِينَةِ فِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أَيَّ ؛ يَتَلَفَّتْ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذَا ذَلِكَ الرَّجُلُ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ ﴿ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ أَيَّ ؛ يَصْرُخُ بِهِ ، وَيَسْتَغِيثُهُ عَلَى آخَرٍ قَدْ قَاتَلَهُ ، فَعَنَّفَهُ مُوسَى وَلَامَهُ عَلَى كَثْرَةِ شَرِّهِ ، وَمُخَاصَمَتِهِ ، قَالَ لَهُ : ﴿ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ ، ثُمَّ أَرَادَ أَن يَتَطَشَّ بِذَلِكَ الْقِبْطِيُّ ، الَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لِمُوسَى وَلِلْإِسْرَائِيلِيِّ ، فَيَزِدُّهُ عَنْهُ وَيُخْلَصُّهُ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْقِبْطِيِّ ﴿ قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص: ١٩] ، قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْكَلَامُ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي أَطَّلَعَ عَلَى مَا كَانَ صَنَعَ مُوسَى بِالْأَمْسِ ، وَكَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى مُوسَى مُقْبِلًا إِلَى الْقِبْطِيِّ ، اعْتَقَدَ أَنَّهُ جَاءَ إِلَيْهِ لِمَا عَنَّفَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ . فَقَالَ مَا قَالَ لِمُوسَى ، وَأَظْهَرَ الْأَمْرَ الَّذِي كَانَ وَقَعَ بِالْأَمْسِ ، فَذَهَبَ الْقِبْطِيُّ ^(١) فَاسْتَعْدَى فِرْعَوْنَ عَلَى مُوسَى . وَهَذَا الَّذِي لَمْ يَذْكُرْهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ سِوَاهُ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّ قَاتِلَ هَذَا هُوَ الْقِبْطِيُّ ، وَأَنَّهُ لَمَّا رَأَاهُ مُقْبِلًا إِلَيْهِ خَافَهُ ؛ وَرَأَى مِنْ سَجِيَّتِهِ انْتِصَارًا جَيِّدًا لِلْإِسْرَائِيلِيِّ ، فَقَالَ مَا قَالَ مِنْ بَابِ الظَّنِّ وَالْفِرَاسَةِ ، أَنَّ هَذَا لَعَلَّهُ قَاتِلُ ذَلِكَ الْقَتِيلِ بِالْأَمْسِ ، أَوْ لَعَلَّهُ فِيهِمْ مِنْ كَلَامِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ، حِينَ اسْتَصْرَخَهُ عَلَيْهِ ، مَا دَلَّهُ عَلَى هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ فِرْعَوْنَ بَلَغَهُ أَنَّ مُوسَى هُوَ قَاتِلُ ذَلِكَ الْمَقْتُولِ بِالْأَمْسِ ، فَأَرْسَلَ

(١ - ١) فِي النسخ : « فَاسْتَعْدَى مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ » . وَالثَّبَتَ كَمَا فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ لِلْمُصَنِّفِ ٢ / ١٤ . لِتُسْتَقِيمَ الْعِبَارَةُ .

فِي طَلِبِهِ ، وَسَبَقَهُمْ رَجُلٌ نَاصِخٌ مِنْ طَرِيقِ أَقْرَبَ إِلَيْهِ ، ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا
 الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ سَاعِيًا إِلَيْهِ مُشْفِقًا عَلَيْهِ [١٥٠/١] فَقَالَ : ﴿ يَمْوَسَّى ابْنَ
 الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ ﴾ أَى ؛ مِنْ هَذِهِ الْبَلَدَةِ ﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ
 النَّاصِحِينَ ﴾ أَى ؛ فِيمَا أَقُولُهُ لَكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾
 أَى ؛ فَخَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ مِصْرَ مِنْ فَوْرِهِ ، عَلَى وَجْهِهِ ، لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقٍ وَلَا
 يَعْرِفُهُ ، قَائِلًا : ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَذْيَبٌ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢٢)
 وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَبٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَةً مِنَ النَّكاسِ يَسْقُوبُ وَوَجَدَ مِنْ
 دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ
 وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿ ٢٣ ﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا
 أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿ ٢٤ ﴾ [القصص: ٢٢ - ٢٤] . يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ خُرُوجِ
 عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ مِنْ مِصْرَ ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ أَى ؛ يَتَلَقَّ حَشِيَّةً أَنْ يُدْرِكَهُ
 أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ ، وَلَا إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ ؛ وَذَلِكَ
 لِأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مِصْرَ قَبْلُهَا ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَذْيَبٌ ﴾ (٢٣) أَى ؛ أُنْجِهَ لَهُ طَرِيقٌ
 يَذْهَبُ فِيهِ (٢٤) ﴿ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . أَى ؛ عَسَى أَنْ
 تَكُونَ هَذِهِ الطَّرِيقُ مُوَصَّلَةٌ إِلَى الْمَقْصُودِ . وَكَذَا وَقَعَ ، أَوْصَلَتْهُ إِلَى مَقْصُودِهِ ، وَأَيُّ
 مَقْصُودٍ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَذْيَبٍ ﴾ وَكَانَتْ بَنَاتٌ يَسْتَقُونَ مِنْهَا . وَمَذْيَبٌ هِيَ
 الْمَدِينَةُ الَّتِي أَهْلَكَ اللَّهُ فِيهَا أَصْحَابَ الْأَيْكَةِ ، وَهُمْ قَوْمٌ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ

(١) التفسير ٢٣٦/٦ .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : ح ، ا .

كان هلاكهم قبل زمن موسى ، عليه السلام ، فى أحد قَوْلِي العلماء . ولما ورد الماء المذكور ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ أى ؛ تَكْفِيفَانِ غَنَمَهُمَا أَنْ تَخْتَلِطَ بَغَنَمِ النَّاسِ . ^(١) وعند أهل الكتاب ^(٢) ، أنهنَّ كُنَّ سَبْعَ بَنَاتٍ . وهذا أيضًا مِنَ الْعَلَاطِ . ولَعَلَّه كان له سَبْعٌ ، ولكن إنما كان تَسْقَى اثنتانٍ منهنَّ . وهذا الجمعُ ممكنٌ إن كان ذلك محفوظًا ، وإلا فالظاهرُ أنه لم يَكُنْ له سوى بنتين ^(٣) .

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقَى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ أى ؛ لا نَقْدِرُ على وِرْدِ الماءِ إلا بعدَ صُدُورِ الرِّعَاءِ ؛ لِضَعْفِنَا ، وسببُ مُبَاشَرَتِنَا هذه الرِّعِيَّةَ ضَعْفُ أَيْنَا وَكِبَرُهُ . قال الله تعالى : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾ . قال المفسرون : وذلك أن الرِّعَاءَ كانوا إذا فرَغُوا مِنْ وِرْدِهِمْ ، وَضَعُوا على قِمِ البئرِ صَخْرَةً عَظِيمَةً ، فتَجِيءُ هَاتَانِ المَرَاتَانِ فَيُشْرِعَانِ غَنَمَهُمَا فى فَضْلِ أَغْنَامِ النَّاسِ ، فلَمَّا كان ذلك اليومُ جاء موسى فَرَفَعَ تلك الصَخْرَةَ وحده ، ثم اسْتَقَى لهما ، وسَقَى غَنَمَهُمَا ، ثم رَدَّ الصَخْرَةَ كما كانت . قال أميرُ المؤمنين عُمَرُ : وكان لا يَزِفُّهُ إِلَّا عَشْرَةٌ ^(٤) . وإنما [١٥٠/١ ظ] اسْتَقَى ذُنُوبًا واحدًا فَكَفَّاهُما ، ثم تَوَلَّى إلى الظِّلِّ . قالوا : وكان ظِلُّ شَجَرَةٍ مِنَ الشُّمْرِ ^(٥) . وروى ابنُ جرير ^(٥) ،

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٦/٢ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة فى المصنف ٥٣٠/١١ مطولاً . وذكره السيوطى فى الدر المنثور ١٢٤/٥ ، ١٢٥ وعزه لابن أبى حاتم والحاكم وغيرهما .

وقال ابن كثير فى التفسير ٢٣٧/٦ : إسناده صحيح .

(٤) فى الأصل : « الشمس » .

(٥) فى تفسيره ٥٨/٢٠ .

عن ابن مسعود، أنه رآها خضراء ترف. ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾. قال ابن عباس: سار من مصر إلى مدين، لم يأكل إلا البقل وورق الشجر، وكان حافيا فسقطت نغلا قدميه من الحفاء، وجلس في الظل، وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لثرى من داخل جوفه، وأنه محتاج إلى شق تمر^(١). قال عطاء بن السائب^(٢): لما قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾. أسمع المرأة.

﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبَى يَدْعُوكَ لِجَعْرِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٥) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَأَبَّتِ اسْتِجْرَةٌ إِنَّكِ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ﴿ ٢٦ ﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿ [القصص: ٢٥-٢٨]. لما جلس موسى، عليه السلام، في الظل، وقال: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾. سمعته المرأتان، فيما قيل، فذهبتا إلى أبيهما، فيقال: إنه استنكر سرعة رجوعهما، فأخبرته ما كان من أمر موسى عليه السلام، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٥٩/٢٠ مختصرا، وأورده في الدر المنثور ١٢٥/٥ مختصرا أيضا، وعزه إلى أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وابن المنذر، كلهم من قول ابن عباس.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ٥٩/٢٠.

أَسْتَحْيَا ۞ أَي؛ مَشَى الْحَرَارِ. ^(١) قَالَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تَشْتَرُ وَجْهَهَا
بِكُمْ دِرْعَهَا ^(٢) ۞ إِنَّكَ أَيْ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۞ صَرَحَتْ
له بهذا؛ لِئَلَّا يُوهِمَ كَلَامُهَا رِيَّةً، وَهَذَا مِنْ تَمَامِ حَيَاتِهَا وَصِيَانَتِهَا. ۞ فَلَمَّا
جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ۞ أَي؛ وَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ؛ فِي
خُرُوجِهِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ فِرَارًا مِنْ فِرْعَوْنِهَا، قَالَ لَهُ ذَلِكَ الشَّيْخُ ^(٣): ۞ لَا تَخَفْ
نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ أَي؛ خَرَجْتَ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، فَلَسْتُ فِي
دَوْلَتِهِمْ.

وَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الشَّيْخِ؛ مَنْ هُوَ؟ فَقِيلَ: هُوَ شُعَيْبٌ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرِينَ. وَبِمَنْ نَصَّ عَلَيْهِ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَمَالِكُ بْنُ
أَنَسٍ، وَجَاءَ مِصْرَ حَا بِهِ فِي حَدِيثٍ ^(٤)، وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ نَظَرٌ. وَصَرَّحَ طَائِفَةٌ
بَأَنَّ شُعَيْبًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَاشَ عُمرًا طَوِيلًا بَعْدَ هَلَاكِ قَوْمِهِ، حَتَّى أَدْرَكَهُ
مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَزَوَّجَ بِابْنَتِهِ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ ^(٥)، عَنِ الْحَسَنِ
الْبَصْرِيِّ، أَنَّ صَاحِبَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، هَذَا اسْمُهُ [١٥١/١] شُعَيْبٌ،
وَكَانَ سَيِّدَ الْمَاءِ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِالنَّبِيِّ صَاحِبِ مَدْيَنَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ ابْنُ أُخِي
شُعَيْبٍ. وَقِيلَ: ابْنُ عَمِّهِ. وَقِيلَ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ. وَقِيلَ: رَجُلٌ

(١ - ١) زيادة من حاشية الأصل.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ٦٠/٢٠.

(٣) انظر التفسير ٢٣٨/٦.

(٤) ذكره المصنف في تفسيره ٢٤٢/٦، ٢٤٣. وعزاه إلى البزار وابن أبي حاتم. وانظر الدر المنثور ٥/١٢٦.

(٥) ذكره في الدر المنثور ٥/١٢٦. وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر. ورواه ابن جرير في تفسيره ٢٠/٦٢.

اسمه يثرون . هكذا هو في كتب أهل الكتاب^(١) : يثرون كاهن مدين . أى ؛ كبيرها وعالمها . قال ابن عباس ، وأبو غبيدة بن عبد الله : اسمه يثرون . زاد أبو غبيدة : وهو ابن أخى شعيب . زاد ابن عباس : صاحب مدين .

والمقصود أنه لما أضافه وأكرم مثواه ، وقص عليه ما كان من أمره ، بشره بأنه قد نجا ، فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها ﴿ يَتَأَبَّتِ أَسْتَجِرُّهُ ﴾ أى ؛ لرعى غنمك . ثم مدحته بأنه قوى أمين . قال عمر ، وابن عباس ، وشريح القاضي ، وأبو مالك ، وقتادة ، ومحمد بن إسحاق ، وغير واحد : لما قالت ذلك قال لها أبوها : وما علمك بهذا ؟ فقالت : إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة ، وإنه لما جث معه تقدمت أمامه ، فقال : كوني من ورائي ، فإذا اختلف الطريق فاخذي لى بحصاة أعلم بها كيف الطريق . قال ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة ؛ صاحب يوسف حين قال لامرأته : ﴿ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ ﴾ ، وصاحبة موسى حين قالت : ﴿ يَتَأَبَّتِ أَسْتَجِرُّهُ ﴾ إني خير من أستجرت القوي الأمين ، وأبو بكر حين استخلف عمر بن الخطاب^(٢) .

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ استدلل بهذا جماعة من أصحاب أبي حنيفة ، رحمه الله ، على صحة ما إذا باعه أحد هذين العبدتين أو الثوين ، ونحو ذلك ، أنه يصح ؛ لقوله : ﴿ إِحْدَى ابْنَتَي هَتَيْنِ ﴾ وفي هذا نظر ؛ لأن هذه مراوضة لا معاودة .

(١) سفر الخروج الأصحاح ٣ / ١ .

(٢) تقدم تخريجه ١ / ٤٦٧ .

والله أعلم . واستدل أصحاب أحمد على صحة الإيجار بالطعمة والكسوة ، كما جرت به العادة ، واستأنسوا بالحديث الذى رواه ابن ماجه ^(١) فى « سننه » مترجماً فى كتابه « باب استجار الأجير على طعام بطنه » : حدثنا محمد بن المصطفى الحنصلى ، حدثنا بقیة بن الوليد ، عن مسلمة بن علقم ، عن سعيد بن أبى أيوب ، عن الحارث بن يزيد ، عن علقم بن رباح ، قال : سمعت عتبة بن النذر ^(٢) يقول : كنا عند رسول الله ﷺ ، فقرأ « طسم » ^(٣) حتى إذا بلغ قصة موسى قال : « إن موسى ، عليه السلام ، آجر نفسه ثمانى سنين ، أو عشرًا ، على عقة فرجه وطعام بطنه » . وهذا من هذا الوجه لا يصح ؛ لأن مسلمة بن علقم الحنصلى الدمشقى البلاطى ضعيف عند [١٥١/١ ط] الأئمة ، لا يحتج بتفرده ، ولكن قد روى من وجه آخر ؛ فقال ابن أبى حاتم ^(٤) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ^(٥) ، حدثنى ابن لهيعة ، (ح) . وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ؛ حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمى ، عن علقم بن رباح اللخمي ، قال : سمعت عتبة بن النذر السلمى ، صاحب رسول الله ﷺ يحدث أن رسول الله قال : « إن موسى ، عليه السلام ، آجر نفسه لعقة فرجه وطعمة بطنه » .

(١) ابن ماجه (٢٤٤٤) . (ضعيف ابن ماجه ٥٣٣) ، وانظر الإرواء (١٤٨٨) .

(٢) فى الأصل : « العدد » ، وفى م : « الدر » .

(٣) فى ح ، م ، ص : « طس » .

(٤) ذكره المصنف فى تفسيره ٢٤٢/٦ من كلا الطريقين وعزاه لابن أبى حاتم . وأورده السيوطى فى الدر

المثور ١٢٦/٥ وعزاه أيضًا لابن أبى حاتم .

(٥) فى ح ، م : « بكر » .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى^(١): ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [الفصل: ٢٨]. يَقُولُ: إِنْ مُوسَى قَالَ لِصِهرِهِ: الْأَمْرُ عَلَىٰ مَا قُلْتُ، فَأَيُّهُمَا قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ، وَاللَّهُ عَلَىٰ مَقَالَتِنَا سَامِعٌ وَشَاهِدٌ، وَوَكِيلٌ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ. وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَقْضِ مُوسَى إِلَّا أَكْمَلَ الْأَجَلَيْنِ وَأَتَمَّهُمَا، وَهُوَ الْعَشْرُ سَنَيْنَ كَوَامِلَ تَامَّةً.

قَالَ الْبُخَارِيُّ^(٢): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ بْنُ شُجَاعٍ، عَنْ سَالِمِ الْأَفْطَسِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَى؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرَى، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَىٰ خَبْرِ الْعَرَبِ فَأَسْأَلَهُ. فَقَدِمْتُ، فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: قَضَىٰ أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا قَالَ فَعَلَ. تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَدْ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ^(٣) فِي حَدِيثِ الْفُتُونِ، كَمَا سَأَلَنِي مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ ابْنِ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ بِهِ^(٤). وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطُّوسِيِّ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٥) عَنْ أَبِيهِ، كِلَاهُمَا عَنْ الْحُمَيْدِيِّ، عَنْ سَفْيَانَ ابْنِ عُيَيْنَةَ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي يَعْقُوبَ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «سَأَلْتُ جَبْرِيْلَ: أَيُّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَى؟ قَالَ: أَتَمَّهُمَا وَأَكْمَلَهُمَا». وَإِبْرَاهِيمُ هَذَا غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَّا

(١) التفسير ٢٤١/٦.

(٢) البخاري (٢٦٨٤).

(٣) انظر تخريجه في صفحة ١٨١.

(٤) سقط من: ح، م.

(٥) ابن جرير في تفسيره ٦٨/٢٠ وتاريخه ٣٩٩/١. وعزاه في الدر المنثور ١٢٦/٥ إلى ابن أبي حاتم. والمصنف في تفسيره ٢٤١/٦. صحيح (صحيح الجامع ٣٥٨٥).

بهذا الحديث . وقد رواه البراء^(١) عن أحمد بن أبان القرشي ، عن سفيان بن عيينة ، عن إبراهيم بن أعين ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، فذكره . وقد رواه سنيّد^(٢) عن حجاج ، عن ابن جريج ، عن مُجاهد مُرسلاً ، أن رسول الله ﷺ سأل عن ذلك جبريل ، فسأل جبريل إسرأفيل ، فسأل إسرأفيل الرب ، عز وجل ، فقال : « أبرهما وأوفاهما » . وبنحوه رواه ابن أبي حاتم من حديث يوسف بن سرج مرسلاً . ورواه ابن جريج^(٣) من طريق محمد بن كعب ، أن رسول الله ﷺ سُئل : أي الأجلين قضى موسى ؟ [١٥٢/١] قال : « أوفاهما وأتمهما » . وقد رواه البراء وابن أبي حاتم^(٤) ، من حديث عُويّد بن أبي عمران الجوني - وهو ضعيف - عن أبيه ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ ، سُئل : أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : « أوفاهما وأبرهما » . قال : « وإن سُئلت : أي المَؤاتين تزوّج ؟ فقل : الصغرى منهما » . وقد رواه البراء وابن أبي حاتم^(٥) من طريق عبد الله بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن علي بن رباح ، عن عُثبة بن النُدُر ، أن رسول الله ﷺ ، قال : « إن موسى آجر نفسه بعقة فزجه وطعام

(١) كشف الأستار (٢٢٤٥) . وقال الهيثمي في المجمع ٨٧/٧ : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح

غير الحكم بن أبان وهو ثقة ، ورواه البزار .

(٢) في ص : « مسدد » . والحديث رواه ابن جرير في تفسيره ٦٨/٢٠ ، ٦٩ . من طريق سنيّد به .

(٣) في تفسيره ٦٨/٢٠ .

(٤) كشف الأستار (٢٤٤٤) . وقال الهيثمي في المجمع ٨٨/٧ : فيه إسحاق بن إدريس وهو متروك ،

ورواه الطبراني في الصغير والأوسط بأطول من هذا ، وإسناده حسن . وعزاه في الدر المنثور ١٢٧/٥ إلى ابن أبي حاتم .

(٥) كشف الأستار (٢٢٤٦) . وقال الهيثمي في المجمع ٨٧/٧ ، ٨٨ : رواه البزار والطبراني ... وفي

إسنادهما ابن لهيعة ، وفيه ضعف وقد يحسن حديثه ، وبقيّة رجالهما رجال الصحيح .

وعزاه في الدر المنثور ١٢٦/٥ إلى ابن أبي حاتم .

بَطْنِهِ . فَلَمَّا وَفَى الْأَجَلَ . قيل : يا رسول الله ، أئى الأجلين ؟ قال : « أبْرَهُمَا وأَوْفَاهُما ، فَلَمَّا أَرَادَ فِرَاقَ شُعَيْبٍ ، أَمَرَ امْرَأَتَهُ أَنْ تَسْأَلَ أَبَاهَا أَنْ يُعْطِيَهَا مِنْ غَنَمِهِ ما يَعِيشُونَ بِهِ ، فَأَعْطَاهَا ^(١) ما وَلَدَتْ غَنَمُهُ ^(٢) مِنْ قَالِبِ لَوْنٍ ^(٣) مِنْ وَلَدِ ذَلِكَ العامِ ، وَكَانَتْ غَنَمُهُ سُودًا جِسَانًا ، فَانْطَلَقَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى عَصَا قَسَمِهَا مِنْ طَرَفِهَا ، ثُمَّ وَضَعَهَا فِي أَدْنَى الْحَوْضِ ، ثُمَّ أَوْزَدَهَا فَسَقَاهَا ، وَوَقَفَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِإِزَاءِ الْحَوْضِ ، فَلَمْ تَصْدُرْ مِنْهَا شَاءٌ إِلَّا ضَرْبَ جَنْبِهَا شَاءَ شَاءٌ قَالَ : فَاتَّامَتِ وَأَثَلَتْ ^(٤) وَوَضَعَتْ كُلُّهَا قَوَالِبَ أَلْوَانٍ ، إِلَّا شَاءً أَوْ شَاتَيْنِ ؛ لَيْسَ فِيهَا فَشُوشٌ ، وَلَا ضَبُوبٌ ، وَلَا عَزْرُوزٌ ، وَلَا تَعُولٌ ، وَلَا كَمْشَةٌ تَقُوتُ الْكَفَّ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ افْتَتَحْتُمْ الشَّامَ وَجَدْتُمْ بِقَايَا تِلْكَ الْغَنَمِ ، وَهِيَ السَّامِرِيُّ » . قَالَ ابْنُ لَهْيَعَةَ : الْفَشُوشُ : وَاسِعَةُ الشَّخْبِ . وَالضُّبُوبُ : طَوِيلَةُ الضَّرْعِ تَجْرَهُ . وَالْعَزْرُوزُ : ضَيْقَةُ الشَّخْبِ . وَالتَّعُولُ : الصَّغِيرَةُ الضَّرْعِ كَالْحَلَمَتَيْنِ . وَالْكَمَشَةُ الَّتِي لَا يُحْكَمُ الْكَفُّ عَلَى ضَرْعِهَا لِصِغَرِهِ . وَفِي صَحِيحَةِ رَفِيعِ هَذَا الْحَدِيثِ نَظَرٌ ، وَقَدْ يَكُونُ مُوقُوفًا ^(٥) ، كَمَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٥) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا دَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ مُوسَى صَاحِبَهُ إِلَى الْأَجَلِ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمَا ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : كُلُّ شَاءٍ وَلَدَتْ عَلَى لَوْنِهَا فَلَكِ وَلَدُهَا . فَعَمَدَ فَوَضَعَ خِيَالًا عَلَى الْمَاءِ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْخِيَالَ فَرِغَتْ ، فَجَالَتْ بِجَوْلَةٍ ، فَوَلَدَتْ كُلَّهُنَّ بُلُقًا إِلَّا شَاءً وَاحِدَةً ،

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ ، ح ، م : « مَا وَلَدَتْ مِنْ غَنَمِهِ » . وَفِي ص : « وَلَدَتْ مِنْ غَنَمِهِ » .

وَالْمُثَبِّتُ مِنْ مَصْدَرِ التَّخْرِيجِ . وَانْظُرْ مُخْتَصَرَ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٣١٤/٢٥ .

(٢) قَالِبِ لَوْنٍ : مَا لَوْنُهَا عَلَى غَيْرِ لَوْنِ أُمِّهَا .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَأُثْبِتَ » ، وَفِي بَاقِي النُّسخِ : « وَأُثْبِتَ » . وَالْمُثَبِّتُ مِنَ الدَّرِ الْمَشُورِ ، وَتَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٦/

٢٤٣ . وَأُثْبِتَ الْحَامِلُ : وَلَدَتْ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ فِي بَطْنِ وَاحِدٍ . وَأُثْلَتْ الْحَامِلُ : وَلَدَتْ الثَّلَاثَ .

(٤) فِي ١ : « مَرْفُوعًا » .

(٥) فِي تَفْسِيرِهِ ٦٩/٢٠ .

فَذَهَبَ بِأَوْلَادِهِمْ ذَلِكَ الْعَامَ . وَهَذَا إِسْنَادُ رَجَالُهُ ثِقَاتٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ،
عَنْ نَقْلِ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(١) ، عَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حِينَ فَارَقَ خَالَهَ لَا بَانَ ، أَنَّهُ
أَطْلَقَ لَهُ مَا يُؤَلَّدُ مِنْ غَنَمِهِ بُلْقًا ، فَفَعَلَ نَحْوَ مَا ذُكِرَ عَنْ [١٥٢/١] مُوسَى ، عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ
لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي
الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْشِيَ إِيَّاتِي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾
وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَهَا جَانًّا وَلَىٰ مُدِيرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْشِي
أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ يَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوِّهِ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنُوكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾ [القصص : ٢٩ - ٣٢] .
تَقَدَّمَ أَنَّ مُوسَى قَضَى أَمَّهُ الْأَجَلِينَ وَأَكْمَلَهُمَا ، وَقَدْ يُؤَخَّذُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ فَلَمَّا
قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ . وَعَنْ مُجَاهِدٍ ، أَنَّهُ أَكْمَلَ عَشْرًا ، وَعَشْرًا بَعْدَهَا . وَقَوْلُهُ :
﴿ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾ أَيُّ ؛ مِنْ عِنْدِ صِهْرِهِ ذَاهِبًا ، فِيمَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ
الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ ، أَنَّهُ اشْتَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَصَدَ زِيَارَتَهُمْ بِلَادِ مِصْرَ ، فِي صُورَةٍ
مُخْتَفٍ ، فَلَمَّا سَارَ بِأَهْلِهِ ، وَمَعَهُ وَلَدَانِ مِنْهُمْ ، وَغَنَمٌ قَدْ اسْتَفَادَهَا مَدَّةَ مُقَامِهِ .
قَالُوا : وَاتَّفَقَ ذَلِكَ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ بَارِدَةٍ ، وَتَاهُوا فِي طَرِيقِهِمْ ، فَلَمْ يَهْتَدُوا إِلَى

(١) تقدم في ١/ ٤٥٠ ، ٤٥١ . وهو عند أهل الكتاب في سفر الخروج الأصحاح ٦/ ٣ .

(٢) التفسير ٦/ ٢٤٣ - ٢٤٥ .

السلوك في الدرب المألوف ، وجعل يورى زناذه فلا يورى شيئا ، واشتد الظلام والبرد ، فبينما هو كذلك إذ أبصر عن بُعد نارا تأجج في جانب الطور ، وهو الجبل الغربى منه عن يمينه ، فقال لأهله : ﴿ اَمْكُثُوا إِنِّي ءَاسِسْتُ نَارًا ﴾ وكأنه - والله أعلم - رآها دونهم ؛ لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ، ولا تصلح رؤيتها لكل أحد ﴿ لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ أى ؛ لعلى أستغلّم من عندها عن الطريق ﴿ أَوْ جَذَوْفٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ فدل على أنهم كانوا قد تاهوا عن الطريق في ليلة باردة ومظلمة ؛ لقوله في الآية الأخرى ^(١) : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَاسِسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ٩ ، ١٠] . فدل على وجود الظلام ، وكونهم تاهوا عن الطريق .

وجمع الكل في سورة « النمل » في قوله تعالى ^(٢) : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَاسِسْتُ نَارًا سَتَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل : ١٥٣/١] . وقد أتاهم منها بخبر ، وأتى خبر ؟ ووجد عندها هدى ، وأتى هدى ؟ واقتبس منها نورا ، وأتى نور ؟ . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْسُكْ إِنِّ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وقال تعالى في « النمل » ^(٣) : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ بُرِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَن حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل : ٨] .

(١) التفسير ٢٧٠ / ٥

(٢) التفسير ١٩٠ / ٦

(٣) التفسير ١٩٠ / ٦

أى ؛ سبحانه الله الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . ﴿ يَمْوِسَّ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النمل : ٩] . وقال فى سورة « طه » ^(١) : ﴿ فَلَمَّا آتَاهَا نُودَى
 يَمْوِسَّ ۖ إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ وَأَنَا
 أَخَفَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۚ ﴾ [طه : ١٢] . إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
 لِذِكْرِى ۖ إِنَّ السَّاعَةَ ءَانِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۚ ﴿ ١٥ ﴾
 فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۚ ﴾ [طه : ١١ - ١٦] . قال
 غير واحد من المفسرين ، من السلف والخلف : لما قصد موسى إلى تلك النار
 التى رآها ، فانتهى إليها ، وجدها تأجج فى شجرة خضراء من العوسج ^(٢) ، وكل
 ما لتلك النار فى اضطرام ، وكل ما لخضرة تلك الشجرة فى ازدياد ، فوقف
 متعجباً ، وكانت تلك الشجرة فى لُحْفٍ ^(٣) جبل غربى ^(٤) عن يمينه ؛ كما قال
 تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ
 الشَّاهِدِينَ ﴾ [القصص : ٤٤] . وكان موسى فى وادٍ اسمه طوى ، فكان موسى
 مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ، وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب ، فناداه ربُّه بالوادِ
 المقدس طوى ، فأمر أولاً بخلع نعليه ؛ تعظيماً وتكريماً وتوقيراً لتلك البقعة
 المباركة ، ولا سيما فى تلك الليلة المباركة . وعند أهل الكتاب ^(٥) أنه وضع يده
 على وجهه من شدة ذلك النور ؛ مهابةً له ، وخوفاً على بصره .

(١) التفسير ٢٧٠/٥ - ٢٧٣ .

(٢) العوسج : جنس نبات شائك . الوسيط (عوسج) .

(٣) لُحْف - بكسر اللام - أصل الجبل . القاموس المحيط (ل ح ف) .

(٤) بعده فى الأصل ، ح ، م ، ص : « منه » .

(٥) سفر الخروج الأصحاح ٦/٣ .

ثم خاطبه تعالى كما يشاء قائلاً له : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ أى ؛ أنا الله
رب العالمين ، الذى لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له . ثم أخبره أن هذه
الدنيا ليست بدار قرار ، وإنما الدارُ الباقية يوم القيامة ، التى لا بد من كونها
ووجودها ﴿ لِنُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾ أى ؛ من خير وشر . وحضه وحته
على العمل لها ، ومجانبة من لا يؤمن بها ، ممن عصى مولاه ، وأتبع هواه . ثم
قال له مخاطباً وموائساً ، ومبشراً له أنه القادر على كل شيء الذى يقول للشيء :
كن . فيكون : ﴿ وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمُوسَى ﴾ [طه : ١٧] . أى ؛ أما هذه
عصاك التى تعرفها منذ صحبتها ؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا
عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِلُ أُخْرَى ﴾ [طه : ١٨] . أى ؛ بل هذه عصاى التى
أعرفها وأتحققها ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ﴾ ١٩ ﴿ فَالْقَنَاقِلَ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾
[طه : ١٩ ، ٢٠] . وهذا خارق عظيم ، وبرهان قاطع على أن الذى يكلمه هو
الذى يقول للشئ : كن . فيكون ، وأنه الفعّال بالاختيار .

وعند أهل الكتاب^(١) أنه سأل [١٥٣/١ ط] برهاناً على صدقه عند من يكذبه
من أهل مصر ، فقال له الرب ، عز وجل : ما هذه التى فى يدك ؟ قال :
عصاى . قال : ألقها إلى الأرض ﴿ فَالْقَنَاقِلَ إِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ فهرب
موسى من قدامها ، فأمره الرب ، عز وجل ، أن يثبط يده ويأخذها بذنبيها ،
فلما استمكن منها ارتدت عصا فى يده . وقد قال الله تعالى فى الآية
الأخرى^(٢) : ﴿ وَأَن آتَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَتْهَا حَآئٌ وَلَىٰ مَدِيرٌ وَلَمْ

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٤ / ١ .

(٢) التفسير ٢٤٥ / ٦ .

يُعَقَّبُ ﴿١﴾ أى ؛ صارت حَيَّةً عظيمةً ، لها ضَخامةٌ هائلةٌ ، وأنيابٌ تَضَطُّكُ ^(١) ، وهى مع ذلك فى سُرعة حركة الجانِّ ؛ وهو ضربٌ من الحَيَّاتِ ، يقالُ له : الجانُّ والجنانُّ . وهو لطيفٌ ، ولكنه سريعُ الاضطرابِ والحركة جدًّا ، فهذه جمعت الضخامةَ والسرعةَ الشديدةَ ، فلَمَّا عابَتْها موسى ، عليه السلامُ ، ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ ﴿٢﴾ أى ؛ هاربًا مِنْها ؛ لأن طبيعته البشرية تَقْتَضِي ذلك ، ﴿ وَلَمْ يُعَقَّبْ ﴾ ﴿٣﴾ أى ؛ ولم يَلْتَفِتْ ، فناداه رَبُّهُ قائلاً له : ﴿ يَتُوسَّعُ أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴾ ﴿٤﴾ فلما رجع أمره الله تعالى أن يُمِيسِكَها ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾ ﴿٥﴾ فيقالُ : إنه هابِها شديدًا ، فوَضَعَ يَدَهُ فى كُمِّ مِذْرَعَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فى وَسْطِ فَمِهَا - وعند أهلِ الكتابِ ^(٦) : بِذَنبِهَا - فلَمَّا اسْتَمَكَّنَ مِنْها ، إذا هى قد عادت كما كانت عَصَا ذاتِ شُعْبَتَيْنِ . فسبحانَ القديرِ العظيمِ ، رَبِّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ المَغْرِبَيْنِ . ثُمَّ أَمَرَ تعالى بِادْخَالِ يَدِهِ فى جَيْبِهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِنَزْعِهَا فإذا هى تَتَلَأُلُ كالْقَمَرِ يَاضًا ﴿ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ ﴾ ﴿٧﴾ أى ؛ من غيرِ بَرَصٍ ولا بَهْتٍ . ولهذا قال : ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فى جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ ﴿٨﴾ قيل : معناه إذا خِيفَتْ ، فَضَعَّ يَدَكَ على فَوَادِكَ ، يَسْكُنُ جَأْشُكَ . وهذا وإن كان خاصًّا به ، إلا أنَّ بَيْرَكَةَ الإِيْمَانِ به حَقُّ الإِيْمَانِ ^(٩) يَنْتَفِعُ مَنْ اسْتَعْمَلَ ذلك على وجهِ الاقتداءِ بالأنبياء . وقال فى سورة « النمل » ^(١٠) : ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فى جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ مِنْ

(١) تصطك : تضطرب . الوسيط (ص ك ك) .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٤ / ٤ - ٤ .

(٣) فى ح ، م : « بَأْن » .

(٤) التفسير ١٩١ / ٦ .

غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ [النمل: ١٢].
 أى ؛ هاتان الآيتان وهما العصا واليد ، وهما البرهانان المشار إليهما فى قوله :
 ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
 فَاسِقِينَ﴾ ومع ذلك سبع آيات أخر ، فذلك تسع آيات بينات ، وهى
 المذكورة فى آخر سورة «سبحان» حيث يقول تعالى ^(١) : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ
 تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَّ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ
 يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ [١٠٤/١] عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مُثَبَّرًا ﴿١٠١﴾ [الإسراء: ١٠١] ،
 ١٠٢ . وهى المبسوطة فى سورة «الأعراف» فى قوله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ
 فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ
 الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ سَيَنُودُوا يُمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا
 ظَنُّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
 لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ
 وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٠٥﴾ [الأعراف:
 ١٣٠ - ١٣٣] . كما سيأتى الكلام على ذلك فى موضعه . وهذه التسع الآيات
 غير العشر كلمات ؛ فإن التسع من آيات ^(٢) الله القدرية ، والعشر من كلماته
 الشرعية . وإنما نبهنا على هذا ؛ لأنه قد اشتبه أمرها على بعض الرواة ، فظن أن
 هذه هى هذه ، كما قررنا ذلك فى تفسير آخر سورة بنى إسرائيل ^(٣) .

(١) التفسير ١٢٢/٥ .

(٢) فى ح ، م : كلمات .

(٣) التفسير ١٢٤/٥ .

والمقصود أن الله سبحانه لما أمر موسى ، عليه السلام ، بالذهاب إلى فرعون ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿ (١) [القصص: ٣٣ - ٣٥] . يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وكليمه موسى ، عليه السلام ، في جوابه لرّبه ، عزّ وجلّ ، حين أمره بالذهاب إلى عدوّه ، الذي خرج من ديار مصر فرارًا من سطوّته وظلّيمه ، حين كان من أمره ما كان في قتل ذلك القبطيّ ، ولهذا ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ (٣٤) أى ؛ اجعله معي مُعينًا وريدًا ووزيرًا يساعدنّي ويُعيننّي على أداء رسالتك إليهم ؛ فإنه أفصح مِنّي لسانًا وأبلغ بيانًا . قال الله تعالى ، مُجيبًا له إلى سؤاله : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا ﴾ (٣٤) أى ؛ برهانا ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا ﴾ (٣٤) أى ؛ فلا ينالون منكما مكرورها بسبب قيامكما بآياتنا . وقيل : بركة آياتنا ﴿ أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴾ . وقال في سورة « طه » (١) : ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغٰى ﴾ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿ ٢٥ ﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿ ٢٦ ﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿ ٢٧ ﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿ [طه : ٢٤ - ٢٨] . قيل : إنه أصابه في لسانه ثُغْمَةٌ ؛ بسبب تلك الحُمْرَة التي وُضِعَها على لسانه ، التي كان فرعون أراد [١/١٥٤هـ] اختبار عقله ، حين

(١) التفسير ٢٤٥/٦ - ٢٤٧ .

(٢) التفسير ٢٧٥/٥ - ٢٧٧ .

أَخَذَ بِلَحِيَّتِهِ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَهَمَّ بِقَتْلِهِ، فَخَافَتْ عَلَيْهِ آسِيَةُ، وَقَالَتْ: إِنَّهُ طِفْلٌ. فَاخْتَبَرَهُ بِوَضْعِ ثَمَرَةٍ وَجُمُرَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَمَّ بِأَخْذِ الثَّمَرَةِ، فَصَرَفَ الْمَلِكُ يَدَهُ إِلَى الْجُمُرَةِ، فَأَخَذَهَا، فَوَضَعَهَا عَلَى لِسَانِهِ، فَأَصَابَتْهُ لُتْعَةٌ بِسَبَبِهَا، فَسَأَلَ زَوَالَ بَعْضُهَا بِمَقْدَارِ مَا يَفْهَمُونَ قَوْلَهُ، وَلَمْ يَسْأَلْ زَوَالَهَا بِالْكُلِّيَّةِ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصَرِيُّ: وَالرُّسُلُ إِنَّمَا يَسْأَلُونَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ. وَلِهَذَا بَقِيََتْ فِي لِسَانِهِ بَقِيَّةٌ، وَلِهَذَا قَالَ فِرْعَوْنُ، قَبَّحَهُ اللَّهُ، فِيمَا زَعَمَ أَنَّهُ يَعْيبُ بِهِ الْكَلِيمَ: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥٢]. أَيْ؛ يُفَصِّحُ عَنْ مَرَادِهِ، وَيُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ وَفُؤَادِهِ. ثُمَّ قَالَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (٢١) هَارُونَ أَخِي (٢٠) أَشَدُّ بِهَذَا أَرْزَى (٢١) وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي (٢٢) كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٢٣) وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٢٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٢٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يٰمُوسَى ﴿^(١)﴾ [طه: ٢٩-٣٦]. أَيْ؛ قَدْ أَجَبْنَاكَ إِلَى جَمِيعِ مَا سَأَلْتَ، وَأَعْطَيْنَاكَ الَّذِي طَلَبْتَ. وَهَذَا مِنْ وَجَاهَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، حِينَ شَفَعَ أَنْ يُوحَى اللَّهُ إِلَى أَخِيهِ، فَأُوحِيَ إِلَيْهِ، وَهَذَا جَاءَ عَظِيمٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِهَاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمِنْ رَّحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣]. وَقَدْ سَمِعَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَجُلًا يَقُولُ لِأَنَاسٍ، وَهُمْ سَائِرُونَ فِي طَرِيقِ الْحَجِّ: أَيْ أَخِي أَمْرٌ عَلَى أَخِيهِ؟ فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ لِمَنْ حَوْلَ هُوَذَجَهَا: هُوَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ حِينَ شَفَعَ فِي أَخِيهِ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا يُوحَى إِلَيْهِ ^(٢). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمِنْ رَّحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾.

(١) التفسير ٢٧٧/٥.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢٧٧/٥ بنحوه.

وقال تعالى فى سورة «الشعراء»^(١): ﴿وَلِذَٰ نَادَىٰ رَبِّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٢﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٤﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُنِي لِسَانِي فَأَرْسِلْ لِي بَشِيرًا إِلَىٰ هَارُونَ ١٥﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ١٦﴾ قَالَ كَلَّا فَادْخُلَا يَتَابِعَتْنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٧﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨﴾ أَن أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٩﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ٢٠﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ آلَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٢١﴾ [الشعراء: ١٠ - ١٩].

تقدير الكلام: فأتياه فقولا له ذلك، وبلغاه ما أُرسلتُما به؛ من دعوته إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأن يُفكَّ أسارى بنى إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا، ويتفرغون لتوحيده، ودعائه، والتضرع^(٢) لديه. فتكبر فرعون فى نفسه، وعتا وطغى، ونظر إلى موسى، عليه السلام، بعين الازدراء والتنقص، قائلا له: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ أى؛ أما [١/ ١٥٥] أنت الذى ربيناه فى منزلنا وأحسنّا إليه، وأنعمنا عليه مدة من الدهر؟ وهذا يدل على أن فرعون الذى بُعث إليه هو الذى قرّمه، خلافا لما عند أهل الكتاب^(٣) من أن فرعون الذى قرّمه مات فى مدة مُقامه بمدين، وأن الذى بُعث إليه فرعون آخر. وقوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ آلَتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أى؛ وقتلت الرجل القبطى، وفرزت منا، وجحدت نعمتنا

(١) التفسير ١٤٦/٦.

(٢) بعده فى الأصل: «لدعائه».

(٣) سفر الخروج الأصحاح ١٩/٤ - ٢٣.

﴿ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴾^(١) أَى ؛ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيَّ ، وَيُنَزَّلَ عَلَيَّ ،
﴿ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٢)
[الشعراء : ٢١] . ثُمَّ قَالَ مُجِيبًا لِفِرْعَوْنَ عَمَّا امْتَنَّ بِهِ عَلَيْهِ^(٣) مِنَ التَّوْبَةِ وَالْإِحْسَانِ
إِلَيْهِ ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾^(٤) [الشعراء : ٢٢] . أَى ؛ وَهَذِهِ
النِّعْمَةُ الَّتِي ذَكَرْتُ ، مِنْ أَنَّكَ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ ، وَأَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ،
تُقَابِلُ مَا اسْتخدمْتَ هَذَا الشَّعْبَ الْعَظِيمَ بِكَمَالِهِ ، وَاسْتَعْبَدْتَهُمْ فِي أَعْمَالِكَ
وخدمَتِكَ وَأَشْغَالِكَ .

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٥) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ
الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ [الشعراء : ٢٣ - ٢٨] . يَذْكُرُ تَعَالَى مَا
كَانَ بَيْنَ^(٦) فِرْعَوْنَ وَمُوسَى ، مِنَ الْمَقَاوِلَةِ وَالْمُحَاجَّةِ وَالْمُنَاطَرَةِ ، وَمَا أَقَامَهُ الْكَلِيمُ
عَلَى فِرْعَوْنَ اللَّئِيمِ مِنَ الْحُجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَغْنُوِيَّةِ ثُمَّ الْحِجَّةِ . وَذَلِكَ أَنَّ فِرْعَوْنَ ، قَبَّحَهُ
اللَّهُ ، أَظْهَرَ جَحْدَ الصَّانِعِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ الْإِلَهُ ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴾^(٧)
فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٩﴾ [النازعات : ٢٣ ، ٢٤] . وَقَالَ : ﴿ يَتَأْتِيهَا أَلْمَلَأُ مَا
عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص : ٣٨] . وَهُوَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ مُعَانِدٌ ،

(١) التفسير ١٤٧/٦ .

(٢) ليست فى : ح ، م .

(٣) التفسير ١٤٧/٦ .

(٤) التفسير ١٤٧/٦ ، ١٤٨ .

(٥) فى الأصل ، ص : « من » .

(٦) التفسير ٣٣٨/٨ .

يَعْلَمُ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ، إِلَهُهُ الْحَقُّ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَلْنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] . ولهذا قال لموسى ، عليه السلام ، على سبيل الإنكار لرسالته ، والإظهار أَنَّهُ مَا تَمَّ رَبُّ أَرْسَلَهُ : ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٣] . لَأَنَّهُمَا قَالَا لَهُ : ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فكأنه يقول لهما : وَمَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، الذى تَزْعُمَان أَنَّهُ أَرْسَلَكُمَا وَابْتَعَثَكُمَا ؟ فَأَجَابَهُ مُوسَى قَائِلًا : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٤] . يعنى رَبُّ الْعَالَمِينَ ، خَالِقَ هَذِهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمُشَاهِدَةَ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْخُلُوقَاتِ الْمُتَجَدِّدَةِ ؛ مِنَ السَّحَابِ وَالرِّيَّاحِ وَالْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ ، الَّتِي يَعْلَمُ ^(١) كُلُّ مُوقِنٍ أَنَهَا [١/١٥٥ظ] لَمْ تَحْدُثْ بِأَنْفُسِهَا ، وَلَا بَدَأَ لَهَا مِنْ مُوجِدٍ وَمُحْدِثٍ وَخَالِقٍ ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . ﴿ قَالَ ﴾ أَى ؛ فَرَعُونَ ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴾ مِنْ أَمْرَائِهِ ، وَمَرَاذِيَّتِهِ ^(٢) وَوُزَرَائِهِ ، عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ وَالتَّنْقِصِ لِمَا قَرَّرَهُ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴾ يعنى كَلَامَهُ هَذَا . قَالَ مُوسَى مُخَاطِبًا لَهُ وَلَهُمْ : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٦] . أَى ؛ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ؛ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ فِي الْآبَادِ ، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ نَفْسَهُ وَلَا أَبُوهُ وَلَا أُمُّهُ ، وَلَمْ يَخْدُثْ مِنْ ^(٣) غَيْرِ مُحْدِثٍ ، وَإِنَّمَا أَوْجَدَهُ وَخَلَقَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَهَذَانِ الْمَقَامَانِ هُمَا

(١) بعده فى الأصل : « اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » .

(٢) فى الأصل : « مَرَاذِيَّتِهِ » . وَالْمَرَاذِيَّةُ - بضم الزاى - هُوَ الْفَارِسُ الشَّجَاعُ الْمَقْدَمُ عَلَى الْقَوْمِ دُونَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ مُعَرَّبٌ . اللَّسَانُ (ر ز ب) .

(٣) فى الأصل : « عَنْ » .

الْمَذْكُورِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَرَّيْهِمْ عَايِنَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]. ومع هذا كله لم يشتفق فرعون من رَقْدَتِهِ، ولا نَزَعَ عن ضلَّالَتِهِ، بل استمرَّ على طُغْيَانِهِ وَعِنَادِهِ، وكفَّرائِهِ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (٢٧) قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ﴿[الشعراء: ٢٧، ٢٨]. أَيْ؛ هُوَ الْمَسْحُورُ لِهَذِهِ الْكَوَاكِبِ الزَّاهِرَةِ، الْمَسِيرُ لِلْأَفْلَاقِ الدَّائِرَةِ، خَالِقُ الظَّلَامِ وَالضِّيَاءِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، خَالِقُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالْكَوَاكِبِ السَّائِرَةِ وَالثَّوَابِتِ الْحَائِرَةِ^(١)، خَالِقُ اللَّيْلِ بِظُلَامِهِ وَالنَّهَارِ بِضِيَائِهِ، وَالْكُلُّ تَحْتَ قَهْرِهِ وَتَسْخِيرِهِ وَتَسْيِيرِهِ سَائِرُونَ، وَفِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ، يَتَعَاقَبُونَ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ وَيُدَوِّرُونَ، فَهُوَ تَعَالَى الْخَالِقُ الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَشَاءُ.

فَلَمَّا قَامَتِ الْحُجُجُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَانْقَطَعَتْ شُبُهُهُ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ قَوْلٌ سِوَى الْعِنَادِ، عَدَلَ إِلَى اسْتِعْمَالِ سُلْطَانِهِ وَجَاهِهِ وَسَطْوَتِهِ، قَالَ: ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿(٣٠) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿(٣٢) وَرَزَعَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾^(٢) [الشعراء: ٢٩-٣٣]. وَهَذَانِ هُمَا الْبِرَهَانَانِ اللَّذَانِ أُيِّدَهُ اللَّهُ بِهِمَا، وَهُمَا الْعَصَا وَالْيَدُ. وَذَلِكَ مَقَامٌ أَظْهَرَ فِيهِ الْخَارِقَ الْعَظِيمَ، الَّذِي بِهِرَ بِهِ الْعُقُولَ وَالْأَبْصَارَ، حِينَ أَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ، أَيْ عَظِيمُ الشَّكْلِ، بَدِيعٌ فِي الضُّخَامَةِ وَالْهَوْلِ، وَالْمُنْظَرِ الْعَظِيمِ الْقَطِيعِ الْبَاهِرِ، حَتَّى قِيلَ: إِنْ فِرْعَوْنَ

(١) فِي الْأَصْلِ: «الْحَائِرَةُ».

(٢) التفسير ١٤٨/٦، ١٤٩.

لما شاهد ذلك وعائنه، أخذَه رُعبٌ شديدٌ، وخوفٌ عظيمٌ، بحيثُ إنه حصلَ له إسهالٌ عظيمٌ أكثرَ من أربعينَ مرَّةً في يومٍ واحدٍ^(١)، وكان قبلَ ذلك لا يتبرُّزُ في كلِّ أربعينَ يومًا إلا مرَّةً واحدةً، فانعكسَ عليه الحالُ. وهكذا لما أدخلَ موسى، عليه السلامُ، يده في جيبه واستخرجها، [١٥٦/١] أخرجها وهي كِفْلَقَةُ القمرِ، تتلألُ نورًا يَبْهَرُ الأبصارَ، فإذا أعادها إلى جيبه رجعت إلى صفتها الأولى، ومع هذا كله لم يَنْتَفِعْ فرعونُ، لعنه اللهُ، بشيءٍ من ذلك، بل استمرَّ على ما هو عليه، وأظهرَ أنَّ هذا كله سِحْرٌ، وأراد معارضته بالسَّحرة، فأرسلَ يَجْمَعُهُم من سائرِ مملكته، ومن في رعيته وتحت قهره ودولته، كما سيأتى بسطه وبيانه في موضعه؛ من إظهارِ اللهِ الحقِّ المبينِ، والحُجَّةِ الباهرةِ القاطعةِ على فرعونَ وملئِهِ، وأهلِ دولته وملئِهِ، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وقال تعالى في سورة «طه»^(٢): ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوِسَّى ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَأْتِي وَلاَ نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾] طه: ٤٠ - ٤٦. يقولُ تعالى مخاطبًا لموسى، فيما كلَّمه به ليلة أوْحَى إليه، وأنعمَ بالنبوةِ عليه، وكلَّمه منه إليه: قد كنتُ مشاهدًا لك وأنتَ في دارِ فرعونَ، وأنتَ تحتَ كَنَفِي وحِفْظِي ولُطْفِي، ثم أخرجتُكَ من أرضِ مصرَ إلى أرضِ مَدْيَنَ بمَشِيَّتِي، وقُدْرَتِي^(٣) وتَدْيِيرِي، فَلَبِثْتَ

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) التفسير ٢٨٧/٥ - ٢٨٩.

(٣) في الأصل، ح: «وقدرى».

فيها سنين ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ ﴾ أى ؛ مِنِّى لذلك ، فوافق ذلك تقديرى
وتسييرى ﴿ وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي ﴾ أى ؛ اصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي
﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنَ يَدَيِ وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴾ يعنى : ولا تَقْرَأُ فى ذكري ،
إذ قَدِمْتُما عليه ، وَوَقَدْتُمَا إليه ؛ فإن ذلك عونٌ لكما على مخاطبته ومجاوبته ،
وإهداء النصيحة إليه ، وإقامة الحُجَّةِ عليه . وقد جاء فى بعض الأحاديث ^(١) :
« يقول الله تعالى : « إِنْ عَبْدِي كُلٌّ عَبْدِي الَّذِي يَذْكُرْنِي وَهُوَ مُلَاقٍ قِرْنَهُ » .
وقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فَمَكَّةً فَأَنْبِئُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال : ٤٥] .

ثم قال تعالى : ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ﴿ ٤٣ ﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّمُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ وهذا من جَلَمِهِ ^(٢) تعالى ، وكرمه ورأفته ورحمته بخلقه ،
مع علمه بكفر فرعون وعُتُوّه ، وتَجَبُّره ، وهو إذ ذاك أزدى خلقه ، وقد بعث إليه
صفوته من خلقه فى ذلك الزمان ، ومع هذا يقول لهما ويأمرهما أن يَدْعُوَاهُ إليه
بالتى هى أحسن ؛ بِرَفْقٍ وَلِينٍ ، ويُعَامِلَاهُ معاملَةً مَنْ يَرْجُو أَنْ يَتَذَكَّرَ أَوْ يَخْشَى ،
كما قال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجِدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا
تُجَادِلُوا أَهْلَ [١٥٦/١] الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْهُمْ ﴾ الآية [العنكبوت : ٤٦] . قال الحسن البصري : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا ﴾ ؛
أَعْذِرَا إليه ، قولاً له : إِنَّ لَكَ رَبًّا ، وَلَكَ مَعَادًا ، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةَ

(١) رواه الترمذى (٣٥٨٠) وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . (ضعيف الترمذى
٧٢١) .

(٢) فى الأصل : « حكمة الله » . فى ص : « علمه » .

وناراً^(١) . وقال وَهَبْ بِنُ مُنْبِيهِ : قولاً له : إني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة . وقال يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ عند هذه الآية : يا مَنْ يَحْبُبُ إِلَى مَنْ يُعَادِيهِ ، فكيف بَمَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيُنَادِيهِ^(٢) ؟ ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ وذلك أن فرعونَ كان جباراً غنيداً ، شيطاناً مريداً ، له سلطانٌ في بلادٍ مصرَ طويلٌ عريضٌ ، وجاةٌ وجنودٌ وعساكرٌ وسَطُوةٌ ، فهاباه من حيث البشرية ، وخافا أن يَسْطُوَ عليهما في بادئ الأمر ، فثَبَّتَهُمَا اللَّهُ تعالى ، وهو العليُّ الأعلى ، فقال : ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [طه : ٤٧ ، ٤٨] . يذكرُ تعالى أنه أمرهما أن يذهبا إلى فرعون ، فيدْعُوَاهُ إلى الله تعالى ؛ أن يعبدَه وحده لا شريكَ له ، وأن يُرْسِلَ معهم بني إسرائيل ، وَيُطْلِقَهُمْ مِنْ أَسْرِهِ وَقَهْرِهِ ، وَلَا يُعَذِّبَهُمْ ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِّنْ رَبِّكَ ﴾ وهو البرهانُ العظيمُ في العصا واليد ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ تَقْيِيدٌ مفيدٌ بليغٌ عظيمٌ . ثم تهدِّداه وتوعِّداه على التكذيب ، فقالا : ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ أي ؛ كَذَّبَ بالحقِّ بقلبه ، وتولَّى عن العملِ بقلبه .

وقد ذَكَرَ الشَّيْخُ وَغَيْرُهُ^(٣) ، أنه لما قَدِمَ من بلادِ مَدْيَنَ ، دَخَلَ على أُمِّهِ

(١) ذكره في الدر المنثور ٣٠١/٤ ، وعزاه إلى ابن أبي حاتم .

(٢) ذكره في الدر ٣٠١/٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم من حديث الفضل بن عيسى الرقاشي .

(٣) تاريخ الطبري ٤٠٣/١ .

وأخيه هارونَ ، وهما يَتَعَشَّيانِ من طعامٍ فيه الطَّفَيْشَلُ^(١) ؛ وهو اللَّفْتُ ، فأَكَلَ
مَعَهُمَا ، ثُمَّ قال : يا هارونُ ، إنَّ اللهَ أَمَرَنِي وَأَمَرَكَ أَنْ نَدْعُوَ فرعونَ إلى عبادتِهِ ،
فَقُمْ مَعِيَ . فقاما يَقْصِدَانِ بَابَ فرعونَ ، فإذا هو مُغْلَقٌ ، فقال موسى للهِوَّارَيْنِ
والْحَجَبَةِ : أَعْلِمُوهُ أَنَّ رَسولَ اللهِ بالبَّابِ . فجعلوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ .
وقد زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يُؤْذَنْ لهُمَا عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ طَوِيلٍ . وقال مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ : أُذِنَ لهُمَا بَعْدَ سَنَتَيْنِ^(٢) ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُ أَحَدٌ يَتَجَسَّسُ عَلَى الاسْتِثْنَانِ
لَهُمَا . فَاللهُ أَعْلَمُ . وَيَقَالُ : إنَّ موسى تَقَدَّمَ إِلَى البَّابِ فَطَرَقَهُ بَعْصَاهُ ، فَانزَعَجَ
فرعونُ ، وَأَمَرَ بِاحْضَارِهِمَا ، فوقفَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَدَعَاوَاهُ إِلَى اللهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا
أَمَرَهُمَا . وَعِنْدَ أَهْلِ الكِتَابِ^(٣) ، أَنَّ اللهَ قَالَ لِمُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ هَارُونََ
اللَّاهُوتَى - يَعْنِي الَّذِي مِنْ [١٥٧/١] نَسْلِ لَاهُوتِ بْنِ يَعْقُوبَ - سَيُخْرِجُ وَيَتَلَقَّاكَ .
وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مَشَايِخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عِنْدِ فرعونَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُظْهِرَ مَا آتَاهُ
مِنَ الْآيَاتِ . وَقَالَ لَهُ : سَأُقَسِّى قَلْبَهُ فَلَا يُزِيلُ الشَّعْبَ ، وَأَكْثُرُ آيَاتِي وَأَعْجَابِي^(٤)
بَارِضِ مِصْرَ . وَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَارُونَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى أَخِيهِ ، يَتَلَقَّاهُ بِالْبَرِّيَّةِ عِنْدَ
جَبَلِ حُورِيبَ ، فَلَمَّا تَلَقَّاهُ ، أَخْبَرَهُ موسى بِمَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ مِصْرَ ،
جَمَعَ شُيُوخَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَذَهَبَا إِلَى فرعونَ ، فَلَمَّا بَلَغَاهُ رِسَالَةَ اللهِ ، قَالَ : مَنْ
هُوَ اللهُ ؟ لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أُرْسِلُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ .

وقال اللهُ^(٥) مُخْبِرًا عَنْ فرعونَ : ﴿ قَالَ فَمَنْ زَيَّكَمَا يَمْوِسِي ۖ قَالَ رَبَّنَا

(١) نوع من المرق . تاج العروس (طفشل) .

(٢) في الأصل : «سنتين» . انظر تاريخ الطبري ٤٠٥ / ١ .

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٤ / ١٤ - ٢١ ، ٢٧ - ٣٠ .

(٤) في الأصل : «ولماي» .

(٥) التفسير ٢٩١ / ٥ ، ٢٩٢ .

الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ
عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَسَلَكًا لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ
شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ أَلْبَسُوا ﴿٥٤﴾ ﴿ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : ٤٩ - ٥٥] . يَقُولُ تَعَالَى
مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ أَنْكَرَ إِبْتِهَاتِ الصَّانِعِ تَعَالَى ، قَائِلًا : ﴿ فَمَنْ زَيَّكُمَا يَتُوسَى ﴾
﴿ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ أى ؛ هو الذى خلقَ
الخلقَ ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أَعْمَالًا وَأَزْوَاقًا وَأَجَالًا ، وَكَتَبَ ذَلِكَ عِنْدَهُ فِي كِتَابِهِ اللَّوْحِ
الْمَحْفُوظِ ، ثُمَّ هَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا قَدَّرَهُ لَهُ ، فَطَابَقَ عِلْمُهُ فِيهِمْ عَلَى الْوَجْهِ
الَّذِى قَدَّرَهُ وَعِلْمُهُ ؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَقَدْرِهِ . وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى :
١ - ٣] . أى ؛ قَدَّرَ قَدْرًا ، وَهَدَى الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾
يَقُولُ فِرْعَوْنُ لِمُوسَى : فَإِذَا كَانَ رَبُّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْمَقْدِّرُ ، الْهَادِي الْخَلَائِقَ ، لِمَا
قَدَّرَهُ ، وَهُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ مِنْ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاهُ ، فَلِمَ عَبَدَ الْأَوَّلُونَ غَيْرَهُ ،
وَأَشْرَكُوا بِهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْأَنْدَادِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ؟ فَهَلَّا اهْتَدَى إِلَى مَا ذَكَرْتُهُ
الْقُرُونُ الْأُولَى ؟ ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾
أى ؛ هُمْ وَإِنْ عَبَدُوا غَيْرَهُ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِحُجَّةٍ لَكَ ، وَلَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافٍ مَا
أَقُولُ ؛ لِأَنَّهُمْ جَهَلَةٌ مِثْلُكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ مُسْتَطَرٌّ عَلَيْهِمْ فِي الزُّبُرِ ، مِنْ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ ، وَسَيَجْزِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ رُبِّي ، عِزُّ وَجَلُّ ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ؛ لِأَنَّ
جَمِيعَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ عَنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَنْسَى رُبِّي
شَيْئًا . ثُمَّ ذَكَرَ لَهُ عِظَمَةَ الرَّبِّ ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ وَجَعْلِهِ الْأَرْضَ

مِهَادًا، وَالسَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا، وَتَسْخِيرَهُ السَّحَابِ وَالْأَمْطَارَ لِرِزْقِ الْعِبَادِ وَذَوَابِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، كَمَا قَالَ: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أَي؛ لِذَوِي الْعُقُولِ^(١) الصَّحِيحَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَالْفِطْرِ الْقَوِيَّةِ غَيْرِ السَّقِيمَةِ. فَهُوَ تَعَالَى الْخَالِقُ الرَّازِقُ. وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢١، ٢٢]. وَلَمَّا ذَكَرَ أَحْيَاءَ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ، وَاهْتِرَازَهَا بِإِخْرَاجِ نَبَاتِهَا فِيهِ، نَبَّهَ بِهِ عَلَى الْمَعَادِ فَقَالَ: ﴿مِنْهَا﴾ أَي؛ مِنَ الْأَرْضِ ﴿خَلَقْنَكُمْ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ﴿[الأعراف: ٢٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿[الروم: ٢٧].

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى^(٣): ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾^(٤) قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّهُ مِنَ الْأَرْضِ بِسِحْرِكُ يَمْوَسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَلَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى ﴿[طه: ٥٦ - ٥٩]. يَخْبِرُ تَعَالَى عَنْ شِقَاءِ فِرْعَوْنَ وَكَثْرَةِ جَهْلِهِ، وَقِلَّةِ عَقْلِهِ فِي تَكْذِيبِهِ بَآيَاتِ اللَّهِ، وَاسْتِكْبَارِهِ عَنْ اتِّبَاعِهَا، وَقَوْلِهِ لِمُوسَى: إِنَّ هَذَا الَّذِي جِئْتُ بِهِ سِحْرٌ، وَنَحْنُ نَعَارِضُكَ بِمِثْلِهِ. ثُمَّ طَلَبَ مِنْ مُوسَى^(٥)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) التفسير ٢٩٢/٥، ٢٩٣.

(١) أن يواعده إلى وقت معلوم ومكان معلوم، وكان هذا من أكبر مقاصد موسى، عليه السلام؛ أن يُظهر آيات الله وحججه وبراهينه جَهْرَةً بحضرة الناس، ولهذا قال: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ وكان يومَ عيدٍ من أعيادهم، ومجتمعٍ لهم ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى﴾ أى؛ من أول النهار، فى وقت اشتداد ضياءِ الشمس، فيكون الحقُّ أظهر وأجلى. ولم يطلب أن يكون ذلك ليلاً فى ظلام، كيما يُروِّج عليهم محالاً وباطلاً، بل طلب أن يكون نهاراً جَهْرَةً؛ لأنه على بصيرة من ربه، ويقين أن الله سيظهر كلمته ودينه، وإن رَغِمَتْ أنوفُ القَبِيْطِ.

قال الله تعالى (٢): ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ (٢٦) قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَايْلَكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٢٧) فَانزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى (٢٨) قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ النَّجْوَى (٢٩) فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعَلَى ﴿طه: ٦٠ - ٦٤﴾. يخبرُ تعالى عن فرعون أنه ذهب، فجمع من كان ببلادِه من السحرة، وكانت بلادُ مصر فى ذلك الزمان مملوءة سحرة، فضلاء، فى فنهم غاية، فجمعوا له من كل بلد، ومن كل مكان، فاجتمع منهم خلق كثيرٌ وجَمٌ غفيرٌ. فقل: كانوا ثمانين ألفاً. قاله محمد بنُ كعبٍ. وقيل: سبعين ألفاً. قاله القاسم بن أبى بزة (٣). وقال السددي: بضعة وثلاثين ألفاً. وعن أبى أمامة: تسعة عشر ألفاً. وقال (١)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) التفسير ٢٩٤/٥، ٢٩٥.

(٣) فى ١، م، ص: «بردة». وانظر التقريب ١١٥/٢.

^(١) محمد بن إسحاق: خمسة عشر ألفاً. وقال كعب الأحبار: كانوا اثني عشر ألفاً. وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس: كانوا سبعين رجلاً. وروى عنه أيضاً أنهم كانوا أربعين غلاماً من بنى إسرائيل، أمرهم فرعون أن يذهبوا إلى العرفاء، فيتعلموا السحر. ولهذا قالوا: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾ وفي هذا نظر^(٢).

وحضر فرعون وأمرأوه وأهل دُولته وأهل مِصرَ عن بكرة أبيهم؛ وذلك أن فرعون نادى فيهم أن يحضروا هذا الموقف العظيم، فخرجوا وهم يقولون: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ﴾^(٣) [الشعراء: ٤٠]، وتقدم موسى عليه السلام إلى السحرة، فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل، الذي فيه معارضة لآيات الله وحججه، فقال: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(٤) فتنزعوا أمرهم بينهم قيل: معناه أنهم اختلفوا فيما بينهم؛ فقائل يقول: هذا كلام نبي وليس بساحر. وقائل منهم يقول: بل هو ساحر. فالله أعلم. وأسروا التناجي بهذا وغيره ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ يقولون: إن هذا وأخاه هارون ساحران، غليمان، مُطْبِقَانِ مُتَّقِنَانِ لهذه الصناعة، ومرادهم أن يجتمع الناس عليهما، ويصُولَا على الملك وحاشيته، ويستأصِلاكم عن آخركم، ويستأمرَا عليكم بهذه الصناعة^(٥)

(١-١) سقط من: الأصل.

(٢) انظر الأقوال السابقة في التفسير ٢٩٦/٥. والدر المنثور ١٠٦/٣. وقصص الأنبياء للثعلبي ص ١٦٣.

(٣) التفسير ١٤٩/٦، ١٥٠.

﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ وإنما قالوا الكلام الأول ليتدبروا ويتواصوا، ويأتوا بجميع ما عندهم من المكيدة والمكر والخديعة والسحر والبهتان. وهيهات، كذبت والله الظنون، وأخطأت الآراء، أنى يُعَارِضُ البهتانُ والسُّحْرُ والهُدْيَانُ خوارقَ العادات، التى أجزاها الدِّيَانُ على يَدَيَّ عبده الكريم ورسوله الكريم، المؤيَّد بالبزْهَانِ الذى يَنْهَرُ^(١) الأبصارَ، وتَحَارُّ فيه العقول والأذهان. وقولهم: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ أى؛ جميع ما عندهم، ﴿ثُمَّ أَتُوا صَفًّا﴾ أى؛ جملة واحدة. ثم حَضَّ بعضهم بعضًا على التقدُّم فى هذا المقام؛ لأنَّ فرعونَ كان قد وعدهم ومثَّاهم، وما يَعِدُهُم الشيطانُ إلا غُرُورًا.

﴿قَالُوا يَمْشَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ٦٥ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ^(٢) جِبَالُهُمْ﴾ [١٥٧/١ ط] وَعَصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ٦٦ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨ ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ ٦٩ ﴿طه: ٦٥-٦٩. لما اضْطَفَّ السحرة ووقف موسى وهارون، عليهما السلام، تُجَاهَهُمْ، قالوا له: إِمَّا أَنْ تُلْقَى قَبْلَنَا، وَإِمَّا أَنْ نُلْقَى قَبْلَكَ. قال: بَلْ أَلْقُوا أَنْتُمْ. وكانوا قد عَمَدُوا إِلَى جِبَالٍ وَعِصْيٍ، فَأَوْدَعُوا الرُّبُوبَ وَغَيْرَهُ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي تَضْطَرِبُ بِسَبَبِهَا^(٣) تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا﴾ تلك الجبال والعِصْيُ اضطرابًا يُخَيَّلُ للرَّائى أَنَّهَا تَسْعَى

(١-١) سقط من: الأصل.

(٢) فى ح: «بهر».

(٣) التفسير ٢٩٥/٥، ٢٩٦.

(٤) فى ص: «فشيها».

باختيارها، وإنما تتحرك بسبب ذلك، فعند ذلك سحروا أعين الناس واسترهبوهم، وألقوا حبالهم، وعصيتهم وهم يقولون: ﴿بِعِزَّتِنَا أَنْتَ لَنْحْنُ الْفَلَبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ تُجِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿١١٧﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى﴾ أى؛ خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ومحالهم قبل أن يلقي ما فى يده، فإنه لا يَضَعُ شيئاً قبل أن يؤمر، فأوحى الله إليه فى الساعة الراهنة: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١١٨﴾ وَالَّذِى مَا فِى يَمِينِكَ لَتَاقٍ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَحَرٍ وَلَا يَقْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾، فعند ذلك ألقى موسى عصاه، وقال: ﴿مَا جِئْتُ بِهَذَا سِحْرٍ إِنَّ اللَّهَ سَبُّطُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٩﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١، ٨٢]. وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]. ﴿فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٠﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَدِيرِينَ ﴿١٢١﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ سَجْدِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨ - ١٢٢]. وذلك أن موسى، عليه السلام، لما تقدّم^(١) ألقاها، صارت حية عظيمة ذات قوائم - فيما ذكره غير واحد من علماء السلف - وغنقي عظيم، وشكل هائل مزرعج، بحيث إن الناس انحازوا منها، وهربوا سراعاً، وتأخروا عن مكانها، وأقبلت هى على ما ألقوه من الحبال والعصى، فجعلت تلتفقه واحداً واحداً، فى أسرع ما يكون من الحركة،

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا. وَأَمَّا السِّحْرَةُ فَإِنَّهُمْ رَأَوْا مَا هَالَهُمْ وَحَيَّرَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ، وَأَطْلَعُوا عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ فِي خَلْدِهِمْ وَلَا بِالْهَيْمِ، وَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ صِنَاعَاتِهِمْ وَأَشْغَالِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ وَهَنَالِكَ تَحَقَّقُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِسِحْرٍ، وَلَا شُعْبَذَةٍ، وَلَا مِحَالٍ وَلَا خِيَالٍ [١٥٨/١] وَلَا زُورٍ وَلَا بَهْتَانٍ وَلَا ضَلَالٍ، بَلْ حَقٌّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْحَقُّ الَّذِي ابْتَعَثَ هَذَا الْمُؤَيَّدَ بِهِ بِالْحَقِّ، وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ غِشَاوَةَ الْغَفْلَةِ، وَأَنَارَهَا بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْهُدَى، وَأَزَاحَ عَنْهَا الْقَسْوَةَ، وَأَنَابُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَخَرُّوا لَهُ سَاجِدِينَ، وَقَالُوا جَهْرَةً لِلْحَاضِرِينَ، وَلَمْ يَخْشَوْا عِقَابَهُ وَلَا بَلَاوَى: آمَنَّا بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ.

كما قال تعالى ^(١): ﴿فَالْقَى السِّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۖ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ﴾ (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ﴾ (٧٢) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَلَيْنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ۖ﴾ (٧٣) إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبُّكُمْ مُجْرِمًا فَإِنْ لَمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ﴾ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ﴾ (٧٥) جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿طه: ٧٠ - ٧٦﴾. قال سعيد بن جبير، وعكرمة، والقاسم بن أبي بزة ^(٢)، والأوزاعي، وغيرهم: لما سجد السحرة، رأوا منازلهم وقصورهم في

(١) التفسير ٢٩٧/٥ - ٣٠٠.

(٢) في الأصل، م: «بردة».

الجنة تُهَيَّأُ لَهُمْ ، وَتُزَخَّرُ لِقُدُومِهِمْ ، ولهذا لم يَلْتَفِتُوا إِلَى تَهْوِيلِ فِرْعَوْنَ ،
وتَهْدِيدِهِ وَوَعِيدِهِ . وذلك لِأَنَّ فِرْعَوْنَ لَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ السَّحَرَةَ قَدْ أَشْلَمُوا ،
وَأَشْهَرُوا ذِكْرَ مُوسَى وَهَارُونَ فِي النَّاسِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الْجَمِيلَةِ ، أَفْزَعَهُ ذَلِكَ ،
وَرَأَى أَمْرًا بَهْرَهُ ، وَأَعْمَى بَصِيرَتَهُ وَبَصَرَهُ ، وَكَانَ فِيهِ كَيْدٌ وَمَكْرٌ وَخِدَاعٌ ،
وَصَنْعَةٌ بَلِيغَةٌ فِي الصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ مُخَاطِبًا لِلْسَّحَرَةِ بِحَضْرَةِ
النَّاسِ : ﴿ ءَامَنْتُمْ لِمَ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ (١) أَى ؛ هَلَّا شَاوَزْتُمُونِي فِيمَا
صَنَعْتُمْ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ بِحَضْرَةِ رَعِيَّتِي . ثُمَّ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ، وَأَبْرَقَ وَأَرْعَدَ ،
وَكَذَبَ فَأَتْبَعَدَ ، قَائِلًا : ﴿ إِنَّكُمْ لَكَيْدٌ كُفُّوا أَلْسِنَكُمْ أَلَسِحْرٌ ﴾ . وَقَالَ فِي
الآيَةِ الْآخَرَى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ١٢٣] . وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مِنَ الْبَهْتَانِ الَّذِي يَعْلَمُ كُلُّ
فَرْدٍ عَاقِلٍ مَا فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْكَذِبِ وَالْهَذْيَانِ ، بَلْ لَا يَزُوجُ مِثْلَهُ (٢) عَلَى
الصُّبْحَانِ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ ، مِنْ أَهْلِ دَوْلَتِهِ وَغَيْرِهِمْ ، يَعْلَمُونَ أَنَّ مُوسَى لَمْ يَرَهُ
هَؤُلَاءِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ كَبِيرَهُمُ الَّذِي عَلَّمَهُمُ السَّحَرَ ؟! ثُمَّ هُوَ لَمْ
يَجْمَعْهُمْ وَلَا عَلَّمَ بِاجْتِمَاعِهِمْ ، حَتَّى كَانَ فِرْعَوْنُ هُوَ الَّذِي اسْتَدْعَاهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ
مِنْ كُلِّ فُجٍّ عَمِيقٍ وَوَادٍ سَحِيقٍ ، وَمِنْ حَوَاضِرِ بِلَادِ مِصْرَ وَالْأَطْرَافِ ، وَمِنْ الْمَدِينِ
وَالْأَرْيَافِ [١٥٨/١ ظ] .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ « الْأَعْرَافِ » (٣) : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ مُوسَى
بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

(١) فِي ح : « قَبْلَهُ » .

(٢) التفسير ٤٤٩/٣ - ٤٥٥ .

﴿١٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢٨﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأَتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٩﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٣٠﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿١٣١﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٣٣﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٣٤﴾ يَا تَوَكُّكُ يَكْلِي سَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٥﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١٣٦﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٣٧﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٣٨﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَبُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٣٩﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١٤٠﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهم سَاحِرِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٤٥﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَن ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّن خَلْفٍ ثُمَّ لَأَقْبِلَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٧﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا نُنْفِئُ مِنَّا إِلَّا أَن ت ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٤٩﴾ [الأعراف : ١٠٣ - ١٢٦].

وقال تعالى في سورة «يونس» ^(١) : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا

(١) التفسير ٢٢٠/٤ - ٢٢٢.

جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَقْتَوْنِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ [يونس : ٧٥ - ٨٢] .

وقال تعالى فى سورة « الشعراء » ^(١) : ﴿ قَالَ لَئِنْ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَرَزَقَ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنُّظُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ [١٥٩/١] بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْتَغِ فِي الدِّينِ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُؤَلُّوكَ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَئِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِهْنَهُمْ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ

(١) التفسير ١٤٨/٦ - ١٥١ .

مَا ذَنْ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا تُفْطِنَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا صَبْرٌ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ [الشعراء: ٢٩ - ٥١] .

والمقصود أن فرعون كذب وافتري، وكفر غاية الكفر في قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ وأتى بيهتان يغلمه العالمون، بل العالمون في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ . وقوله: ﴿لَا تُفْطِنَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ يعنى: يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى وعكسه، ﴿وَلَا صَلِّبَتَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أى؛ ليجعلهم مثلة ونكالا؛ لئلا يقتدى بهم أحد من رعيته وأهل ملته، ولهذا قال: ﴿وَلَا صَلِّبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أى؛ على جذوع النخل؛ لأنها أعلى وأشهر ﴿وَلَعَلَّكُمْ آيَاتُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ يعنى: فى الدنيا ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾ أى؛ لن نطيعك ونترك ما وقر فى قلوبنا من البينات، والدلائل القاطعات، ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ قيل: معطوف. وقيل: قسم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أى؛ فافعل ما قدرت عليه، ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أى؛ إنما نحكمك علينا فى هذه الحياة الدنيا، فإذا انتقلنا منها إلى الدار الآخرة، صرنا إلى حكم الذى أسلمنا له واتبعنا رسله، ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣] أى؛ وثوابه خير مما وعدتنا به من "التقريب والترغيب"، ﴿وَأَبْقَى﴾ أى؛ وأدوم من هذه الدار الفانية. وفى الآية الأخرى: ﴿قَالُوا لَا صَبْرٌ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ

أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا ﴿١﴾ أَى ؛ ما اجترأناه من المآثم والمحارم ﴿٢﴾ أَنْ كُنَّا أَوَّلَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ أَى ؛ من القبط ، بموسى وهارون ، عليهما السلام . وقالوا له أيضًا :
 ﴿٤﴾ وَمَا نَنْقِمُ مِنْكَ إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ﴿٥﴾ أَى ؛ ليس لنا عندك
 ذنب إلا إيماننا بما جاءنا به رسولنا ، واتباعنا آيات ربنا لما جاءتنا ^(١) ، ﴿٦﴾ رَبَّنَا أَفْرِغْ
 عَلَيْنَا صَبْرًا ﴿٧﴾ أَى ؛ ثبثنا على ما اثبتلنا به ، [١٥٩/١ ط] من عقوبة هذا الجبار
 العنيد ، والسلطان الشديد ، بل الشيطان المريد ، ﴿٨﴾ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿٩﴾ وقالوا
 أيضًا يَعْظُونَهُ وَيُخَوِّفُونَهُ بِأَسْرِ رَبِّهِ الْعَظِيمِ : ﴿١٠﴾ إِنَّكُمْ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ
 جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١١﴾ يَقُولُونَ لَهُ : فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ . فكان
 منهم . ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿١٣﴾
 أَى ؛ المنازل العالية ﴿١٤﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ
 مَنْ تَزَكَّى ﴿١٥﴾ فاحرص أن تكون منهم . فحالت بينه وبين ذلك الأقدار التي لا
 تُغَالَبُ ، ولا تُنَافَعُ ، وحكم العلي العظيم بأن فرعون ، لعنه الله ، من أهل
 الجحيم ، ليُباشِرَ العذاب الأليم ، يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ الْحَمِيمُ . ويقال له ، على
 وجه التقرير والتوبيخ ، وهو المقبوح المنبوخ ، الذميمة اللثيم : ﴿١٦﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿١٧﴾ [الدخان : ٤٩] .

والظاهر من هذه السياقات أن فرعون ، لعنه الله ، صلبهم وعذبهم ، رضى
 الله عنهم . قال عبد الله بن عباس ، وعبيد بن عمير : كانوا من أول النهار
 سخرة ، فصاروا من آخره شهداء برة ^(٢) . ويؤيد هذا قولهم : ﴿١٨﴾ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا
 صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٩﴾ .

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تفسير الطبرى ٢٤ / ٩ . والتفسير ٤٥٥ / ٣ .

فَضْلٌ

ولمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، وَهُوَ الْعَلَبُ الَّذِي عُلبَ بِهِ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الْقَيْطِ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْهَائِلِ ، وَأَسْلَمَ السَّحَرَةُ ، الَّذِينَ اسْتَنْصَرُوا بِهِمْ ^(١) لَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا كَفْرًا وَعِنَادًا وَبُعْدًا عَنِ الْحَقِّ .

قال الله تعالى ، بعدَ قَصَصِ ما تقدَّم في سورة «الأعراف» ^(٢) : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْبِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ ^(٣) قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٤) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧ - ١٢٩] . يخبرُ تعالى عن الملأ من قوم فرعون ، وهم الأمراء والكبراء ، أنَّهم خرَّضوا ملكهم فرعونَ على أذية نبيِّ الله موسى ، عليه السلام ، ومقابله - بدلَ التصديق بما جاء به - بالكفر والردِّ والأذى ، فقالوا : ﴿ أَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ يغنون ، قبحهم الله ، أنَّ دعوته إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والنَّهْي عن عبادة ما سواه فسادٌ بالنسبة إلى اعتقاد القَيْطِ ، لعنهم الله . وقرأ بعضهم ^(٥) :

(١) في م : «ربهم» .

(٢) التفسير ٤٥٦ / ٣ ، ٤٥٧ .

(٣) سقط من : ح . والقراءة قراءة ابن عباس ومجاهد . انظر تفسير الطبري ٢٥ / ٩ ، ٢٦ . والتفسير ٣ /

٤٥٦ .

وَيَذَرُكَ (وَالْآخَرَتِكَ) أَى ؛ وَعِبَادَتِكَ . وَيَحْتَمِلُ شَيْئِينَ ؛ أَحَدُهُمَا ، وَيَذَرُ دِينَكَ .
وَتَقْوِيهِ الْقِرَاءَةُ الْآخَرَى . الثَّانِى ، وَيَذَرُ أَنْ يَعْبُدَكَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَزْعُمُ أَنَّهُ إِلَهٌ ، لَعَنَهُ
اللَّهُ ﴿ قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ [١٦٠/١] وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ أَى ؛ لِقَلَّا تَكْثُرُ
مُقَاتِلَتَهُمْ ، ﴿ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ أَى ؛ غَالِبُونَ ، ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) أَى ؛ إِذَا هُمَا هُم بِأَذْنَيْكُم وَالْفَتْكُ بِكُمْ فَاسْتَعِينُوا أَنْتُمْ
بِرَبِّكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى بَلَائِكُمْ ، ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢) أَى ؛ فَكُونُوا أَنْتُمْ مِنَ الْمُتَّقِينَ ؛ لِتَكُونَ لَكُمْ
الْعَاقِبَةُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْآخَرَى ^(٣) : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ
بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [يونس : ٨٤ - ٨٦] .
وَقَوْلُهُمْ : ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ أَى ؛ قَدْ كَانَتْ
الْأَبْنَاءُ تُقْتَلُ قَبْلَ مَجِيئِكَ ، وَبَعْدَ مَجِيئِكَ إِلَيْنَا ، ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ .

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، فِي سُورَةِ « حَمِ الْمُؤْمِنِ » ^(٤) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى
بِأَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَحَرٌ
كَذَّابٌ ﴾ [غافر : ٢٣ ، ٢٤] . وَكَانَ فِرْعَوْنُ الْمَلِكُ ، وَهَامَانُ الْوَزِيرُ ، وَكَانَ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) زيادة من : الأصل .

(٣) التفسير ٢٢٣/٤ ، ٢٢٤ .

(٤) التفسير ١٢٨/٧ .

قارونُ إسرائيليًّا من قومِ موسى ، إلا أنه كان على دينِ فرعونَ ومَلِيحِهِ ، وكان ذا مالٍ جزيلٍ جدًّا ، كما ستأتى قصُّهُ فيما بعدُ ، إن شاء اللهُ تعالى .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [غافر: ٢٥] .
وهذا القتلُ لِلْعِلْمَانِ ، مِن بعدِ بَغْنَةِ موسى ، إنما كان على وجهِ الإِهَانَةِ والإِذْلَالِ ، والتقليلِ لِمَلَأُ بنى إسرائيلَ ؛ لِئَلَّا تكونَ لَهُم شَوْكَةٌ يَمْتَنِعُونَ بِهَا أَوْ^(١) يَضُولُونَ على القِبْطِ بسببِهَا ، وكانت القِبْطُ مِنْهُم يَحْذَرُونَ ، فلم يَنْفَعَهُمْ^(٢) ذلك ؛ ولم^(٣) يَرُدُّ عَنْهُمْ^(٤) قَدَرُ الذى يقولُ للشئِءِ : كُنْ . فيكونُ . ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾^(٥) [غافر: ٢٦] . ولهذا يقولُ الناسُ على سبيلِ التَّهْكِيمِ : صار فرعونُ مُذَكَّرًا . وهذا منه ، فإن فرعونَ فى زَعْمِهِ يَخَافُ على الناسِ أَنْ يُضِلَّهُم موسى ، عليه السلامُ . ﴿ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾^(٦) [غافر: ٢٧] . أَى ؛ عُذْتُ بِاللَّهِ ، وَلَجَأْتُ إِلَيْهِ وَاسْتَجَرْتُ^(٧) بِجَنَابِهِ^(٨) مِنْ أَنْ يَسْطُوَ فرعونُ أو غيره علىَّ بسوءٍ . وقولُهُ : ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ ﴾ أَى ؛ جبارٍ عَنِيْدٍ ، لا يَزْعَوِى^(٩) ولا

(١) فى م ، ص : « و » .

(٢) فى الأصل : « يَنْفَعُهُم » .

(٣ - ٣) فى الأصل : « يردعهم » .

(٤) التفسير ١٢٩/٧ .

(٥) التفسير ١٢٩/٧ .

(٦) سقط من : م ، ص .

(٧) فى ص : « بجانبه » .

(٨) أى يكف ويرتدع .

يَنْتَهِي ، وَلَا يَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَفْتَقِدُ مَعَادًا وَلَا جَزَاءً ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ .

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴾ [١٦٠/١ ط] يَفْهَمُ لَكُمْ أَلَمْ تَكُنْ أَلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(١) [غافر: ٢٨ ، ٢٩] . هَذَا الرَّجُلُ هُوَ ابْنُ عَمِّ فِرْعَوْنَ ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مِنْ قَوْمِهِ ، خَوْفًا مِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ . وَزَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ إِسْرَائِيلِيًّا ، وَهُوَ بَعِيدٌ وَمُخَالَفٌ لِسِيَاقِ الْكَلَامِ لَفْظًا وَمَعْنَى ^(٢) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ يُؤْمِنْ مِنَ الْقَبِيْطِ بِمُوسَى إِلَّا هَذَا ، وَالَّذِي جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ ، وَامْرَأَةُ فِرْعَوْنَ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(٣) . قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ : لَا يُعْرَفُ مَنْ اسْمُهُ شَمْعَانُ - بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ - إِلَّا مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ . حَكَاهُ السَّهَيْلِيُّ ^(٤) . وَفِي «تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ» ^(٥) أَنَّ اسْمَهُ : جَبْرِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ، فَلَمَّا هَمَّ فِرْعَوْنُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ،

(١) التفسير ١٢٩/٧ - ١٣٢ .

(٢) انظر تفسير الطبري ٥٧/٢٤ ، ٥٨ .

(٣) ذكره في الدر المنثور ٣٥٠/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم . وانظر التفسير ١٣٠/٧ .

(٤) التعريف والإعلام ص ٢٤١ . وانظر الإكمال لابن ماكولا ٣٦٥/٤ .

(٥) تاريخ الطبري ٤٠٧/١ .

(٦) في ح ، م ، ص : «خير» ، وفي أ : «خير» . وفي تاريخ الطبري : «جبرك» . وفي تفسير الطبري :

«جبريل» .

وذكر السهيلي في «التعريف والإعلام» ص ٢٨٣ عن الطبري في تاريخه أن اسمه : «جبر» .

بَقْتُلِ، موسى، عليه السلام، وعَزَمَ على ذلك وشاورَ مَلَأَهُ فيه، خاف هذا المؤمنُ على موسى، فتَلَطَّفَ في ردِّ فرعونَ بكلامٍ جَمَعَ فيه التَّزْهِيْبَ والتَّوْهِيْبَ، فقال ^(١) «كَلِمَةُ الْحَقِّ» على وجهِ الْمَشَوْرَةِ والرَّأْيِ. وقد ثَبَتَ في الْحَدِيثِ ^(٢) عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قال: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَذَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ». وهذا مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ هَذَا الْمَقَامِ، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَا يَكُونُ أَشَدَّ ^(٣) جَوْرًا مِنْهُ، وَهَذَا الْكَلَامُ لَا أَعْدَلَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ فِيهِ عِصْمَةَ دَمٍ ^(٤) نَبِيٍّ. وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ «شَارٌّ لَهُمْ» بِإِظْهَارِ إِيمَانِهِ، وَصَرَّحَ لَهُمْ بِمَا كَانَ يَكْتُمُهُ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قال: ﴿أَنْفَقْتُمْ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ أَيُّ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قال: رَبِّيَ اللَّهُ. فَمِثْلُ هَذَا لَا يُقَابَلُ بِمِثْلِ هَذَا، بَلْ بِالْإِكْرَامِ وَالْإِحْتِرَامِ وَالْمَوَادَعَةِ وَتَرْكِ الْإِنْتِقَامِ، يَعْنِي: لِأَنَّهُ ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَيُّ؛ بِالْخَوَارِقِ الَّتِي ذَلَّتْ عَلَى صَدْقِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَمَّنْ أَرْسَلَهُ، فَهَذَا إِنْ وادَعْتُمُوهُ ^(٥) كُنْتُمْ فِي سَلَامَةٍ؛ لِأَنَّهُ ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وَلَا يَضُرُّكُمْ ذَلِكَ، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا﴾ ^(٦) وَقَدْ تَعَرَّضْتُمْ لَهُ ﴿يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ أَيُّ؛ وَأَنْتُمْ تُشْفِقُونَ أَنْ يَنَالَكُمْ أَيْسَرُ جَزَاءٍ يَمَّا يَتَوَعَّدُكُمْ بِهِ، فَكَيْفَ بَكُمْ إِنْ حُلَّ جَمِيعُهُ عَلَيْكُمْ؟ وَهَذَا

(١ - ١) زيادة من: أ.

(٢) في الأصل، «الصحیح». والحديث أخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذی (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١). كلهم من حديث أبي سعيد الخدري. وقال الترمذی: حسن غريب من هذا الوجه. (صحیح أبي داود ٣٦٥٠). وانظر السلسلة الصحیحة (٤٩١).

(٣) في ح، م، أ، ص: «لأشد».

(٤) زيادة من: أ.

(٥ - ٥) في ح، م، ص: «كاشرهم». وشارٌّ لهم أي خاصمهم.

(٦) في الأصل: «أودعتموه». وفي أ: «تركتموه».

(٧ - ٧) ليست في: الأصل.

الكلام في هذا المقام من أعلى مقامات التلطيف والاحتراز والعقل التام . وقوله : ﴿ يَنْقُومَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ يحذّرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز ، فإنه ما تعرّضت الدول للدين إلا سلبوا ملّكهم وذلّوا^(١) بعد عزّهم ، وكذا وقع لآل فرعون ؛ ما زالوا في شكّ ورّيب ، ومخالفة ومُعاندة لما جاءهم موسى به ، حتى أخرجهم الله ممّا [١٦١/١] كانوا فيه من الملك والأملّك^(٢) ، والدور والقصور ، والنعمة والخبور ، ثم حوّلوا إلى البحر مُهانين ، ونُقِلَتْ أرواحهم بعد العلوّ والرّفعة إلى أسفل السافلين . ولهذا قال هذا الرجل المؤمن الصادق ، البارّ الرّاشد ، التابع للحقّ الناصح لقومه ، الكامل العقل : ﴿ يَنْقُومَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى ؛ عالين على الناس حاكمين عليهم ، ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ أى ؛ لو كنتم أضعاف ما أنتم عليه^(٣) من العدديّ والغدّة والقوة والشدّة ، لما نفعنا ذلك ولا ردّ عنا بَأْسَ مالِك الممالك . ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ أى ؛ فى جواب هذا كله : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ أى ؛ ما أقول لكم إلا ما عندى ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ وكذب فى كلّ من هذين القولين ، وهاتين المقدّمتين ، فإنه قد كان يتحقّق ويعلّم^(٤) فى باطنه وفى نفسه أن هذا الذى جاء به موسى حقّ^(٥) من عند الله لا محالة ، وإنما كان يُظهرُ خلافه بغيا وعُدوانا ، وعُتْوا وكفرا .

قال الله تعالى إخبارا عن موسى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ

(١) سقط من : الأصل .

(٢) فى الأصل : « الآمال » .

(٣) سقط من : ح . وفى م ، ص : « فيه » .

(٤) زيادة من : الأصل ، ص .

(٥) زيادة من : أ .

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مَثْبُورًا ﴿ [الإسراء: ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدَّثُوا بِهَا وَأَسْتَقْبَقَتْنَهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [النمل: ١٣، ١٤] . وأما قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ . فقد كَذَبَ أيضًا ، فإنه لم يكن على رشادٍ من الأمر ، بل كان على سَفَهٍ وضلالٍ ، وخَبَالٍ ، وكان أولًا يَمُنُّ يعبدُ الأصنامَ والأمثالَ ، ثم دعا قومه الجَهْلَةَ الضُّلَّالَ إلى أن اتَّبِعُوهُ وطاوَعُوهُ ، وصدَّقُوهُ فيما زعم من الكفرِ المحالِ في دعواه أنه ربُّ ، تعالى اللهُ ذو الجلالِ والإكرامِ . قال اللهُ تعالى : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمِ آلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقَرَّنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴾ [الزخرف: ٥١ - ٥٦] . وقال تعالى :

﴿ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿١٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿١٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [النازعات: ٢٠ - ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيَتَسَّ الْوَرْدُ الْمَمْرُودُ ﴿١٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾ [هود: ٩٦ - ٩٩] . والمقصودُ بيانُ كَذِبِهِ في قوله : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾ ، وفي قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ .

﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا
إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا
ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ
وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا
سِوَىٰ بَيْنِهِمْ وَضَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ [غافر: ٣٠ - ٣٥]. يَحْذَرُهُمْ وَلِيُّ اللَّهِ، إِنْ كَذَّبُوا بِرَسُولِ
اللَّهِ مُوسَى ^(٢)، أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مَا حَلَّ بِالْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الثَّقَمَاتِ وَالْمَثَلَاتِ، مِمَّا
تَوَاتَرَ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ غَيْرِهِمْ؛ مَا حَلَّ بِقَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى
زَمَانِهِمْ ذَلِكَ، مِمَّا أَقَامَ اللَّهُ ^(٣) بِهِ الْحُجَجَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً، فِي صَدَقِ مَا
جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، بِمَا أَنْزَلَ مِنَ الثَّقَمَةِ بِمَكْذِبِهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَمَا أَنْجَى اللَّهُ مِنْ
اتَّبِعَهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ، وَخَوْفَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمُ التَّنَادِ؛ أَى حِينَ يُنَادِي النَّاسُ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا حِينَ يُؤْلُونَ مُذْبِرِينَ، إِنْ قَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ.
﴿ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْفَرُّ ﴾ (١٥) ﴿ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴾ (١٦) ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾
[القيامة: ١٠ - ١٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَمْعَشَرُ الْيَمِينُ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ (٣٣)
فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَاسٌ فَلَا

(١) التفسير ١٣٢/٧، ١٣٣.

(٢) سقط من: ص.

(٣) زيادة من: ح.

تَنْصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٦] . وقرأ بعضهم : (يَوْمَ التَّنَادِ) بتشديد الدال ، أى يومَ الفِرَارِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَوْمَ يُحِلُّ اللَّهُ بِهِمُ الْبَأْسَ ، فَيُؤَدُّونَ الْفِرَارَ وَلَا تَ حِينَ مَنَاصٍ . ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ ﴿﴾ [الأنبياء: ١٢ ، ١٣] . ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَنْ نبوة يوسف فى بلاد مصر؛ ما كان منه من الإحسان إلى الخلق فى دنياهم وأخراهم ، وهذا من سلالاته وذريته ، ويدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته ، وأن لا يُشْرِكُوا به أحدا من بريته ، وأخبر عن أهل الديار المصرية فى ذلك الزمان ، أَنَّ مِنْ سَجِيَّتِهِمُ التَّكْذِيبَ بِالْحَقِّ وَمُخَالَفَةَ الرِّسَالِ ؛ ولهذا قال : ﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾ أى ؛ [١٦٢/١] وكذبتم فى هذا . ولهذا قال : ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ ﴿﴾ أى ؛ يَرُدُّونَ ^(١) حُجَجَ اللَّهِ وبراهينه ودلائل توحيده بلا حجة ولا دليل عندهم من الله ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ يَمُقُّهُ اللَّهُ غَايَةَ الْمَقَاتِ ؛ أى يُبَغِضُ مَنْ تَلَبَّسَ بِهِ مِنَ النَّاسِ ، وَمَنْ اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْخَلْقِ ، ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ قُرِئَ بِالْإِضَافَةِ وَبِالنَّعْتِ ، وَكِلَاهُمَا مُتَلَازِمٌ ؛ أى هكذا إذا خَالَفَتِ الْقُلُوبُ الْحَقَّ ، وَلَا تَخَالَفُهُ إِلَّا بِلا بَرهَانٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَطْبَعُ عَلَيْهَا ؛ أى يَخْتِمُ عَلَيْهَا .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِىَ صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ ﴿٣٨﴾ أَسْبَبَ

(١) فى م : «يردون» .

السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿١﴾
[غافر: ٣٦، ٣٧]. كَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَى، عليه السلام، في دَعَاوَاهُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ،
وزَعَمَ فِرْعَوْنُ لِقَوْمِهِ مَا كَذَبَهُ وَافْتَرَاهُ، في قوله لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ
إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمْدُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلِعَ إِلَى
إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الفصص: ٣٨]. وقال ههنا:
﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ أى؛ طُرُقَهَا وَمَسَالِكَهَا
﴿فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ وَيَحْتَمِلُ هَذَا مَعْنَيْنِ؛
أَحَدُهُمَا، وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ: إِنْ لِلْعَالَمِ رَبًّا غَيْرِي. ^(١) والثَّانِي، فِي
دَعَاوَاهُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ. وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ بِظَاهِرِ حَالِ فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ كَانَ يُنَكِّرُ ظَاهِرَ
إِثْبَاتِ الصَّانِعِ ^(٢)، والثَّانِي أَقْرَبُ إِلَى اللَّفْظِ؛ حَيْثُ قَالَ: ﴿فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ
مُوسَى﴾ أَى؛ فَاسْأَلَهُ هَلْ أَرْسَلَهُ أَمْ لَا، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ أَى؛ فِي
دَعَاوَاهُ ذَلِكَ. وَإِنَّمَا كَانَ مَقْصُودُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَصُدَّ النَّاسَ عَنْ تَصْدِيقِ مُوسَى، عَلَيْهِ
السَّلَامُ، وَأَنْ يُحْثِّثَهُمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾، وَقُرِئَ: (وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ) قَالَ ابْنُ
عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ ^(٣): يَقُولُ: إِلَّا فِي خَسَارٍ. أَى بَاطِلٍ، لَا يَحْصُلُ لَهُ شَيْءٌ مِنْ
مَقْصُودِهِ الَّذِي رَامَهُ، فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ لِلْبَشْرِ أَنْ يَتَوَصَّلُوا بِقُوَاهُمْ إِلَى نَيْلِ السَّمَاءِ
أَبَدًا - أَغْنَى السَّمَاءُ الدُّنْيَا - فَكَيْفَ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَمَا فَوْقَ

(١) التفسير ١٣٤/٧.

(٢) (٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) تفسير الطبري ٦٦/٢٤. وانظر الدر المنثور ٣٥١/٥.

ذلك من الارتفاع الذى لا يعلمه إلا الله عز وجل .

وذكر غير واحد من المفسرين^(١) أن هذا الصُّرْحَ ، وهو القَصْرُ الذى بناه وزيره هامان له ، لم يُرْ بناءً أَعْلَى منه ، وأنه كان مبنياً من الآجر المشوى بالنار ، ولهذا قال : ﴿ فَأَوْقَدْ لِي يَنْهَمْنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا ﴾ . وعند [١٦٢/١] أهل الكتاب^(٢) أن بنى إسرائيل كانوا يُسَخَّرُونَ فى ضَرْبِ اللَّيْلِ ، وكان مَّا حُمِّلُوا مِنَ التَّكَالِيفِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ أَنَّهُمْ لَا يُسَاعِدُونَ عَلَى شَيْءٍ مَّا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِيهِ ، بل كانوا هم الذين يَجْمَعُونَ تَرَابَهُ وَيَبْنِيهِ وَمَاءَهُ ، وَيُطْلَبُ مِنْهُمْ كُلُّ يَوْمٍ قِسْطٌ مُعَيَّنٌ ، إِنْ لَمْ يَفْعَلُوهُ وَإِلَّا ضُرِبُوا وَأُهِنُوا غَايَةَ الْإِهَانَةِ ، وَأُودُوا غَايَةَ الْأَذْيَةِ . ولهذا قالوا لموسى : ﴿ أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ ، فوعدهم بأن العاقبة لهم على القَبِيْطِ ، وكذلك وَقَعَ ، وهذا من دلائل الثبوة .

ولنرجع إلى نصيحة المؤمن وموعظته واحتجاجه ، قال الله تعالى^(٣) : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٢٨) يَنْفَوْرُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعَ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفَكَارِ (٢٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر : ٣٨-٤٠] . يدعوهم ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إلى طريق الرِّشَادِ والحَقِّ ، وهى مُتَابَعَةُ نَبِيِّ اللَّهِ

(١) تفسير الطبرى ٧٧/٢٠ ، قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٦٧ ، التفسير ٢٤٨/٦ .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٤/١ .

(٣) التفسير ١٣٤/٧ .

موسى ، وتصديقه فيما جاء به من ربه ، ثم زهدهم فى الدنيا الدنية الفانية المنقضية لا محالة ، ورغبتهم فى طلب الثواب عند الله ، الذى لا يضيع عمل عامل لديه ، القدير الذى ملكوت كل شئ بيده ، الذى يعطى على القليل كثيرا ، ومن عذله لا يجازى على السيئة إلا مثلها . وأخبرهم أن الآخرة هى دار القرار ، التى من وافاها مؤمنا قد عمل الصالحات ، فلهم الجنات العاليا ، والغرف الآمنا ، والخيرات الكثيرة الفائقات ، والأزواق الدائمة التى لا تبيد ، والخير الذى كل ما لهم منه فى مزيد .

ثم شرع فى إبطال ما هم عليه ، وتخويفهم بما يصيرون إليه ، فقال ^(١) : ﴿ وَتَقَوْمَ مَا لِيَ أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ۖ ﴾ (٤١) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَذْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ۖ ﴾ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْكَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ ﴾ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَؤُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۖ ﴾ (٤٤) فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۖ ﴾ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ ﴾ [غافر : ٤١ - ٤٦] . كان يدعوهم إلى عبادة رب السموات والأرض ، الذى يقول للشئ : كن . فيكون ، وهم يدعونه إلى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون ، ولهذا قال [١٦٣/١] لهم على سبيل الإنكار : ﴿ وَتَقَوْمَ مَا لِيَ أَذْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ۖ ﴾ (٤١) تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي

(١) التفسير ١٣٥/٧ - ١٣٨ .

بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿١﴾ ، ثُمَّ يَنْ لَّهُمْ بُطْلَانٌ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةٍ مَا سِوَى اللَّهِ مِنَ الْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ ، وَأَنْهَا لَا تَمْلِكُ مِنْ نَفْعٍ وَلَا إِضْرَارٍ .
 فَقَالَ : ﴿ لَا جَرَمَ أَنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْكَ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ﴿٢﴾ أَيْ ؛ لَا تَمْلِكُ تَصَرُّفًا ^(١) وَلَا حُكْمًا في هذه الدَّارِ ، فَكَيْفَ تَمْلِكُهُ يَوْمَ الْقَرَارِ ؟ وَأَمَّا اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ لِلْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ ، وَهُوَ الَّذِي أَحْيَا الْعِبَادَ وَيُمِيتُهُمْ وَيَتَعَنُّهُمْ ، فَيُدْخِلُ طَائِفَهُمُ الْجَنَّةَ ، وَعَاصِيَهُمُ النَّارَ . ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ إِنْ هُمْ اسْتَمْتَرُوا عَلَى الْعِنَادِ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ ﴿٣﴾ أَيْ ؛ لِإِنْكَارِهِ سَلِيمٍ مِمَّا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ ، وَمَكْرِهِمْ فِي صُدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، مِمَّا أَظْهَرُوا لِلْعَامَّةِ مِنَ الْخَيَالَاتِ وَالْمَحَالَّاتِ الَّتِي لَبَسُوا بِهَا عَلَى عَوَامِهِمْ وَطَغَامِهِمْ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَخَاقَ ﴾ ﴿٤﴾ أَيْ ؛ أَحَاطَ ﴿ يَقَالُ فِرْعَوْنُ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ ﴿٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ﴿٦﴾ أَيْ ؛ تُعْرَضُ أَرْوَاحُهُمْ فِي بَرْزَخِهِمْ صَبَاحًا وَمَسَاءً عَلَى النَّارِ ، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ ﴿٧﴾ ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى دَلَالَةِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ فِي « التَّفْسِيرِ » ^(١) . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُهْلِكْهُمْ إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ ، وَإِرْسَالِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ ، وَإِزَاحَةِ الشُّبُهَةِ عَنْهُمْ ، وَأَخْذِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْهُمْ ، فَبِالتَّزْهِيْبِ تَارَةً

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) التفسير ١٣٦/٧ - ١٣٨ .

والترغيبِ أخرى ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقِصَ مِنَ الشَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ [١٣٠] فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ آكَثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٣١] وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [١٣٢] فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَابَتْ مُفْضَلَتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٠ - ١٣٣] . يخبرُ تعالى أنه ابتلى آلَ فرعونَ ، وهم قومه من القبط ، بالسنين ، وهى أعوامُ الجذبِ التى لا يُستغلُ فيها زرعٌ ، ولا يُنتفعُ بضرعٍ . وقوله : ﴿ وَنَقِصَ مِنَ الشَّمَرَاتِ ﴾ وهى قلةُ الثمارِ من الأشجارِ ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ أى ؛ فلم يَتَتَفَعُوا ولم يَزْعُوا ، بل تَمَرَّدُوا واستمَرُّوا على كُفْرِهِم وعنادِهِم ، ﴿ فَإِذَا ﴾ [١٦٣/١ ط] جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ ﴿ وهو الخِصْبُ ونحوه ﴾ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴿ أى ؛ هذا الذى نَسْتَحِقُّه ، وهذا الذى يليقُ بنا ، ﴾ وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴿ أى ؛ يقولون هذا ؛ بشؤمِهِم أصابنا هذا . ولا يقولون فى الأولِ : إنه بركَتُهُم وحسنُ مجاورَتِهِم ، ولكن قلوبُهُم مُّنْكَرَةٌ مُّسْتَكْبِرَةٌ نَافِرَةٌ عن الحقِّ ، إذا جاء الشرُّ أَسَدُّوه إليه ، وإن رَأَوْا خَيْرًا ادَّعَوْه لَأَنفُسِهِمْ . قال اللهُ تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرْتُمْ عَنْدَ اللَّهِ ﴾ أى ؛ اللهُ يَجْزِيهِم على هذا أَوْفَرَ الجزاءِ ﴿ وَلَكِنَّ آكَثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [١٣١] وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ أى ؛ مَهْمَا جِئْتَنَا بِهِ مِنَ الْآيَاتِ ، وهى الخوارقُ للعاداتِ ، فَلَسْنَا نُؤْمِنُ بِكَ وَلَا نَتَّبِعُكَ وَلَا نُطِيعُكَ وَلَوْ جِئْتَنَا بِكُلِّ آيَةٍ . وهكذا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فى

(١) التفسير ٤٥٧/٣ - ٤٦٢ .

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٩٦) وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿ [يونس: ٩٦، ٩٧]. قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ .

أما الطوفان، فعن ابن عباس: هو كثرة الأمطار المثلفة للزروع والثمار. وبه قال سعيد بن جبيرة، وقتادة، والشددي، والضحاك. وعن ابن عباس، وعطاء: هو كثرة الموت. وقال مجاهد: الطوفان الماء، والطاعون على كل حال. وعن ابن عباس: أمر طاف بهم^(١). وقد روى ابن جرير وابن مَزْدَوَيْهِ^(٢)، من طريق يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميثاء، عن عائشة، عن النبي ﷺ: «الطوفان الموت» وهو غريب.

وأما الجراد فمعروف. وقد روى أبو داود^(٣)، عن أبي عثمان، عن سلمان الفارسي، قال: سئل رسول الله ﷺ عن الجراد، فقال: «أكثر جنود الله، لا آكله ولا أحرّمه». وترك النبي ﷺ آكله إنما هو على وجه التقدير له؛ كما ترك آكل الضب^(٤)، وتنزه عن أكل البصل والثوم والكراث^(٥)، لما ثبت في

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري في تفسيره ٣٠/٩، ٣١. وانظر الدر المنثور ٣/١٠٨، والتفسير ٤٥٨.

(٢) الطبري في تفسيره ٣١/٩. وذكره في الدر المنثور ٣/١٠٨ وعزاه إلى ابن مردويه. وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/٣٠٠: وعند ابن مردويه بإسنادين ضعيفين عن عائشة. وانظر تفسير ابن جرير بتحقيق أحمد شاكر ٥١/١٣ حاشية (١).

(٣) أبو داود (٣٨١٣). (ضعيف أبي داود ٨١٩).

(٤) البخاري (٥٥٣٦)، مسلم (١٩٤٣).

(٥) البخاري (٨٥٥)، مسلم (٥٦٤).

«الصحيحين»^(١)، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: غَزَوْنَا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الجِرَادَ. وقد تكلّمنا على ما ورد فيه مِنَ الأحاديث والآثارِ فى «التفسير»^(٢).

والمقصودُ أنه استاق خَضِرَاءَهُمْ، فلم يتركْ لهم زُرُوعًا ولا ثِمَارًا، ولا سَبَدًا ولا لَبَدًا^(٣).

وأما القُمَّلُ، فعن ابنِ عباسٍ: هو الشُّوسُ الذى يَخْرُجُ من الخِطْطَةِ، وعنه، أنه الجِرَادُ الصَّغَارُ الذى لا أجنحةَ له. وبه قال مُجاهدٌ، وعِكرمةٌ، وقَتَادَةُ. وقال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، والحسنُ: هو [١٦٤/١] دَوَابُّ سُودٌ صِغَارٌ. وقال عبدُ الرحمنِ ابنُ زَيْدٍ بنِ أَشْلَمَ: هى البراغيثُ. وحكى ابنُ جريرٍ عن أهلِ العَرَبِيَّةِ^(٤) أنها الحَفَنَانُ. وهى صِغَارُ القِرْدَانِ، فَوْقَ القَمَقَمَةِ^(٥)، فدخَلَ معهم البيوتُ والقُرُشُ، فلم يَقَرِّ لَهُمْ قَرَارٌ، ولم يُمَكِّنْهُمْ معه الغَمَضُ ولا العيشُ. وفُسِّرَ عطاءُ ابنِ السائبِ بهذا القُمَّلِ المعروف. وقرأها الحسنُ البصرىُّ كذلك بالتَّخْفِيفِ^(٦).

وأما الضَّفَادِعُ فَمَعْرُوفَةٌ، لَيْسَتْهُمْ حتى كانت تَسْقُطُ فى أَطْعِمَاتِهِمْ وأَوَانِهِمْ، حتى إن أَحَدَهُمْ إِذَا فَتَحَ فَمَهُ لَطْعَامٍ أو شَرَابٍ، سَقَطَتْ فى فِيهِ ضِفْدَعَةٌ من تلك الضَّفَادِعِ.

(١) البخارى (٥٤٩٥)، مسلم (١٩٥٢).

(٢) التفسير ٤٥٨/٣ - ٤٦١.

(٣) ولا سَبَدًا ولا لَبَدًا أى؛ ولا قليلًا ولا كثيرًا.

(٤) انظر مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢٢٦/١.

(٥) القمقام: صغار القردان، وضرب من القمل شديد التشبث بأصول الشعر. واحداً قمقامة. اللسان

(ق م م).

(٦) تفسير الطبرى ٣٢/٩، ٣٣. التفسير ٤٦١/٣. وانظر الدر المنثور ١١٠/٣.

وَأَمَّا الدَّمُ فَكَانَ قَدْ مُزِجَ مَاءُهُمْ كُلَّهُ بِهِ ، فَلَا يَسْتَقُونُ مِنَ الثَّلِيبِ شَيْئًا إِلَّا وَجَدُوهُ دَمًا غَيْبَطًا^(١) ، وَلَا مِنْ نَهْرٍ وَلَا بَهِيرٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا كَانَ دَمًا فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ . هَذَا كُلُّهُ ، وَلَمْ يَنْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ بِالْكَلِيَّةِ . وَهَذَا مِنْ تَمَامِ الْمَعْجَزَةِ الْبَاهِرَةِ ، وَالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ أَنَّ هَذَا كُلُّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ عَنْ فَعْلِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَنَالُهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، وَلَا يَحْصُلُ هَذَا لِأَحَدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَفِي هَذَا أَدْلٌ دَلِيلٌ .

قال محمد بنُ إِسْحَاقَ^(٢) : فَرَجَعَ عَدُوُّ اللَّهِ فِرْعَوْنُ حِينَ آمَنَتِ السَّحَرَةُ مَغْلُوبًا مَقْلُوبًا ، ثُمَّ أَتَى إِلَّا الْإِقَامَةَ عَلَى الْكُفْرِ وَالتَّمَادِي فِي الشَّرِّ ، فَتَابَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْآيَاتِ ، فَأَخَذَهُ بِالسِّنِينَ ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الطُّوفَانَ^(٣) ، ثُمَّ الْجَرَادَ ، ثُمَّ الْقُمَّلَ ، ثُمَّ الضَّفَادِعَ ، ثُمَّ الدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَّلَاتٍ ؛ فَأَرْسَلَ الطُّوفَانَ^(٤) - وَهُوَ الْمَاءُ - فَفَاضَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، ثُمَّ رَكَدَ ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يَخْرُثُوا^(٥) وَلَا أَنْ يَعْمَلُوا شَيْئًا ، حَتَّى جُهِدُوا جُوعًا ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ ، ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤] . فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ ، فَكَشَفَهُ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَقُوا لَهُ بِشَيْءٍ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ ، فَأَكَلَ الشَّجَرَ ، فِيمَا بَلَغْنِي ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيَأْكُلُ مَسَامِيرَ الْأَبْوَابِ مِنَ الْحَدِيدِ ، حَتَّى تَقَعَ دَوْرُهُمْ وَمَسَاكِنُهُمْ ، فَقَالُوا مِثْلَ مَا قَالُوا ،^(٦) فَدَعَا رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ ، فَلَمْ يَقُوا لَهُ بِشَيْءٍ مِمَّا قَالُوا^(٧) ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقُمَّلَ ، فَذَكَرَ لِي أَنَّ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أُمِرَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى كَثِيبٍ حَتَّى يَضْرِبَهُ بِعَصَاهُ ، فَمَشَى إِلَى كَثِيبٍ أَهْيَلٍ عَظِيمٍ ، فَضْرَبَهُ بِهَا ، فَانْثَل

(١) عَيْبَطًا أَيْ طَرِيًّا .

(٢) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٣٧/٩ . وَالتَّفْسِيرُ ٤٦٢/٣ .

(٣ - ٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَالتَّبْرِيِّ ، وَالتَّفْسِيرِ . وَفِي بَاقِي النُّسخِ : «يَخْرُجُوا» .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلِ .

عليهم قُمْلًا ، حتى غلب على البيوت والأطعمة ، ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم ، قالوا له مثل ما قالوا له ، فدعا ربّه ، فكشف عنهم ، فلم يُفُوا له بشيءٍ ممّا قالوا ، فأرسل الله عليهم الضفادع ، فَمَلَأَتِ البيوت والأطعمة والآنية ، فلم يَكْشِفْ أحدٌ ثوبًا ولا طعامًا إلا وَجَد فيه الضفادع قد غلبت عليه ، فلما جهدهم ذلك ، قالوا له مثل ما قالوا ، فدعا ربّه ، فكشف عنهم ، فلم يُفُوا له^(١) بشيءٍ ممّا قالوا ، فأرسل الله عليهم الدَّم [١٦٤/١ ط] فصارت مياه آلِ فِرْعَوْنَ دَمًا ، لا يَسْتَقُونَ مِنْ بَئِرٍ ، ولا نَهْرٍ ولا^(٢) يَغْتَرِفُونَ مِنْ إِنَاءٍ ، إِلَّا عَادَ دَمًا عَيْيَطًا . وقال زيدُ ابنُ أسلم : المرادُ بالدَّم الرِّعَافُ . رواه ابنُ أبي حاتم^(٣) .

قال الله تعالى^(٤) : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آتَعْ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَمِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [١٢٤] فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿ ١٢٥ ﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿ ١٢٦ ﴾ [الأعراف : ١٣٤ - ١٣٦] . يُخْبِرُ تعالى ، عن كفرهم ، وعُتُوهم ، واستمرارهم على الضلال والجهل ، والاستكبار عن اتباع آيات الله ، وتصديق رسوله ، مع ما أُيِّد به من الآيات العظيمة الباهرة ، والحُجَجِ البليغة القاهرة ، التي أراهم الله إياها عيانًا ، وجعلها عليهم دليلًا وبُرهانًا ، وكلّما شاهدوا آية وعايئوها ، وجهَدَتْهم وأضنَّكَتهم ، حَلَفُوا وعَاهَدُوا موسى ؛ لَئِنْ كَشَفَ عنهم

(١) زيادة من : الأصل .

(٢) سقط من : ح ، م ، ص .

(٣) رواه ابن جرير ٣٩/٩ . وعزاه في الدر ١١٠/٣ إلى ابن أبي حاتم . وانظر التفسير ٤٦٣/٣ .

(٤) التفسير ٤٦٢/٣ ، ٤٦٣ .

هذه ، لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ، وَلِيُرْسِلُنَّ مَعَهُ مَنْ هُوَ مِنْ جِزْيِهِ ، فَكَلَّمَا رُفِعَتْ عَنْهُمْ تِلْكَ
الْآيَةُ ، عَادُوا إِلَى شَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ، وَلَمْ
يَلْتَفِتُوا إِلَيْهِ ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَى ، هِيَ أَشَدُّ مِمَّا كَانَتْ قَبْلَهَا وَأَقْوَى ،
فَيَقُولُونَ ، فَيَكْذِبُونَ . وَيَعْدُونَ وَلَا يَفُونَ ﴿٤٧﴾ لَيْسَ كَشَفَتْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٤٨﴾ فَيُكْشَفُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَذَابُ الْوَيْلُ .
ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى جَهْلِهِمُ الْعَرِضِ الطَّوِيلِ . هَذَا ، وَالْعَظِيمُ الْحَلِيمُ الْقَدِيرُ يُنْظِرُهُمْ
وَلَا يَعْجَلُ عَلَيْهِمْ ، وَيُؤَخِّرُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ بِالْعِيدِ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ - بَعْدَ إِقَامَةِ
الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِعْذَارِ ^(١) إِلَيْهِمْ - أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ، فَجَعَلَهُمْ عِبْرَةً ، وَنَكَالًا
وَسَلَفًا لِمَنْ أَشَبَّهُهُمْ مِنَ الْكَافِرِينَ ، وَمِثْلًا لِمَنْ اتَّعَظَ بِهِمْ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ .

وقال الله تبارك وتعالى ، وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ ، فِي سُورَةِ « حَم » وَالْكِتَابِ
الْمَبِينِ ^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٥٠﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ
آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا
يَتَّبِعُهُ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ
الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿٥٣﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوِيهِ الْيَتْسُ لِي
مُلْكٌ يَصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ
هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٥﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَهُ
مَعَهُ الْمَلَأَتُكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٦﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا [١٦٥/١] مَا سَفَوْنَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ

(١) فِي ح ، م : « الْإِنْدَار » .

(٢) التفسير ٢١٧/٧ - ٢١٩ .

﴿ ٥٥ ﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿ [الزخرف: ٤٦ - ٥٦] .

يَذْكُرُ تَعَالَى إِرْسَالَهُ عَبْدَهُ الْكَلِيمَ الْكَرِيمَ ^(١) ، إِلَى فِرْعَوْنَ الْخَسِيسِ اللَّئِيمِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَيْدَ رَسُولِهِ بِآيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ ، تَسْتَحِقُّ أَنْ تُقَابَلَ بِالتَّصَدِيقِ وَالتَّعْظِيمِ ، وَأَنْ يَزِيدُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ ، وَيَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فَإِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ، وَبِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ، وَعَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يَصُدُّونَ ، وَعَنِ الْحَقِّ يَحِيدُونَ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ تَتْرَى ، يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَكُلُّ آيَةٍ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ^(٢) الَّتِي تَتْلُوها ؛ لِأَنَّ الْمُؤَكَّدَ ^(٣) أُبْلَغُ مِمَّا قَبْلَهُ ، ﴿ وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿ ٤٨ ﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ ، لَمْ يَكُنْ لَفْظُ السَّاحِرِ فِي زَمَانِهِمْ نَقْصًا وَلَا عَيْبًا ؛ لِأَنَّ عُلَمَاءَهُمْ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، هُمُ السَّحَرَةُ ؛ وَلِهَذَا خَاطَبُوهُ بِهِ فِي حَالِ احتياجِهِمْ إِلَيْهِ ، وَضَرَّاعَتِهِمْ لَدَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ، ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ تَبَجُّحِ فِرْعَوْنَ بِمُلْكِهِ ، وَعَظَمَةِ بَلَدِهِ وَحُسْنِهَا ، وَتَخَرُّقِ الْأَنْهَارِ فِيهَا ، وَهِيَ الْخُلْجَانُ الَّتِي يَكْسِرُونَهَا أَمَامَ زِيَادَةِ النَّيْلِ ، ثُمَّ تَبَجَّحَ بِنَفْسِهِ وَجَلِيلَتِهِ ، وَأَخَذَ يَنْتَقِصُ رَسُولَ اللَّهِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَيَزِدُّرِيهِ بِكَوْنِهِ ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ ﴾ يَعْنِي كَلَامَهُ ، بِسَبَبِ مَا كَانَ فِي لِسَانِهِ مِنْ بَقِيَّةِ تِلْكَ اللَّتَعَةِ ، الَّتِي هِيَ شَرَفٌ لَهُ ، وَكَمَالٌ وَجَمَالٌ ، وَلَمْ تَكُنْ مَانِعَةً لَهُ أَنْ كُلِّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ التَّوْرَةَ عَلَيْهِ ، وَتَنَقَّصَهُ فِرْعَوْنُ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ، بِكَوْنِهِ لَا

(١) زيادة من : ح ، م .

(٢) زيادة من : الأصل .

(٣) في ح ، م ، ص : التوكيد .

أَسَاوَرَ فِي يَدَيْهِ^(١) وَلَا زِينَةَ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا ذَلِكَ مِنْ جِلْيَةِ النِّسَاءِ ، لَا يَلِيقُ بِشَهَامَةِ الرِّجَالِ ، فَكَيْفَ بِالرُّسُلِ الَّذِينَ هُمْ أَكْمَلُ عَقْلًا ، وَأَتَمُّ مَعْرِفَةً ، وَأَعْلَى هِمَّةً ، وَأَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَعْلَمُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي الْآخِرَى . وَقَوْلُهُ : ﴿ أَوْ جَلَّةَ مَعَهُ الْمَلَكُوتُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ لَا يَحْتَاجُ الْأَمْرُ إِلَى ذَلِكَ ، إِنْ كَانَ الْمُرَادُ أَنْ تَعْظُمَ الْمَلَائِكَةُ . فَاَلْمَلَائِكَةُ يُعْظَمُونَ وَيَتَوَاضَعُونَ لِمَنْ هُوَ دُونَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِكَثِيرٍ ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَضَعُ »^(٢) . فَكَيْفَ يَكُونُ تَوَاضُعُهُمْ وَتَعْظِيمُهُمْ لِمُوسَى الْكَالِمِ ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ وَالتَّكْرِيمُ ؟ وَإِنْ كَانَ^(٣) الْمُرَادُ شَهَادَتَهُمْ لَهُ بِالرُّسَالَةِ ، فَقَدْ أُثْبِتَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ بِمَا يَدُلُّ قِطْعًا لَذَوِي الْأَبَابِ ، وَلِمَنْ قَصَدَ إِلَى الْحَقِّ وَالصُّوَابِ ، وَيَعْمَى عَمَّا جَاءَ بِهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ الْوَاضِحَاتِ ، مَنْ نَظَرَ إِلَى الْقُشُورِ ، وَتَرَكَ لُبَّ اللَّبَابِ ، وَطَبَعَ عَلَى قَلْبِهِ رَبُّ الْأَرْبَابِ ، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِمَا فِيهِ [١٦٥/١ ظ] مِنَ الشُّكِّ وَالِازْتِيَابِ ، كَمَا هُوَ حَالُ فِرْعَوْنَ الْقِبْطِيِّ الْعَمِيِّ الْكَذَّابِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ أَيِ ؛ اسْتَخَفَّ عَقُولَهُمْ ، وَدَرَجَهُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، إِلَى أَنْ صَدَّقُوهُ فِي دَعْوَاهِ الرُّبُوبِيَّةِ ، لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَبَّحَهُمْ ، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴾ . ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا ﴾ أَيِ ؛ أَغْضَبُونَا ؛ ﴿ أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أَيِ ؛ بِالْفَرْقِ ، وَالْإِهَانَةِ ، وَسَلْبِ الْعِزِّ ، وَالتَّبَدُّلِ بِالذُّلِّ وَبِالْعَذَابِ بَعْدَ النُّعْمَةِ ، وَالهَوَانِ بَعْدَ الرَّفَاهِيَّةِ ، وَالتَّارِ بَعْدَ طَيْبِ الْعَيْشِ ، عِيَاذًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنْ ذَلِكَ ، ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا ﴾ أَيِ ؛ لِمَنِ اتَّبَعَهُمْ فِي الصِّفَاتِ ، ﴿ وَمَثَلًا ﴾ أَيِ ؛ لِمَنِ اتَّعَظَ بِهِمْ ، وَخَافَ مِنْ وَبِيلِ

(١) فِي ح ، م ، ص : « يَدَيْهِ » .

(٢) تَقْدِمُ تَخْرِيجُهُ ١٢٤/١ .

(٣) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ ، ح : « لَمَّا » .

مَضْرَعِهِمْ، مِمَّنْ بَلَغَهُ جَلِيلُهُ خَبَرَهُمْ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١): ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِآيَاتِهَا أَلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى التَّكَاثُرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٣١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٣٢﴾ [القصاص: ٣٦ - ٤٢].

يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَكْبَرُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَادَّعَى مَلِكُهُمُ الْبَاطِلَ، وَوَأَفْقُوهُ عَلَيْهِ، وَأَطَاعُوهُ فِيهِ، اسْتَدَّ غَضَبُ الرَّبِّ الْقَدِيرِ الْعَزِيزِ، الَّذِي لَا يُغَالَبُ وَلَا يُمَانَعُ، عَلَيْهِمْ، فَانْتَقَمَ مِنْهُمْ أَشَدَّ الْإِنْتِقَامِ، وَأَغْرَقَهُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي صَبِيحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَلَمْ يَتَّقَ مِنْهُمْ دَيَّارٌ، بَلْ كُلُّ قَدْ غَرِقَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ لَعْنَةً بَيْنَ الْعَالَمِينَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَتَّبَعُونَ الرُّفْدَ الْمَرْفُودَ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ.

ذَكَرُ^(١) هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ

لَمَّا تَمَادَى قَيْطُ مِصْرَ عَلَى كَفْرِهِمْ، وَغَتُّوهُمْ، وَعَنَادِهِمْ، مُتَابِعَةً لِمَلِكِهِمْ
فِرْعَوْنَ، وَمُخَالَفَةً لِنَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَلِيمِهِ، مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ،
وَأَقَامَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ مِصْرَ الْحُجَجَ الْعَظِيمَةَ الْقَاهِرَةَ، وَأَرَاهُمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ
مَا بَهَرَ الْأَبْصَارَ وَحَيَّرَ الْعُقُولَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَزْعَوُونَ، وَلَا يَنْتَهُونَ، وَلَا
يَنْزِعُونَ^(٢)، وَلَا يَزْجِعُونَ، وَلَمْ يُؤْمَرْ [١٦٦/١] مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ، قِيلَ: ثَلَاثَةٌ؛
وَهُمْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ، وَلَا عِلْمَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ بِخَبَرِهَا، وَمَوْمِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، الَّذِي
تَقَدَّمَ حِكَايَةُ مَوْعِظَتِهِ، وَمَشُورَتِهِ، وَحُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَالرَّجُلُ النَّاصِحُ، الَّذِي جَاءَ
يَسْعَى مِنَ أَقْصَى الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: ﴿يَمْوَسَّى ابْنُكَ أَلَمَلًا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ
فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْهُ^(٣).
وَمُرَادُهُ غَيْرُ السَّحَرَةِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْقَيْطِ. وَقِيلَ: بَلْ آمَنَ بِهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْقَيْطِ
مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَالسَّحَرَةُ كُلُّهُمْ، وَجَمِيعُ شُعْبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَبَدُلَ عَلَى هَذَا
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَقْنُنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾
[يونس: ٨٣]. فَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ عَائِدٌ عَلَى فِرْعَوْنَ؛

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) في الأصل: «يقترعون». وفي ١: «يفزعون».

(٣) تقدم تخريجه في ص ٨٤.

لأنَّ السِّياقَ يدلُّ عليه . وقيل : على موسى ؛ لقُرْبِهِ . والأوَّلُ أَظْهَرُ ، كما هو مُقَرَّرٌ في «التفسير»^(١) . وإيمانُهم كان خُفِيَّةً ؛ لَخَافَتِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَسَطَوْتِهِ ، وَجَبَرُوتِهِ وَسُلْطَتِهِ ، وَمِنْ مَلَأِهِمْ أَنْ يَنْهَوْا عَلَيْهِمْ إِلَيْهِ ، فَيَفْتِنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ، قال الله تعالى ، مُخْبِرًا عَنْ فِرْعَوْنَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ﴾ . أَيْ ؛ جَبَّارٌ ، عَنِيدٌ ، مُسْتَعْلٍ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، ﴿ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ أَيْ ؛ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ وَشُئُونِهِ وَأَحْوَالِهِ ، وَلَكِنَّهُ جُرْؤُومَةٌ قَدْ حَانَ انْجِعَافُهَا ، وَثَمَرَةٌ خَبِيْثَةٌ قَدْ آنَ قِطَافُهَا ، وَمُهِجَةٌ مَلْعُونَةٌ قَدْ حُتِمَ إِثْلَافُهَا . وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنُتُمْ بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿ [يونس : ٨٤ - ٨٦] . يَأْمُرُهُم بِالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ وَالِاتِّجَاءِ إِلَيْهِ ، فَاتَّمَرُوا بِذَلِكَ ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ فَرَجًا وَمَخْرَجًا . ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِوْتَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ هَارُونَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، أَنْ يَتَّخِذَا لِقَوْمِهِمَا بُيُوتًا مُتَمَيِّزَةً فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنْ بُيُوتِ الْقَبِيلِ ؛ لِيَكُونُوا عَلَى أَهْبَةِ مِنَ الرَّحِيلِ ، إِذَا أُمِرُوا بِهِ ، لِيَعْرِفَ بَعْضُهُمْ بُيُوتَ بَعْضٍ . وَقَوْلُهُ^(٢) : ﴿ وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ قِيلَ : مَسَاجِدَ . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ كَثْرَةُ الصَّلَاةِ فِيهَا . قَالَهُ مُجَاهِدٌ ، وَأَبُو مَالِكٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ ، وَالزَّيْبِيُّ ، وَالضَّحَّاكُ ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ ، وَابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَغَيْرُهُمْ^(٤) .

(١) التفسير ٢٢٢/٤ ، ٢٢٣ .

(٢) التفسير ٢٢٣/٤ ، ٢٢٤ .

(٣) التفسير ٢٢٤/٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري ١١/١٥٣ - ١٥٥ . والتفسير ٢٢٤/٤ .

ومعناه على هذا، الاستعانة على ما هم فيه من الضّر، والشّدّة، والضّيق، بكثرة الصّلاة؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صَلَّى^(١). وقيل: معناه أنهم لم يكوّنوا حينئذٍ يقدّرون على إظهار عبادتهم في مجتمعاتهم، ومعابدهم، فأمرّوا أن يُصلّوا في بيوتهم، عوضاً عما فاتهم من إظهار شِعَارِ الدّين الحقّ في ذلك الزّمان، الذي اقتضى حالهم إخفاءه؛ خوفاً من فزعونٍ ومأثمٍ. والمعنى الأول أقوى؛ لقوله: ﴿وَيَنْشِرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وإن كان لا ينافي الثّاني أيضاً، واللّهُ أعلم. وقال سعيد بن جبير^(٢)، ﴿وَجَعَلُوا يَوْمَنَكُمْ قِتْلَةً﴾ أى: متقابلة.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) [يونس: ٨٨، ٨٩]. هذه دعوة عظيمة، دعا بها كليّم اللّهِ موسى، على عدوّ اللّهِ فزعون؛ غضباً للهِ عليه، لتكثيره عن اتّباع الحقّ، وصدّه عن سبيل اللّهِ، ومعاندته، وعُتُوّه، وتمرّده، واستمراره على الباطل، ومكابرته الحقّ الواضح الجليّ الحسيّ والمعنويّ، والبرهان القطعيّ، فقال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ﴾ يعنى: قومه من القبط، ومن كان على ملّته، ودانَ بدينه ﴿زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ

(١) رواه أبو داود (١٣١٩) من حديث حذيفة. حديث حسن (صحيح أبى داود ١١٧١).

(٢) تفسير الطبرى ١١/١٥٥. والتفسير ٤/٢٢٤.

(٣) التفسير ٤/٢٢٥، ٢٢٦.

سَبِيلِكَ ﴿١﴾ أى ؛ وهذا يَغْتَرُّ به مَنْ يُعْظَمُ أَمْرُ الدُّنْيَا ، فَيُخَسِّبُ الْجَاهِلُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ؛ لَكُونِ هَذِهِ الْأَمْوَالُ ^(١) ، وَهَذِهِ الزَّيْنَةُ ؛ مِنَ اللَّبَاسِ ، وَالْمَرَائِبِ الْحَسَنَةِ الْهَيِّئَةِ ، وَالذُّوْرِ الْأَنِيقَةِ ، وَالْقُصُورِ الْمُنَبِّئَةِ ، وَالْمَآكِلِ الشَّهِيَّةِ ، وَالْمَنَاظِرِ الْبَهِيَّةِ ، وَالْمُلُوكِ الْعَزِيزِ ، وَالتَّمَكِّينِ ، وَالْجَاهِ الْعَرِيضِ ، فِي الدُّنْيَا لَا الدِّينِ ، ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٌ . أَيْ ؛ أَهْلِكْهَا . وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ ، وَالزَّيْبُغِيُّ بْنُ أَنَسٍ ، وَالضُّحَّاكُ : اجْعَلْهَا حِجَارَةً مَنْقُوشَةً كَهَيْئَةِ مَا كَانَتْ . وَقَالَ قَتَادَةُ : بَلَّغْنَا أَنَّ زُرُوعَهُمْ صَارَتْ حِجَارَةً . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : جَعَلَ سُكَّرَهُمْ حِجَارَةً ^(٢) . وَقَالَ أَيْضًا : صَارَتْ أَمْوَالُهُمْ كُلُّهَا حِجَارَةً . ذَكَرَ ذَلِكَ لَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِفُلَاحٍ لَهُ : أَتَيْتَنِي بِكَيْسٍ . فَجَاءَهُ بِكَيْسٍ ، فَإِذَا فِيهِ حِمَصٌ وَيَيْضٌ ^(٣) قَدْ قُطِعَ ^(٤) ، قَدْ حُوِّلَ حِجَارَةً . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(٥) . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَيْ ؛ أَطْبَعَ عَلَيْهَا . وَهَذِهِ دَعْوَةٌ غَضَبٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِدِينِهِ ، وَلِبِرَاهِينِهِ ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا ، وَحَقَّقَهَا ، وَتَقَبَّلَهَا ؛ كَمَا اسْتَجَابَ لَنُوحٍ فِي قَوْمِهِ ، حَيْثُ قَالَ [١٦٧/١] : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿ ٢٦ ﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦ ، ٢٧] . وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى ، مُخَاطِبًا لِمُوسَى ، حِينَ دَعَا عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، وَأَمَّنَ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَى دَعَائِهِ ، فَتَزَلَّ ذَلِكَ مَنْزِلَةَ الدَّاعِي أَيْضًا : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ

(١) فى الأصل : «الأمور» .

(٢) انظر هذه الأقوال فى تفسير الطبرى ١٩/١٥٧ ، ١٥٨ . والتفسير ٤/٢٢٥ . والدر المنثور ٣/٣١٥ .

(٣ - ٣) سقط من : م ، ص .

(٤) ذكره فى الدر المنثور ٣/٣١٥ وعزاه لابن أبى حاتم من حديث محمد بن كعب القرظى . وانظر

التفسير ٤/٢٢٥ .

دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب: استأذن بنو إسرائيل فرعون، في الخروج إلى عييد لهم، فأذن لهم وهو كاره، ولكنهم تجهّزوا للخروج، وتأهبوا له، وأما كان في نفس الأمر مكيّدةً بفرعون وجنوده؛ ليتخلّصوا منهم، ويخرجوا عنهم، وأمرهم الله تعالى - فيما ذكره أهل الكتاب - أَنْ يَسْتَعِيرُوا حُلِيًّا مِنْهُمْ، فأعاروهم شيئاً كثيراً، فخرجوا بليل، فساووا مستمرّين ذاهبين من قورهم، طالين بلاد الشام، فلما علم بذهابهم فرعون، حنق عليهم كل الحنق، واشتد غضبه عليهم، وشرع في استحثاث جيشه، وجمع جنوده ليحقّقهم، ويحقّقهم، قال الله تعالى^(١): ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ فَتُتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَلَائِكَةِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَافُطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْفَقْنَاهَا بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَجْبَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ الشراء: ٥٢ - ٦٨. قال علماء التفسير^(٢): لَمَّا رَكِبَ فِرْعَوْنُ فِي جُنُودِهِ، طَالِبًا بَنَى إِسْرَءِيلَ، يَفْقُو أَثَرَهُمْ، كَانَ فِي جَيْشٍ كَثِيفٍ عَزْمَرَمٍ^(٣)،

(١) التفسير ١٥١/٦ - ١٥٥.

(٢) انظر تفسير الطبري ٧٤/١٩ وما بعدها. قصص الأنبياء للشعلي ص ١٧٣، ١٧٤. التفسير ٦/

١٥٣. الدر المنثور ٨٤/٥، ٨٥.

(٣) جيش عزم: كثير. الوسيط (ع ر م).

حتى قيل : كان فى خيوله مائة ألف فخل اذهم . وكانت عدة جنوده تزيد على ألف ألف ، وستمائة ألف . فالله أعلم . وقيل : إن بنى إسرائيل كانوا نحوًا من ستمائة ألف مقاتل غير الذرية ، وكان بين خروجهم من مصر ضعبة موسى ، عليه السلام ، ودخولهم إليها ضعبة أيهم إسرائيل ، أربعمائة سنة وست وعشرون سنة شمسية^(١) .

والمقصود أن فزعون لحقهم بالجنود ، فأدركهم عند شروق الشمس ، وتراعى الجمعان ، [١٦٧/١ ط] ولم يبق ثم رتب ، ولا لبس ، وعان كل من الفريقين صاحبه ، وتحققه ورآه ، ولم يبق إلا المقاتلة ، والمجاوله^(٢) ، والمحاماة ، فعندها قال أصحاب موسى ، وهم خائفون : ﴿ إِنَّا لَمَذْكُونَ ﴾ وذلك لأنهم اضطروا فى طريقهم إلى البحر ، فليس لهم طريق ولا مخرج إلا سلوكه وخوضه ، وهذا ما لا يشتطيه أحد ، ولا يقدر عليه ، والجبال عن يشرتهم ، وعن أيانهم ، وهى شاهقة منيفة ، وفزعون قد غالقهم وواجههم ، وعانيوه فى جنوده وجيوشه وعدده وعدده ، وهم منه^(٣) فى غاية الخوف والذعر ، لما قاسوا فى سلطانه من الإهانة والذكور ، فشكوا إلى نبي الله ما هم فيه ، بما قد شاهدوه وعانيوه ، فقال لهم الرسول الصادق المصدوق : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ . وكان فى الساقة ، فتقدم إلى المقدمة ، ونظر إلى البحر ، وهو يتلاطم بأواجه ، ويتزايد زبد أواجه ، وهو يقول : ههنا أمزت . ومعه أخوه هارون ؛ ويوشع بن نون ، وهو يومئذ من سادات بنى إسرائيل ، وعلمائهم ،

(١) انظر ما تقدم ٤٩٩/١ ، ٥٠٠ .

(٢) فى الأصل ، م : « المجادلة » . وفى ص : « المحاولة » .

(٣) فى الأصل : « منهم » .

وَعُجْبَادِهِمُ الْكِبَارِ، وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَمَا سَنَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَعَهُمْ أَيْضًا مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ، وَهُمْ وَقُوفٌ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ بِكَمَالِهِمْ عَلَيْهِمْ عُكُوفٌ. وَيُقَالُ: إِنْ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ جَعَلَ يَفْتَحُجُمَ بِفَرْسِهِ مِرَارًا فِي الْبَحْرِ، هَلْ يُمْكِنُ سُلُوكُهُ؟ فَلَا يُمْكِنُ، وَيَقُولُ لِمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَهْهْنَا أُمِرْتُ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَلَمَّا تَفَاقَمَ الْأَمْرُ، وَضَاقَ الْحَالُ، وَاشْتَدَّ الْأَمْرُ، وَاقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ وَجَنُودُهُ فِي جِدِّهِمْ، وَخَدَّهِمْ وَخَدِيدِهِمْ، وَغَضَبِهِمْ، وَخَنَقِهِمْ، وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَوْحَى الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ، رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ إِلَى مُوسَى الْكَلِيمِ: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾. فَلَمَّا ضَرَبَهُ، يُقَالُ: إِنَّهُ قَالَ لَهُ: انْفَلِقْ يَا ذِي اللَّهِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَنَاهُ بِأَبِي خَالِدٍ^(١). فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٢). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾. وَيُقَالُ: إِنَّهُ انْفَلَقَ اثْنِي عَشَرَ طَرِيقًا، لِكُلِّ سَبْطٍ طَرِيقٌ يَتَّبِعُونَ فِيهِ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ صَارَ أَيْضًا شَبَابِيكَ؛ لِيَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ لِأَنَّ الْمَاءَ جِزْمٌ شَقَاقٌ، إِذَا كَانَ مِنْ وَرَائِهِ ضِيَاءٌ حَكَاهُ. وَهَكَذَا كَانَ مَاءُ الْبَحْرِ قَائِمًا مِثْلَ الْجِبَالِ، مَكْفُوفًا بِالْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الَّذِي [١٦٨/١] يَقُولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ. فَيَكُونُ. وَأَمَرَ اللَّهُ رِيحَ الدُّبُورِ، فَلَفَحَتْ^(٣) حَالَ^(٤) الْبَحْرِ، فَأَذْهَبَتْهُ حَتَّى صَارَ يَابِسًا لَا يَغْلُقُ فِي سَنَابِكِ الْخَيُْولِ وَالذُّوَابِ.

(١) فِي ح، م، ص: «خالد».

(٢) انظر تاريخ الطبري ١/٤١٣ - ٤١٥. قصص الأنبياء للثعلبي ص ١٧٥. التفسير ٦/١٥٣، ١٥٤.

(٣) فِي ح، م: «فلححت». وَفِي ص: «فلحقت».

(٤) فِي ص: «جبال». وَالْحَالُ: الطين الأسود.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۖ ﴿٧٧﴾ فَأَتَيْنَهُمُ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ
فَغَشَّيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ ۖ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ ﴿٧٩﴾ ۝
والمقصود أنه لما آل أمر البحر إلى هذه الحال ، يأذن الرب العظيم الشديد
الحال ، أمير موسى ، عليه السلام ، أن يجوزه ببني إسرائيل ، فأنحدروا فيه مُسْرِعِينَ ،
مُسْتَبْشِرِينَ ، مُبَادِرِينَ ، وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يُحَيِّرُ الناظرين ، ويَهْدِي
قلوب المؤمنين ، فلما جاوزوه ، وبجأوه وخرج آخرهم منه ، وانفصلوا عنه ، كان
ذلك عند قدوم أول جيش فِرْعَوْنَ إليه ، ووفودهم عليه ، فأراد موسى ، عليه
السلام ، أن يضرب البحر بعصاه ، لِيُزْجَعَ كما كان عليه ؛ لِقَلَّا يكون لِفِرْعَوْنَ
وجنوده وصول إليه ، ولا سبيل عليه ، فأمره القدير ذو الجلال ، أن يترك البحر على
هذه الحال ، كما قال ، وهو الصادق في المقال ^(٢) .

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ
عِبَادِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ
﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ
أَنْ هَئُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرَكَ الْبَحْرَ
رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ
﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ
عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ

(١) التفسير ٣٠٠/٥ ، ٣٠١ .

(٢) التفسير ٢٣٧/٧ - ٢٤١ .

الْمُهِنِ ﴿٢١﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ وَأَعْيَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٢٤﴾ [الدخان: ١٧-٢٣]. فقولُه تعالى: ﴿وَأَتْرَكُ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ ﴿٢٤﴾ أى؛ ساكنًا على هيئته، لا تغيّره عن هذه الصّفة. قاله عبدُ الله بنُ عباس، ومُجاهدٌ، وعِكرمةُ، والزّبيعُ، والضّحّاكُ، وقتادةُ، وكعبُ الأحبار، وسماكُ بنُ حَرْبٍ، وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ زَيْدٍ بنِ أسلمَ، وغيرُهم^(١). فلمّا تَرَكَه على هيئته وحالته، وانتهى فِرْعَوْنُ، فرأى ما رَأَى، وعائِنَ ما عَائِنَ، هالَه هذا المنظرُ العظيمُ، [١٦٨/١ ط] وتحقّق ما كان يتحقّقه قبلَ ذلك، مِنْ أَنَّ هذا مِنْ فِعْلِ رَبِّ العرشِ الكريمِ، فأَحْجَمَ ولم يتقدّم، ونَدِمَ فى نَفْسِه على خروجه فى طلبهم، والحالَةُ هذه، حيثُ لا يَنْفَعُه التَّدَمُّ، لكنّه أظهرَ لجنوده تجلُّدًا، وعاملهم معاملَةً العِدا، وحملته التَّقْسُ الكافرة، والسَّجِيَّةُ الفاجرة، على أَنَّ قالَ لِمَنْ استخفَّهم فأطاعوه، وعلى باطله تابِعوه^(٢): انظُرُوا كيف انحسَرَ البحرُ لى؛ لأدركَ عبيدى الآيقين مِنْ يَدِي، الخارجينَ عن طاعتي وبلدي؟ وجعلَ يُورى فى نَفْسِه أَنْ يَذْهَبَ خلْفهم، ويَرْجُو^(٣) أَنْ يَنْجُو، وهيهاتَ، ويُقدِّمُ تارةً، ويُحْجِمُ تارَةً. فذَكَرُوا أَنَّ جبريلَ، عليه السّلامُ، تَبَدَّى فى صورةِ فارسٍ، راكِبٍ على رَمَكَةٍ حائِلٍ^(٤)، فمرَّ بَيْنَ يَدَي فَحْلِ فرعونَ، لَعَنَهُ اللَّهُ، فحَمَحَمَ إليها، وأَقْبَلَ عليها، وأَسْرَعَ جبريلُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فاقتَحَمَ البحرَ، واستَبَقَ الجَوَادَ، وقد أجَادَ، فبادَرَ مُسرِعًا، هذا وفرعونُ لا يَمْلِكُ

(١) انظر تفسير الطبرى ١٢١/٢٥، ١٢٢. والتفسير ٢٣٨/٧.

(٢) فى الأصل، ص: «بايعوه».

(٣) فى الأصل: «يجوز». وفى ح: «يجور».

(٤) رَمَكَةٌ حائِل: فرس أنثى مشتهة غير حامل.

مِنْ نَفْسِهِ ^(١) وَلَا لِنَفْسِهِ ^(٢) ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْجُنُودُ قَدْ سَلَكَ الْبَحْرَ،
 افْتَحَمُوا وَرَاءَهُ مُشْرِعِينَ، فَحَصَلُوا فِي الْبَحْرِ أَجْمَعِينَ أَكْتَبِعِينَ أَبْصَعِينَ، حَتَّى هَمَّ
 أُولَهُمْ بِالْخُرُوجِ مِنْهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى كَلِيمَهُ ﷺ فِيمَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ، أَنْ
 يُضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ، فَضْرَبَهُ، فَارْتَطَمَ ^(٣) عَلَيْهِمُ الْبَحْرُ كَمَا كَانَ، فَلَمْ يَنْجُ
 مِنْهُمْ إِنْسَانٌ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ١٥﴾ ثُمَّ أَخْرَقْنَا
 الْآخَرِينَ ١٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ أَى فِى إِنْجَائِهِ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَمْ يَغْرُقْ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَإِغْرَاقَهُ أَعْدَاءَهُ،
 فَلَمْ يَخْلُصْ مِنْهُمْ أَحَدًا، آيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَبِرْهَانٍ قَاطِعٍ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى الْعَظِيمَةِ،
 وَصِدْقِ رَسُولِهِ فِيمَا جَاءَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْكَرِيمَةِ، وَالْمَنَاجِجِ الْمُسْتَقِيمَةِ.

وَقَالَ تَعَالَى ^(٤): ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ
 بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى ءَامَنْتُ
 بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩١﴾ ءَالَتْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
 الْمُفْسِدِينَ ٩٢ فَأَلْوَمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا لِنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
 النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَفَافِلُونَ ﴿ [يونس: ٩٠ - ٩٢]. يُخْبِرُ تَعَالَى، عَنْ كَيْفِيَةِ غَرَقِ
 فِرْعَوْنَ، زَعِيمِ كَفَرَةِ الْقَبِيضِ، وَأَنَّهُ لَمَّا جَعَلَتِ الْأَمْوَاجُ تُخْفِضُهُ تَارَةً، وَتَرْفَعُهُ
 أُخْرَى، وَبَنُو إِسْرَءِيلَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَإِلَى جُنُودِهِ، مَاذَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِ وَبِهِمْ مِنَ
 الْبَاسِ الْعَظِيمِ، وَالْخَطْبِ الْجَسِيمِ، لِيَكُونَ أَقْرَ لَأَعْيُنِ بَنِي إِسْرَءِيلَ، وَأَشْفَى
 لِنَفْسِهِمْ، فَلَمَّا عَايَنَ فِرْعَوْنُ الْهَلَكَةَ [١٦٩/١]، وَأُحِيطَ بِهِ، وَبَاشَرَ سَكَرَاتِ

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

(٢) فى الأصل: «فانتظم».

(٣) التفسير ٢٢٦/٤ - ٢٢٩.

الموت ، أناب حينئذ ، وتاب ، وآمن حين لا ينفع نفساً إيمانها ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٩٧] . وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۝ ﴾ [٨٤] . فلتربك ينفعهم إيمانهم لما رَأَوْا بَأْسًا . سَلَّمَ اللَّهُ أَلْقَى قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿ [غافر : ٨٤ ، ٨٥] .

وهكذا دعا موسى على فيزعون وملئيه ، أَنْ يُطَمَسَ على أموالهم ، ويُشَدَّدَ على قلوبهم ، ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ أى ؛ حين لا ينفعهم ذلك ، ويكون حشرة عليهم ، وقد قال تعالى لهما ؛ أى لموسى وهارون ، حين دَعَا بهذا : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا ﴾ . فهذا من إجابة الله تعالى دَعْوَةَ كليهما وأخيه هارون ، عليهما السلام .

ومن ذلك ، الحديث الذى رواه الإمام أحمد^(١) : حدثنا سليمان بن حَرْبٍ ، حدثنا حماد بن سَلَمَةَ ، عن علي بن زَيْدٍ ، عن يوسف بن مِهْرَانَ ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ : ﴿ ءَاَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَاَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ ﴾ » قال : « قَالَ لِي جِبْرِيلُ : لَوْ رَأَيْتَنِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ قَدْ سَسِثْتُ فِي فِيهِ ، مَخَافَةً أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ » . ورواه الترمذى ، وابن جرير ، وابن أبى حاتم ، عند هذه الآية ، من حديث حماد بن سَلَمَةَ^(٢) . وقال الترمذى : حديث حسن .

(١) أحمد فى المسند ٣٠٩/١ . (إسناده صحيح) .

(٢) الترمذى (٣١٠٧) ، تفسير الطبرى ١١/١٦٣ . وعزاه فى الدر المنثور ٣/٣١٥ إلى ابن أبى حاتم . (صحيح الترمذى ٢٤٨٣) .

وقال أبو داود الطيالسي^(١) : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ لِي جَبْرِيلُ : لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخِذٌ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُّشُهُ فِي قِمٍ فِرْعَوْنَ ؛ مَخَافَةً أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ »^(٢) . وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ . وَأَشَارَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي رَوَايَةٍ إِلَى وَقْفِهِ^(٣) .

وقال ابنُ أبي حاتم^(٤) : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعُ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ الْأَحْمَرُ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَعْلَى الثَّقَفِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ ، أَشَارَ بِأَصْبُعِهِ ، وَرَفَعَ صَوْتَهُ : ﴿ ءَامَنْتُ أَنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ . قَالَ : فَخَافَ جَبْرِيلُ أَنْ تَسْبِقَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِيهِ غَضَبَهُ ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ الْحَالَ بِجَنَاحَيْهِ ، فَيَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهُ فَيَرْمِيهِ . وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي [١٦٩/١ ظ] خَالِدٍ بِهِ . وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، مِنْ طَرِيقٍ كَثِيرٍ بِنِ زَادَانَ ، وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ^(٥) ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ لِي جَبْرِيلُ : يَا مُحَمَّدُ ، لَوْ رَأَيْتَنِي ، وَأَنَا أَعْطُهُ ، وَأَدُّسُ مِنَ الْحَالِ فِي فِيهِ ، مَخَافَةً أَنْ تُدْرِكَهُ رَحْمَةُ اللَّهِ ؛ فَيَغْفِرَ لَهُ »^(٦) . يَغْنَى

(١) مسند أبي داود الطيالسي (٢٦١٨) .

(٢) في ح ، م ، ص : « يناله » .

(٣) الترمذى (٣١٠٨) وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه . ابن جرير في التفسير ١٦٣/١١

مرفوعاً ، ١٦٤/١١ موقوفاً . (صحيح الترمذى ٢٤٨٤) .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر ٣١٥/٣ وعزاه إلى ابن أبي حاتم مطولاً .

(٥) فى الأصل : « ابن » .

(٦) بعده فى الأصل ، م ، ص : « و » . وهو خطأ .

(٧) ابن جرير فى تفسيره ١٦٤/١١ من حديث أبى خالد الأحمر به مختصراً ، وفى ١٦٣/١١ من طريق

كثير بن زاذان عن أبى حازم عن أبى هريرة .

فِرْعَوْنَ . وقد أُرْسِلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ؛ كإِبْرَاهِيمَ النَّبِيِّ ، وَقَتَادَةَ ، وَمَيْمُونِ ابْنِ مِهْرَانَ ، وَيُقَالُ : إِنَّ الصُّحَاكَ بْنَ قَيْسٍ خَطَبَ بِهِ النَّاسَ ^(١) . وفى بعض الروايات : « إِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ : مَا بَغَضْتُ أَحَدًا بُغْضِي لِفِرْعَوْنَ ، حِينَ قَالَ : أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى . وَلَقَدْ جَعَلْتُ أَدُسُّ فِيهِ الطُّيْنَ حِينَ قَالَ مَا قَالَ » . وقوله تعالى : ﴿ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ استفهام إنكار ، ونص على عدم قبوله تعالى منه ؛ ذلك لأنه ، والله أعلم ، لو رُدَّ إلى الدنيا كما كان ، لَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، كما أَخْبَرَ تعالى عن الكفار ، إِذَا عَايَنُوا النَّارَ وشاهدوها ، أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : ﴿ يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] . قال الله : ﴿ بَلْ بَدَأْتُمْ مَّا كَانُوا يَخْشَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٨] . وقوله : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾ قال ابن عباس ، وغير واحد : شَكَّ بعضُ بنى إِسْرَائِيلَ فى مَوْتِ فِرْعَوْنَ ، حتى قال بعضهم : إِنَّهُ لَا يَمُوتُ . فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرَ ، فَرَفَعَهُ عَلَى مُرْتَفِعٍ - قِيلَ : عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ . وقيل : عَلَى نَجْوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ - وعليه دِرْعُهُ الَّتِي يَعْرِفُونَهَا مِنْ مَلَابِسِهِ ؛ لِيَتَحَقَّقُوا بِذَلِكَ هَلَاكُهُ ، وَيَعْلَمُوا قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ أى ؛ مُصَاحِبًا دِرْعَكَ الْمَعْرُوفَةَ بِكَ ﴿ لَتَكُونَ ﴾ أى ؛ أَنْتَ آيَةٌ ﴿ لِمَنْ خَلَقَكَ ﴾ أى ؛ مِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ ، دَلِيلًا عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ الَّذِي أَهْلَكَهُ . وَلِهَذَا قَرَأَ بعضُ السَّلَفِ : (لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) ^(٢) . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ : نُنَجِّيكَ مُصَاحِبًا دِرْعَكَ ^(٣) ؛ لِيَكُونَ دِرْعُكَ عِلَامَةً لِمَنْ

(١) تفسير الطبري ١١/١٦٣ ، ١٦٤ . والتفسير ٤/٢٢٨ .

(٢) انظر القرطبي ٨/٣٨١ .

(٣) سقط من : م ، ص .

وراءك من بنى إسرائيل، على معرفتك، وأنتك هلكت، واللّه أعلم. وقد كان هلاكه وجنوده فى يوم عاشوراء.

كما قال الإمام البخارى فى « صحيحه »^(١) : حدثنا محمد بن بشار^(٢) ، حدثنا غنّدر ، حدثنا شُعْبَةُ ، عن أبى^(٣) بشر ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ ، وَالْيَهُودُ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، فَقَالُوا : هَذَا يَوْمٌ ظَهَرَ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ . قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْهُمْ فَصُومُوا » . وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » وَغَيْرِهِمَا^(٤) . وَاللّهُ أَعْلَمُ . [١٧٠ / ١] .

(١) البخارى (٤٦٨٠) .

(٢) فى الأصل : « يسار » . وانظر ترجمته فى تهذيب التهذيب ٧٠ / ٩ .

(٣) فى الأصل : « ابن » .

(٤) البخارى (٢٠٠٤ ، ٣٣٩٧ ، ٣٩٤٣ ، ٤٧٣٧) . مسلم (١١٣٠) . والنسائى فى الكبرى

(٢٨٣٤ ، ٢٨٣٥) . ابن ماجه (١٧٣٤) .

فصل فيما كان من

أمر بني إسرائيل بعد هلاك فرعون

قال الله تعالى ^(١) : ﴿ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [١٢٦] وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا أَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [١٢٧] وَجَنَوْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَمْكُنُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [١٢٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَنَطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٢٩] قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [١٣٠] وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿ [الأعراف: ١٣٦ - ١٤١] . يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ ، فِي غَرْفِهِمْ ، وَكَيْفَ سَلَبَهُمْ عِزَّهُمْ ، وَمَالَهُمْ ، وَأَنْفُسَهُمْ ، وَأَوْزَنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ أَمْوَالِهِمْ وَأَمْلاَكِهِمْ ، كَمَا قَالَ : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْزَنْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩] . وَقَالَ : ﴿ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥] .

(١) التفسير ٤٦٣/٣ ، ٤٦٤ .

وقال ههنا: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ
وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا
صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾
أى: أهلك ذلك جميعه، وسلبهم عزهم العزيز العريض فى الدنيا، وهلك
الملك وحاشيته، وأمرأؤه، وجنوده، ولم يبق ببلد مصر سوى العامة والرعايا.
فذكر ابن عبد الحكم، فى «تاريخ مصر»^(١)، أنه من ذلك الزمان تسلط نساء
مصر على رجالها؛ بسبب أن نساء الأمراء والكبراء تزوجن بمن دونهن من
العامة، فكانت لهن السطوة عليهم، واستمرت هذه سنة نساء مصر إلى يومك
هذا.

وعند أهل الكتاب، أن بنى إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر، جعل الله
ذلك الشهر أول سنتهم، وأمروا أن يذبح كل أهل بيت حملاً^(٢) من الغنم، فإن
كانوا لا يحتاجون إلى حمل^(٣)، فليشترك الجار وجاره فيه، فإذا ذبحوه
فلينضحوا من دمه على أعتاب أبوابهم؛ ليكون علامة لهم على بيوتهم، ولا
يأكلونه مطبوخاً، ولكن مشوياً برأسه، وأكارعه، وبطنه، ولا يئقوا منه شيئاً،
ولا يكسروا له عظماً، ولا يخرجوا منه شيئاً إلى خارج بيوتهم، وليكن خبزهم
فطيراً سبعة أيام، ابتداءً من الرابع عشر من الشهر الأول من سنتهم، وكان
ذلك فى فصل الربيع، فإذا أكلوا، فلتكن أوساطهم مشدودة، وخفافهم فى
أرجلهم، وعصيهم فى أيديهم، وليأكلوا بسرعة، قياماً، ومهما فضل عن [١/

(١) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ٢٨.

(٢) فى ح، م، ص: «جمل».

(٣) فى ح، م، ص: «جمل».

١٧٠ ظ] عَشَائِهِمْ، فما بَقِيَ إِلَى الْغَدِ فَلْيَحْرِقُوهُ بِالنَّارِ، وَشَرِّعْ لَهُمْ هَذَا عِيدًا
لْأَعْقَابِهِمْ، مَا دَامَتِ التَّوْرَةُ مَعْمُولًا بِهَا، فَإِذَا نُسِخَتْ، بَطَلَ شَرْعُهَا، وَقَدْ
وَقَعَ. قَالُوا: وَقَتَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبْكَارَ الْقَبِيطِ، وَأَبْكَارَ دَوَائِبِهِمْ،
لِيَشْتَقِلُوا عَنْهُمْ، وَخَرَجَ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ انْتَصَفَ اللَّيْلُ^(١)، وَأَهْلُ مِصْرَ فِي
مَنَاحَةٍ عَظِيمَةٍ، عَلَى أَبْكَارِ أَوْلَادِهِمْ، وَأَبْكَارِ أَمْوَالِهِمْ، لَيْسَ مِنْ بَيْتٍ إِلَّا وَفِيهِ
عَوِيلٌ. وَحِينَ جَاءَ الْوَحْيُ إِلَى مُوسَى، خَرَجُوا مَسْرِعِينَ، فَحَمَلُوا الْعَجِينَ قَبْلَ
اِخْتِمَارِهِ، وَحَمَلُوا الْأَزْوَادَ فِي الْأَرْدِيَّةِ، وَالْقَوْهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، وَكَانُوا قَدْ
اسْتَعَارُوا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ حُلِيًّا كَثِيرًا، فَخَرَجُوا وَهُمْ سِتْمَائَةٌ أَلْفَ رَجُلٍ، سِوَى
الذَّرَارِيِّ، بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ، وَكَانَتْ مَدَّةُ مُقَامِهِمْ بِمِصْرَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ وَثَلَاثِينَ
سَنَةً. هَذَا نَصُّ كِتَابِهِمْ^(٢). وَهَذِهِ السَّنَةُ عِنْدَهُمْ تَسْمَى سَنَةُ الْفَسَخِ، وَهَذَا الْعِيدُ
عِيدُ الْفَسَخِ، وَلَهُمْ عِيدُ الْفَطِيرِ، وَعِيدُ الْحَمَلِ، وَهُوَ أَوَّلُ السَّنَةِ. وَهَذِهِ الْأَعْيَادُ
الثَّلَاثَةُ أَكَّدَ أَعْيَادِهِمْ، مَنْصُوصٌ عَلَيْهَا فِي كِتَابِهِمْ. وَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ،
أَخْرَجُوا مَعَهُمْ تَابُوتَ يَوْسُفَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَرَجُوا عَلَى طَرِيقِ بَحْرِ شُوفَ.
وَكَانُوا فِي التَّهَارِ يَسِيرُونَ، وَالسَّحَابُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَسِيرُ أَمَامَهُمْ، فِيهِ عَامُودُ نُورٍ،
وَبِاللَّيْلِ أَمَامَهُمْ عَامُودُ نَارٍ، فَانْتَهَى بِهِمُ الطَّرِيقُ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَنَزَلُوا هُنَالِكَ،
وَأَدْرَكَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ، وَهُمْ هُنَاكَ حُلُولٌ عَلَى شَاطِئِ الْيَمِّ،
فَقَلِقَ كَثِيرٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: كَانَ بَقَاؤُنَا بِمِصْرَ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ
الْمَوْتِ بِهَذِهِ الْبَرِّيَّةِ. وَقَالَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ: لَا

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَهُوَ الْمَوَافِقُ لَمَّا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَتَارِيخِ الطَّبَرِيِّ. وَقَصَصَ الْأَنْبِيَاءُ لِلثَّلَعِيِّ.

(٢) سَفَرُ الْخُرُوجِ الْأَصْحَاحُ ١٢/١ - ٤٠.

تَخْشَوْا، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ لَا يَرْجِعُونَ إِلَىٰ بِلَدِهِمْ بَعْدَ هَذَا. قَالُوا: وَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ، وَأَنْ يَفْقِسِمَهُ؛ لِيَدْخُلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبَحْرِ وَالْيَمِّ. وَصَارَ الْمَاءُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا كَالْجَلِيلِ، وَصَارَ وَسْطُهُ يَمِينًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ سَلَّطَ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنُوبِ وَالسَّمُومِ، فَجَازَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ، وَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوهُ، أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى، فَضْرَبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ، فَرَجَعَ الْمَاءُ كَمَا كَانَ عَلَيْهِمْ. لَكِنْ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَنَّ هَذَا كَانَ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّ الْبَحْرَ ازْتَطَمَ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الصُّبْحِ، وَهَذَا مِنْ غَلَطِهِمْ، وَعَدِمَ فَهْمِهِمْ فِي تَعْرِيفِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالُوا: وَلَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، حِينَئِذٍ سَبَّحَ مُوسَى وَبَنُو إِسْرَائِيلَ بِهَذَا التَّسْبِيحِ لِلرَّبِّ، وَقَالُوا: نُسَبِّحُ الرَّبَّ الْبَهِيَّ الَّذِي قَهَرَ الْجُنُودَ، وَنَبَذَ فُرْسَانَهَا فِي الْبَحْرِ الْمُنِيِّ الْمَحْمُودِ. وَهُوَ تَسْبِيحٌ طَوِيلٌ. قَالُوا: وَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ، أُخْتُ هَارُونَ [١٧١/١] دُفًا بِيَدَيْهَا، وَخَرَجَ النِّسَاءُ فِي أَثَرِهَا، كُلُّهُنَّ بِدَفُوفٍ وَطُبُولٍ، وَجَعَلَتْ مَرْيَمُ تُرْتِّلُ لَهُنَّ، وَتَقُولُ: سُبْحَانَ الرَّبِّ الْقَهَّارِ، الَّذِي قَهَرَ الْخَيُْولَ وَرُكْبَانَهَا، إِلْقَاءً فِي الْبَحْرِ. هَكَذَا رَأَيْتُهُ فِي كِتَابِهِمْ^(١). وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مِنَ الَّذِي حَمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ عَلَى زَعِيمِهِ أَنَّ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، أُمُّ عِيسَى، هِيَ أُخْتُ هَارُونَ وَمُوسَى، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿يَتَّخَذَتْ هَئُونٌ﴾. وَقَدْ يَبَيَّنَّا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ^(٢)، وَأَنَّ هَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ، وَلَمْ يَتَابِعْهُ أَحَدٌ عَلَيْهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ خَالَفَهُ فِيهِ، وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ هَذَا مُحْفُوظٌ، فَهَذِهِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،^(٣) وَأُمُّ عِيسَى عَلَيْهَا السَّلَامُ^(٤)، وَافْقَتْهَا فِي

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٤/١٠ - ٣١، ١٥/١ - ٣، ٢٠، ٢١.

(٢) انظر التفسير ٢٢١/٥، ٢٢٢.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

الاسم، واسم الأب، واسم الأخ؛ لأنهم، كما قال رسول الله ﷺ،
 للمغيرة بن شعبة لما سأله أهل نجران، عن قوله: ﴿يَتَأَخَتِ هَرُونَ﴾. فلم يدر
 ما يقول لهم، حتى سأل رسول الله ﷺ، عن ذلك، فقال: «أما علمت أنهم
 كانوا يُسمون بأسماء أنبيائهم». رواه مسلم^(١). وقولهم: النبية. كما يُقال
 للمرأة من بيت الملك: ملكة. ومن بيت الإمرة: أميرة. وإن لم تكن مباشرة
 شيئاً من ذلك، فكذا هذه استعارة لها، لا أنها نبية حقيقة يوحي إليها. وضربها
 بالدُّفِّ في مثل هذا اليوم - الذي هو أعظم الأعياد عندهم - دليل على أنه قد
 كان شرع من قبلنا ضرب الدُّفِّ في العيد. وهذا مشروع لنا أيضاً في حق
 النساء؛ لحديث الجاريتين اللتين كانتا عند عائشة تضربان بالدُّفِّ في أيام منى،
 ورسول الله ﷺ مضطجع، مؤل ظهره إليهم، ووجهه إلى الحائط، فلما دخل
 أبو بكر زجرهن، وقال: أيمزموه الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ فقال:
 «دعهن يا أبا بكر، فإن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا»^(٢). وهكذا يُشرع عندنا
 في الأغراس، ولقدوم الغائب، كما هو مقرر في موضعه. والله أعلم.

وذكروا أنهم لما جاوزوا البحر، وذهبوا قاصدين إلى بلاد الشام، مكثوا
 ثلاثة أيام، لا يجدون ماءً، فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك، فوجدوا ماءً
 زعاقاً^(٣) أجابا، لم يستطيعوا شربه، فأمر الله موسى، عليه السلام، فأخذ
 خشبة فوضعها فيه، فحلا وساغ شربه، وعلمه الرب هنالك فرائض وسنننا،
 ووصاه وصايا كثيرة. وقد قال الله تعالى، في كتابه العزيز، المهتمين على ما

(١) مسلم (٢١٣٥).

(٢) رواه البخارى (٩٤٩). ومسلم (٨٩٢).

(٣) فى ح: «زهاقاً». والماء الزعاق: المالح.

عداه من الكتب: ﴿وَجَنَوْنَا يَبْنَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى
 أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
 تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٩﴾ [١٧١/١ ظ].
 قالوا هذا الجهل والضلال، وقد عاينوا من آيات الله وقدرته، ^(١) ما دلهم على
 صِدْقِ ^(٢) ما جاءهم به رسول ذى الجلال والإكرام، وذلك أنهم مروا على قوم
 يَعْبُدُونَ أَصْنَانًا، قيل: كانت على صُورِ البقر. فكأنهم سألوهم: لِمَ يَعْبُدُونَهَا،
 فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم، وَيَسْتَرْزِقُونَ بها عند الضرورات، فكأن
 بعض الجهال منهم صدقوهم فى ذلك، فسألوا نبيهم الكريم العظيم، أن
 يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة، فقال لهم، مبيتا لهم أنهم لا يعقلون ولا
 يَهْتَدُونَ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُوا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. ثم ذكرهم
 نعمة الله عليهم، فى تفضيله إياهم على عالمى زمانهم بالعلم، والشرع،
 والرسول الذى بين أظهرهم، وما أحسن به إليهم، وما امتن به عليهم، من
 إنجائهم من قبضة فِرْعَوْنَ الجبار العنيد، وإهلاكه إياه وهم يَنْظُرُونَ، وتوريثه
 إياه ما كان فِرْعَوْنُ وملأه يَجْمَعُونَهُ مِنَ الأموال والسعادة، وما كانوا
 يعرِشُونَ، وبين لهم أنه لا تَصْلُحُ العبادة إلا لله وحده، لا شريك له؛ لأنه
 الخالق الرزاق القهار، وليس كل بنى إسرائيل سأل هذا السؤال، بل الضمير
 عائِدٌ على الجنس فى قوله: ﴿وَجَنَوْنَا يَبْنَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ
 يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾
 أى؛ قال بعضهم، كما فى قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿١٣٧﴾

(١ - ١) سقط من: الأصل.

وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٧﴾ [الكهف: ٤٧، ٤٨]. فالذين زَعَمُوا هذا بعضُ النَّاسِ ، لا كُلُّهم .

وقد قال الإمام أحمد^(١) : حدثنا عبدُ الرزاقِ ، حدثنا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن سنانِ بنِ أبي سنانِ الدَّيْلِيِّ ، عن أبي واقدٍ اللَّيْثِيِّ ، قال : خَرَجْنَا مع رسولِ اللَّهِ ، ﷺ ، قَبْلَ حُنَيْنٍ ^(٢) ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، كَمَا لِلْكَفَّارِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ . وَكَانَ الْكَفَّارُ يُتَوَطَّئُونَ سِلَاحَهُمْ بِسِدْرَةٍ ، وَيَعْكُفُونَ حَوْلَهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ . إِنَّكُمْ تَزْكِبُونَ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » . وَرواهُ النَّسَائِيُّ ، عن محمدِ بنِ رافعٍ ، عن عبدِ الرزاقِ به . وَرواهُ التِّرْمِذِيُّ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ الخَزْزُومِيِّ ، عن سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن الزُّهْرِيِّ به ^(٣) . ثم قال : حَسَنٌ صَحِيحٌ ^(٤) . وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ ^(٥) ، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ ، وَمَعْمَرٍ ، وَعَقِيلٍ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن سنانِ بنِ أبي سنانٍ ، عن أبي واقدٍ اللَّيْثِيِّ ، أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ ^(٦) ، قال : وَكَانَ لِلْكَفَّارِ [١٧٢/١] سِدْرَةٌ ، يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا ، وَيَعْلُقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ . قال : فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضِرَاءَ عَظِيمَةٍ ، قال : فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ

(١) في المسند ٢١٨/٥ .

(٢) في الأصل ، ا : « خير » . وهو لفظ الترمذی .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) النسائي في الكبرى (١١١٨٥) . والترمذی (٢١٨٠) وقال : حسن صحيح (صحيح الترمذی ١٧٧١) .

(٥) ابن جرير في تفسيره ٤٥/٩ ، ٤٦ .

(٦) في م ، ح ، ا : « خير » .

اللَّهُ ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ . قَالَ : « قُلْتُمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ ، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى . ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ۚ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴾ ١٧٦ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .
والمقصود أنَّ موسى ، عليه السلام ، لما انفصلَ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ ، وَوَاجَهَ بِلَادَ
بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَجَدَ فِيهَا قَوْمًا مِنَ الْجَبَّارِينَ ، مِنَ الْحِثِّيِّينَ ، وَالْفِرَزِّيِّينَ ^(١) ،
وَالْكَنْعَانِيِّينَ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَأَمَرَهُمْ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِالذَّخُولِ عَلَيْهِمْ ،
وَمُقَاتَلَتِهِمْ ، وَإِجْلَائِهِمْ إِتَاهِمَ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَهُ لَهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ
إِتْيَاهُ ، عَلَى لِسَانِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، وَمُوسَى الْكَلِيمِ الْجَلِيلِ ، فَأَتَوْا وَنَكَلُوا عَنْ
الْجِهَادِ ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ ، وَأَلْقَاهُمْ فِي التَّيِّهِ ؛ يَسِيرُونَ ، وَيَجْلُونَ ،
وَيَزْتَحِلُّونَ ، وَيَذْهَبُونَ ، وَيَجِئُونَ ، فِي مُدَّةٍ مِنَ السَّنِينَ طَوِيلَةٍ ، هِيَ مِنَ الْعَدَدِ
أَرْبَعُونَ ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ
الْعَالَمِينَ ﴾ ٢٤٦ يَنْقُورُ أَدْخَلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى
أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ ٢٤٧ قَالُوا يَمْوَسَّى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذِلُهَا
كَحَقِّ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ ٢٤٨ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ
الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ
عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٤٩ قَالُوا يَمْوَسَّى إِنَّا لَنَنذِلُهَا
كَحَقِّهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ

(١) فِي ح : « الْفِرَزَانِيِّينَ » .

(٢) التفسير ٦٧/٣ - ٧٥ .

﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَهَوَّتْ فِي الْأَرْضِ فَلَا
تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿المائدة: ٢٠ - ٢٦﴾. يذكُرهم نبيُّ الله نعمة الله
عليهم، وإحسانه إليهم بالنعمِ الدنيويَّة والدُّنيويَّة، ويأمرهم بالجهادِ في سبيلِ الله،
ومقاتلةِ أعدائِهِ فقال: ﴿يَقُومُوا أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ (أى؛ تَنكِصُوا عَلَى أَغْصَابِكُمْ، وَتَنكِكُوا عَلَى قَتَالِ
أَعْدَائِكُمْ). ﴿فَنَنْقَلِبُوهَا خَاسِرِينَ﴾ (أى؛ فَتَخَسَّرُوا بَعْدَ الرِّجْحِ، وَتَنْقُصُوا بَعْدَ
الْكِمَالِ). ﴿قَالُوا يَمْوَسَّى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ (أى؛ عُنَاةَ كَفَرَةٍ، مَتَمَرِّدِينَ،
﴿وَأَنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾،
خَافُوا مِنْ هَؤُلَاءِ الْجَبَّارِينَ، وَقَدْ عَايَنُوا هَلَكَ فِرْعَوْنَ، وَهُوَ أَكْثَرُ تَجَبُّرًا مِنْ
هَؤُلَاءِ، وَأَشَدُّ بَاسًا، وَأَكْثَرُ جَمْعًا، وَأَعْظَمُ جُنْدًا. [١٧٢/١] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُمْ مُلُومُونَ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَمَذْمُومُونَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، مِنَ الذَّلَّةِ عَنْ
مُصَاوَلَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمُقَاوَمَةِ الْمَرَدَّةِ الْأَشْقِيَاءِ.

وقد ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ هَهُنَا آثَارًا، فِيهَا مُجَازَفَاتٌ كَثِيرَةٌ بَاطِلَةٌ، يَدُلُّ
الْعَقْلُ وَالنُّقْلُ عَلَى خِلَافِهَا؛ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَشْكَالًا هَائِلَةً ضِخَامًا جَدًّا، حَتَّى
إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ رُسُلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِمْ، تَلَقَّاهُمْ رَجُلٌ مِنْ رُسُلِ
الْجَبَّارِينَ، فَجَعَلَ يَأْخُذُهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، وَيُلْفُهُمْ فِي أَكْمَامِهِ وَحُجْزَةِ سَرَوِيلِهِ،
وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَجَاءَ بِهِمْ، فَتَنَزَّهَ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكِ الْجَبَّارِينَ، فَقَالَ: مَا
هَؤُلَاءِ؟ وَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُمْ مِنْ بَنِي آدَمَ حَتَّى عَرَّفُوهُ. وَكُلُّ هَذِهِ هَذَيَانَاتٌ

وخرافات لا حقيقة لها، وأنَّ الملِكَ بعث معهم عَنبًا، كُلُّ عِنْبَةٍ تَكْفِي الرَّجُلَ،
 وشيئًا من ثمارهم؛ ليعلموا ضُخامة^(١) أشكالهم، وهذا ليس بصحيح^(٢).
 وذكروا هل هنا أنَّ عُوجَ بنِ عُثْقَ، خرج من عند الجُبَّارين إلى بنى إسرائيل؛
 ليُهْلِكَهم، وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع، وثلاثمائة ذراع، وثلاثة وثلاثين
 ذراعًا، وثُلث ذراع، هكذا ذكره البَغَوِيُّ وغيره^(٣)، وليس بصحيح، كما
 قدَّمنا بيانه^(٤) عند قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ
 الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ»^(٥). قالوا: فَعَمَدَ عُوجُ إِلَى قِمَّةِ جَبَلٍ، فَأَقْتَلَعَهَا، ثُمَّ
 أَخَذَهَا بِيَدَيْهِ؛ لِيُلْقِيَهَا عَلَى جَيْشِ مُوسَى، فَجَاءَ طَائِرٌ، فَتَقَرَّتْ تِلْكَ الصَّخْرَةُ،
 فَخَرَقَهَا، فَصَارَتْ طَوْقًا فِي عُثْقِ عُوجَ بنِ عُثْقَ، ثُمَّ عَمَدَ مُوسَى إِلَيْهِ، فَوَثَبَ فِي
 الْهَوَاءِ عَشْرَةَ أَذْرُعٍ، وَطُولُهُ عَشْرَةُ أَذْرُعٍ، وَبِيَدِهِ عَصَاهُ، وَطُولُهَا عَشْرَةُ أَذْرُعٍ،
 فَوَصَلَ إِلَى كَعْبٍ قَدِيمَةٍ فَقَتَلَهُ. يُزَوَّى هَذَا عَنْ تَوْفِ الْبِكَالِيِّ^(٦)، وَنَقَلَهُ ابْنُ
 جَرِيرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِي إِسْنَادِهِ إِلَيْهِ نَظَرٌ^(٧). ثُمَّ هُوَ مَعَ هَذَا كُلِّهِ مِنْ
 الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَكُلُّ هَذِهِ مِنْ وَضْعِ جُهَاَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ الْكَذِبَةَ قَدْ
 كَثُرَتْ عِنْدَهُمْ، وَلَا تُمَيِّزُ لَهُمْ بَيْنَ صَحِيحِهَا وَبَاطِلِهَا. ثُمَّ لَوْ كَانَ هَذَا

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَصْحَابِهِ».

(٢) انظر تفسير الطبري ١٧٤/٦، تاريخه ٤٢٩/١، تفسير القرطبي ١٢٥/٦، التفسير ٧٠/٣.

(٣) لم نجده في مظاننه من تفسير البغوي، وانظر قصص الأنبياء للثعلبي ص ٢١٣ - ٢١٥، تفسير القرطبي ١٢٥/٦ - ١٢٧.

(٤) تقدم في ٢٦٦/١، ولم ينسبه لأحد بعينه من المفسرين.

(٥) تقدم تخريجه ٢٦٧/١.

(٦) فِي ح، م، أ: «عُوف». وانظر التقريب ٣٠٩/٢.

(٧) رواه ابن جرير في تاريخه ٤٣١/١، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٠٤)، وإسناد أبي الشيخ موضوع.

(٨) فِي تَارِيخِهِ ٤٣١/١، وَبَنَحُوهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظْمَةِ (١٠٠٢)، وَإِسْنَادُ أَبِي الشَّيْخِ مُوَضَّوعٌ.

صحيحًا، لكان بنو إسرائيل مغذورين في التَّكْوِيلِ عن قتالهم، وقد ذمَّهم الله تعالى على نُكُولِهِمْ، وعاقبتهم بالتيه على ترك جهادهم، ومُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَهُمْ، وقد أشار عليهم رَجُلَانِ صالحانِ منهم^(١) بالإقدام، ونَهَيَاهُم عن الإخجام. ويُقال: إِنَّهُمَا يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ، وَكَالِبُ بْنُ يُوفْتَا. قاله ابنُ عباسٍ، ومُجَاهِدٌ، وعِكْرِمَةُ، وعَطِيَّةٌ، والسُّدِّيُّ، والريُّعُ بْنُ أَنَسٍ، وغيرُ واحدٍ^(٢).

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أَي؛ يَخَافُونَ اللَّهَ، وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: (يُخَافُونَ)؛ أَي؛ يُهَابُونَ، ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أَي؛ بِالْإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالطَّاعَةِ، وَالشُّجَاعَةِ: ﴿أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ [١٧٣/١] إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿أَي؛ إِذَا تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَعْنَيْتُمْ بِهِ، وَلَجَأْتُمْ إِلَيْهِ، نَصَرَكُم عَلَى عَدُوِّكُمْ، وَأَيَّدَكُم عَلَيْهِمْ، وَأَظْفَرَكُم بِهِمْ.

﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ فَصَمَّ مَلَأُوهُمْ عَلَى التَّكْوِيلِ عَنِ الْجِهَادِ، وَوَقَعَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَوَهَنٌ كَبِيرٌ. فَيُقَالُ: إِنْ يُوْشَعُ، وَكَالِبُ لَمَّا سَمِعَا هَذَا الْكَلَامَ شَقَا نِيَابَهُمَا، وَإِنَّ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، سَجَدَا؛ إِعْظَامًا لِهَذَا الْكَلَامِ، وَغَضَبًا لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ مِنْ وَبِيلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ

(١) سقط من: الأصل.

(٢) تفسير الطبري ١٧٦/٦، ١٧٧، التفسير ٧١/٣.

الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَقْضَى بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ . ﴿٢﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْفَوْرِ الْفَاسِقِينَ ﴿٣﴾ ، غَوَقُوا عَلَى نُكُولِهِمْ بِالتَّيْهَانِ فِي الْأَرْضِ ، يَسِيرُونَ إِلَى غَيْرِ مَقْصِدٍ ، لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَصَبَاحًا وَمَسَاءً . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنَ التَّيْهِ يَمِّنْ دَخَلَهُ ، بَلْ مَاتُوا كُلُّهُمْ فِي مَدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمْ يَتَّقْ إِلَّا ذُرَارِيَهُمْ سِوَى يُوشَعَ ، وَكَالِبَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

لَكِنْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ، ﷺ ، يَوْمَ بَدْرٍ ، لَمْ يَقُولُوا لَهُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى ، بَلْ لَمَّا اسْتَشَارَهُمْ فِي الذَّهَابِ إِلَى التَّغْيِيرِ ، تَكَلَّمَ الصَّدِيقُ فَأَحْسَنَ ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ : « أَشِيرُوا عَلَيَّ » حَتَّى قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ : كَأَنَّكَ تُعَرِّضُ بَنِي يَارَسُولَ اللَّهِ ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَفْرَضْتَ بَنِي هَذَا الْبَحْرِ فَخُضَّتْهُ لَخُضَّنَاهُ مَعَكَ ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَمَا نَكَرُهُ أَنْ تَلْقَى بَنِي عَدُوَّنَا غَدًا ، إِنَّا لَصَبِيرٌ فِي الْحَرْبِ ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقْرُبُ بِهِ عَيْتُكَ . فَسِرَ بَنِي عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ . فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ ، وَبَسَطَهُ ذَلِكَ ^(١) .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(٢) : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانٌ ، عَنْ مُخَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَحْمَسِيِّ ، عَنْ طَارِقٍ هُوَ ابْنُ شِهَابٍ ، أَنَّ الْمُقْدَادَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَوْمَ بَدْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى :

(١) بهذا اللفظ أخرجه الطبري في التفسير ١٨٥/٩ ، ١٨٦ . وانظر سيرة ابن هشام ٦١٥/١ . والتفسير ٧٥٧/٣ ، كلهم من حديث ابن عباس . وأصل الحديث في مسلم (١٧٧٩) من حديث أنس بن مالك .

(٢) في المسند ٣١٤/٤ .

﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَتَلِدُونَ ﴾ . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكم مقاتلون . وهذا إسنادٌ جيدٌ من هذا الوجه ، وله طرقٌ ^(١) أخرى .

قال أحمد ^(٢) : حدثنا أسود بن عامر ^(٣) ، حدثنا إسرائيل ، عن مُخَارِقٍ ، عن طارق بن شهاب ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه : لقد شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا ، لَأَنْ أَكُونَ أَنَا صَاحِبَهُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ ؛ أَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو يدْعُو على المشركين ، فقال : واللَّهِ [١٧٣/١ ط] يا رسولَ اللَّهِ ، لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَتَلِدُونَ ﴾ . ولكنَّا نقاتِلُ عن يمينِكَ ، وعن يسارك ، ومن بين يديكَ ، ومن خلفِكَ . فرأيتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يُشْرِقُ لذلك ، وسُرَّ بذلك . رواه البخاريُّ في التفسيرِ والمغازي ، من طريقٍ ، عن مُخَارِقٍ به ^(٤) . وقال الحافظُ أبو بكرٍ بنُ مَزْدَوِيهِ ^(٥) : حدثنا عليُّ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ ، حدثنا أبو حاتمٍ الرَّاظِيُّ ، حدثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأنصاريُّ ، حدثنا حُمَيْدٌ ، عن أنسٍ ، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، لما سارَ إلى بدرٍ ، استشارَ المُشْلِمِينَ ، فأشارَ عليه عمرُ ، ثم استشارَهم ، فقالت الأنصارُ : يا معشرَ الأنصارِ ، إياكم يريدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالوا : إذا لا نقولُ له كما قال بنو إسرائيلَ لموسى : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَتَلِدُونَ ﴾ . والذي بعثَكَ بالحقِّ ، لو ضربتَ أكبادَها إلى بَرِّكَ الْغِمَادِ لَا تَبْغُنَاكَ . رواه الإمامُ أحمدُ ، عن عبيدة بنِ حُمَيْدٍ ، عن حُمَيْدٍ

(١) في الأصل ، ص : « طريق » .

(٢) في المسند ٣٨٩/١ . إسناده صحيح .

(٣) في الأصل : « عباس » .

(٤) البخاري (٣٩٥٢ ، ٤٦٠٩) .

(٥) ذكره المصنف في التفسير ٧٢/٣ وعزه لابن مردويه بسنده .

الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسٍ بِهِ. وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُثَنَّى، عَنْ خَالِدِ بْنِ الْحَارِثِ، عَنْ ^(١)حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ بِهِ نَحْوَهُ. وَأَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، عَنْ أَبِي يَغْلَى، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ حَمَادٍ، عَنْ مَعْتَمِرٍ ^(٢)عَنْ ^(١)حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ بِهِ نَحْوَهُ ^(٣).

(١ - ١) فِي الْأَصْلِ : «حَنْدِ بْنِ» .

(٢) فِي الْأَصْلِ : «مَعْمَرٍ» .

(٣) أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ١٨٨ / ٣ ، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكِبَرِيِّ (١١١٤١) . وَالْإِحْسَانُ (٤٧٢١) . وَقَالَ الشَّيْخُ شُعَيْبٌ : صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ .

فصل في دخول بني إسرائيل التيه

وما جرى لهم فيه من الأمور العجيبة

قد ذكّرنا نُكُولَ بني إسرائيل عن قتالِ الجبارين ، وأنَّ اللهَ تعالى عاقبهم بالتيه ، وحكّم بأنّهم لا يَخْرُجُونَ مِنْهُ إلى أربعينَ سنّةً ، ولم أرَ في كتابِ أهلِ الكتابِ قصّةً تُكُولُهُم عن قتالِ الجبارين ، ولكن فيها^(١) أَنَّ يُوشَعَ جَهَّزَهُ موسى لقتالِ طائفةٍ مِنَ الكُفَّارِ ، وأنَّ موسى وهارونَ ، وخورَ ، جلسوا على رأسِ أكمةٍ ، ورفَعَ موسى عصاه ، فكَلَّمَا رفعها انتصرَ يُوشَعَ عليهم وكلّما مالت يده بها ، مِنْ تَعَبٍ أو نحوه ، غلبه أولئك ، وجعل هارونُ وخورُ يُدْعِمَانِ يَدَيْهِ مِنْ عن يمينه وشماله ذلك اليومَ إلى غروبِ الشَّمْسِ ، فانتصرَ حزبُ يُوشَعَ ، عليه السّلامُ^(٢) . وعندَهم ؛ أَنَّ يثرونَ كاهنَ مَدْيَنَ ، وَخَتَنَ موسى ، عليه السّلامُ ، بلغه ما كان مِنْ أمرِ موسى ، وكيف أَظْفَرَهُ اللهُ بعدوّه فِرْعَوْنَ ، فَقَدِمَ على موسى مُسَلِّمًا ، ومعه ابنته صِفُورَا زوجةُ موسى ، وابناها منه ؛ جَرَشُونُ ، وَعَازَرُ ، فتلَقاه موسى وأكرّمه ، واجتمعَ به شيوخُ بني إسرائيلَ ، وَعَظَّمُوهُ وَأَجْلَوْهُ^(٣) . وذكرُوا أَنَّهُ رأى كثرةَ اجتماعِ بني إسرائيلَ على موسى ، في الخُصُوماتِ التي تَفُغُ [١ / ١٧٤] بينهم ، فأشار على موسى أَنَّ يجعلَ على النَّاسِ رجالًا أَمْنَاءَ ، أَتَقِيَاءَ ،

(١) كذا في النسخ . ولعلها : « فيه » .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ١٧ / ٨ - ١٣ .

(٣) سفر الخروج الأصحاح ١٨ / ١ - ١٢ .

أَعْقَاءَ، يُبْغِضُونَ الرِّشَا وَالْحَيَانَةَ، فَيَجْعَلُهُمْ عَلَى النَّاسِ رَعُوسَ أُلُوفٍ، وَرُعُوسَ مِئِينَ، وَرُعُوسَ خَمْسِينَ، وَرُعُوسَ عَشْرَةَ، فَيَقْضُوا بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ جَاءُوكَ، فَقَضَلْتَ بَيْنَهُمْ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمْ، ففعلَ ذلك موسى، عليه السلام^(١). قالوا: ودخل بنو إسرائيل البرِّيَّةَ، عندَ سَيْنَاءَ فِي الشَّهِرِ الثَّالِثِ مِنْ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ، وَكَانَ خُرُوجُهُمْ فِي أَوَّلِ السَّنَةِ الَّتِي شُرِعَتْ لَهُمْ، وَهِيَ أَوَّلُ فَصْلِ الرَّبِّيعِ. فَكَانَتْهُمْ دَخَلُوا الثَّيَّةَ فِي أَوَّلِ فَصْلِ الصَّيْفِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قالوا: ونزل بنو إسرائيل حولَ طُورِ سَيْنَاءَ، وَصَعِدَ مُوسَى الْجَبَلَ، فَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُذَكِّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْجَائِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَكَيْفَ حَمَلَهُمْ عَلَى مِثْلِ جَنَاحَيْ نَشْرِ مِنْ يَدِهِ وَقَبَضْتَهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنْ يَتَطَهَّرُوا وَيَغْتَسِلُوا، وَيَغْسِلُوا ثِيَابَهُمْ، وَلِيَسْتَعِدُّوا إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَإِذَا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، فَلِيَجْتَمِعُوا حَوْلَ الْجَبَلِ، وَلَا يَقْتَرِبَنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ دَنَا مِنْهُ قُتِلَ، حَتَّى وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْبَهَائِمِ، مَا دَامُوا يَسْمَعُونَ صَوْتَ الْقَرْنِ، فَإِذَا سَكَنَ الْقَرْنُ، فَقَدْ حُلَّ لَكُمْ أَنْ تَرْتَقُوهُ، فَسَمِعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ، وَأَطَاعُوا، وَاعْتَسَلُوا، وَتَنَطَّفُوا، وَتَطَيَّبُوا، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، رَكِبَ الْجَبَلَ عِمَامَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِيهَا أَصْوَاتٌ وَبُزُوقٌ، وَصَوْتُ الصُّورِ شَدِيدٌ جَدًّا، فَفَزِعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ ذَلِكَ فَزَعًا شَدِيدًا، وَخَرَجُوا، فَقَامُوا فِي سَفْحِ الْجَبَلِ، وَغَشِيَ الْجَبَلَ دُخَانٌ عَظِيمٌ فِي وَسْطِهِ عَمُودٌ نُورٍ، وَتَزَلَّزَلَ الْجَبَلُ كُلُّهُ زَلْزَلَةً شَدِيدَةً، وَاسْتَمَرَّ صَوْتُ الصُّورِ، وَهُوَ الْبُوقُ، وَاشْتَدَّ، وَمُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوْقَ الْجَبَلِ، وَاللَّهُ يَكَلِّمُهُ وَيُنَاجِيهِ، وَأَمَرَ الرَّبُّ، عَزَّ وَجَلَّ، مُوسَى أَنْ يَنْزِلَ، فَيَأْمُرَ بَنِي

(١) سفر الخروج الأصحاح ١٨/١٣ - ٢٧.

إسرائيلَ أَنْ يَقْتَرِبُوا مِنَ الْجَبَلِ؛ لِيَسْمَعُوا وَصِيَّةَ اللَّهِ، وَيَأْمُرَ الْأَحْبَارَ، وَهُمْ
 عِلْمَاؤُهُمْ، أَنْ يَذْنُبُوا، فَيَضَعُدُوا الْجَبَلَ؛ لِيَتَقَدَّمُوا بِالْقُرْبِ - وهذا نصٌّ في
 كتابهم على وقوع النسخ لا محالة^(١) - فقال موسى: يارب، إنهم لا
 يستطيعون أَنْ يَضَعُدُوهُ، وقد نهيتهم عن ذلك، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَذْهَبَ،
 فَيَأْتِيَ مَعَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ، وَلِيَكُنِ الْكَهَنَةَ، وَهُمْ الْعِلْمَاءُ، وَالشُّعْبُ، وَهُمْ بَقِيَّةُ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ، غَيْرَ بَعِيدٍ. ففعل موسى، وكَلَّمَهُ رَبُّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَرَهُ حِينَئِذٍ
 بِالْعَشْرِ كَلِمَاتٍ^(٢).

وعندهم؛ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ، ولكن لم يفهموا حتى فهمهم
 موسى، وجعلوا يقولون لموسى: بَلَّغْنَا أَنْتَ عَنْ [١٧٤/١] الرَّبِّ، فَإِنَّا نَخَافُ
 أَنْ نَمُوتَ. فبَلَّغَهُمْ عَنْهُ، فقال هذه العشر الكلمات؛ وهى الأُمُرُ بعبادةِ اللَّهِ
 وحده لا شريك له، والنَّهْيُ عَنِ الْحَلْفِ بِاللَّهِ كاذبًا، والأُمُرُ بِالمحافظةِ على
 السَّبْتِ، ومعناه تَفَرُّغُ يَوْمٍ مِنَ الْأُسْبُوعِ للعبادة. وهذا حَاصِلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ،
 الذى نَسَخَ اللَّهُ بِهِ السَّبْتَ، أَكْرَمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، لِيَطُولَ عُمُرُكَ فِي الْأَرْضِ، الذى
 يُعْطِيكَ اللَّهُ رَبُّكَ، لا تَقْتُلْ، لا تَزْنِ، لا تَسْرِقْ، لا تَشْهَدْ عَلَى صَاحِبِكَ شَهَادَةً
 زُورَ، لا تُمُدَّ عَيْنَكَ إِلَى بَيْتِ صَاحِبِكَ، ولا تَشْتَهَ امْرَأَةً صَاحِبِكَ، ولا عِبْدَهُ،
 ولا أُمَّتَهُ، ولا تَوْرَهُ، ولا حِمَارَهُ، ولا شَيْئًا مِنَ الذى لَصَاحِبِكَ، ومعناه النَّهْيُ
 عَنِ الْحَسَدِ^(٣).

وقد قال كثيرٌ من علماء السلف وغيرهم: مضمون هذه العشر الكلمات

(١) انظر ما تقدم فى ٤٤٩/١ حاشية (٢).

(٢) سفر الخروج الأصحاح التاسع عشر.

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٢٠/١ - ١٧.

فِي آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ « الْأَنْعَامِ » : ﴿ قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِنَّهُمْ لَا يَرْزُقُونَكُمْ وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَاكُشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ وَالْعَهْدُ أَلْفُسٌ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَنَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٢] . وَذَكَرُوا بَعْدَ الْعَشْرِ الْكَلِمَاتِ وَصَايَا كَثِيرَةً ، وَأَحْكَامًا مُتَفَرِّقَةً عَزِيزَةً ، كَانَتْ فَرَاثَ وَعَمِلَ بِهَا حِينًا مِنَ الدَّهْرِ ، ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهَا عِضْيَانٌ مِنَ الْمُكَلِّفِينَ بِهَا ثُمَّ عَمَدُوا إِلَيْهَا فَبَدَّلُوهَا ، وَحَرَّفُوهَا ، وَأَوَّلُوهَا . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ سَلَّيْتُهَا ، فَصَارَتْ مَنَسُوخَةً مُبَدَّلَةً ، بَعْدَ مَا كَانَتْ مَشْرُوعَةً مُكَمَّلَةً ، فَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَهُوَ الَّذِي يَخُكُّكُمْ مَا يَشَاءُ ، وَيَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿ يَبْنَاقَ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجْبَحْنَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَاقَ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٠ - ٨٢] . يَذْكُرُ تَعَالَى مِنْهُ

(١) التفسير ٣٠١/٥ ، ٣٠٢ .

واحسانه إلى بنى إسرائيل، بما أنجاهم من أعدائهم، وخلصهم من الضيق والحرَج، وأنه وعدهم صُحبة نبيهم كليمه إلى جانب الطورِ الأمين، أى منهم، لينزِلَ عليه^(١) أحكامًا عظيمة، فيها مصلحة لهم فى دُنْيَاهُمْ [١٧٥/١] وأُخْرَاهُمْ، وأنه تعالى أنزلَ عليهم فى حالِ شدَّتِهِمْ وضرورتِهِمْ، فى سَفَرِهِمْ فى الأرضِ التى ليس فيها زَرْعٌ ولا ضَرْعٌ، مَتًا مِنَ السَّمَاءِ، يُضْبِحُونَ فيجدونه خِلَالَ يَبُوتِهِمْ، فيأخذون منه قَدَرٌ حاجَتِهِمْ فى ذلك اليومِ إلى مثله من الغد، ومن ادَّخَرَ منه لأَكْثَرَ من ذلك فَسَدَ، ومن أخذَ منه قليلًا كَفَاهُ، أو كثيرًا لم يُفْضَلْ عنه، فيصْنَعُونَ منه مثلَ الخُبْزِ، وهو فى غايةِ البياضِ والحلاوة، فإذا كان من آخِرِ الثَّهَارِ غَشِيَهُمْ طَيْرُ السَّلْوَى، فيقتنصون منه بلا كُفَّةٍ ما يحتاجون إليه، حَسَبَ كَفَاتِهِمْ لِعَشَائِهِمْ، وإذا كان فصلُ الصَّيْفِ، ظلَّ اللهُ عليهم الغمامَ، وهو السَّحابُ الذى يَشْتَرُّ عنهم حرَّ الشَّمْسِ، وضوءَها الباهرَ. كما قال اللهُ تعالى فى سورة «البقرة»^(٢): ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِعَاهِدِي نَمَنَا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُوتُ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]. إلى أن قال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِمَّنْ رَزَّيْكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْوَعْدَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ

(١) فى الأصل: «عليهم».

(٢) التفسير ١١٧/١ - ١٤٧.

ظَلِمُوا ۖ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا
 مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِنَّا كُنْمْ
 ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْلُبُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ
 لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن
 نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَسْتُرْنَا نَظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ
 مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ
 الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ ﴿[البقرة: ٤٩ - ٥٧]﴾ إِلَىٰ أَنْ قَالَ : ﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا
 اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
 مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٥﴾ وَإِذْ
 قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ
 مِنْ بَقْلِهَا وَقِشَآئِهَا وَفُومِهَا [١/١٧٥ ط] وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي
 هُوَ أَدْفَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا بِضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ
 عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿[البقرة: ٦٠، ٦١]﴾
 يَذْكُرُ تَعَالَىٰ إِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِمْ بِمَا يَسَّرَ لَهُمْ مِنَ الْمَنِّ
 وَالسَّلْوَى ، طَعَامَيْنِ شَهِيَيْنِ ، بِلَا كُفْلَةٍ ، وَلَا سَعْيٍ لَهُمْ فِيهِ ، بَلْ يُنْزِلُ اللَّهُ الْمَنَّ
 بَاكِرًا ، وَيُرْسِلُ عَلَيْهِمْ طَيْرَ السَّلْوَىٰ عَشِيًّا ، وَأَتْبَعَ الْمَاءَ لَهُمْ بِضْرٍ مُوسَى ، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، حَجَرًا كَانُوا يَحْمِلُونَهُ مَعَهُمْ ، بِالْعَصَا فَتَفَجَّرَ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، لِكُلِّ
 سَبِيحٍ عَيْنٌ مِنْهُ تَنْبَجِسُ ، ثُمَّ تَتَفَجَّرُ مَاءٌ زُلَالًا ، فَيَسْتَقُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَسْقُونَ
 دَوَابَّهُمْ ، وَيَذْخِرُونَ كِفَايَتَهُمْ . وَظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ مِنَ الْحَرِّ . وَهَذِهِ نِعَمٌ مِنَ اللَّهِ

عظيمة وعطيات جسيمة، فما رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا، ولا قاموا بِشُكْرِهَا وحَقَّ عبادتها، ثم ضَجِرَ كثيرٌ منها، وتبرَّءوا بها، وسألوا أن يستبدلوا منها ببدلها، بما تُنبت الأرض من بقلها، وقثائها، وفومها، وعدسها، وبصلها. فقرَّعهم الكليم، ووبَّخهم، وأنبههم على هذه المقالة، وعنفهم قائلاً^(١) : ﴿ ائْتَبِدِلْوكَ الَّذِي هُوَ أَذْنُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مَضْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ أى ؛ هذا الذى تَطْلُبُونَهُ، وتريدونه بدلَ هذه النعم التى أنتم فيها، حاصلٌ لأهل الأمصارِ الصغارِ والكبارِ، موجودٌ بها، وإذا هَبَطْتُمْ إليها، أى ؛ ونزلْتُمْ عن هذه المرتبة التى لا تصلحون لمنصبها، تجدوا بها ما تشتهون، وما ترومون بما ذكرْتُمْ مِنَ المأكَلِ الدُّنْيِيَّةِ والأغذية الرَدِيَّةِ، ولكنى لستُ أُجيبُكم إلى سؤالكم ذلك ههنا، ولا أبلغُكم ما تعشَّم^(٢) به مِنَ المَتَى، وكلُّ هذه الصفاتِ المذكورة عنهم الصادرة منهم، تدلُّ على أنهم لم يَنْتَهُوا عما نُهوا عنه، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ [طه : ٨١] . أى ؛ فقد هَلَكَ، وحُقَّ له واللَّهِ الهلاكُ والدمارُ، وقد حلَّ عليه غضبُ المَلِكِ الجبارِ، ولكنه تعالى، مزَجَ هذا الوعيدَ الشَّدِيدَ بالرجاءِ لِمن أنابَ وتابَ، ولم يستمرَّ على مُتَابَعَةِ الشَّيْطَانِ المَرِيدِ، فقال : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه : ٨٢] .

(١) التفسير ١/ ١٤٤ .

(٢) فى الأصل : « بعث » .

”سؤال الرؤية“

قال الله تعالى ^(١) : ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِمِائَةِ فَتَنَ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنِ [١٧٦/١] أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢ - ١٤٧]. قال جماعة من السلف؛ منهم ابن عباس، ومشروق، ومجاهد ^(٢) : الثلاثون ليلة هي؛ شهر ذي القعدة

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) التفسير ٣/٤٦٥ - ٤٧٣.

(٣) تفسير الطبري ٩/٤٧، ٤٨، التفسير ٣/٤٦٥، الدر المنثور ٣/١١٤، ١١٥.

بكماله ، وأتمت أربعين ليلة بعشر ذى الحجة . فعلى هذا يكون كلام الله له يوم عيد النحر ، وفي مثله أكمل الله ، عز وجل ، لحمد ﷺ دينه ، وأقام حُجَّته ، وبراهينه .

والمقصود أن موسى ، عليه السلام ، لما استكمل الميقات ، وكان فيه صائماً ، يُقال : إنه لم يستطع الطعام . فلما كمل الشهر ، أخذ لحا شجرة فمَضَّغَهُ ، ليطيب ریح فيه ، فأمر الله أن يمِسَّكَ عَشْرًا أُخْرَى ، فصارت أربعين ليلة . ولهذا ثبت في الحديث أن : « خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِشْكِ » ^(١) . فلما عَزَمَ على الذهاب ، استَخْلَفَ على شَعْبِ بنى إسرائيل أخاه هَارُونَ الْحَبَّيْبَ ، الْمُبَجَّلَ ، الْجَلِيلَ ، وَهُوَ ابْنُ أُمِّهِ وَأَيُّهُ ، وَوَزِيرُهُ فِي الدُّعْوَةِ إِلَى مِصْرَافِهِ ، فَوَضَّاهُ وَأَمَرَهُ وَنَهَاةً ، وَلَيْسَ فِي هَذَا لِعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ فِي نُبُوَّتِهِ مُنَافَاةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا ﴾ أَي ؛ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَمَرَ بِالْحُجَّةِ فِيهِ ، ﴿ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ أَي ؛ كَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، إِلَّا أَنَّهُ أَسْمَعَهُ الْخُطَابَ ، فَتَذَاهُ وَنَاجَاهُ ، وَقَوَّهُ وَأَذْنَاهُ ، وَهَذَا مَقَامٌ رَفِيعٌ ، وَمَعْقِلٌ مُنِيعٌ ، وَمَنْصِبٌ شَرِيفٌ ، وَمَنْزِلٌ مُنِيفٌ ، فَصَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ تَنْزِيٌّ ، وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَلَمَّا أُعْطِيَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ الْعَلِيَّةَ وَالْمَرْتَبَةَ السَّيِّئَةَ ، وَسَمِعَ الْخُطَابَ ، سَأَلَ رَفَعَ الْحِجَابَ ، فَقَالَ لِلْعَظِيمِ ، الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ، الْقَوِيُّ الْبُزْهَانِ : ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي ﴿ . ثُمَّ يَبَيَّنُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْبُتَ عِنْدَ تَجَلِّيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ لِأَنَّ الْجَبَلَ الَّذِي هُوَ أَقْوَى وَأَكْبَرُ ذَاتًا ، وَأَشَدُّ ثَبَاتًا مِنَ الْإِنْسَانِ ، لَا يَنْبُتُ عِنْدَ [١٧٦/١ ظ] التَّجَلِّيِّ مِنَ الرَّحْمَنِ ، وَلِهَذَا قَالَ :

(١) البخارى (١٨٩٤ ، ١٩٠٤ ، ٥٩٢٧ ، ٧٤٩٢ ، ٧٥٣٨) ، ومسلم (١١٥١) .

﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ .

وفى الكتب المتقدمة أَنَّ اللَّهَ تعالى قال له : يا موسى ، إنه لا يرانى حتى إلا مات ، ولا يابِس إلا تَذْهُدَةً^(١) . وفى «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢) ، عن أبى موسى ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قال : «جِبَابُهُ الثَّوْرُ» . وفى رواية : «الثَّارُ ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» . وقال ابنُ عباسٍ ، فى قوله تعالى : ﴿لَا تُذِرْكُهُ الْآبَصَرُ﴾ : ذاك نُورُهُ ، الذى هو نُورُهُ ، إذا تجلَّى لشيءٍ ، لا يقوم له شيء ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال مُجاهدٌ : ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ فإنه أكبرُ منك ، وأشدُّ خَلْقًا ، فلَمَّا تجلَّى ربُّه للجبلِ ، فنَظَرَ إلى الجبلِ لا يتمالكُ ، وأقبلَ الجبلُ فدكَّ على أوله ، ورأى موسى ما يصنعُ الجبلُ ، فخرَّ صَعِقًا .

وقد ذكرنا فى «التفسير» ما رواه الإمامُ أحمدُ ، والترمذى ، وصحَّحه^(٣) ، وابنُ جرير ، والحاكمُ ، من طريقِ حمادِ بنِ سلمةَ ، عن ثابتٍ ، زادَ ابنُ جريرٍ ، وليثٌ ، عن أنسٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قرأ : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ قال : هكذا بأصبعِهِ ، وَوَضَعَ الثُّبَى ﷺ ، الإِبْهَامَ على المَفْصِلِ الأَعْلَى

(١) وهو لفظ حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ١٠/٢٣٥ . من حديث ابن عباس .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) . وابن ماجه (١٩٦) . ولم نجده فى البخارى ، وانظر تحفة الأشراف ٦/٤٧٢ .

(٣) زيادة من : ح .

من الخِنْصَرِ، فساخ الجبلُ. لفظُ ابنِ جرير^(١). وقال السُّدِّيُّ، عن عِكْرِمَةَ،
عن^(٢) ابنِ عباسٍ: ما تجلَّى - يَغْنَى مِنَ الْعَظْمَةِ - إِلَّا قَدْرُ الْخِنْصَرِ، فجعل الجبلَ
دَكًّا، قال: تَرَابًا ﴿ وَحَرَّ مُوسَى صِعْقًا ﴾ أَى؛ مَعْشِيًا عَلَيْهِ^(٣). وقال قَتَادَةُ:
مَيْتًا. والصَّحِيحُ الْأَوَّلُ؛ لقوله: ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾. فَإِنَّ الْإِفَاقَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عَنْ
عَشْيٍ. قال: ﴿ سُبْحَنَكَ ﴾ تَنْزِيَةً، وتعظيمًا، وإجلالًا أن يراه بعَظَمَتِهِ أَحَدًا.
﴿ ثَبَّتْ إِلَيْكَ ﴾، أَى: فَلَسْتُ أَسْأَلُ بَعْدَ هَذَا الرُّؤْيَا: ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَنَّهُ لَا يَرَاكَ حَتَّى إِلَّا مَاتَ، وَلَا يَابِسُ إِلَّا تَذَهَدَ. وقد ثَبَّتَ فِي
«الصَّحِيحَيْنِ»^(٤)، مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى بْنِ عِمَارَةَ بْنِ أَبِي حَسَنِ الْمَازِنِيِّ
الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا
تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ النَّاسَ يُضَعِّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ
يُفَيِّقُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ
جُوزِي بِضَعْفَةِ الطُّورِ». لفظُ البخاري، وفي أَوَّلِهِ قِصَّةُ الْيَهُودِيِّ الَّذِي لَطَمَ
وَجْهَهُ الْأَنْصَارِيُّ، حِينَ قَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ. فقال
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [١٧٧/١]: «لَا تُخَيِّرُونِي مِنْ بَيْنِ الْأَنْبِيَاءِ». وفي

(١) رواه أحمد في المسند ٢٠٩/٣. الترمذی (٣٠٧٤) وقال: حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من
حديث حماد بن سلمة. وابن جرير في تفسيره ٥٣/٩. والحاكم في المستدرک ٥٧٧/٢. أما رواية ليث
عن أنس، عند ابن جرير، فقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على تفسير الطبري ٩٩/١٣: وليس ذلك
كما نقل - أَى ابن كثير - فإن الثابت في المخطوطة والمطبوعة «حماد، عن ثابت، عن أنس»، ليس فيها
«ليث»، فلا أدري كيف وقع هذا للحافظ ابن كثير ولا من أين؟.

(٢) في ح: «وعن». وهو خطأ.

(٣) تفسير ابن جرير ٥٢/٩، ٥٣. تاريخ الطبري ٤٢٣/١.

(٤) البخاري (٤٦٣٨، ٦٩١٧)، مسلم (٢٣٧٤).

«الصَّحِيحِينَ»^(١)، مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بَنَحْوِهِ، وَفِيهِ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى». وَذَكَرَ تَمَامَهُ. وَهَذَا مِنْ بَابِ الْهَضْمِ وَالتَّوَاضُّعِ، أَوْ نَهْيٍ عَنِ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى وَجْهِ الْعُضْبِ وَالْعَصَبِيَّةِ، أَوْ لَيْسَ هَذَا إِلَيْكُمْ، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي رَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، وَلَيْسَ يُنَالُ هَذَا بِمَجْرَدِ الرَّأْيِ، بَلِ بِالتَّوْقِيفِ. وَمَنْ قَالَ: إِنَّ هَذَا قَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أَفْضَلُ، ثُمَّ نُسِخَ بِاطِّلَاعِهِ عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ عَلَيْهِمْ كُلُّهُمْ. فَفِي قَوْلِهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ رَوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَا هَاجَرَ^(٢) «أَبُو هُرَيْرَةَ»^(٣) إِلَّا عَامَ خَيْرٍ^(٤) مَتَأَخَّرًا، فَيَتَعَدُّ أَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِهِذَا إِلَّا بَعْدَ هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَا شَكَّ أَنَّهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَفْضَلُ الْبَشَرِ، بَلِ الْخَلِيقَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وَمَا كَمَلُوا إِلَّا بِشَرَفِ نَبِيِّهِمْ، وَتَبَتِ بِالتَّوَاتُرِ عَنْهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أَنَّهُ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»^(٥). ثُمَّ ذَكَرَ اخْتِصَاصَهُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، الَّذِي يَغْرِطُهُ بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، الَّذِي تَحِيدُ عَنْهُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ، حَتَّى أُولُو الْعِزِّ الْأَكْمَلُونَ؛ نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ - أَيْ؛ آخِذًا بِهَا - فَلَا أَذْرَى أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزَى بِصَغْفَةِ الطُّورِ»^(٦).

(١) البخارى (٢٤١١). ومسلم (٢٣٧٣).

(٢) فى الأصل: «هاجرا».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى ح، م، ص: «حنين».

(٥) مسلم (٢٢٧٨). أبو داود (٤٦٧٣). الترمذى (٣١٤٨، ٣٦١٥).

(٦) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة.

دليل على أن هذا الصَّعَقَ ، الذى يَحْصُلُ للخلائقِ فى عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، حِينَ يَجْلَى الرَّبُّ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فَيُصْعَقُونَ مِنْ شِدَّةِ الْهَيْئَةِ وَالْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ ، فَيَكُونُ أَوَّلُهُمْ إِفَاقَةُ مُحَمَّدٍ ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمُصْطَفَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَيَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ . قَالَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ : « فَلَا أَذْرَى أَصْعَقَ ، فَأَفَاقَ قَبْلَى » ^(١) . أى ، وكانت صَعَقَتُهُ خَفِيفَةً ؛ لِأَنَّهُ قَدْ نَالَ بِهَذَا السَّبَبِ فى الدُّنْيَا صَعَقٌ ، أَوْ مُجَوِزَى بِصَعَقَةِ الطُّورِ ، يَعْنِى فَلَمْ يُصْعَقْ بِالْكُلِّيَّةِ ، وَهَذَا فِيهِ شَرَفٌ كَبِيرٌ وَعُلُوٌّ مَرْتَبَةِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنْ هَذِهِ الْحَيِّثِ ، وَلَا يَلْزَمُ تَفْضِيلُهُ بِهَا مُطْلَقًا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ؛ وَلِهَذَا نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى شَرَفِهِ وَفَضِيلَتِهِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ ؛ لِأَنَّ الْمُسْلِمَ لَمَّا ضَرَبَ وَجْهَهُ الْيَهُودِيُّ ، حِينَ قَالَ : لَا وَالَّذِى اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ . قَدْ يَحْصُلُ فى نفوسِ بَعْضِ الْمَشَاهِدِينَ لِدَلَالَةِ هَؤُلَاءِ بِجَنَابِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَبِينُ النَّبِيُّ ﷺ فَضِيلَتَهُ وَشَرَفَهُ [١٧٧/١ ظ] . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ يَمْسُقُ إِلَى أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي ﴾ أى فى ذَلِكَ الزَّمَانِ ، لَا مَا قَبْلَهُ ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ أَفْضَلُ مِنْهُ ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ فى قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) ، وَلَا مَا بَعْدَهُ ؛ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَفْضَلُ مِنْهُمَا ؛ كَمَا ظَهَرَ شَرَفُهُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَكَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ قَالَ : « سَأَقُومُ مَقَامًا يَرْغَبُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ حَتَّى إِبْرَاهِيمَ » ^(٣) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْنَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ أى ؛ فَخُذْ مَا أُعْطَيْتَكَ مِنَ الرِّسَالَةِ

(١) أبو داود (٤٦٧١) . (صحيح أبى داود ٣٩٠٥) .

(٢) زيادة من : الأصل ، ا .

(٣) انظر ما تقدم فى ٣٨٤/١ - ٣٩٨ .

(٤) تقدم تخريجه فى ٣٨٥/١ .

والكلام، ولا تسأل زيادةً عليه، وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ عَلَى ذَلِكَ.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ وكانت الألواح من جوهر نفيس، ففي «الصحيح» أن الله كتب له التوراة بيده، وفيها مواعظ عن الآثام، وتفصيل لكل ما يحتاجون إليه من الحلال والحرام^(١) «والحدود والأحكام»^(٢)، ﴿ فَخُذْهَا يَقْوَاهُ ﴾ أى؛ بعزم ونية صادقة قوية، ﴿ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَخَذِهَا بِأَحْسَنِهَا ﴾ أى، يضموها على أحسن وجوهها، وأجمل محامليها، ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أى؛ ستروا عاقبة الخارجين عن طاعتي، المخالفين لأمرى، المكذبين لرُسلى. ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ أى؛ عن فهمها، وتدبرها، وتعقل معناها الذى أريد منها، ودل عليه مقتضاها، ﴿ الَّذِينَ يَكْبُرُونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآءًا يَأْتُوا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ أى؛ ولو شاهدوا مهما شاهدوا من الخوارق، والمعجزات، لا يتفادوا لاتباعها، ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ أى؛ لا يسلكوه، ولا يتبعوه، ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا ﴾ أى؛ صرَفناهم عن ذلك؛ لتكذيبهم بآياتنا، وتغافلهم عنها، وإغراضهم عن التصديق بها، والتفكير فى معناها، وترك العمل بمقتضاها، ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

(١ - ١) زيادة من: الأصل.

(٢) رواه البخارى (٦٦١٤). مسلم (٢٦٥٢).

قِصَّةُ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ فِي

غَيْبَةِ كَلِيمِ اللَّهِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال الله تعالى ^(١) : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَحَ وَاتَّخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجْرَهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي [١٧٨/١] وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾

[الأعراف : ١٤٨ - ١٥٤] .

وقال الله تعالى ^(٢) : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ

(١) التفسير ٤٧٣/٣ - ٤٧٧ .

(٢) التفسير ٣٠٢/٥ - ٣٠٨ .

عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٩﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ
 وَأَضَلُّهُمْ السَّامِرِيُّ ﴿٩٠﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ
 يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعِدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ
 غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٩١﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا
 حَمَلْنَا آوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٩٢﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ
 عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٩٣﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ
 أَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ
 قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا لَنْ
 نَتَّبِعَ عَلَيْهِ عِبَادِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩٦﴾ قَالَ يَهْدُونِي مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا
 ﴿٩٧﴾ أَلَا تَتَّبِعِرُ أَفْعَصَبْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٨﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِجِّي وَلَا يَأْتِ بِرَأْسِي إِنْ
 خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٩﴾ قَالَ فَمَا
 خَطَبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴿١٠٠﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ
 أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿١٠١﴾ قَالَ فَاهْذَبْ فَإِنَّ
 لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ
 الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿١٠٢﴾ إِنَّكُمْ
 إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٠٣﴾ [طه : ٨٣ - ٩٨] .
 يَذْكُرُ تَعَالَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حِينَ ذَهَبَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى
 مِيقَاتِ رَبِّهِ ، فَمَكَثَ عَلَى الطُّورِ يُنَاجِيهِ رَبُّهُ ، وَيَسْأَلُهُ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ
 أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ تَعَالَى يُجِيبُهُ عَنْهَا ، فَعَمَدَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ ^(١) : السَّامِرِيُّ .

(١) بعده في الأصل ، ح ، م ، ص : « هارون » . وقد صرح المصنف - رحمه الله - في التفسير =

فَأَخَذَ مَا كَانَ اسْتَعَارُوهُ مِنَ الْحُلِيِّ فَصَاغَ مِنْهُ عِجَلًا ، وَأَلْقَى فِيهِ قَبْضَةً مِنَ الثَّرَابِ ، كَانَ أَخَذَهَا مِنْ أَثَرِ فَرَسٍ جَبْرِيلَ ، حِينَ رَأَاهُ يَوْمَ أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ عَلَى يَدَيْهِ ، فَلَمَّا أَلْقَاهَا فِيهِ ^(١) ، خَارَ كَمَا يَخْوَرُ الْعِجْلُ الْحَقِيقِيُّ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ اسْتَحَالَ عِجَلًا جَسَدًا . أَى ، لَحْمًا وَدَمًا ، حَيًّا يَخْوَرُ . قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ ^(٢) . وَقِيلَ : بَلْ كَانَتْ الرِّيحُ إِذَا دَخَلَتْ [١٧٨/١ ط] مِنْ دُبُرِهِ ، خَرَجَتْ مِنْ فَمِهِ ، فَيَخْوَرُ كَمَا تَخْوَرُ الْبَقَرَةُ ، فَيَرْقُصُونَ حَوْلَهُ وَيَفْرَحُونَ ^(٣) . ﴿ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴾ أَى ؛ فَنَسِيَ مُوسَى رَبَّهُ عِنْدَنَا ، وَذَهَبَ يَتَطَلَّبُهُ ، وَهُوَ هَلْهَنَا . تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ ، وَتَضَاعَفَتْ آلَاؤُهُ وَعِدَاتُهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، مُبَيِّنًا لَهُمْ بَطْلَانَ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، وَمَا عَوَّلُوا عَلَيْهِ ، مِنْ إِلَهِيَّةِ هَذَا الَّذِي قُصَّارَاهُ أَنْ يَكُونَ حَيَوَانًا بَهِيمًا وَشَيْطَانًا رَجِيمًا : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ . وَقَالَ : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ فَذَكَرَ أَنَّ هَذَا الْحَيَوَانَ لَا يَتَكَلَّمُ ، وَلَا يَزِدُّ جَوَاتِبًا ، وَلَا يَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ، وَلَا يَهْدِي إِلَى رُشْدٍ ، اتَّخَذُوهُ وَهُمْ ظَالِمُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ، عَالِمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِطْلَانِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ ، ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ أَى ؛ نَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا ، ﴿ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

= ٣٠٣/٥ ، أَنَّهُ مِنَ الْكُتُبِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ . وَاسْمُ السَّامِرِيِّ : مُوسَى بْنُ ظَفَرٍ . انْظُرْ : تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١/ ٤٢٥ ، الْمَعَارِفُ ص ٤٤ ، التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ ص ٢٠٥ ، الدَّرُ الْمَشْهُورُ ٤/ ٣٠٥ .
 (١) لَيْسَتْ فِي : الْأَصْلِ .
 (٢) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ ١٦/ ٢٠٠ ، التَّفْسِيرُ ٣٠٧/٥ .
 (٣) انْظُرْ قِصَصَ الْأَنْبِيَاءِ لِلثَّلَعِيِّ ص ١٨٦ . التَّفْسِيرُ ٥/ ٢٨٥ .

ولما رَجَعَ موسى ، عليه السلام ، إليهم ، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل ، ومعه الألواح المتضمنة التوراة ، ألقاها ، فيقال : إنه كَسَرَهَا . وهكذا هو عند أهل الكتاب ^(١) ، وإنَّ الله أبدله غيرها . وليس فى اللفظ القرآنى ما يدل على ذلك ، إلا أنه ألقاها حين عاين ما عاين . وعند أهل الكتاب ^(٢) ، أنهما كانا لَوَحَيْنِ . وظاهر القرآن أنها ألواح متعددة ، ولم يتأثر بمجرد الخبر من الله تعالى ، عن عبادتهم العجل ، فأمره بمعاقبة ذلك . ولهذا جاء فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد ^(٣) ، وابن حبان ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ » . ثُمَّ أُقْبِلَ عَلَيْهِمْ فَعَنَّفَهُمْ ، وَوَبَّخَهُمْ ، وَهَجَّنَهُمْ فى صَنِيعِهِمْ ، هَذَا الْقَبِيحِ ، فاعْتَذَرُوا إِلَيْهِ بِمَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ ؛ قالوا : إنا ﴿ حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ ، تَحَرَّجُوا مِنْ تَمْلِكِ حُلِيِّ آلِ فِرْعَوْنَ ، وَهُمْ أَهْلُ حَرْبٍ ، وَقَدْ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِأَخْذِهِ ، وَأَبَاحِهِ لَهُمْ ، وَلَمْ يَتَحَرَّجُوا بِجَهْلِهِمْ ، وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ وَعَقْلِهِمْ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ الْجَسَدِ ، الَّذِى لَهُ خَوَازٍ ، مَعَ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ ، الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْقَهَّارِ . ثُمَّ أُقْبِلَ عَلَى أَخِيهِ هَارُونَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، قَائِلًا لَهُ : ﴿ يَهْدُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ ① أَلَا تَتَّبِعَنِ ﴿ أَى هَلَّا لَمَّا رَأَيْتَ مَا صَنَعُوا اتَّبَعْتَنِي فَأَعْلَمْتَنِي بِمَا فَعَلُوا ، فَقَالَ : ﴿ إِنِّى خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ ② أَى ؛ تَرَكْتَهُمْ وَجِئْتَنِي ، وَأَنْتَ قَدْ اسْتَخْلَفْتَنِي فِيهِمْ ، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ③ وقد كان هَارُونُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، [١٧٩/١]

(١) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/١٩ .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/١٥ ، ١٦ .

(٣) فى المسند ١/٢١٥ ، ٢٧١ ، والإحسان (٦٢١٣) . (صحيح) .

نهاهم عن هذا الصنيع الفظيع أشد التَّهْيِ ، وَزَجَرَهُمْ عَنْهُ أَمُّ الزَّجَرِ ، قَالَ اللَّهُ
 تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُورِ إِنَّمَا فِتْنَتُهُ ﴾ أَى ؛ إِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ
 أَمْرَ هَذَا الْعِجْلِ ، وَجَعَلَهُ يَخُورُ فِتْنَةً وَاجْتِبَارًا لَكُمْ . ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾
 أَى ؛ لَا هَذَا الْعِجْلُ ، ﴿ فَأَتَيْنَاهُ ﴾ أَى ؛ فِيمَا أَقُولُ لَكُمْ ، ﴿ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ (٩٦)
 قَالُوا لَنْ تَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفَتَيْنِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿ يَشْهَدُ اللَّهُ لَهَارُونَ ، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، أَنَّهُ نَهَاكَم وَزَجَرَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَمْ يُطِيعُوهُ وَلَمْ
 يَتَّبِعُوهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى السَّامِرِيِّ ، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ
 يَسْمِيرِيُّ ﴾ أَى ؛ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ . ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا
 بِهِ ﴾ أَى ؛ رَأَيْتُ جِبْرَائِيلَ ، " وَهُوَ رَاكِبٌ فَرَسًا " ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ
 الرَّسُولِ ﴾ أَى ؛ مِنْ أَثَرِ فَرَسِ جِبْرِيلَ . وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ وَكَانَ كَلِمًا
 وَطِئَتْ بِحَوَافِرِهَا عَلَى مَوْضِعٍ ، اخْضَرَّ وَأَعْشَبَ ، فَأَخَذَ مِنْ أَثَرِ حَافِرِهَا ، فَلَمَّا
 أَلْقَاهُ فِي هَذَا الْعِجْلِ الْمَصْنُوعِ مِنَ الذَّهَبِ ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، وَلِهَذَا قَالَ :
 ﴿ فَسَبَّحْنَاهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ (٩٧) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي
 الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴿ وَهَذَا دَعَاءٌ عَلَيْهِ بَأَنَّ لَا يَمَسُّ أَحَدًا ؛ مَعَاقِبَةٌ لَهُ
 عَلَى مَسِّهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسَّهُ . هَذَا مَعَاقِبَةٌ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُ فِي الْآخِرَةِ ،
 فَقَالَ : ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ ﴾ وَقُرِئَ : (لَنْ نُخْلِفَهُ) (٩٨) . ﴿ وَأَنْظُرْ
 إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾
 قَالَ : فَعَمَدَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِلَى هَذَا الْعِجْلِ فَحَرَّقَهُ ، قِيلَ : بِالنَّارِ . كَمَا

(١-١) سقط من : الأصل .

(٢) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو . تفسير القرطبي ٢٤٢/١١ . وانظر تفسير الطبري ٢٠٦/١٦ ،

قَالَ قَتَادَةُ، وَغَيْرُهُ. وَقِيلَ: بِالْمَبَارِدِ. كَمَا قَالَ عَلِيُّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمَا^(١). وَهُوَ نَصُّ أَهْلِ الْكِتَابِ^(٢). ثُمَّ ذَرَاهُ فِي الْبَحْرِ، وَأَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَشَرِبُوا، فَمَنْ كَانَ مِنْ عَابِدِيهِ، عَلِقَ عَلَى شِفَاهِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الرَّمَادِ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: بَلِ اصْفَرَّتْ أَلْوَانُهُمْ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾. وَهَكَذَا وَقَعَ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾: مُسَجَّلَةٌ لِكُلِّ صَاحِبٍ بِذَعَةٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٣). ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ جَلِيمِهِ وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ، وَإِحْسَانِهِ عَلَى عِبِيدِهِ، فِي قَبُولِهِ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ، بِتَوْبَتِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. لَكِنْ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ تَوْبَةَ عَابِدِي الْعِجْلِ إِلَّا بِالْقَتْلِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٤): ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِرْ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَأَقْلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ [١٧٩/١] فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤] فَيَقَالُ: إِنَّهُمْ أَصْبَحُوا يَوْمًا، وَقَدْ أَخَذَ مَنْ لَمْ يَعْبُدِ الْعِجْلَ فِي أَيْدِيهِمُ السُّيُوفَ، وَأَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ ضَبَابًا، حَتَّى لَا يَعْرِفَ الْقَرِيبُ قَرِيبَهُ، وَلَا التَّسِيبُ نَسِيبَهُ، ثُمَّ مَالُوا عَلَى

(١) تفسير الطبري ٢٠٨/١٦، ٢٠٩، والقرطبي ٢٤٢/١١، ٢٤٣، والتفسير ٣٠٧/٥.

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/٢٠.

(٣) انظر أقوال السلف في التفسير ٤٧٥/٣، والقرطبي ٢٩٢/٧.

(٤) التفسير ١٣٠/١ - ١٣٢.

عابديهم ، فقتلوههم ، وحصدوهم . فيقال : إنهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين ألفا . ثم قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ ﴾ استدل بعضهم بقوله : ﴿ وَفِي نُسَخَتِهَا ﴾ على أنها تكسرت ، وفي هذا الاستدلال نظر ، وليس في اللفظ ما يدل على أنها تكسرت ، والله أعلم ^(١) . وقد ذكر ابن عباس في حديث الفتون ، كما سيأتي ، أن عبادتهم العجل ، كانت على أثر خروجهم من البحر ، وما هو بعيد ؛ لأنهم حين خرجوا ﴿ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ .

وهكذا عند أهل الكتاب ، فإن عبادتهم العجل ، كانت قبل مجيئهم بلاد بيت المقدس ، وذلك أنهم لما أُمروا بقتل من عبد العجل ، قتلوا في أول يوم ثلاثة آلاف ^(٢) . ثم ذهب موسى يستغفر لهم ، فغفر لهم ، بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة .

﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتَلْكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ ^(١٥٥) ﴿ وَكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَاكَ إِلَيْكَ ﴾ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١٥٦) الَّذِينَ يَنْتَعِمُونَ الرَّسُولَ

(١) انظر تفسير القرطبي ٢٨٨/٧ ، والتفسير ٤٧٦/٣ .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٣٢/٢٨ .

الَّتِي الْأَمْنَى الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ بَيْنَ أَمَانُوا
بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿١﴾ [الأعراف: ١٥٥ - ١٥٧]. ذكر الشُّدِّي، وابنُ عباس، وغيرهما،
أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ كانوا علماء بني إسرائيل، ومعهم موسى، وهارون،
ويوشع، وناداب، وأيهو، ذهبوا مع موسى، عليه السلام، ليعتذروا عن بني
إسرائيل في عبادة مَنْ عَبَدَ مِنْهُمْ الْعِجْلَ، وكانوا قد أُمِرُوا أَنْ يَتَطَيَّبُوا،
وَيَتَطَهَّرُوا، وَيَغْتَسِلُوا، فَلَمَّا ذَهَبُوا مَعَهُ، واقترَبُوا مِنَ الْجَبَلِ، وعليه الغمام،
وعمودُ الثَّوْرِ ساطِعٌ، وصعد موسى الجبلَ، فَذَكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ
اللَّهِ، وهذا قد وافقهم [١٨٠/١] عليه طائفةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ ^(٢)، وَحَمَلُوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ
تَعَالَى: ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِقُونَهُ مِنْ بَعْدِ
مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]. وليس هذا بلازم؛ لقوله تعالى:
﴿فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ أُنَى؛ مُبَلَّغًا، وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ سَمِعُوهُ مُبَلَّغًا مِنْ ^(٣)
مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَزَعَمُوا أَيْضًا أَنَّ السَّبْعِينَ رَأَوْا اللَّهَ، وَهَذَا غَلَطٌ مِنْهُمْ؛
لَأَنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوا الرُّؤْيَا، أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى
لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ
بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]. وقال ههنا:

(١) التفسير ٤٧٧/٣ - ٤٨٨.

(٢) انظر تفسير الطبري ٣٦٧/١، والتفسير ١٦٤/١، ١٦٥.

(٣) فِي الْأَصْلِ، ص: «عَنْ».

﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَلِيئِي ﴾ . قال محمد بن إسحاق : اختار موسى من بنى إسرائيل سبعين رجلاً ، الخيبر فالخيبر ، وقال : انطلقوا إلى الله ، فتوبوا إليه مما صنعتم ، وسلوه التوبة على من ترككم وراءكم من قَوْمِكُمْ ، صوموا وتطهروا ، وطهروا ثيابكم . فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربّه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فطلب^(١) منه السبعون أن يسمّعوا كلام الله ، فقال : أَفْعَلُ . فلما دنا موسى من الجبل ، وقع عليه عمود الغمام ، حتى تَغَشَّى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل في الغمام ، وقال للقوم : ادنوا . وكان موسى إذا كلمه الله وَقَعَ على جبهته نورٌ ساطعٌ ، لا يستطيع أحدٌ من بنى آدم أن ينظرَ إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم ، حتى إذا دخلوا في الغمام ، وَقَعُوا سُجُودًا ، فسمِعوه وهو يُكَلِّمُ موسى ، يأمره وينهاه ؛ افعل . ولا تفعل . فلما فرغ الله من أمره ، وانكشف عن موسى الغمام أَقْبَلَ إِلَيْهِمْ قالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ - وهى الصّاعقة - فافْتَلَتَتْ^(٢) أَرْوَاحُهُمْ ، فماتوا جميعاً فقام موسى يُنَادِي رَبّه ، ويدعوه ، وَيَرْغُبُ إِلَيْهِ ، ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَلِيئِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ أى ؛ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين عَبَدُوا العجل منّا ، فإننا بُرَاءٌ مِّمَّا عَمِلُوا^(٣) . وقال ابن عباس ، ومُجاهدٌ ،

(١) فى الأصل ، ح : « فقال له وطلب » .

(٢) فى الأصل ، ح ، ا ، م : « فالتقت » . وكذا فى تاريخ الطبرى . وفى ص : « فأتيت » . وما أثبت هو الصواب إن شاء الله . فىقال : افْتَلَتَتْ نفسه . أى مات فلتة ، أى بقتة . وفى البخارى : أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : إن أمى افْتَلَتَتْ نفسها ، فماتت ولم توص . فأُتِىَ عنها ؟ انظر النهاية لابن الأثير ٤٦٧/٣ .

(٣) تفسير الطبرى ٢٩١/١ ، وتاريخ الطبرى ٤٢٧/١ ، والتفسير ٤٧٧/٣ .

وَقَتَادَةُ، وَابْنُ جُرَيْجٍ: إِنَّمَا أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَنْهَوْا قَوْمَهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أَيْ: اخْتِبَارُكَ، وَابْتِلَاؤُكَ، وَامْتِحَانُكَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالزَّيْعُ بْنُ أَنَسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. يَعْنِي: أَنْتَ الَّذِي قَدَّرْتَ هَذَا، وَخَلَقْتَ [١/١٨٠ ط] مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعِجْلِ، اخْتِبَارًا تَخْتَبِرُهُمْ بِهِ، كَمَا قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ: ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أَيْ: اخْتَبِرْتُمْ بِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ أَيْ: مَنْ شِئْتَ أَضَلَلْتَهُ بِاخْتِبَارِكَ إِيَّاهُ، وَمَنْ شِئْتَ هَدَيْتَهُ، لَكَ الْحُكْمُ وَالْمَشِيعَةُ، فَلَا مَانِعَ وَلَا رَادَّ لِمَا حَكَمْتَ وَقَضَيْتَ. ﴿أَنْتَ وَلَيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

﴿وَكَتُبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ﴾ أَيْ: ثَبَّنَا إِلَيْكَ، وَرَجَعْنَا، وَأَثَبْنَا. قَالَ، ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ، وَالضُّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي اللُّغَةِ^(١). ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أَيْ: أَنَا أَعَذِّبُ مَنْ شِئْتُ بِمَا أَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ، الَّتِي أَخْلَقْتُهَا وَأَقَدَرْتُهَا، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ كَمَا ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا فَرَعَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». ﴿فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَنْقُوتُ الرَّكْعَةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

(١) التفسير ٤٧٩/٣.

(٢) البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

أى ؛ فسأوجِبها حَتْمًا لِمَنْ يَتَّصِفُ بهذه الصِّفَاتِ ، ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ الآية . وهذا فيه تَثْوِيَةٌ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَأُمِّيَّةٌ ، مِنْ اللَّهِ تعالى لموسى ، عليه السَّلامُ ، فى جُمْلَةٍ ما ناجاه به ، وأَعْلَمَهُ وأَطْلَعَهُ عليه . وقد تكلَّمنا على هذه الآية وما بعدها فى « التفسير » ، بما فيه كفايةً ومَقْنَعٌ ، ولِلَّهِ الحَمْدُ والمِثَّةُ ^(١) . وقال قتادة : قال موسى : ياربِّ ، أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً ، خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، يأْمُرُونَ بالمعروفِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، رَبِّ ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : رَبِّ ، إِنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً ، هم الآخِرُونَ فى الخَلْقِ ، السَّابِقُونَ فى دُخُولِ الجَنَّةِ ، رَبِّ ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : رَبِّ ، إِنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةٌ أَنَا جِئِلُهُمْ فى صُدُورِهِمْ ، يقرؤونها ، وكان مَنْ قَبْلَهُمْ يقرؤون كتابهم نَظْرًا ، حتى إذا رَفَعُوهَا لم يَحْفَظُوهَا شَيْئًا ، ولم يَعْرِفُوهَا ، وإنَّ اللَّهَ أَعْطَاكُمْ أَيُّهَا الأُمَّةُ مِنَ الحَفِظِ شَيْئًا ، لم يُعْطِهَا أَحَدًا مِنَ الأُمَمِ . قال : رَبِّ ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : رَبِّ ، إِنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةٌ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ ، وبِالْكِتَابِ الْآخِرِ ، وَيَقَاتِلُونَ فِضْوَلاً الضَّلَالَةَ ، حتى يُقَاتِلُوا الأَعْوَرَ الكَذَّابَ ، فاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : رَبِّ ، إِنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةً ، صَدَقَاتُهُمْ [١٨١/١] يَأْكُلُونَهَا فى بطونهم ، وَيُؤْجَرُونَ عليها ، وكان مَنْ قَبْلَهُمْ إذا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ، فَقَبِلَتْ مِنْهُ ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا نَارًا فَأَكَلَتْهَا ، وإن رُدَّتْ عَلَيْهِ ، تُرِكَتْ فَتَأْكُلُهَا السَّبَاعُ وَالطَّيْرُ ، وإنَّ اللَّهَ أَخَذَ صَدَقَاتِكُمْ مِنْ غَنِيِّكُمْ لِفَقِيرِكُمْ ، قال : رَبِّ ، فاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي . قال : تلك أُمَّةٌ أَحْمَدُ . قال : رَبِّ ، فَإِنِّى أجدُ فى الألواحِ أُمَّةٌ إِذَا هُمْ أَحَدُهُمْ

(١) انظر التفسير ٤٧٩/٣ - ٤٨٨ .

بِحَسَنَةٍ، ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ امْتَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ: رَبِّ، اجْعَلْهُمْ أُمَّتِي. قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ: رَبِّ، إِنِّي أَجِدُ فِي الْأَلْوَابِ أُمَّةً هُمُ الْمُشْفَعُونَ، الْمَشْفُوعُ لَهُمْ، فَاجْعَلْهُمْ أُمَّتِي. قَالَ: تِلْكَ أُمَّةٌ أَحْمَدُ. قَالَ قَتَادَةُ: فَذَكِّرْ لَنَا أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَبَذَ الْأَلْوَابَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ، اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ^(١). وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَا كَانَ مِنْ مُنَاجَاةِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَوْرَدُوا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا أَصْلَ لَهَا، وَنَحْنُ نَذْكُرُ مَا تَبَيَّنَ ذِكْرُهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ، بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَحُسْنِ هِدَايَتِهِ وَمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ.

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو حَاتِمٍ، مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ بْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»^(٢): ذَكَرَ سَوَالِ كَلِيمِ اللَّهِ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَنْ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَرْفَعِهِمْ مَنْزِلَةً؛ أَخْبَرَنَا عَمْرُ بْنُ سَعِيدٍ الطَّائِي بِمَنْبَجٍ، حَدَّثَنَا حَامِدُ بْنُ يَحْيَى الْبَلْخِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا مُطَرِّفُ بْنُ طَرِيفٍ، وَعَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبِي جَرٍّ^(٣) - شَيْخَانِ صَالِحَانِ - سَمِعْنَا الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ يَقُولُ عَلَى الْمَنْبَرِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَأَلَ رَبَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ: أَيُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَدْنَى مَنْزِلَةً؟ فَقَالَ: رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: كَيْفَ ادْخُلُ الْجَنَّةَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ وَأَخَذُوا أَخْدَانَهُمْ»^(٤). فَيَقَالُ لَهُ: تَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ مِثْلُ مَا كَانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ.

(١) تفسير الطبري ٦٥/٩.

(٢) الإحسان (٦٢١٦). إسناده صحيح.

(٣) في ح: «الحر». وانظر تهذيب التهذيب ٣٩٤/٦.

(٤) في النسخ: «أخادذاتهم». والمثبت من مصدر التخريج.

فَيَقَالُ : لَكَ هَذَا ، وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، رَضِيتُ . فَيَقَالُ : ^(١) إِنْ لَكَ هَذَا وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ . فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، رَضِيتُ . فَيَقَالُ ^(٢) لَهُ : لَكَ مَعَ هَذَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذْتُ عَيْتُكَ . وَسَأَلَ رَبَّهُ : أَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : سَأُحَدِّثُكَ عَنْهُمْ ، عَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] . وهكذا رواه مسلم ، والترمذي ^(٣) ، كلاهما عن ابن أبي عُمَرَ ، عن سُفْيَانَ ، وهو ابن عُيَيْنَةَ ، به ^(٤) ، وَلَفْظُ مُسْلِمَ : « فَيَقَالُ لَهُ : أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكٍ ^(٥) مِثْلُكَ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ . فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ [١٨١/١ ط] وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ . فَيَقُولُ فِي الْخَامِسَةِ : رَضِيتُ رَبِّ . فَيَقُولُ : هَذَا لَكَ وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَذْتُ عَيْتُكَ . فَيَقُولُ : رَضِيتُ رَبِّ . قَالَ : رَبِّ ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً ؟ قَالَ : أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ عَرَسْتُ ^(٦) كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ » . قَالَ : وَمِصْدَاقُهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . وقال الترمذي : حسنٌ صحيحٌ . قال : ورواه بعضهم عن الشَّعْبِيِّ ، عن الْمُغِيرَةِ ، فلم يَرْفَعْهُ ، والمَرْفُوعُ أَصَحُّ ^(٧) .

(١ - ١) سقط من : ح ، م ، ص .

(٢) مسلم (١٨٩) ، الترمذي (٣١٩٨) .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في م ، ص : « غرس » .

(٦) والرواية الموقوفة التي أشار إليها الترمذي عند مسلم (١٨٩) ، والطبراني في الكبير (٩٨٩) .

وقال ابن حبان^(١) : ذُكِرَ سؤالُ الكَلِيمِ رَبِّهِ عن خِصَالِ سَبْعٍ ؛ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلَمٍ^(٢) ، بَيْتُ المَقْدِسِ ، حَدَّثَنَا حَزْمَةُ بْنُ يَعْنَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهَبٍ ، أَخْبَرَنِي عمرو بْنُ الحَارِثِ ، أَنَّ أبا السَّمْحِ ، حَدَّثَهُ عن ابنِ^(٣) حُجْبِرَةَ ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قال : « سَأَلَ موسى رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَنْ سِتِّ خِصَالٍ ، كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَهُ خَالِصَةٌ ، وَالسَّابِقَةُ لَمْ يَكُنْ موسى يُحِبُّهَا ؛ قال : يَا رَبِّ ، أَيُّ عِبَادِكَ أَتَقَى ؟ قال : الَّذِي يَذْكُرُ وَلَا يَنْسَى . قال : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَهْدَى ؟ قال : الَّذِي يَتَّبِعُ الْهَدَى . قال : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَحْكَمُ ؟ قال : الَّذِي يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ . قال : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ ؟ قال : عَالِمٌ لَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ ، يَجْمَعُ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ . قال : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعَزُّ ؟ قال : الَّذِي إِذَا قَدَرَ عَفَرَ . قال : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْنَى ؟ قال : الَّذِي يَرْضَى بما يُؤْتَى . قال : فَأَيُّ عِبَادِكَ أَفْقَرُ ؟ قال : صَاحِبٌ مَنْقُوصٌ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَيْسَ الْغِنَى عَنْ ظَهْرِ ، إِنَّمَا الْغِنَى عَنْ النَّفْسِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ أَنْ يَجْعَلَ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ ، وَتُقَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَإِذَا أَرَادَ بَعْدَ شَرٍّ أَنْ يَجْعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » .

قال ابنُ حِبَّانَ : قولُه : صَاحِبٌ مَنْقُوصٌ . يريدُ به مَنْقُوصٌ حالِيه ، يَسْتَقِلُّ ما أُوتِيَ ، وَيَطْلُبُ الْفَضْلَ .

وقد رواه ابنُ جريرٍ في « تاريخه »^(٤) ، عن ابنِ حُمَيْدٍ ، عن يعقوبَ

(١) الإحسان (٦٢١٧) . إسناده حسن .

(٢) في النسخ : « مسلم » . والمثبت من الإحسان . وانظر سير أعلام النبلاء ٣٠٦ / ١٤ .

(٣) في الأصل : « أبي » . وانظر تهذيب التهذيب ١٦٠ / ٦ .

(٤) ابن جرير ٣٧١ / ١ .

الْقَمِّي^(١)، عن هارونَ بنِ عَنَتَرَةَ^(٢)، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ، قال : سأل موسى ربّه، عزَّ وجلَّ، فذكر نحوه، وفيه : قال : أَيُّ رَبِّ، فَأَيُّ عِبَادِكَ أَعْلَمُ؟ قال : الذي يَتَّبِعِي عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ، عسى أَنْ يُصِيبَ كَلِمَةً تَهْدِيهِ إِلَى هُدًى، أَوْ تَزُدَّهُ عَنْ رَدًى. قال : أَيُّ رَبِّ، فهل في الأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ^(٣) مِنِّي؟ قال : نَعَمْ، الْخَضِرُ. فسأل السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فكان ما سَنَدُّكُوهَ بعدُ، إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تعالى، وبه الثَّقَةُ.

(١) في الأصل، ١: «العمي». وفي م، ص: «التميمي». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر تهذيب التهذيب ١١/٣٩٠، ٣٩١.

(٢) في ح، م: «عبيرة». وانظر تهذيب التهذيب ١١/٩.

(٣) في ص: «أعمر».

ذِكْرُ حَدِيثٍ آخَرَ بِمَعْنَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ

قال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ دُرَّاجٍ ، ^(٢) عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ [١٨٢/١] ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ مُوسَى قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، عَبْدُكَ الْمُؤْمِنُ مُقْتَرٌّ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : فَتُفْتَحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَتَنْظَرُ إِلَيْهَا ، قَالَ : يَا مُوسَى ، هَذَا مَا أَعَدَدْتُ لَهُ . فَقَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالرِّجْلَيْنِ ، يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ يَوْمٍ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ ، لَمْ يَرِ بُؤْسًا قَطُّ . قَالَ : ثُمَّ قَالَ : أَيُّ رَبِّ ، عَبْدُكَ الْكَافِرُ مُوسَّعٌ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا . قَالَ : فَتُفْتَحَ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ، فَيَقُولُ : يَا مُوسَى ، هَذَا مَا أَعَدَدْتُ لَهُ . فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ ، وَعِزَّتِكَ وَجَلَالِكَ ، لَوْ كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا مُنْذُ يَوْمٍ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَكَانَ هَذَا مَصِيرَهُ ، لَمْ يَرِ خَيْرًا قَطُّ » . تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وَفِي صَحِّحَتِهِ نَظَرٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال ابنُ حِبَّانَ^(٣) : ذِكْرُ سَوَالِ كَلِيمِ اللَّهِ رَبِّهِ ، جَلَّ وَعَلَا ، أَنْ يَعْلَمَهُ شَيْئًا يَذْكُرُهُ بِهِ ، حَدَّثَنَا ^(٤) ابْنُ سَلَمٍ ، حَدَّثَنَا حَزْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ، أَنَّ دُرَّاجًا حَدَّثَهُ ، عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ،

(١) فِي الْمُسْنَدِ ٨١/٣ . وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ ٢٦٧/١٠ : وَفِيهِ ابْنُ لَهْيَعَةَ وَدُرَّاجٌ ، وَقَدْ وَثَّقَا عَلَى ضَعْفٍ فِيهِمَا . وَقَالَ السَّاعَتِيُّ فِي « بُلُوغِ الْأَمَانِيِّ » ١١٦/١٩ : وَقَصَارَى الْقَوْلِ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ ضَعِيفٌ .

(٢-٢) فِي الْأَصْلِ : « بِنَ أَبِي الْهَيْثَمِ » . وَانْظُرِ التَّقْرِيبَ ٢٣٥/١ .

(٣) الْإِحْسَانُ (٦٢١٨) . إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ .

(٤-٤) فِي ١ : « أَبُو مُسْلِمٍ » . وَفِي م ، ص : « ابْنُ سَلَمَةَ » . وَانْظُرِ صَفْحَةَ ١٥٨ حَاشِيَةِ (٢) .

عن النبي ﷺ، أنه قال: «قال موسى: يارب، علّمني شيئاً أذكرك به، وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يارب، كلُّ عبادك يقولُ هذا. قال: قل: لا إله إلا الله. قال: إنما أريدُ شيئاً تخصّصني به. قال: يا موسى، لو أنّ أهلَ السماواتِ السبع، والأرضين السبع، في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالتَ بهم لا إله إلا الله». ويشهدُ لهذا الحديث حديثُ البطاقة^(١). وأقربُ شئٍ إلى معناه، الحديثُ المروى في «السنن»^(٢)، عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضلُ الدعاءِ، دعاءُ عرفة، وأفضلُ ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شئٍ قديرٌ».

وقال ابنُ أبي حاتم^(٣)، عندَ تفسيرِ آيةِ الكزبي: «حدّثنا أحمدُ بنُ القاسمِ ابنِ عطيّة، حدّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الدُّشككي^(٤)، حدّثنى أبي، عن أبيه، حدّثنا أشعثُ بنُ إسحاق، عن جعفرِ بنِ أبي المغيرة، عن سعيدِ بنِ جبير^(٥)، عن ابنِ عباس، أنّ بني إسرائيلَ قالوا لموسى: هل ينأمُ ربُّك؟ قال: اتّقوا الله. فناداهُ ربُّه: يا موسى، سألوكم هل ينأمُ ربُّك، فخذُ زُجاجَتَيْنِ في يدَيْك، فقمِ الليلَ، ففعلَ موسى، فلمّا ذهبَ مِنَ الليلِ ثلثُ، نَعَسَ، فوقعَ لِرُكبتَيْهِ، ثم انتعشَ،

(١) رواه الترمذى (٢٦٣٩) وقال: حديث حسن غريب. ابن ماجه (٤٣٠٠). (صحيح الترمذى ٢١٢٧).

(٢) الترمذى (٣٥٨٥). وقال: حديث غريب... (صحيح الترمذى ٢٨٣٧). وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٠٣).

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٧/١ وعزاه إلى ابن أبي حاتم. وابن كثير فى التفسير ٤٥٦/١. ورواه أبو الشيخ فى العظمة (١٤٠) عن ابن أبي حاتم به. وإسناده حسن.

(٤ - ٤) سقط من: أ.

(٥) فى ح، م: «الدسكى». وفى ص: «الدسلى». وانظر تهذيب التهذيب ٥٣/١.

فَضَبَطَهُمَا ، حتى إذا كان آخِرُ اللَّيْلِ نَعَسَ ، فَسَقَطَتِ الرُّجَاجَتَانِ ، فَأَنْكَسَرَتَا .
 فقال : يا موسى ، لو كنتُ أَنَامُ ، لَسَقَطَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، فَهَلَكُنَّ كَمَا
 [١٨٢/١ ط] هَلَكَتِ الرُّجَاجَتَانِ فِي يَدَيْكَ . قال : وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ آيَةَ
 الْكُرْسِيِّ .

وقال ابن جرير^(١) : حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ ، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ
 يُوسُفَ ، عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ شُبَلٍ ، عَنْ الْحَكَمِ بْنِ أَبَانَ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ،
 قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْكِي عَنْ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى الْمُنْبَرِ ،
 قال : « وَقَعَ فِي نَفْسِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هَلْ يَنَامُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ؟ فَأَرْسَلَ
 اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا ، فَأَرْقَاهُ ثَلَاثًا ، ثُمَّ أَعْطَاهُ قَارُورَتَيْنِ ، فِي كُلِّ يَدٍ قَارُورَةٌ ، وَأَمَرَهُ أَنْ
 يَحْتَفِظَ بِهِمَا ، قال : فَجَعَلَ يَنَامُ ، وَكَادَتْ يَدَاهُ تَلْتَقِيَانِ فَيَسْتَقِيقُ ، فَيَحْبِسُ
 إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، حَتَّى نَامَ نَوْمَةً ، فَاصْطَفَقَتْ يَدَاهُ ، فَأَنْكَسَرَتِ
 الْقَارُورَتَانِ » . قال : ضَرَبَ اللَّهُ لَهُ مَثَلًا ، أَنْ لَوْ كَانَ يَنَامُ ، لَمْ تَشْتَفْسِكِ السَّمَاءُ
 وَالْأَرْضُ . وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ رَفَعَهُ ، وَالْأَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مُوقِفًا ، وَأَنْ يَكُونَ
 أَصْلُهُ إِسْرَائِيلِيًّا^(٢) .

وقال اللَّهُ تَعَالَى^(٣) : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا

(١) فِي تَفْسِيرِهِ ٧/٣ ، ٨ .

(٢) قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْعُلَلِ الْمُنْتَهِيَةِ ٢٧/١ بَعْدَ أَنْ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ يُوسُفَ بِهِ : وَلَا يَثْبُتُ هَذَا
 الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغُلَطَ مِنْ رَفَعِهِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ عِكْرِمَةَ رَأَى هَذَا فِي كِتَابِ الْيَهُودِ فَرَوَاهُ ، فَمَا
 يَزَالُ عِكْرِمَةُ يَذْكُرُ عَنْهُمْ أَشْيَاءَ ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَخْفَى هَذَا عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 أَحْمَدَ بْنُ حَنْبَلٍ فِي كِتَابِ السَّنَةِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ
 يَنَامُ رَبُّنَا ؟ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ . فَإِنَّ الْقَوْمَ كَانُوا جَهَالًا بِاللَّهِ . ١ هـ .

(٣) التفسير ١٤٩/١ ، ١٥٠ .

ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦٤﴾ وقال تعالى^(١): ﴿وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٥﴾ [الأعراف: ١٧١]. قال ابن عباس، وغير واحد من السلف: لما جاءهم موسى بالألواح فيها التوراة، أمرهم بقبولها، والأخذ بها بقوة وعزم، فقالوا: انشرها علينا، فإن كانت أوامرها ونواهيها سهلة، قبلناها. فقال: بل اقبلوها بما فيها. فراجعوه مزاراً، فأمر الله الملائكة، فرفعوا الجبل على رؤوسهم حتى صار كأنه ظلّة، أنى غمامة على رؤوسهم، وقيل لهم: إن لم تقبلوها بما فيها، وإلا سقط هذا الجبل عليكم. فقبلوا ذلك، وأمروا بالشجود فسجدوا، فجعلوا ينظرون إلى الجبل بشوق وجوهم، فصارت سنة لليهود إلى اليوم، يقولون: لا سجدة أعظم من سجدة رفعت عنا العذاب. وقال سنيّد بن داود^(٢)، عن حجاج بن محمد، عن أبي بكر بن عبد الله، قال: فلما نشرها لم يثق على وجه الأرض جبل، ولا شجر، ولا حجر، إلا اهتز، فليس على وجه الأرض يهودي صغير ولا كبير تُقرأ عليه التوراة إلا اهتز، ونفض لها رأسه.

(١) التفسير ٤٩٩/٣، ٥٠٠.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ١٠٩/٩ من طريق سنيّد بن داود. كما ذكره المصنف في التفسير ٤٩٩ عن سنيّد.

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ أى ؛ ثُمَّ بَعْدَ مَشَاهِدَةِ هَذَا
الميثاقِ العظيمِ ، والأمرِ الجسيمِ ، نَكَّثْتُمْ عَهْدَكُمْ ومَوَائِقَكُمْ ، ﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ بِأَنْ تَذَارَكَكُمْ بِالْإِرسَالِ إِلَيْكُمْ [١٨٣/١] ، وَإِنزَالِ
الْكِتَابِ عَلَيْكُمْ ﴿ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

قِصَّةُ بَقْرَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قال الله تعالى^(١) : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتَحِدْنَا هَذَا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٦٧] قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴾ [٦٨] قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْع لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ ﴾ [٦٩] قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [٧٠] قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْقَرْيَةَ مُسَلِّمَةٌ لَا شَبَهَ فِيهَا قَالُوا أَلَن نَجِدَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٧١] وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [٧٢] فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُفْزِقِينَ وَيُزَيِّدُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [البقرة: ٦٧ - ٧٣]

قال ابن عباس، وعبيدة السلماني، وأبو العالية، ومجاهد، والسدي، وغير واحد من السلف: كان رجل في بني إسرائيل كثير المال، وكان شيخاً كبيراً، وله بنتان، وكانوا يتمنون موته؛ ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله في الليل، وطرحه في مجمع الطرق، ويقال: على باب رجل منهم. فلما أصبح الناس، اختصموا فيه، وجاء ابن أخيه، فجعل يضرب ويظلم، فقالوا: ما لكم تختصمون ولا تأتون نبي الله، فجاء ابن أخيه، فشكى أمر عمه إلى رسول الله ﷺ، فقال موسى، عليه السلام: أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر

(١) التفسير ١/١٥٤ - ١٦٢.

هذا القَتِيلِ إِلَّا أَعْلَمْنَا بِهِ . فلم يكن عند أحدٍ منهم عِلْمٌ ، وسألوه أن يسأل في هذه القضية رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فسأل رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، في ذلك فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ ، يَغْتَنُونَ ؛ نحن نسألك عن أمرٍ هذا القَتِيلِ ، وأنت تقول هذا . ﴿ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أى ؛ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَقُولَ عَنْهُ غَيْرَ مَا أَوْحَى إِلَيَّ . وهذا هو الذى أَجَابَنِي حِينَ سَأَلْتُهُ عَمَّا سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ أَنْ أَسْأَلَهُ فِيهِ . قال ابنُ عباسٍ ، وَعَبِيدَةُ ، وَمُجَاهِدٌ وَعِكْرِمَةُ ، وَالشَّيْثِيُّ ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ : فلو أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى أَىِّ بَقَرَةٍ ، فَذَبَحُوهَا ، لَحَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنْهَا ، وَلَكِنَّهُمْ شَدَّدُوا ، فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^(١) . وقد وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ ^(٢) ، فَسَأَلُوا عَنْ صِفَتِهَا ، ثُمَّ عَنْ لَوْنِهَا ، ثُمَّ عَنْ سِنِّهَا فَأَجِيبُوا بِمَا عَزَّ وَجُودُهُ عَلَيْهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا تَفْسِيرَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي «التفسير» ^(٣) .

والمقصودُ أَنَّهُمْ [١٨٣/١ ظ] أَمَرُوا بِذَبْحِ بَقَرَةٍ عَوَانٍ ؛ وَهِيَ الْوَسْطُ بَيْنَ النَّصْفِ الْفَارِضِ ، وَهِيَ الْكَبِيرَةُ ، وَالْبَكْرُ ، وَهِيَ الصَّغِيرَةُ . قاله ابنُ عباسٍ ، وَمُجَاهِدٌ ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَالْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ، وَجَمَاعَةٌ . ثُمَّ شَدَّدُوا ، وَضَبُّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَسَأَلُوا عَنْ لَوْنِهَا ، فَأَمَرُوا بِصَفْرَاءَ فَاقِعٍ لَوْنُهَا ، أَىِّ مُشْرَبٍ بِحُمْرَةٍ ، تَسُرُّ النَّاطِرِينَ ، وَهَذَا اللَّوْنُ عَزِيزٌ . ثُمَّ شَدَّدُوا أَيْضًا فَقَالُوا : ﴿ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبْنَ

(١) التفسير ١٥٨/١ .

(٢) سيأتى بعد قليل كما ذكره المصنف فى التفسير ١٥٩/١ سندا ومتنا ، وعزاه لابن مردويه من حديث أبى هريرة مرفوعا ، وقال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبى هريرة . وينحوه مرفوعا رواه سعيد بن منصور فى سننه ٥٦٥/٢ فى كتاب التفسير من حديث عكرمة يرفعه . وسنده ضعيف لإرساله .

(٣) التفسير ١٥٨/١ وما بعدها .

لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿١﴾ ففى الحديث المرفوع، الذى رواه ابن أبى حاتم، وابن مَرْدَوَيْهِ ^(١) : «لولا أَنَّ بنى إسرائيلَ اسْتَسْتَوْا لَمَا أُعْطُوا». وفى صَحِيحِهِ نَظَرٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَنْتَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ وهذه الصِّفَاتُ أَصْبَحَتْ بِمَا تَقَدَّمَ، حَيْثُ أُمِرُوا بِذَبْحِ بَقَرَةٍ، لَيْسَتْ بِالذَّلُولِ؛ وهى الْمُدْلَلَةُ بِالْحِرَاثَةِ وَسَقَى الْأَرْضَ بِالسَّائِيَةِ، مُسَلَّمَةٍ؛ وهى الصَّحِيحَةُ الَّتِى لَا عَيْبَ فِيهَا. قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَقَتَادَةُ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَا شِيبَةَ فِيهَا﴾ أَيُّ؛ لَيْسَ فِيهَا لَوْنٌ يَخَالِفُ لَوْنَهَا، بَلْ هِيَ مُسَلَّمَةٌ مِنَ الْعُيُوبِ، وَمِنْ مَخَالَطَةِ سَائِرِ الْأَلْوَانِ غَيْرَ لَوْنِهَا، فَلَمَّا حَدَّدَهَا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، وَحَصَّرَهَا بِهَذِهِ الثُّعُوبِ وَالْأَوْصَافِ، ﴿قَالُوا أَلَنْتَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ وَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا هَذِهِ الْبَقَرَةَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا عِنْدَ رَجُلٍ مِنْهُمْ، كَانَ بَارًّا بِأَبِيهِ، فَطَلَبُوهَا مِنْهُ، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَأَرْغَبُوهُ فِي ثَمَنِهَا، حَتَّى أَعْطَوْهُ - فِيمَا ذَكَرَهُ السُّدِّى - بوزنها ذهبًا، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، حَتَّى أَعْطَوْهُ بِوزنها عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَبَاعَهَا مِنْهُمْ، فَأَمَرَهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى بِذَبْحِهَا، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ أَيُّ؛ وَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي أَمْرِهَا. ثُمَّ أَمَرَهُمْ عَنِ اللَّهِ أَنَّ يَضْرِبُوا ذَلِكَ الْقَتِيلَ بِيَعْضِهَا، قِيلَ: بِلَحْمٍ فَخَذَهَا. وَقِيلَ: بِالْعَظْمِ الَّذِى يَلِى الْعُضْرُوفَ. وَقِيلَ: بِالْبَضْعَةِ الَّتِى بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ، فَلَمَّا ضَرَبُوهُ بِيَعْضِهَا، أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَامَ ^(٢) وَهُوَ تَشَحُّبٌ أَوْدَاجُهُ، فَسَأَلَهُ نَبِيُّ اللَّهِ: مَنْ قَتَلَكَ؟ قَالَ: قَتَلَنِي ابْنُ أَخِي. ثُمَّ عَادَ

(١) ذكره السيوطى فى الدر ٧٧/١ وعزاه لابن أبى حاتم وابن مردويه. وذكره المصنف فى التفسير ١/ ١٥٩ وعزاه إليهما.

(*) إلى هنا ينتهى الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث والمشار لها ب (١).

مَيِّتًا كَمَا كَانَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أى ؛ كما شاهدتم إحياء هذا القتيل ، عن أمرِ الله له ، كذلك أمره فى سائرِ الموتى ، إذا شاء إحياءهم أحياءهم فى ساعة واحدة ، كما قال : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشُقُكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً ﴾ الآية [لقمان : ٢٨] .

قِصَّةُ مُوسَى وَالْخَضِرِ ، عليهما الصلاة والسلام

قال الله تعالى^(١) : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبْرَحُ حَتَّى أَتْلُغَ
مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا
فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَعْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا غَدَاةٌ نَا
لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ
الْحُوتَ وَمَا أَتَسْتَبِئُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَعْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ
ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ
رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لِمُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ
تُعَلِّمَني مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّا لَنْ نَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ
عَلَى مَا لَمْ يَحِطْ بِهِ خَيْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ
أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا
نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ
أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝ * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ
لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ
مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ

(١) التفسير ١٧٠/٥ - ١٨٢.

يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُ فَكَانَ أَبُوهُمَا مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٦٠ - ٨٢].

قال بعض أهل الكتاب: إن موسى هذا الذي رَحَلَ إلى الخَضِرِ، هو موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وتابَعَهُم على ذلك بعض مَنْ يَأْخُذُ مِنْ ضُحُفِهِمْ، وَيَثْقُلُ عَنْ كُتُبِهِمْ، مِنْهُمْ نَوْفُ بْنُ فَضَالَةَ الْحِمَيْرِيُّ الشَّامِيُّ الْبِكَالِيُّ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ دِمَشْقِيٌّ. وَكَانَتْ أُمُّهُ زَوْجَةً كَعْبِ الْأَحْبَارِ^(١). وَالصَّحِيحُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ سِيَاقِ الْقُرْآنِ، وَنَصُّ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الصَّرِيحِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قال البخاري^(٢): حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو^(٣) بْنُ دِينَارٍ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عَبَّاسٍ [١٨٤/١] ظ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ هُوَ مُوسَى صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ؛ حَدَّثَنَا أُتِيَ بِنُ كَعْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ

(١) انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٦٥/٣٠.

(٢) البخاري (٤٧٢٥).

(٣) في الأصل، م: «عمر».

وَاللَّهُ يَقُولُ : « إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيئًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسُئِلَ : أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ ؟
 فَقَالَ : أَنَا . فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَمْ يَرُدِّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّ لِي عَبْدًا
 بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ لِي بِهِ ؟ قَالَ :
 تَأْخُذْ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلْهُ فِي مِكْتَلٍ فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ . فَأَخَذَ حُوتًا
 فَجَعَلَهُ بِمِكْتَلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ ، وَانْطَلَقَ مَعَهُ فَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، حَتَّى إِذَا أَتَيَا
 الصُّخْرَةَ ، وَضَعَا رُءُوسَهُمَا فَنَامَا ، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكْتَلِ ، فَخَرَجَ مِنْهُ
 فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جِزْيَةَ
 الْمَاءِ ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ ،
 فَاِنْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ ﴿ قَالَ ﴾ مُوسَى
 ﴿ لِفَتْنَةٍ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ . وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى
 النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ ﴿ قَالَ ﴾ لَهُ فَتَاهُ : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ
 أَوْتَيْنَا إِلَى الصُّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ
 سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ قَالَ : فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا ، وَلِمُوسَى وَلِفَتَاهُ عَجَبًا
 ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قَالَ : فَرَجَعَا يَقْضِيَانِ
 أَثَرَهُمَا ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصُّخْرَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجَّى بِثَوْبٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
 مُوسَى ، فَقَالَ الْخَضِرُ : وَأَنْتَى يَا رُضِيكَ السَّلَامُ . قَالَ : أَنَا مُوسَى . قَالَ : مُوسَى
 بَنِي إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي بِمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا . ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ
 تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ، يَا مُوسَى ، إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ ،
 لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكُهُ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ ، فَقَالَ
 مُوسَى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ . قَالَ لَهُ
 الْخَضِرُ : ﴿ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ فَعَرَفُوا
الْخَضِرَ، فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَزْلِ، فَلَمَّا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَقْبَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ
لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَزْلِ،
عَمَدَتْ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقَتْهَا ﴿لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧٦) قَالَ
أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي
مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٨﴾. قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَكَانَتْ [١/١٨٥و] الْأُولَى
مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا. قَالَ: وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَتَقَرَّ فِي
الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ
هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ. ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى
السَّاحِلِ، إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غَلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ،
فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَكِبْتُ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا تُكْرَهُ﴾ (٧٩) ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿قَالَ: وَهَذِهِ
أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى﴾ ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ
لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٨٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ
يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴿قَالَ: مَاثِلٌ﴾. فَقَالَ الْخَضِرُ
بِيَدِهِ ﴿فَاقْصِمَ﴾ ﴿فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ آتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا، وَلَمْ يُضَيِّقُونَا﴾
﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٨١) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْكَلَ
مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ

(١-١) سقط من: الأصل.

(٢-٢) في الأصل: «قال».

صَبَرَ، حَتَّى يَقْصُرَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا». قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَأُ: (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مِثْلُكَ يَأْخُذُ كُلُّ سَفِينَةٍ صَالِحِيَّةٍ غَضَبًا). وَكَانَ يَقْرَأُ: (وَأَمَّا الْعُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا وَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ).

ثم رواه البخاري أيضًا عن قُتَيْبَةَ، عن سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ ^(١). وفيه: «فَخَرَجَ مُوسَى، وَمَعَهُ فَتَاهُ يُوسَعُ بْنُ نُونٍ، وَمَعَهُمَا الْحُوتُ، حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَتَزَلَّ عِنْدَهَا. قَالَ: فَوَضَعَ مُوسَى رَأْسَهُ فَتَأَمَّ». قَالَ سُفْيَانُ: وَفِي حَدِيثٍ غَيْرِ عَمْرٍو، قَالَ: «وَفِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا: الْحَيَاةُ. لَا يُصِيبُ مِنْ مَائِهَا شَيْءٌ إِلَّا حَيِيَ، فَأَصَابَ الْحُوتُ مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْعَيْنِ، قَالَ: فَتَحَرَّكَ، وَأَنْسَلَ مِنَ الْمِكْتَلِ، وَدَخَلَ الْبَحْرَ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتَا غَدَاءَنَا». كَذَا قَالَ. وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: «وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَعَمَسَ مِنْقَارُهُ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ، فِي عِلْمِ اللَّهِ، إِلَّا مِقْدَارُ مَا عَمَسَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْقَارُهُ» وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

وقال البخاري ^(٢): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ، أَنَّ ابْنَ جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ، قَالَ: أَخْبَرَنِي يَغْلَى بْنُ مُسْلِمٍ، وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ - ^(٣) يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ، وَغَيْرُهُمَا قَدْ سَمِعْتُهُ يُحَدِّثُهُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ^(٤) - قَالَ: إِنَّا لَعِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي بَيْتِهِ، إِذْ قَالَ: سَلُونِي. فَقُلْتُ: أَيْ أَبَا عَبَّاسٍ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، بِالْكُوفَةِ رَجُلٌ قَاصٌّ، يُقَالُ لَهُ: نَوْفٌ. يَزْعُمُ أَنَّهُ لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ. أَمَا عَمْرُو فَقَالَ لِي: قَالَ: قَدْ كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ.

(١) البخاري (٤٧٢٧).

(٢) البخاري (٤٧٢٦).

(٣-٣) سقط من: ح. وأنظر معناه في فتح الباري ٤١٢/٨.

وَأَمَّا يَغْلَى ، فقال لى^(١) : قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : حَدَّثَنِي أَبِي بْنُ كَعْبٍ [١٨٥/١ ط]
 قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مُوسَى رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : ذَكَرَ النَّاسَ يَوْمًا ، حَتَّى
 إِذَا فَاضَتْ الْعُيُونُ وَرَقَّتِ الْقُلُوبُ ، وَلَّى ، فَأَذْرَكَه رَجُلٌ ، فَقَالَ : أَيْ رَسُولَ اللَّهِ ،
 هَلْ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ^(٢) أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ قَالَ : لَا . فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ
 إِلَى اللَّهِ . قِيلَ : بَلَى . قَالَ : أَيْ رَبِّ ، فَأَيُّنَ ؟ قَالَ : بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ . قَالَ : أَيْ
 رَبِّ ، اجْعَلْ لِي^(٣) عِلْمًا أَعْلَمُ ذَلِكَ بِهِ . قَالَ لِي عَمْرُو : قَالَ : حَيْثُ يُفَارِقُكَ
 الْحُوتُ . وَقَالَ لِي يَغْلَى : قَالَ : خُذْ حُوتًا^(٤) مَيْتًا ، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَأَخَذَ
 حُوتًا ، فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ ، فَقَالَ لِفَتَاهُ : لَا أَكْلُفُكَ إِلَّا أَنْ تُخْبِرَنِي بِحَيْثُ يُفَارِقُكَ
 الْحُوتُ . قَالَ مَا كَلَّفْتُ كَبِيرًا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ ﴾
 يُوشَعَ بْنِ^(٥) نُونٍ - لَيْسَتْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ^(٦) - قَالَ : « فَبَيْنَمَا هُوَ فِي ظِلِّ
 صَخْرَةٍ ، فِي مَكَانٍ ثَوِيَّانٍ^(٧) ؛ إِذْ تَضَرَّبَ الْحُوتُ ، وَمُوسَى نَائِمٌ ، فَقَالَ فَتَاهُ : لَا
 أَوْقِظُهُ . حَتَّى إِذَا اسْتَيْقَظَ ، نَسِيَ أَنْ يُخْبِرَهُ ، وَتَضَرَّبَ الْحُوتُ حَتَّى دَخَلَ الْبَحْرَ ،
 فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جِزْيَةَ الْبَحْرِ^(٨) ، حَتَّى كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي حَجَرٍ . قَالَ لِي عَمْرُو^(٩) :
 « هَكَذَا كَأَنَّ أَثَرَهُ فِي^(١٠) حَجَرٍ » وَخَلَقَ بَيْنَ إِنْهَامَيْهِ وَاللَّتَيْنِ تَلْيَانَهُمَا . ﴿ لَقَدْ

(١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، ص : « رجل » .

(٣) سقط من : ح .

(٤) فى ح مكتوب فوقها : « نوتا » . وهو لفظ إحدى روايات البخارى . انظر الفتح ٤١٤ / ٨ .

(٥) فى م : « بين » .

(٦) القائل هو ابن جريج . الفتح ٤١٤ / ٨ .

(٧) أى مبلول . الفتح ٤١٤ / ٨ .

(٨) فى الأصل ، ح : « الماء » .

(٩) القائل هو ابن جريج . الفتح ٤١٦ / ٨ .

(١٠) سقط من : الأصل ، ص .

لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١﴾ قال : « وَقَدْ قَطَعَ اللَّهُ عَنْكَ النَّصَبَ » ليست هذه عن سعيد ، « أَخْبَرَهُ فَرَجَعَا ، فَوَجَدَا خَضِرًا ، قَالَ لِي عِثْمَانُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ : « عَلَى طَنْفَسَةٍ ^(١) خَضِرَاءَ ، عَلَى كَيْدِ الْبَحْرِ » . قال سعيد ^(٢) : « مُسَجِّى بِثَوْبِهِ ، قَدْ جَعَلَ طَرَفُهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ ، وَطَرَفُهُ تَحْتَ رَأْسِهِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَقَالَ : هَلْ بِأَرْضٍ مِنْ سَلَامٍ ؟ مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مُوسَى . قَالَ : مُوسَى بَنَى إِسْرَائِيلَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا شَأْنُكَ ؟ قَالَ : جِئْتُكَ ل ﴿ تَعْلَمِينَ مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا ﴾ قَالَ : أَمَا يَكْفِيكَ أَنَّ التَّوْرَةَ بِيَدَيْكَ وَأَنَّ الْوَحْيَ يَأْتِيكَ ؟ يَا مُوسَى ، إِنَّ لِي عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَهُ ، وَإِنَّ لَكَ عِلْمًا لَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَعْلَمَهُ ، فَأَخَذَ طَائِرٌ يَمْتَقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلِمِي وَعِلْمُكَ فِي جَنْبِ عِلْمِ اللَّهِ ، إِلَّا كَمَا أَخَذَ هَذَا الطَّائِرُ يَمْتَقَارِهِ مِنَ الْبَحْرِ ، ﴿ حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ﴾ وَجَدَا مَعَايِرَ صِغَارًا ، تَحْمِلُ أَهْلَ هَذَا السَّاحِلِ إِلَى أَهْلِ هَذَا السَّاحِلِ الْآخِرِ ، عَرَفُوهُ ، فَقَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ الصَّالِحُ ؟ » قال : فقلنا لسعيد : خَضِرٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . « لَا نَحْمِلُهُ بِأَجْرِ فَخَرَقَهَا وَوَتَّدَ فِيهَا وَتَدًا ﴾ قَالَ ﴿ مُوسَى : ﴿ أَخْرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ - قال مجاهد : مُنْكَرًا ^(٣) - ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ كَانَتْ الْأُولَى نِسْيَانًا ، وَالْوُسْطَى شَرْطًا ، وَالثَّالِثَةُ عَمْدًا ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ [١٨٦/١] وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٢﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ ﴿ قال يَغْلَى : قال سعيد : وَجَدَ غُلَامَانَا يَلْعَبُونَ ، فَأَخَذَ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا ، فَأَضْجَعَهُ ، ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسَّكِينِ ﴿ قَالَ

(١) قال الحافظ في الفتح ٤١٧/٨ : والطنفسة : فرش صغير . وهي بكسر الطاء والفاء بينهما نون

ساكنة ، وبضم الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، لغات .

(٢) القائل هو ابن جريج . الفتح ٤١٦/٨ .

(٣) هي رواية ابن جريج عن مجاهد . الفتح ٤١٩/٨ .

أَقْلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً يَغْيِرُ نَفْسٍ ﴿ لم تَعْمَلْ بِالْخِثِّ ﴾^(١) . ابنُ عباسٍ قَرَأَهَا : (زَكِيَّةٌ زَاكِئَةٌ مُسْلِمَةٌ) . كَقَوْلِكَ : غُلَامًا زَكِيًّا^(٢) . فَانْطَلَقَا فَوَجَدَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ، قَالَ^(٣) يَبْدُو هَكَذَا ، وَرَفَعَ يَدَهُ فَاسْتَقَامَ . قَالَ يَغْلَى : حَسِبْتُ أَنْ سَعِيدًا قَالَ : « فَمَسَحَهُ يَبْدُو فَاسْتَقَامَ ﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَشَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿ . قَالَ سَعِيدٌ : أَجْرًا نَأْكُلُهُ ﴾ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ ﴿ (وَكَانَ أَمَامَهُمْ) قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ . أَمَامَهُمْ ﴾ مَلِكٌ ﴿ يَزْعُمُونَ عَنْ غَيْرِ سَعِيدٍ أَنَّهُ هَدَّدُ بْنُ بُدَدَ ، وَالْغَلَامُ الْمَقْتُولُ يَزْعُمُونَ : جَيْشُورُ^(٤) ﴾ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا ﴿ ، فَإِذَا هِيَ مَرُوثٌ بِهِ يَدْعُهَا بَعِيَّتِهَا ، فَإِذَا جَاوَزُوا أَصْلَحُوهَا فَانْتَفَعُوا بِهَا . مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : سَدُّوْهَا بِقَارُورَةٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : بِالْقَارِ . ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾ وَكَانَ كَافِرًا ﴿ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ أَيُ ؛ يَحْمِلُهُمَا حُجْبُهُ عَلَى أَنْ يُتَابِعَاهُ عَلَى دِينِهِ ، ﴿ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ لِقَوْلِهِ : ﴿ أَقْلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ وَ ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ هُمَا بِهِ أَرْحَمُ مِنْهُمَا بِالْأَوَّلِ ، الَّذِي قَتَلَ خَضِرَ^(٥) . وَزَعَمَ غَيْرُ سَعِيدٍ بِنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُمَا أُبْدِلَا جَارِيَةً^(٥) ، وَأَمَّا دَاوُدُ بْنُ أَبِي عَاصِمٍ فَقَالَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ : إِنَّهَا جَارِيَةٌ .

(١) كَذَا بِالنَّسْخِ . وَهِيَ أَحَدُ أَلْفَاظِ رَوَايَاتِ الصَّحِيحِ . انْظُرْ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ١١٤/٦ .
(٢) هُوَ تَفْسِيرٌ مِنَ الرَّاوِي . يُشِيرُ بِهِ إِلَى الْقَرَاءَتَيْنِ ؛ قَرَاءَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَرَاءَةِ غَيْرِهِ . وَاخْتَلَفَ فِي ضَبْطِ « مُسْلِمَةٌ » فَالْأَكْثَرُ بِسُكُونِ السَّيْنِ وَكَسْرِ اللَّامِ . وَلِبَعْضِهِمْ بِفَتْحِ السَّيْنِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَفْتُوحَةِ . انْظُرِ الْفَتْحَ ٤١٩/٨ ، ٤٢٠ .

(٣) بَعْدَهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ : « سَعِيدٌ » . وَالْقَائِلُ هُوَ ابْنُ جَرِيرٍ .
(٤) فِي الْأَصْلِ : « حَيْشُور » . وَهُوَ لَفْظٌ لِإِحْدَى رَوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ . وَالْقَائِلُ هُوَ ابْنُ جَرِيرٍ . الْفَتْحَ ٨/٤٢٠ .

(٥ - ٥) فِي الْأَصْلِ ، ح : « وَزَعَمَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُمَا أُبْدِلَا جَارِيَةً » . وَفِي م : « وَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ، أَنَّهُ ابْنُ لَا جَارِيَةٍ » . وَفِي ص : « وَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ إِنَّهُ ابْنُ أُبْدِلَا جَارِيَةٍ » . وَالثَّبُوتُ مِنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ .

وقد رواه عبدُ الرزاق^(١) ، عن مَعْمَرٍ ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : خَطَبَ مُوسَى بنى إسرائيل ، فقال : مَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وبأمرِهِ مِنِّي . فَأَمَرَ أَنْ يَلْقَى هَذَا الرَّجُلَ . فَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ .

وهكذا رواه محمد بنُ إسحاق^(٢) ، عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عُتَيْبَةَ^(٣) ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، عن أُتَيْبِ بْنِ كَعْبٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ كَنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ أَيضًا ، ورواه العوفي^(٤) عنه موقوفًا .

وقال الزهري^(٥) ، عن عبيدِ اللَّهِ بن عبدِ اللَّهِ بن عتبة ، عن ابنِ عباس ، أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحَرْبِيُّ قَيْسُ بْنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ ، فِي صَاحِبِ مُوسَى ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : هُوَ خَضِرٌ . فَمَرَّ بِهِمَا أُتَيْبُ بْنُ كَعْبٍ ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ : إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا ، فِي صَاحِبِ مُوسَى الَّذِي سَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقْيَيْهِ ، فَهَلْ سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ فِيهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، وَقَدْ تَقَصَّيْنَا طُرُقَ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَأَلْفَاظَهُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَهْفِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾

(١) عبد الرزاق في تفسيره ٤٠٥/٢ .

(٢) رواه ابن جرير من طريق ابن إسحاق به . تفسير ابن جرير ٢٧٩/١٥ . تاريخه ٣٧٢/١ .

(٣) في الأصل ، م ، ص : « عينة » .

(٤) في الأصل : « البغوى » . والأثر في التفسير ١٧٦/٥ .

(٥) رواه ابن جرير من طريق الزهري به . تفسير ابن جرير ٢٨٢/١٥ .

(٦) التفسير ١٧٢/٥ - ١٧٧ .

وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١﴾ قال السَّهْلِيُّ ^(١) : وهما أصرم وصريم، ابنا كاشع. ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ قيل: كان ذهبًا. قاله عِكْرِمَةُ، وقيل: علمًا. قاله ابن عباس، والأشبه أنه كان لَوْحًا مِّن ذَهَبٍ، مكتوبًا فيه عِلْمٌ ^(٢).

قال البراء ^(٣) : حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا يَشْرُبُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْيَحْصِيُّ، عَنْ عِيَّاشِ بْنِ عَبَّاسٍ الْعَسَّانِيِّ، عَنْ ابْنِ حُجْبِرَةَ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، رَفَعَهُ، قَالَ: «إِنَّ الْكَنْزَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ لَوْحٌ مِّنْ ذَهَبٍ مُّضْمَتٍ: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْقَدَرِ، كَيْفَ نَصَبَ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ النَّارَ ^(٤) ثُمَّ ضَحِكَ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ ثُمَّ غَفَلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وهكذا رَوَى عَنْ الْحُسَيْنِ الْبَصْرِيِّ، وَعَمَرُ مَوْلَى غُفْرَةَ ^(٥)، وَجَعْفَرُ الصَّادِقِ، نَحْوُ هَذَا ^(٦). وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾. وقد قيل: إنه كان الأب السَّابِعُ، وقيل: العاشر. وعلى كُلِّ تَقْدِيرٍ، فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي دُرِّيَّتِهِ، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

وقوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ دليلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا، وَأَنَّهُ مَا فَعَلَ شَيْئًا مِّن تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ بِأَمْرِ رَبِّهِ، فَهُوَ نَبِيٌّ، وَقِيلَ: رَسُولٌ. وَقِيلَ: وَلِيُّ. وَأَغْرَبُ

(١) التعريف والإعلام ص ١٩٣.

(٢) التفسير ١٨٢/٥.

(٣) كشف الأستار (٢٢٢٩). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٤/٧: رواه البزار من طريق بشر بن المنذر عن الحارث بن عبد الله اليحصبي ولم أعرفهما، وبقيّة رجاله ثقات.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) في ح، م، ص: «غفرة». وانظر التقریب ٥٩/٢.

(٦) رواها ابن جرير في تفسيره عن الحسن وعمر وجعفر ٥/١٦، ٦.

من هذا مَنْ قال : كان مَلَكًا . ^(١) قُلْتُ : وقد أَغْرَبَ جِدًّا مَنْ قال : هو ابنُ
فِرْعَوْنَ . وقيل : إِنَّه ابنُ ضَحَّاكٍ الذى مَلَكَ الدُّنْيَا أَلْفَ سَنَةٍ . قال ابنُ جَرِيرٍ ^(٢) :
والذى عليه مُجمُهورُ أَهلِ الكُتَابِ ، أَنه كان فى زَمَنِ أَفْرِيدُونَ . ويُقالُ : إِنَّه كان
على مُقَدِّمَةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، الذى قيل : إِنَّه كان أَفْرِيدُونَ ، وذُو الفَرَسِ هو الذى
كان فى زَمَنِ الخَلِيلِ . وَزَعَمُوا أَنَّهُ شَرِبَ مِنْ ماءِ الحَيَاةِ ، فَخَلَدَ ، وهو باقٍ إِلَى
الْآنَ . وقيل : إِنَّه مِنْ وَلَدِ بَعْضِ مَنْ آمَنَ بِإِبْرَاهِيمَ وَهَاجَرَ مَعَهُ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ .
وقيل : اسْمُهُ مَلِكَانُ . وقيل : أَرَمِيَا بْنُ حَلْقِيَا . وقيل : كان نَبِيًّا فى زَمَنِ سَبَاسَبَ
ابنِ لَهْرَاسَبَ . قال ابنُ جَرِيرٍ : وقد كان بَيْنَ أَفْرِيدُونَ وَبَيْنَ سَبَاسَبَ دُهورٌ
طَوِيلَةٌ ، لا يَجْهَلُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِالأَنْسابِ ^(٣) . قال ابنُ جَرِيرٍ : والصَّحِيحُ
أَنَّهُ كان فى زَمَنِ أَفْرِيدُونَ ، واستمرَّ حَيًّا إِلَى أَنْ أَدْرَكَهُ مُوسَى ، عليه السَّلَامُ ،
وكانت نُبُوَّةُ مُوسَى فى زَمَنِ مُنَوِّشَهَرَ ، الذى هو مِنْ وَلَدِ إِبْرَاجَ بْنِ أَفْرِيدُونَ ،
أَحَدِ مُلُوكِ الفُرسِ ، وكان إِلَيْهِ المُلْكُ بعد جَدِّهِ أَفْرِيدُونَ لِعَهْدِهِ ، وكان عادِلًا ،
وهو أَوَّلُ مَنْ خَنَّدَقَ الخَنَادِقَ ، وَأَوَّلُ مَنْ جَعَلَ فى كُلِّ قَرْيَةٍ دِهْقَانًا ، وكانت مَدَّةُ
مُلْكِهِ قَرِيبًا مِنْ مِائَةِ وَخَمْسِينَ سَنَةً ^(٤) . ويُقالُ : إِنَّه كان مِنْ سُلَالَةِ إِسْحَاقَ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ . وقد ذُكِرَ عَنْهُ مِنَ الخُطْبِ الحِسانِ ، وَالْكَلِمِ البَلِغِ النَّافِعِ الفَصِيحِ ، ما
يَنْهَرُ العَقْلَ ، وَيُخَيِّرُ السَّامِعَ ، وهذا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ سُلَالَةِ الخَلِيلِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وقد قالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ ^(٥)

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ح .

(٢) تاريخ الطبرى ١ / ٣٦٥ .

(٣) تاريخ الطبرى ١ / ٣٦٦ .

(٤) تاريخ الطبرى ١ / ٣٧٦ .

١١) مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ ﴿٨١﴾ [آل عمران : ٨١] .

فأخذ الله ميثاق كل نبي على أن يؤمن بمن يجيء بعده من الأنبياء، وينصّره، فلو كان الخضر حيًا في زمانه، لما وسّعه إلا اتّباعه، والاجتماع به، والقيام بنصّره، ولكان من جُملة من تحت لوائه يوم بدر، كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة، وقصارى الخضر، عليه السلام، أن يكون نبيًا، وهو الحق، أو رسولًا، كما قيل، أو ملكًا فيما دُكر، وأيًا ما كان، فجبريل رئيس الملائكة، وموسى أشرف من الخضر، ولو كان حيًا لوجب عليه الإيمان بمحمد، ونصّره، فكيف إن كان الخضر وليًا، كما يقوله طوائف كثيرون، فأولى أن يَدْخُلَ في عموم البعثة، وأخرى .

ولم يُنقل في حديث حسن، بل ولا ضعيف يُعتمد، أنه جاء يومًا واحدًا إلى رسول الله ﷺ، ولا اجتمع به، وما دُكر من حديث التّعزية فيه، وإن كان الحاكم قد رواه، فإسناده ضعيف^(١) . والله أعلم . وسنُفرد الخضر ترجمةً على حدة بعد هذا^(٢) .

(١ - ١) سقط من: الأصل، ح .

(٢) الحاكم في المستدرک ٥٨/٣ . وسيرد في الصفحة ٢٥٧ .

ذِكْرُ الْحَدِيثِ الْمَلَقَبِ بِحَدِيثِ الْفُتُونِ الْمُتَضَمِّنِ

قِصَّةُ مُوسَى مُبَسَّوطةً مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا

قال الإمام أبو عبد الرحمن النسائي، في كتاب التفسير من سُنَنِهِ ^(١)، عند قوله تعالى في سورة «طه»: ﴿وَقُلْتَ نَفْسًا فَجَعَيْنَاكَ مِنَ الْغَمْرِ وَفَنَّكَ فُتُونًا﴾ .
(حديث الفتون) :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، أَنبَأَنَا أَصْبَغُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ : سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى لِمُوسَى ^(٢) : ﴿وَفَنَّكَ فُتُونًا﴾ . فَسَأَلْتُهُ عَنِ الْفُتُونِ : مَا هُوَ ؟ فَقَالَ : اسْتَأْنِيفُ النَّهَارِ يَا بَنَ جُبَيْرٍ، فَإِنَّ لَهَا حَدِيثًا طَوِيلًا . فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، غَدَوْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ لِأَتُنَجِّزَ مِنْهُ مَا وَعَدَنِي مِنْ حَدِيثِ الْفُتُونِ، فَقَالَ : تَذَاكُرُ فِرْعَوْنَ وَجُلَسَاؤُهُ مَا كَانَ اللَّهُ وَعْدَ إِبْرَاهِيمَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَجْعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءَ وَمُلُوكًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَنْتَظِرُونَ ذَلِكَ، مَا يَشْكُونَ فِيهِ، وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، فَلَمَّا هَلَكَ، قَالُوا : لَيْسَ هَكَذَا كَانَ ^(٣) وَعْدُ إِبْرَاهِيمَ . فَقَالَ فِرْعَوْنُ : فَكَيْفَ تَرَوْنَ ؟ فَاتَّخَمَرُوا، وَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يَتَّبِعَتْ رِجَالًا مَعَهُمُ الشُّفَارُ، يَطُوفُونَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا يَجِدُونَ مَوْلُودًا ذَكَرًا

(١) النسائي في الكبرى (١١٣٢٦) .

(٢) زيادة من : الأصل، ص .

(٣) ليست في : الأصل .

إِلَّا ذَبَحُوهُ ، [١٨٧/١] ففعلُوا ذلك ، فلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْكِبَارَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَمُوتُونَ
بِأَجَالِهِمْ ، وَالصَّغَارَ يُذَبِّحُونَ ، قَالُوا : تُوشِكُونَ أَنْ تُفْتَنُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَتَصِيرُوا
إِلَى أَنْ تُبَايِسُوا مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْخِدْمَةِ ، الِذِي كَانُوا يَكْفُونَكُمْ ، فَاقْتُلُوا عَامًّا كُلَّ
مَوْلُودٍ ذَكَرٍ ، فَيَقِلُّ نَبَاتُهُمْ ^(١) ، وَدَعُوا عَامًّا فَلَا تَقْتُلُوا مِنْهُمْ أَحَدًا فَيُثَبِّتِ الصَّغَارُ
مَكَانَ مَنْ يَمُوتُ مِنَ الْكِبَارِ ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَكْثُرُوا بِمَنْ تَسْتَحْيُونَ مِنْهُمْ ، فَتَخَافُوا
مُكَاثَرَتَهُمْ إِيَّاكُمْ ، وَلَنْ يَفْتَنُوا ^(٢) بِمَنْ تَقْتُلُونَ ، وَتَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ . فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ
عَلَى ذَلِكَ ، فَحَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى بِهَارُونَ فِي الْعَامِ الِذِي لَا يُذَبِّحُ فِيهِ الْغِلْمَانُ ،
فَوَلَدَتْهُ عَلَاقِيَّةٌ أَمِيَّةٌ . فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ ، حَمَلَتْ بِمُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَوَقَعَ
فِي قَلْبِهَا الْهَمُّ وَالْحُزْنُ - وَذَلِكَ مِنَ الْقُتُونِ يَا بْنَ جُبَيْرٍ - مَا دَخَلَ عَلَيْهِ فِي بَطْنِ
أُمِّهِ مِمَّا يُرَادُّ بِهِ ^(٣) ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا : أَنْ لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ، إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ ،
وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَمَرَهَا إِذَا وَلَدَتْ أَنْ تَجْعَلَهُ فِي تَابُوتٍ ، وَتُلْقِيَهُ فِي الْيَمِّ ،
فَلَمَّا وَلَدَتْ فَعَلَتْ ذَلِكَ ، فَلَمَّا تَوَارَى عَنْهَا ابْنُهَا ، أَتَاهَا الشَّيْطَانُ ، ^(٤) فَقَالَتْ فِي
نَفْسِهَا ^(٥) : مَا فَعَلْتُ بِابْنِي ؟ لَوْ ذُبِحَ عِنْدِي فَوَارِثُهُ وَكَفَّثَتْهُ ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ
أَنْ أُلْقِيَهُ إِلَى دَوَابِّ الْبَحْرِ وَحِيتَانِهِ . فَانْتَهَى الْمَاءُ بِهِ حَتَّى أَوْفَى بِهِ عِنْدَ فُرْضَةٍ ^(٦) ،
^(٧) تَسْتَقِي مِنْهَا^(٨) جَوَارِي امْرَأَةٍ فِرْعَوْنٍ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَخَذَنَّهُ ، فَهَمَمْنَ أَنْ يَفْتَحْنَ

(١) فِي الْأَصْلِ ، ح ، م : « بَنَاتُهُمْ » . وَفِي ص : « أَبْنَاؤُهُمْ » . وَكَذَا فِي التَّفْسِيرِ . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ سَنَنِ
النِّسَائِيِّ .

(٢) فِي ح ، م : « تَفْتَنُوا » . وَفِي ص : « يَفْتَنُوا » .

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ : ص .

(٤) (٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ : ح .

(٥) فُرْضَةُ النَّهْرِ : مَشْرَبُ الْمَاءِ مِنْهُ .

(٦ - ٦) فِي سَنَنِ النَّسَائِيِّ : « مُسْتَقِي » .

التَّابُوتَ ، فقال بعضهنَّ : إِنَّ فِي هَذَا مَالًا ، وَإِنَّا إِن فَتَحْنَاهُ ، لَمْ تَصْدُقْنَا امْرَأَةً الْمَلِكِ بِمَا وَجَدْنَا فِيهِ ، فَحَمَلْنَهُ كَهَيْئَتِهِ لَمْ يُخْرِجْنِ مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى دَفَعْنَهُ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا فَتَحَتْهُ رَأَتْ فِيهِ غُلَامًا ، فَأَلْقَى عَلَيْهِ مِنْهَا مَحَبَّةً ، لَمْ تُلْقَ مِنْهَا عَلَى أَحَدٍ قَطُّ ، وَأَصْبَحَ فَوَازُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا مِنْ ذِكْرِ كُلِّ شَيْءٍ ، إِلَّا مِنْ ذِكْرِ مُوسَى ، فَلَمَّا سَمِعَ الذَّبَّاحُونَ بِأَمْرِه ، أَقْبَلُوا بِشِفَارِهِمْ إِلَى امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ؛ لِيَذْبَحُوهُ - وَذَلِكَ مِنَ الْقُتُونِ يَا بَنَ جُبَيْرٍ - فَقَالَتْ لَهُمْ : أَقْرِؤْهُ ، فَإِنَّ هَذَا الْوَاحِدَ لَا يَزِيدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، حَتَّى آتَى فِرْعَوْنَ ، فَأَسْتَوْهَبَهُ مِنْهُ ، فَإِنْ وَهَبَهُ لِي ^(١) ، كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُمْ وَأَجْمَلْتُمْ ، وَإِنْ أَمَرَ بِذَبْحِهِ ، لَمْ أَلْكُمْ . فَأَتَتْ فِرْعَوْنَ ، فَقَالَتْ : ﴿ قَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ ﴾ [القصص: ٩] . فقال فرعونُ : يَكُونُ لَكَ ، فَأَمَّا لِي ، فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ ^(٢) . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي يُخَلِّفُ بِهِ ، لَوْ أَقْرَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقْرَتْ امْرَأَتُهُ ، لَهَدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَزَمَهُ ذَلِكَ » . فَأُرْسِلَتْ إِلَى مَنْ حَوْلَهَا ، إِلَى كُلِّ امْرَأَةٍ لَهَا لَبَنٌ ^(٣) ، تَخْتَارُ لَهُ ظِفْرًا ، فَجَعَلَ كُلُّهَا أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ لِتَرْضِعَهُ ، لَمْ يَقْبَلْ عَلَى ثَدْيِهَا ، حَتَّى أَشْفَقَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ أَنْ يَمْتَنِعَ مِنَ اللَّبَنِ فَيَمُوتَ ، فَأَحْزَنْتَهَا ذَلِكَ فَأَمَرَتْ بِهِ ، فَأُخْرِجَ إِلَى السُّوقِ وَمَجْمَعِ النَّاسِ [١٨٧]

١٨٧ ظ [تَرْجُو أَنْ تَجِدَ لَهُ ظِفْرًا تَأْخُذُهُ مِنْهَا ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَأَصْبَحَتْ أُمُّ مُوسَى وَالْهَآ ، فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهِ : قُضِيَ أَثَرُهُ ، وَاطْلُبِيهِ ، هَلْ تَسْمَعِينَ لَهُ ذِكْرًا ؟ أَحَى ائْتِي ، أَمْ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ ؟ وَنَسِيتُ مَا كَانَ اللَّهُ وَعَدَهَا فِيهِ ، فَبُصِرْتُ بِهِ أَخْتُهُ عَنْ جُنُبٍ - وَالْجُنُبُ ؛ أَنْ يَشْمُوَ بَصَرُ الْإِنْسَانِ إِلَى شَيْءٍ بَعِيدٍ ، وَهُوَ إِلَى جَنْبِهِ لَا

(١) فِي النسخ : « مَنِي » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ سَنَنِ النَّسَائِيِّ .

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ : النسخ .

(٣) فِي النسخ : « لَأَنَّ » . وَالمُثَبَّتُ مِنْ سَنَنِ النَّسَائِيِّ .

يَشْعُرُ بِهِ - فَقَالَتْ مِنَ الْفَرَحِ ، حِينَ أَعْيَاهُم الظُّوُورَاتُ : أَنَا أَذْلُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ
يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ، وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ . فَأَخَذُوا^(١) فَقَالُوا : مَا يُدْرِيكَ مَا نُصَحُّهُمْ ؟
هَلْ تَعْرِفُونَهُ ؟ حَتَّى شَكُّوا فِي ذَلِكَ - وَذَلِكَ مِنَ الْقُتُونِ يَابِنَ مُجَبِّيرٍ - فَقَالَتْ :
نُصَحُّهُمْ لَهُ وَشَفَقْتُهُمْ عَلَيْهِ ، رَغِبْتُهُمْ^(٢) فِي صَهْرِ الْمَلِكِ ، وَرَجَاءُ مَنَفْعَةِ الْمَلِكِ .
فَأَرْسَلُوهَا ، فَاذْهَبِي إِلَى أُمِّهَا ، فَأَخْبِرْتِهَا الْخَبَرَ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ ، فَلَمَّا وَضَعَتْهُ فِي
حِجْرِهَا نَزَا إِلَى ثَدْيِهَا ، فَمَصَّهُ حَتَّى امْتَلَأَ حَنْبَاهُ رِيًّا ، وَانْطَلَقَ الْبَشِيرُ إِلَى امْرَأَةِ
فِرْعَوْنَ يُبَشِّرُونَهَا أَنَّ قَدْ وَجَدْنَا لَابِنَكَ ظِلْفَرًا ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا ، فَأَتَتْ بِهَا وَبِهِ . فَلَمَّا
رَأَتْ مَا يَصْنَعُ بِهَا ، قَالَتْ : اامْكُنِّي ثُرَيْيْعِي ابْنِي هَذَا ؛ فَإِنِّي لَمْ أَحِبَّ شَيْئًا حُبِّي
قَطُّ . قَالَتْ أُمُّ مُوسَى : لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتْرِكَ بَيْتِي وَوَلَدِي فَيَضِيعَ ، فَإِنْ طَابَتْ
نَفْسُكَ أَنْ تُعْطِيَنِيهِ ، فَأَذْهَبْ بِهِ إِلَى بَيْتِي فَيَكُونَ مَعِيَ لَا آلُوهُ خَيْرًا ، فَعَلْتُ ، فَإِنِّي
غَيْرُ تَارِكَةٍ بَيْتِي وَوَلَدِي . وَذَكَرَتْ أُمُّ مُوسَى مَا كَانَ اللَّهُ وَعَدَهَا ، فَتَعَاسَرَتْ عَلَى
امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ مُنْجِرٌ مَوْعُودُهُ ، فَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا مِنْ يَوْمِهَا ،
وَأَنْبَتَهُ اللَّهُ نَبَاتًا حَسَنًا ، وَحَفِظَهُ لِمَا قَدْ قَضَى فِيهِ ، فَلَمْ يَزَلْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَهُمْ فِي
نَاحِيَةِ الْقَرْيَةِ ، مُتَتَبِعِينَ مِنَ الشَّخَرَةِ وَالظُّلُمِ مَا كَانَ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَرَعَرَعَ ، قَالَتْ
امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ لِأُمِّ مُوسَى : أَرِيْنِي ابْنِي . فَوَعَدَتْهَا يَوْمًا تُرِيهَا إِثَّاهُ فِيهِ ، وَقَالَتْ امْرَأَةُ
فِرْعَوْنَ لِحَزَانِهَا وَظُلُورِهَا وَقَهَارِمَتِهَا^(٣) : لَا يَتَّقِينَ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا اسْتَقْبَلَ ابْنِي الْيَوْمَ
بِهَدِيَّةٍ وَكَرَامَةٍ ؛ لِأَرَى ذَلِكَ فِيهِ ، وَأَنَا بَاعِثَةٌ أُمَيَّتًا يُحْصِي كُلُّ مَا يَصْنَعُ كُلُّ
إِنْسَانٍ مِنْكُمْ . فَلَمْ تَزَلِ الْهَدَايَا وَالْكَرَامَةُ وَالنَّحْلُ تَسْتَقْبِلُهُ مِنْ حِينَ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ

(١) زيادة من : ص .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فِي رَغِبْتُهُمْ » . وَفِي ح ، م : « وَرَغِبْتُهُمْ » .

(٣) قَهَارِمَتُهَا جَمْعُ قَهْرْمَانٍ ؛ وَهُوَ أَمِينُ الْمَلِكِ وَوَكِيلُهُ الْخَاصُّ بِتَدْيِيرِ دَخْلِهِ وَخُرُوجِهِ . وَهُوَ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ .

أمه ، إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها نحلته ، وأكرمته وفريحت به ، ونحلت أمه بحسن أثرها عليه ، ثم قالت : لآتين به ^(١) فرعون ، فلينحلته ، وليكرمته . فلما دخلت به عليه ، جعله في جبره ، فتناول موسى لحية فرعون فمدها إلى الأرض ، فقال القواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وعد الله إبراهيم نبيه ، أنه زعم أن يربك ^(٢) ويغلوك ، ويضرعك ؟ فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه - وذلك من الفتون يابن جبير ، بعد كل بلاء ابتلى به [١٨٨/١] وأريد به فتونا - فجاءت امرأة فرعون تشعى إلى فرعون ، فقالت : ما بدا لك فى هذا الغلام الذى وهبته لى ؟ فقال : ألا ترى أنه يزعم أنه يضرعنى ويغلونى ؟ فقالت : اجعل بينى وبينك أمرا تعرف فيه الحق ؛ اثب بجمرتى ، ولؤلؤتى ، فقرهن إليه ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتى ، عرفت أنه يعقل . وإن تناول الجمرتى ، ولم يرد اللؤلؤتين ، علمت أن أحدا لا يؤذى الجمرتى على اللؤلؤتين وهو يعقل . فقرب إليه ، فتناول الجمرتى ، فانتزعها منه مخافة أن يحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ؟ فصرفه الله عنه ، بعد ما كان هم به ، وكان الله بالغا فيه أمره ، فلما بلغ أشده ، وكان من الرجال ، لم يكن أحدا من آل فرعون يخلص إلى أحد من بنى إسرائيل معه ، بظلم ولا سُخرة ، حتى امتنعوا كل الامتناع ، فبينما موسى ، عليه السلام ، يمشى فى ناحية المدينة ، إذ هو برجلين يقتتلان ، أحدهما فرعونى ، والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعونى ، فغضب موسى غضبا شديدا ؛ لأنه تناوله ، وهو يعلم منزلته من بنى

(١) زيادة من : النسخ .

(٢) فى ح ، م : « يركك » . وفى ص : « يرك » .

إِسْرَائِيلَ ، وَحَفَظَهُ لَهُمْ ^(١) لَا يَغْلِبُ النَّاسُ إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الرِّضَاعِ إِلَّا أُمُّ مُوسَى ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَطْلَعَ مُوسَى مِنْ ذَلِكَ عَلَى ^(٢) مَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ ، فَوَكَّزَ مُوسَى الْفِرْعَوْنِيَّ ، فَقَتَلَهُ ، وَلَيْسَ يَرَاهُمَا أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْإِسْرَائِيلِيُّ ، فَقَالَ مُوسَى حِينَ قَتَلَ الرَّجُلَ : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكُمْ هُمْ الْغَافِرُونَ ﴾ [القصص: ١٥ ، ١٦] . فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ الْأَخْبَارَ ، فَأَتَى فِرْعَوْنُ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، فَخُذْ لَنَا بِحَقِّنَا ، وَلَا تُرْخِصْ لَهُمْ . فَقَالَ : ابْغُونِي قَاتِلَهُ ، مَنْ يَشْهَدُ عَلَيْهِ ؟ فَإِنَّ الْمَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ صَفْوُهُ مَعَ قَوْمِهِ ، لَا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَنْ يُقَيَّدَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا تُبَيَّنَ ، فَاطْلُبُوا لِي عِلْمَ ذَلِكَ ، آخِذْ لَكُمْ بِحَقِّكُمْ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَطُوفُونَ لَا يَجِدُونَ بَيِّنَةً ، إِذَا مُوسَى مِنَ الْعَدِ قَدْ رَأَى ذَلِكَ الْإِسْرَائِيلِيَّ ، يَقَاتِلُ رَجُلًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ آخَرَ ، فَاسْتَعَاثَهُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى الْفِرْعَوْنِيِّ ، فَصَادَفَ مُوسَى قَدْ نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَكَرِهَ الَّذِي رَأَى ، فَغَضِبَ الْإِسْرَائِيلِيُّ ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَنْطِشَ بِالْفِرْعَوْنِيِّ ، فَقَالَ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ ، لِمَا فَعَلَ بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ : ﴿ إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص: ١٨] . فَتَنَظَرَ الْإِسْرَائِيلِيُّ إِلَى مُوسَى ، بَعْدَ مَا قَالَ لَهُ مَا قَالَ ، فَإِذَا هُوَ غَضْبَانٌ كَغَضَبِهِ بِالْأَمْسِ ، الَّذِي قَتَلَ فِيهِ الْفِرْعَوْنِيَّ ، فَخَافَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ مَا قَالَ لَهُ : إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ [١٨٨/١ ظ] . أَنْ يَكُونَ إِثَّاهُ أَرَادَ ، وَلَمْ يَكُنْ أَرَادَهُ ، إِنَّمَا أَرَادَ الْفِرْعَوْنِيَّ ، فَخَافَ الْإِسْرَائِيلِيُّ ، وَقَالَ : يَا مُوسَى ، أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ؟ وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ ؛ مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ إِثَّاهُ أَرَادَ مُوسَى لِيَقْتَلَهُ ، فَتَنَارَكَ ،

(١ - ٢) زيادة من: الأصل.

وَانْطَلَقَ الْفِرْعَوْنِيُّ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا سَمِعَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنَ الْخَبِيرِ ، حِينَ يَقُولُ :
أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ؟ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ الذَّبَّاحِينَ لِيَقْتُلُوا
مُوسَى ، فَأَخَذَ رُشْلُ فِرْعَوْنَ الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ ، يَمْشُونَ عَلَى هَيْئَتِهِمْ ^(١) يَطْلُبُونَ
مُوسَى ، وَهُمْ لَا يَخَافُونَ أَنْ يَفُوتَهُمْ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ شِيعَةِ مُوسَى ، مِنْ أَقْصَى
الْمَدِينَةِ ، فَاخْتَصَرَ طَرِيقًا حَتَّى سَبَقَهُمْ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرَهُ - وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا بَنَ
جُبْيِيرٍ - فَخَرَجَ مُوسَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَدْيَنَ ، لَمْ يَلْقَ بَلَاءَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَلَيْسَ لَهُ
بِالطَّرِيقِ عِلْمٌ إِلَّا حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ قَالَ : ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ
يَهْدِيَ لِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ
يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴿ [القصص: ٢٢ ، ٢٣] . يَعْنِي
بِذَلِكَ حَابِسَتَيْنِ غَنَمَهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ مُعْتَرِلَتَيْنِ ، لَا تَسْقِيَانِ
مَعَ النَّاسِ ؟ قَالَتَا : لَيْسَ لَنَا قُوَّةُ نَزَاجِمِ الْقَوْمِ ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ فُضُولَ حَيَاضِهِمَا .
فَسَقَى لَهُمَا ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ مِنَ الدَّلْوِ مَاءً كَثِيرًا ، حَتَّى كَانَ أَوَّلَ الرَّعَاءِ ،
وَانْصَرَفَتَا بَعْنِيَهُمَا إِلَى أَبِيهِمَا ، وَانْصَرَفَ مُوسَى ، فَاسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ ، ﴿ فَقَالَ
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: ٢٤] . وَاسْتَنْكَرَ أَبُوهُمَا
سُرْعَةَ صُدُورِهِمَا بَعْنِيَهُمَا حُقْلًا بِطَانًا ، فَقَالَ : إِنَّ لَكُمَا الْيَوْمَ لَشَأْنًا . فَأَخْبَرَتَاهُ بِمَا
صَنَعَ مُوسَى ، فَأَمَرَ إِحْدَاهُمَا أَنْ تَدْعُوهُ ، فَأَتَتْ مُوسَى فَدَعَتْهُ ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ :
﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٥] لَيْسَ لِفِرْعَوْنَ وَلَا
لِقَوْمِهِ عَلَيْنَا مِنْ سُلْطَانٍ ، وَلَسْنَا فِي تَمَلُّكِهِ ﴿ قَالَتَا إِحْدَاهُمَا يَكَلِّبُ اسْتَشْجَرَةً
إِلَيْكَ خَيْرَ مَنْ اسْتَشْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦] . فَاخْتَمَلَتْهُ الْغَيَرَةُ عَلَى

(١) فِي سَنَنِ النَّسَائِيِّ : « هَيْئَتِهِمْ » . وَعَلَى هَيْئَتِهِمْ أَيْ عَلَى رِشْلِهِمْ .

أَن قَالَ لَهَا : مَا يُدْرِيكَ مَا قُوَّتُهُ ، وَمَا أَمَانَتُهُ ؟ فَقَالَتْ : أَمَّا قُوَّتُهُ فَمَا رَأَيْتُ مِنْهُ فِي الدَّلُولِ حِينَ سَقَى لَنَا ، لَمْ أَرِ رَجُلًا قَطُّ أَقْوَى فِي ذَلِكَ السَّقْيِ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْأَمَانَةُ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَيَّ حِينَ أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ ، وَشَخَصْتُ لَهُ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنِّي امْرَأَةٌ صَوَّبَ رَأْسَهُ ، فَلَمْ يَرْفَعْهُ حَتَّى بَلَغْتُهُ رِسَالَتَكَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : امْشِي خَلْفِي ، وَانْتَعِي لِيَ الطَّرِيقَ . فَلَمْ يَفْعَلْ هَذَا إِلَّا وَهُوَ أَمِينٌ . فَشَرَّيْتُ عَنْ أَبِيهَا ، وَصَدَّقْتُهَا ، وَظَنُّ بِهَ الَّذِي قَالَتْ ، فَقَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ ﴿ هـ ﴾ أَن أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَيَّ أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ هـ ﴾ [القصص: ٢٧] . ففعل ، فكانت على نبي الله موسى ثمانى سنين واجبة ، وكانت السنتان عِدَّةً مِنْهُ [١٨٩/١] ، فَقَضَى اللَّهُ عَنْهُ عِدَّتَهُ ، فَأَتَمَّهَا عَشْرًا .

قال سعيد بن جبيرة : فَلَقِيتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ ، مِنْ عُلَمَائِهِمْ ، قَالَ : هَلْ تَذَرِي أَيَّ الْأَجَلِينَ قَضَى مُوسَى ؟ قُلْتُ : لَا . وَأَنَا يَوْمَئِذٍ لَا أَذْهَبُ ، فَلَقِيتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ ثَمَانِيَّةً كَانَتْ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ وَاجِبَةً ؟ لَمْ يَكُنْ نَبِيُّ اللَّهِ لِيُنْقِصَ مِنْهَا شَيْئًا وَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ كَانَ قَاضِيًا عَنْ مُوسَى عِدَّتَهُ الَّتِي وَعَدَهُ ، فَإِنَّهُ قَضَى عَشْرَ سِنِينَ . فَلَقِيتُ النَّصْرَانِيَّ ، فَأَخْبَرْتُهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : الَّذِي سَأَلْتَهُ فَأَخْبَرَكَ أَعْلَمُ مِنْكَ بِذَلِكَ . قُلْتُ : أَجَلُ ، وَأَوَّلَى .

فلَمَّا سَارَ مُوسَى بِأَهْلِهِ ، كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّارِ ، وَالْعَصَا ، وَيَدِهِ ، مَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ ، فَشَكَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا يَتَخَوَّفُ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ فِي الْقَتِيلِ ، وَعُقْدَةِ لِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ فِي لِسَانِهِ عُقْدَةٌ تَمْنَعُهُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَلَامِ ، وَسَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُعِينَهُ بِأَخِيهِ هَارُونَ ، يَكُونُ لَهُ رِدْءًا وَيَتَكَلَّمُ عَنْهُ بِكَثِيرٍ مِمَّا لَا يُفْصِحُ بِهِ لِسَانُهُ ،

فَاتَاهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، سُؤْلَهُ^(١) وَحَلَّ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِهِ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَارُونَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَلْقَاهُ، فَأَنْدَفَعَ مُوسَى بِعَصَاهُ حَتَّى لَقِيَ هَارُونَ، فَانْطَلَقَا جَمِيعًا إِلَى فِرْعَوْنَ، فَأَقَامَا عَلَى بَابِهِ حِينَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمَا، ثُمَّ أُذِنَ لَهُمَا بَعْدَ حِجَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَا: إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ. فَقَالَ: فَمَنْ رَبُّكُمَا؟ فَأُخْبِرَهُ بِالَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: فَمَا تُرِيدَانِ؟ وَذَكَرَهُ الْقَتِيلَ، فَاغْتَدَرَ بِمَا قَدْ سَمِعْتَ، قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَتُرْسِلَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَتَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: ائْتِ بَآيَةَ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ، فَاعْرِءُ فَاهَا، مُسْرِعَةً إِلَى فِرْعَوْنَ، فَلَمَّا رَأَاهَا فِرْعَوْنُ قَاصِدَةً إِلَيْهِ خَافَهَا، فَاقْتَحَمَ عَنْ سَرِيرِهِ، وَاسْتَغَاثَ بِمُوسَى أَنْ يَكْفُفَهَا عَنْهُ، فَفَعَلَ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ جَبِيهِ، فَرَأَاهَا بَيضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ - يَعْنِي مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ - ثُمَّ رَدَّهَا فَعَادَتْ إِلَى لَوْنِهَا الْأَوَّلِ، فَاسْتَشَارَ الْمَلَأَ حَوْلَهُ فِيمَا رَأَى، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا سَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكَ الْمُتْلَى. يَعْنِي مُلْكَهُمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَالْعَيْشَ، وَأَبْنَا عَلَى مُوسَى أَنْ يُعْطُوهُ شَيْئًا مِمَّا طَلَبَ، وَقَالُوا لَهُ: اجْمَعْ السَّحَرَةَ، فَإِنَّهُمْ بِأَرْضِكَ كَثِيرٌ؛ حَتَّى تَغْلِبَ بِسِحْرِكَ سِحْرَهُمَا. فَأَرْسَلَ إِلَى الْمَدَائِنِ، فَحَشَرَ لَهُ كُلَّ سَاحِرٍ مُتَعَالِمٍ، فَلَمَّا أَتَوْا فِرْعَوْنَ، قَالُوا: بِمِ يَعْمَلُ هَذَا السَّاحِرُ؟ قَالُوا: يَعْمَلُ بِالْحَيَاتِ. قَالُوا: فَلَا وَاللَّهِ مَا أَحَدٌ فِي الْأَرْضِ يَعْمَلُ بِالسَّحْرِ بِالْحَيَاتِ وَالْحِيَالِ وَالْعِصِيِّ الَّذِي نَعْمَلُ، وَمَا أَجْرُنَا إِنْ نَحْنُ غَلَبْنَا؟ قَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَقَارِبِي وَخَاصَّتِي [١٨٩ظ]، وَأَنَا صَانِعٌ إِلَيْكُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْبَبْتُمْ. فَتَوَاعَدُوا يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى. قَالَ سَعِيدٌ: فَحَدَّثَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ يَوْمَ الزَّيْنَةِ الْيَوْمَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَالسَّحَرَةِ، هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا فِي

(١) سقط من: النسخ. والمثبت من سنن النسائي الكبرى.

صعید قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلتخضروا هذا الأمر؛ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين. يفتنون موسى وهارون، استهزاء بهما، فقالوا: يا موسى - بقدرتهم بسحرهم - إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين. قال: بل ألقوا. ﴿فَالْقَوْمُ جِبَاهَتُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله إليه: أن ألق عصاك، فلما ألقاها، صارت ثعباناً عظيمة، فاغرة فاها، فجعلت العصي تلتبس بالحبال، حتى صارت جرزاً^(١) على الثعبان تدخل فيه، حتى ما أبقت عصاً ولا حبلاً إلا ابتلعه، فلما عرف السحرة ذلك، قالوا: لو كان هذا سحراً لم تبلغ^(٢) من سحرنا كل هذا، ولكنه أمر من الله تعالى، آمناً بالله وبما جاء به موسى، ونتوب إلى الله مما كنا عليه. فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه، وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، وامرأة فرعون بارزة متبدلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتذلت للشفقة على فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمها لموسى، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة، كلما جاء بآية وعده عندها أن يُوسلَ معه بنى إسرائيل، فإذا مضت أخلف موعده وقال: هل يستطيع ربك أن يصنع غير هذا؟ فأرسل الله على قومه الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات، كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه، ويؤاqqه على أن يُوسلَ معه بنى إسرائيل، فإذا كف ذلك عنه، أخلف موعده، ونكث عهده، حتى

(١) الجزر جمع جزرة، وهى الحزمة من القُت ونحوه.

(٢) فى ح، م: «تبلغ». والمثبت موافق لما فى سنن النسائى ومسنند أبى يعلى.

191

يُكَلِّمَهُ فِي ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَقَدْ صَامَهُنَّ، لَيْلَهُنَّ وَنَهَارَهُنَّ، وَكَرِهَ أَنْ يُكَلِّمَ رَبَّهُ وَرِيحٌ فِيهِ رِيحٌ فِي الصَّائِمِ، فَتَنَاولَ مُوسَى شَيْئًا مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَمَضَغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ حِينَ أَتَاهُ: لِمَ أَفْطَرْتَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالَّذِي كَانَ، قَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَكَلِّمَكَ إِلَّا وَفَمِي طَيْبُ الرِّيحِ. قَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ يَا مُوسَى أَنَّ رِيحَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، أَزَجِّعُ فَضْئَ عَشْرًا، ثُمَّ أَثْنِي. فَفَعَلَ مُوسَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ، فَلَمَّا رَأَى قَوْمُ مُوسَى أَنَّهُ لَمْ يَزَجِّعْ إِلَيْهِمْ فِي الْأَجْلِ، سَاءَهُمْ ذَلِكَ، وَكَانَ هَارُونُ قَدْ خَطَبَهُمْ وَقَالَ: إِنَّكُمْ خَرَجْتُمْ مِنْ مِصْرَ، وَلِقَوِمٍ فِرْعَوْنُ عِنْدَكُمْ عَوَارِيٌّ وَوَدَائِعُ، وَلَكُمْ فِيهَا مِثْلُ ذَلِكَ، وَأَنَا أَرَى أَنَّ تَحْتَسِبُوا مَا لَكُمْ عِنْدَهُمْ، وَلَا أَجَلَ لَكُمْ وَدِيعَةً اسْتَوْدِعْتُمُوهَا، وَلَا عَارِيَّةً، وَلَسْنَا بِرَادِّينَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا تُنْسِكِيهِمْ لِأَنْفُسِنَا. فَحَفَرَ حَفِيرًا، وَأَمَرَ كُلَّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ أَنْ يَقْذِفُوهُ فِي ذَلِكَ الْحَفِيرِ. ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهِ النَّارَ فَأَخْرَقَهُ، فَقَالَ: لَا يَكُونُ لَنَا وَلَا لَهُمْ.

وَكَانَ السَّامِرِيُّ مِنْ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ الْبَقَرَ، جِيرَانِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاحْتَمَلَ مَعَ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ اخْتَمَلُوا، فَقَضَى لَهُ أَنْ رَأَى أَثَرًا فَقَبِضَ مِنْهُ قَبْضَةً، فَمَرَّ بِهَارُونَ، فَقَالَ لَهُ هَارُونُ: يَا سَامِرِيُّ، أَلَا تُلْقِي مَا فِي يَدِكَ؟ وَهُوَ قَابِضٌ عَلَيْهِ، لَا يَرَاهُ أَحَدٌ طَوَالَ [١٩٠/١] ذَلِكَ، فَقَالَ: هَذِهِ قَبْضَةٌ مِنْ أَثَرِ الرِّسُولِ الَّذِي جَاوَزَ بِكُمْ الْبَحْرَ، وَلَا أَلْقِيهَا لِشَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَدْعُو اللَّهَ إِذَا أَلْقَيْتُهَا أَنْ يَكُونَ مَا أُرِيدُ. فَالْقَاهَا وَدَعَا لَهُ هَارُونُ، فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ عِجَلًا. فَاجْتَمَعَ مَا كَانَ فِي الْحُفْرَةِ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ حِلْيَةٍ، أَوْ نُحَاسٍ، أَوْ حَدِيدٍ،

(١) سقط من: الأصل، ح.

فصار عَجَلًا أَجُوفَ ، ليس فيه رُوحٌ ، له خُوارٌ .

قال ابن عباس : لا والله ما كان له صَوْتُ قَطُ ، إنما كانت الرِّيحُ تدخلُ من دُبُرِهِ ، وتخرجُ من فيه ، فكان ذلك الصَّوْتُ من ذلك ، فَتَفَرَّقَ بنو إسرائيلَ فِرْقًا ، فقالت فِرْقَةٌ : يا سامريُّ ، ما هذا ، وأنت أعلمُ به ؟ قال : هذا رَبُّكُمْ ، ولكنَّ موسى أَضَلَّ الطَّرِيقَ . وقالت فِرْقَةٌ : لا تُكْذِبْ بهذا حتى يَزْجَعَ إلينا موسى ، فإن كان رَبُّنا ، لم نَكُنْ ضَيَّعناه وَعَجَزْنا فيه حينَ رأيناه ، وإن لم يكن رَبُّنا ، فإنَّا نَتَّبِعُ قولَ موسى . وقالت فِرْقَةٌ : هذا عملُ الشَّيْطَانِ ، وليس بِرَبُّنا ، ولا نُؤْمِنُ به ، ولا نُصَدِّقُ . وَأَشْرَبَ فِرْقَةٌ في قلوبِهِمُ الصَّدْقَ بما قال السَّامِرِيُّ في العَجَلِ ، وَأَغْلَتْوا التَّكْذِيبَ به ، فقال لهم هارونُ عليه السَّلامُ : ﴿ يَتَقَوَّمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ﴾ [طه : ٩٠] . ليس هذا ، قالوا : فما بالُ موسى وَعَدَّنا ثلاثينَ يومًا ثم أَخْلَفَنا ؟ هذه أربَعونَ يومًا قد مَضَتْ . فقال سفهاؤُهُم : أخطأَ رَبُّهُ ، فهو يَطْلُبُهُ وَيَتَّبِعِيهِ . فلَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ موسى وقال له ما قال ، أَخْبَرَهُ بما لَقِيَ قَوْمَهُ من بَعْدِهِ ، فَرَجَعَ إلى قَوْمِهِ غَضَبًا أَسِفًا ، فقال لهم ما سَمِعْتُمْ في القُرْآنِ ، وأخذ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ، وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ مِنَ الْغَضَبِ ، ثم إِنَّهُ عَذَرَ أَخَاهُ بَعْذِرَهُ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فأنصَرَفَ إلى السَّامِرِيِّ ، فقال له : ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ ؟ قال : ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ وَفَطِنْتُ لَهَا ، وَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ فَقَدَفْتُهَا ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾ ١٦٦ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ [طه : ٩٦ ، ٩٧] . ولو كان إِلَهاً لم نَخْلُصْ إلى ذلك منه ، فاستَيْقَنَ بنو إسرائيلَ بِالْفِتْنَةِ ، واغْبَطَ

الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون ، فقالوا جماعتهم^(١) : يا موسى ، سَلْ لَنَا أَنْ يُفْتَحَ لَنَا بَابُ تَوْبَةٍ نَصْنَعُهَا ، فَيَكْفُرَ عَنَّا مَا عَمِلْنَا . فاختر موسى قومه سبعين رجلاً لذلك ، لا يَأْلُو الْحَيَرَ ، خِيَارَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَمَنْ لَمْ يُشْرِكْ فِي الْعِجْلِ^(٢) ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ يَسْأَلُ لَهُمُ التَّوْبَةَ ، فَرَجَعَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ، فَاسْتَحْيَا نَبِيُّ اللَّهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنْ قَوْمِهِ ، وَمِنْ وَفْدِهِ ، حِينَ فُعِلَ بِهِمْ مَا فُعِلَ ، فَقَالَ : ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَلَئِنِّي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ وفيهم مَنْ كَانَ اللَّهُ أَطْلَعَ مِنْهُ عَلَى مَا أُشْرِبَ قَلْبُهُ [١٩١/١] مِنْ حُبِّ الْعِجْلِ ، وَإِيمَانٍ بِهِ ، فَلَذَلِكَ رَجَعَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ، فَقَالَ : ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْ بِهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٣) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿ [الأعراف: ١٥٦ ، ١٥٧] . فَقَالَ : يَا رَبِّ ، سَأَلْتُكَ التَّوْبَةَ لِقَوْمِي ، فَقُلْتَ : إِنَّ رَحِمَتَكَ كَتَبْتَهَا^(٤) لِقَوْمٍ غَيْرِ قَوْمِي ، فَلَيْتَكَ أَخَّرْتَنِي حَتَّى تُخْرِجَنِي فِي أُمَّةٍ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمَرْحُومَةِ . فَقَالَ لَهُ : إِنَّ تَوْبَتَهُمْ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ لِقَائِي مِنَ الْوَالِدِ وَوَلَدِهِ ، فَيَقْتُلَهُ بِالسَّيْفِ ، لَا يُيَالَى مَنْ قَتَلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْطِنِ . وَتَابَ^(٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا خَفِيَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ، وَأُطْلِعَ اللَّهُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، فَاعْتَرَفُوا بِهَا ، وَفَعَلُوا مَا أُمِرُوا ، وَغَفَرَ اللَّهُ لِلْقَاتِلِ وَالْمَقْتُولِ ، ثُمَّ سَارَ بِهِمْ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مُتَوَجِّهًا نَحْوَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَأَخَذَ الْأَلْوَاخَ بَعْدَ مَا سَكَتَ عَنْهُ الْغَضَبُ ، فَأَمَرَهُمُ بِالَّذِي أَمَرَ بِهِ مِنَ الْوُضَائِفِ فَتَقَلَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَأَبْزَوْا أَنْ يُقَرُّوا بِهَا ، وَنَتَقَ

(١) فِي النسخ : « لجماعتهم » . والمثبت من مسند أبي يعلى .

(٢) فِي النسخ : « الحق » . والمثبت من سنن النسائي .

(٣ - ٣) فِي النسخ : « رحمتي كتبها » . والمثبت من مسند أبي يعلى .

(٤) فِي سنن النسائي : « وبأني » .

اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَبَلُ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ، ودنا مِنْهُمْ حتى خَافُوا أَن يَقَعَ عَلَيْهِمْ ، فَأَخَذُوا
الْكِتَابَ بِأَيْمَانِهِمْ وَهُمْ ^(١) يُضْغَوْنَ ^(٢) يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ ، وَالْكِتَابُ بِأَيْدِيهِمْ وَهُمْ
مِنْ ^(٣) وَرَاءِ الْجَبَلِ ، مَخَافَةً أَن يَقَعَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى أَتَوْا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ،
فَوَجَدُوا مَدِينَةً فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارُونَ ، خَلَقَهُمْ خَلْقَ مُنْكَرٍ - وَذَكَرَ مِنْ ثَمَارِهِمْ أَمْرًا
عَجِيبًا مِنْ عِظَمِهَا - فَقَالُوا : يَا مُوسَى ، إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ ،
وَلَا نَدْخُلُهَا مَا دَامُوا فِيهَا ، فَإِنْ يَخْرِجُوا مِنَّا فَإِنَّا دَاخِلُونَ . قَالَ رَجُلَانِ مِنَ
الَّذِينَ يَخَافُونَ - قِيلَ لِيَزِيدَ : هَكَذَا قَرَأَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ - مِنَ الْجَبَّارِينَ آمَنَّا بِمُوسَى ،
وَخَرَجْنَا إِلَيْهِ ، فَقَالُوا : نَحْنُ أَعْلَمُ بِقَوْمِنَا ، إِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تَخَافُونَ مَا رَأَيْتُمْ مِنْ
أَجْسَامِهِمْ وَعَدِيدِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ لَا قُلُوبَ لَهُمْ ، وَلَا مَنَعَةَ عِنْدَهُمْ ، فَادْخُلُوا عَلَيْهِمْ
الْبَابَ ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ . وَيَقُولُ أَنَاسٌ : إِنَّهُمَا ^(٤) مِنْ قَوْمِ مُوسَى .
فَقَالَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ؛ بَنُو إِسْرَائِيلَ : ﴿ قَالُوا يَكْفُرُ إِنَّآ لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا
دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] .
فَأَعْضَبُوا مُوسَى ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ ، وَسَمَّاهُمْ فَاسِقِينَ ، وَلَمْ يَدْعُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ ؛
لَمَّا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَإِسَاءَتِهِمْ ، حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ
وَسَمَّاهُمْ كَمَا سَمَّاهُمْ فَاسِقِينَ ، فَحَرَّمَهَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، يَتَّبِعُونَ فِي
الْأَرْضِ ، يُضْبِحُونَ كُلَّ يَوْمٍ ، فَيَسِيرُونَ لَيْسَ لَهُمْ قَرَارٌ ، ثُمَّ ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ
فِي النَّهْيِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ، وَجَعَلَ لَهُمْ ثِيَابًا لَا تَبْلَى وَلَا تَتَّسِخُ ،
وَجَعَلَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ حَجَرًا مُرَبَّعًا [١٩١/١] ، وَأَمَرَ مُوسَى فَضْرَبَهُ بِعَصَاهُ ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) كذا في النسخ وفي مسند أبي يعلى . وفي سنن النسائي : « مضطقون » .

(٣) في النسخ : « إنهم » . والثابت من سنن النسائي .

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ثَلَاثَةُ أَغْيُنٍ ، وَأَعْلَمَ كُلُّ سَبِيطٍ عَيْنَهُمُ الَّتِي يَشْرَبُونَ مِنْهَا ، فَلَا يَوْتَحِلُونَ مِنْ مَنَقَلَةٍ إِلَّا وَجَدُوا ذَلِكَ الْحَجَرَ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِالْأَمْسِ . رَفَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَصَدَّقَ ذَلِكَ عِنْدِي أَنَّ مَعَاوِيَةَ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ حَدَّثَ هَذَا الْحَدِيثَ ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الْفِرْعَوْنِيُّ الَّذِي أَفْشَى عَلَى مُوسَى أَمْرَ الْقَتِيلِ الَّذِي قُتِلَ ، فَقَالَ : كَيْفَ يُفْشَى عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ عَلِيمَ بِهِ وَلَا ظَهَرَ عَلَيْهِ إِلَّا الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي حَضَرَ ذَلِكَ ؟ فَغَضِبَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، فَأَخَذَ بِيَدِ مَعَاوِيَةَ ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ الزُّهْرِيِّ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا إِسْحَاقَ ، هَلْ تَذْكُرُ يَوْمَ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتِيلِ مُوسَى الَّذِي قُتِلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ؟ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي أَفْشَى عَلَيْهِ ، أَمْ الْفِرْعَوْنِيُّ ؟ ^(١) قَالَ : إِنَّمَا أَفْشَى عَلَيْهِ الْفِرْعَوْنِيُّ بِمَا سَمِعَ الْإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي شَهِدَ ذَلِكَ وَحَضَرَهُ ^(٢) . هَكَذَا سَاقَ هَذَا الْحَدِيثَ الْإِمَامُ النَّسَائِيُّ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرَيْهِمَا ، مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ ^(٣) ، وَالْأَشْبَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، أَنَّهُ مَوْقُوفٌ ، وَكَوْنُهُ مَرْفُوعًا فِيهِ نَظَرٌ ، وَغَالِبُهُ مُتَلَقًى مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَفِيهِ شَيْءٌ يَسِيرٌ مُضَرَّحٌ بَرَفْعِهِ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ ، وَفِي بَعْضٍ مَا فِيهِ نَظَرٌ وَنَكَارَةٌ ، وَالْأَغْلَبُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْخَنَا الْحَافِظَ أَبَا الْحَجَّاجِ الْمُزِّيَّ يَقُولُ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) ابن جرير في تفسيره ١٦ / ١٦٤ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤ / ٢٩٦ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وغيره . كما أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٦١٨) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٦٦ : رجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان .

ذِكْرُ^(١) بِنَاءِ قُبَّةِ الزَّمَانِ

قال أهل الكتاب^(٢) : وقد أمر الله موسى ، عليه السلام ، بعملِ قُبَّةٍ مِنْ خَشَبِ الشَّمَشَارِ ، وِجْلُودِ الْأَنْعَامِ ، وَشَعْرِ الْأَغْنَامِ ، وَأَمَرَ بِزِينَتِهَا بِالْحَرِيرِ الْمُصْبَغِ ، وَالذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةِ ، عَلَى كَيْفِيَّاتٍ مَفْصَّلَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَلَهَا عَشْرُ سُرَادِقَاتٍ ، طُولُ كُلِّ وَاحِدٍ ثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَعَرْضُهُ أَرْبَعَةُ أَذْرُعَ ، وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ ، وَأَطْنَابٌ مِنْ حَرِيرٍ وَدِمَقْسٍ مُصْبَغٍ ، وَفِيهَا رَفُوفٌ^(٣) وَصَفَائِحُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، وَلِكُلِّ زَاوِيَةٍ بَابَانِ ، وَأَبْوَابُ أُخْرَى كَبِيرَةٌ ، وَتَسْتَوِّرُ مِنْ حَرِيرٍ مُصْبَغٍ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ ذِكْرُهُ ، وَبِعَمَلِ تَابُوتٍ مِنْ خَشَبِ الشَّمَشَارِ ، يَكُونُ طَوْلُهُ ذِرَاعَيْنِ وَنِصْفًا ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعَيْنِ ، وَارْتِفَاعُهُ ذِرَاعًا وَنِصْفًا ، وَيَكُونُ مُضَبِّبًا بِذَهَبٍ خَالِصٍ ، مِنْ دَاخِلِهِ وَخَارِجِهِ ، وَلَهُ أَرْبَعُ جِلْقِيٍّ ، فِي أَرْبَعِ زَوَايَاهُ ، وَيَكُونُ [١ / ١٩٢] عَلَى حَاقَّتَيْهِ كَرْوِيَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ ، يَغْنُوثُ صِفَةً مَلَكَيْنِ بِأَجْنِحَةٍ ، وَهُمَا مُتَقَابِلَانِ ، صَنَعَهُ رَجُلٌ اسْمُهُ بَصْلِيَالُ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْمَلَ مَائِدَةً مِنْ خَشَبِ الشَّمَشَارِ ، طَوْلُهَا ذِرَاعَانِ ، وَعَرْضُهَا ذِرَاعٌ وَنِصْفٌ ، لَهَا ضِبَابُ ذَهَبٍ ، وَإِكْلِيلُ ذَهَبٍ بِشَفَةِ مُرْتَفِعَةٍ ، وَإِكْلِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَأَرْبَعُ جِلْقِيٍّ مِنْ تَوَاجِيحِهَا مِنْ ذَهَبٍ ؛ خَرَزُهُ مِثْلُ الزَّمَانِ مِنْ خَشَبٍ مُلَبَّسٍ ذَهَبًا ، وَاعْمَلْ صِحَافًا وَمَصَافِيٍّ وَقِصَاصًا عَلَى الْمَائِدَةِ ، وَاصْنَعْ مَنَارَةً مِنْ ذَهَبٍ دُلَّتِي فِيهَا سِتُّ قَصَبَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، مِنْ كُلِّ

(١) سقط من : م .

(٢) سفر الخروج الأصحاح ٢٥ - ٢٧ .

(٣) في الأصل ، ح : «دُفُوف» . ورفوف جمع رف ، وهو شبه الطاق تجعل عليه طرائف البيت .

جانب ثلاث، على كل قَصْبَةٍ ثلاث سُجُج، وليكن فى المنارة أربعُ قناديل، ولتكن هى وجميعُ هذه الآنية من قنطارٍ من ذهب، صنعَ ذلك بصليالٍ أيضًا، وهو الذى عَمِلَ المذْبَحَ أيضًا، ونَصَبَ هذه القُبَّةَ أولَ يومٍ من سَنَتِهِمْ، وهو أولُ يومٍ من الرِّيع، ونَصَبَ تابوتَ الشَّهادة، وهو - واللَّهِ أعلمُ - المذكورُ فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مَلَكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وقد بُسِطَ هذا الفصلُ فى كتابهم مُطوَّلًا جدًّا، وفيه شرائعُ لهم، وأحكامُ، وصفةُ قُرْبَانِهِمْ، وَكَيْفِيَّتُهُ، وفيه أَنَّ قُبَّةَ الزَّمانِ كانت موجودةً قبلَ عبادَتِهِم العَجَلِ، الذى هو مُتَقَدِّمٌ على مَجِيئِهِم بَيْتِ المقدسِ، وأَنَّها كانت لهم كالكَعْبَةِ يُصَلُّونَ فيها وإليها، وَيَتَقَرَّبُونَ عِنْدَهَا، وَأَنَّ موسى، عليه السَّلامُ، كان إذا دَخَلَهَا يَقْفُونَ عِنْدَهَا، وينزُلُ عمودُ الغمامِ على بابِها، فيخِرُّونَ عِنْدَ ذَلِكَ سُجَّدًا لِلَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، ويكلِّمُ اللَّهُ موسى، عليه السَّلامُ، من ذلك العمودِ الغمامِ، الذى هو نورٌ، ويخطبُه، ويناجِيه، وَيَأْمُرُه^(١)، وَيَنْهَاهُ، وهو واقِفٌ عِنْدَ التَّابُوتِ، صامِدٌ إلى ما بينَ الكَرَوِيِّينَ فإذا فُصِّلَ الخطابُ، يخبرُ بنى إِسرائيلَ بما أَوْحاهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، إليه من الأوامرِ والتَّواهِى، وإذا تحاكَّموا إليه فى شىءٍ، ليس عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ فيه شىءٌ، يَجِئُ إلى قُبَّةِ الزَّمانِ، وَيَقِفُ عِنْدَ التَّابُوتِ، وَيَصْمُدُ لما بينَ ذَيْنِكَ الكَرَوِيِّينَ، فيأتيه الخطابُ بما فيه فَضْلُ تلكَ الحُكُومَةِ، وقد كان هذا مشروعًا لهم فى زَمَانِهِمْ، أغْنَى استعمالَ الذَّهَبِ والحَرِيرِ المُصَبَّغِ،

(١) سقط من: الأصل.

وَاللَّائِي فِي مَعْبَدِهِمْ ، وَعِنْدَ مُصَلَّاهُمْ ، فَأَمَّا فِي شَرِيعَتِنَا فَلَا ، بَلْ قَدْ نُهِينَا عَنْ زَخْرَفَةِ الْمَسَاجِدِ ، وَتَزْيِينِهَا ؛ لِأَنَّ تَشْغَلَ الْمُصَلِّينَ ، كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمَّا وَسَّعَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ [١٩٢/١ ط] لِلَّذِي وَكَّلَهُ عَلَى عِمَارَتِهِ : ابْنِ لِلنَّاسِ مَا يُكْنِهُمْ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُحْمَرُ أَوْ تُصَفَّرَ ، فَتَقْتَنَ النَّاسُ^(١) . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَتُزَخْرِفُنَهَا كَمَا زَخْرَفَتِ الْيَهُودُ وَالتَّصَارِيُّ كَنَائِسَهُمْ^(٢) .

وهذا من باب التشريف والتكريم والتنزيه ، فهذه الأئمة غير مشابهة من كان قبلهم من الأمم ؛ إذ جمع الله همهم في صلاتهم على التوجه إليه ، والإقبال عليه ، وصان أبصارهم وخواطيرهم عن الاشتغال والتفكير في غير ما هم بصدد من العبادة العظيمة ، فله الحمد والمِنَّة .

وقد كانت قُبَّةُ الزَّمانِ هذه مع بنى إسرائيل في النَّبيِّهِ ، يُصَلُّونَ إِلَيْهَا ، وَهِيَ قِبْلَتُهُمْ وَكَفَبَتُهُمْ ، وَإِمَامُهُمْ كَلِيمُ اللَّهِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَقْدَّمُ الْقُرْبَانِ أَخُوهُ هَارُونُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَلَمَّا مَاتَ هَارُونُ ، ثُمَّ مُوسَى ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، اسْتَمَرَّتْ بَنُو هَارُونَ فِي الَّذِي كَانَ يَلِيهِ أَبُوهُمْ مِنْ أَمْرِ الْقُرْبَانِ ، وَهُوَ فِيهِمْ ، إِلَى الْآنَ ، وَقَامَ بِأَعْبَاءِ النَّبُوَّةِ بَعْدَ مُوسَى وَتَدْيِيرِ الْأَمْرِ بَعْدَهُ ، فَتَاهُ يَوْشَعَ بْنُ نُونٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ الَّذِي دَخَلَ بِهِمْ بَيْتَ الْمُقَدِّسِ ؛ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ٥٣٩/١ مَعْلَقًا . وَقَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ ٥٣٩/١ : هُوَ طَرَفٌ مِنْ قِصَّةٍ فِي ذِكْرِ تَجْدِيدِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ . وَيُضِلُّ لَهُ فِي تَغْلِيْقِ التَّعْلِيْقِ ٢٣٦/٢ .
(٢) الْبُخَارِيُّ مَعْلَقًا بِصِيْغَةِ الْجَزْمِ ٥٣٩/١ . وَأَبُو دَاوُدَ (٤٤٨) . (صَحِيْحُ أَبِي دَاوُدَ ٤٣١) . وَانْظُرِ الْإِحْسَانَ (١٦/٥) .

والمقصود هنا أنه لما استقرت يده على البيت المقدس، نصب هذه القبلة على صخرة بيت المقدس، فكانوا يصلون إليها، فلما بادث صلوا إلى محلها، وهي الصخرة، فلماذا كانت قبلة الأنبياء بعده إلى زمان رسول الله ﷺ، وقد صلى إليها رسول الله ﷺ قبل الهجرة، وكان يجعل الكعبة بين يديه، فلما هاجر، أمر بالصلاة إلى بيت المقدس، فصلّى إليها سنة عشر، وقيل: سنة عشر شهراً. ثم حوّلت القبلة إلى الكعبة، وهي قبلة إبراهيم، في شعبان سنة ثنتين، في وقت صلاة العصر. وقيل: الظهر^(١)، كما بسطنا ذلك في «التفسير»^(٢)، عند قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ آتَى كَانُوا عَلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ رَأَى نَفْلًا وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٢ - ١٤٤].

(١) انظر صحيح البخارى (٤٠، ٣٩٩، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢). ومسلم (٥٢٥).

(٢) التفسير ٢٧٣/١ - ٢٨٢.

قصة قارون مع موسى ، عليه السلام

قال الله تعالى ^(١) : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآيَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحِمَهُ لَسَتْ شَاوِيَةً بِأَلْمُصْبَكَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ [١٩٣/١] كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُثُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُمْ لَدُوٌّ حَظِيظٌ عَظِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلَحُ إِلَّا الْمُصْطَرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانُ لَنَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾] [الفصل: ٧٦ - ٨٣] . قال الأعمش : عن المنهال بن عمرو ، عن ^(٢) سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : كان قارون ابن عم

(١) التفسير ٢٦٣/٦ - ٢٦٩ .

(٢) في الأصل ، م : « بن » .

موسى . وكذا قال إبراهيم النخعي ، وعبدُ الله بنُ الحارث بنِ نوفل ، وسماك
ابنُ حُزب ، وقتادة ، ومالكُ بنُ دينار ، وابنُ جريج ، وزاد فقال : هو قارونُ بنُ
يصهر بنِ قاهث ، وموسى بنُ عمران بنِ قاهث^(١) . قال ابنُ جرير^(٢) : وهذا
قولُ أكثرِ أهلِ العلمِ ؛ أنَّه كان ابنُ عمِّ موسى . وردَّ قولُ ابنِ إسحاق أنَّه كان
عمُّ موسى . قال قتادة : وكان يُسمَّى المنوَّر^(٣) ؛ لحُسْنِ صَوْتِهِ بِالتَّوَرَةِ ، ولكنَّ
عدوَّ اللَّهِ نافق ، كما نافق السامريُّ ، فأهلكه البغي ؛ لكثرةِ ماله . وقال شهر بنُ
حوشب : زاد في ثيابه شيئاً طويلاً ؛ ترفُّعاً على قومه . وقد ذَكَرَ اللَّهُ تعالى كثرةَ
كُنُوزِهِ ؛ حتى إنَّ مفاتيحه كان يثقلُ حملُها على الفِئامِ^(٤) مِنَ الرِّجَالِ الشُّدَادِ ،
وقد قيل : إنَّها كانت مِنَ الجلودِ ، وإنَّها كانت تُحْمَلُ على ستينَ بَعْلاً . فاللَّهُ
أَعْلَمُ . وقد وعظه النُّصَحَاءُ مِنْ قَوْمِهِ ؛ قائلين : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ﴾ أَي ؛ لَا تَبْتَظِرْ بِمَا أُعْطِيتَ ، وَتَفْخَرْ عَلَى غَيْرِكَ . ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا
ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ يَقُولُونَ : لَتَكُنَّ هِمَّتُكَ مَصْرُوفَةً لِتَحْصِيلِ ثَوَابِ
اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَمَعَ هَذَا ﴿ وَلَا تَنْسَ نَفْسِكَ مِنَ
الدُّنْيَا ﴾ أَي ؛ وَتَنَاوَلْ مِنْهَا بِمَا لَكَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ، فَتَمَتِّعْ لِنَفْسِكَ بِالْمَلَادِ
الطَّيِّبَةِ الْحَلَالِ ، ﴿ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أَي ؛ وَأَحْسِنْ إِلَى
خَلْقِ اللَّهِ ، كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ خَالِقَهُمْ وَبَارِئَهُمْ إِلَيْكَ ، ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي
الْأَرْضِ ﴾ أَي ؛ وَلَا تَسْؤِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا تُفْسِدْ فِيهِمْ [١٩٣/١ ظ] فَتَقَابَلَهُمْ ضِدًّا مَا

(١) فى ح : « قاهث » ، وفى م : « هافث » . وانظر الأقوال السابقة فى التفسير ٢٦٣/٦ .

(٢) فى الأصل ، ح ، م : « جريج » . وانظر كلام ابن جرير فى تفسيره ١٠٥/٢٠ .

(٣) فى ح ، م : « النور » .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « القيام » . والفِئام : الجماعة من الناس .

أُمِرَتْ فِيهِمْ ، فَيُعَاقِبُكَ وَيَسْلُبُكَ مَا وَهَبَكَ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾
 فما كان جوابه ^(١) لهذه النصيحة الصَّحِيحَةِ الْفَصِيحَةِ ، إِلَّا أَنْ ﴿ قَالَ إِنَّمَا
 أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ يعني : أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرْتُمْ ، ولا إلى ما
 إليه أَشْرُتُمْ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا أَعْطَانِي هَذَا لَعَلَّيْهِ أَنِّي أَسْتَحِقُّهُ ، وَأَنِّي أَهْلٌ لَهُ ، وَلَوْلَا
 أَنِّي حَبِيبٌ إِلَيْهِ ، وَخَاطِيٌ عِنْدَهُ ، لَمَّا أَعْطَانِي مَا أَعْطَانِي . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى رَادًّا عَلَيْهِ
 فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ
 أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ أَي ؛ قَدْ
 أَهْلَكْنَا مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِينَ بِذُنُوبِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ ، مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْ قَارُونَ قُوَّةً ،
 وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ، فَلَوْ كَانَ مَا قَالَ صَحِيحًا لَمْ نُعَاقِبْ أَحَدًا يَمُنُّ كَانَ أَكْثَرُ
 مَالًا مِنْهُ ، وَلَمْ يَكُنْ مَالُهُ دَلِيلًا عَلَىٰ مُحِبَّتِنَا لَهُ ، وَاعْتِنَائِنَا بِهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى :
 ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا ﴾ [سبا : ٣٧] . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ
 وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦] . وَهَذَا
 الرَّدُّ عَلَيْهِ يَدُلُّ عَلَىٰ صَحَّةِ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ
 عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ .

وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ ، أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ صَنْعَةَ الْكِيمِيَاءِ ^(٢) ، أَوْ أَنَّهُ
 كَانَ يَحْفَظُ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ ، فَاسْتَعْمَلَهُ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ ، فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ ؛ لِأَنَّ

(١) فِي م ، ص : « جَوَابُ قَوْمِهِ » .

(٢) الْكِيمِيَاءُ : الْحِيلَةُ وَالْحِذْقُ ، وَكَانَ يَرَادُ بِهَا عِنْدَ الْقَدَمَاءِ : تَحْوِيلُ بَعْضِ الْمَعَادِنِ إِلَىٰ بَعْضٍ . وَعَلِمَ
 الْكِيمِيَاءُ عِنْدَهُمْ : عِلْمٌ يَعْرِفُ بِهِ طَرِيقَ سَلْبِ الْخَوَاصِّ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَجَلِبِ خَاصَّةٍ جَدِيدَةٍ إِلَيْهَا ،
 وَلَا سِيَّمَا تَحْوِيلُهَا إِلَىٰ ذَهَبٍ . الْوَسِيطُ ٨٤٠ / ٢ .

الكيمياء تَخْيِيلٌ وَصِبْغَةٌ لَا تُحِيلُ الحَقَائِقَ، وَلَا تُشَابِهُ صَنْعَةَ الخَالِقِ، وَالاسْمُ الأعْظَمُ لَا يَضَعُدُ الدُّعَاءُ بِهِ مِنْ كَافِرٍ بِهِ، وَقَارُونُ كَانَ كَافِرًا فِي الْبَاطِنِ، مُنَافِقًا فِي الظَّاهِرِ، ثُمَّ لَا يَصْصَحُ جَوَابُهُ لَهُمْ بِهَذَا، عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، وَلَا يَتَقَى بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ تَلَازُمٌ، وَقَدْ وَضَّحْنَا هَذَا فِي كِتَابِنَا «التفسير»^(١)، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

قال الله تعالى^(٢): ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ ذكر كثير من المفسرين أنه خرج في تَجَمُّلٍ عَظِيمٍ؛ مِنْ مَلَائِسَ، وَمَرَائِبَ، وَخَدَمٍ، وَحَشَمٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ مَنْ يُعَظِّمُ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَمَنَّوْا أَنْ لَوْ كَانُوا مِثْلَهُ، وَغَبَطُوهُ بِمَا عَلَيْهِ وَلَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهُمُ الْعُلَمَاءُ ذَوُو الْفَهْمِ الصَّحِيحِ، الزُّهَادُ الْأَبْنَاءُ، قَالُوا لَهُمْ: ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أَي؛ ثَوَابُ اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَأَبْقَى، وَأَجَلُّ وَأَعْلَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ﴾ أَي؛ وَمَا يُلْقَى هَذِهِ النَّصِيحَةُ، وَهَذِهِ الْمَقَالَةُ، وَهَذِهِ الْهِمَّةُ السَّامِيَّةُ إِلَى^(٣) الدَّارِ الْآخِرَةِ الْعَلِيَّةِ، عِنْدَ التَّظَرُّعِ إِلَى زَهْرَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ، إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ، وَثَبَّتَ فُؤَادَهُ، وَأَيَّدَ لُبَّهُ، وَحَقَّقَ مُرَادَهُ [١/١٩٤و]، وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ اللَّهَ يُجِيبُ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ.

قال الله تعالى: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِهٖ وَيْدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ

(١) التفسير ٢٦٤/٦، ٢٦٥.

(٢) التفسير ٢٦٥/٦. وتفسير الطبري ١١٤/٢٠، ١١٥.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «فِي».

يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿١﴾ . لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى خُرُوجَهُ فِي زِينَتِهِ ، وَاحْتِيَالَهُ فِيهَا ، وَفَخَرَهُ عَلَى قَوْمِهِ بِهَا ، قَالَ : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهٖ وَيَدَارِہٖ ٱلْأَرْضَ ۖ ﴾ .

كما رَوَى الْبَخَارِيُّ^(١) مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « يَتَنَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ ، إِذْ خُسِيفَ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . ثُمَّ رَوَاهُ الْبَخَارِيُّ^(٢) مِنْ حَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ .

وَقَدْ ذُكِرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالشَّدِّدِيِّ أَنَّ قَارُونَ أَعْطِيَ امْرَأَةً بَغِيًّا مَالًا ، عَلَى أَنْ يَقُولَ لِمُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ فِي مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ : إِنَّكَ فَعَلْتَ بِي كَذَا وَكَذَا . فَيَقَالُ : إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَزْعَدَ مِنَ الْفَرَقِ ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا ، فَاسْتَخْلَفَهَا : « مَنْ ذَلِكَ »^(٣) عَلَى ذَلِكَ ، وَمَا حَمَلَكَ عَلَيْهِ ؟ فَذَكَرَتْ أَنَّ قَارُونَ هُوَ الَّذِي حَمَلَهَا عَلَى ذَلِكَ ، وَاسْتَغْفَرَتِ اللَّهَ ، وَتَابَتْ إِلَيْهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَّ مُوسَى لِلَّهِ سَاجِدًا ، وَدَعَا اللَّهَ عَلَى قَارُونَ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ أَمَرْتُ الْأَرْضَ أَنْ تُطِيعَكَ فِيهِ ، فَأَمَرَ مُوسَى الْأَرْضَ أَنْ تَبْتَلِعَهُ وَدَارَهُ ، فَكَانَ ذَلِكَ^(٤) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ قَارُونَ لَمَّا خَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ، مَرَّ بِجَحْفَلِهِ ، وَبِغَالِهِ ، وَمَلَابِسِهِ ، عَلَى مَجْلِسِ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ يَذْكُرُ قَوْمَهُ بِأَيَّامِ اللَّهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّاسُ انْصَرَفَتْ وَجُوهُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَدَعَاهُ

(١) الْبَخَارِيُّ (٣٤٨٥ ، ٥٧٩٠) .

(٢) الْبَخَارِيُّ (٥٧٩٠) .

(٣ - ٣) فِي النِّسْخِ : « مَنْ ذَلِكَ » .

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١١٧/٢٠ . وَالتَّفْسِيرُ ٢٦٧/٦ .

موسى ، عليه السلام ، فقال له : ما حملك على هذا ؟ فقال : يا موسى ، أما لئن كنتَ فَضُلْتُ عَلَىِ بالثبوة ، فَلَقَدْ فَضُلْتُ عَلَيْكَ بِالْمَالِ ، وَلَئِنْ شِئْتَ لَتُخْرِجَنِي فَلَتَدْعُونِي عَلَىِ ، وَلَأَدْعُونَ عَلَيْكَ . فخرج ، وخرج قارونُ فى قومه ، فقال له موسى : تَدْعُو أَوْ أَدْعُو ؟ قال : أَدْعُو أَنَا . فدعا قارونُ ، فلم يُجِبْ فى موسى ، فقال موسى : أَدْعُو ؟ قال : نعم . فقال موسى : اللَّهُمَّ مِرِ الْأَرْضِ فَلْطِغْنِي الْيَوْمَ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ . فقال موسى : يَا أَرْضُ خُذِيهِمْ . فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى أَقْدَامِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : خُذِيهِمْ . فَأَخَذَتْهُمْ إِلَى رُكْبِهِمْ ، ثُمَّ إِلَى مَنَاكِبِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : أَقْبِلِي بِكُنُوزِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ . فَأَقْبَلَتْ بِهَا ، حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهَا ، ثُمَّ أَشَارَ مُوسَى بِيَدِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بَنِي لَارِي . فَاسْتَوَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ . وَقَدْ رُؤِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ : يُخَسِّفُ بِهِمْ كُلَّ يَوْمٍ قَامَةً ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . [١٩٤/١ ط] وعن ابن عباسٍ أَنَّهُ قَالَ : خُسِيفَ بِهِمْ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِغَةِ ^(١) . وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ هَهُنَا إِسْرَائِيلِيَّاتٍ كَثِيرَةً ، أَضْرَبْنَا عَنْهَا صَفْحًا ، وَتَرَكْنَاهَا قَصْدًا .

وقوله تعالى ^(٢) : ﴿ فَمَا كَانَ لَمْ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ أَلْمُنْتَصِرِينَ ﴾ ، لم يكن له ناصرٌ من نفسه ، ولا من غيره ، كما قال : ﴿ فَمَا لَمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : ١٠] . ولَمَّا حَلَّ بِهِ مَا حَلَّ مِنَ الْخَسْفِ ، وَذَهَابِ الْأَمْوَالِ ، وَخَرَابِ الدَّارِ ، وَهَلَاكِ النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْعَقَارِ ، نَدِمَ مَنْ كَانَ يَتَمَنَّى مِثْلَ مَا أُوتِيَ ، وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي يُدَبِّرُ عِبَادَهُ بِمَا يَشَاءُ ، مِنْ حُسْنِ التَّنْذِيرِ الْخَزُونِ ، وَلِهَذَا قَالُوا : ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَتَكَانُنَا لَا

(١) التفسير ٢٦٧/٦ .

(٢) التفسير ٢٦٧/٦ .

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ ، وقد تكلمنا على لفظ : « وَنِكَ » في « التفسير »^(١) ، وقد قال قتادة : ويكأن بمعنى ألم تر أن .^(٢) وهذا قول حسن من حيث المعنى . والله أعلم . ثم أخبر تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ﴾ وهى دار القرار . وهى الدار التى يُغْبِطُ مَنْ أُعْطِيَهَا ، وَيُعْزَى مَنْ حُرِمَهَا ، إنما هى مُعَدَّةٌ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فى الأرض ولا فسادًا . فالْعُلُوُّ هو التَّكَبُّرُ وَالْفَخْرُ وَالْأَشْرُ وَالْبَطَرُ . والفساد هو عملُ المعاصى اللّازمة والمتعدية ؛ من أخذ أموال الناس ، وإفساد معاشيهم ، والإساءة إليهم ، وعدم التّضح لهم ، ثم قال تعالى : ﴿ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ . وقصة قارون هذه ، قد تكون قبل خروجهم من مصر ؛ لقوله : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ ، فإن الدار ظاهرة فى البُنيان ، وقد تكون بعد ذلك فى التّيه ، وتكون الدار عبارة عن المحلة التى تُضْرَبُ فيها الخيام ، كما قال عنترة^(٣) :

يا دارَ عِبلَةٍ بالجِوَاءِ^(٤) تكلمى وعمى صباخا دارَ عِبلَةٍ واسلمى

والله أعلم .

وقد ذكر الله تعالى مذمة قارون فى غير ما آية من القرآن ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَجَنَ وَقُرُونُ فَقَالُوا سَحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر : ٢٣ ، ٢٤] . وقال تعالى فى سورة العنكبوت « بعد ذكر عاد وثمود : ﴿ وَقُرُونُ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَجَنَ ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢٩﴾ فَكَلَّا

(١) التفسير ٢٦٨ / ٦ .

(٢) ٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ديوان عنترة ص ٩٨ .

(٤) الجواء اسم موضع .

أَخَذَنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ
وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ . فالذى
خُسِفَ به الأرضُ قارونُ ، كما تقدَّم ، والذى أُغْرِقَ فِرْعَوْنُ وهَامَانُ وجُنُودُهُما ،
إنَّهم كانوا خاطِئِينَ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ^(١) : حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، حَدَّثَنَا
كَعْبُ بْنُ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَمِيْسَى بْنِ هِلَالٍ الصَّدْفِيِّ^(٢) ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا ، فَقَالَ : « مَن حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا
وَبُرْهَانًا وَنَجَاةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [١٩٥/١] ، وَمَن لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا
بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأَبِي بَنِي خَلْفٍ .
انْفَرَدَ بِهِ أَحْمَدُ ، رَجَمَهُ اللَّهُ .

(١) فى المسند ١٦٩/٢ . (إسناده صحيح) .

(٢) فى الأصل : « الصندلى » .

ذِكْرُ فَضَائِلِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَشَمَائِلُهُ وَصِفَاتُهُ وَوَفَاتِهِ^(١)

قال الله تعالى^(٢): ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِذْ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣]. وقال تعالى^(٣): ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلِمَتِي ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤]. وتقدم في «الصحيحين»^(٤)، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «لا تُفَضِّلُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يُضَعِّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفَيْقُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ، فَلَا أَذْرَى أَصْبَقُ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ». وقدّمنا^(٥) أن هذا من رسول الله ﷺ، من باب الهضم والتواضع، وإلا فهو، صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء، وسيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة، قطعاً جَزْماً لا يَحْتَمِلُ التَّقْيِضَ. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْنَا نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

(١) في م: «ووفاته».

(٢) التفسير ٢٣٢/٥، ٢٣٣.

(٣) التفسير ٤٧١/٣.

(٤) تقدم في ٣٩٥/١، ٣٩٦.

(٥) تقدم ص ٣٠.

نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿ [النساء: ١٦٣، ١٦٤] . وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحراب: ٦٩] .

قال الإمام أبو عبد الله البخاري^(١) : حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا^(٢) رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ، عن عَوْفٍ، عن الحسن ومحمد وخیلاس، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِّثَا سَيَّرَا ، لَا يَرَى جِلْدَهُ شَيْءٌ ؛ اسْتَحْيَاءَ مِنْهُ ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالُوا : مَا يَسْتَيِّرُ هَذَا التَّسْتِيرُ إِلَّا مِنْ غَيْبِ جِلْدِهِ ؛ إِمَّا بَرَصٌ ، وَإِمَّا أَذَرَةٌ ، وَإِمَّا آفَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى ، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ ، ثُمَّ اغْتَسَلَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ ، أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا ، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ ، فَأَخَذَ مُوسَى غَصَاهُ ، وَطَلَبَ الْحَجَرَ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : تَوَيْيَ حَجْرُ ، تَوَيْيَ حَجْرُ . حتى انتهى إلى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَرَأَوْهُ غُرِيَانًا ، أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ وَأَبْرَاهُ بِمَا يَقُولُونَ ، وَقَامَ الْحَجْرُ ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبَسَهُ ، وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بَعْصَاهُ ، فَوَاللَّهِ إِنَّ بِالْحَجَرِ لِنَدْبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا ، أَوْ خَمْسًا » قال : « فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ » . وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ ، وَهَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِهِ^(٤) ، وَهُوَ فِي

(١) البخارى (٣٤٠٤) .

(٢) فى م ، ص : « بن » . وهو خطأ .

(٣) مسند أحمد ٣٢٤/٢ من حديث عبد الله بن شقيق ، ٣١٥/٢ من حديث همام بن منبه .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

«الصَّحِيحِينَ»^(١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَمَّامٍ ، عَنْهُ بِهِ ،
وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ عَنْهُ .

قال بعضُ السَّلَفِ : كَانَ مِنْ وَجَاهَتِهِ أَنَّهُ شَفَعَ فِي أَخِيهِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَطَلَبَ
مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ وَزِيرًا ، فَأَجَابَهُ اللَّهُ إِلَى سُؤَالِهِ ، وَأَعْطَاهُ طَلِبَتَهُ ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا ؛
كَمَا قَالَ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴾ . ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ^(٣) :
حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، سَأَلْتُ أَبَا وَائِلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ
عَبْدَ اللَّهِ ، قَالَ : قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَسَمًا ، فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ هَذِهِ لِقِسْمَةٌ مَا
أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ . فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ^(٤) ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ
فِي وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « يَرَحِمُ اللَّهُ مُوسَى ، قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » .
وَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٥) ، مِنْ غَيْرِ وَجْهِ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ الْأَعْمَشِ بِهِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٦) : حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ ، سَمِعْتُ إِسْرَائِيلَ بْنَ يُونُسَ ، عَنْ
الْوَلِيدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ^(٨) ، مَوْلَى لِهَمْدَانَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي زَائِدٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ : « لَا يِلْغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا ،

(١) البخارى (٢٧٨) ، ومسلم (٣٣٩) .

(٢) مسلم (١٥٦) (١٠٠) من كتاب الفضائل .

(٣) البخارى (٣٤٠٥) .

(٤) سقط من : ح ، م .

(٥) مسلم (١٠٦٢) من حديث حفص بن غياث عن الأعمش به . وهو وجه واحد . ولعل ابن كثير
أخطأ - على ما ورد في تحفة الأشراف ٤٤/٧ - في عزو الحافظ المزى على طرق البخارى فجعلها طرقاً
لحديث الإمام مسلم . وهو ما وقع خطأ في المطبوع من التحفة . فانظره .

(٦) مسند أحمد ٣٩٥/١ ، ٣٩٦ . (إسناده حسن) .

(٧) بعده في م ، ص : «أحمد بن» .

(٨) في المسند : «هشام» وكلاهما ورد . انظر تهذيب الكمال ١٠٤/٣١ .

فإني أحب أن أخرج إليكم ؛ وأنا سليم الصدر » قال : وأتى رسول الله ﷺ مالاً فقسّمه ، قال : فمررت برجلين ، وأحدهما يقول لصاحبه : والله ما أراد محمد يقسمته وجه الله ، ولا الدار الآخرة ، فثبت^(١) حتى سمعت ما قالوا . ثم أتيت رسول الله فقلت : يا رسول الله ، إنك قلت لنا : « لا يُلغنى أحدٌ عن أحدٍ من أصحابي شيئاً » . وإني مررت بفلان وفلان ، وهما يقولان كذا وكذا ، فاحمر وجه رسول الله ﷺ ، وشق عليه ، ثم قال : « دعنا منك ، فقد أودى موسى أكثر من ذلك فصبر » . وهكذا رواه أبو داود ، والترمذي^(٢) ، من حديث إسرائيل ، عن الوليد بن أبي هاشم به ، وفي رواية للترمذي ، ولأبي داود^(٣) ، من طريق الحسين بن محمد^(٤) عن إسرائيل ، عن الشدي ، عن الوليد به . وقال الترمذي : غريبٌ من هذا الوجه .

وقد ثبت في « الصحيح »^(٥) في أحاديث الإسراء أن رسول الله ﷺ ، مرّ بموسى ، وهو قائم يصلي في قبره . ورواه مسلم^(٦) عن أنس .

وفي « الصحيحين »^(٧) ، من رواية قتادة ، عن أنس ، عن مالك بن صعصعة ، عن النبي ﷺ ، أنه مرّ ليلة أُسرى به ، بموسى في السماء السادسة ، فقال له جبريل : هذا موسى ، فسلم عليه . [١٩٦/١] قال : « فسلمت عليه . فقال :

(١) في المسند : « ثبت » .

(٢) أبو داود (٤٨٦٠) ، الترمذي (٣٨٩٦) . (ضعيف الترمذي ٨١٧) .

(٣) أبو داود (٤٨٦٠) ، الترمذي (٣٨٩٧) . (ضعيف أبي داود ١٠٣٥) .

(٤ - ٤) في الأصل ، ح ، ص : « ابن العبد » . وفي م : « ابن عبد » . والمثبت من سنن أبي داود والترمذي .

(٥) في ح ، ص ، م : « الصحيحين » . وتقدم تخريجه ص ٩٧ .

(٦) مسلم (٢٣٧٥) .

(٧) البخاري (٣٢٠٧) ، ومسلم (١٦٤) .

مرحبًا بالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، والأَخِ الصَّالِحِ. فلَمَّا تجاوزَتْ بكى؛ قيل له: ما يُبْكِيكَ؟ قال: أبُكِي لَأَنَّ غُلَامًا يُعِثُّ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي». وذكر إبراهيم في السَّمَاءِ السَّابِعَةِ. وهذا هو المحفوظ، وما وَقَعَ في حديثِ شَرِيكَ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عن أَنَسٍ، مِنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ فِي السَّادِسَةِ، وَمُوسَى فِي السَّابِعَةِ، بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ، فَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْحَفَاطِ أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْجَاذَةُ أَنَّ مُوسَى فِي السَّادِسَةِ، وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّابِعَةِ، وَأَنَّهُ مُسْنَدٌ ظَهَرَ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، الَّذِي يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ. وَاتَّفَقَتِ الرِّوَايَاتُ كُلُّهَا عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، لَمَّا قَرَضَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأُمَّتِهِ، خَمْسِينَ صَلَاةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، فَمَرَّ بِمُوسَى، قَالَ: «ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَإِنِّي قَدْ عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَكَ أَشَدَّ الْمَعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ أضعفُ أَسْمَاعًا، وَأَبْصَارًا، وَأَقْدَةً» فلم يَزَلْ يترددُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَيَخَفُّ عَنْهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، حَتَّى صَارَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ»^(١).

أَيُّ؛ بِالْمُضَاعَفَةِ، فَجَزَى اللَّهُ عَنَّا مُحَمَّدًا ﷺ خَيْرًا، وَجَزَى اللَّهُ عَنَّا مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَيْرًا.

وقال البخاري^(٢): حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا حُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ، عَنْ حُصَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «عَرِضْتُ عَلَى الْأُمَمِ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا، سَدَّ الْأُفُقَ،

(١) البخاري (٣٤٩).

(٢) البخاري (٥٧٥٢).

فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ». هَكَذَا رَوَى الْبَخَارِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ ههنا
مَخْتَصَرًا.

وقد رواه الإمام أحمد^(١) مطوّلًا، فقال: حَدَّثَنَا سُرَيْجٌ^(٢)، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ^(٣)،
حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَتَيْكُمْ
رَأَى الْكُوكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي
صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي^(٤) لُدِغْتُ. قَالَ: وَكَيْفَ فَعَلْتَ؟ قُلْتُ: اسْتَرْقَيْتُ. قَالَ: وَمَا
حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ، عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ،
أَنَّهُ قَالَ: «لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ». فَقَالَ سَعِيدٌ - يَعْنِي ابْنَ جُبَيْرٍ -: قَدْ
أَحْسَنَ مَنْ أَنْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. ثُمَّ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،
قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ
وَالرَّجُلَيْنِ^(٥)»، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ إِذْ رُفِعَ لِي سِوَاذٌ عَظِيمٌ، فَقُلْتُ: هَذِهِ
أُمَّتِي. فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ. فَإِذَا سِوَاذٌ عَظِيمٌ،
[١٩٦/١] ثُمَّ قِيلَ: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْجَانِبِ. فَإِذَا سِوَاذٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ
أُمَّتُكَ، وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا، يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. ثُمَّ نَهَضَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ، فَخَاضَ الْقَوْمَ فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا
النَّبِيَّ ﷺ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ

(١) مسند أحمد ٢٧١ / ١.

(٢) في الأصل، م، ص: «شريح».

(٣) في م، ص: «هشام».

(٤) في النسخ: «ولكن». والثابت من مصدر التخريج.

(٥) كذا في الأصل، ح، ص، والمسند. وفي م وصحيح مسلم (٢٢٠): «الرجلان».

شيئاً قط . وذكروا أشياء ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فقال : « ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه ؟ » . فأخبروه بمقالتهم ، فقال : « هم الذين لا يكتفون ، ولا يستزفون ، ولا يتطهرون ، وعلى ربهم يتوكلون » . فقام غكاشة بن مخصن الأسدي ، فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال : « أنت منهم » . ثم قام آخر فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال : « سبقك بها عكاشة » . وهذا الحديث له طرق كثيرة جداً ، وهو في الصحيح والحسان ، وغيرها ، وسنوردها إن شاء الله تعالى في باب صفة الجنة ، عند ذكر أحوال القيامة وأهلها . وقد ذكر الله تعالى موسى ، عليه السلام ، في القرآن كثيراً ، وأثنى عليه ، وأورد قصته في كتابه العزيز مراراً ، وكررها كثيراً ، مطولة ومبسطة ، ومختصرة ، وأثنى عليه بليغاً . وكثيراً ما يقرنه ^(١) الله ، ويذكره ، ويذكر كتابه مع محمد ﷺ ، وكتابه ، كما قال في سورة « البقرة » : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَشَرٌ فَرِحُوا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠١] . وقال تعالى : ﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَّآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ زَلَّ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِن قَبْلِ هَذِهِ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران : ١ - ٤] . وقال تعالى في سورة « الأنعام » : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ﴿٩﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ

(١) في الأصل : « يقرنه » .

الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يَحَافِظُونَ ﴿ [الأنعام: ٩١، ٩٢] . فَأُنْزِيَ تَعَالَىٰ عَلَى الثَّوْرَةِ ، ثُمَّ مَدَحَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ
مَدْحًا عَظِيمًا ، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي آخِرِهَا : ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى
الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ
﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابُ أَنْزَلَنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿ [الأنعام:
١٥٤، ١٥٥] . وَقَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ « الْمَائِدَةِ » : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا
هُدًى وَنُورٌ ﴿ [١٩٧/١] يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ
فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَسْتَوْفُوا بِتَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿ [المائدة: ٤٤] . إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿ وَلِيَحْكُمَ
أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴿ الآية . [المائدة: ٤٧، ٤٨] . فَجَعَلَ الْقُرْآنَ حَاكِمًا
عَلَى سَائِرِ الْكُتُبِ غَيْرِهِ ، وَجَعَلَهُ مُصَدِّقًا لَهَا ، وَمُبَيِّنًا مَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ التَّحْرِيفِ
وَالْتَبْدِيلِ ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ اسْتُحْفِظُوا عَلَى ^(١) مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْكِتَابِ ، فَلَمْ
يَقْدِرُوا عَلَى حِفْظِهَا ، وَلَا عَلَى ضَبْطِهَا وَصَوْنِهَا ، فَلِهَذَا دَخَلَهَا مَا دَخَلَهَا مِنْ
تَغْيِيرِهِمْ وَتَبْدِيلِهِمْ ؛ لِسَوْءِ فَهْمِهِمْ ، وَقُصُورِهِمْ فِي عُلُومِهِمْ ، وَرَدَاءَةِ قُصُودِهِمْ ،
وَخِيَانَتِهِمْ لِمَعْبُودِهِمْ ، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ الْمُتَابِعَةُ ^(٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلِهَذَا يُوجَدُ فِي
كُتُبِهِمْ مِنَ الْخَطَأِ الْبَيِّنِ عَلَى اللَّهِ ، وَعَلَى رُسُلِهِ ^(٣) ، مَا لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ ، وَمَا لَا

(١) سقط من: الأصل .

(٢) في الأصل ، ح : « التابعة » .

(٣) في م : « رسوله » .

يُوجدُ مثله ولا يُعرفُ . وقال تعالى فى سورة « الأنبياء » : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨ - ٥٠] . وقال الله تعالى فى سورة « القصص » : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَٰ مُوسَىٰ أَوْلَمَ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ فَاتَوْا يَكْتَلِبْ مِن عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص : ٤٨ ، ٤٩] . فأتى الله على الكتاتين ، وعلى الرسولين ، عليهما السلام ، وقالت الجن لقومهم : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [الأحاف : ٣٠] . وقال وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ ، لما قصَّ عليه رسولُ الله ﷺ ، خَبَرَ ما رأى من أوَّلِ الوحي ، وتلا عليه : ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ - ٥] . قال : سُبُوخُ سُبُوخُ ، هذا التاموس الذى أُنْزِلَ على موسى بنِ عمران ^(١) .

وبالجُمْلَةِ ، فشريعةُ موسى ، عليه السلام ، كانت شريعةً عَظِيمَةً ، وأُمَّتُهُ كانت أُمَّةً كَثِيرَةً ، وَوُجِدَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءٌ ، وَعِلْمَاءٌ ، وَعِبَادٌ ، وَزُهَّادٌ ، وَأَلْيَاءٌ ، وَمُلُوكٌ ، وَأُمَرَاءٌ ، وَسَادَاتٌ ، وَكُتَبَاءٌ ، لَكُنْهُمْ كَانُوا ، فَبَادُوا وَتَبَدَّلُوا ، كَمَا بُدِّلَتْ شَرِيعَتُهُمْ ، وَمُسيخُوا قَرْدَةً . وَخَنَازِيرَ ، ثُمَّ نُسِخَتْ بَعْدَ كُلِّ حِسَابٍ مِلَّتُهُمْ ، وَجَزَتْ ^(٢) عَلَيْهِمْ خُطُوبٌ ، وَأُمُورٌ يَطُولُ ذِكْرُهَا ، [١٩٧/١ ظ] وَلَكِنْ سَنُورِدُ مَا فِيهِ مَقْنَعٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَلَّغَهُ خَبَرُهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبِهِ الثَّقَةُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .

(١) البخارى (٣ ، ٣٣٩٢ ، ٤٩٥٣ ، ٤٩٥٥ ، ٤٩٥٧ ، ٦٩٨٢) ، ومسلم (١٦٠) .

(٢) فى الأصل : « حق » . وفى ح : « حرمت » .

ذِكْرُ حَجِّ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَصِفَتِهِ

قال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ ، فَقَالَ : « أَيْ وَادٍ هَذَا ؟ » قَالُوا : وَادِي الْأَزْرَقِ . قَالَ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ، وَهُوَ هَابِطٌ مِنَ النَّبِيِّتِ ، وَلَهُ بَجُورٌ »^(٢) إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِالتَّائِبِيَةِ . حَتَّى أَتَى عَلَى نَبِيِّتِ هَرُشَاءَ^(٣) ، فَقَالَ : « أَيْ نَبِيِّتِ هَذِهِ ؟ » قَالُوا : هَذِهِ نَبِيَّةُ هَرُشَاءَ . قَالَ : « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ ، يَخْطَأُ نَاقَتَهُ خُلْبَةً - قَالَ هُشَيْمٌ : يَعْنِي لَيْفًا - وَهُوَ يُلَبِّي » . وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ بِهِ^(٤) . وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ^(٥) ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا : « إِنَّ مُوسَى حَجَّ عَلَى ثَوْرٍ أَحْمَرَ » . وَهَذَا غَرِيبٌ جَدًّا .

وقال الإمام أحمد^(٦) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، فَذَكَرُوا الدَّجَالَ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ

(١) أحمد في المسند ٢١٥/١ ، ٢١٦ . (إسناده صحيح) .

(٢) الجوراء : التضرع والاستغاثة بصوت مرتفع .

(٣) ثنية بين مكة والمدينة ، وقيل : جبل قرب الجحفة في طريق مكة .

(٤) مسلم (١٦٦) .

(٥) الطبراني في الكبير (١٢٥١٠) . قال الهيثمي « مجمع الزوائد » ٣ / ٢٢١ : رواه الطبراني وفيه ليث

ابن أبي سليم وهو ثقة ولكنه مدلس وبقيّة رجاله ثقات .

(٦) المسند ٢٧٦/١ ، ٢٧٧ . (إسناده صحيح) .

عَيْنَيْهِ : (ك ف ر) . قال : ما تقولون ؟ قال : يقولون : مكتوبٌ بين عَيْنَيْهِ (ك ف ر) ، فقال ابنُ عباسٍ : لم أَسْمَعُهُ قال ذلك ، ولكن قال : «أما إبراهيمُ فانظروا إلى صاحِبِكُمْ ، وأما موسى ، فرجُلٌ آدمٌ جَعْدٌ ، على جَمَلٍ أحمرٍ مخطومٍ بخُلْبَةٍ ، كأنِّي أنظرُ إليه وقد انحدَرَ مِنَ الوادِي يُلَبِّي » . قال هُشَيْمٌ : الخُلْبَةُ اللَّيْفُ .

ثم رواه الإمامُ أحمدُ^(١) عن أسودَ ، عن إسرائيلَ ، عن عثمانَ بنِ المغيرةَ ، عن مُجاهِدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «رأيتُ عيسى ابنَ مريمَ ، وموسى ، وإبراهيمَ ؛ فأما عيسى ، فأبيضُ ، جَعْدٌ ، عريضُ الصدرِ ، وأما موسى فأدمُ جَسِيمٌ» قالوا : فإبراهيمُ ؟ قال : «انظروا إلى صاحِبِكُمْ» . وقال الإمامُ أحمدُ^(٢) : حَدَّثَنَا يُونُسُ ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ ، قال : حَدَّثَ قَتَادَةُ ، عن أبي العالِيَةِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ ، ابْنُ عَبَّاسٍ ، قال : قال نبيُّ اللَّهِ ﷺ : «رأيتُ ليلةَ أُسْرِى بى موسى بنَ عِمْرَانَ ، رجلاً طَوَّالاً ، جَعْدًا ، كأنه من رجالِ شُئُوَّةَ ، ورأيتُ عيسى ابنَ مريمَ مَرْبُوعَ الخَلْقِ ، إلى الحُمْرَةِ والبياضِ ، سَبَطَ الرَّأْسِ» . وأخرجاه من حديثِ قَتَادَةَ به^(٣) .

وقال الإمامُ أحمدُ^(٤) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، قال الزُّهْرِيُّ : وأخبرنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حينَ أُسْرِى به : «لَقِيتُ موسى» . فَتَعَنَّتْهُ ، فقال رجلٌ : قال : حَسِبْتُهُ قال :

(١) المسند ٢٩٦/١ . (إسناده صحيح) .

(٢) المسند ٢٤٥/١ . (إسناده صحيح) .

(٣) البخارى (٣٢٣٩ ، ٣٣٩٦) ، ومسلم (١٦٥) .

(٤) المسند ٢٨٢/٢ . (إسناده صحيح) .

« مضطرب رجل الرأس ، كأنه من [١٩٨/١] رجالِ شُنُوءَةٍ . ولقيتُ عيسى » .
فَنَعَتَهُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « رُبْعَةٌ أَحْمَرٌ ، كأنما خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ » . يعنى
حَمَامًا ، قال : « ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشبهُ وَلَدِهِ به » . الحديث . وقد تقدّم غَالِبُ
هذه الأحاديث فى ترجمة الخليل^(١) ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامه .

(١) انظر ما تقدم فى ١/ ٤٠٠ ، ٤٠١ .

ذِكْرُ وِفَاتِهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال البخاري^(١) في « صحيحه » : (وفاة موسى ، عليه السلام) : حَدَّثَنَا يحيى بن موسى ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عن ابنِ طاووسٍ ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إلى موسى ، عليه السلام ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ ، فَرَجَعَ إلى رَبِّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فقال : أُرْسَلْتُ إلى عبدٍ لا يريدُ الموتَ ، قال : ارجِعْ إليه ، فَقُلْ له يَضَعُ يَدَهُ على مَتْنِ ثَوْبٍ ، فله بما غَطَّتْ يَدُهُ ، بكلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٍ . قال : أَيْ رَبِّ ، ثُمَّ ماذا ؟ قال : ثُمَّ الموتُ ، قال : فَالآنَ . قال : فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، رَمِيَةً بِحَجَرٍ ، قال أَبُو هُرَيْرَةَ : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فلو كنْتُ ثُمَّ لَأَرْثِيكُمْ قَبْرَهُ ، إلى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الْكُثَيْبِ الْأَحْمَرِ » .

قال^(٢) : وَأَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ نحوه . وقد روى مسلمُ الطَّرِيقَ الْأَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ^(٣) . ورواه الإمامُ أحمدُ ، مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، عن عُمَارِ بْنِ أَبِي عُمَارٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ مرفوعًا ، وسيأتي^(٤) .

(١) البخاري (١٣٣٩ ، ٣٤٠٧) موقوفًا ومرفوعًا .

(٢) أَيْ : البخاري .

(٣) مسلم (٢٣٧٢) موقوفًا .

(٤) أحمد في المسند ٣١٩ / ٢ .

وقال الإمام أحمد^(١): «حَدَّثَنَا الْحَسَنُ^(٢)، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ، يَعْنِي سُلَيْمَ بْنَ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: لَمْ يَرْفَعْهُ - قَالَ: جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَجِبْ رَبِّكَ. فَلَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، فَفَقَّأَهَا، فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ بَعَثْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لَا يَرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: وَقَدْ فَقَّأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي، فَقُلْ لَهُ: الْحَيَاةُ تَرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ الْحَيَاةَ، فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا وَارَتْ يَدَكَ مِنْ شَعْرِهِ، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ يَارَبِّ، مِنْ قَرِيبٍ. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ، وَهُوَ مَوْقُوفٌ بِهَذَا اللَّفْظِ.

وقد رواه ابن حبان^(٣) في «صحيحه»، من طريق معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، «عن أبي هُرَيْرَةَ»، قال معمر: وأخبرني من سمع الحسن، عن رسول الله ﷺ فذكره، ثم استشكله ابن حبان، وأجاب عنه بما حاصله: أن مَلَكَ الْمَوْتِ، لما قال له هذا لم يعرفه؛ لمحبيته له على غير صورة يعرفها موسى، عليه السلام، كما جاء جبريل، عليه السلام، في صورة [١٩٨/١] أعرابي^(٤)، وكما وزدت الملائكة على إبراهيم ولوط، في صورة شباب، فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط أولاً، وكذلك موسى، لعله لم يعرفه لذلك، ولطمه ففَقَّأَ عَيْنَهُ؛ لأنه دخل داره بغير إذنه، وهذا موافق لشريعتنا في جواز فِقْءِ عَيْنِ مَنْ

(١) أحمد في المسند ٣٥١/٢. (إسناده صحيح).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) الإحسان (٦٢٢٣). إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) أخرجه مسلم (٨).

نَظَرَ إِلَيْكَ فِي دَارِكَ بَغِيرِ إِذْنٍ . ثُمَّ أوردَ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ^(١) ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَتَامٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى لِيَقْبِضَ رُوحَهُ ، فَقَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبُّكَ . فَلَطَمَ مُوسَى عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ ، فَفَقَأَ عَيْنَهُ » . وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ - كَمَا أَشارَ إِلَيْهِ الْبُخَارِيُّ - ثُمَّ تَأَوَّلَهُ عَلَى أَنَّهُ لَمَّا رَفَعَ يَدَهُ لِيَلْطِمَهُ ، قَالَ لَهُ : أَجِبْ رَبُّكَ . وَهَذَا التَّأْوِيلُ لَا يَتِمُّشَى عَلَى مَا وردَ بِهِ اللَّفْظُ ، مِنْ تَعْقِيبِ قَوْلِهِ : أَجِبْ رَبُّكَ . بِلَطْمِهِ ، وَلَوْ اسْتَمَرَّ عَلَى الْجَوَابِ الْأَوَّلِ ، لَتِمَّشَى لَهُ . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ ، وَلَمْ يَحْمِلْ قَوْلَهُ هَذَا عَلَى أَنَّهُ « مُطَابِقٌ ؛ إِذْ » ^(٢) لَمْ يَتَحَقَّقْ فِي السَّاعَةِ الرَّاهِنَةِ أَنَّهُ مَلَكٌ كَرِيمٌ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْجُو أَمُورًا كَثِيرَةً ، كَانَ يُحِبُّ وَقُوعَهَا فِي حَيَاتِهِ ؛ مِنْ خُرُوجِهِ مِنَ النَّبِيِّ ، وَدُخُولِهِمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ، وَكَانَ قَدْ سَبَقَ فِي قَدَرٍ ^(٣) اللَّذِي ، أَنَّهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَمُوتُ فِي النَّبِيِّ ، بَعْدَ هَارُونَ أَخِيهِ ، كَمَا سَنَبَّيْتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ ^(٤) أَنَّ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هُوَ الَّذِي خَرَجَ بِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ، وَدَخَلَ بِهِمُ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ . وَهَذَا خِلَافُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَجُمْهُورُ الْمُسْلِمِينَ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ ، لَمَّا اخْتَارَ الْمَوْتَ : رَبِّ ، أَذِنْنِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، رَمِيَّةً بِحَجَرٍ . وَلَوْ كَانَ قَدْ دَخَلَهَا ، لَمْ يَسْأَلْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ مَعَ قَوْمِهِ بِالنَّبِيِّ ، وَحَانَتْ وَفَاتُهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَحَبَّ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا ، وَحَثَّ قَوْمَهُ عَلَيْهَا ، وَلَكِنْ حَالَ بَيْنَهُمُ وَبَيْنَهَا الْقَدَرُ ، رَمِيَّةً بِحَجَرٍ ، وَلِهَذَا قَالَ

(١) الإحسان (٦٢٢٤) (صحيح) .

(٢ - ٣) سقط من : الأصل .

(٣) في م ، ص : « قدرة » .

(٤) انظر التفسير ٣/ ٧٤ ، ٧٥ . وتفسير الطبري ٦/ ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ .

سَيِّدُ الْبَشَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْوَيْرِ وَالْمَدَرِ: «فَلَوْ كُنْتُ ثُمَّ لَأَرْيَاكُمْ قَبْرَهُ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٢): حَدَّثَنَا عَفَانُ، حَدَّثَنَا حَمَادٌ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ وَسَلِيمَانُ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا أُسْرِى بِي، مَرَزْتُ بِمُوسَى، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، عِنْدَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ». وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ^(٣).

وَقَالَ الشَّيْخُ^(٤)، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَأَبِي صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ مُرَّةَ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَنْ نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، قَالُوا: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى مُوسَى: إِنِّي مُتَوَفِّي هَارُونَ، فَاتَّبِعْ بِهِ جِبَلَ كَذَا وَكَذَا. فَانْطَلَقَ مُوسَى وَهَارُونُ [١٩٩/١] نَحْوَ ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَإِذَا هُم بِشَجَرَةٍ لَمْ تُزْ شَجَرَةٌ مِثْلُهَا، وَإِذَا هُم بِبَيْتٍ مَبْنِيٍّ، وَإِذَا هُم فِيهِ بِسَرِيرٍ عَلَيْهِ فُوشٌ، وَإِذَا فِيهِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، فَلَمَّا نَظَرَ هَارُونُ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ وَالْبَيْتِ وَمَا فِيهِ، أَعْجَبَهُ، قَالَ: يَا مُوسَى، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُنَامَ عَلَى هَذَا السَّرِيرِ. قَالَ لَهُ مُوسَى: فَتَمَّ عَلَيْهِ، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَأْتِيَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ فَيَغْضَبَ عَلَيَّ. قَالَ لَهُ: لَا تَرْهَبْ، أَنَا أَكْفِيكَ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، فَتَمَّ. قَالَ: يَا مُوسَى، بَلْ نَمَّ مَعِيَ، فَإِنْ جَاءَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ، غَضِبَ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ جَمِيعًا. فَلَمَّا نَامَا، أَخَذَ هَارُونُ الْمَوْتَ، فَلَمَّا وَجَدَ جِسْمَهُ، قَالَ: يَا مُوسَى، خَدَعْتَنِي. فَلَمَّا قُبِضَ، رُفِعَ ذَلِكَ الْبَيْتُ، وَذَهَبَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةُ، وَرُفِعَ السَّرِيرُ

(١) تقدم تخريجه صفحة ٢٢١.

(٢) أحمد في المسند ٢٤٨/٣.

(٣) سقط من: الأصل. مسلم (٢٣٧٥).

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٢/١.

به إلى السماء، فلما رجع موسى إلى قومه، وليس معه هَارُونُ، قالوا: فَإِنَّ موسى قَتَلَ هَارُونَ، وَحَسَدَهُ حُبُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ. وَكَانَ هَارُونُ أَكْفَ عَنْهُمْ وَأَلَيَّنَ لَهُمْ مِنْ مُوسَى، وَكَانَ فِي مُوسَى بَعْضُ الْغِلْظَةِ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ قَالَ لَهُمْ: وَيَحْكُمُ، كَانَ أَنَحَى أَفْتَرُونِي أَقْتُلُهُ؟ فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ، قَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ فَنَزَلَ السَّرِيرُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ إِنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي وَيُوشِعُ قَتَاهُ، إِذْ أَقْبَلَتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا يُوشِعُ ظَنَّ أَنَّهَا السَّاعَةُ، فَالْتَزَمَ مُوسَى وَقَالَ: تَقُومُ السَّاعَةُ وَأَنَا مُلْتَزِمٌ مُوسَى نَبِيَّ اللَّهِ، فَاسْتَلَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ تَحْتِ الْقَمِيصِ، وَثَرِكَ الْقَمِيصُ فِي يَدَيْ يُوشِعَ، فَلَمَّا جَاءَ يُوشِعُ بِالْقَمِيصِ أَخَذَتْهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَقَالُوا: قَتَلْتَ نَبِيَّ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُهُ، وَلَكِنَّهُ اسْتَلَّ مِنِّي. فَلَمْ يَصْدُقُوهُ وَأَرَادُوا قَتْلَهُ. قَالَ: فَإِذَا لَمْ تَصْدُقُونِي فَأَخْزُونِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. فَدَعَا اللَّهَ، فَأَتَى كُلُّ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ يَحْرُسُهُ فِي الْمَنَامِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ يُوشِعَ لَمْ يَقْتُلْ مُوسَى، وَأَنَا قَدْ رَفَعْنَاهُ إِلَيْنَا، فَتَرَكُوهُ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِمَّنْ أَنَى أَنْ يَدْخُلَ قَرْيَةَ الْجَبَّارِينَ مَعَ مُوسَى، إِلَّا مَاتَ، وَلَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ. وَفِي بَعْضِ هَذَا السِّيَاقِ نَكَارَةٌ وَغَرَابَةٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ أَحَدٌ مِنَ الثِّيِّهِ، مِمَّنْ كَانَ مَعَ مُوسَى، سِوَى يُوشِعَ بْنِ نُونٍ، وَكَالْبِ ابْنِ يُوْقَنَّا، وَهُوَ زَوْجُ مَرْيَمَ، أُخْتِ مُوسَى وَهَارُونَ، وَهُمَا الرَّجُلَانِ الْمَذْكُورَانِ فِيمَا تَقَدَّمَ، اللَّذَانِ أَشَارَا عَلَى مَلَأْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِاللَّدْخُولِ عَلَيْهِمْ، وَذَكَرَ وَهْبُ ابْنُ مُنَبِّهٍ^(١) أَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَرَّ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَخْفِرُونَ قَبْرًا، فَلَمْ يَزَ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلَا أَنْصَرَ وَلَا أَبْهَجَ، فَقَالَ: يَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ، لِمَنْ تَحْفِرُونَ هَذَا الْقَبْرَ؟

(١) تاريخ الطبري ٤٣٣/١، ٤٣٤.

فقالوا: لعبدٍ من عبادِ اللَّهِ كَرِيمٍ، فَإِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هَذَا الْعَبْدَ، فادْخُلْ هَذَا الْقَبْرَ، وَتَمُدُّ فِيهِ، وَتَوَجَّهُ إِلَى رَبِّكَ، وَتَنْفُسَ أَسْهَلَ تَنْفُسٍ. ففعل ذلك، فمات، صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه [١٩٩/١ ظ] فَصَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ، وَدَفَنُوهُ. وَذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَغَيْرُهُمْ أَنَّهُ مَاتَ وَعُمُرُهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً^(١).

وقد قال الإمام أحمد^(٢): حَدَّثَنَا أُمِيَّةُ بِنْتُ خَالِدٍ، وَيُونُسُ، قَالَا: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: يُونُسُ رَفَعَ هَذَا الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ مَلَكُ الْمَوْتِ يَأْتِي النَّاسَ عِيَانًا، قَالَ: فَأَتَى مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَطَمَهُ، فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَأَتَى رَبَّهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، عَبْدُكَ مُوسَى فَقَأَ عَيْنِي، وَلَوْلَا كَرَامَتُهُ عَلَيْكَ لَعُقْتُ بِهِ»^(٣). وقال يونس: «لَشَقَّقْتُ عَلَيْهِ». «قَالَ لَهُ: اذْهَبْ إِلَى عَبْدِي، فَقُلْ لَهُ: فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدٍ - أَوْ مَسْكِ - ثَوْبٍ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدَهُ سَنَةٌ. فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: فَقَالَ: مَا بَعْدَ هَذَا؟ قَالَ: الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ». قَالَ: «فَشَمُّهُ شَمَّةً، فَقَبِضْ رُوحَهُ». قَالَ يونس: «فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَكَانَ يَأْتِي النَّاسَ خُفْيَةً». وكذا رواه ابنُ جرير^(٤)، عَنْ أَبِي كُرَيْبٍ، عَنْ مُضْعَبِ بْنِ الْمِقْدَامِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ بِهِ، فَرَفَعَهُ أَيْضًا. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

(١) سفر التثنية الأصحاح ٧/٣٤.

(٢) أحمد في المسند ٥٣٣/٢. قال الهيثمي في المجمع ٢٠٥/٨ رواه أحمد والبخاري ورجالهم الصحيح.

(٣) في النسخ: «عليه». والمثبت من المسند.

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٤/١.

ذِكْرُ نُبُوءَةِ يَوْشَعَ وَقِيَامِهِ بِأَعْبَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

بعد موسى وهارون ، عليهم السلام

هو يُوشَعَ بْنُ نُونٍ بْنِ أَفْرَايِمَ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، ^(١) وَأَهْلُ الْكِتَابِ يَقُولُونَ : يُوشَعَ ابْنُ عَمِّ هُودٍ . وَقَدْ ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ مُصْرَحٍ بِاسْمِهِ فِي قِصَةِ الْخَضِرِ ، كَمَا تَقَدَّمَ ^(٢) فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ ﴾ ، [الْكَهْفَ : ٦٠] ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ﴾ [الْكَهْفَ : ٦٢] . وَقَدْ مَنَّا ^(٣) مَا ثَبَتَ فِي « الصَّحِيحِ » ، مِنْ رِوَايَةِ أُتَيْ بِنِ كَعْبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، مِنْ أَنَّهُ يُوشَعَ بْنُ نُونٍ ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى نُبُوءَتِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ ^(٤) ، فَإِنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ ، وَهُمْ السَّامِرَةُ لَا يَقْرَءُونَ بِنُبُوءَةِ أَحَدٍ بَعْدَ مُوسَى إِلَّا يُوشَعَ بْنَ نُونٍ ؛ لِأَنَّهُ مُصْرَحٌ بِهِ فِي التَّوْرَةِ ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ ، وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ، فَعَلَيْهِمْ لِعَائِنُ اللَّهِ الْمُتَّابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَأَمَّا مَا حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٥) وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، مِنْ أَنَّ النُّبُوءَةَ حُوِّلَتْ مِنْ مُوسَى إِلَى يُوشَعَ فِي آخِرِ عُمرِ مُوسَى ، فَكَانَ مُوسَى يَلْقَى يُوشَعَ فَيَسْأَلُهُ مَا أَحَدَّثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْأُمُورِ وَالتَّوَاهِي ، حَتَّى قَالَ لَهُ : يَا كَلِيمَ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) تقدم في صفحة ١٦٩ .

(٣) تقدم في صفحة ١٧٤ .

(٤) سفر يشوع الأصحاح ١/١ ، ٢ .

(٥) تاريخ الطبري ١/٤٣٣ .

اللَّهُ، إِنِّي كُنْتُ لَا أَسْأَلُكَ عَمَّا كَانَ يُوْحَى إِلَهُ إِلَيْكَ، حَتَّى تُخَيِّرَنِي أَنْتَ ابْتِدَاءً مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِكَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ كَرِهَ مُوسَى الْحَيَاةَ، وَأَحَبَّ الْمَوْتَ . فَفِي هَذَا نَظَرٌ؛ لِأَنَّ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ وَالْوَحْيُ، وَالتَّشْرِيعُ، وَالْكَلَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَزَلْ مُعَزَّزًا، مُكْرَمًا، مُدَلَّلًا، وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ، كَمَا قَدَّمْنَا^(١) فِي «الصَّحِيحِ»، مِنْ قِصَّةِ فَقِّهِهِ عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ، ثُمَّ [٢٠٠/١] بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى جِلْدِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ يَدَهُ سَنَةٌ يَعِيشُهَا، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ يَا رَبِّ. وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُذِنَ لَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ رَفِيقًا بِحَجَرٍ، وَقَدْ أُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، فَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، إِنْ كَانَ إِنَّمَا يَقُولُهُ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَفِي كِتَابِهِمُ الَّذِي يُسَمُّونَهُ التَّوْرَةَ، أَنَّ الْوَحْيَ لَمْ يَزَلْ يَنْزِلُ عَلَى مُوسَى فِي كُلِّ أَمْرٍ^(٢) يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، إِلَى آخِرِ مَدَّةِ مُوسَى، كَمَا هُوَ الْمَعْلُومُ مِنْ سِيَاقِ كِتَابِهِمْ عِنْدَ تَأْوِيلِ الشَّهَادَةِ فِي قُبَّةِ الزَّمَانِ^(٣). وَقَدْ ذَكَرُوا فِي السَّفَرِ الثَّالِثِ^(٤)، أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى وَهَارُونَ أَنْ يُعَدَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى أَسْبَاطِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَا عَلَى كُلِّ سَبْطٍ مِنَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ أَمِيرًا، وَهُوَ التَّقِيْبُ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِيَتَأَهَّبُوا لِلْقِتَالِ؛ قِتَالِ الْجَبَّارِينَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ التِّيهِ، وَكَانَ هَذَا عِنْدَ اقْتِرَابِ انْقِضَاءِ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا فَقَّأَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَيْنَ مَلِكِ الْمَوْتِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ فِي صُورَتِهِ تِلْكَ، وَلِأَنَّهُ

(١) تقدم ص ٢٢١ .

(٢) فِي م: «حِينَ» .

(٣) سفر الخروج الأصحاح ٧/٣٣ - ١١ .

(٤) أَيْ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ سَفَرِ الْعِدَدِ، فِيمَا هُوَ مُوجُودُ الْآنَ فِي كِتَابِهِمْ .

كان قد أُمرَ بأمرٍ كان يَرْجَى وقوعه في زمانه ، ولم يكن في قَدَرِ اللَّهِ أَنْ يَقَعَ ذلك في زمانه ، بل في زمانٍ فتاه يُوْشَع بن نون ، عليه السَّلام ، كما أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان قد أرادَ غَزْوَ الرُّومِ بالشَّامِ ، فوصلَ إلى تَبُوكَ ، ثم رَجَعَ عامه ذلك في سنةٍ تَشَع ، ثم حجَّ في سنةٍ عَشْرٍ ، ثم رَجَعَ فجهَّزَ جيشَ أسامةَ إلى الشَّامِ ، طليعةً بين يديه ، ثم كان على عَزْمِ الخروجِ إليهم ؛ امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] . ولما جهَّز رسولُ اللَّهِ جيشَ أسامةَ ، تُوفِّي ، عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ ، وأسامَةُ مُحَيَّيْمٌ بالجَوْفِ ، فنَقَّذَهُ صديقُه وخليفَتُه أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه ، ثم لما لَمْ شَعَتْ جزيرةُ العربِ ، وما كان وَهْيٌ ^(١) مِنْ أمرِ أهلِها ، وعاد الحقُّ إلى نِصابِه ، جهَّزَ الجيوشَ يَمَنَةً وَيَشْرَةً إلى العراقِ ، أصحابِ كِسْرَى مَلِكِ الفُرسِ ، وإلى الشَّامِ أصحابِ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، ففتحَ اللَّهُ لهم ، ومَكَّنَ لهم وبهم ، وملَّكهم نواصِي أَعْدائِهِمْ ، كما سنورِّدُه في موضِعِه ، إذا انتهينا إليه مَفْصَلاً ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، بعونه وتوفيقه ، وحُشْنِ إرشادِه . وهكذا موسى عليه السَّلامُ ؛ كان اللَّهُ تعالى قد أَمَرَه أَنْ يُجَنِّدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِمْ نُقَبَاءَ ، كما قال تعالى ^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ [٢٠٠/١ ظ] نَقِيبًا ﴾ . وقال اللَّهُ ^(٣) : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) في م : دهمي .

(٢) التفسير ٦٠/٣ - ٦٢ .

حَسَنًا لَّا كَفَرْنَا عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَآدُخِلْنَاكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾
[المائدة: ١٢] . يقول لهم : لَئِن قُتِلْتُمْ بِمَا أُوجِبْتُ عَلَيْكُمْ ، وَلَمْ تَتَّكِلُوا عَنِ الْقِتَالِ ،
كَمَا نَكَلْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، لَأَجْعَلَنَّ ثَوَابَ هَذِهِ مَكْفَرًا لِّمَا وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِ
تِلْكَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِمَن تَخَلَّفَ مِنَ الْأَعْرَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي عَمْرَةٍ ^(١)
الْحُدُيَّةِ : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُوعُونَ إِلَيَّ قَوْمِ أَوَّلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
نُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ
مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ . [الفتح: ١٦] وهكذا قال تعالى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ :
﴿ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . ثم
ذَمُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ ، وَنَقْضِهِمْ مَوَآثِقَهُمْ ، كَمَا ذَمَّ مِنْ بَعْدِهِمْ
مِنَ النَّصَارَى عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ . وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي
«التَّفْسِيرِ» ^(٢) مُسْتَقْصًى ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

والمقصود أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ يَكْتُبَ أَسْمَاءَ الْمُقَاتِلَةِ
مِنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، يَمُنَّ يَحْمِلُ السَّلَاحَ وَيُقَاتِلُ ، يَمُنَّ بَلَغَ عَشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا ،
وَأَنْ يَجْعَلَ عَلَى كُلِّ سَبْطٍ نَقِيًّا مِنْهُمْ ؛ السَّبْطُ الْأَوَّلُ سَبْطُ زَوِيلَ ؛ لِأَنَّهُ يَكْرُ
يَعْقُوبَ ، كَانَ عِدَّةُ الْمُقَاتِلَةِ مِنْهُمْ سِتَّةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ ، وَنَقِيَّتُهُمْ مِنْهُمْ ،
وَهُوَ أَلْيَصُورُ بْنُ شَدْيُورًا ، السَّبْطُ الثَّانِي سَبْطُ شَمْعُونَ ، وَكَانُوا تِسْعَةً وَخَمْسِينَ
أَلْفًا وَثَلَاثَمِائَةٍ ، وَنَقِيَّتُهُمْ شَلُومِيئِيلُ بْنُ هُورِيَشْدَايَ ، السَّبْطُ الثَّلَاثُ سَبْطُ يَهُوذَا ،

(١) فِي م : (غَزْوَةٌ) .

(٢) التَّفْسِيرُ ٦٢ / ٣ .

وكانوا أربعة وسبعين ألفاً وستمائة، ونقييهم نَحْشُونُ بْنُ عَمِينَادَابَ، السَّبْطُ الرابعُ سِبْطُ إِيسَاخَرَ، وكانوا أربعة وخمسين ألفاً وأربعمائة، ونقييهم نَشَائِيلُ بْنُ صُوعَزَ، السَّبْطُ الخامسُ سِبْطُ يَوْسَفَ، عليه السَّلَامُ، وكانوا أربعين ألفاً وخمسمائة، ونقييهم يَوْشَعُ بْنُ نُونٍ، السَّبْطُ السادسُ سِبْطُ مِيشَا، وكانوا أحدًا وثلاثين ألفاً ومائتين، ونقييهم جَمَلِيئِيلُ بْنُ فَدَهْصُورَ. السَّبْطُ السابعُ سِبْطُ بَنِيَامِينَ، وكانوا خمسة وثلاثين ألفاً وأربعمائة، ونقييهم أَيْدَنُ بْنُ جِدْعُونَ، السَّبْطُ الثامنُ سِبْطُ جَادَ، وكانوا خمسة وأربعين ألفاً وستمائة وخمسين رجلاً، ونقييهم الْيَاسَافُ بْنُ رَعُوئِيلَ، السَّبْطُ التاسعُ سِبْطُ أَشِيرَ، وكانوا أحدًا وأربعين ألفاً وخمسمائة، ونقييهم فَجَعِيئِيلُ بْنُ عُكْرَنَ، السَّبْطُ العاشرُ سِبْطُ دَانَ، وكانوا اثنين وستين ألفاً وسبعمائة، ونقييهم أَخِيْعَزَرُ [٢٠١/١] بْنُ عَمِيْشْدَايَ، السَّبْطُ الحادي عَشَرَ سِبْطُ نَفْتَالِي، وكانوا ثلاثة وخمسين ألفاً وأربعمائة، ونقييهم أَخِيْرَعُ بْنُ عَيْنَ، السَّبْطُ الثاني عَشَرَ سِبْطُ زَبُولُونَ، وكانوا سبعة وخمسين ألفاً وأربعمائة، ونقييهم أَلْبَابُ بْنُ جِيلُونَ. هذا نصُّ كتابهم^(١) الذي بأيديهم. واللَّهُ أَعْلَمُ. وليس منهم بنو لاوى، فَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى أَنْ لَا يَعْذِّبَهُمْ مَعَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ مُؤَكَّلُونَ بِحِمْلِ قُبَّةِ الشَّهَادَةِ، وَخَزَنَتِهَا^(٢) وَنَضَبِهَا، إِذَا ارْتَحَلُوا، وَهُمْ سِبْطُ مُوسَى وَهَارُونَ، عليهما السَّلَامُ، وكانوا اثنين وعشرين ألفاً، مِنْ ابْنِ شَهْرِ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، وَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قِبَائِلُ، إِلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ طَائِفَةٌ مِنْ قُبَّةِ الزَّمَانِ يَخْرُسُونَهَا، وَيَحْفَظُونَهَا، وَيَقُومُونَ بِمَصَالِحِهَا، وَنَضَبِهَا، وَحِمْلِهَا، وَهُمْ كُلُّهُمْ

(١) سفر العدد، الأصحاح ٢٠/١ - ٤٧.

(٢) في م: «وضربها».

حولها يَنْزِلُونَ وَيَرْتَحِلُونَ أَمَامَهَا وَيَمِينُهَا وَشِمَالُهَا وَوَرَاءَهَا .

وجملة ما ذُكِرَ مِنَ المَقَاتِلَةِ ، غَيْرَ بَنِي لَآوَى ، خَمْسُمِائَةِ أَلْفٍ وَأَحَدٌ وَسَبْعُونَ أَلْفًا وَسِتُّمِائَةٍ وَسِتَّةٌ وَخَمْسُونَ ، لَكِنْ قَالُوا : فَكَانَ عَدْدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، يَمِّنَ عَمْرِهِ عَشْرُونَ سَنَةً فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ ، يَمِّنَ حَمَلِ السِّلَاحِ ، سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ وَثَلَاثَةُ أَلْفٍ وَخَمْسُمِائَةٍ^(١) وَخَمْسِينَ رَجُلًا ، سِوَى بَنِي لَآوَى . وَفِي هَذَا نَظَرٌ ؛ فَإِنَّ جَمِيعَ الْجَمَلِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، إِنْ كَانَتْ كَمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِهِمْ ؛ لَا تَطَابِقُ الْجُمْلَةَ الَّتِي ذَكَرُوهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَكَانَ بَنُو لَآوَى ، الْمُؤْكَلُونَ بِحِفْظِ قُبَّةِ الزَّمَانِ ، يَسِيرُونَ فِي وَشْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ الْقَلْبُ ، وَرَأْسُ الْمَيْمَنَةِ بَنُو رَوَيْلَ ، وَرَأْسُ الْمِيسَرَةِ بَنُو رَانَ ، وَبَنُو نَفْتَالِي يَكُونُونَ سَاقَةً ، وَقَرَّرَ مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ ، الْكَهَانَةَ فِي بَنِي هَارُونَ ، كَمَا كَانَتْ لِأَيُّهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَهُمْ : نَادَابُ ، وَهُوَ بِكُرُّهُ ، وَأَيُّهَوُ ، وَالْعَازَرُ ، وَيَشْمُرُ .

والمقصود أنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَتَّقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ يَمِّنَ كَانَ نَكَلَ عَنْ دُخُولِ مَدِينَةِ الْجُبَّارِينَ ، الَّذِينَ قَالُوا : ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَتَلْدُونَ ﴾ [المائدة : ٢٤] . قَالَ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ^(٢) عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٣) . وَقَالَ قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ ، وَرواهُ الشَّيْخُ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ مَسْعُودٍ ، وَنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ^(٤) ، حَتَّى قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ : وَمَاتَ مُوسَى ، وَهَارُونُ قَبْلَهُ ، كِلَاهُمَا فِي التَّيِّهِ جَمِيعًا . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ

(١) بعده في ح : « وخمسة » .

(٢) في الأصل : « سعد » .

(٣) تاريخ الطبري ٤٣٥/١ ، وتفسيره ١٨٣/٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٢/١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، وتفسيره ١٨٢/١ ، ١٨٣ .

إِسْحَاقَ أَنَّ الَّذِي فَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هُوَ مُوسَى ، وَإِنَّمَا كَانَ يُوشَعُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ ،
وَذَكَرَ فِي مُرُورِهِ إِلَيْهَا قِصَّةَ بِلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ ، الَّذِي قَالَ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ وَأَتْلُ
عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْفَاوِرِينَ ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ [١
٢٠١ ظ] هَوْنَهُ فَشَلُّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْمِثْ أَوْ تَتْرُكْهُ
يَلْمِثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلُمٍ
[الأعراف : ١٧٥ - ١٧٧] . وقد ذكرنا قصته في « التفسير » ^(١) ، وأنه كان فيما قاله
ابن عباس وغيره ، يعلم الاسم الأعظم ، وأن قومه سألوه أن يدعو على موسى
وقومه ، فامتنع عليهم ، فلما ألحوا عليه ، ركب جماراً له ، ثم سار نحو معسكر
بنى إسرائيل ، فلما أشرف عليهم ، ربضت به جمارته ، فضربها حتى قامت ،
فسارت غير بعيد وربضت ، فضربها ضرباً أشد من الأول فقامت ، ثم ربضت
فضربها ، فقالت له : يا بلعام ، أين تذهب ؟ أما ترى الملائكة أمامي ، ترُدُّني عن
وجهي هذا ، أتذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلم ينزع عنها ،
فضربها حتى سارت به ، حتى أشرف عليهم من رأس جبل حُشْبَان ، ونظر إلى
معسكر موسى وبنى إسرائيل ، فأخذ يدعو عليهم ، فجعل لسانه لا يُطِيعه إلا أن
يدعو لموسى وقومه ، ويدعو على قوم نفسه ، فلائمه على ذلك ، فاعتذر إليهم
بأنه لا يجري على لسانه إلا هذا ، وأنذلع لسانه حتى وقع على صدره ، وقال
لقومه : ذهب مني الآن الدنيا والآخرة ، ولم يبق إلا المكر والحيلة . ثم أمر قومه

(١) التفسير ٥٠٧/٣ - ٥١٢ . وانظر تفسير الطبري ١٢٤/٩ - ١٢٦ .

أَنْ يُزَيِّنُوا النَّسَاءَ، وَيَبْعَثُوهُنَّ بِالْأَمْتِيعَةِ يَبِغْنَ عَلَيْهِمْ، وَيَتَعَرَّضْنَ لَهُمْ، حَتَّى لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ فِي الزَّيْنَى، فَإِنَّهُ مَتَى زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ كُفِّيتُمْوَهُمْ. فَفَعَلُوا وَزَيَّنُوا نِسَاءَهُمْ، وَبَعَثُوهُنَّ إِلَى الْمَعْسَكِ، فَمَرَّتْ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ اسْمُهَا كَسْتَى، بِرَجُلٍ مِنْ عِظَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُوَ زِمْرِيُّ بْنُ شَلُومَ، يُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ رَأْسَ سِبْطِ بَنِي شَمْعُونَ بْنِ يَعْقُوبَ. فَدَخَلَ بِهَا قُبَّتَهُ، فَلَمَّا خَلَا بِهَا، أَرْسَلَ اللَّهُ الطَّاغُونَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَجَعَلَ يَجُوسُ فِيهِمُ الْمَوْتَ، فَلَمَّا بَلَغَ الْخَبْرُ إِلَى فَنَحَاصِ بْنِ الْعِيزَارِ بْنِ هَارُونَ، أَخَذَ حَزْبَتَهُ، وَكَانَتْ مِنْ حَدِيدٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا الْقُبَّةَ، فَانْتَضَمَهُمَا جَمِيعًا فِيهَا، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا عَلَى النَّاسِ وَالْحَزْبَةِ فِي يَدِهِ، وَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَى خَاصِرَتِهِ، وَأَسْنَدَهَا إِلَى لِحْيَتِهِ، وَرَفَعَهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ، وَجَعَلَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ هَكَذَا نَفَعَلُ بِمَنْ يَعْصِيكَ. وَرَفَعَ اللَّهُ الطَّاغُونَ، فَكَانَ جَمْلَةٌ مِنْ مَاتَ مِنْهُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ سَبْعِينَ أَلْفًا، وَالْمَقْلُلُ يَقُولُ: عَشْرِينَ أَلْفًا. وَكَانَ فَنَحَاصُ يَكْرَهُ أَبِيهِ الْعِيزَارَ بْنِ هَارُونَ، فَلِهَذَا يَجْعَلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَوْلِدٍ فَنَحَاصَ «مِنْ الذَّيْبَةِ»^(١) الْقُبَّةِ^(٢) وَالذَّرَاعِ وَاللَّحْيِ، وَلَهُمُ الْبِكْرُ مِنْ كُلِّ أُمُورِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ. وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ قِصَّةِ بِلْعَامَ صَحِيحٌ قَدْ ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ، لَكِنْ [٢٠٢/١] لَعَلَّهُ لَمَّا أَرَادَ مُوسَى دُخُولَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ،^(٣) أَوَّلَ مَقْدَمِهِ مِنَ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَلَعَلَّهُ مُرَادُ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَلَكِنْ مَا فَهَمَهُ بَعْضُ النَّاقِلِينَ عَنْهُ. وَقَدْ قَدَّمْنَا عَنْ نَصِّ التَّوْرَةِ مَا يَشْهَدُ لِبَعْضِ هَذَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَعَلَّ هَذِهِ قِصَّةٌ أُخْرَى كَانَتْ فِي خِلَالِ^(٤)

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) في م: «اللية». والقُبَّة من الشاة - بكسر القاف وفتح الباء مخففة - : هَنَّةٌ ذَاتُ أَطْبَاقٍ أَسْفَلَ الْكَرْشِ إِلَى جَنْبِهَا، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا الْفَرْثُ أَبَدًا. الوسيط (ق ب و).

(٣ - ٣) سقط من: ح.

^(١) سَيِّرْهُمْ فِي الثِّيِّهِ ، فَإِنَّ فِي هَذَا السِّيَاقِ ذِكْرَ حُسْبَانٍ ، وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْ أَرْضِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، أَوْ لَعَلَّهُ كَانَ هَذَا لَجَيْشِ مُوسَى ، الَّذِينَ عَلَيْهِمْ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ ، حِينَ خَرَجَ بِهِمْ مِنَ الثِّيِّهِ قَاصِدًا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ^(٢) ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ الشَّدِيدِيُّ ^(٣) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ ، فَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ ، أَنَّ هَارُونَ تُوُفِّيَ بِالثِّيِّهِ قَبْلَ مُوسَى أَخِيهِ بِنَحْوِ مِائَتَيْ سَنَةٍ . وَبَعْدَهُ مُوسَى فِي الثِّيِّهِ أَيْضًا ، كَمَا قَدَّمْنَا ^(٤) ، وَأَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُقَرَّبَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ ، فَكَانَ الَّذِي خَرَجَ بِهِمْ مِنَ الثِّيِّهِ وَقَصَدَ بِهِمْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ هُوَ يُوشَعَ بْنُ نُونٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَذَكَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ التَّارِيخِ ^(٥) ، أَنَّهُ قَطَعَ بَيْنَى إِسْرَائِيلَ ، نَهْرَ الْأُرْدُنِّ ، وَانْتَهَى إِلَى أَرِيخَا ، وَكَانَتْ مِنْ أَحْصَنِ الْمَدَائِنِ سُورًا ، وَأَعْلَاهَا قُصُورًا ، وَأَكْثَرُهَا أَهْلًا ، فَحَاصَرَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ أَحَاطُوا بِهَا يَوْمًا ، وَضَرَبُوا بِالْقُرُونِ ، يَعْنِي الْأَبْوَاقَ ، وَكَبَرُوا تَكْبِيرَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَتَفَسَّخَ سُورُهَا ، وَسَقَطَ وَجْبَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَدَخَلُوهَا ، وَأَخَذُوا مَا وَجَدُوا فِيهَا مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَقَتَلُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَحَارَبُوا مُلُوكًا كَثِيرَةً ، وَيُقَالُ : إِنَّ يُوشَعَ ظَهَرَ عَلَى أَحَدٍ وَثَلَاثِينَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الشَّامِ . وَذَكَرُوا أَنَّهُ انْتَهَى مُحَاصِرَتُهُ لَهَا إِلَى يَوْمِ جُمُعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، أَوْ كَادَتْ تَغْرُبُ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِمُ السَّبْتُ الَّذِي جُعِلَ

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) تقدم ص ٢٢٣ .

(٣) تقدم ص ٢٢٣ .

(٤) تاريخ الطبري ١ / ٤٤١ ، ٤٤٢ . سفر يشوع الأصحاح ١ - ١٠ .

(٥) في النسخ : « بنى » . وأثبتنا ما يستقيم به السياق .

عليهم ، وشُرع لهم ذلك الزمان ، قال لها : إنك مأمورة وأنا مأمر ، اللهم احبسها عليّ . فحبسها الله عليه ، حتى تمكن من فتح البلد ، وأمر القمر ، فوقف عن الطلوع ، وهذا يقتضي أن هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشرة من الشهر . والأول^(١) ، وهو قصة الشمس المذكورة^(٢) في الحديث الذي سأذكره . وأما قصة القمر ، فمن عند أهل الكتاب ، ولا يُنافي الحديث ، بل فيه زيادة تُستفاد ، فلا تُصدق ولا تُكذب ، ولكن ذكرهم أن هذا كان في فتح أريحا ، فيه نظر ، والأشبه ، والله أعلم ، أن هذا كان في فتح بيت المقدس ، الذي هو المقصود الأعظم ، وفتح أريحا كان وسيلة إليه . والله أعلم .

قال الإمام أحمد^(٣) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن هشام ، عن ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس [٢٠٢/١ ط] لم تُحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس » . انفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط البخاري . وفيه دلالة على أن الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون ، عليه السلام ، لا موسى ، وأن حبس الشمس كان في فتح بيت المقدس لا أريحا ، كما قلنا . وفيه أن هذا كان من خصائص يوشع ، عليه السلام ، فيدل على ضعف الحديث الذي رَوَّاه ؛ أن الشمس رجعت حتى صلى على بن أبي طالب صلاة العصر ، بعدما فاتته ، بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته ، فسأل رسول الله ﷺ أن يرُدَّها عليه ، حتى يُصلى

(١) في م : « الأول » .

(٢) في م : « المذكورة » .

(٣) أحمد في المسند ٢/ ٣٢٥ . (السلسلة الصحيحة ٢٠٢) .

العصر، فَرَجَعَتْ^(١). وقد صحَّحه أحمد^(٢) بن صالح المصري، ولكنه مُنْكَرٌ، ليس في شيءٍ من الصُّحاح ولا الحِسان، وهو ممَّا تنوَّع الدَّواعي على نقله، وتفرَّدت بنقله امرأةٌ من أهل البيتِ مجهولةٌ، لا يُعرفُ حالُها. والله أعلم.

وقال الإمام أحمد^(٣): حدثنا عبدُ الرزَّاق، حدثنا مَعْمَرٌ، عن هَمَّام، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «غَزَا نَبِيُّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَتَنَبَّأَ بِهَا، وَلَمَّْا بَيَّنَّ، وَلَا آخِرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا وَلَمْ يَزِفْ سَقْفَهَا، وَلَا آخِرُ قَدْ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خِلْفَاتٍ، وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا. فغَزَا، فذَنَّا مِنَ الْقَرْيَةِ حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا. فَحَبَسَتْ عَلَيْهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ، فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ فَقَالَ: فِيكُمْ غُلُولٌ، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ. فَبَايَعُوهُ، فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، وَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ. فَبَايَعْتَهُ قَبِيلَتَهُ، فَلَصِقَ بِيَدِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ. فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: فَوَضَعُوهُ بِالْمَالِ، وَهُوَ بِالصَّعِيدِ، فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ، فَلَمْ تَحِلْ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجَزَنَا، فَطَيَّبَهَا لَنَا». انفردَ به مسلمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^(٤).

(١) الطحاوى فى مشكل الآثار ٨/٢، ٩. والطبرانى فى الكبير (٣٨١). موضوع (السلسلة الضعيفة) ٩٧١.

(٢) فى ح، م: «على». انظر تهذيب الكمال ٣٤٠/١ - ٣٥٤.

(٣) المسند ٣١٨/٢. (صحيح).

(٤) مسلم (١٧٤٧).

وقد روى البزار^(١) من طريق مبارك^(٢) بن فضالة^(٣)، عن عبيد الله، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ نحوه. قال: ورواه محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، قال: ورواه قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

والمقصود أنه لما دخل بهم باب المدينة، أمروا أن يدخلوها سُجَّدًا؛ أي رُكْعًا متواضعين شاكرين لله، عز وجل، على ما منَّ به عليهم من الفتح العظيم، الذي كان الله وَعَدَهُمْ إِيَّاه، وأن يقولوا حال دخولهم: حِطَّة. أي؛ حُطَّ عَنَّا خَطَايَانَا التي سَلَفَتْ مِن نُكُولِنَا الذي تَقَدَّمَ مِنَّا. ولهذا لما دخل [١/ ٢٠٣] رسول الله ﷺ مكة يومَ فَتَحَهَا، دَخَلَهَا وهو راكبٌ ناقته، وهو متواضعٌ حامدٌ شاكرٌ، حتى إنَّ عُثْمَانَ، وهو طَرَفُ لِحْيَتِهِ، لَيَمَسُّ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، ممَّا يُطَاطِئُ رَأْسَهُ خُضْعَانًا لله، عز وجل، ومعه الجنود والجيوش، مِمَّنْ لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا الْحَدَقُ لَا سِيَّمَا الْكَتِيبَةُ الْخَضْرَاءُ، التي فيها رسولُ الله ﷺ، ثم لما دَخَلَهَا، اغْتَسَلَ وَصَلَّى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ^(٤). وهي صلاةُ الشُّكْرِ على النَّصْرِ، على المنصورِ مِن قَوْلِي العلماء. وقيل: إنها صلاةُ الضُّحَى. وما حَمَلَ هذا القائل على قوله هذا، إِلَّا لِأَنَّهَا وَقَعَتْ وَقْتُ الضُّحَى^(٥). وأما بنو إسرائيل، فإنَّهم خَالَفُوا ما أُمِرُوا به قولًا وفعلاً؛ دَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ^(٦) على أَسْتَاهِهِمْ وهم

(١) ومن طريق مبارك بن فضالة، أخرجه الحاكم في المستدرک ١٣٩/٢ وقال: غريب صحيح، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٢ - ٢) في الأصل: «وفضالة».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) البخاري (١١٧٦). مسلم (٣٣٦).

(٥) انظر فتح الباري ٥٢/٣ - ٥٥.

(٦) في الأصل: «يرجفون».

يقولون: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ^(١). وفي رواية^(٢): حِنْطَةٌ فِي شَعْرَةٍ. وحاصله: أنهم بدُّوا ما أُمِرُوا به، واستهزءوا به، كما قال تعالى، حَاكِيًا عَنْهُمْ فِي سُورَةِ «الأعراف»، وهي مكية: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفْعِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦١، ١٦٢]. وقال تعالى في سورة «البقرة» وهي مَدَنِيَّةٌ مُخَاطَبًا لَهُمْ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفْعِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩]. قال الثَّوْرِيُّ، عن الأعمش، عن المِنْهَالِ بْنِ^(٣) عمرو، عن سعيد بن جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ قال: رُكُّعًا مِنْ بَابٍ صَغِيرٍ. رواه الحاكم، وابنُ جرير، وابنُ أبي حاتم^(٤)، وكذا زَوَى الْعَوْفِيُّ^(٥)، عن ابنِ عباسٍ. وكذا زَوَى الثَّوْرِيُّ^(٦)، عن أبي إسحاق^(٧)، عن البراء. قال مجاهدٌ والشَّدْدِيُّ،

(١) البخارى (٣٤٠٣). مسلم (٣٠١٥).

(٢) المسند ٣١٢/٢. (إسناده صحيح).

(٣) فى الأصل: «عن».

(٤) الحاكم فى المستدرک ٢٦٢/٢ مطولاً. والطبرى فى التفسير ٣٠٠/١. وابن أبى حاتم فى التفسير ١/

١٨٢.

(٥) التفسير ١/١٤٠.

(٦) التفسير ١/١٤٢.

(٧) فى م، ص: «ابن».

وَالضُّحَاكُ^(١) : الباب هو باب حِطَّةٍ مِنْ بَيْتِ إِبِلَيْئَاءَ ، بَيْتِ الْمَقْدِسِ . قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ^(٢) : فَدَخَلُوا مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ ، ضِدًّا مَا أُمِرُوا بِهِ . وَهَذَا لَا يُنَافِي قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُمْ دَخَلُوا يَرْخَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ^(٣) . وَهَكَذَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي سَنَرْدُهُ بَعْدَ ، فَإِنَّهُمْ دَخَلُوا يَرْخَفُونَ وَهُمْ مُقْنِعُو رُءُوسِهِمْ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ الْوَائِدُ هُنَا حَالِيَّةٌ ، لَا عَاطِفَةٌ أَوْ ادْخُلُوا سُجَّدًا فِي حَالِ قَوْلِكُمْ : حِطَّةً . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَعَطَاءٌ ، وَالْحَسَنُ ، وَقَتَادَةُ ، وَالزَّيْعُ : أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا^(٤) .

قَالَ الْبُخَارِيُّ^(٥) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، عَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ هَمَّامٍ [٢٠٣/١ ظ] بْنِ مُنْبَجٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ، وَقُولُوا حِطَّةً . فَدَخَلُوا يَرْخَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ ، فَبَدَّلُوا وَقَالُوا : حِطَّةً ؛ حَبَّةً فِي شَعْرَةٍ » . وَكَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الْمُبَارَكِ بِبَعْضِهِ^(٦) ، وَرَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ ابْنِ مَهْدِيٍّ بِهِ مَوْقُوفًا^(٧) . وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ : أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنْبَجٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ اللَّهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ ﴾ فَبَدَّلُوا فَدَخَلُوا الْبَابَ يَرْخَفُونَ عَلَى

(١) التفسير ١٤٠/١ . تفسير الطبري ٢٩٩/١ . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٢/١ .

(٢) التفسير ١٤٠/١ . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٣/١ .

(٣) أخرج الطبري في التفسير ٣٠٤/١ بإسناده إلى ابن عباس ، قال : فدخلوا على أستاههم مقنعي رؤوسهم .

(٤) التفسير ١٤٠/١ . تفسير الطبري ٣٠٠/١ . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٣/١ ، ١٨٤ .

(٥) البخاري (٤٤٧٩) .

(٦) النسائي في الكبرى (١٠٩٩٠) .

(٧) النسائي في الكبرى (١٠٩٨٩) .

أَسْتَاهِهِمْ ، فَقَالُوا : حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ . ورواه البخاري ، ومسلم ، والترمذي ، من حديث عبد الرزاق^(١) ، وقال الترمذي : حَسَنٌ صَحِيحٌ . وقال محمد بن إسحاق^(٢) : كان تبدلهم ، كما حدثني صالح بن كيسان ، عن صالح مولى التوامة ، عن أبي هريرة ، وعَمَّنْ لَا أَتُهُمْ ، عن ابن عباس أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « دَخَلُوا الْبَابَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ سُجَّدًا ، يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ ، وَهُمْ يَقُولُونَ : حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ » . وقال أسباط^(٣) عن الشَّيْخِ ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، قال في قوله : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ قال : قالوا : (هطى سَمَقَانَا أَزْبَةَ مَزْبَا) فهي بالعربية : حَبَّةٌ حِنْطَةٌ حَمْرَاءُ مَشْقُوبَةٌ ، فيها شعرة سوداء . وقد ذكر الله تعالى أَنَّهُ عَاقَبَهُمْ عَلَى هَذِهِ الْمُخَالَفَةِ بِإِرْسَالِ الرَّجْزِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ الطَّاعُونُ ، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٤) مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ^(٥) ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، وَمِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ^(٦) ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ وَسَلَامِ أَبِي النَّضْرِ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ هَذَا الْوَجَعُ - أَوِ السَّقَمُ - رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ » . وَرَوَى النَّسَائِيُّ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٧) ، وَهَذَا لَفْظُهُ ، مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ ،

(١) البخاري (٣٤٠٣ ، ٤٦٤١) . مسلم (٣١٠٥) . الترمذي (٢٩٥٦) .

(٢) تفسير الطبري ٣٠٣/١ . سيرة ابن هشام ٥٣٥/١ .

(٣) التفسير ١٤٢/١ . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٦/١ . الحاكم في المستدرک ٣٢١/٢ . وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي .

(٤) في ص : «الصحيح» .

(٥) البخاري (٦٩٧٤) . مسلم (٢٢١٨) .

(٦) البخاري (٣٤٧٣) . مسلم (٢٢١٨) .

(٧) النسائي في الكبرى (٧٥٢٣) . تفسير ابن أبي حاتم ١٨٦/١ ، ١٨٧ . (صحيح الإسناد) .

عن أبيه ، وأسامة بن زيد ، وحزيمة بن ثابت ، قالوا : ^(١) قال رسول الله ﷺ :
 « الطَّاعُونَ رَجُزُ عَذَابٍ ، عُذِّبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » . و ^(٢) قال الضَّحَّاكُ ، عن
 ابن عباس : الرَّجُزُ : العَذَابُ . وكذا قال مُجَاهِدٌ ، وأبو مالك ، والسُّدِّيُّ ،
 والحسن ، وقتادة ، وقال أبو العالية : هو الغَضَبُ . وقال الشَّعْبِيُّ : الرَّجُزُ إمَّا
 الطَّاعُونَ ، وإمَّا البرْدُ . وقال سعيد بن جبيرة : هو الطَّاعُونَ ^(٣) .

ولَمَّا اسْتَقَرَّتْ يَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، اسْتَمَرُّوا فِيهِ ، وَبَيْنَ
 أَظْهَرِهِمْ نَبِيُّ اللَّهِ يُوشَعَ ، يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ التَّوْرَةِ ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ،
 وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَسَبْعٍ وَعَشْرِينَ [٢٠٤/١] سَنَةً ، فَكَانَ مَدَّةَ حَيَاتِهِ بَعْدَ مُوسَى ،
 سَبْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) انظر الأقوال السابقة في تفسير الطبري ١/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ . تفسير ابن أبي حاتم ١/ ١٨٧ . التفسير ١/ ١٤٢ .

١) ذِكْرُ قِصَّتِي الْخَضِرِ وَإِلْيَاسَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

أما الْخَضِرُ، فقد تقدّم أنّ موسى، عليه السَّلَامُ، رَحَلَ إليه في طَلَبِ ما عنده من العلمِ اللَّدُنِّيِّ^(١)، وقصَّ اللَّهُ من خبرِهِما في كتابِهِ العَزِيزِ، في سورة «الكهفِ»^(٢)، وذكرنا في تفسير ذلك هُنَالِكَ^(٣)، وأوردنا هنا ذِكْرَ الْحَدِيثِ^(٤) المصْرَحِ بِذِكْرِ الْخَضِرِ، عليه السَّلَامُ، وأنّ الذي رَحَلَ إليه هو موسى بنُ عِمْرَانَ، نبيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عليه السَّلَامُ، الذي أنزلت عليه التَّورَةُ.

وقد اختلفَ في الْخَضِرِ؛ في اسمِهِ، ونَسَبِهِ، ونَبَوَّتِهِ، وحياتِهِ إلى الآنَ، على أقوالٍ سأذكرها لك ههنا إن شاءَ اللَّهُ تعالى وبحوْلِهِ وقوَّتِهِ.

قال الحافظُ ابنُ عساکر^(٥) : يقال : إنّه الْخَضِرُ بنُ آدَمَ، عليه السَّلَامُ، لَصْلِبِهِ. ثم رَوَى من طريقِ الدَّارَقُطْنِيِّ^(٦) : حدَّثنا مُحَمَّدُ بنُ الفَتْحِ القَلَانِيسِيُّ، حدَّثنا العباسُ بنُ عبدِ اللَّهِ الثَّوْقِيُّ حدَّثنا رِوَادُ بنُ الجَرَّاحِ، حدَّثنا مُقَاتِلُ بنُ سُلَيْمَانَ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابنِ عباسٍ قال : الْخَضِرُ ابنُ آدَمَ لَصْلِبِهِ، ونُسِيَ له في أَجَلِهِ حتّى يُكذَّبَ الدَّجَالُ. وهذا منقَطِعٌ وغرِيبٌ. وقال أبو حاتمٍ سهلُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ عثمانٍ السَّجِسْتَانِيُّ : سَمِعْتُ مَشَيْخَتَنَا؛ منهم، أبو عبيدةَ وغيره،

(١ - ١) في م : «قصتنا».

(٢) سقط من : الأصل، ص.

(٣) التفسير ١٧٠/٥ - ١٨٥.

(٤) انظر ما تقدم ص ١٦٨.

(٥) تقدم ١٦٨ - ١٧٠.

(٦) تاريخ دمشق ٣٩٩/١٦.

(٧) تاريخ دمشق ٣٩٩/١٦، ٤٠٠.

قالوا : إِنَّ أَطْوَلَ بَنَى آدَمَ عُمُرًا الْخَضِرُ ، واسمُهُ : خَضِرُونُ بْنُ قَابِيلَ بْنِ آدَمَ ^(١) . قال ^(٢) : وذكرَ ابنُ إِسْحَاقَ أَنَّ آدَمَ ، عليه السَّلامُ ، لما خَضَرَتْهُ الوفاةُ أَخْبَرَ بَنِيهِ أَنَّ الطُّوفَانَ سَيَقَعُ بِالنَّاسِ ، وَأَوْصَاهُمْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ أَنْ يَحْمِلُوا جَسَدَهُ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ ، وَأَنْ يَذْفُتُوهُ فِي مَكَانٍ عَيْنَهُ لَهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الطُّوفَانُ ، حَمَلُوهُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا هَبَطُوا إِلَى الْأَرْضِ ، أَمَرَ نُوحٌ بَنِيَهُ أَنْ يَذْهَبُوا بِبَدَنِهِ ، فَيَذْفُتُوهُ حَيْثُ أَوْصَى ، فقالوا : إِنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا أَنْيْسٌ ، وَعَلَيْهَا وَخْشَةٌ ، فَحَرَضَهُمْ ، وَحَثَّهُمْ عَلَى ذَلِكَ . وقال : إِنَّ آدَمَ دَعَا لِمَنْ يَلِي دَفْنَهُ بِطَوِيلِ الْعُمُرِ ، فَهَابُوا الْمَسِيرَ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَلَمْ يَزَلْ جَسَدُهُ عِنْدَهُمْ ، حَتَّى كَانَ الْخَضِرُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى دَفْنَهُ ، وَأَنْجَزَ اللَّهُ مَا وَعَدَهُ ، فَهُوَ يَخْتَصِي إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَخْتَصِي . وذكرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي « الْمَعَارِفِ » ^(٣) ، عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، أَنَّ اسْمَ الْخَضِرِ بَلْيَا ^(٤) . وَيُقَالُ : إِبِلْيَا بْنُ مَلِكَانَ بْنِ فَالَغَ بْنِ غَابِرَ بْنِ شَالَخَ بْنِ أَرْفَخُشَدَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحَ ، عَلَيْهِ السَّلامُ . وقالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ ^(٥) : اسْمُ الْخَضِرِ ، فِيمَا بَلَّغْنَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْمُعَمَّرُ بْنُ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ بْنِ الْأَزْدِ . وقالَ غَيْرُهُ : هُوَ خَضِرُونُ بْنُ عَمِيَايِلَ بْنِ الْيَفْرِ بْنِ الْعِيصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ . وَيُقَالُ : هُوَ أَرْمِيَا [١ / ٢٠٤ ظ] بْنُ حَلْقِيَا . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ ابْنُ فِرْعَوْنَ صَاحِبِ مُوسَى ، مَلِكٍ مُضَرٍّ . وَهَذَا غَرِيبٌ جِدًّا . قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ : رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ ، وَهُمَا ضَعِيفَانِ . وَقِيلَ : إِنَّهُ ابْنُ مَالِكٍ ، وَهُوَ أَخُو إِيْلَاسَ . قَالَ السُّدِّيُّ كَمَا سَيَأْتِي .

(١) تاريخ دمشق ١٦ / ٤٠٠ .

(٢) تاريخ دمشق ١٦ / ٤٠٠ .

(٣) المعارف ص ٤٢ .

(٤) في الأصل : « بِلْيَا » .

(٥) في الأصل : « إدريس » . وانظر تاريخ دمشق ١٦ / ٣٩٩ .

وقيل: إنه كان على مُقَدِّمَةِ ذِي الْقَرْيَيْنِ. وقيل: كان ابنُ بعضِ مَنْ آمَنَ
 بإبراهيمَ الخليلِ وهاجرَ معه. وقيل: كان نبيًّا في زمنٍ بشتاسب بنِ لهراسب.
 قال ابنُ جرير^(١): والصَّحِيحُ أَنَّهُ كان متقدِّمًا في زمنِ أفريدونَ بنِ أثفيانَ،
 حتى أدركه موسى، عليهما السَّلامُ. وروى الحافظُ ابنُ عساكر^(٢)، عن
 سعيدِ بنِ المسيَّبِ أَنَّهُ قال: الحَضِرُ أُمُّهُ رُومِيَّةٌ، وأبوه فارسيٌّ.

^(٣) وقد ورد ما يدلُّ على أَنَّهُ كان من بني إسرائيلَ في زمانٍ فِرْعَوْنُ أيضًا. قال أبو
 زُرْعَةَ، في «دلائلِ النُّبُوَّةِ»^(٤): حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ صَالِحٍ الدَّمَشَقِيُّ، حَدَّثَنَا
 الوليدُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ، عن قَتَادَةَ، عن مُجَاهِدٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن
 أُتَيْ بْنِ كَعْبٍ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِهِ وَجَدَ رائحةً طيبةً فقال:
 «يا جبريلُ، ما هذه الرائحةُ الطَّيِّبَةُ؟ قال: هذه ريحُ قَبْرِ المَاسِيطَةِ، وابْنَيْهَا»^(٥)،
 وزوجها. وقال: «وكانَ بَدْءُ ذَلِكَ أَنَّ الحَضِرَ كانَ مِنْ»^(٦) أَشْرَافِ بني
 إسرائيلَ، وكانَ ممْرُهُ بَراهِمٍ في صومعته، فتطلَّعَ عليه الرَّاهِبُ، فعَلَّمَهُ الإِسْلامَ،
 فلَمَّا بَلَغَ الحَضِرُ، زَوَّجَهُ أبوه امرأَةً، فعَلَّمَهَا الإِسْلامَ، وأخذَ عليها أَنْ لا تُعْلِمَ
 أَحَدًا، وكانَ لا يَقْرُبُ النِّسَاءَ، ثُمَّ طَلَّقَهَا، ثُمَّ زَوَّجَهُ أبوه بِأُخْرَى فعَلَّمَهَا
 الإِسْلامَ، وأخذَ عليها أَنْ لا تُعْلِمَ أَحَدًا، ثُمَّ طَلَّقَهَا، فكَتَمَتْ إِحْدَاهُمَا^(٧)،

(١) تاريخ الطبري ٣٦٦/١.

(٢) تاريخ دمشق ٤٠٠/١٦، ٤٠١.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٠)، وابن عساكر في تاريخ «دمشق» ٤١٨/١٦ من طريق الوليد بن مسلم به.

(٥) في ح، م: «وابنتها». والمثبت من تاريخ دمشق. والدر المنثور ٢٣٦/٤.

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

^(١) وَأَفْشَتْ عَلَيْهِ الْأُخْرَى، فَانْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى أَتَى جَزِيرَةً فِي الْبَحْرِ، فَأَقْبَلَ رَجُلَانِ يَحْتَطِبَانِ فَرَأَاهُ، فَكَتَمَ أَحَدُهُمَا وَأَفْشَى عَلَيْهِ الْآخَرُ، قَالَ: ^(٢) «قَدْ رَأَيْتُ الْخَضِرَ». فَقِيلَ: ^(٣) «وَمَنْ رَأَاهُ مَعَكَ؟» قَالَ: «فُلَانٌ». فَسُئِلَ فَكَتَمَ، وَكَانَ مِنْ دِينِهِمْ أَنَّهُ مَنْ كَذَبَ قُتِلَ، فَقُتِلَ وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ الْمَرْأَةَ الْكَائِمَةَ، قَالَ: «فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي بِنْتِ فِرْعَوْنَ، إِذْ سَقَطَ الْمُسْطُ مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ فِرْعَوْنُ. فَأَخْبِرْتُ أَبَاها، وَكَانَ لِلْمَرْأَةِ ابْنَانِ وَزَوْجٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَزَادَ الْمَرْأَةَ وَزَوْجَهَا أَنْ يَرْجِعَا عَنْ دِينِهِمَا فَأَيًّا، فَقَالَ: إِنِّي قَاتِلُكُمَا. فَقَالَا: إِحْسَانٌ مِنْكَ إِلَيْنَا إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَنَا أَنْ تَجْعَلَنَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ. فَجَعَلَهُمَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ». فَقَالَ: «وَمَا وَجَدْتُ رِيحًا أَطِيبَ مِنْهُمَا، وَقَدْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ». وَقَدْ تَقَدَّمَ قِصَّةُ مَائِلَةَ ^(٤) بِنْتِ فِرْعَوْنَ، وَهَذَا الْمُسْطُ ^(٥) فِي أَمْرِ الْخَضِرِ قَدْ يَكُونُ مُدْرَجًا مِنْ كَلَامِ أُتَيْ بْنِ كَعْبٍ، أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٦). وَقَالَ بَعْضُهُمْ ^(٧): «كُنِيَّتُهُ أَبُو الْعَبَّاسِ. وَالْأَشْبَهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْخَضِرَ لَقَّبَ غَلَبَ عَلَيْهِ.

قَالَ الْبَخَارِيُّ ^(٨)، رَحِمَهُ اللَّهُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارِكِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ؛ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بِيضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَرُ مِنْ خَلْفِهِ خَضِرَاءَ». تَفَرَّدَ بِهِ الْبَخَارِيُّ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ ^(٩)، عَنْ مَعْمَرٍ بِهِ. ثُمَّ قَالَ عَبْدُ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص، وفي ح، م: «قَدْ رَأَيْتُ الْعَزْقِيلَ». والمثبت من سنن ابن ماجه.

(٣) كذا بالنسخ، ولعلها ماشطة، وقصتها لم تتقدم، بل سترد في صفحة ٢٥٥.

(٤) كذا في: النسخ. ولعلها: «البسط».

(٥) هو الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات ١/ ١٧٦. حيث صرح به المصنف في تفسيره ٥/ ١٨٤.

(٦) البخاري (٣٤٠٢).

(٧) الترمذي من طريق عبد الرزاق (٣١٥١). (صحيح الترمذي ٢٥١٩).

الرَّزَاقِ : الْفَرْوَةُ ؛ الْحَشِيشُ الْأَيْضُ وما أشبهه ، يعنى الهَشِيمُ الْيَابِسَ . وقال الخطَّابِيُّ^(١) : وقال أبو عمر : الْفَرْوَةُ ؛ الْأَرْضُ الْبِيضَاءُ ، الَّتِي لَا نَبَاتَ فِيهَا ، وقال غيره : هو الْهَشِيمُ الْيَابِسُ ، شَبَّهَهُ بِالْفَرْوَةِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : فَرْوَةُ الرَّأْسِ . وَهِيَ جِلْدَتُهُ بِمَا عَلَيْهَا مِنَ الشَّعْرِ كَمَا قَالَ الرَّاعِي^(٢) :

وَلَقَدْ تَرَى الْحَبَشِيَّ^(٣) حَوْلَ يُوتِنَا^(٤) جَذِلًا^(٥) إِذَا مَا نَالَ يَوْمًا مَا كَلَا

صَعِلًا أَسْلَكَ^(٦) كَأَنَّ فَرْوَةَ رَأْسِهِ^(٧) بُذِرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهُ^(٨) فَلَقَلَّا

وقال الخطَّابِيُّ^(٩) : إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا ؛ لِحُسْنِهِ وَإِشْرَاقِ وَجْهِهِ .

قلت : هذا لَا يُنَافِي مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»^(١٠) ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنَ التَّعْلِيلِ بِأَحَدِهِمَا ، فَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» أَوْلَى وَأَقْوَى ، بَلْ لَا يُتَنَفَّتْ إِلَى مَا عَدَاهُ .

وَقَدْ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(١١) هَذَا الْحَدِيثَ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ^(١٢) أَبِي إِسْمَاعِيلَ^(١٣) حَفْصِ بْنِ عُمَرَ الْأَنْلِيِّ ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ ، وَأَبُو جَزْئٍ ، وَهَمَّامُ بْنُ يَحْيَى ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ تَوْفَلٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِرًا ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى عَلَى فَرْوَةٍ بِيضَاءَ ، فَاهْتَزَّتْ خَضِرَاءَ» . وَهَذَا غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وَقَالَ قَبِيصَةُ ، عَنِ الثَّوْرِيِّ ، عَنْ

(١) انظر تاريخ دمشق ٤٠٢/١٦ .

(٢) البيتان في ديوان الراعي النميري ص ٢١٨ .

(٣-٣) في الديوان : «وهو يصكها» .

(٤) في الديوان : «أشرا» .

(٥-٥) في م : «جعلنا أصلك» . وفي الديوان : «وسم الثياب» .

(٦-٦) في الديوان : «زرعت فأنبت جانباها» .

(٧) تاريخ دمشق ٢٠٤/١٦ .

(٨) في الأصل : «الحديث» .

(٩) تاريخ دمشق ٤٠١/١٦ ، ٤٠٢ .

(١٠-١٠) في م ، ص : «إسماعيل بن» .

منصور، عن مُجاهد، قال: إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى اخْضَرَ مَا حَوْلَهُ^(١). وتقدّم^(٢) أَنَّ موسى، ويُوشَعَ، عليهما السَّلام، لما رَجَعَا يَقْضِيَانِ الْأَثَرِ، وجداه على طَيْفَسَةٍ^(٣) خضراء، على كَيْدِ الْبَحْرِ، وهو [٢٠٥/١] مُسَجَّى بثوب، قد جُعِلَ طَرْفَاهُ مِنْ تَحْتِ رَأْسِهِ وَقَدَمَيْهِ، فسَلَّمَ عليه موسى، عليه السَّلام، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، فردَّ وقال: أَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلامُ! مَنْ أَنْتَ؟ قال: أَنَا موسى. قال: موسى بنى إِسْرَائِيلَ؟ قال: نعم. فكان مِنْ أَمْرِهِمَا مَا قَصَّه اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَنْهُمَا.

وقد دُلَّ سِياقُ الْقِصَّةِ عَلَى نُبُوتِهِ مِنْ وَجْهِهِ؛ أَحَدُهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. الثَّانِي، قَوْلُ مُوسَى لَهُ: ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ٦٦ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٦٧ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ٦٨ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ٦٩ ﴿قَالَ فَإِنْ أَتْبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ - ٧٠]. فلو كان وليًّا وليس نَبِيًّا، لَمْ يُخَاطَبْهُ مُوسَى بِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ، وَلَمْ يردَّ عَلَى مُوسَى هَذَا الرَّدَّ، بَلْ مُوسَى إِنَّمَا سَأَلَ صُحْبَتَهُ لِيُنَالَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، الَّذِي اخْتَصَّهُ اللَّهُ بِهِ دُونَهُ، فلو كان غَيْرَ نَبِيٍّ لَمْ يَكُنْ مَعْصُومًا، وَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَى - وَهُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَرَسُولٌ كَرِيمٌ، وَاجِبُ الْعِصْمَةِ - كَبِيرُ رَغْبَةٍ، وَلَا

(١) تاريخ دمشق ٤٠٢/١٦. من طريق قبيصة به.

(٢) تقدم ص ١٦٩ في قصة الخضر وموسى.

(٣) أى نمرقة.

عَظِيمٌ طَلَبِيَّةٌ فِي عِلْمٍ وَلِيٍّ غَيْرٍ وَاجِبِ الْعِصْمَةِ ، وَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الذَّهَابِ إِلَيْهِ ،
وَالْتَفَتِيشِ عَلَيْهِ ، وَلَوْ أَنَّهُ يَمْضِي حُقُبًا مِنَ الزَّمَانِ ، قِيلَ : ثَمَانِينَ سَنَةً . ثُمَّ لَمَّا اجْتَمَعَ
بِهِ ، تَوَاضَعَ لَهُ ، وَعَظَّمَهُ ، وَاتَّبَعَهُ فِي صُورَةٍ مُسْتَفِيدٍ مِنْهُ ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ نَبِيُّ مِثْلِهِ ،
يُوحِي إِلَيْهِ كَمَا يُوحِي إِلَيْهِ ، وَقَدْ خُصَّ مِنَ الْعُلُومِ اللَّدُنِّيَّةِ ، وَالْأَسْرَارِ التَّبَوُّيَّةِ بِمَا لَمْ
يُطْلِعِ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى الْكَلِيمَ ، نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكَرِيمَ ، وَقَدْ احْتَجَّ بِهَذَا الْمَسْلُوكِ
بَعِينُهُ الرُّمَّانِيُّ ، عَلَى نُبُوَةِ الْخَضِرِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ . الثَّالِثُ ، أَنَّ الْخَضِرَ أَقْدَمَ عَلَى
قَتْلِ ذَلِكَ الْغَلَامِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِلْوَحْيِ إِلَيْهِ فِيهِ مِنَ الْمَلِكِ الْعَلَامِ . وَهَذَا دَلِيلٌ
مُسْتَقِيلٌ عَلَى نُبُوَّتِهِ ، وَبِرْهَانٌ ظَاهِرٌ عَلَى عِصْمَتِهِ ؛ لِأَنَّ الْوَلِيَّ لَا يَجُوزُ لَهُ الْإِقْدَامُ
عَلَى قَتْلِ الثَّفُوسِ بِمَجْرُودٍ مَا يُلْقَى فِي خَلْدِهِ ، لِأَنَّ خَاطِرَهُ لَيْسَ بِوَاجِبِ الْعِصْمَةِ ؛
إِذَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ بِالِاتِّفَاقِ . وَلَمَّا أَقْدَمَ الْخَضِرُ عَلَى قَتْلِ ذَلِكَ الْغَلَامِ ، الَّذِي لَمْ
يَبْلُغِ الْحُلُمَ ، عَلِمَا مِنْهُ بِأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ يَكْفُرُ ، وَيَحْمِلُ أَبُوهُ عَلَى الْكُفْرِ ؛ لِشِدَّةِ
مُحِبَّتِهِمَا لَهُ ، فَيَتَابَعَانِهِ عَلَيْهِ ، فَفِي قَتْلِهِ مَصْلَحَةٌ عَظِيمَةٌ تَزُبُّوْهُ عَلَى بَقَاءِ مُهْجَتِهِ ؛
صِيَانَةً لِأَبُوهِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْكُفْرِ وَعَقُوبَتِهِ ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى نُبُوَّتِهِ ، وَأَنَّهُ مُؤَيَّدٌ مِنَ
اللَّهِ بِعِصْمَتِهِ . وَقَدْ رَأَيْتُ الشَّيْخَ أَبَا الْفَرَجِ ابْنَ الْجَوَازِيِّ طَرَقَ هَذَا الْمَسْلُوكَ بِعِينِهِ
فِي الْاِحْتِجَاجِ عَلَى نُبُوَةِ الْخَضِرِ وَصَحَّحَهُ . وَحَكَى الْاِحْتِجَاجَ عَلَيْهِ الرُّمَّانِيُّ
أَيْضًا . الرَّابِعُ ، أَنَّهُ لَمَّا فَسَّرَ الْخَضِرُ تَأْوِيلَ تِلْكَ الْأَفَاعِيلِ لِمُوسَى ، وَوَضَّحَ لَهُ عَنْ
حَقِيقَةِ أَمْرِهِ ، وَجَلَّى ، قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ : ﴿ رَحْمَةً [٢٠٥/١] ظ مِنْ رَبِّكَ وَمَا
فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ﴾ يَعْنِي : مَا فَعَلْتُمْ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِي ، بَلْ أَمَرْتُ بِهِ ، وَأَوْجِىءُ إِلَيَّ
فِيهِ ، فَدَلَّتْ هَذِهِ الْوُجُوهُ عَلَى نُبُوَّتِهِ . وَلَا يُنَافِي ذَلِكَ حُصُولُ وَلَايَتِهِ ، بَلْ وَلَا
رِسَالَتِهِ ، كَمَا قَالَ آخَرُونَ . وَأَمَّا كَوْنُهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فَغَرِيبٌ جِدًّا . وَإِذَا
تَبَيَّنَتْ نُبُوَّتُهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، لَمْ يَتَّقَ لَنْ قَالَ بُولَايَتِهِ - وَأَنَّ الْوَلِيَّ قَدْ يَطْلُعُ عَلَى

حَقِيقَةُ الْأُمُورِ دُونَ أَرْبَابِ الشَّرْعِ الظَّاهِرِ - مُسْتَنَدٌ يَسْتَنْدُونَ إِلَيْهِ ، وَلَا مُعْتَمَدٌ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ .

وَأَمَّا الْخِلَافُ فِي وَجُودِهِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا ، فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ ، قِيلَ : لِأَنَّهُ دَفَنَ آدَمَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الطُّوفَانِ ، فَنَالَتْهُ دَعْوَةُ أَبِيهِ آدَمَ بِطَوِيلِ الْحَيَاةِ . وَقِيلَ : لِأَنَّهُ شَرِبَ مِنَ عَيْنِ الْحَيَاةِ فَحَيَّى .

وَذَكَرُوا أَخْبَارًا اسْتَشْهَدُوا بِهَا عَلَى بَقَائِهِ إِلَى الْآنَ ، وَسُورِدُهَا مَعَ غَيْرِهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبِهِ الثَّقَةُ . وَهَذِهِ وَصِيَّتُهُ لِمُوسَى حِينَ ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨] . رُؤِيَ فِي ذَلِكَ آثَارٌ مُنْقِطِعَةٌ كَثِيرَةٌ . قَالَ الْبَيْهَقِيُّ ^(١) : أَنَبَانَا أَبُو سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَلْطِيُّ ، قَالَ : لَمَّا أَرَادَ مُوسَى أَنْ يُفَارِقَ الْخَضِرَ ، قَالَ لَهُ مُوسَى : أَوْصِنِي . قَالَ : كُنْ نَفَاعًا وَلَا تَكُنْ ضَرَارًا ، كُنْ بَشَاشًا وَلَا تَكُنْ غَضْبَانًا ، ارْجِعْ عَنِ اللَّجَاجَةِ ، وَلَا تَمْشِ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ . وَفِي رَوَايَةٍ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى زِيَادَةٌ : وَلَا تَضْحَكْ إِلَّا مِنْ عَجَبٍ ^(٢) . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ^(٣) : قَالَ الْخَضِرُ : يَا مُوسَى ، إِنَّ النَّاسَ مَعَذَّبُونَ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ هُمُومِهِمْ بِهَا . وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْخَافِي ^(٤) : قَالَ مُوسَى لِلْخَضِرِ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : يَسِّرْ ^(٥) اللَّهُ

(١) فِي ح : « السَّهْلَى » .

وَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ الْبَيْهَقِيِّ ، ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤١٥/٦ ، ٤١٦ .

(٢) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤١٦/١٦ . الزَّهْدُ لِأَحْمَدَ ٦١ .

(٣) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤١٦/١٦ .

(٤) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤١٦/١٦ ، ٤١٧ .

(٥) فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : « سَرَّ » .

عليك طاعته . وقد ورد في ذلك حديث مرفوع ، رواه ابن عساکر^(١) ، من طريق زكريا بن يحيى الوَقَارِ^(٢) ، إلا أنه من الكذابين الكبار . قال : قُرئَ على عبد الله بن وهب ، وأنا أسمع ، قال الثَّورِيُّ : قال مُجَالِدٌ : قال أبو الوَدَّاءِ : قال أبو سعيد الخَدْرِيُّ : قال عمر بن الخطاب ، قال : قال رسول الله ﷺ : « قال أخى موسى : يارب . ذكرَ كلمة^(٣) ، فأثاه الخَضِرُ ، وهو فتى طيبُ الرِّيحِ ، حسنُ بياضِ الثَّيابِ ، مُشَمَّرُها ، فقال : السَّلامُ عليك ورحمةُ اللهِ يا موسى بنَ عِمْرَانَ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عليك السَّلامَ . قال موسى : هو السَّلامُ ، وإليه السَّلامُ ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ، الذى لا أُحْصِي نِعَمَه ، ولا أَقْدِرُ على أداءِ شُكْرِه إلا بمعونته . ثُمَّ قال موسى : أُرِيدُ أَنْ تُوصِيَنِي بوصِيَّةٍ ، يَنْفَعُنِي اللهُ بها بعدك . فقال الخَضِرُ : يا طالبُ [٢٠٦/١] العِلْمِ ، إِنَّ الْقَائِلَ أَقْلُ مَلَأَةٍ^(٤) مِنَ الْمُشْتَمِعِ ، فلا تُحْمِلْ مجلساءَكَ إذا حَدَّثْتَهُمْ ، واعلمْ أَنَّ قَلْبَكَ وعاءٌ فانظرْ ماذا تَحْمِلُو به وعاءَكَ ؟ واعزِفْ عن الدُّنيا وانبِذْها ورائَكَ ، فَإِنَّهَا ليستْ لك بدارٍ ، ولا لك فيها مَحِلٌّ قَرَارٍ . ولَمَّا جَعَلْتَ بُلْعَةً للعبادِ ، والتزوَّدَ منها ليومَ المَعَادِ . ورَضَ نفسَكَ على الصَّبْرِ ، تَخْلُصْ مِنَ الإِثْمِ ، يا موسى ، تَقَرَّغْ للعِلْمِ^(٥) إِنْ كُنْتَ تُرِيدُهُ ، فَإِنَّمَا العِلْمُ لِمَنْ تَقَرَّغَ له ، ولا تَكُنْ مِثْلًا بِالْمَنْطِقِ^(٦) مِهْدَارًا^(٧) ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْمَنْطِقِ تَشِينُ

(١) فى تاريخ دمشق ٤١٤/١٦ ، ٤١٥ .

(٢) فى ح : « الوتار » . وفى م : « الوقاد » ، انظر الإكمال لابن ماكولا ٣٩٦/٧ . والكامل فى الضعفاء لابن عدى ١٠٧١/٣ ، ١٠٧٢ .

(٣) فى م : « كلمته » .

(٤) فى ح ، م : « ملامة » .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) فى الأصل : « للعلم » . وفى ح ، م : « بالعلم » .

(٧) فى م : « مهذارا » .

العلماء، وتُبْدِي مساوئَ الشَّخَفَاءِ، ولكن عليك بالاعتصَادِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ التَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ. وَأَعْرِضْ عَنِ الْجُهَالِ وَبَاطِلِهِمْ^(١)، واحلُمْ عَنِ الشَّفْهَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الْحُكَمَاءِ، وَزَهْنُ الْعُلَمَاءِ، إِذَا شَتَمَكَ الْجَاهِلُ فَاسْكُتْ عَنْهُ جِلْمًا، وَجَانِبَهُ خَزْمًا؛ فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنْ جَهْلِهِ عَلَيْكَ، وَسَبِّهِ إِيَّاكَ، أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ. يَا بَنَ عِمْرَانَ، وَلَا تَرَأَنَّكَ أُوتِيَتْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا؛ فَإِنَّ الْإِنْدِلَاثَ^(٢) وَالتَّعْشِفَ، مِنَ الْإِقْتِحَامِ وَالتَّكْلُفِ. يَا بَنَ عِمْرَانَ، لَا تَفْتَحَنَّ بَابًا لَا تَدْرِي مَا غَلَقَهُ، وَلَا تُغْلِقَنَّ بَابًا لَا تَدْرِي مَا فَتَحَهُ. يَا بَنَ عِمْرَانَ مَنْ لَا تَنْتَهِي مِنَ الدُّنْيَا نَهْمَتُهُ، وَلَا تَنْقُضِي مِنْهَا رَغْبَتَهُ^(٣) كَيْفَ يَكُونُ عَابِدًا؟ وَمَنْ يَحْقِرُ حَالَهُ وَيَتَّهِمُ اللَّهَ فِيمَا قَضَى لَهُ، كَيْفَ يَكُونُ زَاهِدًا؟ هَلْ يَكْفُ عَنْ الشَّهَوَاتِ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ، أَوْ يَنْفَعُهُ طَلَبُ الْعِلْمِ، وَالْجَهْلُ قَدْ حَوَاهُ؛ لِأَنَّ سَعْيَهُ إِلَى آخِرَتِهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَى دُنْيَاهُ؟ يَا مُوسَى، تَعْلَمُ مَا تَعْلَمْتَ لِتَعْمَلَ بِهِ، وَلَا تَعْلَمُ لَتُحَدِّثَ بِهِ، فَيَكُونَ عَلَيْكَ بَوَارُهُ وَلَغَيْرِكَ نَوْرُهُ. يَا مُوسَى بَنَ عِمْرَانَ، اجْعَلِ الزُّهْدَ وَالتَّقْوَى لِبَاسَكَ، وَالْعِلْمَ وَالذِّكْرَ كَلَامَكَ، وَاسْتَكْبِرْ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فَإِنَّكَ مُصِيبُ السَّيِّئَاتِ، وَزَعَزِعُ بِالْخَوْفِ قَلْبِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُرْضِي رَبَّكَ، وَاعْمَلْ خَيْرًا فَإِنَّكَ لَا بُدَّ عَامِلٍ سُوءًا. قَدْ وُعِظْتَ إِنْ حَفِظْتَ». قَالَ: «فَتَوَلَّى الْخَضِرُ، وَبَقِيَ مُوسَى مَحْزُونًا مَكْرُوبًا يَتَكَبَّى».

لَا يَصِحُّ هَذَا الْحَدِيثُ^(٤)، وَأُظْهِرَ مِنْ صَنْعَةِ زَكْرِيَّا بْنِ يَحْيَى الْوَقَارِ^(٥)

(١) فِي ح، م: «مَاطِلِهِمْ».

(٢) الْإِنْدِلَاثُ: التَّعْشِفُ بِلا فِكْرَةٍ وَلَا رُؤْيَا. اللِّسَانُ (د ل ث).

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ح، م.

(٤) انْظُرْ تَنْزِيهِ الشَّرِيعَةِ لِابْنِ عَرَّاقٍ ٢٤٣/١، ٢٤٤.

(٥) فِي م: «الْوَقَادِ». وَانْظُرْ ص ٢٥١ حَاشِيَةِ (٢).

المصري، كذبه غير واحد^(١)، والعجب أن الحافظ ابن عساكر سكّ عنه. وقال الحافظ أبو^(٢) نعيم الأصبهاني^(٣): حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، ثنا عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصي، حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندي، حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد، عن محمد بن زياد، عن أبي أمامة، أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «ألا أحدثكم عن الخضر؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: [٢٠٦/١ ظ] «بينما هو ذات يوم يمشي في سوق بني إسرائيل، أبصره رجل مكاتب، فقال: تصدق علي، بارك الله فيك. فقال الخضر: آمنت بالله، ما شاء الله من أمر يكون، ما عندي من شيء أعطيته. فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت علي، فأني نظرت السيماء^(٤) في وجهك، ورجوت البركة عندك. فقال الخضر: آمنت بالله، ما عندي شيء أعطيته، إلا أن تأخذني فتبيعني. فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟ قال: نعم، الحق أقول لك، لقد سألتني بأمر عظيم، أما إني لا أخيبك بوجه ربي، يعني. قال: فقدّمه إلى السوق فباعه بأربعمائة درهم، فمكث عند المشتري زماناً لا يستعمله في شيء؛ فقال له: إنك إنما ابتعتني التماس خير عندي، فأوصني بعمل. قال: أكره أن أشق عليك، إنك شيخ كبير ضعيف. قال: ليس تشق علي. قال: فانقل هذه الحجارة. وكان لا ينقلها دون ستة نفر في يوم، فخرج الرجل لبعض حاجته، ثم انصرف وقد نقل

(١ - ١) سقط من: ح، م.

(٢) في الأصل: «ابن».

(٣) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١٧/١٦، ٤١٨. وأخرجه الطبراني شيخ أبي نعيم في المعجم الكبير (٧٥٣٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٣/٨: رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون، إلا أن فيه بقية بن الوليد، وهو مدلس. وزاد في موضع آخر ١٠٣/٣... ولكنه ثقة.

(٤) في م، ص: «إلى السماء».

الحجارة في ساعة. فقال: أحسنت وأجملت، وأطقت ما لم أرك تطيقه. ثم عرّض للرجل سفر فقال: إني أحسبك أميناً، فاخلفني في أهلي خلافة حسنة. قال: فأوصني بعمل. قال: إني أكره أن أشق عليك. قال: ليس تشق علي. قال: فاضرب من اللين لبنتي حتى أقدم عليك. فمضى الرجل لسفريه، فرجع وقد شيد بناءه. فقال: أسألك بوجه الله ما سببك^(١) وما أمرك؟ فقال: سألتني بوجه الله، والاستؤال بوجه الله أوقعني في العبودية، سأخبرك من أنا، أنا الخضر الذي سمعت به^(٢)، سألتني مسكين صدقة، فلم يكن عندي شيء أعطيته، فسألتني بوجه الله فأمكنته من رقتي، فباعني، وأخبرك أنه من سئل بوجه الله، فردّ سائله وهو يقدر، وقف يوم القيامة؛ جلده لا لحم له، ولا عظم يتعفّع. فقال الرجل: آمنت بالله، شققت عليك يا نبي الله ولم أعلم. فقال: لا بأس، أحسنت وأبقيت. فقال الرجل: بأبي وأمي يا نبي الله، احكم في أهلي ومالي بما أراك الله، أو أخبرك فأخلى سبيلك. فقال: أحب أن تخلصي سبيلي فأعبد ربي. فخلصي سبيله، فقال الخضر: الحمد لله الذي أوقعني في العبودية ثم نجاني منها. وهذا حديث رفعه خطأ، والأشبه أن يكون موقوفاً، وفي رجاله من لا يعرف. فالله أعلم.

وقد رواه ابن الجوزي، في كتابه «عجالة المنتظر في شرح حال الخضر» من طريق عبد الوهاب بن الضحّاك [٢٠٧/١]، وهو متروك^(٣) عن بَقِيَّة^(٤). وقد

(١) في م: «سبيلك».

(٢) سقط من: ح.

(٣ - ٣) في الأصل: «غير ثقة».

روى الحافظ ابن عساكر^(١)، بإسناده إلى الشدّي، أنّ الحَضِرَ وإلياسَ كانا أَخَوَيْنِ، وكان أبوهما مَلِكًا، فقال إلیاسُ لأبيه: إنّ أخى الحَضِرَ لا رغبةَ له فى المَلِكِ، فلو أنّك زَوَّجْتَهُ؛ لعلّه يَجِئُ مِنْهُ وَلَدٌ يَكُونُ المَلِكُ له. فزَوَّجَهُ أبوه بامرأةٍ حَسَناءَ بِكْرٍ، فقال لها الحَضِرُ: إنّهُ لا حاجةَ لى فى النِّسَاءِ، فَإِنْ شِئْتَ أَطْلَقْتُ سَراحَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَقَمْتُ مَعى تَعْبِدِينَ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَتَكْتُمِينَ عِلى سِرِّى. فقالت: نعم. وأقامت معه سنةً، فلَمّا مضى السَّنَةُ دعاها المَلِكُ فقال: إِنَّكِ شَابَّةٌ وابْنى شابٌّ، فأين الولدُ؟ فقالت: إنّما الولدُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ كان، وَإِنْ لم يَشَأْ لم يَكُنْ. فأمره أبوه فطَلَّقَهَا، وزَوَّجَهُ أُخْرى تَيِّبًا قد وُلِدَ لها، فلَمّا زُفَّتْ إِلَيْهِ، قال لها كما قالَ لَتِى قَبْلَهَا، فأجابَتْ إلى الإِقامةِ عِنْدَهُ، فلَمّا مضى السَّنَةُ، سألها المَلِكُ عن الولدِ، فقالت: إِنَّ ابْنَكَ لا حاجةَ له فى النِّسَاءِ. فَتَطَلَّبَهُ أبوه فَهَرَبَ، فَأَرْسَلَ ورائِهِ، فلم يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ قَتَلَ المَرأَةَ الثَّانِيَةَ، لَكُونِها أَفْشَتْ سِرَّهُ^(٢)، فَهَرَبَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، وَأُطْلِقَ سَراحُ الأُخْرى، فأقامت تَعْبُدُ اللَّهَ فى بَعْضِ نَواجِى تلكَ المَدِينَةِ، فَمَرَّ بِها رَجُلٌ يَوْمًا، فَسَمِعْتَهُ يَقولُ: بِسْمِ اللَّهِ. فقالت له: أَنّى لك هذا الاسمُ؟ فقال: إِنّى مِنْ أَصْحابِ الحَضِرِ. فَتَزَوَّجْتَهُ، فولدَتْ له أولادًا، ثم صار مِنْ أَمْرِها أَنْ صارَتْ مائِطَةً بِنْتُ فِرْعَوْنَ، فبينما هى يَوْمًا تُمَشِّطُها؛ إِذْ وَقَعَ المَشْطُ مِنْ يَدِها، فقالت: بِسْمِ اللَّهِ. فقالت ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أُمى؟ فقالت: لا، رُبِّى وَرَبُّكَ وَرَبُّ أَيْكَ، اللَّهُ. فأَعْلَمَتْ أَباها، فَأَمَرَ بِبَقْرَةٍ^(٣) مِنْ نُحاسٍ، فَأُحْمِيَتْ، ثم أُمِرَ بِها، فَأُلْقِيَتْ فِيهِ، فلَمّا عاينَتْ

(١) تاريخ دمشق ٤١٨/١٦ - ٤٢٠. وقد ذكره ابن كثير هنا بمعناه لا بلفظه.

(٢) الذى قتل المرأة لأنها أفشّت سرّ ولده؛ هو الملك والد الحضر، كما فى تاريخ دمشق مفصلاً.

(٣) فى م، ص: «بقرة». والبقرة: قِلْزٌ واسعة كبيرة. تاج العروس (ب ق ر).

ذلك ، تقاعستُ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا ابْنُ مَعَهَا صَغِيرٌ : يَا أُمُّهُ ، اضْبِرِّي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي النَّارِ ، فَمَاتَتْ ، رَحِمَهَا اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكَرٍ ^(١) ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْأَعْمَى نُفَيْعٍ ، وَهُوَ كَذَّابٌ وَضَّاعٌ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَمِنْ طَرِيقِ كَثِيرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَهُوَ كَذَّابٌ أَيْضًا ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ الْخَضِرَ جَاءَ لَيْلَةً فَسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ كَلَامَهُ ^(٢) وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى مَا يُتَجَبَّنِي مِمَّا خَوَّفْتَنِي ، وَارْزُقْنِي شَوْقَ الصَّالِحِينَ إِلَى مَا شَوَّقْتَهُمْ إِلَيْهِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، وَقَالَ لَهُ : قُلْ لَهُ : إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ ، كَمَا فَضَّلَ شَهْرَ رَمَضَانَ عَلَى سَائِرِ الشُّهُورِ ، وَفَضَّلَ أُمَّتَكَ عَلَى الْأُمَمِ ، [٢٠٧/١ ظ] كَمَا فَضَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى غَيْرِهِ . الْحَدِيثُ ، وَهُوَ مَكْذُوبٌ ، لَا يَصُحُّ سَنَدًا وَلَا مَتْنًا ؛ كَيْفَ لَا يَتِمُّ ثَلَاثُ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَجِيءُ بِنَفْسِهِ مُسَلِّمًا وَمَتَعَلِّمًا ، وَهُمْ يَذْكُرُونَ فِي حِكَايَاتِهِمْ ، وَمَا يُشْنِدُونَهُ عَنْ بَعْضِ مُشَايخِهِمْ ، أَنَّ الْخَضِرَ يَأْتِي إِلَيْهِمْ ، وَيَسَلِّمُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ وَمَحَالَّهُمْ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يَعْرِفُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ ، كَلِيمَ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ عَلَى مَنْ سِوَاهُ ، حَتَّى يَتَعَرَّفَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ مُوسَى بْنُ إِسْرَائِيلَ . وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْمُنَادِي بَعْدَ إِيرَادِهِ حَدِيثَ أَنَسٍ هَذَا : وَأَهْلُ الْحَدِيثِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرُ الْإِسْنَادِ ، سَقِيمُ الْمَتْنِ ، يَتَبَيَّنُ فِيهِ أَثَرُ الصَّنْعَةِ . فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ

(١) تاريخ دمشق ٤٢٣/١٦ ، ٤٢٤ . وساقه ابن كثير هنا بتصرف مختصرًا . وانظر الموضوعات لابن الجوزي ١٩٣/١ - ١٩٥ .
(٢) سقط من : م .

الحافظ أبو بكر البيهقي^(١)، قائلًا: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر ابن بالويه، حدثنا محمد بن بشر بن مطير، حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك، قال: لما قبض رسول الله ﷺ، أخذ ق به أصحابه، فبكوا حوله، واجتمعوا، فدخل رجل أشهب اللحية، جسيم، صبيح، فتخطى رقابهم فيكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: إن في الله عزاء من كل مُصيبة، وعوضًا من كل فائت، وخلفًا من كل هالك، فإلى الله فاتتوا، وإليه فارغوا، ونظره إليكم في البلاء فانظروا، فإن المصاب من لم يُعجز. وانصرف^(٢)، فقال بعضهم لبعض: تعرفون الرجل؟ فقال أبو بكر، وعلي: نعم، هذا أخو رسول الله ﷺ،^(٣) الخضر عليه السلام^(٤). وقد رواه أبو بكر ابن أبي الدنيا^(٥)، عن كامل بن طلحة به^(٦)، وفي مثله مخالفة لسياق البيهقي، ثم قال البيهقي^(٧): عباد بن عبد الصمد ضعيف، وهذا مُتكرر بمرّة. قلت: عباد بن عبد الصمد هذا، هو أبو مغمير البصري؛ روى عن أنس نسخة. قال ابن جبان والعقيلي^(٨): أكثرها موضوع. وقال البخاري^(٩): مُتكرر الحديث. وقال أبو حاتم^(١٠): ضعيف الحديث جدًا مُتكرره.

(١) في دلائل النبوة ٢٦٩/٧. والحاكم في المستدرک ٥٨/٣، ومن طريق البيهقي، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢٤/١٦.

(٢) سقط من: ح.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة بسنده ٣١٦/٢.

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) دلائل النبوة ٢٦٩/٧.

(٧) في الأصل، ح، م: «ابن».

(٨) انظر المجروحين لابن حبان ١٧١/٢. والضعفاء الكبير ١٣٩/٣.

(٩) في التاريخ الكبير ٤١/٦.

(١٠) في الجرح والتعديل ٨٢/٦.

وقال ابنُ عَدِيٍّ^(١) : عامَّةُ ما يَزَوِيهِ في فضائلِ عليٍّ ، وهو ضعيفٌ ، غالٍ في التشيع .

وقال الشافعيُّ في « مسنده »^(٢) : أخبرنا القاسمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه عليِّ بنِ الحسينِ ، قال : لما تُوفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ ، وجاءتِ التَّغْزِيَةُ ، سَمِعُوا قائلاً يقولُ : إِنَّ في اللهِ عزاءً مِنْ كُلِّ مَصِيبةٍ ، وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ ، وَدَرْكًا مِنْ كُلِّ فائِتٍ ، فباللهِ فَنُفُوا ، وإِيَّاهُ فارْجُوا ، فَإِنَّ المُصَابَ مِنْ حُرْمِ الثَّوَابِ . قال عليُّ بنُ الحسينِ : أتَدْرُونَ [١ / ٢٠٨] مَنْ هَذَا ؟ هَذَا الخَضِرُ . شيخُ الشافعيِّ القاسمُ العُمَرِيُّ متروكٌ . قال أحمدُ ابنُ حنبلٍ ، ويحيى بنُ مَعِينٍ^(٣) : يَكْذِبُ . زاد أحمدُ : وَيَضَعُ الحديثَ^(٤) . ثم هو مرسلٌ ، ومثله لا يُعْتَمَدُ عليه ههنا . واللهُ أعلمُ .

وقد رَوَى مِنْ وَجِهٍ آخَرَ ضعيفٍ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن أبيه ، عن عليٍّ^(٥) . ولا يصحُّ .

وقد رَوَى عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ^(٦) ، عَمَّن حَدَّثَهُ ، عن محمدِ بنِ عَجَلَانَ ، عن محمدِ بنِ المُثَكِّيرِ ، أَنَّ عمرَ بنَ الخطابِ بينما هو يُصَلِّي على جِنَازَةٍ ؛ إِذْ سَمِعَ هاتِفًا وهو يقولُ : لَا تَسْبِقُنَا يَرْحُمُكَ اللهُ . فانتظره حتى لَحِقَ بالصفِّ ، فَذَكَرَ دَعَاءَهُ لِلْمَيِّتِ ؛ إِنَّ تُعَذِّبُهُ فَكثيْرًا عَصَاكَ ، وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُ ففَقِيرٌ إلى رَحْمَتِكَ . ولَمَّا

(١) في الكامل في الضعفاء ٤ / ١٦٤٨ .

(٢) ترتيب مسند الشافعي ١ / ٢١٦ . ومن طريق الشافعي أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٧ / ٢٦٨ .

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان ٢ / ٢١٢ . وتهذيب الكمال ٢٣ / ٣٧٧ .

(٤) في دلائل النبوة للبيهقي ٧ / ٢٦٧ مطولاً .

(٥) تاريخ دمشق ١٦ / ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

دُفِنَ قَالَ : طُوِيَ لَكَ يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ ، إِنْ لَمْ تَكُنْ عَرِيفًا ، أَوْ جَانِبًا ، أَوْ خَازِنًا ، أَوْ كَاتِبًا ، أَوْ شُرْطِيًّا . فَقَالَ عَمْرٌ : خَذُوا الرَّجُلَ نَسْأَلُهُ عَنْ صَلَاتِهِ وَكَلَامِهِ عَمَّنْ هُوَ . قَالَ : فَتَوَارَى عَنْهُمْ ، فَتَنَظَرُوا فَإِذَا أَثَرُ قَدَمِهِ ذِرَاعٌ . فَقَالَ عَمْرٌ : هَذَا وَاللَّهِ الْخَضِرُ الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ . وَهَذَا الْأَثَرُ فِيهِ مُبْهَمٌ ، وَفِيهِ انْقِطَاعٌ ، وَلَا يَصِحُّ مِثْلُهُ .

وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكَرَ^(١) ، عَنِ الثَّوْرِيِّ ، عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرَّزِ^(٢) ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : دَخَلْتُ الطَّوْفَ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ مُتَعَلِّقٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا مَنْ لَا يَمْنَعُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، وَيَا مَنْ لَا تُغْلِظُهُ الْمَسَائِلُ ، وَيَا مَنْ لَا يُثِيرُهُ إِلَّا حَاحُ الْمَلِيحِينَ ، وَلَا مَسْأَلَةُ السَّائِلِينَ ، ارْزُقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحِلَاوَةَ رَحْمَتِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ : أَعِذْ عَلَيَّ مَا قُلْتَ . فَقَالَ لِي : أَوْ سَمِعْتَهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ لِي : وَالَّذِي نَفْسُ الْخَضِرِ بِيَدِهِ - قَالَ : وَكَانَ هُوَ الْخَضِرُ - لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ خَلْفَ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ ؛ إِلَّا غُفِرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبُهُ ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ^(٣) ، « وَورقِ الشَّجَرِ »^(٤) ، وَعَدَدِ النُّجُومِ ؛ لَغَفَرَهَا اللَّهُ لَهُ . وَهَذَا ضَعِيفٌ مِنْ جِهَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرَّزِ ؛ فَإِنَّهُ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْأَصَمِّ لَمْ يُذَكِّرْ عَلِيًّا . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَصِحُّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو

(١) تاريخ دمشق ٤٢٦/١٦ . ورواه ابن الجوزي في الموضوعات ١٩٨/١ من طريق سفيان الثوري ، وقال : هذا حديث لا يصح . وانظر تنزيه الشريعة ٢٣٥/١ .

(٢) في م : « محرز » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/١٦ .

(٣) بعده في تاريخ دمشق : « ورمل عالج » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

إسماعيل الترميذي^(١) : حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، حَدَّثَنَا صَالِحُ بْنُ أَبِي الْأَسْوَدِ ،
 عَنْ مَحْفُوظِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَضِرِيِّ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى ، قَالَ : بَيْنَمَا عَلِيُّ بْنُ
 أَبِي طَالِبٍ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَتَعَلِّقٍ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا
 مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، وَيَا مَنْ لَا يُغْلِطُهُ السَّائِلُونَ ، وَيَا مَنْ لَا يَتَبَرَّمُ
 بِالْحَاحِ الْمُلْحِنِ ، أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ ، وَحَلَاوَةَ رَحْمَتِكَ . قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ : يَا
 عَبْدَ اللَّهِ ، أَعِدْ دُعَاكَ هَذَا . قَالَ : وَقَدْ سَمِعْتَهُ ؟ [٢٠٨/١ ط] قَالَ : نَعَمْ . قَالَ :
 فَادْعُ بِهِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ الْخَضِرِ بِيَدِهِ ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِنَ
 الذُّنُوبِ عَدَدُ نَجْمِ السَّمَاءِ وَمَطَرِهَا ، وَخَضْبَاءِ الْأَرْضِ وَثَرَايِهَا ، لَغُفِرَ لَكَ أَسْرَعُ
 مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ . وَهَذَا أَيْضًا مَنْقُطِعٌ ، وَفِي إِسْنَادِهِ مَنْ لَا يُعْرَفُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
 وَقَدْ أَوْرَدَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٢) ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا : حَدَّثَنَا
 يَعْقُوبُ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ . ثُمَّ قَالَ : وَهَذَا
 إِسْنَادٌ مَجْهُولٌ مَنْقُطِعٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الْخَضِرِ .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٣) : أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُصَيْنِ ، أَنْبَأَنَا
 أَبُو طَالِبٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْمُرْزُكِيُّ^(٤) ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ
 إِسْحَاقَ بْنِ حُزَيْمَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زَيْدٍ^(٥) ، أَمَلَهُ عَلَيْنَا بَعْبَادَانُ ، أَنْبَأَنَا
 عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ رَزِينٍ^(٦) ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ

(١) فِي الْأَصْلِ : «الْيَزِيدِي» .

وَقَدْ أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ التَّرْمِذِي ، ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤٢٦/١٦ .

(٢) ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِسَابَةِ ٣٢٠/٢ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا .

(٣) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤٢٦/١٦ ، ٤٢٧ . وَرَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ ١٩٥/١ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : «الْمُرْزُكِيُّ» .

(٥) فِي م : «يَزِيد» .

(٦) فِي م : «زَرِيق» .

ابن عباس - قال : ولا أَعْلَمُهُ إِلَّا مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ - قال : « يَلْتَقِي الْخَضِرُ وَالْيَاسُ كُلَّ عَامٍ فِي الْمَوْسِمِ ، فَيَحْلِقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا رَأْسَ صَاحِبِهِ ، وَيَتَفَرَّقَانِ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ : بِسْمِ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا يَشَوْقُ الْخَيْرَ إِلَّا اللَّهُ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا يَضُرُّ الشَّرَّ إِلَّا اللَّهُ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، مَا كَانَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْ اللَّهِ ، مَا شَاءَ اللَّهُ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . قال : وقال ابنُ عباسٍ : مَنْ قَالَ هَئِنِّ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِّي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، آمَنَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَرَقِ ، وَالْحَرَقِ ، وَالسَّرَقِ . قال : وَأَحْسَبُهُ قَالَ : وَمِنَ الشَّيْطَانِ ، وَالسُّلْطَانِ ، وَالْحَيَّةِ ، وَالْعَقْرَبِ .

قال الدَّارِقُطْنِيُّ فِي « الْأَفْرَادِ » : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ ، لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ غَيْرُ هَذَا الشَّيْخِ عَنْهُ . يَعْنِي الْحَسَنَ بْنَ رَزِينَ ^(١) هَذَا . وَقَدْ رَوَى عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ الْعَبْدِيُّ أَيْضًا ، وَمَعَ هَذَا قَالَ فِيهِ الْحَافِظُ أَبُو أَحْمَدَ ابْنُ عَدَى : لَيْسَ بِالْمَعْرُوفِ . وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعُقَيْلِيُّ ^(٢) : مَجْهُولٌ ، وَحَدِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظٍ . وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْنِ ^(٣) ابْنُ الْمُنَادَى : هُوَ حَدِيثٌ وَاهٍ ، بِالْحَسَنِ بْنِ رَزِينَ ^(٤) .

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكَرٍ ^(٥) نَحْوَهُ مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْجَهْضَمِيِّ ، وَهُوَ كَذَّابٌ ، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ الْمَقْدِسِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ

(١) فِي م : « زَرِين » .

وَانْظُرِ الْكَامِلَ فِي الضَّعْفَاءِ ٧٤٠ / ٢ .

(٢) الضَّعْفَاءُ الْكَبِيرُ ٢٢٤ / ١ ، لِسَانُ الْمِيزَانِ ٢ / ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٣) فِي م ، ص : « الْحَسَنِ » .

(٤) الْإِصَابَةُ : ٣٠٥ / ٢ .

(٥) فِي ح ، م : « زَرِين » .

(٦) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٤٢٧ / ١٦ . وَرَوَاهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمَوْضُوعَاتِ ١ / ١٩٦ ، ١٩٧ .

القُشَيْرِيُّ^(١)، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحُسَيْنِ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن عليّ بنِ أبي طالبٍ مرفوعًا، قال: يَجْتَمِعُ كُلُّ يَوْمٍ عَرَفَةَ بَعْرَفَاتِ جَبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَالْخَضِرُ. وذكر حديثًا طويلًا موضوعًا، تركنا إيراده قَصْداً. ولِلَّهِ الْحَمْدُ.

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢)، مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَحْيَى الْخُشْنِيِّ، عَنْ ابْنِ^(٣) أَبِي رَوَّادٍ^(٤) قَالَ: إِيَّاسُ وَالْخَضِرُ يَصُومَانِ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي بَيْتِ [٢٠٩/١] الْمَقْدِسِ، وَيَحْبِجَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ، وَيَشْرَبَانِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً تَكْفِيهِمَا إِلَى مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ.

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٥) أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، بَانِيَ جَامِعِ دِمَشْقَ، أَحَبَّ أَنْ يَتَعَبَّدَ لَيْلَةً فِي الْمَسْجِدِ فَأَمَرَ الْقَوْمَةَ أَنْ يُخْلَوْهُ لَهُ، فَفَعَلُوا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ، جَاءَ مِنْ بَابِ السَّاعَاتِ، فَدَخَلَ الْجَامِعَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ يَصَلِّيُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَابِ الْخَضِرَاءِ^(٦)، فَقَالَ لِلْقَوْمَةِ: أَلَمْ آمُرُكُمْ أَنْ تُخْلَوْهُ؟ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا الْخَضِرُ، يَجِيءُ كُلَّ لَيْلَةٍ يُصَلِّيُ ههنا.

وَقَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٧) أَيْضًا: أَنْبَأَنَا أَبُو الْقَاسِمِ^(٨) إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، أَنْبَأَنَا أَبُو

(١) في تاريخ دمشق: «النشيري». وانظر تهذيب الكمال ٣/٣١٥، ٣١٦.

(٢) تاريخ دمشق ١٦/٤٢٨.

(٣) سقط من: ص.

(٤) في الأصل: «زياد».

(٥) تاريخ دمشق ١٦/٤٠٢، ٤٠٣.

(٦) في الأصل: «الخضر».

(٧) تاريخ دمشق ١٦/٤٣٢. رواه ابن الجوزي في الموضوعات ١/١٩٨، ١٩٩.

(٨) بعد هذا في م: «بن».

بكر ابن الطبري، أنبأنا أبو الحسين بن الفضل، أنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يعقوب - هو ابن سفيان - القسوي^(١)، حدثني محمد بن عبد العزيز، حدثنا ضمرة^(٢)، عن السري بن^(٣) يحيى، عن^(٤) رباح^(٥) بن عبيدة، قال: رأيت رجلاً يمشي عمر بن عبد العزيز، معتمداً على يديه، فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جاف^(٦). قال: فلما انصرف من الصلاة، قلت: من الرجل الذي كان معتمداً على يدك آنفاً؟ قال: وهل رأيته يا رباح^(٧)؟ قلت: نعم. قال: ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً. ذاك أخي الخضر، بشرني أنني سألني وأعدلي. قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي: الزملي مجروح عند العلماء. وقد قدح أبو الحسين ابن المنادي في ضمرة، والسري، ورباح. ثم أورد من طرق أخرى، عن عمر بن عبد العزيز، أنه اجتمع بالخضر. وضعفها كلها. وروى ابن عساكر^(٨) أيضاً، أنه اجتمع بإبراهيم التيمي^(٩)، وبسفيان بن عيينة، وجماعة يطول ذكركم.

وهذه الروايات والحكايات، هي عمدة^(١٠) من ذهب^(١١) إلى حياته إلى اليوم. وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً، لا يقوم بمثلها حجة في

(١) في ص: «الثوري».

(٢) في الأصل، ح، م: «حمزة».

(٣) في ص: «عن».

(٤) في ص: «بن».

(٥) في الأصل، م، ص: «رباح». انظر تهذيب الكمال ٢٥٨/٩، ٢٥٩.

(٦) في ح، م، ص: «حافى».

(٧) في النسخ: «رباح». وراجع حاشية (٥).

(٨) تاريخ دمشق ٤٢٩/١٦ - ٤٣٣.

(٩) في تاريخ دمشق: «التيمي». وهو خطأ، وانظر الإصابة لابن حجر ٣٢٩/٢.

(١٠ - ١١) في الأصل: «ابن وهب».

الدِّينِ . والحكاياتُ لا تَخْلُو أَكْثَرُهَا عَنْ ضَعْفٍ فِي الْإِسْنَادِ ، وَقَصَارَاهَا أَتَاهَا صَحِيحَةٌ إِلَى مَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ ؛ مِنْ صَحَابِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّهُ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال عبدُ الرزاق^(١) : أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثَيْبَةَ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدُّجَالِ ، فَقَالَ فِيمَا يَحْدُثُنَا : « يَأْتِي الدُّجَالُ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَعِدَ رَجُلٌ ، هُوَ خَيْرُ النَّاسِ ، أَوْ مِنْ خَيْرِهِمْ ، فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ الدُّجَالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ . فَيَقُولُ الدُّجَالُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ ، أَتَشْكُونَ فِي الْأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ : لَا . فَيَقْتُلُهُ [١ / ٢٠٩ ط] ثُمَّ يُحْيِيهِ ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيَى : وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَشَدَّ بَصِيرَةً فَيْكَ مِنِّي الْآنَ . قَالَ : فَيُرِيدُ قَتْلَهُ الثَّانِيَةَ فَلَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ » قَالَ مَعْمَرٌ : بَلَغَنِي أَنَّهُ يَجْعَلُ " عَلَى خَلْقِهِ " صَفِيحَةً^(٢) مِنْ نُحَاسٍ ، وَبَلَغَنِي أَنَّهُ الْخَضِرُ الَّذِي يَقْتُلُهُ الدُّجَالُ ، ثُمَّ يُحْيِيهِ . وَهَذَا الْحَدِيثُ مَخْرُجٌ فِي « الصَّحِيحَيْنِ »^(٣) ، مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ بِهِ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَفْيَانَ ، الْفَقِيهُ الرَّائِي عَنْ مُسْلِمٍ : الصَّحِيحُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الْخَضِرُ . وَقَوْلُ مَعْمَرٍ وَغَيْرِهِ : بَلَغَنِي . لَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ الْحَدِيثِ : « فَيَأْتِي بِشَابٍّ مُتَمَلِّئٍ شَبَابًا فَيَقْتُلُهُ »^(٤) . وَقَوْلُهُ : « الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » . لَا يَقْتَضِي الْمُشَافَهَةَ ،

(١) مصنف عبد الرزاق (٢٠٨٢٤) .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) في الأصل ، م : « صحيفة » .

(٤) البخاري (١٨٨٢ ، ٧١٣٢) . مسلم (٢٩٣٨) .

(٥) مسلم (٢٩٣٧) . ابن ماجه (٤٠٧٥) . الترمذی (٢٢٤٠) . كلهم من حديث النواس بن =

بل يكفى التواتر.

وقد تصدَّى الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ :
«عُجَالَةُ الْمُتَنْظِرِ»، فِي شَرْحِ حَالِ الْخَضِرِ «لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ مِنَ
الْمَرْفُوعَاتِ، فَبَيَّنَ أَنَّهَا مَوْضُوعَاتٌ، وَمِنَ الْآثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ
بَعْدَهُمْ، فَبَيَّنَ ضَعْفَ أَسَانِيدِهَا بَيَانِ أَحْوَالِهَا، وَجَهَالَةِ رَجَالِهَا، وَقَدْ أَجَادَ فِي
ذَلِكَ، وَأَحْسَنَ الْإِتْقَادَ.

وَأَمَّا الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، وَمِنْهُمْ الْبَخَارِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ الْحَرِيرِيُّ، وَأَبُو
الْحُسَيْنِ ابْنُ الْمُنَادِي، وَالشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ، وَقَدْ انْتَصَرَ لَذَلِكَ وَصَنَّفَ
فِيهِ كِتَابًا سَمَّاهُ : «عُجَالَةُ الْمُتَنْظِرِ فِي شَرْحِ حَالِ الْخَضِرِ» فَيُحْتَجُّ لَهُمْ بِأَشْيَاءَ
كَثِيرَةٍ مِنْهَا، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ آخِلَةٌ﴾ [الأنبياء :
٣٤]. فَالْخَضِرُ، إِنْ كَانَ بَشَرًا، فَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا الْعُمُومِ لَا مَحَالَةَ، وَلَا يَجُوزُ
تَخْصِيصُهُ مِنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ، وَالْأَصْلُ عَدَمُهُ حَتَّى يَثْبُتَ، وَلَمْ يُذَكَّرْ مَا فِيهِ
دَلِيلٌ عَلَى التَّخْصِيصِ عَنْ مَعْصُومٍ يَجِبُ قَبُولُهُ. وَمِنْهَا، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ :
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
عَلَى ذَالِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل
عمران : ٨١]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢) : مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ : لَتُؤْمِنَنَّ

= سمعان رضى الله عنه . وفي هذه المواضع ليس فيها : «فيقتله» . ولكن فيها : «فيضربه بالسيف فيقطعه» .

(١) انظر الموضوعات لابن الجوزي ١٩٣/١ - ١٩٩ . وترجمة الخضر في الإصابة لابن حجر ٢ /

٢٨٦ - ٣٣٥ .

(٢) التفسير ٥٦ / ٢ .

محمدؐ ، وهو حيٌّ ؛ لِيُؤْمِنَنَّ به وَلِيَنْصُرَنَّهُ .^(١) وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أُمَّتِهِ الْمِيثَاقَ : لَعِنَ
بُعْثَ مُحَمَّدٍ وَهُمْ أَحْيَاءُ ؛ لِيُؤْمِنَنَّ به وَلِيَنْصُرَنَّهُ^(٢) . ذكره البخاريُّ عنه . فالخَضِرُ
إِنْ كَانَ نَبِيًّا أَوْ وَلِيًّا ، فَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا الْمِيثَاقِ ، فَلَوْ كَانَ حَيًّا فِي زَمَنِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ؛ لَكَانَ أَشْرَفَ أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، يُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ،
وَيَنْصُرُهُ إِنْ وَصَلَ أَحَدٌ مِنَ الْأَعْدَاءِ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ [٢١٠/١] وَلِيًّا ؛ فَالْصَّدِيقُ
أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا ؛ فَمُوسَى أَفْضَلُ مِنْهُ .

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي « مَسْنَدِهِ »^(٣) : حَدَّثَنَا سُرَيْجُ بْنُ الثُّعْمَانِ ،
حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، أَنْبَأَنَا مُجَالِدٌ^(٤) ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ
يَتَّبِعَنِي » . وَهَذَا الَّذِي يُقَطَّعُ بِهِ ، وَيُعْلَمُ مِنَ الدِّينِ عِلْمَ الضَّرُورَةِ ، وَقَدْ ذَلَّتْ عَلَيْهِ
هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ ؛ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ لَوْ فُرِضَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءُ^(٥) فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ ، لَكَانُوا كُلُّهُمْ أَتْبَاعًا لَهُ ، وَتَحْتَ أَوَامِرِهِ ، وَفِي عُمُومِ شَرْعِهِ ، كَمَا أَنَّهُ
صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمَّا اجْتَمَعَ مَعَهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ ، رُفِعَ فَوْقَهُمْ كُلُّهُمْ ، وَلَمَّا
هَبَطُوا مَعَهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ ؛ أَمَرَهُ جَبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ أَنْ
يُؤْمِنَهُمْ ، فَصَلَّى بِهِمْ فِي مَحَلٍّ وَلَا يَتَّهُمْ ، وَدَارِ إِقَامَتِهِمْ ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْإِمَامُ
الْأَعْظَمُ ، وَالرَّسُولُ الْخَاتَمُ ، الْمُبْجَلُ ، الْمُقَدَّمُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ
أَجْمَعِينَ . فَإِذَا عَلِمَ هَذَا - وَهُوَ مَعْلُومٌ عِنْدَ كُلِّ مُؤْمِنٍ - عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ الْخَضِرُ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ح .

(٢) تقدم في ٤٥٧/١ .

(٣) في م ، ص : « شريح » .

(٤) في الأصل : « مجاهد » .

(٥) بعد هذا في ح ، م : « مكلفون » .

حَيًّا ، لَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَمَنْ يَفْتَدِي بِشَرِّهِ ، لَا يَسْعُهُ إِلَّا ذَلِكَ . هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ، يَحْكُمُ بِهِذِهِ الشَّرِيعَةُ الْمُطَهَّرَةُ ، لَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَلَا يَحِيدُ عَنْهَا ، وَهُوَ أَحَدُ أَوْلَى الْعَزَمِ الْخَمْسَةِ الْمُرْسَلِينَ ، وَخَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْخَضِرَ ، لَمْ يُنْقَلْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ وَلَا حَسَنٍ تَشْكُرُ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، أَنَّهُ اجْتَمَعَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَلَمْ يَشْهَدْ مَعَهُ قِتَالًا فِي مَشْهَدٍ مِنَ الْمَشَاهِدِ ، وَهَذَا يَوْمٌ بَدْرٍ ، يَقُولُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، فِيمَا دَعَا بِهِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاسْتَنْصَرَهُ ، وَاسْتَفْتَحَهُ عَلَى مَنْ كَفَرَهُ : « اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ بَعْدَهَا فِي الْأَرْضِ »^(١) ، وَتِلْكَ الْعِصَابَةُ كَانَتْ تَحْتَهَا سَادَةُ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ ، وَسَادَةُ الْمَلَائِكَةِ ، حَتَّى جَبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَمَا قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^(٢) فِي قَصِيدَةٍ لَهُ ، فِي يَبِّ يَقَالُ : إِنَّهُ أَفْعَزُ يَبِّ قَالَتْهُ الْعَرَبُ :

وَبِئْرِ^(٣) بَذْرِ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ

فَلَوْ كَانَ الْخَضِرُ حَيًّا لَكَانَ وَقُوفُهُ تَحْتَ هَذِهِ الرَّايَةِ أَشْرَفَ مَقَامَاتِهِ ، وَأَعْظَمَ غَزَوَاتِهِ .

قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَغْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَرَّاءِ الْحَنْبَلِيُّ : سُئِلَ بَعْضُ

(١) مسلم (١٧٦٣) . والترمذى (٣٠٨١) . ومسنده أحمد ٣٠ / ٢ ، ٣٢ .

(٢) أورده ابن هشام في السيرة ١٥٨ / ١ في : ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد ، ونسبه إلى كعب بن مالك ، وليس كما قال ابن كثير أنه من شعر حسان . وكذا أورده ابن كثير نفسه في مصنفه - البداية المطبوع - ٥٨ / ٤ في : فصل فيما تقاويل به المؤمنون والكفار في وقعة أحد من الأشعار ، وقال : قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها - أي القصيدة - لحسان . وقال ابن إسحاق : قال كعب بن مالك . أي ينسبها له .

(٣) في ح : « وسين » . وفي م ، ص : « وبئير » .

أصحابنا عن الخَضِرِ: هل مات؟ فقال: نعم. قال: وبلغنى مثلُ هذا عن أبى طاهر ابن العُبَارِيِّ قال: وكان يحتجُّ بأنَّه لو كان حيًّا، لجاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ. نَقَلَهُ ابْنُ الجَوْزِيِّ [٢١٠/١ ظ] فى «المُجَالَةِ»^(١). فإن قيل: فهَلَّا يُقالُ: إنَّه كان حاضِرًا فى هذه المواطنِ كُلِّها، ولكنَّ لم يكن أحدٌ^(٢) يراه. فالجوابُ أنَّ الأصلَ عدمُ هذا الاحتمالِ البعيدِ، الذى يلزِمُ منه تخصيصُ العموماتِ بمجرَّدِ التَّوَهُّماتِ، ثم ما الحامِلُ^(٣) له على هذا الاختفاء؟ وظهورُه أعظمُ لأجرِه، وأعلى فى مَرَّتَبَتِه، وأظهرُ لمُعْجَزَتِه. ثم لو كان باقيا بعده، لكان تبليغُه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ الأحاديثَ النبويَّةَ والآياتِ القرآنيَّةَ، وإنكارُه لما وقعَ من الأحاديثِ المكذوبةِ، والرِّواياتِ المقلوبةِ، والآراءِ البِدْعِيَّةِ، والأهواءِ العَصَبِيَّةِ، وقتالُه مع المسلمين فى غَزَوَاتِهِمْ، وشُهودُه جُمُعَتِهِمْ وجماعاتِهِمْ، ونَفْعُه إِيَّاهُمْ، ودَفْعُه الضَّرَرَ عنهم، مَن سواهم، وتسديدُه العُلَماءَ والحُكَّامَ، وتقريرُه الأدلَّةَ والأحكامَ، أَفْضَلَ مِمَّ^(٤) يُقالُ عنه مِن كُنُونِه فى الأمصارِ، وجَوِّهِه الفِياثِ والأقطارِ، واجتماعِه بعبادٍ لا يُعرَفُ أحوالُ كثيرٍ منهم، وجعلِه لهم كالنَّقِيبِ المُتَرْجِمِ عنهم. وهذا الذى ذَكَرناهُ لا يَتَوَقَّفُ أحدٌ فيه بعدَ التَّفَقُّهِ، واللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَمِنَ ذَلِكَ ما ثَبَتَ فى «الصَّحِيحَيْنِ» وغيرِهِمْ^(٥)، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى ليلَةَ العِشاءِ، ثم

(١) وذكره نَقْلًا عن ابنِ الجوزي، الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٢/٢٩٩، وعنده: «أبو طاهر ابن العبادي»، والصحيح ما هو مثبت هنا، وانظر طبقات الحنابلة ٢/١٨٨، والمنهج الأحمد ٢/٩٩.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى م: «الحاصل».

(٤) فى ح، م: «ما».

(٥) البخارى (٦٠١). مسلم (٢٥٣٧). الترمذى (٢٢٥١). أبو داود (٤٣٤٨). النسائى فى الكبرى

(٥٨٧١). كلهم من حديث عبد الله بن عمر.

قال : « أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ ، فَإِنَّهُ إِلَى مِائَةِ سَنَةٍ ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْيَوْمَ أَحَدٌ » . وفي رواية^(١) : « عَيْنٌ تَطْرَفُ » . قال ابنُ عمرَ : فَوَيْلٌ لِلنَّاسِ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ اخْتِرَامَ قَوْلِهِ .

قال الإمامُ أحمدُ^(٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي حُثَمَةَ^(٣) ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ : صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ صَلَاةَ الْعِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ ، فَقَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ ، فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِنْهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ » . وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ ، وَمُسْلِمٌ ، مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ^(٤) .

وقال الإمامُ أحمدُ^(٥) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِقَلِيلٍ أَوْ بِشَهْرٍ : « مَا مِنْ نَفْسٍ مَنفُوسَةٍ - أَوْ : مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ الْيَوْمَ مَنفُوسَةٍ - يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ وَهِيَ يَوْمِيذٌ حَيَّةٌ » .

وقال أحمدُ^(٦) : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ، عَنْ جَابِرٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِشَهْرٍ : « يَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، أَقْسِمُ بِاللَّهِ ، مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ الْيَوْمَ ،

(١) مشكل الآثار ١/١٦١ من حديث أبي مسعود .

(٢) قال ابن حجر الفتح ٢/٧٥ : أَى غَلَطُوا أَوْ تَوَهَّمُوا ، أَوْ فَرَعُوا أَوْ نَسُوا ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ هُنَا ، وَقِيلَ : وَهَلْ - بِالْفَتْحِ - بِمَعْنَى وَهْمٍ بِالْكَسْرِ ، وَوَهْلٌ - بِالْكَسْرِ - مِثْلُهُ . وَقِيلَ : بِالْفَتْحِ ؛ غَلِطَ . وَبِالْكَسْرِ ؛ فَرَعَ .

(٣) أحمد في المسند ٢/٨٨ . (إسناده صحيح) .

(٤) البخارى (١١٦ ، ٥٦٤) ، ومسلم (٢٥٣٧) .

(٥) في الأصل ، م : « خِشْمَةٌ » . وفي ص : « حِثْمَةٌ » . وانظر تقريب التهذيب ٢/٣٩٧ .

(٦) مسند أحمد ٣/٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٧) المسند ٣/٣٤٥ .

يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ». وَهَكَذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَضْرَةَ، [٢١١/١] وَأَبِي الزُّبَيْرِ، كُلُّهُمَا عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِهِ نَحْوَهُ^(١).

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ^(٢): حَدَّثَنَا هِنَادٌ^(٣)، حَدَّثَنَا أَبُو معاويةَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ نَفْسٌ مَنفُوسَةٌ»^(٤)، يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ». وَهَذَا أَيْضًا عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ^(٥): فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ تَقْطَعُ ذَابِرَ دَعْوَى حَيَاةِ الْخَضِرِ. قَالُوا: فَالْخَضِرُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَدْرَكَ زَمَانَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا هُوَ الْمَظْنُونُ الَّذِي يَتَرَقَّى فِي الْقُوَّةِ إِلَى الْقَطْعِ، فَلَا إِشْكَالَ. وَإِنْ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ زَمَانَهُ، فَهَذَا الْحَدِيثُ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمْ يَعِشْ بَعْدَهُ^(٦) مِائَةَ سَنَةٍ، فَيَكُونُ الْآنَ مَفْقُودًا لَا مَوْجُودًا؛ لِأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي هَذَا الْعُمُومِ، وَالْأَصْلُ عَدَمُ الْخُصُوصِ لَهُ، حَتَّى يَثْبُتَ بِدَلِيلٍ صَحِيحٍ يَجِبُ قَبُولُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ حَكَى الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ السَّهْلِيُّ فِي كِتَابِهِ: «التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ»^(٧) عَنِ الْبُخَارِيِّ وَشَيْخِهِ أَبِي بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ، أَنَّهُ أَدْرَكَ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ،^(٨) وَلَكِنْ مَاتَ^(٩) بَعْدَهُ؛ لِهَذَا الْحَدِيثِ. وَفِي كَوْنِ الْبُخَارِيِّ، رَجَمَهُ اللَّهُ، يَقُولُ بِهَذَا، وَأَنَّهُ بَقِيَ إِلَى زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ، نَظَرَ. وَرَجَّحَ السَّهْلِيُّ بَقَاءَهُ، وَحَكَاهُ عَنِ

(١) مُسْلِمٌ (٢٥٣٨).

(٢) التِّرْمِذِيُّ (٢٢٥٠). (صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ ١٨٣٤).

(٣) فِي ح، م: «عِبَاد».

(٤) بَعْدَهَا فِي التِّرْمِذِيِّ: «يَعْنِي الْيَوْمَ».

(٥) لَعَلَّ هَذَا الْقَوْلَ فِي كِتَابِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ «عَجَالَةُ الْمُنْتَظَرِ فِي شَرْحِ حَالِ الْخَضِرِ».

(٦) فِي م: «بَعْد».

(٧) التَّعْرِيفُ وَالْإِعْلَامُ ١/١٩٠.

(٨ - ٩) سَقَطَ مِنْ: ص.

الأكثرين^(١)؛ قال : وأما اجتماعه مع النبي ﷺ ، وتعزيته لأهل البيت ، فمروى
من طريق صحاح^(٢) . ثم ذكر ما تقدم بما ضعفناه^(٣) ، ولم يورد أسانيدَها . والله
أعلم .

(١) التعريف والإعلام ١ / ١٩٠ .

(٢) التعريف والإعلام ١ / ١٩٠ .

(٣) التعريف والإعلام ١ / ١٩٥ - ١٩٨ .

أَمَّا إِيَّاسُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، بَعْدَ قِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ مِنْ سُورَةِ «الصَّافَّاتِ» ^(١) :

﴿ وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١٢٢) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ^(١٢٣) أَلَا نُنْفِقُ ^(١٢٤) أَنْدَعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ^(١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ^(١٢٦) فَكَذَّبُوهُ
فَأَتَيْنَهُمُ لَمُخَضَّرُونَ ^(١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ^(١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ^(١٢٩)
سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ ^(١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ^(١٣١) إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿

[الصافات: ١٢٣ - ١٣٢] . قال علماء النسب : هو إِيَّاسُ بْنُ تَسْيٍ ^(٣) . ويُقال :

ابْنُ يَاسِينَ بْنِ فِحَاصَ بْنِ الْعِزَارِ ^(٤) بْنِ هَارُونَ . وقيل : إِيَّاسُ بْنُ الْعَازِرِ بْنِ
الْعِزَارِ ^(٤) بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ . قالوا : وكان إرساله إلى أهلِ بَغْلَبَكْ ، غربي
دِمَشْقَ ^(٥) ، فدعاهم إلى عبادةِ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وأنَّ يتركوا عبادةَ صَنَمٍ لَهُمْ ،
كانوا يُسَمُّونَهُ بَعْلًا . وقيل : كانت امرأة اسمها بَغْلُ ^(٦) . والأولُ أصحُّ . ولهذا
قال لهم : ﴿ أَلَا نُنْفِقُ ﴾ ^(١٢٢) أَنْدَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ^(١٢٥) اللَّهُ
رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿ فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ ، وأرادوا قتله ، فيقال : إِنَّهُ
هَرَبَ مِنْهُمْ ، واختَفَى عَنْهُمْ .

(١) التفسير ٣١ / ٧ ، ٣٢ .

(٢) سقط من : م .

(٣) في م : «تسي» . وفي ص : «تسي» .

(٤) في الأصل : «العيزار» .

(٥) تاريخ دمشق ٢٠٥ / ٩ .

(٦) انظر القولين وقائليهما في تفسير الطبري ٩٢ / ٢٣ ، ٩٣ .

قال أبو يعقوب الأُدُرعي^(١)، عن يزيد بن عبد الصّمد، عن هشام بن عمار [٢١١/١] قال : وَصِغْتُ مَنْ يَذْكُرُ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ إِيَّاسَ اخْتَبَأَ مِنْ مَلِكِ قَوْمِهِ ، فِي الْغَارِ الَّذِي تَحْتَ الدِّمِّ^(٢) ، عَشْرَ سِنِينَ ، حَتَّى أَهْلَكَ اللَّهُ الْمَلِكَ ، وَوَلَّى غَيْرَهُ ، فَأَتَاهُ إِيَّاسُ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ ، فَأَسْلَمَ ، وَأَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ خَلْقٌ عَظِيمٌ غَيْرَ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْهُمْ ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَقَتَلُوا عَنْ آخِرِهِمْ .

وقال ابنُ أبي الدنيا^(٣) : حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ هَاشِمٍ ، حَدَّثَنَا عَمْرُو ابْنُ سَعِيدٍ الدَّمَشْقِيُّ ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ بَعْضِ مَشَيْخَةِ دِمَشْقَ ، قَالَ : أَقَامَ إِيَّاسُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، هَارِبًا مِنْ قَوْمِهِ فِي كَهْفٍ جَبَلٍ عَشْرِينَ لَيْلَةً ، أَوْ قَالَ : أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، تَأْتِيهِ الْغُرَبَاءُ بِرِزْقِهِ .

وقال محمدُ بنُ سعيدٍ ، كاتبُ الواقدي^(٤) : أَنبَأَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : أَوَّلُ نَبِيٍّ بُعِثَ لِإِدْرِيسَ ، ثُمَّ نُوحٌ ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ ، ثُمَّ يَعْقُوبُ ، ثُمَّ يُوسُفُ ، ثُمَّ لُوطٌ ، ثُمَّ هُودٌ ، ثُمَّ صَالِحٌ ، ثُمَّ شُعَيْبٌ ، ثُمَّ مُوسَى وَهَارُونُ ابْنَا عِمْرَانَ ، ثُمَّ إِيَّاسُ بْنُ^(٥) تَسْيٍ بْنِ الْعَازِرِ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ قَاهِثَ بْنِ لَاقِي بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . هَكَذَا قَالَ ، وَفِي هَذَا التَّرْتِيبِ نَظَرْتُ . وَقَالَ مَكْحُولٌ عَنْ كَعْبٍ^(٦) :

(١) تاريخ دمشق ٢٠٥/٩ .

(٢) في ح : «الدم» .

(٣) وأخرجه من طريق ابن أبي الدنيا ، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٦/٩ .

(٤) طبقات ابن سعد ٥٤/١ ، ٥٥ مطولاً . ومن طريق ابن سعد ، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٦/٩ بنحو ما أورده ابن كثير .

(٥) سقط من : م . وفي ح : «ثم» .

(٦) أخرجه بإسناده ، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٧/٦ . وعنده : «اليوم» ، بدل «أحياء» . و : «في الدنيا» ، بدل «في الأرض» .

أربعة أنبياء أحياء؛ اثنان في الأرض: إلياس والخضر، واثنان في السماء: إدريس وعيسى. وقد قدمنا قول من ذكر أن إلياس والخضر يجتمعان في كل عام في شهر رمضان ببيت المقدس، وأنهما يحجان كل سنة، ويشربان من زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من العام المقبل. وأوردنا الحديث الذي فيه أنهما يجتمعان بعرفات كل سنة، ويبتأ أنه لم يصح شيء من ذلك، وأن الذي يقوم عليه الدليل: أن الخضر مات، وكذلك إلياس، عليهما السلام. وما ذكره وهب بن مئبغ وغيره^(١)؛ أنه لما دعا ربه، عز وجل، أن يقبضه إليه لما كذبوه، وأذوه فجاءته دابة، لونها لون التار، فركبها، وجعل الله له ريشا، وألبسه الثور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وصار ملكيا بشريا سمويا أرضيا، وأوصى إلى اليسع بن أخطوب، ففي هذا نظر، وهو من الإسرائيليات، التي لا تُصدق ولا تُكذب، بل الظاهر أن صحتها بعيدة. والله أعلم.

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البيهقي^(٢): أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثني^(٣) أبو العباس أحمد بن سعيد المغداني^(٤) بخاري، حدثنا عبد الله بن محمود، حدثنا عبدان بن سنان، حدثني^(٥) أحمد بن عبد الله

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢١٠. عن وهب. وتاريخ الطبري ١/ ٤٦٢ - ٤٦٤ مطولا، وتفسيره ٢٣/ ٩٣، ٩٤، عن ابن إسحاق مطولا.

(٢) في دلائل النبوة ٥/ ٤٢١. وأخرجه الحاكم في المستدرک ٢/ ٦١٧ وقال: صحيح الإسناد. وقال الذهبي: بل موضوع قبح الله من وضعه. كما قال ابن كثير نفسه عقب الحديث. وقال ابن حجر في لسان الميزان ٦/ ٢٩٥: حديث باطل.

وأخرجه من طريق البيهقي، ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩/ ٢١٢ وذكر عقبه كلام البيهقي الذي ذكره ابن كثير.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) في الأصل: «العديني». وفي دلائل النبوة: «البغدادى». وانظر الأنساب ٥/ ٣٣٩.

الْبَرْقِيُّ^(١)، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْبَلَوِيُّ^(٢)، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَرَارِيُّ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ [٢١٢/١]: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَتَزَلْنَا مَنَزِلًا، فَإِذَا رَجُلٌ فِي الْوَادِي، يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَرْحُومَةِ، الْمَغْفُورَةِ، الْمُثَابِ لَهَا. قَالَ: فَأَشْرَفْتُ عَلَى الْوَادِي، فَإِذَا رَجُلٌ طَوْلُهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ ذِرَاعٍ، فَقَالَ لِي: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَأَيْنَ هُوَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَا يَسْمَعُ كَلَامَكَ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَقْرَبْتُهُ السَّلَامَ، وَقُلْتُ لَهُ: أَخُوكَ إِلْيَاسُ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ. قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَجَاءَ حَتَّى لَقِيْتُهُ، فَعَانَقَهُ وَسَلَّمْ، ثُمَّ قَعَدَا يَتَحَدَّثَانِ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي مَا أَكُلُ فِي سَنَةٍ إِلَّا يَوْمًا، وَهَذَا يَوْمُ فِطْرِي، فَأَكُلُ أَنَا وَأَنْتَ. قَالَ: فَنَزَلَتْ عَلَيْهِمَا مَائِدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْهَا خُبْزٌ، وَحُوتٌ، وَكَرْفَسٌ، فَأَكَلَا وَأَطْعَمَانِي، وَصَلَّيْنَا الْعَصْرَ، ثُمَّ وُدَّعَهُ، وَرَأَيْتُهُ مَرًّا فِي السَّحَابِ نَحْوَ السَّمَاءِ. فَقَدْ كَفَانَا الْبِيهَقِيُّ أَمْرَهُ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ ضَعِيفٌ بَمَرَّةٍ. وَالْعَجَبُ أَنَّ الْحَاكِمَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ النَّيْسَابُورِيَّ أَخْرَجَهُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ»، وَهَذَا يَمَّا يُسْتَدْرَكُ بِهِ عَلَى «الْمُسْتَدْرَكِ»، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُضَوِّعٌ، مُخَالِفٌ لِلْأَحَادِيثِ الصَّحَاحِ مِنْ وَجْهِهِ. وَمَعْنَاهُ لَا يَصِحُّ أَيْضًا، فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ طَوْلُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»، إِلَى أَنْ قَالَ: «ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ، حَتَّى الْآنَ». وَفِيهِ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ هُوَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ. وَهَذَا لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّهُ

(١) فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: «الرَّقِيُّ». وَانْظُرْ مِيزَانَ الْإِعْتِدَالِ ٤/٤٤١. وَلِسَانُ الْمِيزَانِ ٦/٢٩٥.

(٢) فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ: «الْعَلَوِيُّ». وَانْظُرْ مِيزَانَ الْإِعْتِدَالِ ٤/٤٤١. وَلِسَانُ الْمِيزَانِ ٦/٢٩٥.

(٣) تَقْدِيمُ تَخْرِيجِهِ فِي ١/٢٠٦.

كان أحقَّ بالسَّعى إلى بين يَدَي خاتمِ الأنبياءِ . وفيه أنه يأكلُ في السَّنةِ مرَّةً ، وقد تقدَّم عن وهبٍ أنه سَلَبَهُ اللَّهُ لَذَّةَ المَطْعَمِ والمَشْرَبِ ، وفيما تقدَّم عن بعضهم أنه يشربُ من زَمْزَمَ كُلِّ سَنَةٍ شَرْبَةً تُكْفِيهِ إلى مثلِها من الحَوْلِ الآخِرِ . وهذه أشياء مُتَعَارِضَةٌ ، وكلُّها باطلةٌ ، لا يصحُّ شيءٌ منها .

وقد ساق ابنُ عساکرَ هذا الحديثَ من طريقٍ أخرى ^(١) ، واعترفَ بضعفِها ، وهذا عَجَبٌ منه ، كيف تكلَّم عليه ، فإنه أوردَه من طريقٍ ^(٢) «خَيْرِ بنِ عرفة» ، عن هانئِ بنِ الحسَنِ ^(٣) ، عن بَقِيَّةٍ ، عن الأوزاعيِّ ، عن مكحولٍ ، عن وإثلة ^(٤) بنِ الأشقيعِ ، فذكرَ نحوَ هذا مطوَّلاً ، وفيه أن ذلك كان في غزوةِ تبوكَ ، وأنه بعثَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ أنسُ بنُ مالكٍ ، وحذيفةُ بنَ اليمانِ ، قالَا : فإذا هو أعلى جِسْمًا مِنَّا ^(٥) بذراعين أو ثلاثةً ، واعتذرَ بعدمِ قدومه ^(٦) لِقَلَّا تَنْفِرَ الإِبِلُ . وفيه أنه لما اجتمعَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢١٢/١ ظ] أَكَلَا من طعامِ الجَنَّةِ ، وقال : إنَّ لى فى كُلِّ أربعينَ يوماً أَكَلَةٌ ، وفى المائدةِ خيرٌ ، ورُمانٌ ، وعنبٌ ، وموزٌ ، ورُطَبٌ ، وبَقُلْ ما عدا الكُرَّاثَ . وفيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سألَه عن الخَضِرِ ، فقال : عهدى به عامَ أوَّلٍ ، وقال لى : إنَّكَ ستَلْقاه قبلى ، فأقرَّئهُ منى السَّلامِ . وهذا يدلُّ على أنَّ الخَضِرَ واليَّاسَ ، بتقديرِ وجودِهما وصحةِ هذا الحديثِ ، لم يَجْتَمِعَا

(١) تاريخ دمشق ٢١٢/٩ - ٢١٤ مطوَّلاً . وقال ابن عساکر عقبه : هذا حديث منكر وليس بالقوى .

(٢ - ٢) فى تاريخ دمشق : «خير بن عوفة» . والصحيح ما أثبتناه . وانظر سير أعلام النبلاء ٤١٣/١٣ ،

٤١٤ . والإصابة لابن حجر ٣٠٧/٢ حيث ذكر الخبر عن ابن شاهين ، وحقق اسم «خير» ص ٣٠٩ .

(٣) فى الأصل : «الحسين» . والمثبت موافق لما عند ابن عساکر . وفى الإصابة : «هانئ بن المتوكل» .

(٤) بعده فى م : «عن» .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى ح ، م : «قدرته» .

به إلى سنة تسع من الهجرة، وهذا لا يسوغ شرعاً، وهذا موضوع أيضاً. وقد
أورد ابن عساكر طرقاتاً في من اجتمع بالياس من العبّاد^(١)، وكلّها لا يُفرّج بها؛
إمّا لضعف إسنادهما، أو لجهالة المسند إليه فيها. ومن أحسنها ما قال أبو بكر
ابن أبي الدنيا^(٢): حدّثنى بشر بن مُعاذ، حدّثنا حمّاد^(٣) بن وإقيد، عن ثابت،
قال: كنّا مع مُضْعَب بن الزبير، بسواد الكوفة، فدخلت حائطاً أصلى فيه
ركعتين، فافتحت ﴿حَمَّ﴾ ﴿تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ ﴿[غافر: ١ - ٣]. فإذا
رجُلٌ من خلفي على بغلة شهباء، عليه مُقَطَّعَاتٌ يَمِينِيَّةٌ، فقال لي: إذا قلت:
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾. فقل: يا غافر الذَّنْبِ، اغفر لي ذنبي. وإذا قلت: ﴿وَقَابِلِ
التَّوْبِ﴾. فقل: يا قابِلِ التَّوْبِ، تقبل توبتي. وإذا قلت: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾.
فقل: يا شديد العقاب، لا تُعاقِبْنِي. وإذا قلت: ﴿ذِي الطَّلَوِّ﴾. فقل: يا ذا
الطَّلَوِّ، تطوّل على برحمة. فالتفت فإذا لا أحد، وخرجتُ فسألت: مرّ بكم
رجُلٌ على بغلة شهباء، عليه مُقَطَّعَاتٌ^(٤)، يَمِينِيَّةٌ؟ فقالوا: ما مرّ بنا أحدٌ. فكانوا لا
يَرَوْنَ إلّا أنّه إلياس. وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْتَبَهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾. أي؛ للعذاب؛
إمّا في الدنيا والآخرة، وإمّا في الآخرة، والأوّل أظهر، على ما ذكره المفسرون
والمؤرّخون. وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. أي؛ إلا من آمن منهم،
وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾. أي؛ أبقينا بعده ذكراً حسناً له في

(١) انظرها في تاريخ دمشق ٢١٤/٩ - ٢١٧.

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريقه، في تاريخ دمشق ٢١٦/٩، ٢١٧.

(٣) في تاريخ دمشق: «أحمد». وما أثبتناه هو الصحيح. وانظر تهذيب الكمال ٢٨٩/٧، ٢٩٠.

(٤) المقطعات: بُرُودٌ عليها وشئ مُقَطَّع. الوسيط (ق ط ع).

العالمين، فلا يُذكر إلا بخير، ولهذا قال^(١): ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ﴾ . أى؛ سلامٌ على إلياس . والعربُ تُلحقُ الثَّوْنَ فى أسماءٍ كثيرةٍ، وتُبدِّلُها مِن غيرِها، كما قالوا: إسماعيلُ وإسماعينُ، وإسرائيلُ وإسرائينُ، وإلياسُ وإلياسينُ . ومَن قرأ (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ) أى؛ على آلِ محمدٍ، وقرأ ابنُ مسعودٍ وغيرُه: (سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ)^(٢) . ويُقِلُّ عنه مِن طريقِ إسحاقَ، عن عبيدةَ بنِ ربيعةَ، عن ابنِ مسعودٍ^(٣)، أَنَّهُ قال: إلياسُ هو إدريسُ . وإليه ذهب الضَّحَّاكُ بنُ مُزَاحِمٍ، وحكاه قتادةُ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ، والصَّحِيحُ [٢١٣/١] أَنَّهُ غيرُه كما تقدَّم، واللَّهُ تعالى أعلمُ بالصوابِ .

(١) انظر التفسير ٣٢/٧ .

(٢) انظر التفسير ٣٢/٧ . وتفسير الطبرى ٩٦/٢٣ . والقرطبي ١١٨/١٥ ، ١١٩ .

(٣) أورده المصنف فى التفسير ٣١/٧ وعزاه لابن أبى حاتم .

بَابُ ذِكْرِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

بَعْدَ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثُمَّ نَتَّبِعُهُمْ بِذِكْرِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، فِي «تَارِيخِهِ»^(١): لَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَخْبَارِ الْمَاضِيَيْنِ، وَأُمُورِ السَّالِفِينَ مِنْ أُمَّتِنَا^(٢)، وَغَيْرِهِمْ؛ أَنَّ الْقِيَمَ بِأُمُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ يَوْشَعَ، كَالْبِ بْنِ يَوْفَنَّا. يَعْنِي أَحَدَ أَصْحَابِ مُوسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ زَوْجُ أُخْتِهِ مَرِيَمَ، وَهُوَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ مِمَّنْ يَخَافُونَ اللَّهَ، وَهُمَا يَوْشَعُ وَكَالْبُ، وَهُمَا الْقَاتِلَانِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ نَكَلُوا عَنِ الْجِهَادِ^(٣): ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٤): ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ كَانَ الْقَائِمُ بِأُمُورِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِزْقِيَلُ بْنُ بُوذَى^(٥). وَهُوَ الَّذِي دَعَا اللَّهَ فَأَخْيَا الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ.

(١) ٤٥٧/١.

(٢) فِي ص: «أُمَّتِنَا».

(٣) التفسير ٧١/٣.

(٤) فِي تَارِيخِهِ ٤٥٧/١.

(٥) فِي الْأَصْل: «لُورَى». وَفِي ح: «يُورَى». وَفِي ص: «نُورَى».

قِصَّةُ حِرْقِيلَ

قال الله تعالى^(١): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنِجَهُمْ لِأَنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. قال محمد بن إسحاق^(٢)، عن وهب بن ميثبه: إن كالب بن يوفتا^(٣) لما قبضه الله إليه^(٤) بعد يوشع^(٥)، خلف في بني إسرائيل حِرْقِيلَ بن بوزي، وهو ابن العَجُوزِ، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكروهم الله في كتابه، فيما بلغنا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾. قال ابن إسحاق^(٦): فَمُوتُوا مِنَ الْوَبَاءِ، فَتَزَلُّوا بِصَعِيدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فقال لهم الله: مُوتُوا. فماتوا جميعاً، فحَظَرُوا عليهم حَظِيرَةً^(٧) دُونَ السَّبَاعِ، فمَضَتْ عليهم دُهورٌ طَوِيلَةٌ، فَمَرَّ بِهِمْ حِرْقِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ مُتَفَكِّراً^(٨)، فَقِيلَ لَهُ: أَتُحِبُّ أَنْ يَبْعَثَهُمُ اللَّهُ وَأَنْتَ تَنْظُرُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَ أَنْ يَدْعَوْ تِلْكَ الْعِظَامَ أَنْ تَكْتَسِيَ لَحْماً، وَأَنْ يَتَّصِلَ الْعَصَبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ. فناداهم عن أمرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ، فَقَامَ الْقَوْمُ

(١) التفسير ١/ ٤٤٠.

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه ١/ ٤٥٩، ٤٦٠ من قول محمد بن إسحاق. وفي تفسيره ٢/ ٥٨٧، ٥٨٨.

(٣) سقط من: ص.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥ - ٥) سقط من: ح.

(٦) في ح: «خطرة».

(٧) في ح: «مفكراً».

أجمعون ، وكبروا تكبيرة رجل واحد^(١) . وقال أسباط ، عن الشدّي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة^(٢) ، عن ابن مسعود ، وعن أناس من الصحابة^(٣) ، في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ . قالوا : كانت قرية يُقال لها : « دَاوَرْدَانُ »^(٤) ، قَبِلَ « وَاسِطُ » ، وَقَعَ بِهَا الطَّاعُونَ ، فَهَرَبَ [٢١٣ ط] عَائِدَةُ أَهْلِهَا ، فَزَلُّوا نَاحِيَةً مِنْهَا ، فَهَلَكَ مَنْ بَقِيَ فِي الْقَرْيَةِ ، وَسَلِمَ الْآخَرُونَ ، فَلَمْ يَمُتْ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا ارْتَفَعَ الطَّاعُونَ ، رَجَعُوا سَالِمِينَ ، فَقَالَ الَّذِينَ بَقُوا : أَصْحَابُنَا هَؤُلَاءِ كُلُّنَا أَخْرَجَ مِنَّا ، لَوْ صَنَعْنَا كَمَا صَنَعُوا بَقَيْنَا ، وَلَئِنْ وَقَعَ الطَّاعُونَ ثَانِيَةً لَنَخْرُجَنَّ مَعَهُمْ . فَوَقَعَ فِي^(٥) قَابِلٍ ، فَهَرَبُوا وَهُمْ بِضْعَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا ، حَتَّى نَزَلُوا ذَلِكَ الْمَكَانَ ، وَهُوَ وَادٍ أَتَيْتُج ، فَتَادَاهُمْ مَلَكٌ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي ، وَآخَرُ مِنْ أَعْلَاهُ : أَنْ مُوتُوا . فَمَاتُوا ، حَتَّى إِذَا هَلَكُوا ، وَبَقِيََتْ أَجْسَادُهُمْ ، مَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ ، يُقَالُ لَهُ : حِزْقِيلُ^(٦) . فَلَمَّا رَأَاهُمْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ ، فَجَعَلَ يَتَفَكَّرُ فِيهِمْ ، وَيَلْوِي شِدْقَيْهِ وَأَصَابِعَهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : تَرِيدُ أَنْ أُرِيكَ كَيْفَ أُحْيِيهِمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَإِنَّمَا كَانَ تَفَكُّرُهُ أَنَّهُ تَعَجَّبَ^(٧) مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، فَقِيلَ لَهُ : نَادِ . فَنَادَى : يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْمَعِي . فَجَعَلَتِ الْعِظَامُ

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٤٦٠/١ مطولاً من طريق محمد بن إسحاق .

(٢) في الأصل : « عروة » .

(٣) سقط من : ص .

(٤) سقط من : ص .

(٥) في الأصل ، ح ، ص : « دراوردان » .

(٦) سقط من : ص .

(٧) في التاريخ : « هزقيل » .

(٨) سقط من : ح ، ص .

يَطِيرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى^(١) كَانَتْ أَجْسَادًا مِنْ عِظَامٍ، ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ؛ أَنْ نَادِ: يَا أَيُّهَا الْعِظَامُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَكْتَسِيَ^(٢) لَحْمًا. فَانْكَسَتْ^(٣) لَحْمًا وَدَمًا، وَثِيَابَهَا^(٤) الَّتِي مَاتَتْ فِيهَا. ثُمَّ قِيلَ لَهُ: نَادِ. فَنَادَى: أَيُّهَا الْأَجْسَادُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقُومِي. فَقَامُوا. قَالَ أَسْبَاطُ: فَرَعَمَ مَنْصُورٌ، عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُمْ قَالُوا حِينَ أُحْيُوا: سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. فَارْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ أَحْيَاءَ، يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَوْتَى، سَخَنَةَ الْمَوْتِ عَلَى وَجْهِهِمْ، لَا يَلْبَسُونَ ثَوْبًا إِلَّا عَادَ^(٥) «كَفَنَّا دَسْمًا»، حَتَّى مَاتُوا لِأَجَالِهِمُ الَّتِي كُتِبَتْ لَهُمْ^(٦). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ أَنَّهُمْ كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ. وَعَنْهُ: ثَمَانِيَةَ آلَافٍ. وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ: تِسْعَةَ آلَافٍ. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا: كَانُوا أَرْبَعِينَ أَلْفًا. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كَانُوا مِنْ أَهْلِ «أَذْرَعَاتٍ». وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَطَاءٍ: هَذَا مَثَلٌ^(٧). يَعْنِي أَنَّهُ سَبَقَ مَثَلًا مُبَيَّنًا أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَ حَدَرٌ مِنْ قَدَرٍ. وَقَوْلُ الْجُمْهُورِ أَقْوَى؛ أَنَّ هَذَا وَقَعَ.

وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَصَاحِبَا «الصَّحِيحِ»^(٨)، مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ^(٩) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٩) بْنِ الْحَارِثِ

(١) بعده في ح: «إذا».

(٢ - ٣) سقط من: ص.

(٣) في ح: «ونباتها».

(٤) في ص: «تجافت».

(٥ - ٥) في ح: «كفنا وسخا». وفي م: «رسمًا». والدَّسْمُ: المَطْمُوسُ الْمُفْعَى.

(٦) أخرجه الطبري في تاريخه ٤٥٨/١، ٤٥٩ من طريق أسباط به. وانظر تفسير الطبري ٥٨٧/٢.

(٧) التفسير ٤٤٠/١.

(٨) أحمد في المسند (١٩٤/١). البخاري (٥٧٢٩). مسلم (٢٢١٩).

(٩ - ٩) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر التخریج.

ابن نَوْفَلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ خرجَ إلى الشامِ ، حتى إذا كان بِسُورِغَ ، لَقِيَهُ أمراءُ الأجنادِ ، أبو عبيدةُ بنُ الجراحِ وأصحابُه ، فأخبروه أنَّ الوباءَ وقعَ بالشامِ ، فَذَكَرَ الحديثَ . يعنى فى مُشاوَرَتِهِ المهاجرين والأنصارَ ، فاختَلَفُوا عليه ، فجاءه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ، وكان مُتَعَيِّبًا ببعضِ حاجتِهِ ، فقال : إِنَّ عِنْدِي مِنْ هَذَا عِلْمًا ؛ سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ : « إِذَا كَانَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ ؛ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ » . فَحَمِدَ اللَّهَ [٢١٤/١] عمرُ ثم انصرف .

وقال الإمامُ أحمدُ^(١) : حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ وَيزيدُ المَعْنَى^(٢) قالا : حَدَّثَنَا ابنُ أُمَيٍّ ذَيْبٌ^(٣) ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن سالمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عامرٍ بنِ ربيعةَ ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ^(٤) أَخْبَرَ عمرَ^(٥) وهو فى الشامِ ، عن النَبِيِّ ﷺ : « إِنْ هَذَا السَّقَمُ عَذَّبَ بِهِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِى أَرْضٍ ، فَلَا تَدْخُلُوهَا ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ » . قال : فَرَجَعَ عمرُ مِنَ الشَّامِ . وأخرجاه^(٥) من حديثِ مالِكٍ عن الزُّهْرِيِّ ، بَنَحْوِهِ .

قال محمدُ بنُ إِسحاقَ^(٦) : وَلَمْ يُذَكِّرْ لَنَا مُدَّةً لُبِثَ حِزْقِيلَ فِى بَنى إِسْرائِيلَ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ قَبَضَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قُبِضَ نَسِيَ بَنو إِسْرائِيلَ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ ، وَعَظُمَتْ

(١) سقط من : ح ، م .

أحمد فى المسند ١/ ١٩٣ . (إسناده صحيح) .

(٢) فى ح : « المعنى » . وفى م ، ص : « المفتى » .

(٣) فى م : « ذؤيب » . وانظر : تهذيب التهذيب ٩/ ٣٠٣ .

(٤ - ٤) فى ص : « وأخبرهم » .

(٥) البخارى (٥٧٣٠ ، ٦٩٧٣) . مسلم (٢٢١٩) .

(٦) تاريخ الطبرى ١/ ٤٦٠ ، ٤٦١ .

فيهم الأحداث، وعبدوا الأوثان، وكان في جملة ما يعبدونه من الأصنام، صنم يُقال له: بعل. فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ إِيَّاسَ بْنَ يَاسِينَ^(١) بنِ فُتَحَاصَ بْنِ الْعِيزَارِ ابنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ. قُلْتُ: وقد قَدَّمْنَا قِصَّةَ إِيَّاسَ تَبَعًا لِقِصَّةِ الْخَضِرِ؛ لأنَّهُمَا يُقَرَّنَانِ فِي الذِّكْرِ غَالِبًا، ولأَجْلِ أَنَّهَا بَعْدَ قِصَّةِ مُوسَى فِي سُورَةِ الصَّافَّاتِ، فَتَعَجَّلْنَا قِصَّتَهُ لَذَلِكَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ^(٢)، فِيمَا ذَكَرَ لَهُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: ثُمَّ تَنَبَّأَ فِيهِمْ بَعْدَ إِيَّاسَ، وَصِيَّهُ الْيَسَّعُ بْنُ أَخْطُوبَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهَذِهِ:

(١) فِي ص: «إِيَّاسِينَ».
(٢) تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ ١/٤٦٤.

قِصَّةُ الْيَسَعَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد ذَكَرَهُ اللهُ تعالى مع الأنبياء ، فى سورة « الأنعام » فى قوله : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ
وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦] .

وقال تعالى فى سورة « ص » ^(١) : ﴿ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلًّا
مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٨] . قال إسحاق ^(٢) بن بشر ، أبو حُدَيْفَةَ : أنبأنا سعيد ،
عن قتادة ، عن الحسن قال : كان بعد إلياس ، اليسع - عليهما السلام - فَمَكَتْ
ما شاء الله أن يَمُكَّتْ ؛ يَدْعُوهم إلى الله ، مُسْتَمْسِكًا بمنهاج إلياس وشريعته ،
حتى قبضه الله ، عز وجل ، إليه ، ثم خَلَفَ فيهم الخُلُوفُ ^(٣) ، وعَظُمَتْ فيهم
الأحداث والخطايا ، وكَثُرَتِ الجبايرة ، وَقَتَلُوا الأنبياء ، وكان فيهم مَلِكٌ جبارٌ ^(٤)
عنيذ طاغ ، ويُقال : إنه الذى تَكْفُلُ له ذو الكِفْلِ إن هو تاب وراجع ، دَخَلَ
الجنة ؛ فُسِّمَى ذا الكِفْلِ . قال محمد بن إسحاق ^(٥) : هو اليسع بن أخطوب .
وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر ، فى حرف الياء من « تاريخه » ^(٦) :
اليسع ؛ وهو : الأسياط بن عدي بن شوتلم بن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب بن

(١) التفسير ٦٧/٧ .

(٢) فى ص : « ثنا » .

(٣) الخُلُوف : التغير والفساد .

(٤) زيادة من : الأصل ، ص .

(٥) تاريخ الطبرى ٤٦٢/١ .

(٦) لعله من الجزء الساقط من مخطوط تاريخ دمشق . وانظر تاريخ دمشق ١٠٩/١٧ حاشية ٣ ،

ومختصرة لابن منظور ٣٦/٢٨ .

إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ . وَيُقَالُ : هُوَ ابْنُ عَمِّ إِيَّاسَ النَّبِيِّ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ [٢١٤/١ ظ] . وَيُقَالُ : كَانَ مُسْتَخْفِيًا مَعَهُ بِجَبَلٍ قَاسِيُونَ مِنْ مَلِكٍ بَغْلَبَكُ ، ثُمَّ ذَهَبَ مَعَهُ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا رَفَعَ إِيَّاسُ خَلْفَهُ الْيَسَعَ فِي قَوْمِهِ ، وَنَبَّأَهُ اللَّهُ بَعْدَهُ . ذَكَرَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمَنَعِ بْنُ إِدْرِيسَ ^(١) «بَنِي سِنَانٍ» ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ . قَالَ : وَقَالَ غَيْرُهُ : كَانَ الْأَسْبَاطُ ^(٢) بِيَانِيَّاسَ . ثُمَّ ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكَرَ قِرَاءَةَ مَنْ قَرَأَ : ﴿الْيَسَعَ﴾ ، بِالتَّخْفِيفِ وَبِالتَّشْدِيدِ ، وَمَنْ قَرَأَ : «الْيَسَعَ» ^(٣) ، وَهُوَ اسْمٌ وَاحِدٌ لِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ . قُلْتُ : قَدْ قَدَّمْنَا ^(٤) قِصَّةَ ذِي الْكِفْلِ بَعْدَ قِصَّةِ أَيُّوبَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : إِنَّهُ ابْنُ أَيُّوبَ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ .

(١ - ١) سقط من : ح ، م .

(٢) سقط من : م .

(٣) في الأصل : «اليسع» .

(٤) تقدم في ٥١٦/١ .

فصل

قال ابن جرير^(١) وغيره: ثم مَرَجَ أمرُ بني إسرائيلَ، وعَظُمَتْ فيهم الأحداثُ والخطوبُ والخطايا، وَقَتَلُوا مَنْ قَتَلُوا مِنَ الأنبياءِ، وسلَّطَ اللَّهُ عليهم بَدَلَ الأنبياءِ مُلُوكًا جَبَّارِينَ يَظْلِمُونَهُمْ، وَيَسْفِكُونَ دِمَاءَهُمْ، وسلَّطَ اللَّهُ عليهم الأعداءَ مِنْ غيرِهِمْ أيضًا. وكانوا إذا قاتلوا أَحَدًا مِنَ الأعداءِ، يَكُونُ معهم تابوتُ الميثاقِ الذي كان في قُبَّةِ الزَّمانِ، كما تقدَّمَ ذِكرُهُ^(٢)، فكانوا يُنْصَرُّونَ بِبِرِّكَتِهِ، وبما جعلَ اللَّهُ فيه مِنَ السَّكِينَةِ وَالْيَقِينَةِ، ممَّا تركَ آلُ موسى وآلُ هارونَ، فلمَّا كان في بعضِ حروبِهِمْ مَعَ أَهْلِ غَزَّةَ وَعَشْقَلَانَ، غلبوهم عليه^(٣)، وقَهَرُوهم على أَخْذِهِ، فانتزعوه من أيديهِمْ، فلمَّا عَلِمَ بِذلكَ مَلِكُ بني إسرائيلَ في ذلكَ الزَّمانِ، مالتْ غُنَّةُهُ فماتَ كَمَدًا، وبَقِيَ بنو إسرائيلَ كالغنمِ بلا راعٍ، حتى بَعَثَ اللَّهُ فيهِمْ نبيًّا مِنَ الأنبياءِ، يُقالُ له: شمويلُ. فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يُقِيمَ لَهُمْ مَلِكًا لِيُقَاتِلُوا مَعَهُ^(٤) الأعداءَ، فكانَ مِنْ أَمْرِهِمْ ما سَنَذْكُرُهُ ممَّا قَصَّ اللَّهُ في كتابِهِ.

قال ابن جرير^(٥): فكانَ يَنْ^(٦) وفاقَ يوشَعَ بنِ نونٍ إلى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) في ص: «جريح». وانظر تاريخ الطبري ٤٦٤/١ - ٤٦٦. وعرائس المجالس ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) تقدم في صفحة ١٩٧.

(٣) سقط من: م.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) تاريخ الطبري ٤٦٥/١.

(٦) في م، ص: «من».

شمویل بن بالی^(۱) ، أربعمائه سنة وستون سنة . ثم ذكر تفصيلها بمدد الملوك
الذين ملکوا عليهم ، وسماءهم واحداً واحداً ، تركنا ذکرهم قصداً .

(۱) فی الأصل : « مالی » .

قصة شمويل،

وفيهما بدأ أمر داود، عليهما السلام

هو شمويل - ويُقال : أشمويل - بنُ بالي بنِ عُلْقَمَةَ بنِ يرخام^(١) بنِ أليهو ابنِ^(٢) تهو بنِ صوف^(٣) بنِ عُلْقَمَةَ بنِ ماحث^(٤) بنِ عموصا بنِ عزريا . قال مُقاتِلٌ : هو من ذُرِّيَّةِ^(٥) هارون . وقال مجاهدٌ : هو أشمويل بنُ هلفاقا . ولم يَزَفَعْ في نَسَبِهِ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٦) .

حكى الشُّدِّيُّ بإسناده ، عن ابنِ عباسٍ ، وابنِ مسعودٍ ، وأُنَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - وَالتَّغْلِييُّ^(٧) - وَغَيْرُهُمْ ؛ أَنَّهُ لَمَّا غَلَبَتِ الْعَمَالِقَةُ مِنْ أَرْضِ غَزَّةَ وَعَسْقَلَانَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ [٢١٥/١] خَلْقًا كَثِيرًا ، وَسَبَّوْا مِنْ أَبْنَائِهِمْ جَمْعًا كَثِيرًا ، وَانْقَطَعَتِ النَّبُوَّةُ مِنْ سِبْطِ لَؤْيَ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ حُبْلَى ، فَجَعَلَتْ تَدْعُو اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يَرْزُقَهَا وَلَدًا ذَكَرًا ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَسَمَّيْتَهُ أَشْمُوِيلَ ، وَمَعْنَاهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ^(٨) إِسْمَاعِيلُ ؛ أَيْ سَمِعَ اللَّهُ دُعَائِي ، فَلَمَّا

(١) في الأصل ، ح ، ص : «حام» .

(٢ - ٣) في الأصل : «بهر صون» . وفي ح : «بهر صوب» . وفي ص : «صوب» .

وراجع في هذا الاسم وما سبقه : تاريخ الطبري ١/ ٤٦٧ .

(٣) في الأصل ، ص : «ماحب» .

(٤) في ح ، م ، ص : «ورثة» .

(٥) التفسير ١/ ٤٤٣ . وانظر عرائس المجالس ٢٣٥ .

(٦) تاريخ الطبري ١/ ٤٦٧ ، ٤٦٨ . وانظر عرائس المجالس ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(٧) في ص : «بالعربية» .

تَرْغَرَعُ بَعَثَتْهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَأَسْلَمَتْهُ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ فِيهِ ؛ يَكُونُ عِنْدَهُ لِيَتَعَلَّمَ مِنْ خَيْرِهِ وَعِبَادَتِهِ ، فَكَانَ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ نَائِمٌ ، إِذَا صَوْتٌ يَأْتِيهِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ، فَانْتَبَهَ مَذْعُورًا ، فَظَنَّهُ الشَّيْخُ يَدْعُوهُ ، فَسَأَلَهُ : أَدْعَوْتَنِي ؟ فَكَّرَهُ أَنْ يُفْزِعَهُ فَقَالَ : نَعَمْ ، نَعَمْ . ثُمَّ . فَنَامَ . ثُمَّ نَادَاهُ الثَّانِيَةُ ، فَكَذَلِكَ ، ثُمَّ الثَّالِثَةُ ، فَإِذَا جَبْرِيلُ يَدْعُوهُ ، فَجَاءَهُ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ قَدْ بَعَثَكَ إِلَى قَوْمِكَ ^(١) . فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ^(٢) : ﴿ هَلْ أَلَمَ تَرَى إِلَى آيَاتِنَا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا يُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُمُ بَسْطَةً فِي أَعْيُنِهِمُ وَالْجِسْمُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُومَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ

(١) تاريخ الطبري ١/٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٢) التفسير ١/٤٤٣ - ٤٤٨ .

يَطْعَمُهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِهُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِذًا وَكُنْتَ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى
الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٤٧﴾ فَهَزَمُوهُمْ يَأْذِنُ اللَّهُ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَتْهُ
اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٤٨﴾

[البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١].

قال أكثر المفسرين: كان نبي هؤلاء القوم [٢١٥/١ ظ] المذكورين في هذه
القصة، هو شمويل. وقيل: شمعون. وقيل: هما واحد. وقيل: يوشع. وهذا
بعيد؛ لما ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير في «تاريخه»^(١)، أن بين موت يوشع
وبعثة شمويل أربعمائة سنة وستين سنة. فالله أعلم.

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء، سألوا نبي
الله في ذلك الزمان، وطلبوا منه أن يُنْصَبَ^(٢) لهم ملكا يكونون تحت طاعته؛
ليقاتلوا من ورائه ومعه، وبين يديه، الأعداء، فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ
كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ﴾، أي: وأي شيء يَمْنَعُنَا مِنَ الْقِتَالِ ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا

(١) ٤٦٥/١.

(٢) في الأصل: «ينصبوا».

وَأَبْنَاءَنَا ﴿١﴾ . يقولون : نحن محروبون متورون ، فحقيق لنا أن نقاتل عن أبنائنا المنهوين ^(١) المستضعفين فيهم ، المأسورين في قبضتهم . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ كما ذكر ^(٢) في آخر القصة ، أنه لم يُجاوِزِ النهر ^(٣) مع الملك ^(٤) إلا القليل ، والباقون رجعوا ونكّلوا عن القتال : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ، قال الثعلبي ^(٥) : وهو طالوت بن قيس ^(٦) بن أفيال بن صارو ^(٧) بن نحورت ^(٨) بن أفيح بن أنيس ^(٩) بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل . قال عكرمة والسدّي : كان سقاء . وقال وهب بن منيبه : كان دباغا . وقيل غير ذلك . فالله أعلم . ولهذا ﴿ قَالُوا أَأَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ .

وقد ذكروا أن الثبوة كانت في سبط لاوي ، وأن الملك كان في سبط يهوذا ، فلما كان هذا من سبط بنيامين ، نفروا منه وطعنوا في إمارته عليهم ، وقالوا : نحن أحق بالملك منه . وذكروا أنه فقير لا سعة من المال معه ، فكيف يكون مثل هذا ملكا ؟ ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادُكُمْ بَسْطَةً فِي

(١) في ح ، م : « المنهوين » . والمنهوين : المأخوذون قهرا .

(٢) في ص : « ذكروا » .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) في عرائس المجالس ٢٣٥ .

(٥) في م : « قيش » .

(٦) في الأصل ، ح ، ص : « صرار » .

(٧) في الأصل : « نحوت » . غير منقوطة . وفي ح : « لوب » . وفي م : « نحورت » . وفي ص :

« لموب » . والمثبت من عرائس المجالس .

(٨) في الأصل ، ح ، ص : « أريش » .

أَلْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴿١﴾ . قيل : كان الله قد أوحى إلى شمويل ، أن أتى بنى
 إسرائيل كان طوله على طول هذه العصا ، وإذا خَضَرَ عندك يَقُورُ هذا القُرُونُ
 الذى فيه من دُهنِ القُدسِ ، فهو مَلِكُهُمْ . فجعلوا يَدْخُلُونَ وَيَقِيسُونَ أَنْفُسَهُمْ
 بتلك العصا ، فلم يكن أحدٌ منهم على طولها سوى طالوت ، ولَمَّا خَضَرَ عند
 شمويلَ فار ذلك القرن ، فَدَهَنَهُ مِنْهُ وَعَيَّنَهُ الْمَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وقال لهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
 أَصْطَفَاكُمْ عَلَيْكُمْ وَزَادَكُمْ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ﴾ ؛ قيل : فى أمرِ الحروبِ .
 وقيل : بل مطلقاً . ﴿ وَالْجِسْمِ ﴾ ؛ قيل : الطول . وقيل : الجمال .
 والظاهرُ من السياقِ ، أنه كانَ أَجْمَلَهُمْ وَأَعْلَمَهُمْ [٢١٦/١] بعدَ نبيهم عليه
 السلام . ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَكُمْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ فله الحكمُ ، وله الخلقُ والأمرُ
 ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
 يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ
 مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿ وهذا أيضاً مِنْ بَرَكَاتِهِ وَلَا يَهْدِيهِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَلَيْهِمْ وَيُؤَيِّنُهُ
 عَلَيْهِمْ ؛ أَنْ يَزِدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ التَّابُوتَ الَّذِي كَانَ سُلْبَ مِنْهُمْ ، وَقَهَرَهُمُ الْأَعْدَاءُ
 عَلَيْهِ ، وقد كانوا يُنْصَرُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ بِسَبَبِهِ . ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن
 رَبِّكُمْ ﴾ ، قِيلَ : طُسْتُ^(١) مِنْ ذَهَبٍ كَانَ يُغْسَلُ فِيهِ صُدُورُ الْأَنْبِيَاءِ . وقيل :
 السَّكِينَةُ مِثْلُ الرِّيحِ الْخَجُوجِ^(٢) . وقيل : صُورَتُهَا مِثْلُ الْهَيْرَةِ ، إِذَا صَرَخَتْ فِي
 حَالِ الْحَرْبِ ، أَتَقَنَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِالنَّصْرِ . ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ

(١) فى ح ، م ، ص : «طشت» .

(٢) الخُجُوج : الشديدة المُرُور فى غير استواء . اللسان (خ ج ج) .

وهو أثر عن عليّ رضى الله عنه ، رواه ابن جرير فى تفسيره ٦١١/٢ .

وَأَلْ هَسْرُونَ ﴿١﴾ قِيلَ : كَانَ فِيهِ رُضَاضٌ ^(١) الْأَلْوَاخِ وَشَيْءٌ مِنَ الْمَرْءِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ بِالنَّيْبِ . ﴿٢﴾ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴿٣﴾ أَيْ ؛ تَأْتِيكُمْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ يَحْمِلُونَهُ وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ ذَلِكَ عَيْنَانَا ؛ لِيَكُونَ آيَةً لِلَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَحُجَّةٌ ^(٤) بَاهِرَةٌ عَلَى صِدْقِ مَا أَقُولُهُ لَكُمْ ، وَعَلَى صِحَّةِ وِلَايَةِ هَذَا الْمَلِكِ الصَّالِحِ عَلَيْكُمْ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦﴾ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا غَلَبَ الْعَمَالِقَةُ عَلَى هَذَا التَّابُوتِ ، وَكَانَ فِيهِ مَا ذُكِرَ مِنَ السَّكِينَةِ وَالْبَقِيَّةِ الْمُبَارَكَةِ - وَقِيلَ : كَانَ فِيهِ التُّورَةُ أَيْضًا - فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَضَعُوهُ تَحْتَ صَنْمٍ لَهُمْ بِأَرْضِهِمْ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا إِذَا التَّابُوتُ عَلَى رَأْسِ الصَّانِ فَوْضَعُوهُ تَحْتَهُ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي إِذَا التَّابُوتُ فَوْقَ الصَّانِ ، فَلَمَّا تَكَرَّرَ هَذَا عَلِمُوا أَنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَخْرَجُوهُ مِنْ بَلَدِهِمْ وَجَعَلُوهُ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهِمَ ، فَأَخَذَهُمْ دَاءٌ فِي رِقَابِهِمْ ، فَلَمَّا طَالَ عَلَيْهِمْ هَذَا جَعَلُوهُ فِي عَجَلَةٍ وَرَبَطُوهَا فِي بَقَرَتَيْنِ وَأَرْسَلُوهُمَا ، فَيَقَالُ : إِنْ الْمَلَائِكَةُ سَاقَتْهُمَا حَتَّى جَاءُوا ^(٧) بِهِمَا مَلَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ، كَمَا أَخْبَرَهُمْ نَبِيُّهُمْ بِذَلِكَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ عَلَى أَيْ صِفَةٍ جَاءَتْ بِهِ الْمَلَائِكَةُ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانَتْ تَحْمِلُهُ بِأَنْفُسِهِمْ ، كَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ ^(٨) مِنَ الْآيَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ قَدْ ذَكَرَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَوْ أَكْثَرُهُمْ . ﴿٩﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴿١٠﴾ قَالَ

(١) رُضَاضُ الشَّيْءِ : قُتَاتُهُ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَحُجَّتُهُ » .

(٣) فِي ص : « جَاوَزُوا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ ، ح ، ص : « الْمَفْهُومُ بِالْجُنُودِ » .

ابن عباس وكثير من المفسرين: هذا النهر هو نهر الأردن. وهو المسمى بالشرعية، فكان من أمر طالوت بجنوده عند هذا [٢١٦/١ ط] النهر، عن أمر نبي الله له^(١)، عن أمر الله له، اختباراً وامتحاناً؛ أن من شرب من هذا النهر اليوم^(٢) فلا يصحبني في هذه الغزوة، ولا يصحبني إلا من لم يطعمه، إلا غُرْفَةً في يده. قال الله تعالى: ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾. قال السدّي: كان الجيش ثمانين ألفاً، فشرب منه ستة وسبعون ألفاً، وتبقى معه أربعة آلاف. كذا قال.

وقد رَوَى البخاري في «صحيحه»^(٣)، من حديث إسرائيل وزهري والثوري، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: كُنَّا أصحابَ محمد ﷺ، نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرِ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ - الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا^(٤) مُؤْمِنٌ - بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ. وَقَوْلُ السُّدِّيِّ أَنَّ عِدَّةَ الْجَيْشِ كَانُوا ثَمَانِينَ أَلْفًا،^(٥) فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ أَرْضَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَا تَحْتَمِلُ أَنْ يَجْتَمَعَ فِيهَا جَيْشٌ مُّقَاتِلَةٌ يَتَلَعَّوْنَ ثَمَانِينَ أَلْفًا^(٦). وَاللَّهُ أَعْلَمُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾، أَيْ؛ اسْتَقْلُوا أَنْفُسَهُمْ وَاسْتَضَعُّوْهَا عَنْ مُقَاوَمَةِ أَعْدَائِهِمْ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَلَّتِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِ عَدُوِّهِمْ، ﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ

(١) في الأصل: «لهم».

(٢) سقط من: م.

(٣) البخاري (٣٩٥٨). من حديث إسرائيل. و(٣٩٥٧) من حديث زهري. و(٣٩٥٩) من حديث الثوري.

(٤ - ٤) في م: «بضعة عشر وثلثمائة مؤمن».

(٥ - ٥) سقط من: ص.

أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمَنْ مِنْ فَتَحَ فَلَيْلَةً غَلَبَتْ فَتَةً كَثِيرَةً^(١) يَأْذِنُ اللَّهُ
وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢﴾ ؛ ^(٣) يَغْنَى : ثَبَّتَهُم الشُّجْعَانُ مِنْهُمْ وَالْفُرْسَانُ^(٤) أَهْلُ الْإِيمَانِ
وَالْإِيْقَانِ ، الصَّابِرُونَ عَلَى الْجِلَادِ وَالْجِدَالِ^(٥) وَالطَّعَانِ . ﴿٣﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُفْرِغَ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ ؛ أَيْ
يَعْمُرَهُمْ بِهِ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَتَسْتَقِرُّ^(٥) قُلُوبُهُمْ وَلَا تَقْلَقُ ، وَأَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ فِي
مَجَالِ الْحَرْبِ ، وَمُعْتَرِكِ الْأَبْطَالِ ، وَخَوْمَةِ الْوَعَى ، وَالِدَعَاءِ إِلَى النَّزَالِ ، فَسَأَلُوا
التَّيْبَتَ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ ، وَأَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَائِهِ ، مِنْ
الْكَافِرِينَ الْجَا حِدِينَ بِآيَاتِهِ وَآلَاتِهِ ، فَأَجَابَهُمُ الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَأَنَالَهُمْ مَا إِلَيْهِ فِيهِ رَغَبُوا ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ
يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ ﴿٥﴾ أَيْ ؛ بِخَوْلِ اللَّهِ لَا بِخَوْلِهِمْ ، وَبِقُوَّةِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ لَا بِقُوَّتِهِمْ
وَعَدِيدِهِمْ ، مَعَ كَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ وَكَمَالِ عَدِيدِهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ بِبَدْرِ وَآتَمَّ آذِلَّةً فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ﴾ ﴿٦﴾ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى شَجَاعَةِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ قَتَلَهُ
قَتْلًا أَذِلًّا بِهِ جُنْدُهُ^(٦) وَكَسَرَ جَيْشَهُ^(٧) ، وَلَا أُعْظِمَ مِنْ غَزْوَةٍ يَقْتُلُ فِيهَا^(٨) مَلِكٌ
عَدُوَّهُ ، [٢١٧/١ و] فَيَغْنَمُ بِسَبَبِ ذَلِكَ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةَ ، وَيَأْسِرُ الْأَبْطَالَ

(١ - ١) فِي ح : « يَغْنَى ثَبَّتَهُمُ الْفُرْسَانُ مِنْهُمْ وَالْفُرْسَانُ » . وَفِي م : « يَغْنَى بِهَا الْفُرْسَانُ مِنْهُمْ وَالْفُرْسَانُ » .

(٢) الْجِدَالُ : الْمُخَاصِمَةُ وَالصَّرَاحُ . تَاجُ الْعُرُوسِ (ج د ل) .

(٣) فِي ص : « فَتَسْتَقِرُّ » .

(٤ - ٤) فِي ح ، م : « وَكُسِرَ » .

(٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ح ، ص .

والشُّجْعَانِ وَالْأَقْرَانِ^(١)، وتعلو كلمة الإيمان على الأوثان، ويُدَالُ لأوليائه الله على أعدائه، ويظهر الدين الحق على الباطل وأوليائه. وقد ذكر الشَّدْيُ فيما يَزُوِيهِ، أَنَّ دَاوُدَ، عليه السَّلامُ، كان أصغرَ^(٢) أولادِ أبيه، وكانوا ثلاثة عشرَ ذَكَرًا، كان سَمِيعُ طالوتَ ملكَ بنى إسرائيلَ وهو يُحَرِّضُ بنى إسرائيلَ على قَتْلِ جالوتَ وجنوده، وهو يقول: مَنْ قَتَلَ جالوتَ زَوَّجْتُهُ بَابْتِي، وأشركته في مُلْكِي. وكان داودُ، عليه السَّلامُ، يَزِي بِالقَدَافَةِ - وهو المِقْلَاعُ - رَمِيًا عَظِيمًا، فَبَيْنَمَا هو سائرٌ مع بنى إسرائيلَ إِذْ نَادَاهُ حَجَرٌ، أَنْ خُذْنِي فَإِنَّ بِي تَقْتُلُ جالوتَ. فَأَخَذَهُ، ثُمَّ حَجَرَهُ آخَرَ كَذَلِكَ، ثُمَّ آخَرَ كَذَلِكَ، فَأَخَذَ الثلاثةَ في مِخْلَاتِهِ، فَلَمَّا تَوَاجَعَ الصَّفَّانِ، بَرَزَ جالوتُ ودعا إلى نَفْسِهِ، فتقدَّم إليه داودُ، فقال له: ارجِعْ، فَإِنِّي أَكْرَهُ قَتْلَكَ. فقال: لَكِنِّي أَحِبُّ قَتْلَكَ. وَأَخَذَ تِلْكَ الأحجارَ الثلاثةَ^(٣) مِنْ مِخْلَاتِهِ فَوَضَعَهَا فِي القَدَافَةِ ثُمَّ أَدَارَهَا، فصارتِ الثلاثةُ حَجَرًا واحدًا، ثُمَّ رَمَى بِهَا جالوتَ ففَلَقَ رَأْسَهُ، وَفَرَّ جَيْشُهُ مُنْهَرِمًا، فَوَقَّى له طالوتُ بما وعدَه؛ فزَوَّجَه ابنتَهُ^(٤) وَأَجْرَى حُكْمَهُ فِي مُلْكِهِ، وَعَظَّمَ دَاوُدَ، عليه السَّلامُ، عِنْدَ بنى إسرائيلَ، وأحبُّوه ومالُوا إليه أَكْثَرَ مِنْ طالوتَ، فَذَكَرُوا أَنَّ طالوتَ حَسَدَهُ وَأَرَادَ قَتْلَهُ، واحتالَ على ذلك، فلم يَصِلْ إليه، وجعلَ العلماءُ يَنْهَوْنَ طالوتَ عن قَتْلِ دَاوُدَ، ففَسَلَّطَ عليهم فقتلهم، حتى لم يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا القليلُ، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ تَوْبَةٌ وَنَدَمٌ وإِقْلَاعٌ عما سَلَفَ مِنْهُ، وجعلَ يُكْثِرُ مِنَ البُكَاءِ،

(١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في الأصل: «صغيراً».

(٣ - ٣) زيادة من: ص.

(٤ - ٤) في ح: «وأخرى حلمه في مله».

وَيَخْرُجُ إِلَى الْجَبَانَةِ فَيَبْكِي حَتَّى يَبُلَّ الثَّرَى بِدُمُوعِهِ ، فَتُودَى ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْجَبَانَةِ : أَنْ يَا طَالُوتَ ، قَتَلْتَنَا وَنَحْنُ أَحْيَاءُ ، وَأَذَيْتَنَا وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ . فَازْدَادَ لَذَلِكَ بَكَاءَهُ وَخَوْفُهُ ، وَاشْتَدَّ وَجَلُّهُ ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ غَالِمٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أَمْرِهِ ، وَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ، فَقِيلَ لَهُ : وَهَلْ أَبْقَيْتَ عَالِمًا ؟ حَتَّى دُلَّ عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ الْعَابِدَاتِ ، فَأَخَذَتْهُ فَذَهَبَتْ بِهِ إِلَى قَبْرِ يَوْشَعَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالُوا : فَذَعَتِ اللَّهُ ، فَقَامَ يَوْشَعُ مِنْ قَبْرِهِ ، فَقَالَ : أَقَامَتِ الْقِيَامَةُ ؟ فَقَالَتْ : لَا ، وَلَكِنَّ هَذَا طَالُوتُ يَسْأَلُكَ : هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، يَنْخَلِيعُ مِنَ الْمَلِكِ ، وَيَذْهَبُ فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يُقْتَلَ . ثُمَّ عَادَ مَيِّتًا . فَتَرَكَ^(١) الْمَلِكُ لِدَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَذَهَبَ وَمَعَهُ ثَلَاثَةُ عَشَرَ مِنْ أَوْلَادِهِ ، فَقَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى قُتِلُوا . قَالُوا : فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ اللَّهُ [٢١٧/١] الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ . هَكَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي « تَارِيخِهِ »^(٢) ، مِنْ طَرِيقِ السُّدِّيِّ بِإِسْنَادِهِ . وَفِي بَعْضِ هَذَا نَظَرٌ وَنَكَارَةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : النَّبِيُّ الَّذِي يُعْتَفَى عَنْهُ طَالُوتُ بِتَوْبَتِهِ ، هُوَ الْيَسَعُ ابْنُ أَخْطُوبَ . حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ أَيْضًا^(٣) . وَذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ^(٤) أَنَّهَا أَتَتْ بِهِ إِلَى قَبْرِ أَشْمُوِيلَ ، فَعَاتَبَتْهُ عَلَى مَا صَنَعَ بَعْدَهُ مِنَ الْأُمُورِ . وَهَذَا أَنْسَبُ . وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا رَأَاهُ فِي النَّوْمِ ، لَا أَنَّهُ قَامَ مِنَ الْقَبْرِ حَيًّا ؛ فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ مُعْجَزَةً لِنَبِيِّ ، وَتِلْكَ الْمَرْأَةُ لَمْ

(١) فِي ح : « فَذَهَبَ » .

(٢) ٤٧٢/١ - ٤٧٥ . مَطْوَلًا .

(٣) فِي تَارِيخِهِ ٤٧٥/١ .

(٤) عَرَائِسُ الْمَجَالِسِ ٢٤٣ .

تَكُنْ نَبِيَّةً. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. "قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ": وَزَعَمَ أَهْلُ التَّوْرَةِ أَنَّ مُدَّةَ مُلْكِ
طَالُوتَ إِلَى أَنْ قُتِلَ مَعَ أَوْلَادِهِ، "كَانَتْ أَرْبَعِينَ" سَنَةً. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١ - ١) سقط من: م. وانظر تاريخ الطبري ١/٤٧٥.
(٢ - ٢) في ح: «أربعين». وفي م: «أربعون».

قِصَّةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَمَا كَانَ فِي أَيَّامِهِ وَذِكْرُ^(١)

فَضَائِلُهُ وَشَمَائِلُهُ وَدَلَائِلُ نُبُوتِهِ وَأَعْلَامِهِ

هو داودُ بنُ إيشا بنِ عُويْدَ بنِ باعزَّ^(٢) بنِ سلمونَ بنِ نحشونَ^(٣) بنِ عويناذبَ^(٤) بنِ إرمَ بنِ حصرونَ بنِ فارصَ^(٥) بنِ يهوذا^(٦) بنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ الخليل، عبدُ اللَّهِ ونبيُّه وخليفته في أرضِ يَبِيتِ المقدسِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ^(٧) عن بعضِ أهلِ العِلْمِ، عن وَهْبِ بنِ مُتَيْبٍ : كان داودُ، عليه السلامُ، قصيرًا أزرقَ العَيْنَيْنِ، ^(٨) « قَلِيلَ الشَّعْرِ »، طاهرَ القلبِ نَقِيَّةً . تَقَدَّمَ أَنَّهُ لَمَّا قَتَلَ جَالوتَ، وكان قَتْلُهُ لَهُ - فيما ذَكَرَ ابنُ عساکرَ^(٩) - عندَ قَصْرِ أُمِّ حَكِيمٍ بِقَرَبِ مَرْجِ الصُّفَرِ . فَأَحْبَبَتْهُ بنو إِسْرَائِيلَ ومَالُوا إِلَيْهِ وإلى مُلْكِهِ عَلَيْهِمُ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ طَالوتَ مَا كَانَ، وصارَ الْمُلْكُ إلى داودَ، عليه السلامُ، وَجَمَعَ اللَّهُ

(١) في م : « ثم » .

(٢) في ح ، م ، ص : « عابر » .

(٣) في ح : « لحسون » . وفي ص : « بحشون » .

(٤) في ح : « عوسادب » . وفي ص : « عوسادب » .

(٥) في الأصل : « مارض » .

(٦) في الأصل ، ح ، ص : « يهوذا » .

وراجع في هذا الاسم وما سبقه : تاريخ الطبري ٤٧٦/١ .

(٧) تاريخ الطبري ٤٧٦/١ .

(٨ - ٨) سقط من : ح . وفي ص : « حسن الشعر » .

(٩) تاريخ مدينة دمشق ٨٠/١٧ .

له بين الملك والثبوة؛ بين خيبر^(١) الدنيا والآخرة، وكان الملك يكون في سبط
والثبوة في سبط^(٢) آخر، فاجتمع في داود هذا وهذا، كما قال تعالى^(٣) :
﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا
يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. أى؛ لولا إقامة
الملوك حكاماً على الناس، لأكل قوئى الناس ضعيفهم. ولهذا جاء فى بعض
الآثار: «السلطان ظلُّ الله فى أرضه»^(٤). وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان:
إنَّ اللهَ لَيَرْعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَرْعُ بِالْقُرْآنِ^(٥). وقد ذكّر ابن جرير فى
«تاريخه»^(٦): أَنَّ جَالُوتَ لَمَّا بَارَزَ طَالُوتَ، فقال له: اخْرُجْ إِلَىَّ أَوْ اخْرُجْ إِلَيْكَ.
فندب طالوتُ الناسَ، فائْتَدَبَ دَاوُدُ، فَقَتَلَ جَالُوتَ. قال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: فمال
الناسُ إلى دَاوُدَ، حتى لم يَكُنْ لَطَالُوتَ ذِكْرٌ، وخلقوا طالوتَ وولّوا عليهم
دَاوُدَ. وقيل: إِنَّ [٢١٨/١] ذلك عن أمرِ شمويلَ، حتى قال بعضهم: إِنَّهُ وَلَاهُ
قَبْلَ الْوَقْعَةِ.

قال ابن جرير^(٧): والذي عليه الجمهور، أنه إنما ولى الملك^(٨)، بعد قتل

(١) فى ح، م، ص: «خير».

(٢) زيادة من: الأصل.

(٣) التفسير ٤٤٧/١.

(٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١٠١٧، ١٠٢٤). وهو عن أبى بكره عن النبى ﷺ. وقال
الألبانى: حديث حسن.

(٥) ذكر السيوطى فى الدر المنثور ١٩٩/٤ نحوه من قول عمر بن الخطاب، وعزاه للخطيب البغدادى.
وذكره المصنف فى تفسيره ١٠٩/٥ مرفوعاً.

(٦) ٤٧٨/١.

(٧) فى تاريخه ٤٧٨/١.

(٨) فى ح، م: «ذلك».

جالوت . والله أعلم . "وروى ابن عساكر^(١) ، عن سعيد بن عبد العزيز : أن قتله جالوت كان عند قصر أم حكيم ، وأن النهر الذي هناك هو المذكور في الآية . والله أعلم ."

وقال تعالى^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٥٦﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغًا وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبا : ١٠ ، ١١] .

وقال تعالى^(٣) : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرُ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٥٧﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩ ، ٨٠] . أعانه الله على عمل الدروع من الحديد ؛ ليحصن المقاتلة من الأعداء ، وأرشدته إلى صنعتها وكيفيتها ، فقال : ﴿ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ . أى ؛ لا تديق^(٤) المسمار فيقلق^(٥) ، ولا تغلظه فيفصم . قاله مجاهد ، وقتادة ، والحكم ، وعكرمة ، وغيرهم^(٦) . قال الحسن البصري ، وقتادة ، والأعمش : كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده ، لا يحتاج إلى نار ولا مطرقة . قال قتادة : فكان أول من عمل الدروع من زرد^(٨) ،

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى تاريخ دمشق ٨٠ / ١٧ .

(٣) التفسير ٤٨٥ / ٦ ، ٤٨٦ .

(٤) التفسير ٣٥٢ / ٥ .

(٥) فى الأصل : « ترق » . وتديق أى لا تجعله دقيقا رقيقا .

(٦) فى الأصل : « فيقلق » . وفى ح : « مبعلق » . وفى م : « فيقلق » . وما أثبتناه هو الموافق للمعنى ، ولما أورده ابن كثير فى التفسير . ويقلق : يتقلقل ويتحرك ويكون غير ثابت .

(٧) سقط من : ح ، م . وانظر التفسير ٤٨٦ / ٦ .

(٨) الزرد : جلق الميفر والدروع .

وإنما كانت قبل ذلك صفائح . قال ابن شَوَذِب : كان يعمل كل يوم دِرْعًا يبيعها بستّة آلاف دِرْهَم .

وقد ثبت في الحديث الصحيح ^(١) : « إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِ يَدِهِ » .

وقال تعالى ^(٢) : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝٧ ﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝٩ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ﴿ [ص : ١٧ - ٢٠] . قال ابن عباس ، ومجاهد : الأيد : القوة في الطاعة . يعنى : كان ^(٣) ذا قوة في العبادة والعمل الصالح . قال قتادة : أُعْطِيَ قُوَّةً فِي الْعِبَادَةِ وَفَقَهَا فِي الْإِسْلَامِ . قال : وقد ذُكِرَ لنا أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر .

وقد ثبت في « الصحيحين » ^(٤) ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ؛ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى » . وقوله : ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝٨ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝٩ ﴾ ، كما قال : ﴿ يَجِئَالِ آوِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۝٩ أَى ؛

(١) سقط من : ح ، م .

والحديث أخرجه البخارى (٢٠٧٢) بلفظ : « ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده » .

(٢) التفسير ٤٩/٧ - ٥١ .

(٣) سقط من : ح ، م .

(٤) في مواضع متعددة ، وأقربها إلى لفظ المصنف : البخارى (١١٣١) ، ٣٤١٩ ، ٣٤٢٠ . مسلم (١١٥٩) .

سَبَّحِي مَعَهُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ؛ أَيْ عِنْدَ آخِرِ النَّهَارِ وَأَوَّلِهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ وَهَبَهُ مِنَ الصَّوْتِ [٢١٨/١ ظ] الْعَظِيمِ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا ، بَحِيثٌ إِنَّهُ كَانَ إِذَا تَرْتَّمَتْ بِقِرَاءَةِ كِتَابِهِ ، يَقِفُ الطَّيْرُ فِي الْهَوَاءِ ، يُرْجِعُ بِتَرْجِيْعِهِ وَيُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ ، وَكَذَلِكَ الْجِبَالُ تُجِيبُهُ وَتُسَبِّحُ مَعَهُ كُلَّمَا سَبَّحَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ . وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ قَالَ : أُعْطِيَ دَاوُدُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَطُّ ؛ حَتَّى إِنْ كَانَ الطَّيْرُ وَالْوَحْشُ لَيَعْكِفُ ^(١) حَوْلَهُ حَتَّى يَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا ، وَحَتَّى إِنْ الْأَنْهَارُ لَتَقِفُ . وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ : كَانَ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا حَجَلَ كَهَيْئَةِ الرَّقِصِ ، وَكَانَ يَقْرَأُ الزُّبُورَ بِصَوْتٍ لَمْ تَسْمَعْ الْآذَانُ بِمِثْلِهِ ، فَيَعْكِفُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ وَالطَّيْرُ ^(٢) وَالْدُّوَابُّ عَلَى صَوْتِهِ حَتَّى يَهْلِكَ بَعْضُهَا جُوعًا .

وَقَالَ أَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ ^(٣) : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ مَنْصُورِ الطُّوسِيِّ ، سَمِعْتُ ضُبَيْحًا ^(٤) أَبَا ثَرَابٍ . « ح » ^(٥) ، قَالَ أَبُو عَوَانَةَ : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُزْنِيُّ ^(٦) ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ الْعَدَوِيِّ ، حَدَّثَنَا سَيَّارٌ ^(٧) ، هُوَ ابْنُ حَاتِمٍ ، عَنْ جَعْفَرٍ ، عَنْ مَالِكٍ قَالَ : كَانَ دَاوُدُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذَا أَخَذَ

(١) فِي ح ، م ، ص : « يَعْكِفُ » .

(٢) لَيْسَتْ فِي : ح .

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقَ ١٧ / ١٠٠ .

(٤) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

(٥) فِي م : « أَنْبَتْنَا بَرَادَ » . وَ « ح » مَعْنَاهَا تَحْوِيلُ الْإِنْسَانِ .

(٦) فِي ص : « ابْنُ » .

(٧) فِي النُّسخِ : « الْمَدْنِيُّ » . وَالْمُثَبَّتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٨) فِي ص : « سَنَانٌ » .

(٩) فِي ص : « أَبُو » .

فى قراءۃ الزُّبُور، تَفَتَّتْ^(١) الْعَدَارَى . وهذا غريبٌ . وقال عبدُ الرزاقِ^(٢) ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : سألتُ عطاءً عن القراءةِ على الغناءِ ، فقال : وما بأُسُّ بذلك ؟ سمعتُ عُبيدَ بنَ عُمَيْرٍ^(٣) يقول : كان داوُدُ ، عليه السلامُ ، يأخذُ المِغْزَفَةَ^(٤) ، فيضربُ بها ، فيقرأُ عليها ، فتَرُدُّ عليه صوتُهُ ؛ يريدُ بذلك أن يَتَكَيَّ وَيُتَكَيَّ .

وقال الإمامُ أحمدُ^(٥) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : سَمِعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ صوتَ أبى موسى الأشْعَرِيِّ وهو يقرأُ ، فقال : « لَقَدْ أُوتِيَ أبو موسى مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » . وهذا على شرطِ الشيخينِ ، ولم يُخْرِجَاهُ مِنْ هذا الوجهِ .

وقال أحمدُ^(٦) : حَدَّثَنَا^(٧) حَسَنٌ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ^(٨) بنُ سَلَمَةَ ، عن محمدِ بنِ عمرو^(٩) ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لَقَدْ أُعْطِيَ أبو موسى مِنْ مَزَامِيرِ دَاوُدَ » . على شرطِ مسلمٍ .

وقد رَوَيْنَا عن أبى عُثْمَانَ التَّهْدِي^(١٠) ، أَنَّهُ قال : لَقَدْ سَمِعْتُ

(١) أي : ظهرت وبرزت ، يقال : أَفْتَقَ القمرُ . إذا برز بين سحابتين سوداوين . « اللسان » (ف ت ق) .

(٢) مصنف عبد الرزاق ٤٨١ / ٢ . ومن طريقه ابن عساكر ١٧ / ١٠١ .

(٣) فى م : « عمر » .

(٤) فى ح : « الغرفة » . وفى م : « العزفة » . وفى ص : « المرفة » .

(٥) أحمد فى المسند ٦ / ١٦٧ .

(٦) أحمد فى المسند ٢ / ٣٥٤ . قال الهيثمى فى المجمع ٩ / ٣٥٩ : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وهو حسن الحديث .

(٧ - ٨) فى ص : « حسن بن حماد » .

(٨) فى م : « عمر » .

(٩) فى ح ، م : « الترمذى » .

الْبَزْطُ^(١) وَالْمِزْمَارُ، فَمَا سَمِعْتُ صَوْتًا أَحْسَنَ مِنْ صَوْتِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ .

وقد كان مع هذا الصوت الرَّخِيم، سريع القراءة لكتابه الزُّبُور، كما قال الإمام أحمد^(٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقِرَاءَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَائِيهِ فَتُسْرَجُ، فَكَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْرَجَ دَائِيَّتُهُ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلٍ يَدِيهِ » .

وكذلك رواه البخاري^(٣) مُتَّفَرِّدًا بِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ، [٢١٩/١] وَلَفْظُهُ « خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَائِيهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَائِيَّتُهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلٍ يَدِيهِ » . ثم قال البخاري : وَرواه موسى بْنُ عُقْبَةَ^(٤)، عَنْ صَفْوَانَ - هُوَ ابْنُ سُلَيْمٍ^(٥) - عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . وَقَدْ أَسْنَدَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَرْجُمَةِ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي « تَارِيخِهِ »^(٦) مِنْ طَرِيقٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، وَمِنْ طَرِيقٍ أَبِي عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي بَكْرِ السَّيْرِيِّ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ بِهِ .

والمراءُ بالقرآن ههنا الزُّبُورُ الذي أَنْزَلَهُ اللَّهُ^(٧) عَلَيْهِ وَأَوْحَاهُ إِلَيْهِ . وَذِكْرُ

(١) البزط : الغود ؛ من آلات الموسيقى .

(٢) أحمد في المسند ٣١٤ / ٢ . (صحيح) .

(٣) البخاري (٣٤١٧) .

(٤) في ص : « عيينة » .

(٥) في الأصل : « سلم » .

(٦) تاريخ دمشق ٨٩ / ١٧ ، ٩٠ .

(٧) زيادة من : الأصل .

دَوَائِهِ^(١) أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ مُحْفُوظًا؛ فَإِنَّهُ كَانَ مَلِكًا لَهُ أَتْبَاعٌ، فَكَانَ يَقْرَأُ الزُّبُورَ بِمِقْدَارِ مَا تُسْرَجُ الدَّوَابُّ، وَهَذَا أَمْرٌ سَرِيعٌ مَعَ التَّدْبِيرِ وَالتَّرَنُّمِ وَالتَّغَنَّى بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّخَشُّعِ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٢): ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. وَالزُّبُورُ كِتَابٌ مَشْهُورٌ، وَذَكَرْنَا فِي «التفسير» الْحَدِيثَ الَّذِي رَوَاهُ أَحْمَدُ^(٣) وَغَيْرُهُ^(٤)، أَنَّهُ أُنْزِلَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ^(٥) مَعْرُوفٌ لِمَنْ نَظَرَ فِيهِ.

وقوله تعالى^(٦): ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْكِتَابَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. أَيْ؛ أَعْظَمْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا وَحُكْمًا نَافِذًا. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٧)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلَيْنِ تَدَاعَا إِلَى دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي بَقَرٍ، ادَّعَى^(٨) أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ أَنَّهُ اغْتَصَبَهَا مِنْهُ، فَأَنْكَرَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ^(٩)، فَأَرْجَأَ أَمْرَهُمَا إِلَى اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَقْتُلَ الْمُدَّعِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ دَاوُدُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَقْتُلَكَ، فَأَنَا قَاتِلُكَ لَا مَحَالَةَ، فَمَا خَبَرُكَ فِيمَا ادَّعَيْتَهُ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: وَاللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ أَحْقِّ فِيمَا ادَّعَيْتُ عَلَيْهِ،

(١) فِي م، ص: «رَوَايَةٌ».

(٢) التفسير ٤٢٢/٢.

(٣) فِي الْمُسْنَدِ ١٠٧/٤. عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ «الزُّبُورِ» وَكَذَا فِي جَامِعِ الْمُسَانِيدِ لِلْمُصَنِّفِ ٣٤١/١٢. وَحُسْنُهُ الْأَلْبَانِي فِي الصَّحِيحَةِ (١٥٧٥). أَمَّا الَّذِي فِيهِ لَفْظُ «الزُّبُورِ» فَهُوَ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ لِلْبَيْهَقِيِّ ص ٢٣٣، ٢٣٤، مِنْ طَرِيقِ عِمْرَانَ بِهِ.

(٤) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلُ.

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ: الْأَصْلُ.

(٦) التفسير ٥٠/٧، ٥١.

(٧) ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٣٨/٢٣، ١٣٩. الدَّرُ الْمَشْهُورُ ٢٩٩/٥، ٣٠٠. وَغَرَاهُ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(٨) فِي الْأَصْلِ: «ادَّعَاهَا».

(٩) سَقَطَ مِنْ: ح.

ولكنني كنت اغتلت أباه قبل هذا فقتلته^(١). فأمر به داود فقتل؛ فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدًا، وخضعوا له خضوعًا عظيمًا. قال ابن عباس: فهو قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَأَيَّنَّا الْحِكْمَةَ﴾، أي؛ النبوة. ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾، قال سُرَيْج، والشَّعْبِيُّ، وَقَتَادَةُ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ، وغيرهم ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابِ﴾: الشُّهُودُ والأَيْمَانُ. يَغْنُون بذلك البَيِّنَةُ على المدَّعي، واليمين على مَنْ أَنْكَرَ. وقال مجاهدٌ والسُّدِّيُّ: هو إصَابَةُ القَضَاءِ وفَهْمُهُ. وقال مجاهدٌ: هو الفَصْلُ في الكلام وفي الحكم. واختاره ابن جرير. وهذا لا يُنافي ما رَوَى عن أبي موسى، أنه قَوْلُ: أَمَا بَعْدُ. وقال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: لَمَّا كَثُرَ الشُّرُوشُ وَشَهَادَاتُ الزُّورِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أُعْطِيَ دَاوُدُ سِلْسِلَةً [٢١٩/١ ط] لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَكَانَتْ مَمْدُودَةً مِنَ السَّمَاءِ إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ، فَإِذَا تَشَاجَرَ الرَّجُلَانِ فِي حَقٍّ، فَأَيُّهُمَا كَانَ مُحِقًّا نَالَهَا، وَالْآخَرُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا، فَلَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى أَوْدَعَ رَجُلٌ رَجُلًا لَوْلُؤَةً، فَجَحَدَهَا مِنْهُ، وَاتَّخَذَ عُكَّازًا وَأَوْدَعَهَا فِيهِ، فَلَمَّا حَضَرَا عِنْدَ السِّلْسِلَةِ^(٢)، تَنَاوَلَهَا الْمُدَّعِي، فَلَمَّا قِيلَ لِلْآخِرِ: خُذْهَا بِيَدِكَ. عَمَدَ إِلَى الْعُكَّازِ، فَأَعْطَاهُ الْمُدَّعِي، وَفِيهِ تِلْكَ اللَّوْلُؤَةُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي دَفَعْتُهَا إِلَيْهِ. ثُمَّ تَنَاوَلَ السِّلْسِلَةَ فَنَالَهَا، فَأَشْكَلَ أَمْرُهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ رُفِعَتْ سَرِيعًا مِنْ بَيْنِهِمْ^(٣). ذَكَرَهُ بِمَعْنَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ. وَقَدْ رَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ بَشِيرٍ، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ سَيْنَانَ^(٤)، عَنْ وَهْبٍ بِهِ بِمَعْنَاهُ.

(١) زيادة من: الأصل.

(٢) في ح، م، ص: «الصخرة».

(٣) ذكره الثعلبي في عرائس المجالس، عن الضحاك، عن ابن عباس، بنحوها ص ٢٤٦.

(٤) في الأصل: «يسار».

قال تعالى^(١): ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصَمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَةً وَلِي نَجَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: ٢١-٢٥].

وقد ذَكَرَ كثيرٌ من المفسرين، من السلف والخلف، ههنا قَصَصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليَّات، ومنها ما هو مَكْذُوبٌ لا محالة، تَرَكْنَا إيرادها في كتابنا قَصْدًا؛ اكْتِفَاءً واقتصارًا على مُجَرَّدِ تِلَاوَةِ الْقِصَّةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقد اختلف الأئمة في سَجْدَةِ «ص»؛ هل هي من عزائم السجود، أو إنما هي سَجْدَةُ شُكْرِ ليست من عزائم السجود؟ على قولين.

قال البخاري^(٢): حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي، عن العوام قال: سألت مجاهدًا عن سَجْدَةِ «ص»، فقال: سألت ابن عباس: من أين سجدت؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾

(١) التفسير ٥١/٧ - ٥٤.

(٢) البخاري (٣٤٢١).

[الأنعام: ٩٠]، فكان داودُ ممن أُمِرَ نبيُّكم ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ، فَسَجَدَهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ^(١): حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، هُوَ ابْنُ عُقَيْلَةَ، عَنْ أَبِيوبَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي السُّجُودِ فِي «ص»: لَيْسَتْ مِنْ عَزَائِمِ السُّجُودِ، وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَسْجُدُ فِيهَا. وَكَذَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ [١/٢٢٠]، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ^(٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِيوبَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وقال النَّسَائِيُّ^(٣): أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ الْمِقْسَمِيُّ^(٤)، حَدَّثَنَا حُجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ ذَرٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي «ص»، وَقَالَ: «سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسَجَدُهَا شُكْرًا». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ^(٥) وَرَجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وقال أبو داودَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلَالٍ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ^(٦) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَرْجٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمُنْبَرِ «ص»، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ، نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ آخِرِ

(١) فِي الْمُسْنَدِ ١/٣٦٠. (إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ).

(٢) الْبُخَارِيُّ (٣٤٢٢). وَأَبُو دَاوُدَ (١٤٠٩). وَالتِّرْمِذِيُّ (٥٧٧). وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (١١١٧٠).

(٣) النَّسَائِيُّ (٩٥٦). وَفِي الْكَبِيرِ (١١٤٣٨).

(٤) فِي الْأَصْلِ: «الْمَعْنَى». وَفِي ص: «الْمَسْمَى».

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ: «م». وَالْمَقْصُودُ بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ بْنِ عَلِيٍّ النَّسَائِيُّ.

(٦) فِي الْأَصْلِ: «عَنْ».

قرأها، فلما بلغ السجدة تَشَرَّنَ^(١) الناس للسجود، فقال: «إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةٌ نَبِيِّ، وَلَكِنْ رَأَيْتُكُمْ تَشَرَّتُمْ^(٢)». فَتَزَلَّ وَسَجَدَ. تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِ^(٣).

وقال الإمام أحمد^(٤): حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ، حَدَّثَنَا حُمَيْدٌ، حَدَّثَنَا بَكْرٌ، هُوَ ابْنُ عَمْرٍ، وَأَبُو الصُّدَيْقِ النَّاجِيُّ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَأَى رُؤْيَا، أَنَّهُ يَكْتُبُ «ص»، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى الَّتِي يَسْجُدُ بِهَا، رَأَى الدَّوَاةَ وَالْقَلَمَ وَكُلَّ شَيْءٍ بِحَضْرَتِهِ انْقَلَبَ سَاجِدًا. قَالَ: فَقَضَّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْجُدُ بِهَا بَعْدُ. تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ^(٥)، مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ^(٦) بْنِ حُثَيْبٍ^(٧)، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، قَالَ: قَالَ لِي^(٨) ابْنُ جُرَيْجٍ: حَدَّثَنِي جَدُّكَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَقَرَأْتُ السَّجْدَةَ فَسَجَدْتُ^(٩)، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي^(١٠)، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ وَهِيَ سَاجِدَةٌ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي

(١) في ح، م: «تشرف». والتشزن: التأهب والتهيؤ للشيء، والاستعداد له. النهاية (ش ز ن).

(٢) في ح، م: «تشرفتم».

(٣) أبو داود (١٤١٠). صحيح (صحيح أبي داود ١٢٥٣).

(٤) أحمد في المسند ٧٨/٣.

(٥) الترمذی (٥٧٩). وابن ماجه (١٠٥٣). حسن (صحيح الترمذی ٤٧٣).

(٦- ٦) في الأصل: (بن حبيب). وفي ص: (وحسن).

(٧) في الأصل، ص: (عبد).

(٨) سقط من: ح، م.

(٩) في ح، م: «بسجودي».

عِنْدَكَ دُخْرًا، وَضَعْتُ عَنْهُ بِهَا وَرْزًا، وَاقْبَلْهَا مِنِّي كَمَا قَبِلْتَ مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ . قال ابنُ عباسٍ : فرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ فَقَرَأَ السَّجْدَةَ ثُمَّ سَجَدَ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ وهو ساجدٌ كما حَكَى الرَّجُلُ عَنْ كَلَامِ الشَّجَرَةِ . ثم قال التِّرْمِذِيُّ : غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وقد ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : أَنَّهُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَكَثَ سَاجِدًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا . وقاله مجاهدٌ والحسنُ وغيرُهما^(١) . ووَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ ، لَكِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ ، وهو ضَعِيفٌ مَتْرُوكُ الرِّوَايَةِ^(٢) .

قال اللهُ تعالى : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص : ٢٥] . أَيْ ؛ وَإِنَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَزُلْفَى ، وهى الْقُرْبَةُ الَّتِي يُقَرِّبُهُ اللهُ بِهَا وَيُذْنِبُهُ مِنْ [١/٢٢٠ظ] حَظِيرَةِ قُدْسِهِ بِسَبَبِهَا ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ^(٣) : « الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَائِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يُقْسِطُونَ فِي أَهْلِيهِمْ وَحُكْمِهِمْ وَمَا وَلَوْ » .

وقال الإمامُ أحمدٌ فِي « مَسْنَدِهِ »^(٤) : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ ، حَدَّثَنَا فَضِيلٌ ، عَنْ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ . قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسُنَا ، إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَإِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ

(١) تفسير الطبري ١٤٨/٢٣ - ١٥٠ .

(٢) فِي ح : « الْبَدَايَةُ » .

والحديث رواه ابن جرير فِي تفسيره ١٥٠/٢٣ ، ١٥١ ، وقال السيوطي فِي الدر المنثور ٣٠٠/٥ : بسند ضعيف .

(٣) فِي م : « حَدِيثٌ » . والحديث أخرجه مسلم (١٨٢٧) .

(٤) المسند ٢٢/٣ .

إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَشَدُّهُمْ عَذَابًا، إِمَامٌ جَائِرٌ». وهكذا رواه الترمذى^(١) من حديث فضيل بن مززوق الأغر به، وقال: لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. وقال ابن أبي حاتم^(٢): حدثنا أبو زُرْعَةَ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد، حدثنا سيّار، حدثنا جعفر بن سليمان، سمعتُ مالك بن دينارٍ في قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَثَابٍ﴾ قال: يُقام^(٣) داود، عليه السلام، يومَ القيامة عند ساقِ العرش، فيقولُ اللهُ: يا داودُ، مَجِدْنِي اليَوْمَ بِذلك الصَّوْتِ الحَسَنِ الرَّخِيمِ، الذى كُنْتَ تُمَجِّدُنِي به^(٤) فى الدُّنْيَا. فيقولُ: وكيف وقد سُلِّيتُ؟ فيقولُ: إِنِّى أَرَدْتُهُ عَلَيْكَ اليَوْمَ. قال: فيزفَعُ داودُ بصوتٍ يَسْتَفْرِغُ نعيمَ أهلِ الجِنَانِ.

^(٥) قوله تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]. هذا خطابٌ من اللهِ تعالى مع داودَ، والمرادُ: ولاةُ الأمورِ وحُكَّامُ الناسِ، وأمُرهم بالعدلِ واتباعِ الحقِّ المتَّزِلِ من اللهِ لا ما سواه من الآراءِ والأهواءِ، وتوعُّدٌ مَنْ سَلَكَ غيرَ ذلك وحكَمَ بغيرِ ذلك، وقد كان داودُ، عليه السلامُ، هو المقتدى به فى ذلك الزَّمانِ، فى

(١) الترمذى (١٣٢٩). ضعيف. (ضعيف الترمذى ٢٢٥). وانظر (السلسلة الضعيفة ١١٥٦).

(٢) التفسير ٥٤/٧. وذكره فى الدر المنثور ٣٠٥/٥ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) فى ح، ص: «مقام». وفى م: «يقوم».

(٤) فى ص: «تحمدين».

(٥ - ٥) سقط من: ح، م، ص. وانظر التفسير ٥٤/٧.

العَذَلِ وكثرة العبادة وأنواع القُرْبَاتِ ، حتى إنه كان لا تَمُضِي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار ، إلّا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبا: ١٣] . قال أبو بكر ابن أبي الدنيا ^(٢) : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ بَسَّامٍ ، حَدَّثَنَا صَالِحُ الْمُزَنِّي ^(٣) ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ ، عَنْ أَبِي الْجَلْدِ ^(٤) قَالَ : قَرَأْتُ فِي مَسْأَلَةِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ وَأَنَا لَا أَصِلُ إِلَى شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمَتِكَ ؟ قَالَ : فَأَتَاهُ الْوَحْيُ : أَنْ يَا دَاوُدَ ، أَلَيْسَ تَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بَكَ مِنَ النَّعَمِ مَنِي ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ . قَالَ : فَإِنِّي أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ .

وقال البيهقي ^(٥) : أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ ، أَنبَأَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْوَلِيدِ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْقُرَشِيُّ ، حَدَّثَنَا زَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَاحِقٍ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ : [٢٢١/١ و] قَالَ دَاوُدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يُنْبَغِي لكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : إِنَّكَ أَتَعَبْتَ الْحَفَظَةَ يَا دَاوُدَ . وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ^(٦) ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ ، عَنْ الثَّوْرِيِّ مِثْلَهُ .

وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ « الزُّهْدِ » ^(٨) : أَنبَأَنَا سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ، عَنْ

(١) التفسير ٤٨٨/٦ ، ٤٨٩ .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ص ٧ .

(٣) في م : « المزني » .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) في ح : « الجليل » .

(٦) في شعب الإيمان (٤٤١٦) .

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر ص ١٩ .

(٨) الزهد لابن المبارك (٣١٣) .

رجلي، عن وهب بن منبه قال: إن في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات؛ ساعة يتأجى فيها ربه، وساعة^(١) يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بثيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلى^(٢) بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويحرم؛ فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب، وحق على العاقل أن يعرف زمانه، ويحفظ لسانه، ويقبل على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لماعيه، ومزقة^(٣) لماعيه، ولذة في غير محرم.

وقد رواه أبو بكر ابن أبي الدنيا^(٤)، عن أبي بكر بن أبي حنيفة^(٥)، عن ابن مهدي، عن سفيان عن أبي^(٦) الأغر، عن وهب بن منبه، فذكره. ورواه أيضًا عن علي بن الجعد، عن عمار بن الهيثم الرقاشي، عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه، فذكره. وأبو الأغر هذا، هو الذي أبهمه^(٧) ابن المبارك في روايته. قاله ابن عساکر^(٨).

وقال عبد الرزاق^(٩): أنبأنا بشر بن رافع، حدثنا شيخ من أهل صنعاء، يقال له: أبو عبد الله. قال: سمعت وهب بن منبه، فذكر مثله.

(١) سقط من: ص.

(٢) في الأصل: «يخلوا».

(٣) في ص: «مرة». والمزقة: متاع البيت.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت مختصرا حديث رقم (٣١).

(٥) في ص: «حمة».

(٦) في ص: «ابن».

(٧) في الأصل: «أنهم».

(٨) لعله في الجزء الذي سقط من تاريخ ابن عساکر، راجع تاريخ دمشق ١٧/١٠٩ حاشية ٣.

(٩) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١/٢١، ٢٢، رقم (١٩٧٩٠).

(١) وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عساکرَ^(٢) فى ترجمةِ داودَ، عليه السَّلامُ، أشياءَ كثيرةَ مَليحةٍ، منها قولُه: كُنْ لِلْيَتِيمِ كالأبِ الرَّحِيمِ، واعلمْ أنكِ كما تَزْرُعُ كذلك تَحْصُدُ. وَرَوَى بِسندٍ غريبٍ مرفوعاً، قال داودُ: يا زارعَ السَّيِّئَاتِ، أنتِ تَحْصُدُ شَوْكَهَا وَحَسَكَهَا^(٣). وعن داودَ، عليه السَّلامُ، أَنَّهُ قال^(٤): مَثَلُ الخَطِيبِ الأَحْمَقِ فى نادى القومِ، كَمَثَلِ المُعْنَى عندَ رأسِ الميِّتِ. وقال أيضاً: ما أَقْبَحَ الفقرَ بعدَ الغنى، وأقْبَحَ من ذلك الضَّلالةُ بعدَ الهدى. وقال: انْظُرْ ما تُكْرَهُ أنْ يُذَكَرَ عنكَ فى نادى القومِ، فلا تَفْعَلْهُ إذا خَلَوْتَ. وقال: لا تَعِدَنَّ أخاك بما لا تُنْجِزُهُ له. فإن ذلك عداوةٌ ما بينَكَ وبينه^(٥).

وقال محمدُ بنُ سَعْدٍ^(٦): أنبأنا محمدُ بنُ عُمَرَ الواقِديُّ، حَدَّثَنِى هِشامُ بنُ سَعْدٍ، عن عُمَرَ مَوْلَى عُفْرَةَ^(٧)، قال: قالَتْ يَهُودٌ لَمَّا رَأَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ: انْظُرُوا إلى هذا الذى لا يَشْبَعُ مِنَ الطَّعامِ، ولا واللَّهِ ما له هِمَّةٌ إلا إلى النِّسَاءِ. حَسَدُوهُ لكَثْرَةِ نِسائِهِ، وعائِبُوهُ بِذلك، فقالُوا: لو كان نبيًّا ما رَغِبَ فى النِّسَاءِ. وكان أشدَّهُم فى ذلك حُيَّيُّ بنُ أَخْطَبَ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ، وَأَخْبَرَهُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَسَعَتِهِ على نبيِّهِ، صَلَّواتُ اللَّهِ عليه وسلامُهُ، فقال^(٨): ﴿أَمْرٌ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]. يَغْنَى بالناسِ:

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) لعله فى الجزء الذى سقط من تاريخ ابن عساکر، راجع تاريخ دمشق ١٠٩/١٧ حاشية ٣.

(٣) فى ص: «وعسكها». والحسك: نبات له ثمرة خشنة تعلق بأصواف الغنم. اللسان (ح س ك).

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ٢٠٣/١٣.

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ٢٠٢/٨.

(٦) فى النسخ: «عفرة». والصحيح ما أثبتناه: عُفْرَةُ؛ بضم المعجمة وسكون الفاء. انظر التقریب ٢/

٥٩.

(٧) فى ص: «عليه». وانظر التفسير ٢/٢٩٥، ٢٩٦.

رسول الله ﷺ ﴿ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِدْرِيسَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] . يَغْنَى مَا آتَى اللَّهُ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ، كَانَتْ لَهُ أَلْفُ امْرَأَةٍ ؛ سَبْعُمَائِيَّةٌ مَهِيرَةٌ^(١) . وَثَلَاثُمَائِيَّةٌ سُورِيَّةٌ . وَكَانَتْ لِدَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِائَةُ امْرَأَةٍ ، مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ أَوْرِيَا أُمُّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ، الَّتِي تَزَوَّجَهَا بَعْدَ الْفِتْنَةِ ، هَذَا أَكْثَرُ مِمَّا لِمُحَمَّدٍ ﷺ . وَقَدْ ذَكَرَ الْكَلْبِيُّ نَحْوَ هَذَا ، وَأَنَّهُ كَانَ لِدَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِائَةُ امْرَأَةٍ ، وَلِسُلَيْمَانَ أَلْفُ امْرَأَةٍ ، مِنْهُنَّ ثَلَاثُمَائِيَّةٌ سُورِيَّةٌ .

^(٢) وَرَوَى الْحَافِظُ فِي « تَارِيخِهِ »^(٣) ، فِي تَرْجُمَةِ صَدَقَةِ الدَّمَشْقِيِّ الَّذِي يَزُورُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، مِنْ طَرِيقِ الْفَرَجِ^(٤) بِنِ فَضَالَةَ الْحِمِصِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الْحِمِصِيِّ ، عَنْ صَدَقَةِ الدَّمَشْقِيِّ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ الصَّيَامِ فَقَالَ : لِأَحَدِثُكَ بِحَدِيثٍ كَانَ عِنْدِي فِي التَّخْتِ^(٥) مَحْزُونًا ، إِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِصَوْمِ دَاوُدَ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ صَوَّامًا قَوَّامًا ، وَكَانَ شُجَاعًا لَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفْضَلُ الصَّيَامِ صِيَامُ دَاوُدَ » . وَكَانَ يَقْرَأُ الرَّبُّورَ بِسَبْعِينَ صَوْتًا يُلَوِّنُ فِيهَا ، وَكَانَتْ لَهُ رَكْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ يُنْكِي فِيهَا نَفْسَهُ ، وَيُنْكِي بِكَاثِرِهِ كُلِّ شَيْءٍ ، وَيَطْرُبُ بِصَوْتِهِ الْمَهُمُومُ وَالْمَحْمُومُ . وَإِنْ شِئْتَ أَنْبَأْتُكَ بِصَوْمِ ابْنِهِ سُلَيْمَانَ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَمِنْ وَسْطِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَمِنْ آخِرِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، يَسْتَفْتِحُ الشَّهْرَ بِصِيَامٍ وَوَسْطَهُ بِصِيَامٍ وَيَخْتِمُهُ^(٦)

(١) فِي م : « مَهْرِيَّة » . وَالْمَهْرِيَّةُ : الْحُرَّةُ . اللِّسَانُ (م ه ر) .

(٢ - ٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص .

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقٍ ٤٧ / ٢٤ .

(٤ - ٥) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص .

(٥) فِي م : « الْبَحْث » . وَالتَّخْتُ : وَعَاءٌ تُصَانُ فِيهِ الثِّيَابُ . اللِّسَانُ (ت خ ت) .

” بصيام . وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العنبراء البثول عيسى ابن مريم ؛ فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير وتلبس الشجر ، يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد ، ليس له ولد يموت ولا يئث يخرب ، وكان أينما أذكره الليل ” صفتين ” قدميه ” وقام يصلي حتى يضيح ، وكان راميا لا يقوته صيد يريده ، وكان يمر بمجالس بني إسرائيل فيقضي لهم حوائجهم . وإن شئت أنبأتك بصوم أمه مريم بنت عمران ؛ فإنها كانت تصوم يوما وتفطر يومين . وإن شئت أنبأتك بصوم النبي العربي الأمي محمد ﷺ ؛ فإنه كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ويقول : ” إن ذلك صوم الدهر ” .

وقد روى [نحوه] ^(٣) الإمام أحمد ^(٤) ، عن أبي النضر ، عن فرج بن فضالة ، عن أبي هريرة ^(٥) ، عن صدقة ، عن ابن عباس مرفوعا في صوم داود ^(٦) .

(١-١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢-٢) في الأصل ، ص : ” صفق يديه ” . وصفن الرجل : صف قدميه ، وكل صاف قدميه قائما فهو صافن . ” اللسان ” (ص ف ن) .

(٣) زيادة ليستقيم المعنى . وفي م ياض .

(٤) المسند ١ / ٣١٤ . (ضعيف) .

(٥) كذا في النسخ ، وفي المطبوع من المسند . والصواب أبو هريرة الحمصي ، كما نص على ذلك الحافظ

ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٦ / ٢٤ . والحافظ ابن حجر في تهجيل المنفعة ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٥٢٤ ،

٥٢٥ . وانظر كلام الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الحديث في المسند (٢٨٧٨) .

[٢٢١/١ ظ] ذِكْرُ ^(١) كَمِّيَّةِ حَيَاتِهِ

وَكَيفِيَّةِ وَفَاتِهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قد تقدّم في ذِكْرِ الأحاديث الواردة في خَلْقِ آدَمَ ، أَنَّ اللَّهَ لَمَّا اسْتَخْرَجَ دُرِّيَّتَهُ مِنْ ظَهْرِهِ ، فَرَأَى فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَرَأَى فِيهِمْ رَجُلًا يَزْهَرُ ، فَقَالَ : « أَيْ رَبِّ ، مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ ، قَالَ : أَيْ رَبِّ ، كَمْ عُمرُهُ ؟ قَالَ : ستون عامًا . قَالَ : أَيْ رَبِّ ، زِدْ فِي عُمرِهِ . قَالَ : لا ، إِلَّا أَنْ أَرِيدَهُ مِنْ عُمرِكَ . وَكَانَ عُمرُ آدَمَ أَلْفَ عَامٍ ، فزادَهُ أَرْبَعِينَ عامًا ، فَلَمَّا انْقَضَى عُمرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَقَالَ : بَقِيَ مِنْ عُمرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً . وَنَسِيَ آدَمُ مَا كَانَ وَهَبَهُ لَوْلِيهِ دَاوُدَ ، فَأَتَمَّهَا اللَّهُ لآدَمَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَلِدَاوُدَ مِائَةَ سَنَةٍ . رواه أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٢) ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَابْنِ خُزَيْمَةَ ، وَابْنُ جِبَّانَ ، وَقَالَ الْحَاكِمُ : عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ طَرِيقِهِ وَالْفَاضِلَةِ فِي قِصَّةِ آدَمَ ^(٣) . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ ^(٤) : وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ ^(٥) أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّ عُمرَ دَاوُدَ كَانَ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً . قُلْتُ : هَذَا غَلَطٌ مُردودٌ عَلَيْهِمْ . قَالُوا : وَكَانَ مَدَّةً مُلْكِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَهَذَا قَدْ يُقْبَلُ نَقْلُهُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَنَا مَا يُنَافِيهِ وَلَا مَا يَقْتَضِيهِ .

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم تخريجه في ٢٠٧/١ بنحوه .

(٣) تقدم تخريجه في ٢٠٥/١ - ٢٠٨ .

(٤) في تاريخه ٤٨٥/١ .

(٥) سقط من : الأصل .

وأما وفاته، عليه السلام، فقال الإمام أحمد في «مسنده»^(١): حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ^(٢)، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ^(٣) عَمْرِو بْنِ أَبِي عَمْرٍو، عَنْ الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةُ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ أُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ، فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ»، قَالَ: «فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغُلِقَتِ الدَّارُ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ تَطْلُعُ إِلَى الدَّارِ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مِنْ أَتَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ وَالِدَارُ مُغْلَقَةً؟ وَاللَّهِ لَتُفْتَضَحَنَّ^(٤) بِدَاوُدَ. فَجَاءَ دَاوُدُ، فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ، فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْءٌ. فَقَالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللَّهِ^(٥) مَلِكُ الْمَوْتِ، فَمَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ. فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ، حَتَّى فُرِغَ مِنْ شَأْنِهِ، وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ: أَظَلَّتْ عَلَى دَاوُدَ. «فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ^(٦) الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمَا الْأَرْضُ، فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: أَقْبِضِي جَنَاحَا جَنَاحَا^(٧)». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يُرِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ فَعَلَتِ الطَّيْرُ. وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ^(٨)، «وَعَلَبَتْ عَلَيْهِ [١/ ٢٢٢و] «يَوْمَئِذٍ الْمَضْرُحِيَّةُ^(٩)». انْفَرَدَ بِإِخْرَاجِهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ

(١) أحمد في المسند ٤١٩/٢.

(٢) في م: «قيصة».

(٣) في الأصل، م: «بن».

(٤) في النسخ: «لنفتضح».

(٥) في النسخ: «والله إذن».

(٦-٦) في الأصل، ح: «فأظلت عليهم». وفي م: «فأظلمته».

(٧) سقط من: م.

(٨) في ص: «بيديه».

(٩-٩) في ص: «المضرحية يومئذ». وفي المسند: «يومئذ المضرحية»؛ بالصاد بدل الضاد، وقد أثبتنا

ما في النسخ «المضرحية»؛ لأنه الموافق لما ذكره ابن كثير بعد ذلك.

قَوِيٌّ؛ رجاله ثِقَاتٌ. ومعنى قوله: «وغلِبْتُ عليه يومئذِ المَضْرِحِيَّةُ»؛ أى: وغلِبْتُ على التَّظْلِيلِ عليه^(١) المَضْرِحِيَّةُ، وهى^(٢) الصَّقُورُ الطَّوَالُ الأَجْنَحَةِ، وَاِحْدُهَا مَضْرَجِيٌّ، قال الجَوْهَرِيُّ: وهو الصَّقْرُ الطَّوِيلُ الجَنَاحِ. وقال السُّدِّيُّ عن أبى مالك، عن ابنِ عباس، قال: ماتَ دَاوُدُ، عليه السلام، فجاءه، وكان يُسَبِّتُ، وكانتِ الطَّيْرُ تُظِلُّهُ. وقال السُّدِّيُّ أيضًا عن أبى مالك، وعن سعيد بنِ جبَّير، قال: ماتَ داوُدُ، عليه السلام، يومَ السَّبْتِ فجاءه. وقال إسحاقُ بنُ يَشْرِير، عن سعيد بنِ أبى عَزْرَبَةَ، عن قتادة، عن الحسن، قال: مات داوُدُ، عليه السَّلامُ، وهو ابنُ مائةِ سنةٍ، وماتَ يومَ الأَرْبَعاءِ فجاءه. وقال أبو السَّكَنِ الهَجَرِيُّ: مات إبراهيمُ الخليلُ فَجَاءَهُ، وداوُدُ فَجَاءَهُ، وابْنُهُ سُلَيْمَانُ فَجَاءَهُ، صَلَّواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. رواه ابنُ عساکر^(٣). وَرَوَى عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ جَاءَهُ وَهُوَ نَازِلٌ مِنْ مِخْرَابِهِ، فَقَالَ لَهُ: دَغْنِي أَنْزِلُ أَوْ أَصْعَدُ. فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ نَفَدَتِ السَّنُونَ وَالشُّهُورُ وَالْآثَارُ وَالْأَرْزَاقُ. قال: فَخَرُّ سَاجِدًا عَلَى مَرْقَاةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاقِي، فَقَبَضَهُ وَهُوَ سَاجِدٌ. وقال إسحاقُ بنُ يَشْرِير: أَنبَأَنَا وَافِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الْفِلَسْطِينِيِّ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: إِنَّ النَّاسَ حَضَرُوا جِنَازَةَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَلَسُوا فِي الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ. قال: وَكَانَ قَدْ شَيَّعَ جِنَازَتَهُ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ رَاهِبٍ، عَلَيْهِمُ الْبَرَانِسُ، سِوَى غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ، وَلَمْ يَمُتْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ - أَحَدٌ كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ جَزَعًا عَلَيْهِ مِنْهُمْ عَلَى دَاوُدَ. قال:

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) لم نجده فى تاريخ دمشق، ولعله فى الجزء الساقط منه. وهو فى مختصره ٨ / ١٤٠.

فَإِذَا هُمُ الْحَرُّ فَنَادَوْا سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنْ 'يُعْجَلَ عَلَيْهِمْ' ؛ لِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْحَرِّ ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فَنَادَى الطَّيْرَ فَأُجَابَتْ ، فَأَمَرَهَا فَأَظْلَمَتِ النَّاسَ . قَالَ : فَتَرَأَوْا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، حَتَّى اسْتَمْسَكَتِ الرِّيحُ ، فَكَادَ النَّاسُ أَنْ يَهْلِكُوا غَمًّا ، فَصَاحُوا إِلَى سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنَ الْغَمِّ ، فَخَرَجَ سُلَيْمَانُ فَنَادَى الطَّيْرَ ؛ أَنْ أَظْلِمِي النَّاسَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمْسِ ، وَتَنَحَّيِي عَنْ نَاحِيَةِ الرِّيحِ . فَفَعَلْتُ ، فَكَانَ النَّاسُ فِي ظِلٍّ وَتَهَبَّتْ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ مَا رَأَوْا مِنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ^(٣) .

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى^(٣) : حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّامٍ الْوَلِيدُ بْنُ شُجَاعٍ ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ ابْنُ مُسْلِمٍ ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ^(٤) حُمَيْدٍ ، عَنِ الْوَضِيِّ^(٥) بْنِ عَطَاءٍ ، عَنْ نَصْرِ بْنِ عَلَقَمَةَ ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نَفْيِيرٍ^(٦) ، عَنْ أَبِي الدُّرْدَاءِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ دَاوُدَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ مَا فُتِنُوا وَلَا بَدَّلُوا ، وَلَقَدْ مَكَتَ أَصْحَابُ [٢٢٢/١] الْمَسِيحِ عَلَى سُنَّتِهِ وَهَدْيِهِ مِائَتَيْ سَنَةٍ . هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَفِي رَفْعِهِ نَظَرٌ ، وَالْوَضِيُّ بْنُ عَطَاءٍ كَانَ ضَعِيفًا فِي الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١ - ١) فِي م : «يَعْمَلُ لَهُمْ وَقَايَةً» .

(٢) مُخْتَصَرُ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٨ / ١٤٠ - ١٤١ .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ (الإحسان ٦٢٣٦) مِنْ طَرِيقِ أَبِي يَعْلَى . وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ .

(٤) فِي ص : «عَنْ» .

(٥) فِي الْأَصْلِ : «الْوَصِيرُ» .

(٦) فِي الْأَصْلِ : «لَقَنَّ» .

قصة سليمان بن داود ،

عليهما السلام

قال الحافظ ابن عساكر^(١) : هو سليمان بن داود بن إيشا بن عُويَدَ بن باعز^(٢) بن سلمون بن نحشون^(٣) بن عميناذب بن إرم بن حصرون^(٤) ، بن فارص بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، أبو الربيع ، نبي الله ، ابن نبي الله .

جاء في بعض الآثار أنه دخل دمشق . قال ابن ماكولا^(٥) : فارص ؛ بالصاد المهملة . وذكر نسبته قريباً مما ذكره ابن عساكر . قال الله تعالى^(٦) : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأْتِيهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مِنْ مَنَاطِقِ الْطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] . أى : ورثه فى النبوة والمُلْك . وليس المراد : وراثته^(٧) المال ؛ لأنه قد كان له بثون غيره ، فما كان ليُخصَّ بالمال دونهم . ولأنه قد ثبت فى « الصُّحاح »^(٨) من غير وجه ، عن جماعة من الصحابة ، أن

(١) فى تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٣٠ .

(٢) فى م : « عابر » . وفى تاريخ دمشق : « ناعر » .

(٣) فى ح : « تحشون » . وفى تاريخ دمشق : « يخشون » .

(٤) فى تاريخ دمشق : « خضرون » .

(٥) فى الإكمال ٧ / ٥٢ .

(٦) التفسير ٦ / ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٧) فى م : « ورثه فى » .

(٨) البخارى (٣٠٩٣ ، ٣٧١٢ ، ٤٠٣٦ ، ٤٢٤٠ ، ٤٢٤١) ، ومسلم (١٧٥٩) من حديث أبى بكر الصديق . ورواه البخارى (٣٠٩٤ ، ٤٤٠٣) ، ومسلم (١٧٥٧) من حديث عمر بن الخطاب . =

رسول الله ﷺ، قال: «لَا تُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»^(١). وفي لفظ^(٢): «إِنَّا»^(٣) مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُورَثُ». فَأَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا تُورَثُ أَمْوَالُهُمْ عَنْهُمْ كَمَا يُورَثُ غَيْرُهُمْ، بَلْ تَكُونُ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً مِنْ بَعْدِهِمْ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْحَوَارِيجِ، لَا يَخْصُونَ بِهَا أَقْرَبَاءَهُمْ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ وَأَحَقَرَّ عَنْدهُمْ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا هِيَ عِنْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُمْ وَاصْطَفَاهُمْ وَفَضَّلَهُمْ. وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾؛ يَعْنِي أَنَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَعْرِفُ مَا تَتَخَاطَبُ بِهِ الطُّيُورُ بِلُغَاتِهَا، وَيُعَبِّرُ لِلنَّاسِ عَنْ مَقَاصِدِهَا وَإِرَادَاتِهَا.

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أنبأنا علي بن حمشاذ^(٣)، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ قُدَّامَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْأَسْوَانِيُّ - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - عَنْ^(٤) يَعْقُوبَ الْقُمِّيَّ^(٥)، حَدَّثَنِي أَبُو مَالِكٍ، قَالَ: مَرَّ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بِعُصْفُورٍ يَدُورُ حَوْلَ عَصْفُورَةٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَتَدْرُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالُوا: وَمَا يَقُولُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ قَالَ: يَخْطُبُهَا إِلَى نَفْسِهِ، وَيَقُولُ: زَوِّجْنِي أُسْكِنُكَ أَيَّ غُرْفٍ دِمَشْقَ شِئْتَ. قَالَ سُلَيْمَانُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَنَّ غُرْفَ دِمَشْقَ مَبْنِيَّةٌ بِالصَّخْرِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْكُنَهَا أَحَدٌ، وَلَكِنْ كُلُّ

= ورواه مسلم (١٧٦١) من حديث أبي هريرة.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٦٣/٢، وابن عبد البر في التمهيد ١٧٥/٨. من حديث أبي هريرة.

(٢) في النسخ: «نحن». والمثبت من المسند والتمهيد.

(٣) في ح، م، ص: «حشاذ». وفي تاريخ دمشق: «حمشاذ». والمثبت من مصادر ترجمته: السير

٣٩٨/١٥. ورواه الجنان ٣٢٧/٢. وانظر الأنساب ٢٦٢/٢.

(٤) بعد هذا في م، ص: «أبي».

(٥) في م، ص: «العمي».

خاطب كذاب^(١). رواه ابنُ عساکر^(٢) عن أبي القاسمِ زاهرِ بنِ طاهرٍ، عن
البيهقيّ به^(٣). وكذلك ما عداها من الحيواناتِ وسائرِ صنوفِ المخلوقاتِ؛
والدليلُ على هذا قوله بعدَ هذا من الآياتِ: ﴿وَأَوْتَيْنَا [٢٢٣/١] مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ ﴿٤﴾ أَتًى؛ مِنْ كُلِّ مَا يَحْتَاجُ الْمَلِكُ إِلَيْهِ؛ مِنَ الْعُدَدِ، وَالْآلَاتِ، وَالْجُنُودِ،
وَالْجِيُوشِ، وَالْجَمَاعَاتِ، مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ، وَالطَّيْرِ، وَالْوَحْشِ، وَالشَّيَاطِينِ
السَّارِحَاتِ، وَالْعُلُومِ وَالْفُهُومِ، وَالتَّعْبِيرِ عَنْ ضَمَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ النَّاطِقَاتِ
وَالصَّامَاتِ. ثم قال: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ ﴿٥﴾﴾، أَى؛ مِنْ بَارئِ
الْبَرِيَّاتِ وَخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٦): ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ
جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٧﴾﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ
نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٨﴾﴾ فَنَبَسَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالدَّتِ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [النمل: ١٧ - ١٩]. يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِهِ وَنَبِيِّهِ وَابْنِ نَبِيِّهِ سُلَيْمَانَ
ابنِ دَاوُدَ، عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَنَّهُ رَكِبَ يَوْمًا فِي جَيْشِهِ جَمِيعَهُ مِنَ الْجِنِّ
وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ؛ ^(٤) «فَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ» يَسِيرُونَ مَعَهُ، وَالطَّيْرُ سَائِرَةٌ مَعَهُ تُظِلُّهُ
بَأَجْنَحَتَيْهَا مِنَ الْحَرِّ وَغَيْرِهِ، وَعَلَى كُلِّ مِنْ هَذِهِ الْجِيُوشِ الثَّلَاثَةِ وَزَعَةٌ^(٥)؛ أَى

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/٢٣٢.

(٣) التفسير ٦/١٩٣، ١٩٤.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) فى ح: «ورعة». والوزعة: جمع وزع، وهو الحابس العشكر الموكّل بالصفوف، يتقدّم الصفّ
فيصلحه، ويقدم ويؤخر. اللسان (وزع).

نُقبَاءُ يَزِيدُونَ أَوَّلَهُ عَلَى آخِرِهِ ، فلا يَتَقَدَّمُ أَحَدٌ عَنْ مَوْضِعِهِ الَّذِي يَسِيرُ فِيهِ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَأَيَّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُم لَّا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَأَمَرْتُ ، وَحَذَرْتُ ، وَاعْتَذَرْتُ عَنْ سُلَيْمَانَ وَجُنُودِهِ بَعْدَ الشُّعُورِ . وَقَدْ ذَكَرَ وَهَبُ أَنَّهُ مَرٌّ وَهُوَ عَلَى الْبَسَاطِ بَوَادٍ بِالطَّائِفِ ، وَأَنَّ هَذِهِ النَّمْلَةَ كَانَ اسْمُهَا « جَرَسٌ » ، وَكَانَتْ مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهُمْ : بَنُو الشَّيْصَبَانِ ، وَكَانَتْ عَزْجَاءَ ، وَكَانَتْ بِقَدْرِ الذُّئْبِ . وَفِي هَذَا كُلِّهِ نَظَرٌ ، بَلْ فِي هَذَا السِّيَاقِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِي مَوْكِهِ رَاكِبًا فِي خُيُولِهِ وَفَرَسَانِهِ ، لَا كَمَا زَعَمَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذَاكَ عَلَى الْبَسَاطِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَنْلِ النَّمْلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَا وَطْءٌ ؛ لِأَنَّ الْبَسَاطَ كَانَ عَلَيْهِ جَمِيعُ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْجِيُوشِ وَالْخُيُولِ وَالْجِمَالِ وَالْأَنْعَالِ وَالْحِيَامِ وَالْأَنْعَامِ ، وَالطُّيُورِ مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ كُلِّهِ ، كَمَا سُبِّحَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهِمَ مَا خَاطَبَتْ بِهِ تِلْكَ النَّمْلَةُ لِأُمَّتِهَا مِنَ الرَّأْيِ السَّيِّدِ وَالْأَمْرِ الْحَمِيدِ ، وَتَبَسَّمَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ الْإِسْتِبْشَارِ وَالْفَرَحِ وَالشُّرُورِ بِمَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ ، وَلَيْسَ كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْجَهْلَةِ ، مِنْ أَنَّ الدَّوَابَّ كَانَتْ تَنْطِقُ قَبْلَ سُلَيْمَانَ ، وَتُخَاطَبُ [٢٢٣/١ ط] النَّاسَ ، حَتَّى أَخَذَ عَلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْعَهْدَ وَالْجَمْعَ ، فَلَمْ تَتَكَلَّمْ مَعَ النَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَإِنْ هَذَا لَا يَقُولُهُ إِلَّا الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، وَلَوْ كَانَ هَذَا هَكَذَا لَمْ يَكُنْ لِسُلَيْمَانَ فِي فَهْمٍ لُغَاتِهَا مَرِيَّةٌ عَلَى غَيْرِهِ ؛ إِذْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ يَفْهَمُونَ ذَلِكَ ، وَلَوْ كَانَ قَدْ أَخَذَ عَلَيْهَا الْعَهْدَ أَنْ لَا تَتَكَلَّمْ مَعَ غَيْرِهِ ، وَكَانَ هُوَ يَفْهَمُهَا ، لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا

أَيْضًا فَائِدَةٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ أَيْ؛ أَلْهِمْنِي وَأَرْشِدْنِي، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، فَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُقَيِّضَهُ لِلشُّكْرِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، وَعَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْمَزِيدَةِ عَلَى غَيْرِهِ، وَأَنْ يُيسِّرَ عَلَيْهِ الْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَأَنْ يَحْشُرَهُ إِذَا تَوَفَّاهُ مَعَ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ. وَالْمَرَادُ بِوَالِدَيْهِ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأُمُّهُ، وَكَانَتْ مِنَ الْعَابِدَاتِ الصَّالِحَاتِ كَمَا قَالَ سُنَيْدُ بْنُ دَاوُدَ، عَنْ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُتَكَبِّرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ: يَا بُنَيَّ لَا تُكْثِرِ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ النَّوْمِ بِاللَّيْلِ تَدْعُ الْعَبْدَ فَقِيرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ^(١) عَنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ مُشَايِخِهِ، عَنْهُ بِهِ نَحْوُهُ. ^(٢) وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ^(٣)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، خَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَسْتَشْفُونَ، فَرَأَى غُلَةً قَائِمَةً رَافِعَةً إِحْدَى قَوَائِمِهَا تَسْتَشْفِي، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: ارْجِعُوا فَقَدْ شَقِيتُمْ، إِنَّ هَذِهِ الْغُلَّةَ اسْتَشْفَتْ فَاسْتَجِيبْ لَهَا. قَالَ ابْنُ عَسَاكَرَ^(٤): وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا وَلَمْ يُذَكَّرْ فِيهِ سُلَيْمَانُ. ثُمَّ سَأَلَهُ^(٥) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ غَزْوِيٍّ، عَنْ سَلَامَةَ بْنِ رَوْحِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «خَرَجَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَشْفُونَ اللَّهَ، فَإِذَا هُمْ بِغُلَّةٍ رَافِعَةٍ بَعْضُ قَوَائِمِهَا إِلَى

(١) ابن ماجه (١٣٣٢). (ضعيف ابن ماجه ٢٧٩).

(٢-٣) سقط من: الأصل، ص.

(٣) تاريخ دمشق ٢٢/٢٨٨.

(٤) تاريخ دمشق ٢٢/٢٨٨.

(٥) تاريخ دمشق ٢٢/٢٨٨. والحاكم ١/٣٢٥، ٣٢٦.

﴿السَّمَاءِ فَقَالَ النَّبِيُّ : ارْجِعُوا فَقَدْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ النَّمْلَةِ﴾ . وقال السُّدِّيُّ : أَصَابَ النَّاسَ قَحْطٌ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأَمَرَ النَّاسَ فَخَرَجُوا ، فَإِذَا بِنَمْلَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى رِجَالِهَا ، بَاسِطَةً يَدَيْهَا وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ ، وَلَا غَنَاءَ بِنَا عَنْ فَضْلِكَ . قَالَ : فَصَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَطَرَ ^(١) .

قال تعالى ^(٢) : ﴿ وَتَقَعْدَ الْأَطْيَرُ فَقَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاسِيَيْنِ ﴾ ﴿٢٦﴾ لَأَعَذِّبَنَّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذِيعَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٧﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٨﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٣١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٢﴾ قَالَ سَنْنَظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٣﴾ أَذْهَبَ بِكِبْرِيَّ هَذَا قَالَقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٣٤﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِي إِلَهِي كَذَبٌ كَرِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٦﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَتْ يَأْتِيَنَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٨﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ

(١-١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) التفسير ٦/ ١٩٥ - ٢٠٠ .

يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا [٢٢٤/١] جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنِي
 اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيَتُكُمْ نَفْسُكُمْ نَفَرُونَ ﴿٢٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِجُنُودِ
 لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٧﴾ [النمل: ٢٠ - ٣٧]. يَذْكُرُ
 تعالى ما كان من أمر سليمان والهُدُودِ؛ وذلك أَنَّ الطيُورَ كان على كُلِّ صَنِيفٍ
 منها مُقَدِّمُونَ يَقُومُونَ بِمَا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ، وَيَخْضُرُونَ عِنْدَهُ بِالنُّوْبَةِ، كما هي عادةُ
 الجنودِ مع الملوك، وكانت وظيفةُ الهدُودِ على ما ذَكَرَهُ ابنُ عباسٍ وغيره ^(١)،
 أَنَّهُمْ كانوا إِذَا أُعْزِزُوا المَاءَ فِي الْقِفَارِ، فِي حَالِ الْأَسْفَارِ، يَجِيءُ فَيَنْظُرُ لَهُمْ هَلْ
 بِهِذِهِ الْبِقَاعِ مِنْ مَاءٍ، وَفِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْمَاءِ
 تَحْتَ تُخُومِ الْأَرْضِ، فَإِذَا دَلَّهُمْ عَلَيْهِ، خَفَرُوا عَنْهُ وَاسْتَنْبَطُوهُ وَأَخْرَجُوهُ،
 وَاسْتَعْمَلُوهُ لِحَاجَتِهِمْ، فَلَمَّا تَطَلَّبَهُ سُلَيْمَانُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَدَهُ وَلَمْ
 يَجِدْهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ مَحَلِّ خِدْمَتِهِ ﴿ فَكَأَل مَالٍ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ
 مِنَ الْفَكَائِبِينَ ﴾ أَي؛ مَا لَهُ، أَمْفُودٌ ^(٢) مِنْ ههنا، أَوْ قَدْ غَابَ عَنْ بَصَرِي، فَلَا
 أَرَاهُ بِخَضِرَتِي؟ ﴿ لَا عَذِيبَتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾، تَوَعَّدَهُ بِنَوْعٍ مِنَ الْعَذَابِ
 اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِيهِ، وَالْمَقْصُودُ حَاصِلٌ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ. ﴿ أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ أَوْ
 لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أَي؛ بِحُجَّةٍ تُنْجِيهِ مِنْ هَذِهِ الْوُزْطَةِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أَي؛ فغَابَ الْهُدُودُ غَيْبَةً لَيْسَتْ بِطَوِيلَةٍ، ثُمَّ قَدِمَ مِنْهَا
 ﴿ فَقَالَ ﴾ لِسُلَيْمَانَ: ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ أَي؛ أَطْلَعْتُ عَلَى مَا لَمْ
 تَطَّلِعْ عَلَيْهِ. ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَكٍ يَنْبَأُ الْبَقِينَ ﴾ أَي؛ بِخَبَرٍ صَادِقٍ. ﴿ إِنِّي

(١) انظر تفسير الطبري ١٩/١٤٣، بسياقات مختلفة.

(٢) فِي م: «مفقود».

وَبَدَتْ أَمْرًا تَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ . يَذْكُرُ ما كان عليه مُلُوكُ سبأ في بلادِ اليمنِ مِنَ المملَكَةِ العَظِيمَةِ والتَّبَاعَةِ^(١) الْمُتَوَجِّينَ ، وكان المَلِكُ قد آلَ في ذلك الزمانِ إلى امرأةٍ منهم ابنةَ مَلِكِهِمْ ، لم يُخَلِّفْ غَيرَهَا ، فَمَلَّكُوهَا عَلَيْهِمْ .

وَذَكَرَ الثُّغَلَيْيُ وَغَيرُهُ^(٢) ، أَنَّ قَوْمَهَا مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَبِيهَا رَجُلًا ، فَعَمَّ بِهِ الفَسَادُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تَخْطُبُهُ فَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ سَقَتَهُ خَمْرًا ، ثُمَّ حَزَّتْ رَأْسَهُ وَنَصَبَتْهُ عَلَى بَابِهَا ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَمَلَّكُوهَا عَلَيْهِمْ . وَهِيَ بَلْقِيسُ بِنْتُ الْبَشْرِخِ^(٣) ، وَهُوَ الْهَذَاذُ . وَقِيلَ : شَرَا حِيلُ بَنُ ذِي جَدْنِ بْنِ الْبَشْرِخِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ سَبَأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَغْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ . وَكَانَ أَبُوهَا مِنْ أَكْبَارِ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ^(٤) قَدْ تَأَمَّى " أَنَّ يَتَزَوَّجَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْجِنِّ ، اسْمُهَا رَيْحَانَةُ بِنْتُ الشَّكْرِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَاسْمُهَا بَلْعَمَةُ^(٥) ، وَيُقَالُ لَهَا : بَلْقِيسُ .

وَقَدْ رَوَى الثُّغَلَيْيُ^(٦) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ^(٧) ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ [١ / ٢٢٤ ظ] النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهْيَلٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ

(١) فِي ص : « وَالتَّابِعَةِ » .

(٢) فِي عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ٢٧٨ ، ٢٧٩ مَطْوَلًا . وَانْظُرِ الْكَامِلَ لِابْنِ الْأَثِيرِ ١ / ٢٣٠ - ٢٣٣ .

(٣) فِي الْأَصْلِ ، ص : « الشَّيْرَح » . وَفِي ح ، م : « السَّيْرَح » . وَالْمَثْبُوتُ هُنَا مِنْ عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ، وَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَسْمَاءِ التَّالِيَةِ .

(٤) - (٤) فِي م : « بِأَيِّ » .

(٥) فِي النُّسخِ : « تَلْقَمَةُ » .

(٦) فِي عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ٢٧٨ مَخْتَصَرُ الْإِسْنَادِ .

(٧) فِي ص : « بَشَر » .

قال: «كَانَ أَحَدُ أَبَوَيْ بَلْقَيْسَ جَنِيًّا». وهذا حديثٌ غريبٌ، وفي سندهِ ضَعْفٌ.

وقال الثَّغَلَيْيُّ^(١): أخبرني أبو عبد الله بن قبحونة، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ جُرْجَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي اللَّيْثِ، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: ذُكِرَتْ بَلْقَيْسُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لَا يُفْلِحُ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ». إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُسْلِمٍ هَذَا هُوَ الْمَكِّيُّ، ضَعِيفٌ.

وقد ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(٢)، مِنْ حَدِيثِ عَوْفٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَهْلَ فَارَسَ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ ابْنَةَ كِشْرَى، قَالَ: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ^(٣) مِنْ حَدِيثِ حُمَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أَى: مِمَّا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ تُؤْتَاهُ الْمَلُوكُ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يَغْنَى: سَرِيرٌ تَمْلِكُهَا، كَانَ مُزَخْرَفًا بِأَنْوَاعِ الْجَوَاهِرِ وَاللَّائِي وَالذَّهَبِ وَالْحُلِيِّ الْبَاهِرِ. ثُمَّ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِاللَّهِ وَعِبَادَتَهُمُ الشَّمْسَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَاضْطِلَالُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ وَصَدَّهُ إِثْلَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ أَى: يَعْلَمُ السَّرَائِرَ وَالظُّوَاهِرَ مِنَ الْحَسُوسَاتِ وَالْمَغْنَوِيَّاتِ ﴿اللَّهُ لَا

(١) فِي عَرَائِسِ الْمَجَالِسِ ٢٧٩ مَخْتَصَرِ الْإِسْنَادِ، وَفِيهِ: «عَنْ أَبِي بَكْرٍ». وَلَيْسَ «بَكْرَةٌ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٤٤٢٥، ٧٠٩٩).

(٣) التِّرْمِذِيُّ (٢٢٦٢)، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. النَّسَائِيُّ فِي الْكَبَرِيِّ (٥٩٣٧).

إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾ أَى ؛ له العرش العظيم ، الذى لا أعظم منه فى المخلوقات . فعند ذلك بعث معه سليمان ، عليه السلام ، كتابه ، يَضْمَنُ دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله ، والإنابة والإذعان إلى الدخول فى الخضوع لملكه وسلطانه ؛ ولهذا قال لهم : ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ أَى ؛ لَا تَشْكُرُوا عن طاعتي وامثال أوايمرى . ﴾ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ أَى ؛ وافقتموا على ساميعين مطيعين بلا معاودة ولا مُراودة ، فلما جاءها الكتاب مع الطير ، ومن ثم اتخذ الناس البطائق ، ولكن أين الثرى من الثرى ؟! تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فاهم ، عالم بما يقول ويُقال له ؛ فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم ^(١) ، أَنَّ الهدى حمل الكتاب وجاء إلى قصرها ، فألقاه إليها وهى فى خلوة لها ، ثم وَقَفَ ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها ، فجمعت أمراءها ووزرائها وأكابر دولتها وأولى ^(٢) مشورتها ﴿ قَالَتْ يَتَايَأُ آلَمَلُوكُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ ثُمَّ قرأت عليهم عنوانه أولاً : ﴿ إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ ﴾ . ثم قرأته : ﴿ وَإِنَّكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [٢٢٥/١] ثم شاورتهم فى أمرها وما قد حلَّ بها وتأدبت معهم ، وخاطبتهم وهم يسمعون : ﴿ قَالَتْ يَتَايَأُ آلَمَلُوكُ أَفَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾ تغنى : ما كنت لأبُتُّ أمراً إلا وأنتم حاضرون : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَدِيدٍ ﴾ يَغْنُون : لنا قُوَّةٌ وقُدرة على الجَلَادِ والقتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منا ذلك ، فإننا عليه من القادرين ﴿ وَ ﴾ مع هذا ﴿ أَلَا تَمُرُّ

(١) تفسير الطبرى ١٩/١٥٢ ، تاريخه ١/٤٩٠ ، ٤٩١ . وعرائس المجالس ٢٨٠ .

(٢) فى ح ، م : إلى ٢ .

إِلَيْكَ فَأَنْظِرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿١٠﴾ . فَبَذَلُوا لَهَا السَّمْعَ والطَّاعَةَ ، وَأَخْبَرُوهَا بِمَا عِنْدَهُمْ
 مِنَ الْإِسْطَاعَةِ ، وَفَوَّضُوا إِلَيْهَا فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ ؛ لَتَرَى فِيهِ مَا هُوَ الْأَرْشَدُ لَهَا
 وَلَهُمْ ، فَكَانَ رَأْيُهَا أَتَمَّ وَأَسَدَّ مِنْ رَأْيِهِمْ ، وَعَلِمَتْ أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ ، لَا
 يُغَالِبُ وَلَا يُمَانِعُ وَلَا يُخَالَفُ وَلَا يُخَادِعُ . ﴿١١﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
 أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ تقولُ بِرَأْيِهَا السَّيِّدُ : إِنَّ
 هَذَا الْمَلِكَ ، لَوْ قَدْ غَلَبَ عَلَى هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ ، لَمْ يَخْلُصِ الْأَمْرُ مِنْ يَدَيْكُمْ إِلَّا إِلَيَّ ،
 وَلَمْ تَكُنِ الْحِدَّةُ الشَّدِيدَةُ وَالسَّطْوَةُ الْبَلِيغَةُ إِلَّا عَلَيَّ . ﴿١٣﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
 فَنَاطِرَةٌ يَمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ أرادتُ أَنْ تُصَانِعَ عَنْ نَفْسِهَا وَأَهْلِ مَمْلَكِهَا بِهَدِيَّةٍ
 تُرْسِلُهَا ، وَتُخَفِّفَ تَبْعَتَهَا ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ -
 وَالْحَالَةُ هَذِهِ - صَرَفًا وَلَا عَدَلًا ؛ لِأَنَّهُمْ كَافِرُونَ ، وَهُوَ وَجُنُودُهُ عَلَيْهِمْ قَادِرُونَ ،
 وَلِهَذَا ﴿١٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَمِئْتُوَنِي بِمَا لِي فَمَا ءَاتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَيْتُكُمْ بَلْ
 أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿١٦﴾ ، هَذَا وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الْهَدَايَا مُشْتَمِلَةً عَلَى أُمُورٍ
 عَظِيمَةٍ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ . ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِهَا إِلَيْهِ وَوَافِدِهَا الَّذِي قَدِمَ عَلَيْهِ ،
 وَالنَّاسُ حَاضِرُونَ يَسْمَعُونَ . ﴿١٧﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا
 وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿١٨﴾ ، يَقُولُ : ارْجِعْ بِهَدِيَّتِكَ الَّتِي قَدِمْتَ بِهَا ،
 إِلَى مَنْ قَدْ مَنَّ بِهَا ، فَإِنَّ عِنْدِي مِمَّا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ وَأَشَدُّهُ إِلَيَّ ؛ مِنَ الْأَمْوَالِ
 وَالتَّخَفِ وَالرَّجَالِ ، مَا هُوَ أَوْضَعُ مِنْ هَذَا وَخَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ تَفْرَحُونَ بِهِ ،
 وَتَفْرَحُونَ عَلَى أَبْنَاءِ جَنَسِكُمْ بِسَبَبِهِ . ﴿١٩﴾ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴿٢٠﴾ أَيْ ؛
 فَلَنُؤَيِّبَنَّ إِلَيْهِمْ بِجُنُودٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ دِفَاعَهُمْ وَلَا نِزَالَهَمْ وَلَا مُنَاقَعَتَهُمْ وَلَا قِتَالَهَمْ ،
 وَلَا نُخْرِجَنَّهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ وَخَوَزَتِهِمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ أَذَلَّةً ﴿٢١﴾ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٢﴾ ،
 عَلَيْهِمُ الصَّغَارُ وَالْعَارُ وَالذَّمَارُ . فَلَمَّا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بُدٌّ

من السَّمْع والطاعة، فبادرُوا إلى إجابته في تلك الساعة، وأقبلُوا صُحْبَةَ الْمَلِكَةِ
أجمعين، سامعين مُطِيعِينَ خاضِعِينَ [٢٢٥/١ ظ]، فلَمَّا سَمِعَ بِقُدُومِهِمْ عَلَيْهِ
^(١) «وَوُفُودِهِمْ إِلَيْهِ»، قَالَ لِمَنْ يَنْ يَدِيهِ يَمُنُّ هُوَ مُسَخَّرٌ لَهُ مِنَ الْجَانِّ، مَا قَصَّهُ اللَّهُ
عنه فِي الْقُرْآنِ ^(٢): ﴿قَالَ يَتَأْتِيهَا الْمَلَكُ أَيْكُمُ يَأْتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
(٢٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ
(٢٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ
فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ كَرِيمٌ (٣٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ
أَن تَهْتَدِيَ أَم نَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٣١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ
هُوَ وَأُوْتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٣٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا
كَانَتْ مِّن قَوْمٍ كَافِرِينَ (٣٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن
سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [النمل: ٣٨ - ٤٤] . لَمَّا طَلَبَ سُلَيْمَانُ
مِن الْجَانِّ أَنْ يُحْضِرُوا لَهُ عَرْشَ بَلْقِيسَ، وَهُوَ سَرِيرٌ مَمْلُوكٌهَا الَّذِي تَجَلَّسَ عَلَيْهِ
وَقَتَ حُكْمِهَا، قَبْلَ قُدُومِهَا عَلَيْهِ ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ
تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾، يَعْنِي: قَبْلَ أَنْ يَنْقَضِيَ مَجْلِسُ حُكْمِكَ، وَكَانَ - فِيمَا
يُقَالُ - مِن أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى قُرْبِ الزَّوَالِ يَتَصَدَّى لِمُهْمَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا لَهُمْ
مِن الْأَشْغَالِ: ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ أَي؛ وَإِنِّي لَدُو قُوَّةٌ عَلَى إِحْضَارِهِ ^(٣)

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) التفسير ٦/ ٢٠١ - ٢٠٦.

(٣) في م، ص: «إحضاري».

إليك ، وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك . ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ، المشهور أنه آصف بن برخيا ، وهو ابن خالة سليمان . وقيل : هو رجلٌ من مؤمنى الجان ، كان فيما يُقال يُحفظُ الاسم الأعظم . وقيل : رجلٌ من بنى إسرائيل ، من علمائهم . وقيل : إنه سليمان . وهذا غريبٌ جدًا . وضَعَفَهُ الشَّهْهَلِيُّ بأنه لا يصحُّ فى سياق الكلام . قال : وقد قيل فيه قولٌ رابع ، أنه جبريل^(١) . ﴿ أَنَا إِلَٰهُكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ ، قيل : معناه ، قبل أن تبتعث رسولاً إلى أقصى ما ينتهى إليه طَرْفُكَ من الأرض ، ثم يعودَ إليك . وقيل : قبل أن يصلَ إليك أبعدُ مَنْ تراه مِنَ النَّاسِ . وقيل : قبل أن يكِلَ طَرْفُكَ إذا أدُمَّتِ النَّظَرُ به قبل أن تُطَبِّقَ جَفْنُكَ . وقيل : قبل أن يَرْجِعَ إليك طَرْفُكَ إذا نظرتَ به إلى أبعدِ غايةٍ منك ثُمَّ أَعْمَضْتَهُ^(٢) . وهذا أقربُ ما قيل . ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ أى ؛ فلَمَّا رَأَى عَرْشَ بَلْقَيْسَ مُسْتَقِرًّا عنده فى هذه المدة القريبة ، من بلادِ اليمنِ إلى بيت المقدس ، فى طَرْفَةِ عَيْنٍ ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ [٢٢٦/١] أى ؛ هذا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَنِّي وفضله على عبيده ؛ لِيُخْتَبِرَهم على الشُّكْرِ أو خلافه . ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ أى ؛ إنما يعودُ نَفْعُ ذلك عليه . ﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَفُورٌ كَرِيمٌ ﴾ أى ؛ غَنِيٌّ عن شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، ولا يَتَضَرَّرُ بِكُفْرِ الكافرين . ثُمَّ أَمَرَ سُلَيْمَانُ عليه السَّلامُ أن يُعَيَّرَ حُلَى هذا العرشِ ويُتَكَّرَ لها ؛ لِيُخْتَبِرَ فَهْمَهَا وَعَقْلَهَا ، ولهذا قال : ﴿ نَنْظُرُ أَنَّنَدَى أَمْرٌ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ ٢٢٧ ﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ

(١) التعريف والإعلام ٢٣٧ .

(٢) انظر جميع هذه الأقوال المقدمة فى تفسير الطبرى ١٩/١٦٣ ، ١٦٤ .

قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿١﴾ ، وهذا مِنْ فِطْنَتِهَا وَغَرَارَةِ فَهْمِهَا ؛ لِأَنَّهَا اسْتَبَعَدَتْ أَنْ يَكُونَ عَزَّشَهَا ؛ لِأَنَّهَا خَلَفَتْهُ وَرَاءَهَا بِأَرْضِ الْيَمَنِ ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الصَّنْعِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ سُلَيْمَانَ وَقَوْمِهِ : ﴿ وَأَوْتَيْنَا آلَإِمْلَمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ (٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٣﴾ أَى ؛ وَمَنْعَهَا عِبَادَةَ الشَّمْسِ الَّتِي كَانَتْ تَسْجُدُ لَهَا هِيَ وَقَوْمُهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَتْبَاعًا لِدِينِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ ، لَا لِذَلِيلٍ قَادَهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَلَا خَدَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ قَدْ أَمَرَ بِنَاءَ صَرْحٍ مِنْ زُجَاجٍ ، وَعَمِلَ فِي ثَمَرِهِ مَاءً ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ سَقْفًا مِنْ زُجَاجٍ ، وَجَعَلَ فِيهِ مِنَ السَّمَكِ وَغَيْرِهَا مِنْ دَوَابِّ الْمَاءِ ، وَأُمِرَتْ بِدُخُولِ الصَّرْحِ ، وَسُلَيْمَانُ جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِهِ فِيهِ ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُثَمَّرٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الْجِرْنَ أَرَادُوا أَنْ يُشْشِعُوا مَنْظَرَهَا عِنْدَ سُلَيْمَانَ ، وَأَنْ تُبْدَى عَنْ سَاقِهَا لِيَرَى مَا عَلَيْهَا مِنَ الشَّعْرِ فَيَنْقُرَهُ ذَلِكَ مِنْهَا ، وَخَشُوا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا ؛ لِأَنَّ أُمَّهَا مِنَ الْجَانِّ فَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مَعَهُ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ حَافِرَهَا كَانَ كَحَافِرِ الدَّابَّةِ (٥) . وَهَذَا ضَعِيفٌ . وَفِي الْأَوَّلِ أَيْضًا نَظَرٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . إِلَّا أَنَّ سُلَيْمَانَ قِيلَ : إِنَّهُ لَمَّا أَرَادَ إِزَالَتَهُ حِينَ عَزَمَ عَلَى تَزَوُّجِهَا ، سَأَلَ الْإِنْسَ عَنْ زَوَالِهِ ، فَذَكَرُوا لَهُ الْمَوْسَى ، فَاثْمَتَعَتْ مِنْ ذَلِكَ ، فَسَأَلَ الْجَانَّ فَصَنَعُوا لَهُ الثُّورَةَ ، وَوَضَعُوا لَهُ الْحَمَامَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ الْحَمَامَ ، فَلَمَّا وَجَدَ مَسَّهُ قَالَ : أَوْهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ (٦) ، أَوْهِ أَوْهِ قَبْلَ

(١) تفسير الطبري ١٩/١٦٨ ، ١٦٩ .

(٢) سقط من ح ، م ، ص .

أَنْ لَا يَنْفَعَ أَوْه . رواه الطَّبْرَانِيُّ مرفوعاً^(١) . وفيه نظر .

وقد ذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ وغيره^(٢) ، أَنَّ سُلَيْمَانَ لَمَّا تَزَوَّجَهَا ، أَقَرَّهَا عَلَى مَمْلَكَةِ الْيَمَنِ ، وَرَدَّهَا إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَزُورُهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً ، فَيَقِيمُ عِنْدَهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ يَعُودُ عَلَى الْبَسَاطِ ، وَأَمَرَ الْجَانَّ فَبَتُّوا لَهَا ثَلَاثَةَ قُصُورٍ بِالْيَمَنِ : عُثْدَانُ ، وَسَالِحِينَ ، وَبَنِيُونَ^(٣) ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . [٢٢٦/١ ظ] وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ^(٤) ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، أَنَّ سُلَيْمَانَ لَمَّا تَزَوَّجَهَا ، بَلَ زَوْجَهَا بِمَلِكِ هَمْدَانَ ، وَأَقَرَّهَا عَلَى مُلْكِ الْيَمَنِ ، وَسَخَّرَ زَوْجَةً مَلِكَ^(٥) جَنْ الْيَمَنِ ، فَبَتَّى لَهَا الْقُصُورَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا بِالْيَمَنِ ، وَالْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَظْهَرُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال تعالى في سورة « ص »^(٦) : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٢٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيْنَتُ الْجَيَادُ (٢١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٢٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٢٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٢٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٢٥) فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٢٦) وَالشَّيْطَانِ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرَ (٢٧) وَالْآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٢٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٩) وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ٢٧٩ ، ٨/ ٢٠٧ . وعزاه للطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي موسى مرفوعاً ، وقال : وفيه إسماعيل بن عبد الرحمن الأودي ، وهو ضعيف . وأخرجه البخاري في تاريخه الكبير (١١٤٧) . وقال : فيه نظر - إسماعيل بن عبد الرحمن - لا يابح فيه .

(٢) في عرائس المجالس ٢٨٦ ، وانظر الكامل لابن الأثير ١/ ٢٣٧ .

(٣) في النسخ : « بيتون » . والمثبت من عرائس المجالس .

(٤) عرائس المجالس ٢٨٦ ، وتاريخ الطبري ١/ ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، والكامل ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٥) في عرائس المجالس : « أمير » .

(٦) التفسير ٧/ ٥٥ - ٦٤ .

لَزُلْفَى وَحَسَنَ مَنَابٍ ﴿ [ص: ٣٠ - ٤٠] . يَذْكُرُ تَعَالَى أَنَّهُ وَهَبَ لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ^(١) ،
عليهما السَّلامُ ، ثم أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ تَعَالَى فَقَالَ : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾
أى ؛ رَجَاعٌ مُطِيعٌ لِلَّهِ . ثم ذَكَرَ تَعَالَى مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الْخَيْلِ الصَّافِيَّاتِ -
وهى التى تَقِفُ عَلَى ثَلَاثِ وَطَرَفٍ حَافِرِ الرَّابِعَةِ - الْحِيَادِ ؛ وهى الْمُضْمَرَةُ
السَّرَاغُ : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾
يَعْنِى الشَّمْسُ . وَقِيلَ : الْخَيْلُ ، عَلَى مَا سَنَذْكُرُهُ مِنَ الْقَوْلَيْنِ . ﴿ رُدُّوَهَا عَلَيَّ
فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ قِيلَ : مَسَحَ عَرَاقِييَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِالشَّيْوِفِ .
وَقِيلَ : مَسَحَ عَنْهَا الْعَرَقَ لَمَّا أَجْرَاهَا وَسَابَقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ يَدَيْهِ ، عَلَى الْقَوْلِ الْآخِرِ .
وَالَّذِى عَلَيْهِ أَكْثَرُ السَّلَفِ الْأَوَّلُ ؛ فَقَالُوا : اسْتَعْلَ بَعْرُضِ تِلْكَ الْخَيُْولِ حَتَّى خَرَجَ
وَقْتُ الْعَصْرِ وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ . رَوَى هَذَا عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَغَيْرِهِ ^(٢) .
وَالَّذِى يُقْطَعُ بِهِ ، أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكِ الصَّلَاةَ عَمْدًا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ :
إِنَّهُ كَانَ سَائِعًا فِي شَرِيعَتِهِمْ تَأْخِيرُ الصَّلَاةِ لِأَجْلِ أَسْبَابِ الْجِهَادِ ، وَعَرَضُ الْخَيْلِ
مِنْ ذَلِكَ . وَقَدْ ادَّعَى طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَأْخِيرِ النَّبِيِّ ﷺ ، صَلَاةَ الْعَصْرِ يَوْمَ
الْخَنْدَقِ ، أَنَّ هَذَا كَانَ مَشْرُوعًا إِذْ ذَاكَ ، حَتَّى تُسَخَّ بِصَلَاةِ الْخَوْفِ . قَالَه
الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ . وَقَالَ مَكْحُولٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ : بَلْ هُوَ مُحْكَمٌ مُحْكَمٌ إِلَى الْيَوْمِ ، أَنَّهُ
يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا لِعُذْرِ الْقِتَالِ الشَّدِيدِ . كَمَا ذَكَرْنَا تَقْرِيرَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ «النِّسَاءِ»
عِنْدَ صَلَاةِ الْخَوْفِ ^(٣) . وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ تَأْخِيرُ النَّبِيِّ ﷺ صَلَاةَ الْعَصْرِ
يَوْمَ الْخَنْدَقِ نِسْيَانًا . وَعَلَى هَذَا فَيُحْمَلُ فِعْلُ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَلَى هَذَا .

(١) سقط من : ح .

(٢) انظر تفسير الطبرى ١٥٥/٢٣ ، والدر المنثور ٣٠٩/٥ . وتفسير القرطبي ١٩٦/١٦ .

(٣) التفسير ٣٥٣/٢ .

وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَمَّا مَنْ قَالَ : الضميرُ في قوله : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى ﴾ [٢٢٧/١] تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿ عَائِدٌ عَلَى الْخَيْلِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَفُتْهُ وَقْتُ صَلَاةٍ ، وَإِنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ : ﴿ رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ يعنى : مَسَحَ الْعَرَقَ عَنْ عَرَاقِيهَا وَأَعْنَاقِهَا . فهذا القولُ اختاره ابنُ جرير^(١) ، وَرَوَاهُ الْوَالِيبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي مَسْحِ الْعَرَقِ^(٢) . وَوَجَّهَ هَذَا الْقَوْلَ ابْنُ جريرٍ ؛ بِأَنَّهُ مَا كَانَ لِيُعَذِّبَ الْحَيَوَانَ بِالْعَرَقَةِ ، وَيُهْلِكَ مَالًا بِلا سَبَبٍ وَلَا ذَنْبٍ لَهَا . وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ فِيهِ نَظَرٌ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَكُونُ هَذَا سَائِعًا فِي مِلَّتِهِمْ . وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ عُلَمَائِنَا إِلَى أَنَّهُ إِذَا خَافَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَظْفَرَ الْكُفَّارُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، مِنْ أَغْنَامٍ وَنَحْوِهَا^(٣) ؛ جَازَ ذَبْحُهَا وَإِهْلَاكُهَا ؛ لِقَلَّا يَتَّقَوْهَا بِهَا ، وَعَلَيْهِ حُمِلَ صَنِيعُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ عَقَرَفَرَسِهِ بِمَوْتِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهَا كَانَتْ خَيْلًا عَظِيمَةً ؛ قِيلَ : كَانَتْ عَشْرَةَ آلَافٍ فَرَسٍ . وَقِيلَ : كَانَتْ عَشْرِينَ أَلْفَ فَرَسٍ^(٤) . وَقِيلَ : كَانَ فِيهَا عَشْرُونَ فَرَسًا مِنْ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ^(٥) .

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي « سُنَنِهِ »^(٦) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَوْفٍ^(٧) ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، أَنبَأَنَا يَحْيَى بْنُ أَيُّوبَ ، حَدَّثَنِي عُمَارَةُ بْنُ غَزِيَّةَ^(٨) ، أَنَّ

(١) تفسير الطبرى ١٥٥/٢٣ ، ١٥٦ .

(٢) تفسير الطبرى ١٥٦/٢٣ ، والتفسير ٥٧/٧ .

(٣) فى ص : « ذبحوها » .

(٤) عزاه فى الدر المنثور ٣٠٩/٥ للفريابى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم . وانظر التفسير ٥٦/٧ .

(٥) انظر تفسير الطبرى ١٥٤/٢٣ .

(٦) أبو داود (٤٩٣٢) . (صحيح أبى داود ٤٢١٣) .

(٧) فى ح : « عرف » .

(٨) فى ح ، م : « غزية » .

محمد بن إبراهيم حَدَّثَهُ عَنْ^(١) أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ - أَوْ خَيْبَرَ - وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ ، عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعِبَ^(٢) ، فَقَالَ : « مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ ! » فَقَالَتْ : بَنَاتِي . وَرَأَى بَيْنَهُنَّ فَرْسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ ، فَقَالَ : « مَا هَذَا الَّذِي أَرَى وَشَطَهُنَّ ؟ » قَالَتْ : فَرَسٌ . قَالَ : « وَمَا الَّذِي عَلَيْهِ هَذَا ؟ » . قَالَتْ : جَنَاحَانِ . قَالَ : « فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ ؟ » قَالَتْ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةُ ! قَالَتْ : فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ ﷺ .

وقال بعضُ العلماءِ : لَمَّا تَرَكَ الْخَيْلَ لِلَّهِ ، عَوَّضَهُ اللَّهُ عَنْهَا بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْهَا ، وَهُوَ الرِّيحُ الَّتِي كَانَ غَدُوُّهَا شَهْرًا وَزَوَاحُهَا شَهْرًا ، كَمَا سَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ^(٣) : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبِي الدُّهْمَاءِ ، وَكَانَا يُكْثِرَانِ السَّفَرَ نَحْوَ الْبَيْتِ ، قَالَا : أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، فَقَالَ الْبَدَوِيُّ : أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ : « إِنَّكَ لَا تَدْعُ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، إِلَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ » .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ . ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ الْمُفَسِّرِينَ ، هَهُنَا ، آثَارًا كَثِيرَةً عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ السَّلَفِ ، وَأَكْثَرُهَا أَوْ [١ / ٢٢٧ ظ] كُلُّهَا مُتَلَفَّاتٌ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْهَا نَكَارَةٌ شَدِيدَةٌ ، وَقَدْ

(١) بعد هذا في م ، ص : « محمد بن » .

(٢) في م : « تلعب » .

(٣) في المسند ٥ / ٧٨ ، ٧٩ .

نَبَّهْنَا عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِنَا «التفسير»^(١) ، وَاقْتَصَرْنَا هَهُنَا عَلَى مَجْرَدِ التَّلَاوَةِ .
وَمُضْمُونُ مَا ذَكَرُوهُ ، أَنَّ سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، غَابَ عَنْ سَرِيرِهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ عَادَ
إِلَيْهِ ، وَلَمَّا عَادَ أَمَرَ بِبِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَبَنَاهُ بِنَاءً مُحْكَمًا ، وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ جُدِّدَ ، وَأَنَّ أَوَّلَ
مَنْ جَعَلَهُ مَسْجِدًا ، إِسْرَائِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢) ، كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِ أَبِي ذَرٍّ :
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ ؟ قَالَ : « الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ » . قُلْتُ : ثُمَّ
أَيُّ ؟ قَالَ : « مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ » . قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ : « أَرْبَعُونَ سَنَةً »^(٣) .
وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي بَنَى الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَبَيْنَ «سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ» ، عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ ، أَزِيدَ مِنْ أَلْفِ سَنَةٍ ، دَعَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ سُؤَالُهُ الْمَلِكَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ
مِنْ بَعْدِهِ ، بَعْدَ إِكْمَالِهِ بِنَاءَ الْبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ
مَاجَهَ ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَابْنُ جَبَانَ ، وَالْحَاكِمُ^(٤) ، بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَيْرُوزَ
الدَّيْلَمِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عَمْرٍو^(٥) بْنِ الْعَاصِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ
سُلَيْمَانَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، خِلَالَ ثَلَاثَاتٍ ، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ ، وَنَحْنُ
نَزْجُو أَنْ تَكُونَ لَنَا الثَّالِثَةُ ؛ سَأَلَهُ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ ، فَأَعْطَاهُ إِثَاءً ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا
يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، فَأَعْطَاهُ إِثَاءً ، وَسَأَلَهُ أَيُّمَا رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لَا يُرِيدُ إِلَّا

(١) التفسير ٥٧/٧ - ٦١ .

(٢) تقدم في ٤٥٣/١ ، ٤٥٤ .

(٣) البخارى (٣٣٦٦ ، ٣٤٢٥) . مسلم (٥٢٠) .

(٤ - ٥) سقط من : الأصل .

(٥) المسند ١٧٦/٢ . النسائي (٦٩٢) وفى الكبرى (٧٧٢) . ابن ماجه (١٤٠٨) . ابن خزيمة

(١٣٣٤) . الإحسان (١٦٣٣) . الحاكم ٣٠/١ . وقال : هذا حديث صحيح قد تداوله الأئمة ، وقد

احتجوا بجميع رواته ثم لم يخرجوا ، ولا أعلم له علة .

(٦) فى الأصل : «عمر» .

الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ خَرَجَ مِنْ خَطِيئَتِهِ مِثْلَ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، فَتَحْنُ نَزْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ أَعْطَانَا إِيَّاهَا . فَأَمَّا الْحُكْمُ الَّذِي يُوَافِقُ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَبِيهِ ، فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (٧٨) فَفَهَمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ وَكَأَلَّا ءَاثِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿ [الأنبياء : ٧٨ ، ٧٩] . وَقَدْ ذَكَرَ شُرَيْعُ الْقَاضِي ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ^(١) ، أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ كَانَ لَهُمْ كَرَمٌ ، فَتَفَشَّتْ فِيهِ غَنَمُ قَوْمٍ آخَرِينَ أُنِيَ رَعْتَهُ بِاللَّيْلِ فَأَكَلَتْ شَجَرَهُ بِالْكُلِّيَّةِ ، فَتَحَاكَمُوا ^(٢) إِلَى دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَحَكَمَ لِأَصْحَابِ الْكَرَمِ بِقِيَمَتِهِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا عَلَى سُلَيْمَانَ قَالَ : بِمِ حَكَمٍ لَكُمْ نَبِيُّ اللَّهِ ؟ فَقَالُوا : بِكَذَا وَكَذَا . فَقَالَ : أَمَّا لَوْ كُنْتُ أَنَا لَمَّا حَكَمْتُ إِلَّا بِتَسْلِيمِ الْغَنَمِ إِلَى أَصْحَابِ الْكَرَمِ ، فَيَسْتَعْمِلُونَهَا نِتَاجًا وَدَرًا حَتَّى يُضْلِحَ أَصْحَابُ الْغَنَمِ كَرَمَ أَوْلَئِكَ وَيَرْدُّوهُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَسْأَلُوا عَنْهُمْ . فَبَلَغَ دَاوُدَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ذَلِكَ فَحَكَمَ بِهِ .

^(٣) وَقَرِيبٌ ^(٤) مِنْ هَذَا مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَتَيْنَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا ، إِذْ عَدَا الذُّبُّ فَأَخَذَ ابْنَهُمَا إِحْدَاهُمَا فَتَنَازَعَتَا فِي الْآخِرِ ، فَقَالَتِ [١ / ٢٢٨ و] الْكُبْرَى : إِيْمَا دَهَبَ بَائِنِكَ . وَقَالَتِ الصُّغْرَى : إِيْمَا دَهَبَ بَائِنِكَ . فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَحَكَمَ بِهِ لِلْكُبْرَى ، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ ، فَقَالَ : ائْتُونِي

(١) التفسير ٣٤٩/٥ ، ٣٥٠ . وانظر تفسير الطبري ١٧/٥٠ - ٥٤ .

(٢) فِي ح : « فَتَحَاكَمُوا » .

(٣ - ٣) فِي ح : « وَقَدْ ثَبَتَ » .

(٤) الْبُخَارِيُّ (٣٤٢٧ ، ٦٧٦٩) وَفِيهِ زِيَادَةٌ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالْكَسْبِ إِلَّا يَوْمَعُدَّ ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمَدِيَّةَ . مُسْلِمٌ (١٧٢٠) .

بِالسَّكِينِ أَشَقُّهُ نِصْفَيْنِ، لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا نِصْفُهُ . فَقَالَتِ الصُّغْرَى : لَا تَفْعَلْ ،
يَزُحْمُكَ اللَّهُ ، هُوَ ابْنُهَا . فَقَضَى بِهِ لَهَا . وَلَعَلَّ كُلاًّ مِنَ الْحُكَمَاءِ كَانَ سَائِعًا فِي
شَرِيعَتِهِمْ ، وَلَكِنْ مَا قَالَهُ سَلِيمَانُ أَرْجَحُ ، وَلِهَذَا أَتَيْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ بِمَا أَلْهَمَهُ إِيَّاهُ ،
”وَمَدَحَ بَعْدَ ذَلِكَ أَبَاهُ“ فَقَالَ : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ
الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ
لِنُخَصِّصَ لَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَلَسَلِمْنَا مِنْ رِيحٍ
عَاصِفَةٍ ﴾ أَيْ ؛ وَسَخَرْنَا لِسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِئِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴾ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ
وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٠ - ٨٢] . وَقَالَ
تَعَالَى فِي سُورَةِ « ص » : ﴿ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِئِهِ رُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٣٦)
وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴾ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ
أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٣٩) وَإِنَّ لَهُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ . لَمَّا تَرَكَ الْخَيْلَ ابْتِغَاءً
وَجْهَ اللَّهِ ، عَوَّضَهُ اللَّهُ مِنْهَا الرِّيحَ ، الَّتِي هِيَ أَسْرَعُ سَيْرًا ، وَأَقْوَى وَأَعْظَمُ ، وَلَا
كُلْفَةَ عَلَيْهِ لَهَا . ﴿ تَجْرِي بِأَمْرِئِهِ رُفَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أَيْ ؛ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَىِّ
الْبِلَادِ . كَانَ لَهُ بِسَاطٌ مُرَكَّبٌ مِنْ أَخْشَابٍ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ يَسْتَعِجُ جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ
إِلَيْهِ ؛ مِنَ الدُّورِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْقُصُورِ ، وَالْخِيَامِ ، وَالْأَمْتَعَةِ ، وَالْخَيُْولِ ، وَالْجِمَالِ ،
وَالْأَنْثَقَالِ ، وَالرِّجَالِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجَانِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَالطَّيُورِ ، فَإِذَا
أَرَادَ سَفَرًا أَوْ مُسْتَنْزَهًا ، أَوْ قِتَالَ مَلِكٍ أَوْ أَعْدَاءٍ مِنْ أَىِّ بِلَادٍ اللَّهُ شَاءَ ، فَإِذَا حَمَلَ
هَذِهِ الْأُمُورَ الْمَذْكُورَةَ عَلَى الْبِسَاطِ ، أَمَرَ الرِّيحَ فَدَخَلَتْ تَحْتَهُ فَرَفَعَتْهُ ، فَإِذَا اسْتَقَلَّ

بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَرَ الرِّيحَ فَسَارَتْ بِهِ ، فَإِنْ أَرَادَ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ أَمَرَ
 الْعَاصِفَةَ فَحَمَلَتْهُ أَسْرَعَ مَا يَكُونُ ، فَوَضَعَتْهُ فِي أَىِّ مَكَانٍ شَاءَ ، بَحِيثٌ إِنَّهُ كَانَ
 يَزْوِجُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَتَغْدُو بِهِ الرِّيحُ فَتَضَعُهُ بِإِصْطِخَرٍ ، مَسِيرَةَ
 شَهْرٍ فَيَقِيمُ هُنَاكَ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَزُوحُ مِنْ آخِرِهِ ، فَتَرْدُّهُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(١) : ﴿ وَلِسَلِّمَنَّ الرِّيحُ غُدُوَهَا شَهْرًا وَوَرَاخَهَا شَهْرًا وَأَسَلَّنَا لَمْ
 عَيْنِ الْقِطْرِ وَمَنْ أَلَجِنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ
 أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٢) يَعْمَلُونَ لَمْ مَا يَشَاءُ مِنْ تَحْرِيبٍ وَتَمَثِيلٍ
 وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ ﴿ [سبا: ١٢ ، ١٣] . قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ ^(٣) : [١/٢٢٨ظ] كَانَ يَغْدُو
 مِنْ دِمَشَقَ فَيَنْزِلُ بِإِصْطِخَرٍ فَيَتَغَدَّى بِهَا ، وَيَذْهَبُ رَاحًا مِنْهَا فَيَبِيتُ بِكَابِلَ ،
 وَيَنْ دِمَشَقَ وَيَنْ إِصْطِخَرَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَيَنْ إِصْطِخَرَ وَكَابِلَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ .
 قُلْتُ : قَدْ ذَكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ عَلَى الْعُمَرَانِ وَالْبُلْدَانِ ، أَنَّ إِصْطِخَرَ بَنَتْهَا الْجَانُّ
 لِسُلَيْمَانَ ، وَكَانَ فِيهَا قَرَارُ مُلْكَةِ الثُّرُكِ قَدِيمًا ، وَكَذَلِكَ غَيْرُهَا مِنْ بُلْدَانٍ شَتَّى ؛
 كَتَدْمَرُ ، وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَبَابِ جَيْزُونَ ^(٤) ، وَبَابِ الْبَرِيدِ ، اللَّذَيْنِ بِدِمَشَقَ ، عَلَى
 أَحَدِ الْأَقْوَالِ . وَأَمَّا الْقِطْرُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمَجَاهِدٌ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَقَتَادَةُ ، وَغَيْرُ
 وَاحِدٍ : هُوَ الثُّحَاسُ . قَالَ قَتَادَةُ : وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ ؛ أَنْبَعَهَا اللَّهُ لَهُ . قَالَ
 الشَّيْخُ : ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَقَطْ ، أَخَذَ مِنْهَا جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْبِنَايَاتِ وَغَيْرِهَا ^(٥) .

(١) التفسير ٤٨٦/٦ - ٤٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ٦٩/٢٢ مختصرًا .

(٣) في ح ، م ، ص : « جبرون » .

(٤) انظر الأقوال المتقدمة في تفسير الطبري ٦٩/٢٢ ، الدر المنثور ٢٢٧/٥ ، ٢٢٨ .

وقوله: ﴿وَمَنْ أَلْجَىٰ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَنْزِعْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي؛ وسَخَّرَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْجِنِّ عُمَّالًا يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ، لَا يَفْتَرُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ عَنْ الْأَمْرِ عَذَّبَهُ وَنَكَّلَ بِهِ. ﴿يَعْمَلُونَ لَكُم مَّا يَشَاءُ مِنْ تَحَدِيْبٍ﴾ وَهِيَ الْأَمَاكِنُ الْحَسَنَةُ وَصُدُورُ الْمَجَالِسِ. ﴿وَتَمَثِيلَ﴾ وَهِيَ الصُّورُ فِي الْجُدْرَانِ، وَكَانَ هَذَا سَائِعًا فِي شَرِيعَتِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ. ﴿وَحِفَانِ كَلِّ الْجَوَابِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْجَفْنَةُ كَالْجَوْبَةِ مِنَ الْأَرْضِ. وَعَنْهُ: كَالْحِيَاضِ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسْنُ، وَقِتَادَةُ، وَالضُّحَاكُ، وَغَيْرُهُمْ^(١). وَعَلَى هَذِهِ الرُّوَايَةِ يَكُونُ الْجَوَابُ: جَمْعٌ جَابِيَةٌ؛ وَهِيَ الْحَوْضُ الَّذِي يُجْبَى فِيهِ الْمَاءُ، كَمَا قَالَ الْأَعَشَى^(٢):

«نَفَى الذَّمَّ عَنْ^(٣) آلِ الْحَلْقِ جَفْنَةً كَجَابِيَةِ السَّيْحِ^(٤) الْعِرَاقِيُّ تَفْهَقُ^(٥)»

وَأَمَّا الْقُدُورُ الرَّاسِيَّاتُ، فَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَثَافِيْهَا مِنْهَا. يَغْنَى أَنَّهُنَّ ثَوَابَتْ لَا يُزْلَنَ عَنْ أَمَاكِنِهِنَّ. وَهَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وَلَمَّا كَانَ هَذَا بِصَدَدِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ إِنْسٍ وَجَانٍّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصِرِ﴾ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾. [ص: ٣٧، ٣٨]. يَغْنَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ سَخَّرَهُ فِي الْبِنَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْمُرُهُ بِالْعَوَاصِرِ فِي الْمَاءِ؛ لِاسْتِخْرَاجِ مَا هُنَالِكَ مِنْ

(١) تفسير الطبري ٧١/٢٢، ٧٢.

(٢) سقط من: الأصل. وانظر ديوانه ٢٢٥.

(٣ - ٣) في ح، م، ص: «تروح على آل». والمثبت من الديوان.

(٤) في النسخ: «الشيخ». والمثبت من الديوان.

(٥) في ح: «مفهم». وفي م، ص: «يفهم».

الجواهر والآلئ، وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك . وقوله : ﴿ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ أى ؛ قد عَصَوْا ؛ فَقَيَّدُوا مُقَرَّنِينَ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ ، وهى القيود . هذا كله من جملة ما هَيَّا اللَّهُ وسَخَّرَ له من الأشياء التى هى من تمام الملك الذى لا يَنْبَغِي لأحدٍ مِنْ بعده ، ولم يكن أيضًا لمن كان قَبْلَه .

✓ وقد قال البخارى^(١) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، [٢٢٩/١ و] عن محمد بن زياد ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ ، قال : « إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ تَقْلَتُ^(٢) الْبَارِحَةَ ؛ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ صَلَاتِي ؛ فَأَمْكَنَتْنِي اللَّهُ مِنْهُ ، فَأَخَذَتْهُ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ؛ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ ، فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سَلِيمَانَ : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ص : ٣٥] . فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا . وكذا رواه مسلم ، والنسائى ، من حديث شُعْبَةَ^(٣) .

وقال مسلم^(٤) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ ، عن معاوية بن صالح ، حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ ، عن أبى إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ ، عن أبى الدَّرْدَاءِ قال : قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يُصَلِّي ، فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ : « أَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللَّهِ » ثلاثًا ، وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ . قال : « إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ ، إِبْلِيسَ ، جَاءَ بِشَهَابٍ

(١) البخارى (٣٤٢٣) .

(٢) بعد هذا فى ح ، م ، ص : « على » .

(٣) مسلم (٥٤١) . والنسائى فى الكبرى (١١٤٤٠) .

(٤) مسلم (٥٤٢) .

مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ قُلْتُ :
 أَلْعَنُكَ بِلُغْنَةِ اللَّهِ الثَّامَةِ . فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ ، وَاللَّهِ ،
 لَوْلَا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لِأَصْبَحَ مُوثِقًا يَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . وكذا رواه
 النسائي عن محمد بن سلمة به^(١) .

وقال أحمد^(٢) : حَدَّثَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، حَدَّثَنَا مَسْرُورٌ^(٣) بَنْ مَعْبُدٍ ، ثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ
 صَاحِبُ^(٤) سُلَيْمَانَ قَالَ : رَأَيْتُ عَطَاءَ بْنَ يَزِيدَ اللَّيْثِيَّ قَائِمًا يُصَلِّي^(٥) ، فَذَهَبْتُ
 أَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَرَدَّنِي ، ثُمَّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 قَامَ فَصَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ وَهُوَ خَلْفَهُ ، فَقَرَأَ فَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ
 صَلَاتِهِ قَالَ : « لَوْ رَأَيْتُمُونِي وَإِلَيْسَ ، فَأَهْوَيْتُ يَدِي ، فَمَازِلْتُ أَخْتُمُهُ حَتَّى
 وَجَدْتُ بَرْدَ لُعَائِهِ يَنْ أَصْبَعِي هَاتَيْنِ - الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا - وَلَوْلَا دَعْوَةُ أَخِي
 سُلَيْمَانَ ، لَأَصْبَحَ مَرْبُوطًا بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ ، يَتَلَاعَبُ بِهِ صَبِيَانُ
 الْمَدِينَةِ ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَحُولَ بَيْنَهُ وَيَنْ الْقِبْلَةَ أَحَدٌ فَلْيَفْعَلْ » . رَوَى
 أَبُو دَاوُدَ مِنْهُ : « فَمَنْ اسْتَطَاعَ » إِلَى آخِرِهِ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي^(٦) سُرَيْجٍ ، عَنْ
 أَبِي^(٧) أَحْمَدَ الزُّبَيْرِيِّ^(٨) بِهِ .

(١) النسائي (١٢١٤) .

(٢) في المسند ٨٢/٣ .

(٣) في م : « مرة » . وفي ص : « ميسرة » .

(٤) في ح ، م ، ص : « حاجب » . والمثبت من المسند . وفي أبي داود : « صاحب » . وانظر ١٤٩/١ حاشية ٩ .

(٥) بعد هذه اللفظة في المسند « معتمًا بعمامة سوداء مرخ طرفها من خلف مصفر اللحية » .

(٦) سقط من : ح ، م ، ص .

(٧) سقط من : ح ، م ، ص . والحديث عند أبي داود ، الجزء الأخير منه (٦٩٩) .

(٨) في الأصل : « الدينوري » .

وقد ذَكَرَ غيرَ واحدٍ من السَّلَفِ ، أَنَّهُ كَانَتْ لِسُلَيْمَانَ مِنَ النِّسَاءِ أَلْفُ امْرَأَةٍ ؛
سَبْعُمِائَةٍ بِمُهْوَرٍ ، وَثَلَاثُمِائَةٍ سَرَارِيٍّ . وَقِيلَ بِالْعَكْسِ : ثَلَاثُمِائَةُ حَرَائِرٍ وَسَبْعُمِائَةُ مِنَ
الْإِمَاءِ ^(١) .

وقد كَانَ يُطِيقُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالنِّسَاءِ أَمْرًا عَظِيمًا جَدًّا .

قال البخاري ^(٢) : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ ، حَدَّثَنَا مُعِيزَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
عَنْ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، [٢٢٩/١ ظ] عَنْ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ :
« قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لَا طُوفَنَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً ، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ
فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمْ يَقُلْ ، فَلَمْ
تَحْمِلْ شَيْئًا ، إِلَّا وَاحِدًا سَاقِطًا أَحَدُ شِقَاقِهِ » . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . وقال شُعَيْبُ بْنُ أَبِي الزُّنَادِ : « تَسْعِينَ » . وهو أَصَحُّ . تَفَرَّدَ بِهِ
الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وقال أبو يَعْلَى ^(٣) : حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ، حَدَّثَنَا يَزِيدٌ ، أَنبَأَنَا هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ ، عَنْ
مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ :
لَا طُوفَنَ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ تِلْدُ غُلَامًا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ . وَلَمْ يَقُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَطَافَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، فَلَمْ تِلْدُ
مِنْهُنَّ امْرَأَةً ، إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ نِصْفَ إِنْسَانٍ » . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَوْ قَالَ :

(١) تاريخ الطبري ٤٨٧/١ بإسناده إلى محمد بن كعب القرظي . وعرائس المجالس ٢٦١ . والكامل لابن
الأثير ٢٣٠/١ .

(٢) البخاري (٣٤٢٤) .

(٣) لم نجده في مسند أبي يعلى .

إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَوْلَدْتُ كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يَضْرِبُ بِالسَّيْفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ. إسناده على شرط «الصحيح»، ولم يُخْرِجْوه مِنْ هذا الوجه.

وقال الإمام أحمد^(١): حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، ثنا هِشَامٌ، عَنْ ابْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، تَلِدُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَلَمْ يَسْتَشِنْ؛ فَمَا وَلَدَتْ إِلَّا وَاحِدَةً مِنْهُنَّ بِشِقِّ إِنْسَانٍ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ اسْتَشَنَى لَوْلَدَ لَهُ مِائَةُ غُلَامٍ، كُلُّهُمْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ». تَفَرَّدَ بِهِ أَحْمَدُ أَيْضًا.

وقال الإمام أحمد^(٢): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، ثنا مَعْمَرٌ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». قَالَ: «وَنَسِيَ أَنْ يَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. فَأَطَافَ بِهِنَّ». قَالَ: «فَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً، إِلَّا وَاحِدَةً نِصْفَ إِنْسَانٍ». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ. لَمْ يَخْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ». وَهَكَذَا أَخْرَجَاهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ مِثْلَهُ^(٣).

وقال إسحاق بن بشر^(٤): أَنْبَأَنَا مُقَاتِلٌ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، وَابْنُ أَبِي الزُّنَادِ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ كَانَ لَهُ أَرْبَعُمِائَةِ امْرَأَةٍ وَسِتُّمِائَةِ سُرِّيَّةٍ، فَقَالَ يَوْمًا: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى أَلْفِ امْرَأَةٍ، فَتَحْمِلُ كُلُّ

(١) في المسند ٢/٢٢٩. (إسناده صحيح).

(٢) المسند ٢/٢٧٥. (إسناده صحيح).

(٣) البخاري (٥٢٤٢). مسلم (١٦٥٤).

(٤) ومن طريق إسحاق بن بشر، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥/٢٥٨.

واحدة مِنْهُنَّ بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . ولم يَسْتَشِنْ ، فطافَ عَلَيْهِنَّ فلم تَحْمِلْ واحدةً مِنْهُنَّ إِلَّا امرأةً واحدةً مِنْهُنَّ جَاءَتْ [١/٢٣٠] بِشِقِّ إنْسَانٍ . فقال النبي ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ اسْتَشْنَى فَقَالَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ . لَوُلِدَ لَهُ مَا قَالَ ، فُزْسَانٌ ، وَلَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » . وهذا إسنادٌ ضعيفٌ ؛ لحالِ إسحاقَ بنِ بِشْرِ ، فإنه مُتَكَرِّرُ الحديثِ ، ولا سيما وقد خالفَ الرواياتِ الصُّحاحَ . وقد كان له ، عليه السَّلامُ ، مِنْ أُمُورِ الْمَلِكِ ، واتِّساعِ الدَّوْلَةِ ، وكثرةِ الجُنُودِ وتنوُّعِهَا ، ما لم يَكُنْ لأحدٍ قَبْلَهُ ، ولا يُعْطِيهِ اللَّهُ أحدًا بعده ، كما قال : ﴿ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ١٦] . وقال : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ . وقد أعطاهُ اللَّهُ ذلكَ بنصِّ الصَّادِقِ المصْدُوقِ . ولما ذَكَرَ تعالى ما أَنْعَمَ بِهِ عليه ، وأسَدَّاهُ مِنَ النِّعَمِ الكاملةِ العظيمةِ إليه ، قال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . أى ؛ أَعْطِ مَنْ شِئْتَ واخْرِمْ مَنْ شِئْتَ ، فلا حسابَ عَلَيْكَ ، أى تَصَرَّفْ فى المالِ كيف شِئْتَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قد سَوَّغَ لكَ كُلَّ ما تَفَعَّلُهُ مِنْ ذلكَ ، ولا يُحَاسِبُكَ على ذلكَ ، وهذا شأنُ النَّبِيِّ الْمَلِكِ ، بخلافِ العبدِ الرَّسُولِ ؛ فَإِنَّ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ لا يُعْطَى أحدًا ، ولا يَمْنَعُ أحدًا ، إِلَّا بإِذْنِ اللَّهِ له فى ذلكَ .

وقد خُيِّرَ نَبِيُّنا مُحَمَّدٌ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، بَيْنَ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ ؛ فاختارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا^(١) . وفى بعضِ الرواياتِ^(٢) : أَنَّهُ اسْتَشَارَ جَبْرِيلَ فى ذلكَ ، فَأشارَ إِلَيْهِ أَنْ تَوَاضَعَ . فاختارَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا رَسُولًا ، صَلَوَاتُ اللَّهِ

(١) فى المسند ٢/ ٢٣١ . (إسناده صحيح) .

(٢) الطبرانى فى المعجم الكبير (٩/ ١٣٣٠) .

وسلامه عليه . وقد جعلَ اللهُ الخِلافةَ والمُلْكَ مِن بَعْدِهِ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
فَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ^(١) . فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ .

وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا وَهَبَهُ لِنَبِيِّهِ سَلِيمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا ، نَبَأَهُ
عَلَى مَا أُعِدَّتْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ وَالْأَجْرِ الْجَمِيلِ ، وَالْقُرْبَةِ الَّتِي تُقَرِّبُهُ
إِلَيْهِ ، وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ وَالْإِكْرَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْمَعَادِ وَالْحِسَابِ ، حَيْثُ قَالَ
تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَظُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّعَآدٍ ۖ ﴾ .

(١) البخارى (٣١١٦ ، ٧٣١١ ، ٣٦٤٠ ، ٣٦٤١ ، ٧٤٥٩ ، ٧٤٦٠) . مسلم (١٠٣٧ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١) .

ذِكْرُ^(١) وَفَاتِهِ وَمُدَّةِ مُلْكِهِ وَحَيَاتِهِ

قال الله تبارك وتعالى^(٢): ﴿ فَلَمَّا فَصَيَّنَا عَلَيْهِ أَلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِمْ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُمْ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [سبا: ١٤]. رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَغَيْرُهُمَا^(٣)، مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ طَهْمَانَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِيَّ اللَّهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا صَلَّى رَأَى شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقُولُ لَهَا: مَا اسْمُكِ؟ فَيَقُولُ: كَذَا. فَيَقُولُ [٢٣٠/١ ط]: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ فَإِنْ كَانَتْ لِعَرْسٍ، عُرْسَتْ، وَإِنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ، كُتِبَتْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ رَأَى شَجَرَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ؟ قَالَتْ: الْخَرْبُوبُ. قَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: لِحِرَابٍ هَذَا الْيَتِيمِ. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَى الْجِنِّ مَوْتِي؛ حَتَّى تَعْلَمَ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ. فَتَحْتَهَا عَصَا، فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا حَوْلًا وَالْجِنَّ تَعْمَلُ، فَأَكَلَتْهَا الْأَرْضُ، فَتَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَوْلًا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ». قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرُؤُهَا كَذَلِكَ. قَالَ: فَشَكَرَتِ الْجِنَّ لِلْأَرْضِ، فَكَانَتْ تَأْتِيهَا بِالْمَاءِ. لَفْظُ ابْنِ جَرِيرٍ. وَعَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ فِي حَدِيثِهِ نَكَارَةً. وَقَدْ رَوَاهُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ، مِنْ طَرِيقِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ،

(١) سقط من: م، ص.

(٢) التفسير ٤٨٩/٦ - ٤٩١.

(٣) تفسير الطبري ٧٤/٢٢. عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٣٠/٥ لابن أبي حاتم وابن المنذر وابن

مردويه.

عن سعيد بن جبّير، عن ابن عباس موقوفاً^(١)، وهو أشبه بالصواب. والله أعلم. وقال الشّدّي في خبر ذكره^(٢) عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة، عن ابن مسعود، وعن أناس من الصحابة: كان سليمان، عليه السلام، يتجرّد^(٣) في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يُدخِل طعامه وشرابه، فأدخله في المرة^(٤) التي تُوفى فيها، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يُصْبِح فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرة، فيأتيها فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا. فإن كانت لغرس غرسها، وإن كانت نبت دواء، قالت: نبت دواء لكذا وكذا. فيجعلها كذلك، حتى نبت شجرة يُقال لها: الخروبة. فسألها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخروبة. فقال: ولأى شيء نبت؟ فقالت: نبت لخراب هذا المسجد. قال سليمان: ما كان الله ليُخرِبَه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس. فنزعها وغرسها في حائط له، ثم دخل الحراب، فقام يصلى مُتَكَيِّفاً على عصاه، فمات ولم تغلم به الشياطين، وهم في ذلك يعملون له، يخافون أن يخرج فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول الحراب، وكان الحراب له كوى بين يديه وخلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع، يقول: ألسْتُ جليداً^(٥) إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمرو - ولم يكن

(١) تاريخ دمشق ٢٢/٢٩٦، ٢٩٧.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/٧٥. وتاريخه ١/٥٠٢، ٥٠٣.

(٣) في الأصل: «يتحرر». وفي ح: «يتحرز».

(٤) في الأصل: «المدة».

(٥) الجلد والجليد: القوى.

شَيْطَانٌ يَنْظُرُ إِلَى سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ فِي الْحَرَابِ إِلَّا اخْتَرَقَ - وَلَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ سُلَيْمَانَ ، ثُمَّ رَجَعَ فَلَمْ يَسْمَعْ ، ثُمَّ رَجَعَ فَوَقَعَ فِي الْبَيْتِ وَلَمْ يَخْتَرِقْ ، وَنَظَرَ إِلَى سُلَيْمَانَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَدْ سَقَطَ مَيِّتًا ، فَخَرَجَ فَأَخْبَرَ النَّاسَ أَنَّ سُلَيْمَانَ قَدْ مَاتَ ، فَفَتَحُوا عَنْهُ فَأَخْرَجُوهُ ، وَوَجَدُوا مِثْلَهُ - وَهِيَ الْعَصَا بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ [٢٣١/١] - قَدْ أَكَلَتْهَا الْأَرْضُ ، وَلَمْ يَعْلَمُوا مُنْذُ كَمْ مَاتَ ، فَوَضَعُوا الْأَرْضَ عَلَى الْعَصَا ، فَأَكَلَتْ مِنْهَا يَوْمًا وَلَيْلَةً . ثُمَّ حَسَبُوا عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ ، فَوَجَدُوهُ قَدْ مَاتَ مِنْذُ سَنَةٍ ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ : (فَمَكَّنُوا يَدَّابُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ حَوْلًا كَامِلًا) . فَأَيَّقَنَ النَّاسُ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا يَكْذِبُونَ ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الْغَيْبَ لَعَلِمُوا بِمَوْتِ سُلَيْمَانَ ، وَلَمْ يَلْبَثُوا فِي الْعَذَابِ سَنَةً يَعْمَلُونَ لَهُ ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا دَلَّمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ يَقُولُ : تَبَيَّنَ أَمْرُهُم لِلنَّاسِ ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ الشَّيَاطِينَ قَالُوا لِلْأَرْضِ : لَوْ كُنْتَ تَأْكُلِينَ الطَّعَامَ لِأَتَيْنَاكَ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ ، وَلَوْ كُنْتَ تَشْرَبِينَ الشَّرَابَ سَقَيْنَاكَ أَطْيَبَ الشَّرَابِ ، وَلَكِنَّا سَنَنْقُلُ إِلَيْكَ الْمَاءَ وَالطَّيْنَ . قَالَ : فَهَمْ يَنْقُلُونَ إِلَيْهَا ذَلِكَ حَيْثُ كَانَتْ ، قَالَ : أَلَمْ تَرَى إِلَى الطَّيْنِ الَّذِي يَكُونُ فِي جَوْفِ الْخَشَبِ ، فَهُوَ مَا تَأْتِيهَا بِهِ الشَّيَاطِينُ شُكْرًا لَهَا . وَهَذَا فِيهِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي لَا تُصَدِّقُ وَلَا تُكْذَّبُ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ « الْقَدْرِ » ^(١) : حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ خَيْثَمَةَ ، قَالَ : قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ ،

(١) وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٩٥/٢٢ .

عليهما السلام، لملك الموت: إذا أردت أن تقبض رُوحى فأعلمنى . قال: ما أنا بأعلم بذلك منك؛ إنما هى كُتِبَتْ تُلقَى إلى، فيها تسمية من يموت.

وقال أصبغ بن الفرج، وعبد الله بن وهب^(١)، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال: قال سليمان لملك الموت: إذا أمرت بى فأعلمنى . فأتاه فقال: يا سليمان، قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة . فدعا الشياطين فبتوا عليه صرخا من قوارير، ليس له باب، فقام يصلى فاتكأ على عصاه . قال: فدخل عليه ملك الموت، فقبض رُوحه وهو متوكئ على عصاه . ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت . قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه، يحسبون أنه حى . قال: فبعث الله دابة الأرض، يعنى إلى منسأته، فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر، فلما رأت الجن ذلك، انفضوا وذهبوا . قال: فذلك قوله: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . قال أصبغ: وبلغنى عن غيره، أنها مكثت سنة تأكل فى منسأته حتى خر . وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم^(٢) . والله أعلم.

قال إسحاق بن بشر^(٣)، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري وغيره: إن سليمان، عليه السلام، عاش [٢٣١/١] ثنتين وخمسين سنة، وكان ملكه أربعين سنة . وقال إسحاق^(٣): أنبأنا أبو رزق، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن

(١) تفسير الطبرى ٢٢/٧٥، ٧٦ من طريق ابن وهب عن ابن زيد بنحوه . وعزاه فى الدر المنثور ٥/

٢٣٠ لابن أبى حاتم عن ابن زيد بنحوه .

(٢) منهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، انظر الدر المنثور ٥/٢٣١ .

(٣) تاريخ دمشق ٢٢/٢٩٩ .

مُلْكُهُ كَانَ عَشْرِينَ سَنَةً . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : فَكَانَ جَمِيعُ عُمَرِ سُلَيْمَانَ
ابْنِ دَاوُدَ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، نِيفًا وَخَمْسِينَ سَنَةً . وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ مِنْ مُلْكِهِ ، ابْتَدَأَ
بِنَاءَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِيمَا ذُكِرَ ^(١) . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ رُحْبَعُمُ ^(٢) ، مُدَّةَ سَبْعِ عَشْرَةِ
سَنَةٍ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ . قَالَ : ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بَعْدَهُ مَمْلَكَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ^(٣) .

(١) تاريخ الطبري ٥٠٣/١ .

(٢) في الأصل : « زختم » . وفي ح ، ص : « رخميم » . وفي م : « رجبعام » . والمثبت من تاريخ
الطبري .

(٣) تاريخ الطبري ٥١٧/١ .

١) بَابُ ذِكْرِ جَمَاعَةٍ مِنْ أَنْبِيَاءِ

بنى إسرائيل بعد داود وسليمان

وقبل زكريا ويحيى، عليهم السَّلام

فمنهم شعيا^(٢) بن أمصيا . قال محمد بن إسحاق^(٣) : وكان قبل زكريا ويحيى ، وهو ممن بشر بعيسى ومحمد ، عليهما السَّلام ، وكان فى زمانه ملكُ اسمه صديقه^(٤) على بنى إسرائيل ببلاد بيت المقدس ، وكان سامعًا مطيعًا لشعيا فيما يأمره به وينهاه عنه من المصالح ، وكانت الأحداث قد عظمت فى بنى إسرائيل ، فمرض الملك وخرجت فى رجليه قرحة ، وقصد بيت المقدس ملكُ بابل فى ذلك الزمان ، وهو سنحاريب ، قال ابنُ إسحاق : فى ستمائة ألفِ راية . وفرغ الناس فرعًا عظيمًا شديدًا ، وقال الملك للنبي شعيا : ماذا أوحى الله إليك فى أمر سنحاريب وجنوده ؟ فقال : لم يوح إليّ فيهم شيئًا بعد . ثم نزل عليه الوحي بالامر للملك صديقه ، بأن يوصي ويستخلف على ملكه من يشاء ؛ فإنه قد اقترب أجله ، فلما أخبره بذلك أقبل الملك على القبلة ، فصلى وسبح

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « شعيب » .

(٣) تاريخ الطبرى ١/ ٥٣٢ - ٥٣٥ .

(٤) فى م : « حزقيا » .

وَدَعَا وَبَكَى ، فَقَالَ وَهُوَ يَتَكَى وَيَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِقَلْبٍ مُخْلِصٍ
وَتَوَكَّلٍ وَصَبْرٍ : اللَّهُمَّ رَبَّ الْأَرْبَابِ وَاللَّهُ الْآلِهَةِ ، يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ ، يَا مَنْ لَا
تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ، اذْكُرْنِي بِعِلْمِي ، وَفِعْلِي ، وَحُسْنِ قَضَائِي عَلَى بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ مِنْكَ ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي ، سِرِّي وَإِعْلَانِي
لَكَ . قَالَ : فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَرَحِمَهُ ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى شُعْيَا أَنْ يُبَشِّرَهُ بِأَنَّهُ قَدْ
رَحِمَ بُكَاءَهُ ، وَقَدْ أَخَّرَ فِي أَجَلِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَأُنْجَاهُ مِنْ عَذْوِهِ
سِنْحَارِيْبَ . فَلَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ الْوَجَعُ ، وَانْقَطَعَ عَنْهُ الشَّرُّ وَالْحُزْنُ ،
وَخَرَّ سَاجِدًا ، وَقَالَ فِي سُجُودِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الَّذِي تُقْطِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ ،
وَتَنْزِعُهُ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ،
أَنْتَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَأَنْتَ تَرْحَمُ وَتَسْتَجِيبُ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّينَ .
فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى شُعْيَا أَنْ يَأْمُرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَاءَ الثَّنِينِ ، فَيَجْعَلَهُ [١/
٢٣٢و] عَلَى قُرْحَتِهِ ، فَيَشْفَى وَيُضْبِحَ قَدْ بَرِيَ . فَفَعَلَ ذَلِكَ فَشَفِيَ ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ
عَلَى جَيْشِ سِنْحَارِيْبِ الْمَوْتَ ، فَأَضْبَحُوا وَقَدْ هَلَكُوا كُلُّهُمْ سِوَى سِنْحَارِيْبَ
وَخَمْسَةِ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْهُمْ بُخْتُ نَصْرَ ، فَأَرْسَلَ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَجَاءَ بِهِمْ ،
فَجَعَلَهُمْ فِي الْأَغْلَالِ ، وَطَافَ بِهِمْ فِي الْبِلَادِ عَلَى وَجْهِ التَّنْكِيلِ بِهِمْ وَالْإِهَانَةِ
لَهُمْ سَبْعِينَ يَوْمًا ، وَيُطْعَمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيفَيْنِ مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ
أَوْدَعَهُمُ السَّجْنَ ، وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شُعْيَا أَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكَ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَى
بِلَادِهِمْ ، لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ مَا قَدْ حَلَّ بِهِمْ ، فَلَمَّا رَجَعُوا جَمَعَ سِنْحَارِيْبُ قَوْمَهُ

وَأَخْبَرَهُمْ بِمَا قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ السَّحَرَةُ وَالْكَهَنَةُ : إِنَّا أَخْبَرْنَاكَ عَنْ شَأْنِ رَبِّهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ فَلَمْ تُطِيعْنَا ، وَهِيَ أُمَّةٌ لَا يَسْتَطِيعُهَا أَحَدٌ مِنْ رَبِّهِمْ . فَكَانَ أَمْرُ سِنْحَارِيبَ مِمَّا خَوَّفَهُمُ اللَّهُ بِهِ . ثُمَّ مَاتَ سِنْحَارِيبُ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^(١) : ثُمَّ لَمَّا مَاتَ صَدِيقَةُ مَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، مَرَجَ أَمْرَهُمْ وَاخْتَلَطَتْ أَحْدَانُهُمْ ، وَكَثُرَ شُرُهُمْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شَعْيَا ، فَقَامَ فِيهِمْ فَوَعَّظَهُمْ وَذَكَّرَهُمْ ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْذَرَهُمْ بِأَسَهِ وَعِقَابِهِ إِنْ خَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ مَقَالَتِهِ عَدَوْا عَلَيْهِ وَطَلَبُوهُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ ، فَمَرَّ بِشَجَرَةٍ فَانْفَلَقَتْ لَهُ ، فَدَخَلَ فِيهَا ، وَأَذْرَكَ الشَّيْطَانُ فَأَخَذَ يَهْدِيهِ تَوْبِهِ فَأَبْرَزَهَا ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ جَاءُوا بِالْمِنْشَارِ فَوَضَعُوهُ عَلَى الشَّجَرَةِ ، فَنَشَرُوهَا وَنَشَرُوهُ مَعَهَا ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

(١) تاريخ الطبري ٥٣٦/١ ، ٥٣٧ .

ومنها أزميا بن حلقيا

من سبط لاوى بن يعقوب

وقد قيل : إِنَّهُ الْخَضِرُ . رَوَاهُ الضُّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(١) . وَهُوَ غَرِيبٌ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ . قَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٢) : جَاءَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ ، أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى دَمٍ يَحْيَى ابْنِ زَكَرِيَّا وَهُوَ يَقُورُ بِدِمَشْقَ ، فَقَالَ : أَيُّهَا الدَّمُ ، فَتَنَتِ النَّاسَ فَاسْكُنْ . فَسَكَنَ وَرَسَبَ حَتَّى غَابَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَبَّابٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . قَالَ : قَالَ أَزْمِيَا : أَيُّ رَبِّ ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَكْثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا الَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِذِكْرِي عَنْ ذِكْرِ الْخَلَائِقِ ، الَّذِينَ لَا تَغْرِضُ لَهُمْ وَسَائِرُ الْعَنَاءِ ^(٣) ، وَلَا يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْبَقَاءِ ، الَّذِينَ إِذَا عَرَضَ لَهُمْ عَيْشُ الدُّنْيَا قَلَّوْهُ ، وَإِذَا زُوِيَ عَنْهُمْ سُرُّوْهُ بِذَلِكَ . أُولَئِكَ أَنْحَلُهُمْ مَحَبَّتِي وَأُعْطِيَهُمْ فَوْقَ غَايَاتِهِمْ .

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٣٦٥/١ ، ٣٦٦ ، عن وهب بن منبه .

(٢) تاريخ دمشق ٢٨/٨ .

(٣) في الأصل : « المعاء » . وفي م : « الفناء » . والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق .

ذِكْرُ خَرَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ^(١)

وقوله تعالى ^(٢): ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝ (٢) [٢٣٢/١] ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ (٣) وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ (٧) عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَعَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝﴾ [الإسراء: ٢ - ٨]. وقال وهب بن مُنبِّه: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ: أَرْمِيَا، حِينَ ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْمَعَاصِي، أَنْ قُمْ يَنْظُرَانِي قَوْمِكَ، فَأُخْبِرْهُمْ أَنَّ لَهُمْ قُلُوبًا وَلَا يَفْقَهُونَ، وَأَعْيُنًا وَلَا يُبْصِرُونَ، وَأَذَانًا وَلَا يَسْمَعُونَ، وَإِنِّي تَذَكَّرْتُ صَلَاحَ آبَائِهِمْ، فَعَطَفَنِي ذَلِكَ عَلَىٰ أَبْنَائِهِمْ، فَسَلُّهُمْ: كَيْفَ وَجَدُوا غِبَّ طَاعَتِي؟ وَهَلْ سَعِدَ أَحَدٌ مِّنْ عَصَانِي بِمَعْصِيَتِي؟ وَهَلْ شَقِيَ أَحَدٌ مِّنْ أَطَاعَتِي بِطَاعَتِي؟ إِنَّ الدُّوَابَّ تَذْكُرُ أَوْطَانَهَا فَتَنْزِعُ إِلَيْهَا، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ تَزْكُوا الْأَمْرَ الَّذِي أَكْرَمْتُ عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، وَالتَّمَشُّوا الْكِرَامَةَ مِنْ غَيْرِ

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٤٢/٥ - ٤٥.

وجيها ، أمّا أخبارهم فأنكروا حَقِّي ، وأمّا قُرَآؤهم فعَبَدُوا غَيْرِي ، وأمّا نُسَاكهم فلم يَتَّقِعُوا بما عَلِمُوا ، وأمّا وُلائهم فكَذَّبُوا عَلَيَّ وَعَلَى رُسُلِي ، خَزَنُوا الْمَكْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَعَوَّدُوا الْكَذِبَ أَلْسِنَتَهُمْ .^(١) وَإِنِّي أَقْسِمُ بِجَلَالِي وَعِزَّتِي ، لَأَهَيِّجَنَّ عَلَيْهِمْ جِيُولًا لَا يَفْقَهُونَ أَلْسِنَتَهُمْ^(٢) ، وَلَا يَغْرِفُونَ وُجُوهَهُمْ ، وَلَا يَزْحَمُونَ بُكَاءَهُمْ ، وَلَا بُعْثَنَ فِيهِمْ مَلِكًا جَبَّارًا قَاسِيًا ، لَهُ عَسَاكِرُ كَقَطْعِ السَّحَابِ ، وَمَوَاكِبُ كَأَمْثَالِ الْعَجَاجِ^(٣) ، كَأَنَّ خَفَقَانَ رَايَاتِهِ طَيْرَانُ الشُّوْرِ ، وَكَأَنَّ حَمَلَ فَرَسَانِهِ كُرَّ الْعُقْبَانِ ، يُعِيدُونَ الْعُمَرَانَ خَرَابًا ، وَيُثْرِكُونَ الْقُرَى وَخَشَةً ، فَيَا وَيْلَ إِيْلِيَاءَ وَسُكَايْنَهَا ، كَيْفَ أَذْلَلَهُمَ لِلْقَتْلِ ، وَأُسْلَطَ عَلَيْهِمُ السَّبَاءُ^(٤) ، وَأُعِيدُ بَعْدَ لَحَبٍ^(٥) الْأَعْرَاسِ صُرَاخًا ، وَبَعْدَ صَهِيلِ الْخَيْلِ غُوءَاءَ الذَّنَابِ ، وَبَعْدَ شُرَافَاتِ الْقُصُورِ مَسَاكِينَ السَّبَاعِ ، وَبَعْدَ ضَوْءِ الشُّرُجِ وَهَجِ الْعَجَاجِ ، وَبِالْعِزِّ الذَّلِّ ، وَبِالْثَّغْمَةِ الْعُبُودِيَّةِ ، وَأَبْدَلَنْ نِسَاءَهُمْ بَعْدَ الطَّيِّبِ الثَّرَابِ ، وَبِالْمَشْيِ عَلَى الزَّرَايِ^(٦) الْحَبِّ^(٧) . وَلَأَجْعَلَنَّ أَجْسَادَهُمْ زَبَلًا لِلْأَرْضِ ، وَعِظَامَهُمْ^(٨) ضَاحِيَةً لِلشَّمْسِ ، وَلَأُدْوَستَهُمْ بِاللَّوَانِ الْعَذَابِ ، ثُمَّ لَأَمْرَنَّ السَّمَاءَ فَلَتَكُونَنَّ طَبَقًا مِنْ حَدِيدٍ ، وَالْأَرْضَ سَبِيكَةً مِنْ نُحَاسٍ ، فَإِنْ أَمْطَرْتُ ، لَمْ تُثْبِتِ الْأَرْضُ ، وَإِنْ أَنْبَتَتْ شَيْئًا فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، فَبِرَحْمَتِي لِلْبَهَائِمِ ، ثُمَّ أَحْبِسُهُ فِي زَمَانِ الزَّرْعِ ، وَأُرْسِلُهُ فِي زَمَانِ الْحَصَادِ [٢٣٣/١] ، فَإِنْ زَرَعُوا فِي خِلَالِ ذَلِكَ شَيْئًا ، سَلَطْتُ عَلَيْهِ الْآفَةَ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فِي ح ، م : « الفجاج » .

(٣) السَّاء : الْأَشْر .

(٤) فِي الْأَصْل : « صَخَب » . وَفِي ح : « لَحَب » . وَاللَّجَب : ارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ .

(٥) وَالزَّرَايِ : كُلُّ مَا يُسَطُّ وَانْكَئَى عَلَيْهِ .

(٦) الْحَبِّ : الْقَذْو .

(٧) فِي ح ، م : « عِظَامَهُن » .

فَإِنْ خَلَصَ مِنْهُ شَيْءٌ نَزَعْتُ مِنْهُ الْبَرَكَهَ ، فَإِنْ دَعَوْنِي لَمْ أُجِبْهُمْ ، وَإِنْ سَأَلُوا لَمْ أُعْطِهِمْ ، وَإِنْ بَكَوْا لَمْ أَرْحَمْهُمْ ، وَإِنْ تَضَرَّعُوا صَرَفْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ . رواه ابن عساکر بهذا اللفظ^(١) .

وقال إسحاق بن بشر^(٢) : أنبأنا إدريس ، عن وهب بن مُنبِّه قال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ أَرْمِيَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَذَلِكَ حِينَ عَظُمَتِ الْأَحْدَاثُ فِيهِمْ ؛ فَعَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ ، طَمِعَ بُحْتُ نَصَرَ فِيهِمْ ، وَقَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ ؛ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْتَقِمَ بِهِ مِنْهُمْ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَرْمِيَا ؛ أَنِّي مُهْلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَمُنْتَقِمٌ مِنْهُمْ ، فَقُمَّ عَلَى صَخْرَةٍ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؛ يَأْتِيكَ أَمْرِي وَوَحْيِي . فقام أرميا فشق ثيابه ، وجعل الرماد على رأسه ، وخرَّ ساجداً ، وقال : يارب ، وددت أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي حِينَ جَعَلْتَنِي آخِرَ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَيَكُونُ خَرَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَيَوَاژُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ أَجْلِي . فقليل له : ازْفَعْ رَأْسَكَ . فرفع رأسه فبكى ، ثم قال : يَا رَبِّ ، مَنْ تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ ؟ قال : عَبْدَةُ النَّيِّرَانِ ؛ لَا يَخَافُونَ عِقَابِي ، وَلَا يَزُجُونَ ثَوَابِي ، قُمْ يَا أَرْمِيَا فَاسْتَمِيعْ وَحْيِي ، أَخْبِرُكَ خَبْرَكَ وَخَبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَخْلُقَكَ اخْتَرْتُكَ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ أَصَوِّرَكَ فِي رَحِمِ أُمِّكَ ، قَدَسْتُكَ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ أُخْرِجَكَ مِنْ بَطْنِ أُمِّكَ طَهَّرْتُكَ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْلُغَ نَبَأْتُكَ ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْلُغَ^(٣) الْأَشَدَّ اخْتَرْتُكَ ، وَلَأْمَرٍ عَظِيمٍ اجْتَبَيْتُكَ ، فَقُمْ مَعَ الْمَلِكِ ، تُسَدِّدْهُ وَتُرْشِدْهُ . فكان مع الملك يُرْشِدُهُ وَيَأْتِيهِ

(١) في تاريخ دمشق ٢٩/٨ ، ٣٠ .

(٢) أخرجه من طريقه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٤/٨ - ٤١ . ومن طريقه أيضاً ابن الجوزي في المنتظم ٤٠١/١ - ٤٠٦ مختصراً عن هذا .

(٣) بعده في الأصل : «الحلم» .

الْوَحْيُ مِنَ اللَّهِ، حَتَّى عَظُمَتِ الْأَحْدَاثُ، وَنَسُوا مَا نَجَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّهِمْ
 سِنْحَارِيْبَ وَجُنُودِهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَرْمِيَا؛ قُمْ فَاقْضُصْ عَلَيْهِمْ مَا آمُرُكَ بِهِ،
 وَذَكِّرْهُمْ نِعْمَتِي عَلَيْهِمْ، وَعَرِّفْهُمْ أَحْدَاثَهُمْ. فَقَالَ أَرْمِيَا: يَا رَبِّ، إِنِّي ضَعِيفٌ
 إِنْ لَمْ تُقَوِّنِي، عَاجِزٌ إِنْ لَمْ تُبَلِّغْنِي، مُخْطِئٌ إِنْ لَمْ تُسَدِّدْنِي، مَحْذُولٌ إِنْ لَمْ
 تَنْصُرْنِي، ذَلِيلٌ إِنْ لَمْ تُعِزَّنِي. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: أَوْ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا
 تَصُدِّرُ عَنْ مَشِيئَتِي، وَأَنَّ «الْخَلْقَ»^(١) الْأَمَرَ كُلَّهُ لِي، وَأَنَّ الْقُلُوبَ وَالْأَلْسِنَةَ كُلَّهَا
 بِيَدِي، فَأَقْلُبُهَا كَيْفَ شِئْتُ فَتُطِيعُنِي^(٢)، فَأَنَا اللَّهُ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ مِثْلِي، قَامَتِ
 السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا فِيهِنَّ بِكَلِمَتِي، وَأَنَّهُ لَا يَخْلُصُ التَّوْحِيدُ وَلَمْ تَنْمِ الْقُدْرَةُ
 إِلَّا لِي، وَلَا يَعْلَمُ مَا عِنْدِي غَيْرِي، وَأَنَا الَّذِي كَلَّمْتُ الْبَحَارَ فَفَهِمَتْ قَوْلِي،
 وَأَمَرْتُهَا فَفَعَلَتْ أَمْرِي، وَحَدَدْتُ عَلَيْهَا حُدُودًا، فَلَا تَعْدُو حَدِّي، وَتَأْتِي بِأَمْوَاجٍ
 كَالْجِبَالِ، فَإِذَا بَلَغَتْ حَدِّي أَلْبَسْتُهَا مَذَلَّةً لَطَاعَتِي، وَخَوْفًا، وَاعْتِرَافًا لِأَمْرِي،
 وَإِنِّي مَعَكُمْ، وَلَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ شَيْءٌ مَعِي، وَإِنِّي بَعَثْتُكَ إِلَى خَلْقٍ [٢٣٣/١ ط]
 عَظِيمٍ مِنْ خَلْقِي؛ لِئُبَلِّغَهُمْ رِسَالَاتِي، فَتَسْتَوْجِبَ لَذَلِكَ^(٣) أَجْرَ^(٤) مَنْ اتَّبَعَكَ^(٥)،
 وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا^(٦) وَإِنْ تَقْصُرْ عَنْهَا، تَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ وَزَرَ مَنْ
 تَرَكْتَهُ فِي عِمَايَةٍ، وَلَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا^(٧)، أَنْطَلِقُ إِلَى قَوْمِكَ، فَقُمْ
 فِيهِمْ، وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ ذَكَرَكُمْ بِصَلَاحِ آبَائِكُمْ؛ فَلِذَلِكَ اسْتَبَقَاكُمْ يَا مَعْشَرَ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) سقط من: ص.

(٣) في ح: «كذلك».

(٤ - ٤) في ح: «منى أنفعك».

(٥ - ٥) سقط من: م، ص.

أبناء الأنبياء، كيف وَجَدَ آبَاؤُكُمْ مَعْبَةَ طَاعَتِي، وكيف وَجَدْتُمْ مَعْبَةَ مَعْصِيَتِي؟ وهل وَجَدُوا أَحَدًا عَصَانِي فَسَعِدَ بِمَعْصِيَتِي؟ وهل عَلِمُوا أَحَدًا أَطَاعَنِي فَشَقِيَّ بِطَاعَتِي؟ إِنَّ الدُّوَابَّ إِذَا ذُكِّرَتْ أوطَانَهَا الصَّالِحَةَ نَزَعَتْ إِلَيْهَا، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ رَتَعُوا فِي مُزْوَجِ الْهَلَكَةِ، وَتَزَكُّوا الْأَمْرَ الَّذِي بِهِ أَكْرَمْتُ آبَاءَهُمْ، وَابْتَغَوْا الْكِرَامَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِهَا. أَمَّا أَخْبَارُهُمْ وَرَهْبَانُهُمْ، فَاتَّخَذُوا عِبَادِي^(١) خَوَلًا يَتَعَبَّدُونَهُمْ، وَيَحْكُمُونَ فِيهِمْ بِغَيْرِ كِتَابِي، حَتَّى أَجْهَلُوهُمْ أَمْرِي وَأَنْسَوَهُمْ ذِكْرِي وَسُنَّتِي، وَغَزَوْهُمْ^(٢) عَنِّي، فَدَانَ لَهُمْ عِبَادِي بِالطَّاعَةِ، الَّتِي لَا تَنْبَغِي^(٣) إِلَّا لِي^(٣)، فَهَمْ يُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَتِي. وَأَمَّا مَلُوكُهُمْ وَأُمَرَاؤُهُمْ، فَبَطَرُوا نِعْمَتِي، وَأَمِنُوا مَكْرِي، وَغَرَّهُمْ الدُّنْيَا، حَتَّى نَبَذُوا كِتَابِي، وَنَسُوا عَهْدِي، فَهَمْ يُحَرِّفُونَ كِتَابِي، وَيَقْتَرُونَ عَلَى رُسُلِي؛ جُرْأَةً مِنْهُمْ عَلَى وَغَرَّةٍ بِي. فَسَبْحَانَ جَلَالِي وَعُلُوِّ مَكَانِي، وَعَظَمَةِ شَأْنِي، هَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِي شَرِيكَ فِي مُلْكِي! وَهَلْ يَنْبَغِي لِبَشَرٍ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَتِي! وَهَلْ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْلُقَ عِبَادًا أَجْعَلُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِي! أَوْ آذَنَ لِأَحَدٍ بِالطَّاعَةِ لِأَحَدٍ! وَهِيَ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِي! وَأَمَّا قُرَاؤُهُمْ وَفُقَهَاؤُهُمْ، فَيَذَرُسُونَ مَا يَتَخَيَّرُونَ، فَيَتَقَادُونَ لِلْمُلُوكِ، فَيَتَابِعُونَهُمْ^(٤) عَلَى الْبِدْعِ الَّتِي يَتَّبِعُونَ فِي دِينِي، وَيُطِيعُونَهُمْ فِي مَعْصِيَتِي، وَيُوفُونَ لَهُمْ بِالْعُهُودِ النَّاقِضَةِ لِعَهْدِي، فَهَمْ جَهْلَةٌ بَمَا يَعْلَمُونَ، لَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا عَلِمُوا مِنْ كِتَابِي. وَأَمَّا

(١) فِي الْأَصْلِ: «عِبَادَتِي».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «وَعَزَوْهُمْ». وَفِي ح، م: «وَعَزَوْهُمْ».

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ح.

(٤) فِي ص: «يَتَابِعُونَهُمْ».

أولاد النِّبِيِّينَ، فَمَقْهُورُونَ وَمَقْتُونُونَ؛ يَخُوضُونَ مع الخَائِضِينَ، يَتَمَنُّونَ مِثْلَ
نَصْرِي آبَاءِهِمْ، والكرامة التي أَكْرَمْتَهُمْ بها، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ
مِنْهُمْ، بغيرِ صِدْقٍ مِنْهُمْ، وَلَا تَفَكُّرٍ، وَلَا يَذْكُرُونَ كيف كان صَبْرُ آبَائِهِمْ،
وكيف كان جُهِدُهُمْ في أَمْرِي، حتى ^(١) اغْتَرَّ الْمُعْتَرِّضُونَ، وكيف بذَلُوا أَنْفُسَهُمْ
ودماءَهُمْ، فَصَبَرُوا وَصَدَّقُوا، حتى عَزَّ أَمْرِي، وَظَهَرَ دِينِي، فَتَأَنَّثَ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمُ، ^(٢) لَعَلَّهُمْ يَسْتَحْيُونَ^(٣) مِنِّي وَيَزْجِعُونَ، فَتَطَوَّلْتُ عَلَيْهِمْ وَصَفَحْتُ عَنْهُمْ،
فَأَكْثَرْتُ وَمَدَدْتُ لَهُمْ فِي الْعُمُرِ، وَأَعْدَزْتُ لَهُمْ ^(٤) لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَكُلُّ ذَلِكَ
أَمْطِرُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ، وَأُنَبِّئُ لَهُمُ الْأَرْضَ، وَأُلَيْسُهُمُ الْعَافِيَّةَ، وَأُظْهِرُهُمْ عَلَى
الْعَدُوِّ، وَلَا يَزْدَادُونَ إِلَّا طُغْيَانًا وَبُعْدًا مِنِّي، فَحَتَّى مَتَى هَذَا! أَيْبَى يَسْخَرُونَ! أَمْ
بِي يَتَمَرَّسُونَ ^(٥)! أَمْ إِيَّايَ يُخَادِعُونَ! أَمْ عَلَيَّ [٢٣٤/١] يَجْتَرِثُونَ! فَإِنِّي أُقْسِمُ
بِعِزَّتِي، لَا يُبَحِّثَنَّ لَهُمْ ^(٦) فَتَنَةٌ يَتَحَيَّرُ فِيهَا الْحَلِيمُ^(٧)، وَيَضِلُّ فِيهَا رَأْيُ ذَوِي الرَّأْيِ،
وَحِكْمَةُ الْحَكِيمِ، ثُمَّ لَا سُلْطَانَ عَلَيْهِمْ جَبَّارًا قَاسِيًا عَاتِيًا، أَلْبِسُهُ الْهَيْبَةَ، وَأَنْزِعُ مِنْ
قَلْبِهِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ، وَأَلَيْتُ أَنْ يَتَّبِعَهُ عَدُوٌّ وَسَوَادٌ مِثْلُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَهُ فِيهِ
عَسَاكِرُ مِثْلُ قِطْعِ السَّحَابِ، وَمَوَاكِبُ مِثْلُ الْعَجَاجِ، وَكَأَنَّ خَفِيفَ رَايَاتِهِ طَيْرَانُ
الْثَّسُورِ، وَحَمْلُ فُرْسَانِهِ كَسِيرِ الْعِقْبَانِ، يُعِيدُونَ الْعُمْرَانَ خَرَابًا، وَالْقُرَى
وَحُشًّا، وَيَعِيشُونَ فِي الْأَرْضِ فِسَادًا، وَيُتَبَّرُونَ مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا، قَاسِيَةً قُلُوبُهُمْ؛ لَا

(١) في ح، م: «حين».

(٢ - ٣) في ص: «يستخفون».

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) في م: «يتحرشون». وفي ص: «يتمرشون».

(٥) في م: «عليهم».

(٦) في م: «الحكيم».

يَكْتَرِثُونَ، وَلَا يَرْقُونَ^(١)، وَلَا يَوْحَمُونَ، وَلَا يُنْصَرُونَ، وَلَا يَسْمَعُونَ، يَجُولُونَ
 فِي الْأَسْوَاقِ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفَعَةٍ مِثْلَ زَيْبِرِ الْأُسْدِ، تَقْشَعِرُّ مِنْ هَيْبَتِهَا الْجُلُودُ،
 وَتَطْيِشُ مِنْ سَمْعِهَا الْأَحْلَامَ، بِالْأَسِنَّةِ لَا يَفْقَهُونَهَا، وَوُجُوهُ ظَاهِرِهَا عَلَيْهَا الْمُتَكَرِّرُ لَا
 يَعْرِفُونَهَا. فَوَعَزَّتِي لَأَعْطَلَنَّ يُيُوتَنَّهُمْ مِنْ كُتَيْبِي^(٢) وَقُدْسِي، وَلَأُخْلِيَنَّ مَجَالِسَهُمْ
 مِنْ حَدِيثِهَا وَدُرُوسِهَا، وَلَأَوْحِشَنَّ مَسَاجِدَهُمْ مِنْ عُمَارِهَا وَزُؤَارِهَا، الَّذِينَ كَانُوا
 يَتَزَيَّثُونَ بِعِمَارَتِهَا لَغَيْرِي، وَيَتَهَجَّدُونَ فِيهَا وَيَتَعَبَّدُونَ لِكَسْبِ الدُّنْيَا بِالدِّينِ،
 وَيَتَفَقَّهُونَ فِيهَا لَغَيْرِ الدِّينِ، وَيَتَعَلَّمُونَ فِيهَا لَغَيْرِ الْعَمَلِ. لَأَبْدَلَنَّ مَلُوكَهَا بِالْعَزِّ
 الذَّلَّ، وَبِالْأَمْنِ الْخَوْفَ، وَبِالْغِنَى الْفَقْرَ، وَبِالنَّعْمَةِ الْجُوعَ، وَبِطُولِ الْعَافِيَةِ وَالرَّخَاءِ
 أَلْوَانَ الْبَلَاءِ، وَبِإِلْبَاسِ الدِّيَاجِ وَالْحَرِيرِ مَدَارِغَ الْوَبَرِ وَالْعَبَاءِ، وَبِالْأَزْوَاجِ الطَّيِّبَةِ
 وَالْأَذْهَانِ جَيْفَ الْقَتْلِ، وَبِإِلْبَاسِ التَّيْجَانِ أَطَوَاقَ الْحَدِيدِ وَالسَّلَاسِلَ وَالْأَغْلَالَ.
 ثُمَّ لَأُعِيدَنَّ فِيهِمْ بَعْدَ الْقُصُورِ الْوَاسِعَةِ وَالْحُصُونِ الْحَصِينَةِ الْخَرَابَ، وَبَعْدَ الْبُرُوجِ
 الْمُشِيدَةِ مَسَاكِينَ السَّبَاعِ، وَبَعْدَ صَهِيلِ الْخَيْلِ غَوَاءَ الذُّنَابِ، وَبَعْدَ ضَوْءِ السَّرَاجِ
 دُخَانَ الْحَرِيقِ، وَبَعْدَ الْأُنْسِ الْوَحْشَةَ وَالْقِفَارَ. ثُمَّ لَأُبْدَلَنَّ نِسَاءَهَا بِالْأَشُورَةِ
 الْأَغْلَالَ، وَبِقَلَائِدِ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ سَلَاسِلَ الْحَدِيدِ، وَبِأَلْوَانِ الطَّيِّبِ وَالْأَذْهَانِ
 النَّفْعَ وَالْعُبَارَ، وَبِالْمَشْيِ عَلَى الزَّرَابِيِّ غُبُورَ الْأَسْوَاقِ وَالْأَنْهَارِ وَالْحَبَبَ إِلَى اللَّيْلِ فِي
 بَطُونِ الْأَسْوَاقِ، وَبِالْخُدُورِ وَالشُّثُورِ الْحُسُورَ عَنِ الْوُجُوهِ وَالشُّوقِ وَالْإِسْفَارَ،
 وَالْأَرْوَاحِ السَّمُومَ، ثُمَّ لَأَدُوسَنَّهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، حَتَّى لَوْ كَانَ الْكَائِنُ مِنْهُمْ فِي
 حَالَتِي، لَوَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ. إِنِّي إِنَّمَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَنِي، وَإِنَّمَا أَهَيُّ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ
 أَمْرِي. ثُمَّ لَأَمُرَّنَّ السَّمَاءَ خِلَالَ ذَلِكَ؛ فَلَتَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ طَبَقًا مِنْ حَدِيدٍ، وَلَأَمُرَّنَّ

(١) فِي الْأَصْلِ: «يَرْمُونَ». وَفِي م: «يَرْقُونَ».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «كُنْفِي».

الأَرْضَ، فَلْتَكُونَنَّ سَبِيكَةً مِنْ نُحَاسٍ، فَلَا سَمَاءَ تُمَطِّرُ وَلَا أَرْضَ تُنْبِتُ، فَإِنْ أَمَطَرْتُ [٢٣٤/١ ط] خِلَالَ ذَلِكَ شَيْئًا، سَلَطْتُ عَلَيْهِ ^(١) الْآفَةَ، فَإِنْ خَلَصَ مِنْهُ شَيْءٌ نَزَعْتُ مِنْهُ الْبَرَكَةَ، وَإِنْ دَعَوْنِي لَمْ أُجِبْهُمْ، وَإِنْ سَأَلُونِي لَمْ أُعْطِهِمْ، وَإِنْ بَكَوْا لَمْ أُرْحَمِهِمْ، وَإِنْ تَضَرَّعُوا إِلَيَّ، صَرَفْتُ وَجْهِي عَنْهُمْ. وَإِنْ قَالُوا: اللَّهُمَّ أَنْتَ الَّذِي ابْتَدَأْتَنَا وَأَبَاؤَنَا مِنْ قَبْلِنَا بِرَحْمَتِكَ وَكَرَامَتِكَ، وَذَلِكَ بِأَنَّكَ اخْتَرْتَنَا لِنَفْسِكَ، وَجَعَلْتَ فِيْنَا نُبُوتَكَ وَكِتَابَكَ وَمَسَاجِدَكَ، ثُمَّ مَكَّنْتَ لَنَا فِي الْبِلَادِ، وَاسْتَخْلَفْتَنَا فِيهَا، وَرَزَيْتَنَا ^(٢) وَأَبَاؤَنَا مِنْ قَبْلِنَا بِنِعْمَتِكَ صِغَارًا، وَحَفِظْتَنَا وَإِيَّاهُمْ بِرَحْمَتِكَ كِبَارًا، فَأَنْتَ أَوْفَى الْمُتَعَمِّينَ، ^(٣) فَلَا تُغَيِّرُ ^(٤) وَإِنْ غَيَّرْنَا، وَلَا تُبَدِّلُ وَإِنْ بَدَّلْنَا، ^(٥) وَأَنْ تُنِيمَ فَضْلَكَ وَمَنْكَ وَطَوْلَكَ وَإِحْسَانَكَ ^(٦). فَإِنْ قَالُوا ذَلِكَ، قُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي أَبْتَدِئُ عِبَادِي بِرَحْمَتِي وَنِعْمَتِي، فَإِنْ قَبِلُوا أَتَمَمْتُ، وَإِنْ اسْتَرَادُوا زِدْتُ، وَإِنْ شَكَرُوا ضَاعَفْتُ، وَإِنْ بَدَّلُوا ^(٧) غَيَّرْتُ، وَإِذَا غَيَّرُوا غَضِبْتُ، وَإِذَا غَضِبْتُ عَذَّبْتُ، وَلَيْسَ يَقُومُ شَيْءٌ لِعَظِيمِي. قَالَ كَعْبٌ: فَقَالَ أَرَمِيَا: بِرَحْمَتِكَ أَصْبَحْتُ أَتَكَلَّمُ ^(٨) بَيْنَ يَدَيْكَ، وَهَلْ يَنْبَغِي ذَلِكَ لِي، وَأَنَا أَذِلُّ وَأَضْعَفُ مِنْ أَنْ يَنْبَغِي لِي أَنْ أَتَكَلَّمُ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَكِنْ بِرَحْمَتِكَ أَبْقَيْتَنِي لِهَذَا الْيَوْمِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَقُّ أَنْ يَخَافَ هَذَا الْعَذَابَ وَهَذَا الْوَعِيدَ مِنِّي، بِمَا رَضِيتَ بِهِ مِنِّي طَوْلًا، وَالْإِقَامَةَ فِي دَارِ الْخَاطِئِينَ وَهُمْ يَعْصُونَكَ حَوْلِي بِغَيْرِ نَكِيرٍ ^(٩) وَلَا تَغْيِيرٍ مِنِّي، فَإِنْ

(١) فِي ح، م: «عَلَيْهِمْ».

(٢) فِي الْأَصْل: «وَرَزَيْتَنَا».

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: ح، م، ص.

(٤ - ٤) فِي الْأَصْل، ح، وَالتَّارِيخُ: «وَأَنْ تَنْتِمْ نِعْمَتَهُ وَفَضْلَهُ وَمَنْهُ وَطَوْلَهُ وَإِحْسَانَهُ». وَفِي ص: «وَأَنْ يَنْتِمْ نِعْمَتَهُ وَفَضْلَهُ وَطَوْلَهُ وَإِحْسَانَهُ».

(٥) فِي ح: «غَيَّرُوا». وَفِي م، ص: «غَيَّرُوا».

(٦) فِي النِّسْخِ: «أَتَعْلَمُ». وَالمُثَبِّتُ مِنْ مَخْتَصَرِ تَارِيخِ دِمَشْقَ ٢٤٣/٤.

(٧) فِي ح، م: «نَكَرَ».

تُعَذِّبُنِي فِذِّبْنِي ، وَإِنْ تَرَوْحَمْنِي فَذَلِكَ ظَنِّي بِكَ . ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ ، سُبْحَانَكَ
 وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ، أَتَهْلِكُ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَمَا حَوْلَهَا ، وَهِيَ
 مَسَاكُنُ أَنْبِيَائِكَ ، وَمَنْزِلُ وَحْيِكَ ؟ يَا رَبِّ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكْتَ رَبَّنَا
 وَتَعَالَيْتَ لِحَجْرِ هَذَا الْمَسْجِدِ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ ، وَمِنَ الْبُيُوتِ الَّتِي رُفِعَتْ
 لِذِكْرِكَ ؟ يَا رَبِّ ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ لِمَقْتِكَ ^(١) هَذِهِ
 الْأُمَّةَ وَعَذَابِكَ لِإِيَّاهُمْ وَهُمْ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ ، وَأُمَّةَ مُوسَى نَبِيِّكَ ، وَقَوْمِ
 دَاوُدَ صَفِيِّكَ ، يَا رَبِّ ، أَيُّ الْقُرَى تَأْمَنُ عُقُوبَتَكَ ^(٢) بَعْدَ أُورُشَلِيمَ ؟ وَأَيُّ الْعِبَادِ
 يَأْمَنُونَ سَطْوَتَكَ بَعْدَ وَلَدِ خَلِيلِكَ إِبْرَاهِيمَ ، وَأُمَّةِ نَبِيِّكَ مُوسَى ، وَقَوْمِ خَلِيفَتِكَ
 دَاوُدَ ؟ تُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَبْدَةَ النِّيرَانِ ! قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : يَا أَرْمِيَا ، مَنْ عَصَانِي فَلَا
 يَسْتَنْكِزُ نِقْمَتِي ^(٣) ؛ فَإِنِّي أَكْرَمْتُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ عَلَى طَاعَتِي ، وَلَوْ أَنَّهُمْ عَصَوْنِي
 لَأَنْزَلْتُهُمْ دَارَ الْعَاصِيَيْنَ ، إِلَّا أَنْ أَتَدَارَكَهُمْ يَرْحَمَتِي . قَالَ أَرْمِيَا : يَا رَبِّ ، اتَّخَذْتَ
 إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ، وَحَفِظْتَنَا بِهِ ، وَمُوسَى قَرِيبًا ، فَسَأَلْتُكَ أَنْ تَحْفَظَنَا وَلَا
 تَتَخَطَّفَنَا ، وَلَا تُسَلِّطَ عَلَيْنَا عَدُوَّنَا . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : يَا أَرْمِيَا ، إِنِّي قَدْ سَتَّكَ فِي
 بَطْنِ أُمِّكَ ، وَأَخْرَجْتُكَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ، فَلَوْ أَنَّ قَوْمَكَ حَفِظُوا الْبَيْتَامَى وَالْأَرَامِلَ
 وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ، لَكُنْتُ ^(٤) الدَّاعِمَ لَهُمْ ، وَكَانُوا [٢٣٥/١ و] عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ
 جَنَّةٍ نَاعِمٍ شَجَرُهَا ، طَاهِرٍ مَائُهَا ، وَلَا يَغُورُ مَائُهَا ، وَلَا تَبْثُورُ ثِمَارُهَا وَلَا تَنْقَطِعُ ،

(١) فِي ح ، م ، ص : « لِمَقْتَلِك » .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : م . وَفِي الْأَصْلِ : « بَعْدِ رُوشَلِيم » . وَفِي ح : « بَعْدَ رُوشَلِيم » . وَفِي ص : « وَسَلِم » .
 وَالتَّصْحِيحُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٣) فِي ص : « نَعَمَتِي » .

(٤) فِي م : « لَمَكُنْتُ » .

ولكن سَأَشْكُوا إِلَيْكَ بنى إسرائيل؛ إني كنتُ لهم بمنزلة الرّاعى^(١) الشّفيق، أَجْنَبُهُمْ كُلَّ فَخِطٍ وَكُلَّ عَسْرَةٍ^(٢)، وَأَتَّبِعُ بِهِمُ الْخَضْبَ، حتى صاروا كِبَاشًا يَنْطُحُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَا وَيْلَهُمْ ثُمَّ يَا وَيْلَهُمْ، إِنَّمَا أَكْرِمُ مَنْ أَكْرَمَنِي، وَأُهِنُّ مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرِي، إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنَ الْقُرُونِ يَسْتَخْفُونَ بِمَعْصِيَتِي، وَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَتَّبِعُونَ بِمَعْصِيَتِي تَبَعًا؛ فَيُظْهِرُونَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ، وَعَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَظِلَالِ الْأَشْجَارِ، حَتَّى عَجَّتِ السَّمَاءُ إِلَيَّ مِنْهُمْ، وَعَجَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَنَفَرَتْ مِنْهَا الْوُحُوشُ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقَاصِيهَا، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَنْتَهُونَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا عَلِمُوا مِنَ الْكِتَابِ. قَالَ: فَلَمَّا بَلَغَهُمْ أَرْمِيَا رَسُولَ رَبِّهِمْ، وَسَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْوَعِيدِ وَالْعَذَابِ، عَصَوْهُ وَكَذَّبُوهُ وَاتَّهَمُوهُ، وَقَالُوا: كَذَبْتَ وَعَظَّمْتَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، فَتَزَعُمُ أَنَّ اللَّهَ مُعْطِلُ أَرْضِهِ وَمَسَاجِدِهِ مِنْ كِتَابِهِ وَعِبَادَتِهِ^(٣) وَتَوْحِيدِهِ، فَمَنْ يَعْبُدُهُ حِينَ لَا يَنْتَقَى لَهُ فِي الْأَرْضِ عَابِدٌ وَلَا مَسْجِدٌ وَلَا كِتَابٌ؟ لَقَدْ أَعْظَمْتَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللَّهِ، وَاعْتَزَّكَ الْجَنُونَ. فَأَخَذُوهُ وَقَيَّدُوهُ وَسَجَّنُوهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بُحْتُ نَصْرًا، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ بِجُنُودِهِ حَتَّى نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ حَاصَرَهُمْ، فَكَانَ كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٤): ﴿فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]. قَالَ: فَلَمَّا طَالَ بِهِمُ الْحَصْرُ، نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، فَفَتَحُوا الْأَبْوَابَ، وَتَخَلَّلُوا الْأَرْقَةَ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ﴾. وَحَكَمَ فِيهِمْ حُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ وَبَطَشَ

(١) فى م، ص: «الداعى».

(٢) فى الأصل، والتاريخ: «غرة».

(٣) فى الأصل: «وعبادته».

(٤) التفسير ٤٤/٥.

الجبارين، فقتل منهم الثلث، وسبى الثلث، وترك الزمّنى والشيوخ والعجائز، ثم وطّهم بالخليل، وهدم بيت المقدس، وساق الصّبيان، وأوقف النساء فى الأسواق مُحسرات، وقتل المُقاتلة، وخرّب الحصون، وهدم المساجد، وحرّق الثّوراة، وسأل عن دانيال، الذى كان كتب له الكتاب، فوجده قد مات، وأخرج أهل بيتيه الكتاب إليه، وكان فيهم دانيال بن حزقيل الأصغر، وميشائيل، وعزرائيل، وميخائيل، فأمنّى لهم ذلك الكتاب، وكان دانيال بن حزقيل خلفاً من دانيال الأكبر، ودخل بُحث نصرَ بجنوده بيت المقدس، ووطى الشام كلها، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم، فلما فرغ منها، انصرف راجعاً، وحمل الأموال التى كانت بها، وساق السّبايا، فبلغ معه عدّة صبيانهم من أبناء الأختار والملوك، تسعين^(١) ألف غلام، وقذف الكناسات فى بيت المقدس [٢٣٥/١ ظ]، ودبّح فيه الخنازير، وكان الغلمان سبعة آلاف غلام من بيت داود، وأخذ عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين، وثمانية آلاف من سبط إيشا بن يعقوب، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون وفتالى ابنى يعقوب، وأربعة عشر ألفاً من سبط دان بن يعقوب،^(٢) وثمانية آلاف من سبط يستاخز بن يعقوب^(٣)، وألفين من سبط رايلون^(٣) بن يعقوب، وأربعة آلاف من سبط روييل ولاوى، واثنى عشر ألفاً من سائر بنى إسرائيل، وانطلق حتى قدّم أرض بابل.

(١) كذا فى النسخ، وفى تاريخ الطبرى ٥٥٣/١: «سبعين ألف». ومجموع الغلمان المذكورين فى أثر كعب: «ثمانون ألفاً».

(٢ - ٢) سقط من: ح.

(٣) فى م: «زبالون». وفى التاريخ: «رالون».

قال إسحاق بن بشر: قال وهب بن منييه: فلما فعل ما فعل، قيل له: كان لهم صاحب يحذرهم ما أصابهم، ويصفك وخبرك لهم، ويخبرهم أنك تقتل مقاتلتهم، وتشبي ذراريتهم، وتهدم مساجدهم، وتحرق كنائسهم، فكذبوه، واتهموه، وضربوه، وقتلوه وخبثوه. فأمر بخت نصر، فأخرج أرميا من السجن، فقال له: أكننت تحذر هؤلاء القوم ما أصابهم؟ قال: نعم. قال: فإنني علمت ذلك. قال: أرسلني الله إليهم فكذبوني. قال: كذبوك وضربوك وسجنوك؟ قال: نعم. قال: بس القوم قوم كذبوا نبينهم، وكذبوا رسالة ربهم، فهل لك أن تلحق بي، فأكرمك وأوأسيك، وإن أخبيت أن تقيم في بلادك، فقد أمنتك. قال له أرميا: إني لم أزل في أمان الله منذ كنت، لم أخرج منه ساعة قط، ولو أن بني إسرائيل لم يخرجوا منه، لم يخافوك ولا غيرك، ولم يكن لك عليهم سلطان. فلما سمع بخت نصر هذا القول منه، تركه، فأقام أرميا مكانه بأرض إيلياء. وهذا سياق غريب، وفيه حكم ومواعظ وأشياء مليحة، وفيه من جهة التغريب غرابة.

وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي^(١): كان بخت نصر أضفهبذا^(٢) لما بين الأهواز إلى الروم؛ للملك على^(٣) الفرس وهو لهراسب، وكان قد بنى مدينة بلخ التي تلقب بـ «الخنساء»^(٤)، وقاتل الترك، وألجأهم إلى أضيق الأماكن،

(١) تاريخ الطبري ١/ ٥٣٨، ٥٣٩.

(٢) الأصفهني: الأمير. وهي فارسية. وهي في تاريخ الطبري - كما جاءت بالمعجم - : «أصبهذ»، بالباء.

(٣) في ح: «جاء».

(٤) كذا في النسخ. وفي تاريخ الطبري: «الخنساء».

وَبَعَثَ بُحْتُ نَصْرَ لِقِتَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالشَّامِ ، فَلَمَّا قَدِمَ الشَّامَ صَالِحُهُ أَهْلُ دِمَشْقَ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ الَّذِي بَعَثَ بُحْتُ نَصْرَ ، إِنَّمَا هُوَ بِهِمُنْ مَلِكُ الْفَرَسِ بَعْدَ بَشْتَا سَبِّ بْنِ لِهْرَاسَبَ ؛ وَذَلِكَ لِتَعَدُّى بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى رُسُلِهِ إِلَيْهِمْ . وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ ^(١) ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ، عَنْ ابْنِ وَهْبٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّ بُحْتُ نَصْرَ لَمَّا قَدِمَ دِمَشْقَ ، وَجَدَ بِهَا دَمًا يَغْلَى عَلَى كَبَا - يَعْنِي الْقِمَامَةَ - فَسَأَلَهُمْ : مَا هَذَا الدَّمُ ؟ فَقَالُوا : أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذَا ، وَكُلَّمَا ظَهَرَ عَلَيْهِ الْكَبَا ظَهَرَ . قَالَ : فَقَتَلَ عَلَى ذَلِكَ سَبْعِينَ [٢٣٦/١ و] أَلْفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ، فَسَكَنَ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ الْحَافِظِ ابْنِ عَسَاكِرَ ^(٢) مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا دَمُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ ؛ لِأَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بَعْدَ بُحْتُ نَصْرَ مُدَّةٌ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا دَمُ نَبِيِّ مُتَقَدِّمٍ ، أَوْ دَمُ لِبَعْضِ الصَّالِحِينَ ، أَوْ لِمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِمَّنِ اللَّهُ أَعْلَمَ بِهِ . قَالَ هِشَامُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ : ثُمَّ قَدِمَ بُحْتُ نَصْرَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَصَالِحُهُ مَلِكُهَا ، وَكَانَ مِنْ آلِ دَاوُدَ ، وَصَانَعَهُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَخَذَ مِنْهُ بُحْتُ نَصْرَ رَهَائِنَ وَرَجَعَ ، فَلَمَّا بَلَغَ طَبْرِيَّةَ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَارُوا عَلَى مَلِكِهِمْ فَقَتَلُوهُ لِأَجْلِ أَنَّهُ صَالِحُهُ ، فَضَرَبَ رِقَابَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الرِّهَائِنِ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ ، فَأَخَذَ الْمَدِينَةَ عَنُوةً ، وَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذَّرِّيَّةَ . قَالَ : وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّجْنِ أَرْمِيَا النَّبِيَّ ، فَأَخْرَجَهُ ، وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ إِثَابَهُ ، وَتَحْذِيرَهُ لَهُمْ عَنْ ذَلِكَ ، فَكَذَّبُوهُ وَسَجَنُوهُ ، فَقَالَ بُحْتُ نَصْرَ : بَيْسَ الْقَوْمِ قَوْمٌ عَصَوْا رَسُولَ

(١) فِي تَفْسِيرِهِ ٢٩/١٥ ، ٣٠ .

(٢) تَقْدِمُ ص ٣٦٠ .

اللَّهُ . وَخَلَّى سَبِيلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . واجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ بَقِيَ مِنْ ضُعَفَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فقالوا : إِنَّا قَدْ أَصَانَا وَظَلَمْنَا ، وَنَحْنُ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مِمَّا صَنَعْنَا ، فَاذْعُ اللَّهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَنَا . فدعا رَبُّهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ فَاعِلٍ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَقِيمُوا مَعَكُمْ بِهِذِهِ الْبَلَدَةِ . فَأَخْبَرَهُمْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ، فقالوا : كَيْفَ نُقِيمُ بِهِذِهِ الْبَلَدَةَ وَقَدْ خَرِبَتْ ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا ! فَأَبَوْا أَنْ يُقِيمُوا . قال ابنُ الْكَلْبِيِّ : وَمِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبِلَادِ ، فَتَزَلَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الْحِجَازَ ، وَطَائِفَةٌ يَثْرِبَ ، وَطَائِفَةٌ وَادِي الْقَرْيَ ، وَذَهَبَتْ شِرْذِمَةٌ مِنْهُمْ إِلَى مِصْرَ ، فَكَتَبَ بُحْثَ نَصْرٍ إِلَى مَلِكِهَا ، يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ شَرَدَ مِنْهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَتَى عَلَيْهِ ، فَرَكِبَ فِي جَيْشِهِ ، فَقَاتَلَهُ وَقَهَرَهُ وَغَلَبَهُ ، وَسَبَى ذُرَارِيَهُمْ ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ ، حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى تِلْكَ التَّاحِيَةِ . قال : ثُمَّ انْصَرَفَ بِسَبْيِ كَثِيرٍ مِنْ أَرْضِ الْمَغْرِبِ ، وَمِصْرَ ، وَأَهْلِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَرْضِ فَلَسْطِينَ ، وَالْأُرْدُنِّ ، وَفِي الشَّيْءِ دَانِيَالُ . قلتُ : وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ دَانِيَالُ بْنُ حِزْقِيلَ الْأَصْغَرِ لَا الْأَكْبَرِ ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ^(١) ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) تقدم ص ٣٦٣ حاشية (٢) .

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ خَيْرِ

دَانِيَالٍ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ

قال ابنُ أبي الدنيا: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الشَّيْبَانِيُّ ، قال : إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ مِنْ شُعَيْبِ بْنِ صَفْوَانَ ، فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْهُ ، عَنْ الْأَجْلَحِ الْكِنْدِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهَذِيلِ قال : ضَرَى ^(١) بُحْتُ نَصَرَ أَسَدَيْنِ ، فَأَلْقَاهُمَا فِي جُبٍّ وَجَاءَ دَانِيَالٌ فَأَلْقَاهُ [٢٣٦/١ ظ] عليهما ، فَلَمْ يَهَيِّجَاهُ ^(٢) فَمَكَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ اسْتَهَى مَا يَشْتَهَى الْآدَمِيُّونَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أَرْمِيَا وَهُوَ بِالشَّامِ : أَنْ أَعِدْ طَعَامًا وَشَرَابًا لِدَانِيَالٍ . فقال : يا رَبِّ ، أَنَا بِالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، وَدَانِيَالُ بِأَرْضِ بَابِلَ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : أَنْ أَعِدْ مَا أَمَرْنَاكَ بِهِ ، فَإِنَّا سَنُرْسِلُ مَنْ يَحْمِلُكَ وَيَحْمِلُ مَا أَعَدَدْتَ . ففَعَلَ ، وَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَنْ حَمَلَهُ وَحَمَلَ مَا أَعَدَّ ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ الْجُبِّ فقال : دَانِيَالُ ، دَانِيَالُ . فقال : مَنْ هَذَا ؟ ^(٣) قال : أَنَا أَرْمِيَا . فقال : مَا جَاءَ بِكَ ؟ فقال : أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ . قال : وَقَدْ ذَكَرَنِي رَبِّي ؟ ^(٤) قال : نَعَمْ . فقال دَانِيَالُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ^(٥) لَا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ ،

(١) سقط من : م .

(٢) أى جعلهما مولعين بأكل اللحم ، فلا يكادان يصبران عنه .

(٣) فى الأصل : « يصحياه » .

(٤ - ٤) سقط من : ح .

(٥ - ٥) فى م : « يجيب » .

والحمد لله الذى من وثق به لم يكله إلى غيره ، والحمد لله الذى يعجزى بالإحسان إحساناً ، والحمد لله الذى يعجزى بالصبر نجاةً ، والحمد لله الذى هو يكشف ضررنا بعد كثرنا ، والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تسوء ظنونا بأعمالنا ، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا .

وقال يونس بن بكير، عن ^(١) محمد بن إسحاق عن أبى خلدَةَ خالد بن دينار، حدَّثنا أبو العالِيَةِ قال : لما افْتَحْنَا تُشْتَرَّ وَجَدْنَا فى مَالِ يَتِىِّ الْهُزْمَزَانِ سِرِيًّا ، عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ ، فَأَخَذْنَا الْمَصْحَفَ ، فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَدَعَا لَهُ كَفْتًا فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَرَأَهُ ، قَرَأْتُهُ مِثْلَ مَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا . فَقُلْتُ لِأَبِى الْعَالِيَةِ : مَا كَانَ فِيهِ ؟ قَالَ : سِيرُكُمْ وَأُمُورُكُمْ وَلُحُونُ كَلَامِكُمْ ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ . قُلْتُ : فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ ؟ قَالَ : حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً ، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ دَفَنَاهُ ، وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا ؛ لِنَعْمِيَهِ عَلَى النَّاسِ فَلَا يُثْبِتُونَهُ . قُلْتُ : فَمَا يَزُجُونَ مِنْهُ ؟ قَالَ : كَانَتِ السَّمَاءُ إِذَا حُبِسَتْ عَنْهُمْ ، بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ ، فَيَمْطَرُونَ . قُلْتُ : مَنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ الرَّجُلَ ؟ قَالَ : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : دَانِيَالُ . قُلْتُ : مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُمُوهُ قَدْ مَاتَ ؟ قَالَ : مُنْذُ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ . قُلْتُ : مَا تَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا شَعْرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ ؛ إِنَّ لِحُومَ الْأَنْبِيَاءِ لَا تُبْلِيهَا الْأَرْضُ وَلَا تَأْكُلُهَا السَّبَاعُ . وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ ، وَلَكِنْ إِنْ كَانَ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مُحْفُوظًا مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ ، بَلْ هُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ ؛ لِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ

(١) فى ص : « بن » .

ﷺ نَبِيٍّ ، بَنَصُ الْحَدِيثِ الَّذِي فِي الْبَخَارِيِّ^(١) ، وَالْفَتْرَةُ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمَا أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ ،^(٢) وَقِيلَ : سِتْمِائَةٍ^(٣) . وَقِيلَ : سِتْمِائَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً . وَقَدْ يَكُونُ تَارِيخُ وَفَاتِهِ مِنْ ثَمَانِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ وَقْتِ دَانِيَالَ ، إِنْ كَانَ [٢٣٧/١] كَوْنُهُ دَانِيَالَ هُوَ الْمَطَابِقُ لِمَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ رَجُلًا آخَرَ ؛ إِمَّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ الصَّالِحِينَ ، وَلَكِنْ قَرَّبَتِ الظُّنُونُ أَنَّهُ دَانِيَالُ ؛ لِأَنَّ دَانِيَالَ كَانَ قَدْ أَخَذَهُ مَلِكُ الْفُزْسِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ مَسْجُونًا ، كَمَا تَقَدَّمَ . وَقَدْ رُوِيَ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ ، أَنَّ طُولَ أَثْنَيْهِ شِبْرٌ . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ ، أَنَّ طُولَ أَثْنَيْهِ ذِرَاعٌ . فَيَحْتَمِلُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ الْأَقْدَمِينَ قَبْلَ هَذِهِ الْمُدَّةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ « أَحْكَامِ الْقُبُورِ »^(٣) : حَدَّثَنَا أَبُو بَلَالٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُزْدَةَ^(٤) عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الْأَحْمَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ دَانِيَالَ دَعَا رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْ تَذْفِنَهُ أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ » . فَلَمَّا افْتَتَحَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ تُسْتَرَّ ، وَجَدَهُ فِي تَابُوتٍ ، تَضْرِبُ^(٥) عُزُوقَهُ وَوَرِيدَهُ ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ دَلَّ عَلَى دَانِيَالَ ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » . فَكَانَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : حُزُقُوصُ ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عَمْرِو بْنِ بَخْبَرَةَ ،

(١) الْبَخَارِيُّ (٣٤٤٢) .

(٢) (٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ ، ص .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْفَتْور » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَنْ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ ، ص : « فَضْرِب » . وَتَضْرِبُ : تَنْبِضُ .

فكتب إليه عمر، أن ادفنه، وابعث إلى حُرْقُوص؛ فإن النبي ﷺ بشره بالجنة. وهذا مُرسَل من هذا الوجه، وفي كونه محفوظاً نظراً. والله أعلم.

ثم قال ابن أبي الدنيا: حَدَّثَنَا أَبُو بَلَالٍ، حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَنبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ - وَكَانَ عَالِمًا - قَالَ: وَجَدَ أَبُو مُوسَى مَعَ دَانِيَالٍ مُصْحَفًا، وَجَرَّةً فِيهَا وَدَكٌ^(١) وَدَرَاهِمٌ، وَخَاتَمَةٌ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا الْمُصْحَفُ فَأَبْعَثْ بِهِ إِلَيْنَا، وَأَمَّا الْوَدَكُ فَأَبْعَثْ إِلَيْنَا مِنْهُ، وَمُرَّ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَشْفُونَ^(٢) بِهِ، وَأَقْسِمُ الدَّرَاهِمَ بَيْنَهُمْ، وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَقَدْ نَقَلْنَاكَ. وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ، أَنَّ أَبَا مُوسَى لَمَّا وَجَدَهُ، وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ دَانِيَالٌ، انْتَرَمَهُ وَعَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَذْكُرُ لَهُ أَمْرَهُ، وَأَنَّهُ وَجَدَ عِنْدَهُ مَالًا مَوْضُوعًا، قَرِيبًا مِنْ عَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَكَانَ مَنْ جَاءَ اقْتَرَضَ مِنْهَا، فَإِنْ رَدَّهَا، وَإِلَّا مَرَضَ^(٣)، وَأَنَّ عِنْدَهُ رُبْعَةً^(٤)، فَأَمَرَ عُمَرُ بِأَنْ يُغَسَّلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَيُكَفَّنَ وَيُدْفَنَ، وَيُخْفَى قَبْرُهُ، فَلَا يَعْلَمَ بِهِ أَحَدٌ، وَأَمَرَ بِالْمَالِ أَنْ يُرَدَّ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ، وَبِالرُّبْعَةِ فَتُحْمَلَ إِلَيْهِ، وَنَقَلَ خَاتَمَهُ. وَرَوَى عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّهُ أَمَرَ أَرْبَعَةَ مِنَ الْأَسْرَاءِ فَسَكَّرُوا^(٥) نَهْرًا، وَحَفَرُوا فِي وَسْطِهِ قَبْرًا، فَدَفَنَتْ فِيهِ، ثُمَّ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ الْأَسْرَاءِ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَلَمْ يَعْلَمْ مَوْضِعَ قَبْرِهِ غَيْرُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٢٣٧/١ ظ].

(١) الْوَدَكُ: الدُّسَمُ.

(٢) فِي ص: «يَسْتَسْقُونَ».

(٣) فِي الْأَصْلِ، ص: «بِرْص».

(٤) الرُّبْعَةُ: جُوزَةُ الْعَطَارِ، وَالْجُوزَةُ: شَلِيلَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ مَغْشَاةٌ أَدْمًا تَكُونُ مَعَ الْعَطَارِينَ.

(٥) فِي الْأَصْلِ: «سَكَّرَا». وَسَكَّرُوا النَّهْرَ: سَلَّوْهُ.

وقال ابن أبي الدنيا : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو
ابن السَّوْحِ ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الزُّنَادِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
رَأَيْتُ فِي يَدِ أَبِي^(١) بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ خَاتِمًا ، نَقَشَ فِيهِ أَسَدَانِ
بَيْنَهُمَا رَجُلٌ ، يَلْحَسَانِ ذَلِكَ الرَّجُلَ ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : هَذَا خَاتَمُ ذَلِكَ الرَّجُلِ
الْمَيِّتِ ، الَّذِي زَعَمَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَلَدَةِ أَنَّهُ دَانِيَالُ ، أَخَذَهُ أَبُو مُوسَى يَوْمَ دَفَنِهِ . قَالَ
أَبُو بُرْدَةَ : فَسَأَلَ أَبُو مُوسَى عِلْمَاءَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ عَنْ نَقَشِ ذَلِكَ الْخَاتَمِ ، فَقَالُوا : إِنَّ
الْمَلِكَ الَّذِي كَانَ دَانِيَالُ فِي سُلْطَانِهِ ، جَاءَهُ الْمُنْجُمُونَ وَأَصْحَابُ الْعِلْمِ ، فَقَالُوا
لَهُ : إِنَّهُ يُوَلَّدُ لَيْلَةَ كَذَا وَكَذَا غُلَامٌ يُعَوِّرُ^(٢) مُلْكَكَ وَيُفْسِدُهُ . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَاللَّهِ لَا
يَنْقَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ . إِلَّا أَنَّهُمْ أَخَذُوا دَانِيَالَ ، فَأَلْقَوْهُ فِي أَجْمَةِ الْأَسَدِ ،
فَبَاتَ الْأَسَدُ وَلَبِثَتْهُ يَلْحَسَانِهِ ، وَلَمْ يَضُرَّاهُ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ فَوَجَدَتْهُمَا يَلْحَسَانِهِ ،
فَتَنَجَّاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ . قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : قَالَ أَبُو مُوسَى : قَالَ عِلْمَاءُ
تِلْكَ الْقَرْيَةِ : فَتَنَشَّ دَانِيَالُ صُورَتَهُ وَصُورَةَ الْأَسَدَيْنِ يَلْحَسَانِهِ فِي فَصِّ خَاتَمِهِ ؛
لِقَلَّا يَنْسَى نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ . إِسْنَادٌ حَسَنٌ .

(١) فِي ح ، م : «ابن» .

(٢) فِي ص : «يغور» . وَعَارِ يُعَوِّرُ : أَثْلَفَ .

١) وهذا ذِكْرُ عِمَارَةِ

بَيْتِ الْمَقْدِسِ بَعْدَ خَرَابِهَا ، واجتماع

بنى إسرائيل بعد تَفَرُّقِهِمْ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ

قال الله تعالى في كتابه المبين ، وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ ^(١) : ﴿ أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُغِيهِ هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] . قال هشامُ ابنُ الكلبي : ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى أَرْمِيَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِيمَا بَلَغَنِي - أَنِّي عَامِرُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَأَخْرُجُ إِلَيْهَا ، فَأَنْزِلُهَا . فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَهَا وَهِيَ خَرَابٌ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَنْزِلَ هَٰذِهِ الْبَلَدَةَ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَامِرُهَا ، فَمَتَى يَغْمُرُهَا ، وَمَتَى يُحْيِيهَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ وَمَعَهُ حِمَارُهُ وَسَلَّةٌ مِنْ طَعَامٍ ، فَمَكَثَ فِي نَوْمِهِ سَبْعِينَ سَنَةً

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) التفسير ١/ ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

حتى هَلَكَ بُحْتُ نَصْرَ، والملِكُ الذي فوقه وهو لهراسبُ، وكان مُلْكُهُ مائةً وعشرين سنةً، وقامَ بعده وَلَدُهُ بشتاسبُ بنُ لهراسبَ، وكان موْتُ بُحْتُ نَصْرَ في دولته، فَبَلَغَهُ عن بلادِ الشَّامِ أَنَّهَا خَرَابٌ، وَأَنَّ السَّبَاعَ قد كَثُرَتْ في أَرْضِ فِلَسْطِينَ، فلم يَتَّقَ بها من الإِنْسِ أَحَدٌ، فنادَى في أَرْضِ بَابِلَ، في بني إِسْرَائِيلَ [٢٣٨/١]، أَنَّنِي مَن شَاءَ أَن يَرْجِعَ إِلَى الشَّامِ، فَلْيَرْجِعْ، وَمَلِكٌ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ آلِ دَاوُدَ، وَأَمَرَهُ أَن يَعْمُرَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَيَبْنِيَ مَسْجِدَهَا، فَرَجَعُوا فَعَمَرُوهَا، وَفَتَحَ اللَّهُ لِلَّهِمُ الْأَرْضَ عَيْنِيهِ، فَتَنَظَرُ إِلَى الْمَدِينَةِ، كَيْفَ تُبْنَى وَكَيْفَ تُعْمَرُ، وَمَكَثَ فِي نَوْمِهِ ذَلِكَ حَتَّى تَمَّتْ لَهُ مِائَةُ سَنَةٍ، ثُمَّ بَعَثَهُ اللَّهُ، وَهُوَ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ نَامَ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ، وَقَدْ عَهَدَ الْمَدِينَةَ خَرَابًا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا عَامِرَةً آهِلَةً قَالَ: أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. قَالَ: فَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِهَا، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ^(١)، فَمَكَثُوا كَذَلِكَ حَتَّى غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الرُّومُ فِي زَمَنِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا سُلْطَانٌ، يَغْنَى بَعْدَ ظُهُورِ النَّصَارَى عَلَيْهِمْ. هَكَذَا حَكَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي «تَارِيخِهِ» عَنْهُ^(٢). «وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٣)، أَنَّ لَهْرَاسَبَ كَانَ مَلِكًا عَادِلًا سَائِسًا لِمَمْلَكَتِهِ، قَدْ دَانَتْ لَهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ، وَالْمُلُوكُ وَالْقَوَادِ^(٤) وَأَنَّهُ كَانَ ذَا رَأْيٍ جَيِّدٍ فِي عِمَارَةِ الْأَمْصَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْمَعَالِ، ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ عَنِ تَدْبِيرِ الْمَمْلَكَةِ، بَعَدَ

(١) في ح: «أمره».

(٢) في تاريخه ٥٣٩/١، ٥٤٠.

(٣ - ٣) سقط من: ح.

(٤) في تاريخه ٥٤٠/١، ٥٤١.

مائة سنة ونيف ، نَزَلَ عن المَلِكِ لَوْلَدِهِ بشتاسب ، فكان في زمانه ظهورُ دينِ
 المجوسِيَّةِ ؛ وذلك أَنَّ رجلاً كان اسمه زَرَادُشْت ، كان قد صَحِبَ أَرَمِيَا ، عليه
 السَّلَامُ ، فَأَغْضَبَهُ ، فدَعَا عليه أَرَمِيَا ، فَبَرَصَ زَرَادُشْتُ ، فَذَهَبَ فَلَحِقَ بِأَرْضِ
 أَذْرَبِيجَانَ ، وَصَحِبَ بشتاسبَ فَلَقَنَهُ دِينَ المَجُوسِيَّةِ الَّذِي اخْتَرَعَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ ،
 لَعَنَهُ اللَّهُ ، فَقِيلَ مِنْهُ بشتاسبُ ، وَحَمَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَقَهَرَهُمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا
 كثيرًا مِنْ أباهِ مِنْهُمْ . ثم كان بعدَ بشتاسبَ ، يَهْمُنُ بْنُ بشتاسبَ ، وهو مِنْ
 مُلُوكِ الْفُرسِ الْمَشْهُورِينَ وَالْأَبْطَالِ الْمَذْكُورِينَ ، وَقَدْ نَابَ بُحْثٌ نَصَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ ، وَعُمَرَ دَهْرًا طَوِيلًا ، قَبَّحَهُ اللَّهُ .

والمقصودُ أَنَّ هذا الذي ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ، مِنْ أَنَّ هذا المَارَّ عَلَى هذه القرية ،
 هو أَرَمِيَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قاله ^(١) وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثَيْدٍ بْنُ عُمَيْرٍ ،
 وَغَيْرُهُمَا ^(٢) ، وَهُوَ قَوِيٌّ مِنْ حَيْثُ السِّيَاقُ الْمُتَقَدِّمُ . وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَعَبْدِ
 اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ ، وَالْحَسَنِ ، وَقَتَادَةَ ، وَالشَّيْخِ ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ ،
 وَغَيْرِهِمْ ^(٣) أَنَّهُ عَزَّيْزٌ . وَهَذَا أَشْهُرُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) في م : وقال .

(٢) تفسير الطبري ٢٩/٣ . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٣/١ لابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهما .

(٣) تفسير الطبري ٢٨/٣ . والدر المنثور ٣٣١/١ ، ٣٣٢ .

وَهَذِهِ قِصَّةُ الْعُزَيْرِ

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساکر^(١): هو عُزَيْرُ بْنُ حَيَّوَةَ^(٢)، ويُقال: ابنُ سوريقَ بنِ عرنا^(٣) بنِ أيوبَ بنِ درثنا^(٤) بنِ عرى بنِ تقي بنِ السبوع^(٥) بنِ فنحاصَ بنِ العازرِ بنِ هارونَ بنِ عمرانَ. ويُقال: عُزَيْرُ بْنُ شَرُوحَا^(٦). جاء في بعض الآثار^(٧)، أنَّ قَبْرَهُ بِدِمَشَقَ. ثُمَّ ساق [٢٣٨/١] من طريق أبي القاسم البَغَوِيِّ، عن داودَ بنِ عمرو، عن جَبَّانَ^(٨) بنِ عليٍّ، عن محمدِ بنِ كُرَيْبٍ، عن أبيه^(٩)، عن ابنِ عباسٍ مرفوعاً: «لَا أَذْرِي أَلْعَيْنَ تُبْعِغُ أَمْ لَا، وَلَا أَذْرِي أَكَّانَ عُزَيْرٌ نَبِيًّا أَمْ لَا؟». ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ مُؤَمِّلِ بْنِ الْحَسَنِ^(١٠)، عن محمدِ بنِ إسحاقَ السَّجْزِيِّ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن ابنِ أبي ذُئْبٍ^(١١)، عن سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ، عن أبي هُرَيْرَةَ مرفوعاً نحوه. ثُمَّ رَوَى مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ

(١) تاريخ دمشق ٦٠١/١١، ٦٠٢ مخطوط.

(٢) في النسخ: «جروة». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٣) في ص، م: «عديا».

(٤) في ح، م: «درزنا».

(٥) في النسخ: «أسبوع». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) في الأصل: «سردخا». وفي ح، م، ص: «سروخا». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٧) أخرجه ابن عساكر بسنده في تاريخ دمشق ٣٢٣/٢ - ٣٢٥.

(٨) كذا بالنسخ وهو الصواب، وفي تاريخ دمشق المخطوط: «جبار». وانظر تهذيب الكمال ٥/

٣٣٩ - ٣٤١.

(٩) كذا بالنسخ، وهو الصواب. وفي تاريخ دمشق المخطوط: «ابنه». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/

٣٣٦، ٣٣٧.

(١٠) في تاريخ دمشق: «الحسين». وهو خطأ. وانظر سير أعلام النبلاء ١٥/٢١.

(١١) في م: «ذؤيب».

بِشِيرٍ، وهو متروكٌ، عن جُوَيْرٍ ومُقَاتِلٍ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ غَزِيرًا كَانَ يَمُنُّ سَبَّاهُ بُخْتُ نَصْرٍ وهو غلامٌ حَدَّثَ، فلما بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَعْطَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَحْفَظَ وَلَا أَعْلَمَ بِالتَّوْرَةِ مِنْهُ. قَالَ: وَكَانَ يُذَكِّرُ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى مَحَا اللَّهُ اسْمَهُ مِنْ ذَلِكَ، حِينَ سَأَلَ رَبُّهُ عَنِ الْقَدْرِ. وَهَذَا ضَعِيفٌ وَمُنْقَطِعٌ وَمُنْكَرٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشِيرٍ^(١)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَزْرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ الْحُسَيْنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: إِنَّ غَزِيرًا هُوَ الْعَبْدُ الَّذِي أَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشِيرٍ^(٢): أَنْبَأَنَا سَعِيدُ بْنُ بِشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ كَعْبٍ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي عَزْرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ الْحُسَيْنِ، وَمُقَاتِلٍ، وَجُوَيْرٍ، عَنْ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ السُّدِّيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَإِدْرِيسٍ، عَنْ جَدِّهِ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ. قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشِيرٍ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حَدَّثُونِي عَنْ حَدِيثِ غَزِيرٍ، وَزَادَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالُوا بِإِسْنَادِهِمْ: إِنَّ غَزِيرًا كَانَ عَبْدًا صَالِحًا حَكِيمًا، خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى صَبِيعَةٍ لَهُ يَتَعَاهَدُهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ انْتَهَى إِلَى خَرِبَةٍ حِينَ قَامَتِ الظُّهَيْرَةُ وَأَصَابَهُ الْحَرُّ، وَدَخَلَ الْخَرِبَةَ وَهُوَ عَلَى جِمَارِهِ، فَتَزَلَّ عَنْ جِمَارِهِ وَمَعَهُ سَلَّةٌ فِيهَا تَيْنٌ، وَسَلَّةٌ فِيهَا عِنَبٌ، فَتَزَلَّ فِي ظِلِّ تِلْكَ الْخَرِبَةِ وَأَخْرَجَ قَصْعَةً مَعَهُ، فَاعْتَصَرَ مِنَ الْعِنَبِ الَّذِي

(١) تاريخ دمشق ٦٠٣/١١ مخطوط.

(٢) في م: «عن».

(٣) تاريخ دمشق ٦٠٣/١١ - ٦٠٥ مخطوط.

كان معه فى القَصْصَةِ ، ثم أَخْرَجَ خُبْرًا يَابِسًا معه ، فَأَلْقَاهُ فى تِلْكَ الْقَصْصَةِ فى العَصِيرِ ؛ لِيَبْتَلَّ لِيَأْكُلَهُ ، ثم اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ وَأَسْنَدَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْحَائِطِ ، فَتَنَظَّرَ سَقْفَ تِلْكَ الْبُيُوتِ ، وَرَأَى مَا فِيهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى غُرُوشِهَا وَقَدْ بَادَ أَهْلُهَا ، وَرَأَى عِظَامًا بِالْيَةِ فَقَالَ : ﴿ أَتَى يُحْيِى هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ ، فَلَمْ يَشْكُ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِيهَا ، وَلَكِنْ قَالَهَا تَعَجُّبًا ، فَبَعَثَ اللَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ فَقَبَضَ رُوحَهُ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ، فَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةُ عَامٍ ، وَكَانَتْ فِيهَا بَيْنَ ذَلِكَ فى بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمُورٌ وَأَحْدَاثٌ . قَالَ : فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَى غُزَيْرٍ مَلَكًا ، فَخَلَقَ قَلْبَهُ لِيَعْقِلَ بِهِ ^(١) ، وَعَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ بِهِمَا ؛ فَيَعْقِلَ كَيْفَ يُحْيِى اللَّهُ الْمَوْتَى ، ثُمَّ رَكِبَ خَلْقَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ ، ثُمَّ كَسَا عِظَامَهُ [٢٣٩/١] اللَّحْمَ وَالشَّعْرَ وَالْجِلْدَ ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ ، كُلُّ ذَلِكَ وَهُوَ يَرَى وَيَعْقِلُ ، فَاسْتَوَى جَالِسًا ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ : ﴿ كَمْ لَيْتُ ﴾ ، قَالَ : ﴿ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ . وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ ^(٢) نَامَ فى ^(٣) صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ الظُّهَيْرَةِ ، وَبُعِثَ فى آخِرِ النَّهَارِ وَالشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ ، فَقَالَ : أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، وَلَمْ يَتِمَّ لِي يَوْمٌ . فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ : ﴿ بَلْ لَيْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ ﴾ . يَغْنَى الطَّعَامُ ؛ الْخُبْزُ الْيَابِسُ ، وَشَرَابُهُ ؛ الْعَصِيرُ الَّذِى كَانَ اعْتَصَرَ فى الْقَصْصَةِ ^(٤) ، فَإِذَا هُمَا عَلَى حَالِهِمَا لَمْ يَتَغَيَّرِ الْعَصِيرُ ، وَالْخُبْزُ يَابِسٌ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ . يَغْنَى لَمْ يَتَغَيَّرْ ، وَكَذَلِكَ التَّيْنُ وَالْعَنْبُ غَضٌّ لَمْ يَتَغَيَّرْ

(١) فى ح ، م : « قلبه » .

(٢ - ٢) فى ح ، م : « لبت » .

(٣) وفى التاريخ : « القصيدة » .

عن شيءٍ من حالهما، فكأنه أنكر في قلبه، فقال له الملك: أنكرت ما قلت لك؟ انظر إلى حمارك. فنظر، فإذا^(١) حماره قد بليت عظامه وصارت نخرة، فنادى الملك عظام الحمار فأجاب، وأقبلت من كل ناحية، حتى ركبته الملك وعزير ينظر إليه، ثم ألبسها العروق والعصب، ثم كساها اللحم، ثم أنبت عليها الجلد والشعر، ثم نفخ فيه الملك، فقام الحمار رافعاً رأسه وأذنيه إلى السماء، ناهقاً يظن القيامة قد قامت، فذلك قوله: ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. يعنى، انظر إلى عظام حمارك، كيف تتركب بعضها بعضاً في أوصالها، حتى إذا صارت عظاماً مصوراً حماراً بلا لحم، ثم انظر كيف نكسوها لحماً، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إحياء الموتى وغيره. قال: فركب حماره حتى أتى محلته، فأنكره الناس، وأنكر^(٢) الناس، وأنكر منازلهم^(٣)، فانطلق على وهم منه، حتى أتى منزله، فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة، قد أتى عليها مائة وعشرون سنة، كانت أمة لهم، فخرج عنهم عزير وهى بنت عشرين سنة، كانت عرقته وعقلته، فلما أصابها الكبر، أصابها الزمانة، فقال لها عزير: يا هذه، أهذا منزل عزير؟ قالت: نعم، هذا منزل عزير فبكث وقالت: ما رأيت أحداً من كذا وكذا سنة يذكر عزيراً، وقد نسيته

(١) فى ح، م: «إلى».

(٢ - ٣) فى ح، م: «الناس وأنكر منزله». وفى ص: «منزله». وفى تاريخ دمشق: «الناس منازل».

النَّاسُ . قال : فَإِنِّي أَنَا عُزَيْرٌ ، كَانَ اللَّهُ أَمَاتَنِي مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بَعَثَنِي . قالت : سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ فَقَدْنَاهُ مِنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ ، فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرِ . قال : فَإِنِّي أَنَا عُزَيْرٌ . قالت : فَإِنَّ عُزَيْرًا رَجُلٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ ، يَدْعُو لِلْمَرِيضِ وَلصَاحِبِ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ وَالشِّفَاءِ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ بَصَرِي حَتَّى أَرَكَ ، فَإِنْ كُنْتُ عُزَيْرًا عَرَفْتُكَ . قال : فدعا رَبَّهُ وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى عَيْنَيْهَا فَصَحَّتَا [١ / ٢٣٩ ط] ، وَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ : قَوْمِي يَا ذَنِ اللَّهِ . فَأُطْلِقَ اللَّهُ رِجْلَيْهَا ، فَقَامَتْ صَحِيحَةً كَأَنَّمَا نَشِطَتْ مِنْ عِقَالٍ ، فَتَنَظَّرَتْ فَقَالَتْ : أَشْهَدُ أَنَّكَ عُزَيْرٌ ، وَانْطَلَقَتْ إِلَى مَحَلَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُمْ فِي أُنْدِيَّتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ ، وَابْنُ لِعُزَيْرٍ شَيْخٌ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَابْنُو بَنِيهِ شُبُوحٌ فِي الْمَجْلِسِ ، فَنَادَتْهُمْ فَقَالَتْ : هَذَا عُزَيْرٌ قَدْ جَاءَكُمْ . فَكَذَّبُوهَا ، فَقَالَتْ : أَنَا فَلَانَةُ مَوْلَاتِكُمْ ، دَعَا لِي رَبُّهُ ، فَرَدَّ عَلَيَّ بَصَرِي ، وَأُطْلِقَ رِجْلَيَّ ، وَرَعِمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَاتَهُ مِائَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ بَعَثَهُ . قال : فَتَهَضَّ النَّاسُ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ ، فَتَنَظَّرُوا إِلَيْهِ ، فَقَالَ ابْنُهُ : كَانَتْ لَأَبِي شَامَةٌ سُودَاءُ بَيْنَ كَيْفَيْهِ . فَكَشَفَ عَنْ كَيْفَيْهِ فَإِذَا هُوَ عُزَيْرٌ ، فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِينَا أَحَدٌ حَفِظَ التَّوْرَةَ فِيمَا حَدَّثْنَا ، غَيْرَ عُزَيْرٍ ، وَقَدْ حَرَقَ بُحْتُ نَصْرَ التَّوْرَةِ ، وَلَمْ يَتَّقَ مِنْهَا شَيْئًا ، إِلَّا مَا حَفِظَتِ الرِّجَالُ ، فَاسْكُتْ بَهَا لَنَا . وَكَانَ أَبُوهُ سُرُوحًا قَدْ دَفَنَ التَّوْرَةَ أَيَّامَ بُحْتُ نَصْرَ ، فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ غَيْرُ عُزَيْرٍ ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، فَحَفَرَهُ فَاسْتَخْرَجَ التَّوْرَةَ ، وَكَانَ قَدْ عَفِنَ الْوَرَقُ ، وَدَرَسَ الْكِتَابُ . قال : وَجَلَسَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ حَوْلَهُ ، فَجَدَّدَ لَهُمُ التَّوْرَةَ ،

وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ شِهَابَانِ ، حَتَّى دَخَلَا جَوْفَهُ ، فَتَذَكَّرَ التَّوْرَةَ ، فَجَدَّدَهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . فَمِنْ ثَمَّ قَالَتِ الْيَهُودُ : غُزِيَ ابْنُ اللَّهِ - جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ - لِلَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ الشَّهَائِينَ وَتَجْدِيدِهِ التَّوْرَةَ ، وَقِيَامِهِ بِأَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ جَدَّدَ لَهُمُ التَّوْرَةَ بِأَرْضِ السَّوَادِ بِدَيْرٍ حِزْقِيلَ . وَالْقَرْيَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا يُقَالُ لَهَا : سَايرَابَادُ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَنَجْجَلَنَّكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ ﴾ . يَعْنِي لِبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ مَعَ بَنِيهِ وَهُمْ شَبُوحٌ وَهُوَ شَابٌّ ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَبَعَثَهُ اللَّهُ شَابًّا ، كَهَيْئَةِ يَوْمِ مَاتَ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : بُعِثَ بَعْدَ بُخْتِ نَصْرٍ . وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ .

وقد أَنشَدَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ ^(١) فِي مَعْنَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ :
وَأَسْوَدُ رَأْسِ شَابٍّ مِنْ قَبْلِهِ ابْنُهُ وَمِنْ قَبْلِهِ ابْنُ ابْنِهِ فَهُوَ أَكْبَرُ
يَرَى ابْنَ ^(٢) ابْنِهِ شَيْخًا يَدِبُ عَلَى عَصَا وَلِحِيَّتُهُ سَوْدَاءُ وَالرَّأْسُ أَشْقَرُ
وَمَا لِابْنِهِ حَيْلٌ وَلَا فَضْلٌ قُوَّةُ يَقُومُ كَمَا يَمْشِي الصَّبِيُّ فِيَعِثُ
يُعَدُّ ابْنُهُ فِي النَّاسِ تِسْعِينَ حِجَّةً وَعَشْرِينَ لَا يَجْرِي وَلَا يَنْبَحُثُ
وَعُمُرُ أَبِيهِ أَرْبَعُونَ أَمْرَهَا وَلَابْنُ ابْنِهِ تِسْعُونَ فِي النَّاسِ غُبْرُ
[٢٤٠/١] فَمَا هُوَ فِي الْمَقُولِ إِنْ كُنْتَ دَارِيًا وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي فَبِالْجَهْلِ تُعَذَّرُ

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٠٥/١١ ، ٦٠٦ . مخطوط ، من قول أبي حاتم .

(٢) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ دمشق .

فَصْلٌ

المشهورُ أَنَّ عُزَيْرًا نَبِيًّا مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّهُ كَانَ فِيمَا بَيْنَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، وَبَيْنَ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى، وَأَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَتَّقْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ يَحْفَظُ التَّوْرَةَ، أَلْهَمَهُ اللَّهُ حِفْظَهَا، فَسَرَدَهَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَمَا قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ^(١): أَمَرَ اللَّهُ مَلَكًا فَتَزَلَ بِمَعْرِفَةٍ مِنْ نَوْرِ، فَقَدَفَهَا فِي فِي^(٢) عُزَيْرٍ، فَنَسَخَ التَّوْرَةَ حَرْفًا بِحَرْفٍ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا.

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٣)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]. لِمَ قَالُوا ذَلِكَ؟ فَذَكَرَ لَهُ ابْنُ سَلَامٍ مَا كَانَ مِنْ كَتَبِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَةَ مِنْ حِفْظِهِ، وَقَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: لَمْ يَسْتَطِعْ مُوسَى أَنْ يَأْتِينَا بِالتَّوْرَةِ إِلَّا فِي كِتَابٍ، وَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ جَاءَنَا بِهَا مِنْ غَيْرِ كِتَابٍ. فَرَمَاهُ طَوَائِفُ مِنْهُمْ، وَقَالُوا: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ.

وَلِهَذَا يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ تَوَاتُرَ التَّوْرَةِ انْقَطَعَ فِي زَمَنِ الْعُزَيْرِ. وَهَذَا مُتَّجِعَةٌ جَدًّا إِذَا كَانَ الْعُزَيْرُ غَيْرَ نَبِيٍّ، كَمَا قَالَهُ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَئَاحٍ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِيمَا رَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ بِشِيرٍ^(٤)، عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَطَاءٍ، وَعَنْ

(١) تاريخ دمشق ٦٠٦/١١ مخطوط.

(٢) سقط من: م. و «في» هنا بمعنى: «فم».

(٣) تاريخ دمشق ٦٠٦/١١ - ٦٠٨ مخطوط. مطولاً، وأورد ابن كثير هنا قطعة منه مختصرة جداً بالمعنى.

(٤) تاريخ دمشق ٦١٤/٦ مخطوط.

عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، ومقاتل ، عن عطاء بن أبي رباح^(١) قال :
كان في الفترة تسعة أشياء : بُحْتُ نَصْرٍ ، وَجَنَّةُ صَنْعَاءَ ، وَجَنَّةُ سَبَأَ ، وَأَصْحَابُ
الْأَخْذُودِ ، وَأَمْرُ حَاصُورَا ، وَأَصْحَابُ الْكَهْفِ ، وَأَصْحَابُ الْفِيلِ ، وَمَدِينَةُ
أَنْطَاكِيَّةَ ، وَأَمْرُ بُجَعِ .

وقال إسحاق بن بشر^(٢) : أُنْبَأَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنِ الْحُسَيْنِ قَالَ : كَانَ
أَمْرُ عُزَيْرٍ وَبُحْتُ نَصْرٍ فِي الْفَتْرَةِ . وَقَدْ ثَبَّتَ فِي « الصَّحِيحِ »^(٣) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ ، قَالَ : « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ لَأَنَا ، إِنَّهُ لَيْسَ بَنِي وَيَتَنَّهُ نَبِيٌّ » . وَقَالَ
وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ^(٤) : كَانَ فِيمَا بَيْنَ سَلِيمَانَ وَعِيسَى ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

وقد رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٥) ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، أَنَّ
عُزَيْرًا كَانَ فِي زَمَنِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، وَأَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ - يَعْنِي
لِمَا كَانَ مِنْ سُؤَالِهِ عَنِ الْقَدْرِ - وَأَنَّهُ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ : مِائَةُ مَوْتَةٍ أَهْوَنُ مِنْ ذُلِّ
سَاعَةٍ .^(٦) وَفِي مَعْنَى قَوْلِ عُزَيْرٍ : مِائَةُ مَوْتَةٍ أَهْوَنُ مِنْ ذُلِّ سَاعَةٍ . قَوْلُ بَعْضِ
الشُّعَرَاءِ :

قَدْ يَضْبِرُ الْحُرُّ عَلَى السَّيْفِ وَيَأْتِفُ الصَّبْرُ عَلَى الْحَيْفِ
وَيُؤْثِرُ الْمَوْتَ عَلَى حَالَةٍ يَعِجْزُ فِيهَا عَنْ قِرَى الضَّيْفِ^(٧)

(١) في الأصل : « رواج » .

(٢) تاريخ دمشق ١١/٦١٤ ، ٦١٥ مخطوط .

(٣) تقدم ص ٣٧٧ بمعناه .

(٤) تاريخ دمشق ١١/٦١٥ مخطوط .

(٥) المصدر السابق ١١/٦١٤ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

فَأَمَّا مَا رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ وَغَيْرُهُ ^(١)، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَتَوْفِ الْبِكَالِيِّ،
وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَغَيْرِهِمْ، مِنْ أَنَّهُ سَأَلَ عَنِ الْقَدْرِ، فَمُجِبَ اسْمُهُ مِنْ ذِكْرِ
الْأَنْبِيَاءِ. فَهُوَ مُنْكَرٌ، وَفِي صَحِيحِهِ نَظَرٌ، وَكَأَنَّهُ مَأْخُوذٌ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ. وَقَدْ
رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ ^(٢) وَتُحَيْيَةُ بْنُ سَعِيدٍ ^(٣)، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ
الْجَوْنِيِّ ^(٤)، عَنْ تَوْفِ [٢٤٠/١] الْبِكَالِيِّ قَالَ: قَالَ عَزَّيْزٌ فِيمَا يُنَاجِي رَبَّهُ: يَا
رَبِّ، تَخْلُقُ خَلْقًا، فَتُضِلُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ. فَقِيلَ لَهُ: أَعْرِضْ عَنِ
هَذَا. فَعَادَ، فَقِيلَ لَهُ: لَتُعْرِضَنَّ عَنْ هَذَا، أَوْ لَأَمْحُوَنَّ اسْمَكَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، إِنِّي
لَا أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ. وَهَذَا ^(٥) يَقْتَضِي وَقُوعَ مَا تُوعَدُ عَلَيْهِ لَوْ
عَادَ، ^(٦) فَمَا عَادَ، فَمَا مُجِبَ اسْمُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى الْجَمَاعَةُ سِوَى الثَّوْمِيَّيْنِ ^(٧)، مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ
الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَعِيدٍ وَأَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ شُعَيْبٌ ^(٨)، عَنْ
أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَزَلَ نَبِيٌّ

(١) المصدر السابق ٦١١/١ - ٦١٣.

(٢) ومن طريقه رواه ابن عساكر، في تاريخ دمشق ٦١٢/١١ مخطوط.

(٣) في الأصل: (سعد).

(٤) في الأصل: (الجوي).

(٥) بعده في الأصل، ح، م: (لا).

(٦ - ٦) سقط من: م.

(٧) البخاري (٣٣٠٩). مسلم (٢٢٤١). أبو داود (٥٢٦٦). النسائي (٤٣٦٩). ابن ماجه

(٣٢٢٥).

(٨) تاريخ دمشق ٦١٣/١١ مخطوط.

مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، فَلَدَعَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ ، فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا^(١) ، ثُمَّ أَمَرَ
بِهَا ، فَأُخْرِقَتْ بِالنَّارِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : فَهَلَّا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ . فَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ
يُشَيْرٍ^(٢) ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ^(٣) مُجَاهِدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّهُ غَزَيَّرَ .
وَكَذَا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ^(٤) ، أَنَّهُ غَزَيَّرَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « لَحْمَهَا » .

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « عَنْ » .

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٦٠٩/١١ - ٦١١ مَطْوَلًا .

قِصَّةُ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ،

عليهما السَّلَام

قال الله تعالى في كتابه العزيز ^(١): ﴿كَهْبَعَصَ ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَىٰ وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أٰلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ بَرَكَاتًا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ⑦ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ⑧ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَدًى وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ⑨ أَجْعَلْ لِي آيَةً ⑩ قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⑪ فَفَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑫ يٰيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ⑬ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ⑭ وَكَانَ تَقِيًّا ⑮ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ⑯ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ⑰﴾ [مريم: ١ - ١٥].

وقال تعالى ^(٢): ﴿وَكُنَّا زَكَرِيَّا كَلَمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ

(١) التفسير ٢٠٥/٥ - ٢١٣.

(٢) التفسير ٢٨/٢ - ٣١.

عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُكُمْ أَنِّي لِلَّهِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
 بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً
 طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ
 اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَتِكَ [١/٢٤١و] مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنْ
 الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ
 قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا
 تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَصِيِّ
 وَالْإِنْبَكْرِ ﴿٤١﴾ [آل عمران: ٣٧ - ٤١] .

وقال تعالى فى سورة «الأنبياء» ^(١) : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا
 تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى
 وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا
 رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠] . وقال تعالى ^(٢) :
 ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٥] . قال
 الحافظ أبو القاسم ابن عساكر فى كتابه «التاريخ» ^(٣) المشهور الحافى : زَكَرِيَّا بْنُ
 حَنَّا ^(٤) ، ويُقال : زَكَرِيَّا بْنُ دَانٍ ، ويُقال : زَكَرِيَّا بْنُ أَدْنٍ ^(٥) بن مُسْلِم بن صدوق

(١) التفسير ٣٦٤/٥ ، ٣٦٥ .

(٢) التفسير ٢٩٠/٣ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٨/١٩ .

(٤) فى النسخ : «برخيا» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) فى النسخ : «لدن» . والمثبت من تاريخ دمشق .

ابن محمّان^(١) بن داود بن سليمان بن مسلم بن^(٢) صديقة بن برحمة^(٣) بن^(٤) ملقاطية^(٥) بن ناحور^(٦) بن سلوم^(٧) بن بهفانيا^(٨) بن حاش بن^(٩) أني^(١٠) بن خنعم^(١١) بن سليمان بن داود، أبو يحيى النّبيّ، عليه السّلام، من نبيّ إسرائيل، دَخَلَ الْبَيْتَةَ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ فِي طَلَبِ ابْنِهِ يَحْيَى . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ بِدِمَشْقَ حِينَ قُتِلَ ابْنُهُ يَحْيَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَدْ قِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ فِي نَسَبِهِ . وَيُقَالُ فِيهِ : زَكَرِيَاءُ ؛ بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ . وَيُقَالُ : زَكَرَيْيٌّ ، أَيْضًا .

والمقصود أنّ الله تعالى أمرَ رسوله ﷺ أَنْ يَقُصَّ عَلَى النَّاسِ خَبَرَ زَكَرِيَّا ، عليه السّلام ، وما كان مِنْ أَمْرِهِ حِينَ وَهَبَهُ اللَّهُ وَلَدًا عَلَى الْكِبَرِ ، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ عَاقِرًا فِي حَالِ شَيْبَتَيْهَا ، وَقَدْ أَسْنَتْ أَيْضًا ؛ حَتَّى لَا يَتَأَسَّ أَحَدٌ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ ، وَلَا يَقْنَطَ مِنْ فَضْلِهِ ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴾ (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿ . قَالَ قَتَادَةُ عِنْدَ تَفْسِيرِهَا^(١٢) : إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْقَلْبَ النَّقِيَّ ، وَيَسْمَعُ الصَّوْتِ الْخَفِيَّ . وَقَالَ بَعْضُ

(١) فى الأصل : «خشبان» . وفى ح ، م : «حشبان» . وفى ص : «حشبان» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) فى الأصل : «مرحمة» . وفى م : «برخيا» . وفى ص : «برخية» .

(٤) فى تاريخ دمشق : « من » .

(٥) فى الأصل : «تلفاطية» . وفى ح ، م : «بلعاطة» . وفى ص : «بلقاطة» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) وفى ح : «ياحور» . وفى تاريخ دمشق : «ماجور» . وانظر تاريخ الطبرى ٥٩٠/٢ .

(٧) فى النسخ : «سلوم» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٨) فى النسخ : «بهفاشاط» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٩ - ٩) سقط من النسخ ، وأثبتناه من تاريخ دمشق .

(١٠) فى ح ، م : «أينا من» . وفى ص : «أيتا» .

(١١) فى الأصل ، ح ، ص : «رخيم» . وفى م : «رجيعام» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(١٢) تفسير الطبرى ٤٥٠/١٦ . الدر المنثور ٢٥٩/٤ .

السَّلَفِ^(١) : قام من الليل فنادى رَبَّهُ مُنَادَاةً أَسْرَهَا عَمَّنْ كَانَ حَاضِرًا عِنْدَهُ ؛
مُخَافَتَةً ، فقال : يا رَبِّ ، يا رَبِّ ، يا رَبِّ . فقال اللَّهُ : لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ .
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي ﴾ أَي ؛ ضَعُفَ وَخَارَ مِنَ الْكِبَرِ . ﴿ وَاشْتَعَلَ
الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ استعارَةً مِنْ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي الْحَطَبِ ، أَيْ غَلَبَ عَلَى سَوَادِ
الشَّعْرِ شَيْبُهُ^(٢) ، كما قال ابنُ دُرَيْدٍ فِي مَقْصُورَتِهِ^(٣) :

إِذَا تَرَى رَأْسِي حَاكِي لَوْنُهُ^(٤) طَرَّةً صُبْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى
وَاشْتَعَلَ الْمُبْيِضُ فِي مُسْوَدِّهِ مِثْلَ اشْتِعَالِ النَّارِ فِي جَزَلِ^(٥) الْعَصَا

[٢٤١/١ ظ]

وَأَصْرَ رَوْضُ^(٦) اللَّهُوِ^(٧) يَنْسَا ذَاوِيَا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مَجَاجِ الثَّرَى
يَذْكُرُ أَنَّ الضَّعْفَ قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَهَكَذَا قَالَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ
السَّلَامُ : ﴿ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَمْ
أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أَي ؛ مَا عَوَّذْتَنِي فِيمَا أَسْأَلُكَ فِيهِ إِلَّا الْإِجَابَةَ .
وَكَانَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، أَنَّهُ لَمَّا كَفَلَ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ بْنِ مِثْلَانَ ،

(١) التفسير ٢٠٦/٥ ، بمعناه .

(٢) فِي ص : « بِمَا فِيهِ » .

(٣) تخميس مقصورة ابن دريد ٣١ - ٣٣ ، ٣٧ . والمقصورة من الشعر : ما كانت قافيته مختومة بألف مقصورة .

(٤) فِي الْأَصْل : « كَوْنُهُ » .

(٥) فِي الْأَصْل ، ح ، م : « جَمْر » . وَفِي ص : « جَدَد » . وَالثَّبِتُ مِنْ تَخْمِيسِ الْمَقْصُورَةِ .

(٦) فِي الْأَصْل ، ح ، م : « عَوْد » .

(٧) فِي ص : « اللَّبْس » .

وكان كُلُّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مِخْرَاجُهَا، وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةً فِي غَيْرِ أَوَانِهَا وَلَا فِي أَوَانِهَا، وهذه مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، فَعَلِمَ أَنَّ الرَّازِقَ لِلشَّيْءِ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا، وَإِنْ كَانَ قَدْ طَعَنَ فِي سِنِّهِ ﴿ هُنَالِكَ دَعَا ذَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ . وقوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ وَكَانَتْ أَمْرًا عَاقِرًا ﴾ . قيل: المرادُ بِالْمَوَالِيَ الْعَصَبَةُ، وَكَأَنَّهُ خَافَ مِنْ تَصَرُّفِهِمْ بَعْدَهُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا لَا يُوَافِقُ شَرْعَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، فَسَأَلَ وَجُودَ وَلَدٍ مِنْ صُلْبِهِ، يَكُونُ بَرًّا تَقِيًّا مَرْضِيًّا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ﴾ أَي؛ مِنْ عِنْدِكَ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ﴿ وَلِيًّا ﴾ يَرِثُنِي ﴿ أَي؛ فِي الثُّبُوتِ وَالْحُكْمِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ. ﴿ وَبَرِّثْ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ يَعْنِي كَمَا كَانَ آبَاؤُهُ وَأَسْلَافُهُ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ أَنْبِيَاءَ^(١)، فَاجْعَلْهُ مِثْلَهُمْ فِي الْكِرَامَةِ الَّتِي أَكْرَمْتَهُمْ بِهَا مِنَ الثُّبُوتِ وَالْوَحْيِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ هَلْنَا وَرِاثَةُ الْمَالِ، كَمَا زَعَمَ ذَلِكَ مَنْ زَعَمَهُ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَوَأَفَقَهُمْ ابْنُ جَرِيرٍ هَلْنَا، وَحَكَاهُ^(٢) عَنْ أَبِي^(٣) صَالِحٍ مِنْ^(٤) السَّلَفِ؛ لَوْجُوه: أَحَدُهَا، مَا قَدَّمْنَا^(٥) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ ﴾ [النمل: ١٦] أَي؛ فِي الثُّبُوتِ وَالْمُلْكِ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ^(٦)، الْمَزُورِيُّ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ: «أَيْنَا».

(٢) فِي تَفْسِيرِهِ ٤٧/١٦، ٤٨.

(٣) فِي ح: «ابن».

(٤) فِي الْأَصْلِ: «بن».

(٥) تَقْدِمُ تَخْرِيجُهُ ص ٣٢٤.

(٦) تَقْدِمُ تَخْرِيجُهُ ص ٣٢٤. وَهُوَ كَذَلِكَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ ٤/١، ٦، ٩، ١٠، ٤٧، ٤٩، ٦٠،

٢٠٨. الترمذی (١٦١٠). أبی داود (٢٩٧٦، ٢٩٧٧). النسائی (٤١٥٩).

«الصَّحاح» و«المسانيد» و«السنن» وغيرها، مِنْ طُرُقٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ». فهذا نَصٌّ عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُورَثُ، ولهذا مَنَعَ الصَّدِيقُ أَنْ يُصْرِفَ مَا كَانَ يَخْتَصُّ بِهِ فِي حَيَاتِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ وَرَثَتِهِ، الَّذِينَ لَوْ لَا هَذَا النِّصُّ لَصْرِفَ إِلَيْهِمْ^(١)، وَهُمْ: ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ، وَأَزْوَاجُهُ التُّسْعُ، وَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَاجْتَنَحَ عَلَيْهِمُ الصَّدِيقُ فِي مَنَعِهِ إِيَّاهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَى رِوَايَتِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَآخَرُونَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. الثَّانِي، [٢/١٤٢] أَنَّ التِّرْمِذِيَّ رَوَاهُ بِلَفْظٍ يَغْمُ سَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ (لَا تُورَثُ)^(٢)» وَصَحَّحَهُ. الثَّالِثُ، أَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ أَخْفَرَ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَنْ يَكْنِزُوا لَهَا، أَوْ يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا، أَوْ يُهَيِّمَهُمْ أَمْرُهَا، حَتَّى يَسْأَلُوا الْأَوْلَادَ لِيَحْزُوزُوهَا بَعْدَهُمْ؛ فَإِنَّ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فِي الزَّهَادَةِ، لَا يَهْتَمُّ بِهَذَا الْمَقْدَارِ أَنْ يَسْأَلَ وَلَدًا يَكُونُ وَارِثًا لَهُ فِيهَا. الرَّابِعُ، أَنَّ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ نَجَارًا يَعْمَلُ بِيَدِهِ، وَيَأْكُلُ مِنْ كَسْبِهَا، كَمَا كَانَ دَاوُدُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَأْكُلُ^(٣) مِنْ كَسْبِ يَدِهِ، وَالْغَالِبُ - وَلَا سِيَّما مَنْ مِثْلُ حَالِ الْأَنْبِيَاءِ - أَنَّهُ لَا يُجْهِدُ نَفْسَهُ فِي الْعَمَلِ إِجْهَادًا يَسْتَفْضِلُ مِنْهُ مَالًا يَكُونُ ذَخِيرَةً لَهُ يَخْلُقُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَبِينُ وَاضِحٌ لِكُلِّ مَنْ تَأَمَّلَهُ بِتَدَبُّيرٍ وَتَفَهُيمٍ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(١) فِي ص: «عَلَيْهِمْ».

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ: ح.

(٣) فِي الْأَصْلِ، ص: «يَعْمَلُ».

قال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا يَزِيدُ - يَعْنِي ابْنَ هَارُونَ - أَنَّ أَبَانَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا » . وهكذا رواه مسلم ، وابن ماجه من غير وجه عن حماد ابن سلمة به^(٢) . قوله : ﴿ يَزَكِّرُنَا إِنَّا بُشِّرْنَا بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ . وهذا مفسر بقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ ، فلما بُشِّرَ بالولد وتحقق البشارة ، شرع يستعظم - على وجه التعجب - وجود الولد ، والحالة هذه ، له : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ أى ؛ كيف يوجد ولد من شيخ كبير ، قيل : كان عمره إذ ذاك سبعًا وسبعين سنة . والأشبه ، والله أعلم ، أنه كان أسن من ذلك . ﴿ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ يعنى ، وكانت امرأتى فى حال سبيتها عاقرا لا تلد . والله أعلم . كما قال الخليل : ﴿ ابْشَرْتُمُونِى عَلَى أَنْ مَسَّنِىَ الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرُونَ ﴾ [الحجر : ٥٤] ، وقالت سارة : ﴿ يَتَوَلَّيْ نَا إِلَهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ (٧٧) قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود : ٧٢ ، ٧٣] . وهكذا أجيب زكريا ، عليه السلام ؛ قال له الملك الذى يوحى إليه بأمر ربه : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ أى ؛ هذا سهل يسير عليه . ﴿ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾ أى ؛ قدرته أوجدتك بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ، أفلا يوجد منك

(١) المسند ٢/٢٩٦ . (إسناده صحيح) .

(٢) مسلم (٢٣٧٩) . وابن ماجه (٢١٥٠) .

وَلَدًا وَإِنْ كُنْتَ شَيْخًا كَبِيرًا ۚ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُمُ وَوَهَبْنَا لَهُ ۙ [١] ٢٤٢ ط] يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُمُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ومعنى إصلاح زواجه ، أنها كانت لا تحيض فحاضت . وقيل : كَانَ فِي لِسَانِهَا شَيْءٌ ؛ أَيْ بَدَاءَةٌ ^(١) . ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۚ ﴾ أى ؛ علامة على وَقْتِ تَغْلُقُ مِنِّي الْمَرْأَةُ بِهَذَا الْوَلَدِ الْمُبَشِّرِ بِهِ . ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ يقول : علامة ذلك أن يَغْتَرِّكَ سَكَتٌ ، لَا تَنْتَظِقُ مَعَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمَنًا ، وَأَنْتَ فِي ذَلِكَ سَوِيٌّ الْخَلْقِ ، صَحِيحُ الْمَزَاجِ ، مُعْتَدِلُ الْبَنِيَّةِ . وَأَمْرٌ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ فِي هَذِهِ الْحَالِ بِالْقَلْبِ ، وَاسْتِحْضَارِ ذَلِكَ بِفَوَادِهِ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ، فَلَمَّا بُشِّرَ بِهَذِهِ الْبِشَارَةِ ، خَرَجَ مَسْرُورًا بِهَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ مَحَرَابِهِ . ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ، وَالْوَحْيُ هَلْهَنَا هُوَ الْأَمْرُ الْخَفِيُّ ؛ إِمَّا بِكِتَابَةٍ ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَالشَّدَى ، أَوْ إِشَارَةً ، كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ - أَيْضًا - وَوَهَبٌ ، وَقَتَادَةُ ^(٢) . قَالَ مُجَاهِدٌ ، وَعِكْرِمَةُ ، وَوَهَبٌ ، وَالشَّدَى ، وَقَتَادَةُ : اغْتَقِلَ لِسَانُهُ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ ^(٣) . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ ^(٤) : كَانَ يَقْرَأُ وَيُسَبِّحُ ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُ كَلَامَ أَحَدٍ . وَقَوْلُهُ : ﴿ يَنْجِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۚ وَءَايَتُنَا الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ، يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ ^(٥) وُجُودِ الْوَلَدِ ^(٥) وَفَقَّ الْبِشَارَةِ الْإِلَهِيَّةَ لِأَيِّهِ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّ

(١) فِي الْأَصْلِ ، ص : « بَدَاءٌ » . وَفِي ح : « بَدَاةٌ » . وَالبداء والبداة : الْفُحْشُ . وَالبداة : سُوءُ الْحَالِ وَرِثَاةُ الْهَيْفَةِ .

(٢) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦ / ٥٣ ، ٥٤ .

(٣) التفسير ٥ / ٢١٠ .

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦ / ٥٤ . التفسير ٥ / ٢١٠ .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : ح .

اللَّهُ عَلَّمَهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي حَالِ صِبَاهُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ^(١) : قَالَ مَعْمَرٌ : قَالَ الصَّبِيَّانُ لِيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا : اذْهَبْ بِنَا نَلْعَبُ . فَقَالَ : مَا لِيَلْعَبُ خُلِفْنَا . قَالَ : وَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ . وَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ فَزَوَى ابْنُ جَرِيرٍ^(٢) ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ قَالَ : لَا أَذْرى مَا الْحَنَانُ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَمُجَاهِدٍ ، وَعِكْرِمَةَ ، وَقَتَادَةَ ، وَالصُّحَاكِ^(٣) : ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ أَى : رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا رَحِمْنَا بِهَا زَكَرِيَّا ، فَوَهَبْنَا لَهُ هَذَا الْوَلَدَ . وَعَنْ عِكْرِمَةَ : ﴿ وَحَنَانًا ﴾ أَى : مُحَبَّةً عَلَيْهِ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ صِفَةً لِتَحَنُّنِ يَحْيَى عَلَى النَّاسِ ، وَلَا يَسِيماً عَلَى أَبَوَيْهِ ، وَهُوَ مُحَبَّبُهُمَا وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمَا ، وَيُرَاهُ بِهِمَا . وَأَمَّا الزَّكَاةُ فَهُوَ طَهَارَةُ الْقَلْبِ^(٤) وَسَلَامَتُهُ مِنَ النَّقَائِصِ^(٥) وَالرَّذَائِلِ . وَالتَّقْوَى طَاعَةُ اللَّهِ ؛ بِامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَتَرْكِ زَوَاجِرِهِ . ثُمَّ ذَكَرَ يَرُّهُ بِوَالِدَيْهِ وَطَاعَتَهُ لِهَما أُمْرًا وَنَهْيًا ، وَتَرَكَ غُفُوقَهُمَا قَوْلًا وَفِعْلًا ، فَقَالَ : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ . ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ، هَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ أَشَدُّ مَا تَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ ؛ فَإِنَّهُ يَنْتَقِلُ فِي كُلِّ مِنْهَا ، مِنْ عَالَمٍ إِلَى عَالَمٍ آخَرَ [٢٤٣/١] ، فَيَفْقِدُ الْأَوَّلَ بَعْدَ مَا كَانَ أَلْفَهُ وَعَرَفَهُ ، وَيَصِيرُ إِلَى الْآخِرِ ، وَلَا يَدْرِي مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَلِهَذَا يَسْتَهْلُ صَارِخًا إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْأَحْشَاءِ وَفَارَقَ لَبَنَهَا وَضَمَّهَا ، وَيَنْتَقِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ ، لِيُكَابِدَ هُمُومَهَا وَغُمُومَهَا ، وَكَذَلِكَ إِذَا فَارَقَ

(١) تفسير الطبري ٥٥/١٦ . التفسير ٢١٠/٥ .

(٢) تفسير الطبري ٥٠٦/١٦ . التفسير ٢١١/٥ .

(٣) تفسير الطبري ٥٥/١٦ ، ٥٦ . التفسير ٢١١/٥ .

(٤) فِي ح ، م ، ص : «الخلق» .

(٥) فِي ح : «القباض» .

هذه الدَّارَ، وانتقل إلى عالمِ البرزخِ بينها وبين دارِ القرارِ، وصار بعدَ الدُّورِ والقُصورِ، إلى عَرَصَةِ الأَمْواتِ سُكَّانِ القُبُورِ، وانتظرَ هُنَاكَ التَّفَحُّةَ في الصُّورِ ليومِ البعثِ والنُّشُورِ، فمِن مَسْرُورٍ وَمَحْزُونٍ، وَمِنْ مَحْزُونٍ وَمُتَبُورٍ، وما بينَ مَجْزُورٍ وَمَكْشُورٍ، وفريقٍ في الجَنَّةِ وفريقٍ في السَّعِيرِ. ولقد أَحَسَّنَ بعضُ الشعراءِ حيثُ قال :

وَلَدَنكَ أُمُّكَ بِاِكْتِا مُسْتَضْرِخًا وَالنَّاسُ حَوْلَكَ يَضْحَكُونَ سُرُورًا
فَاخْرِصْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ إِذَا بَكَوْا فِي يَوْمِ مَوْتِكَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا
ولمَّا كانت هذه المواطِنُ الثلاثةُ أَشَقُّ ما تكونُ على ابنِ آدَمَ، سَلَّمَ اللهُ^(١)
على يَحْيَى في كُلِّ مَوْطِنٍ منها، فقال : ﴿ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ . وقال سعيدُ بنُ أَبِي عَرُوبَةَ ، عن قتادة ، أَنَّ الحَسَنَ قال^(٢) :
إِنَّ يَحْيَى ، وَعِيسَى التَّقْيَا فقال له عيسى : اسْتَغْفِرْ لِي ، أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي . فقال له
الْآخَرُ : اسْتَغْفِرْ لِي ، أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي . فقال له عيسى : أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي ؛ سَلَّمْتُ
على نَفْسِي ، وَسَلَّمَ اللهُ عَلَيْكَ . فَعَرَفَ اللهُ فَضْلَهَا^(٣) . وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي الْآيَةِ
الْأُخْرَى : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، فقيل : المرادُ بِالْحَصُورِ ،
الذي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ . وقيلَ غَيْرُ ذَلِكَ . وهو أَشْبَهُ ؛ لقوله : ﴿ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ
ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ .

(١) سقط من : الأصل .

(٢) تفسير الطبري ٥٩/١٦ . والتفسير ٢١٣/٥ .

(٣) في م : « فضلها » .

وقد قال الإمام أحمد^(١) : حَدَّثَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، أَنبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ،
عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مَا مِنْ أَحَدٍ
مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا وَقَدْ أَخْطَأَ ، أَوْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ ، لَيْسَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ، وَمَا يَنْبَغِي
لأَحَدٍ أَنْ^(٢) يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُوسُفَ بْنِ مَتَّى » . عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ بْنُ جُدْعَانَ تَكَلَّمَ
فيه غير واحدٍ من الأئمة ، وهو مُتَكَرِّرُ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ^(٣) ،
وَالدَّارَقُطْنِيُّ^(٤) ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَاصِمٍ الْعَبْدَانِيِّ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ بْنِ جُدْعَانَ ،
بِهِ مُطَوَّلًا ثُمَّ^(٥) قال ابن خزيمة : وليس على شرطنا .

وقال ابن وهب^(٦) : حَدَّثَنِي ابْنُ لَهِيْعَةَ ، عَنْ عُقَيْلٍ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ ، قال :
خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ يَوْمًا وَهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فَضْلَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَقَالَ
قَائِلٌ : مُوسَى كَلِمَةُ اللَّهِ . وَقَالَ قَائِلٌ : عِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ^(٧) . وَقَائِلٌ يَقُولُ :
إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ . « فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ^(٨) وَهُمْ يَذْكُرُونَ^(٩) » [٢٤٣/١ ظ] ذَلِكَ ،
فَقَالَ : « أَيْنَ الشَّهِيدُ ، أَيْنَ^(١٠) الشَّهِيدُ يَلْبَسُ الْوَبَرُ ، وَيَأْكُلُ الشَّجَرُ ، مَخَافَةَ

(١) أحمد في المسند ٢٥٤ / ١ . (إسناده صحيح) .

(٢) سقط من : الأصل ، ح ، م .

(٣) في ص : « جرير » .

(٤) أخرجهما ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩٠ / ١٨ ، ٩١ مخطوط . من طريق ابن خزيمة والدارقطني

به .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) المصدر السابق ٩١ / ١٨ .

(٧) في الأصل : « وكليمه » .

(٨ - ٩) تكملة من تاريخ دمشق ليتضح المعنى .

(١٠ - ١٠) سقط من : ح ، م .

(١١) في ح : « ابن » .

الذُّنْبِ^(١)» قال ابنُ وَهْبٍ : يُرِيدُ يَحْتَنِي بِنَ زَكَرِيَّا .

وقد رواه محمدُ بنُ إِسْحَاقَ^(٢) ، وهو مُدَلِّسٌ ، عن يَحْتَنِي بنِ سَعِيدِ
الأنصاريِّ ، عن سَعِيدِ بنِ المسيَّبِ ، حدَّثني ابنُ العاصِ : أَنه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ
ﷺ يقول : « كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْتَنِي بنِ
زَكَرِيَّا » . فهذا من رواية ابنِ إِسْحَاقَ ، وهو من المدلسين ، وقد عَنَعَنَ ههنا .
ثم ^(٣) قد رواه ^(٤) عبدُ الرزَّاقِ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عن قتادة عن سَعِيدِ بنِ المسيَّبِ
مُرسَلاً . ثم رأيتُ ابنَ عَسَاكِرَ ساقه من طريق أبي أُسامة^(٥) ، عن يَحْتَنِي بنِ سَعِيدِ
الأنصاريِّ به .

ثم قد رواه ابنُ عَسَاكِرَ^(٦) من طريق إبراهيم بن يَعْقُوبَ الجوزجانيِّ ،
خطيبِ دِمَشْقَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ الأصبهانيِّ ، حدَّثنا أبو خالدٍ الأحمَرُ ، عن
يَحْتَنِي بنِ سَعِيدِ ، عن سَعِيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، قال : ما أَحَدٌ
إِلَّا يَلْقَى اللَّهَ بِذَنْبٍ ، إِلَّا يَحْتَنِي بنَ زَكَرِيَّا . ثُمَّ تلا . ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، ثم
رَفَعَ شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ فَقَالَ : ما كان معه إِلَّا مِثْلُ هَذَا ، ثم ذُبِحَ ذَبْحًا . وهذا
موقوفٌ من هذه الطريقِ^(٧) ، وَكَوْنُهُ مَوْقُوفًا أَصَحُّ مِنْ رَفْعِهِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأُورِدَهُ
ابنُ عَسَاكِرَ مِنْ طُرُقٍ ، ^(٨) عَنْ مَعْمَرٍ ، من ذلك ما أُورِدَهُ من حديثِ إِسْحَاقَ بنِ

(١) في الأصل : « الذيب » .

(٢) تاريخ دمشق مخطوط ٨٢ / ١٨ .

(٣ - ٣) في ح ، م : « قال » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ٦ / ٢ .

(٥) في ح : « أمانة » . والحديث أخرجه ابن عساكر ، في تاريخ دمشق ٩٤ / ١٨ مخطوط .

(٦) المصدر السابق .

(٧) سقط من : ح .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ح .

يُشْرِ^(١)، وهو ضعيفٌ، عن عثمان بن ساج^(٢)، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مغدان، عن مُعَاذٍ، عن النبي ﷺ يَنْحُوهُ.

وَرَوَى مِنْ طَرِيقِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ^(٣)، وَغَيْرِهِ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ^(٤)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا ابْنَتِي خَالَتَهُ يَحْيَى، وَعِيسَى، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ».

وقال أبو نُعَيْمٍ الحافظُ الأصبهاني^(٥): حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَوْسُفَ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِزْمِيِّ سَمِعْتُ أَبَا سَلِيمَانَ يَقُولُ: خَرَجَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا يَتَمَاشِيَانِ، فَصَدَمَ يَحْيَى امْرَأَةً، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: يَا بَنَ خَالَةٍ، لَقَدْ أَصَبْتَ الْيَوْمَ خَطِيئَةً، مَا أَظُنُّ أَنْ يُغْفَرَ لَكَ أَبَدًا. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا بَنَ خَالَةٍ؟ قَالَ: امْرَأَةٌ صَدَمْتُهَا. قَالَ: وَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بِهَا. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! بَدَنُكَ^(٦) مَعِيَ، فَأَيْنَ رُوحُكَ؟ قَالَ: مُعَلَّقٌ بِالْعَرْشِ، وَلَوْ أَنَّ قَلْبِي أَطْمَأَنَّ إِلَى جِبْرِيلَ، لَطَنَنْتُ أَنِّي مَا عَرَفْتُ اللَّهَ طَرَفَةَ عَيْنٍ. فِيهِ غَرَابَةٌ، وَهُوَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ. وَقَالَ إِسْرَائِيلُ^(٧) عَنْ أَبِي حُصَيْنٍ، عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: كَانَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ابْنَتِي خَالَةٍ، وَكَانَ عِيسَى يَلْبَسُ الصُّوفَ،

(١) المصدر السابق.

(٢) في الأصل، ص: «ساج». وفي م: «سباح». وانظر تهذيب الكمال ١٩/٤٦٧.

(٣) تاريخ دمشق ٩٢/١٨ مخطوط. (صحيح الجامع الصغير ٣١٧٦).

(٤) في م: «نعيم».

(٥) حلية الأولياء ٩/٢٦٨، ٢٦٩.

(٦) في ح: «قدمك».

(٧) تاريخ دمشق ٩٦/١٨ مخطوط.

وكان يَحْيَى يَلْبِسُ الْوَبَرَ، ولم يَكُنْ لواحدٍ منهما دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ، ولا عَبْدٌ ولا أَمَةٌ، ولا ما يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ، أَتَيْتُمَا جَنَّهُمَا [٢٤٤/١] اللَّيْلُ أَوَّيَا، فَلَمَّا أَرَادَا أَنْ يَتَفَرَّقَا، قَالَ لَهُ يَحْيَى: أَوْصِنِي. قَالَ: لَا تَغْضَبْ. قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ أَغْضَبَ. قَالَ: فَلَا تَقْتَنِ مَالًا. قَالَ: أَمَّا هَذِهِ فَعَسَى.

وقد اخْتَلَفَتِ الرُّوَايَةُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، هل ماتَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَوْتًا، أَوْ قُتِلَ قَتْلًا؟ عَلَى رَوَايَتَيْنِ؛ فَرَوَى عَبْدُ الْمَنَعِمِ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ قَالَ: هَرَبَ مِنْ قَوْمِهِ، فَدَخَلَ شَجَرَةً فَجَاءُوا فَوَضَعُوا الْمِشْشَارَ عَلَيْهَا^(١)، فَلَمَّا وَصَلَ الْمِشْشَارُ إِلَى أَضْلَاعِهِ أَنَّ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: لَيْنَ لَمْ يَسْكُنْ أَيْنُكَ، لِأَقْلَبَنَّ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا. فَسَكَنَ أَيْنُهُ حَتَّى قُطِعَ بِائْتِنَيْنِ^(٢). وَقَدْ رَوَى هَذَا فِي حَدِيثٍ مَرْفُوعٍ، سُورِدُهُ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ بِشِيرٍ^(٣)، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ وَهْبٍ أَنَّهُ قَالَ: الَّذِي انْصَدَعَتْ لَهُ الشَّجَرَةُ هُوَ أَشْعِيَا، فَأَمَّا زَكَرِيَّا فَمَاتَ مَوْتًا. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ^(٤): حَدَّثَنَا عَفَّانُ، ثنا أَبُو خَلْفٍ مُوسَى بْنُ خَلْفٍ، وَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْبَدَلَاءِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ جَدِّهِ تَمْطُورٍ، عَنْ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ،

(١) فِي م: «عَلَيْهَا».

(٢) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٥٤/١٩، ٥٥.

(٣) تَارِيخُ دِمَشْقَ ٥٦/١٩.

(٤) أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ١٣٠/٤. كَمَا أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ بِهِ. الْإِحْسَانُ

(٦٢٣٣). (إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ).

وَكَاذَ أَنْ يُنْطِئَ ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِخَمْسِ
كَلِمَاتٍ ، أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ فَإِنَّمَا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ ،
وإِنَّمَا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ . فَقَالَ : يَا أَخِي ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذِّبَ أَوْ يُخَسِّفَ
بِي . قَالَ : فَجَمَعَ يَحْيَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، حَتَّى امْتَلَأَ الْمَسْجِدُ ،
فَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَرَنِي
بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ ، أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَمُرَّكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ ؛ أَوَّلُهُنَّ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ
لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ مَنْ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرَقِ
أَوْ ذَهَبٍ ، فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ ، فَأَيُّكُمْ يَسْرُهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ
كَذَلِكَ ، وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، فَأَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَمُرَّكُمْ
بِالصَّلَاةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْصِبُ وَجْهَهُ قِبَلَ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا
تَلْتَفِتُوا . وَأَمُرَّكُمْ بِالصِّيَامِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكِ فِي
عِصَابَةٍ ، كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ ، ^(١) وَإِنَّ حُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ
رِيحِ الْمِسْكِ ^(٢) . وَأَمُرَّكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسْرَهُ الْعَدُوَّ ،
فَشَدُّوا يَدَهُ إِلَى عُنْقِهِ ، وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنْقَهُ ، فَقَالَ : هَلْ لَكُمْ أَنْ أَقْتَدِيَ نَفْسِي
مِنْكُمْ ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ . وَأَمُرَّكُمْ
بِذِكْرِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ [١/٢٤٤ ط] ، كَثِيرًا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ
الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي إِثْرِهِ ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا ، فَتَحَصَّنَ فِيهِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا
يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ : « وَأَنَا أَمُرُّكُمْ بِخَمْسٍ ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ ؛ بِالْجَمَاعَةِ ، وَالسَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ،

وَالْهَجْرَةَ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ قَيْدَ شَيْبَرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ، إِلَّا أَنْ يَوْجَعَ، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَهُوَ مِنْ جُنَاءِ جَهَنَّمَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: «وَأِنْ صَامَ وَصَلَّى، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، اذْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ، بِمَا سَمَاهُمُ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، الْمُسْلِمِينَ^(١) الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ».

وهكذا رواه أبو يعلى^(٢) عَنْ هُذَيْبَةَ^(٣) بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبَانَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ^(٤) بِهِ.

وكذلك رواه الترمذي^(٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، وَمُوسَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ، كِلَاهُمَا عَنْ أَبَانَ بْنِ يَزِيدَ الْعَطَّارِ بِهِ. ورواه ابنُ مَاجَةَ^(٦) عَنْ هِشَامِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ^(٧) بْنِ سَابُورَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ أَخِيهِ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ أَبِي^(٨) سَلَامٍ، عَنْ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ بِهِ. ورواه الحاكم^(٩) مِنْ طَرِيقِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّاطَرِيِّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ أَخِيهِ بِهِ^(١٠). ثُمَّ قَالَ: تَفَرَّدَ بِهِ^(١١) مَرْوَانُ الطَّاطَرِيُّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ سَلَامٍ. قُلْتُ^(١٢): «وَلَيْسَ كَمَا

(١) سقط من: ص.

(٢) مسند أبي يعلى (١٥٧١). (إسناده صحيح).

(٣) في الأصل: «هريرة».

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) الترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤). (صحيح الترمذي ٢٢٩٨).

(٦) لم يعزه في التحفة (٣٢٧٤) إلى ابن ماجه.

(٧) في الأصل: «عن».

(٨) في ص: «زيد بن».

(٩) في المستدرک ١١٨/١ مختصراً.

(١٠ - ١٠) سقط من: ص.

(١١) القائل ابن كثير.

قال . وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ ^(١) ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِةَ ، عَنْ أَبِي تَوْبَةَ الرَّبِيعِ بْنِ نَافِعٍ ^(٢) ، عَنْ معاويةَ بْنِ سَلَامٍ ، عَنْ أَبِي سَلَامٍ ، عَنْ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ ، فَذَكَرَ نَحْوَهُ ، فَسَقَطَ ذِكْرُ زَيْدِ بْنِ سَلَامٍ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ . ثُمَّ رَوَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكَرٍ ^(٣) ، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ، قَالَ : ذُكِرَ لَنَا عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فِيمَا سَمِعُوا مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، أَنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا أُرْسِلَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ . وَقَدْ ذَكَرُوا ^(٤) أَنَّ يَحْيَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَ كَثِيرَ الْإِنْفِرَادِ مِنَ النَّاسِ ، إِنَّمَا كَانَ يَأْتِسُّ إِلَى الْبَرَارِيِّ ، وَيَأْكُلُ مِنْ وَرَقِ الْأَشْجَارِ ، وَيَرِدُ مَاءَ الْأَنْهَارِ ، وَيَتَغَدَّى بِالْجَرَادِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَيَقُولُ : مَنْ أَنْعَمَ مِنْكَ يَا يَحْيَى . وَرَوَى ابْنُ عَسَاكَرٍ ^(٥) ، أَنَّ أَبَوَيْهِ خَرَجَا فِي تَطَلُّبِهِ ، فَوَجَدَاهُ عِنْدَ بُحَيْرَةِ الْأُرْدُنِّ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَا بِهِ ، أَبْكَاهُمَا بُكَاءً شَدِيدًا ؛ لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ . وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ ^(٦) ، عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ قَيْسٍ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، قَالَ : كَانَ طَعَامُ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا الْعُشْبُ ، وَإِنْ كَانَ لَيَبْكِي مِنَ خَشْيَةِ اللَّهِ ، حَتَّى لَوْ كَانَ الْقَارُ عَلَى عَيْنَيْهِ لَحَرَّقَهُ ^(٧) . وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ ^(٨) : حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ ، حَدَّثَنَا

(١) المعجم الكبير (٣٤٣٠) .

(٢) فى ح : « بافع » . وفى م : « يافع » .

(٣) تاريخ دمشق ٨٩/١٨ ، ٩٠ . مخطوط .

(٤) المصدر السابق ٩٥/١٨ .

(٥) تاريخ دمشق ٥٤/١٩ مطوّلًا .

(٦) تاريخ دمشق ٩٦/١٨ مخطوط .

(٧) فى الأصل : « لخرقه » . وفى ح ، م ، ص : « لخرقه » . والمثبت من التاريخ .

(٨) المصدر السابق ٩٥/١٨ ، ٩٦ .

الليث ، حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، قَالَ [١/٢٤٥] : جَلَسْتُ يَوْمًا إِلَى أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَهُوَ يَقْصُ ، فَقَالَ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ كَانَ أَطْيَبَ النَّاسِ طَعَامًا ؟ فَلَمَّا رَأَى النَّاسَ قَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِ قَالَ : إِنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، كَانَ أَطْيَبَ النَّاسِ طَعَامًا ؛ إِنَّمَا كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الْوَحْشِ ؛ كَرَاهَةً أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ فِي مَعَايِشِهِمْ . وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ^(١) ، عَنْ وَهَبِ بْنِ الْوَرْدِ ، قَالَ : فَقَدْ زَكَرِيَّا إِنَّهُ يَحْتَنِي ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَخَرَجَ يَلْتَمِسُهُ فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ اخْتَفَرَ قَبْرًا ، وَأَقَامَ فِيهِ يَتَكَبَّى عَلَى نَفْسِهِ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، أَنَا أَطْلُبُكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَأَنْتَ فِي قَبْرِ قَدْ اخْتَفَرْتَهُ ، قَائِمٌ تَبْكِي فِيهِ ؟ ! فَقَالَ : يَا أَبَتِ ، أَلَسْتُ أَنْتَ أَخْبَرْتَنِي أَنَّ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ مَفَازَةً ^(٢) ، لَا تُقَطَّعُ إِلَّا بِدُمُوعِ الْبَكَائِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ : ابْكِي يَا بُنَيَّ . فَتَبْكِيَا جَمِيعًا . وَهَكَذَا حَكَاهُ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ ، وَمُجَاهِدٌ بَنَحْوِهِ ^(٣) . وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٤) عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ لِلذِّمَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ ، فَكَذَا يَنْبَغِي لِلصَّادِقِينَ أَنْ لَا يَنَامُوا ؛ لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ نَعِيمِ الْحَبَّةِ لِلَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ . ثُمَّ قَالَ : كَمْ بَيْنَ النَّعِيمَيْنِ وَكَمْ بَيْنَهُمَا . وَذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْبُكَاءِ ، حَتَّى أَثَّرَ الْبُكَاءُ فِي خَدَّيْهِ مِنْ كَثَرَةِ دُمُوعِهِ ^(٥) .

(١) المصدر السابق ٩٧/١٨ .

(٢) فِي ح : « مَقَام » .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق ٩٦/١٨ .

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقِ الْخَطُوطِ ٩٧/١٨ بِمَعْنَاهُ ، بِسَنَدِهِ إِلَى مُجَاهِدٍ .

«بيان سبب قتل يحيى،

عليه السلام»

وذكرُوا في قَتْلِهِ أَسْبَابًا كَثِيرَةً؛ مِنْ أَشْهَرِهَا أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ بِدِمَشْقَ، كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِبَعْضِ مُحَارِمِهِ، أَوْ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ تَزْوِجُهَا، فَتَهَاةَ يَحْيَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ ذَلِكَ، فَبَقِيَ فِي نَفْسِهَا مِنْهُ، فَلَمَّا كَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَلِكِ مَا يُحِبُّ مِنْهَا، اسْتَوْهَبَتْ مِنْهُ دَمَ يَحْيَى، فَوَهَبَتْ لَهَا فَبَعَثَتْ إِلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ، وَجَاءَ بِرَأْسِهِ وَدَمِهِ فِي طَسْتٍ إِلَى عِنْدِهَا، فَيَقَالُ: إِنَّهَا هَلَكَتْ مِنْ قَوْرِهَا وَسَاعَتِهَا. وَقِيلَ: بَلْ أَحَبَّتْهُ امْرَأَةٌ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَرَاسَلَتْهُ، فَأَتَى عَلَيْهَا، فَلَمَّا يَكْسَتْ مِنْهُ، تَحَيَّلَتْ فِي أَنْ اسْتَوْهَبَتْهُ مِنَ الْمَلِكِ، فَتَمَنَّعَ عَلَيْهَا الْمَلِكُ، ثُمَّ أَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ، فَبَعَثَتْ^(١) مَنْ قَتَلَهُ وَأَخْضَرَ إِلَيْهَا رَأْسَهُ وَدَمَهُ فِي طَسْتٍ.

وقد وَرَدَ مَعْنَاهُ فِي حَدِيثٍ، رَوَاهُ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ فِي كِتَابِهِ «الْمُبْتَدَأُ»^(٢) حَيْثُ قَالَ: أَنْبَانَا^(٣) يَعْقُوبُ الْكُوفِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ رَأَى زَكَرِيَّا فِي السَّمَاءِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا يَحْيَى، خَبِّرْنِي عَنْ قَتْلِكَ؛ كَيْفَ كَانَ؟ وَلِمَ قَتَلَكَ بَنُو

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في م: «بعث».

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/٥٥، ٥٦، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٤) بعده في الأصل: «أبو». وبعده في ص: «ابن».

إِسْرَائِيلَ؟». قال: يا محمد، أَخْبِرْكَ أَنَّ يَحْيَى كَانَ خَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ، وَكَانَ أَجْمَلَهُمْ وَأَصْبَحَهُمْ وَجْهًا، وَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَيِّدًا وَحْصُورًا﴾^(١) وَكَانَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّسَاءِ، فَهَوِيَّتُهُ^(٢) امْرَأَةٌ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَتْ بَغِيَّةً، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، وَعَصَمَهُ اللَّهُ، وَامْتَنَعَ يَحْيَى وَأَتَى عَلَيْهَا، وَأَجْمَعَتْ عَلَى قَتْلِ يَحْيَى، وَلَهُمْ عِيدٌ يَجْتَمِعُونَ فِي كُلِّ عَامٍ، وَكَانَتْ سُنَّةُ الْمَلِكِ أَنْ [٢٤٥/١ ظ] يُوعِدَ وَلَا يُخْلِفَ وَلَا يَكْذِبَ. قَالَ: فَخَرَجَ الْمَلِكُ إِلَى الْعِيدِ فَقَامَتِ امْرَأَتُهُ فَشَيَّعَتْهُ، وَكَانَ بِهَا مُعْجَبًا، وَلَمْ تُكُنْ تَفْعَلُهُ فِيمَا مَضَى، فَلَمَّا أَنْ شَيَّعَتْهُ قَالَ الْمَلِكُ: سَلِينِي، فَمَا سَأَلْتَنِي شَيْئًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ. قَالَتْ: أُرِيدُ دَمَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا. قَالَ لَهَا: سَلِينِي غَيْرَهُ. قَالَتْ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: هُوَ لَكَ. قَالَ: فَبَعَثَتْ جَلَّازَتَهَا^(٣) إِلَى يَحْيَى، وَهُوَ فِي مِخْرَابِهِ يُصَلِّي، وَأَنَا إِلَى جَانِبِهِ أَصَلِّي. قَالَ: قَذِّبْ فِي طَنَسٍ وَحُمِلَ رَأْسُهُ وَدُمُهُ إِلَيْهَا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَا بَلَغَ مِنْ صَبْرِكَ؟». قَالَ: مَا انْفَتَلْتُ مِنْ صَلَاتِي. قَالَ: فَلَمَّا حُمِلَ رَأْسُهُ إِلَيْهَا فَوَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَلَمَّا أَمْسَوْا^(٤)، خَسَفَ اللَّهُ بِالْمَلِكِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَحَشَمِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: قَدْ غَضِبَ إِلَهُ زَكَرِيَّا لَزَكَرِيَّا، فَتَعَالَوْا حَتَّى نَغْضَبَ لِمَلِكِنَا، فَتَقْتُلَ زَكَرِيَّا. قَالَ: فَخَرَجُوا فِي طَلَبِي لِيَقْتُلُونِي، وَجَاءَنِي النَّذِيرُ فَهَرَبْتُ مِنْهُمْ، وَابْلِيسُ أَمَامَهُمْ يَدُلُّهُمْ عَلَيَّ، فَلَمَّا أَنْ تَخَوَّفْتُ أَنْ لَا أُعْجِزَهُمْ، عَرَضْتُ لِي شَجْرَةً، فَنَادَتْنِي وَقَالَتْ: إِلَيَّ، إِلَيَّ. وَانْصَدَعْتُ لِي، فَدَخَلْتُ فِيهَا. قَالَ: وَجَاءَ ابْلِيسُ حَتَّى أَخَذَ بِطَرَفِ رِدَائِي، وَالتَّامَّتِ الشَّجْرَةُ، وَبَقِيَ طَرَفُ رِدَائِي

(١) فِي م: «فَهَرَّتْ».

(٢) جَلَّازَتُهَا: جَمْعُ جَلَّازٍ وَهُوَ الشَّرْطِيُّ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: «اسْتَوَى».

خارجاً من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل، فقال إبليس: أَمَا رَأَيْتُمُوهُ دَخَلَ هَذِهِ الشَّجَرَةَ؟ هَذَا طَرْفُ رِدَائِهِ، دَخَلَهَا بِسِحْرِهِ. فقالوا: نَحْرِقُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ. فقال إبليس: شُقُّوهُ بِالْمِنْشَارِ شَقًّا. قال: فَشُقِّقْتُ مَعَ الشَّجَرَةِ بِالْمِنْشَارِ. فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ وَجَدْتَ لَهُ مَسًّا أَوْ وَجَعًا؟». قال: لا، إِنَّمَا وَجَدْتُ ذَلِكَ الشَّجَرَةَ، جَعَلَ اللَّهُ رُوحِي فِيهَا. هذا سياق^(١) غريب^(٢)، وحديث عجيب، ورفعه مُتَكَرِّرٌ، وفيه ما يُنْكَرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، ولم نَرِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ ذِكْرًا لَزَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَإِنَّمَا الْمَحْفُوظُ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِ «الصَّحِيحِ»، فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ: «فَمَرَزْتُ بَابَنِي الْخَالَةَ؛ يَحْيَى وَعِيسَى». وهما ابنا الخالة عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ، كما هو ظاهرُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنَّ أُمَّ يَحْيَى أَسْتَبَاعَ بِنْتَ عِمْرَانَ، أُخْتُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ. وقيل: بل أَسْتَبَاعُ، وَهِيَ امْرَأَةُ زَكَرِيَّا أُمُّ يَحْيَى، هِيَ أُخْتُ حَنَّةَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ أُمُّ مَرْيَمَ، فَيَكُونُ يَحْيَى ابْنَ خَالَةِ مَرْيَمَ. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ اخْتُلِفَ فِي مَقْتَلِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، هَلْ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَمْ بغيره؟ عَلَى قَوْلَيْنِ؛ فَقَالَ الثَّوْرِيُّ^(٣)، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ شِمْرِ بْنِ عَطِيَّةَ، قَالَ: قُتِلَ عَلَى الصُّخْرَةِ الَّتِي بَيْنَ الْمَقْدِسِ، سَبْعُونَ نَبِيًّا، مِنْهُمْ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَالَ أَبُو^(٤) عُبَيْدِ الْقَاسِمِ بْنُ سَلَامٍ^(٥): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ، قَالَ: قَدِمَ

(١) فِي ص: «إِسْنَاد».

(٢) بَعْدَهُ فِي م: «جَدَا».

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٠٥/١٨ مَخْطُوطٌ، مِنْ طَرِيقِ سَفِيَّانَ بِهِ.

(٤) فِي ح: «ابْن».

(٥) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عُبَيْدٍ بِهِ.

بُخْتُ [٢٤٦/١] نَصَرَ دِمَشْقَ ، فإذا هو بِدَمِ يَعْنِي بن زَكَرِيَّا يَغْلِي ، فسأل عنه ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَقَتَلَ على دِمِهِ سبعين ألفًا ، فسَكَنَ . وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى سعيدِ ابنِ المسيَّبِ ، وهو يَقْتَضِي أَنَّهُ قُتِلَ بِدِمَشْقَ ، وَأَنَّ قِصَّةَ بُخْتِ نَصَرَ كانت بعدَ المسيح ، كما قاله عَطَاءٌ ، والحسنُ البصريُّ . فاللهُ أعلمُ .

ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكر^(١) ، من طريقِ الوليدِ بنِ مُسْلِمٍ ، عن زَيْدِ بنِ وإقيد قال : رأيتُ رَأْسَ يَعْنِي بن زَكَرِيَّا حينَ أَرَادُوا بِنَاءَ مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، أُخْرِجَ مِنْ تَحْتِ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ القِبْلَةِ ، الذي يلي المِحْرَابَ ، ممَّا يلي الشُّرْقَ ، فكانتِ البَشْرَةُ والشَّعْرُ على حاله ، لم يَتَغَيَّرْ . وفي رواية : كَأَنَّمَا قُتِلَ السَّاعَةُ . وَذَكَرَ فِي بِنَاءِ مَسْجِدِ دِمَشْقَ^(٢) ، أَنَّهُ جُعِلَ تَحْتَ العَمُودِ المعروفِ بعمودِ السَّكَايِكَةِ . فاللهُ أعلمُ .

^(٣) وقد رَوَى الحافظُ ابنُ عساكر^(٤) في « المُسْتَقْصَى فِي فَضَائِلِ الْأَقْصَى »^(٥) من طريقِ العباسِ بنِ صُبَيْحٍ ، عن مَرْوَانَ ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن قُسَيْمِ مولى معاويةَ ، قال : كانَ مَلِكُ هذه المَدِينَةِ - يَغْنَى دِمَشْقَ - هَدَاذَ^(٦)

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤١ .

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٢٤٢ .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤) هو : القاسم بن علي بن هبة الله ، أبو محمد ابن عساكر ، بهاء الدين . محدث مؤرخ ، ولد في جمادى الأولى ٥٢٧ هـ ، وخلف أباه - أبا القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، مصنف تاريخ دمشق - في إسماع الحديث بالجامع الأموي ودار الحديث النورية ، ودخل مصر ، وتوفي بدمشق في ٨ صفر ٦٠٠ هـ . انظر معجم المؤلفين ١٠٦/٨ . وقد تقدم في ١/ ٤٤٤ .

(٥) وأخرج هذا الأثر مطولاً ، ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ١٠١ - ١٠٣ مخطوط ، من طريق مروان به .

(٦) في م : « قاسم » . وانظر ترجمته في تاريخ دمشق ١٤/ ٤٢١ مخطوط .

(١) ابن هداد، وكان قد زوّج (٢) ابنه بابنة أخيه (٣) أريّل، مَلَكَ صَيِّدًا. قلتُ (٤): وقد كان من جُمْلَةِ أُمْلَاكِهَا سوقُ الملوِكِ بدمشق، وهو الصَّاعَةُ العَتِيقَةُ. قال: وكان قد حَلَفَ بِطَلَاقيها ثلاثًا، ثُمَّ إِنَّهُ أَرَادَ مُرَاجَعَتَهَا، فَاسْتَفْتَى يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، فَقَالَ: لَا تَحِلُّ لَكَ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَكَ. فَحَقَّقْتُ عَلَيْهِ، وَسَأَلْتُ مِنَ الْمَلِكِ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، وَذَلِكَ بِإِشَارَةِ أُمِّهَا، فَأَتَى عَلَيْهَا، ثُمَّ أَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي بِمَسْجِدِ جَبْرُونَ، مَنْ أَتَاهُ بِرَأْسِهِ فِي صِينِيَّةٍ، فَجَعَلَ الرَّأْسُ يَقُولُ: لَا تَحِلُّ لَهُ، لَا تَحِلُّ لَهُ، حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ. فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الطَّبَقَ، فَحَمَلَتْهُ عَلَى رَأْسِهَا وَأَتَتْ بِهِ أُمِّهَا، وَهُوَ يَقُولُ كَذَلِكَ، فَلَمَّا تَمَثَّلَتْ بَيْنَ يَدَيْ أُمِّهَا، خُسِفَ بِهَا إِلَى قَدَمَيْهَا، ثُمَّ إِلَى حَقْوَيْهَا، وَجَعَلَتْ أُمُّهَا تُؤَلِّلُ، وَالْجَوَارِي يَضْرُخْنَ وَيَلْطِمْنَ وَجُوهَهُنَّ، ثُمَّ خُسِفَ بِهَا إِلَى مَنْكَبَيْهَا، فَأَمَرَتْ أُمُّهَا السَّيَافَ أَنْ يَضْرِبَ عُقْبَهَا لِتَسَلَّى بِرَأْسِهَا، ففَعَلَ، فَلَقِظَتِ الْأَرْضُ جُثَّتَهَا عِنْدَ ذَلِكَ، وَوَقَعُوا فِي الدُّلِّ وَالْفَنَاءِ، وَلَمْ يَزَلْ دَمُ يَحْيَى يَقُورُ، حَتَّى قَدِمَ بُحْتُ نَصَرَ فَقَتَلَ عَلَيْهِ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ أَلْفًا. قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: وَهِيَ دَمٌ كُلُّ نَبِيٍّ. وَلَمْ يَزَلْ يَقُورُ، حَتَّى وَقَفَ عِنْدَهُ أَرْمِيَا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَيُّهَا الدَّمُ، أَفَنِيَّتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَاسْكُنْ بِأَذْنِ اللَّهِ. فَسَكَنَ، فَرَفَعَ السَّيْفُ، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ مِنَ أَهْلِ دِمَشْقَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَتَبِعَهُمْ إِلَيْهَا، فَقَتَلَ خَلْقًا كَثِيرًا لَا يُحْصَوْنَ كَثَرَةً، وَسَبَا مِنْهُمْ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهُمْ (١).

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في م: «زوجه».

(٣) بعده في تاريخ دمشق: «تحت أخيه».

(٤) سقط من: م.

قِصَّةُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،

عليه من الله أفضل الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة «آل عمران» ، التي أنزل صدورها ، وهو ثلاث وثمانون آية منها ، في الرد على النصارى ، عليهم لعائن الله ، الذين زعموا أن لله ولدا ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ، وكان قد قديم وقد نجران منهم على رسول الله ﷺ ، فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل ، من التثليث في الأقانيم ، ويدعون - يزعمهم - أن الله ثالث ثلاثة ؛ وهم الذات المقدسة ، وعيسى ، ومريم ، على اختلاف فرقهم ، فأنزل الله ، عز وجل ، صدر هذه السورة ، بين فيها أن عيسى عبد من عباد الله ، خلقه وصوره في الرحم ، كما صور غيره من المخلوقات ، وأنه خلقه من غير أب ، " كما خلق آدم من غير أب ، ولا أم " وقال له : كن . فكان ، وبنى تعالى أضل ميلاد أمه مريم ، وكيف كان من أمرها ، وكيف حملت بولدها عيسى ، وكذلك بسط ذلك في سورة «مريم» ، كما سنكلم على ذلك كله يعون الله وحسن توفيقه وهدايته ، فقال تعالى وهو أصدق القائلين ^(١) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(٣) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) التفسير ٢/ ٢٦ - ٢٩ .

الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَكِنَّ
الَّذِي كَلَّأْنِي وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ
عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتَ هُوَ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران : ٣٣ - ٣٧] .

يذكرُ تعالى أَنَّهُ اصطفى آدمَ، عليه السَّلامُ، والخُلصَ من ذُرِّيَّتِهِ، المُتَّبِعِينَ
[٢٤٦/١ ظ] شَرْعَهُ، المُلازمِينَ طَاعَتَهُ، ثم خَصَّصَ فقال: ﴿وَأَلَّابْرَهِيمَ﴾ ،
فَدَخَلَ فِيهِم بنو إِسْمَاعِيلَ وبنو إِسْحَاقَ . ثم ذَكَرَ فَضْلَ هَذَا الْبَيْتِ الطَّاهِرِ
الطَّيِّبِ ، وهم آلُ عِمْرَانَ ، والمُرَادُ بِعِمْرَانَ هَذَا ، والدُّ مَرْيَمَ عليهما السَّلامُ ، قال
مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(١) : وهو عِمْرَانُ بْنُ بَاشَمَ ^(٢) بِنِ أُمُوْنَ بِنِ مَنْشَا ^(٣) بِنِ حَزْقِيَا بِنِ
أَحْزِيقَ ^(٤) بِنِ مَوْثَمَ ^(٥) بِنِ عَزَارِيَا ^(٦) بِنِ أَمْصِيَا بِنِ يَاوُشَ بِنِ أَحْزِيهَوَ ^(٧) بِنِ يَارَمَ ^(٨)
ابنِ يَهْفَاشَاطَ ^(٩) بِنِ أَيشَ ^(١٠) بِنِ أَبَانَ ^(١١) بِنِ رَجَبَاعَمَ ^(١٢) بِنِ سَلِيمَانَ بِنِ دَاوُدَ .

(١) تاريخ الطبرى ٥٨٥/١ ، ٥٨٦ .

(٢) فى تاريخ الطبرى : « ياشهم » .

(٣) فى ح ، م ، ص : « ميشا » .

(٤) فى الأصل ، م ، ح : « احريق » .

(٥) فى ح : « مرثم » . وفى ص : « موشم » . وفى تاريخ الطبرى : « يوثام » .

(٦) فى م ، ص : « عزازيا » . وفى تاريخ الطبرى : « عزريا » .

(٧) فى الأصل ، ح ، م : « أحريهيو » .

(٨) فى ح ، م : « يازم » . وفى ص : « بازم » .

(٩) فى تاريخ الطبرى : « يهشافاظ » .

(١٠) فى تاريخ الطبرى : « أسا » .

(١١) فى م : « أيان » . وفى تاريخ الطبرى : « أيا » .

(١٢) فى الأصل ، ح ، ص : « رخييم » . وفى تاريخ الطبرى : « رجبعم » .

وقال أبو القاسم ابنُ عساكر^(١) : مريمُ بنتُ عمرانَ بنِ ماثانَ^(٢) بنِ اليعازر^(٣) ابنِ اليود بنِ أجبَن^(٤) بنِ صادق بن عيازور^(٥) بنِ الياقيم بنِ أيود بنِ زربائيل بنِ شالتان^(٦) بنِ يوحنا بنِ برستيا^(٧) بنِ آمون بنِ ميسا بنِ حزقيل^(٨) بنِ أجاز بنِ يوثام^(٩) بنِ عزريا بنِ بورام بنِ بوسافاط^(١٠) بنِ أسا^(١١) بنِ أيا^(١٢) بنِ رحيعم^(١٣) ابنِ سليمان بنِ داودَ ، عليه السلامُ . وفيه مُخالفةٌ لما ذكره محمدُ بنُ إسحاقَ ، ولا خِلافَ أنَّها من سُلالةِ داودَ ، عليه السلامُ ، وكان أبوها عمرانُ صاحبَ صلاةِ بني إسرائيلَ في زمانه ، وكانت أمُّها ، وهى حَنَّةُ بنتُ فاقودَ بنِ قبيلٍ ، من العابداتِ ، وكان زكريَّا نبيُّ ذلك الزَّمانِ ، زوجَ أُختِ مريمَ أَشياغَ ، فى قولِ الجمهورِ ، وقيل : زوج خالتها أَشياغَ . فاللهُ أعلمُ . وقد ذَكَرَ محمدُ بنُ إسحاقَ وغيره^(١٤) ، أنَّ أُمَّ مريمَ كانت لا تحبُّ ، فَراثَ يوماً طائراً يُرَقُّ^(١٥) فَرَحاً له ،

(١) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٤٣.

(٢) فى النسخ : « ماثان » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٣) فى م ، ص : « العازر » . والمثبت كما فى مختصر تاريخ دمشق ٦٩/٢٦ .

(٤) فى الأصل : « أخيز » . وفى ح : « أخير » . وفى م ، ص : « أختر » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٥) فى الأصل : « عيازور » . وفى ح : « عيازرو » . وفى م : « عيازوز » . وفى ص : « عيازور » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٦) فى الأصل : « شاليل » . وفى ح : « شالتال » . وفى م ، ص : « شالتال » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٧) فى الأصل ، ح : « برشيا » . وفى م : « برشا » . وفى ص : « يرشا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٨) فى الأصل ، ص : « حزقيا » . وفى ح ، م : « حزقا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٩) فى النسخ : « موثام » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(١٠) فى الأصل ، م ، ص : « يوشافاط » .

(١١) فى ح : « أشا » . وفى م ، ص : « أيشا » .

(١٢) فى الأصل : « أينا » . وفى ح ، م : « أيا » . وفى ص : « أسبا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(١٣) فى م : « رحيعام » .

(١٤) انظر تفسير الطبرى ٢٣٥/٣ .

(١٥) يزق : أى يطعمه فى فيه .

فَاسْتَهَتْ الْوَلَدَ فَتَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ حَمَلَتْ لِتَجْعَلَ وَلَدَهَا مُحَرَّرًا؛ أَى حَبِيسًا فِي خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قالوا: فَحَاضَتْ مِنْ فَوْرِهَا، فَلَمَّا طَهَّرَتْ وَاقَعَهَا بِغَلْهَا، فَحَمَلَتْ بِمَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلَامُ ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ﴾ وَقُرِئَ بِضَمِّ النَّاءِ ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ أَى؛ فِي خِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانُوا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ يَنْذِرُونَ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ خُدَّامًا مِنْ أَوْلَادِهِمْ. وَقَوْلُهَا: ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ اسْتِدْلٌ بِهِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْمَوْلُودِ يَوْمَ يُوَلَّدُ، وَكَمَا ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» ^(١) عَنْ أَنَسٍ، فِي ذَهَابِهِ بِأَخِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَنَّاكَ أَخَاهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ. وَجَاءَ فِي حَدِيثِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ مَرْفُوعًا: «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذَبِّحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُسَمَّى وَيُحَلَّقُ رَأْسُهُ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَهْلُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ ^(٢)، وَجَاءَ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: وَ«يُدْمَى» بَدَلُ: «يُسَمَّى». وَصَحَّحَهُ بَعْضُهُمْ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَوْلُهَا: ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذَرَرْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ قَدْ اسْتَجِيبَ لَهَا فِي هَذَا، كَمَا تُقْبَلُ مِنْهَا نَذَرُهَا؛ فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ^(٣): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ [٢٤٧/١]: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا الشَّيْطَانُ يَمْسُهُ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ وَإِنِّي أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذَرَرْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ

(١) البخارى (٥٤٧٠). مسلم (٢١٤٤).

(٢) فى المسند ١٢/٥، ١٧، ٢٢. أبى داود (٢٨٣٧، ٢٨٣٨). الترمذى (١٥٢٢). النسائى

(٤٢٣١). ابن ماجه (٣١٦٥). (صحيح أبى داود ٢٤٦٢، ٢٤٦٣).

(٣) فى المسند ٢/٢٧٤. (إسناده صحيح).

الزُّزَاقِ^(١) . ورواه ابنُ جرير^(٢) عن أحمدَ بنِ الفَرَجِ ،^(٣) عن بَقِيَّةَ^(٤) ، عن الزُّبَيْدِيِّ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ،^(٥) بَنَحْوِهِ .

وقال أحمدُ^(٦) أَيضًا : حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ^(٧) ، عن عَجْلَانَ مَوْلَى الْمُشَمِّعِلِّ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ،^(٨) قال : « كُلُّ مَوْلُودٍ مِنْ بَنَى آدَمَ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ بِأُصْبَعِهِ ، إِلَّا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ، وَابْنَهَا عِيسَى » .

تَفَرَّدَ بِهِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٩) ، عن أبي الطَّاهِرِ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن عَمْرِو^(١٠) بْنِ الْحَارِثِ ، عن أبي يُونُسَ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، عن النَّبِيِّ ﷺ ، بَنَحْوِهِ .

وقال أحمدُ^(١١) : حَدَّثَنَا هَيْثَمُ^(١٢) ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ^(١٣) مَيْسَرَةَ ، عن العَلَاءِ ، عن أبيهِ ، عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، قال : « كُلُّ إِنْسَانٍ تَلِدُهُ أُمُّهُ يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ بِحِضْنَيْهِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ وَابْنِهَا ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الصَّبِيِّ حِينَ يَسْقُطُ كَيْفَ يَصْرُخُ ؟ » . قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قال : « فَذَلِكَ حِينَ يَلْكُزُهُ الشَّيْطَانُ بِحِضْنَيْهِ » . وَهَذَا عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وَرَوَاهُ قَيْسٌ^(١٤) ، عن الْأَعْمَشِ ، عن أبي صَالِحٍ ، عن أبي هُرَيْرَةَ ، قال : قال

(١) البخارى (٤٥٤٨) . مسلم (٢٣٦٦) .

(٢) فى تفسيره ٣ / ٢٤٠ .

(٣ - ٣) سقط من : ح . وبعده فى ح ، م : « عبد الله بن » .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(٥) المسند ٢ / ٢٨٨ . (إسناده صحيح) .

(٦) فى م : « ذؤيب » .

(٧) مسلم (٢٣٦٦) .

(٨) فى م : « عمر » .

(٩) المسند ٢ / ٣٦٨ .

(١٠) فى الأصل ، ح ، م : « هشيم » . وفى ص : « هشام » . وانظر تهذيب الكمال ٧ / ٧٤ .

(١١) فى الأصل : « عن » .

(١٢) تفسير الطبرى ٣ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيْطَانُ عَصْرَةً أَوْ عَصْرَتَيْنِ ؛ إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَمَرْيَمَ . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَلَئِنْ أُعِيدُهَا بِلَيْكِ وَدُرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ . وكذا رواه محمد بن إسحاق ^(١) ، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، بأصل الحديث .

وقال الإمام أحمد ^(٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ ، هُوَ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٣) الْحَزَامِيُّ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « كُلُّ بَنَى آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِهِ حِينَ يُولَدُ ، إِلَّا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ » . وهذا على شرط « الصَّحِيحَيْنِ » ، ولم يُخْرِجَاهُ مِنْ هَذَا الرَّجْهِ . وقوله : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَّرِينَ ^(٤) أَنَّ أُمَّهَا حِينَ وَضَعَتْهَا ، لَفَّتَهَا فِي خُرُوقِهَا ، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهَا إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَسَلَّمَتْهَا إِلَى الْعُبَادِ الَّذِينَ هُمْ مُقِيمُونَ بِهِ ، وَكَانَتْ ابْنَةً إِمَامِهِمْ وَصَاحِبِ صَلَاتِهِمْ ، فَتَنَازَعُوا فِيهَا . وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا إِذَا سَلَّمَتْهَا إِلَيْهِمْ بَعْدَ رَضَاعِهَا وَكَفَالَةِ مِثْلِهَا فِي صِغَرِهَا ، ثُمَّ لَمَّا دَفَعَتْهَا إِلَيْهِمْ ، تَنَازَعُوا [٢٤٧/١ ظ] فِي أَيِّهِمْ يَكْفُلُهَا ، وَكَانَ زَكَرِيَّا نَبِيَّهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، قَدْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَبِدَّ بِهَا دُونَهُمْ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ زَوْجَتَهُ أُخْتُهَا أَوْ خَالَتُهَا ، عَلَى الْقَوْلَيْنِ ، فَشَاحُوهُ فِي ذَلِكَ ، وَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعَ مَعَهُمْ ،

(١) تفسير الطبري ٢٣٩/٣ .

(٢) المسند ٥٢٣/٢ .

(٣) في ح ، م : « اللَّهُ » . وانظر تهذيب الكمال ٣٨٧/٢٨ .

(٤) تفسير الطبري ٢٤٣/٣ . تفسير القرطبي ٦٧/٤ . الدر المنثور ١٩/٢ .

(٥ - ٥) سقط من : ح .

فَسَاعَدْتُهُ الْمَقَادِيرُ، فَخَرَجَتْ قُرْعَتُهُ غَالِيَةً لَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَالَةَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أَي: بِسَبَبِ غَلِيهِ لَهُمْ فِي الْقُرْعَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمْتَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قَالُوا: وَذَلِكَ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ أَلْقَى قَلَمَهُ مَعْرُوفًا بِهِ، ثُمَّ حَمَلُوهَا وَوَضَعُوهَا فِي مَوْضِعٍ، وَأَمَرُوا غُلَامًا لَمْ يَتَلَفِ الْحِثَّ، فَأَخْرَجَ وَاحِدًا مِنْهَا، فَظَهَرَ قَلَمُ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَطَلَبُوا أَنْ يَقْتَرِعُوا مَرَّةً ثَانِيَةً، وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَأَن يُلْقُوا أَقْلَامَهُمْ فِي النَّهْرِ، فَأَيُّهُمْ جَرَى قَلَمُهُ^(١) عَلَى خِلَافِ جِرْيَةِ الْمَاءِ فَهُوَ الْغَالِبُ، فَفَعَلُوا، فَكَانَ قَلَمُ زَكَرِيَّا هُوَ الَّذِي جَرَى عَلَى خِلَافِ جِرْيَةِ الْمَاءِ، وَسَارَتْ أَقْلَامُهُمْ مَعَ الْمَاءِ، ثُمَّ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَقْتَرِعُوا ثَالِثَةً فَأَيُّهُمْ جَرَى قَلَمُهُ^(٢) مَعَ الْمَاءِ^(٣)، وَتَكُونُ بَقِيَّةُ الْأَقْلَامِ قَدْ انْعَكَسَ سَيْرُهَا صُعْدًا؛ فَهُوَ الْغَالِبُ، فَفَعَلُوا، فَكَانَ زَكَرِيَّا هُوَ الْغَالِبُ لَهُمْ، فَكَفَّلَهَا إِذْ كَانَ أَحَقَّ بِهَا شَرْعًا وَقَدَرًا؛ لَوَجُوهُ عَدِيدَةٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ^(٤): اتَّخَذَ لَهَا زَكَرِيَّا مَكَانًا شَرِيفًا مِنَ الْمَسْجِدِ، لَا يَدْخُلُهُ سِوَاهَا^(٥)، فَكَانَتْ تَعْبُدُ اللَّهَ فِيهِ، وَتَقُومُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهَا مِنْ سِدَانَةِ الْبَيْتِ إِذَا جَاءَتْ نَوْبُهَا، وَتَقُومُ بِالْعِبَادَةِ لَيْلَهَا وَنَهَارَهَا، حَتَّى صَارَتْ يُضْرَبُ الْمَثَلُ بِعِبَادَتِهَا فِي بَنِي

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سقط من: ح.

(٣) تفسير القرطبي ٤ / ٧١. الدر المنثور ٢ / ١٨.

(٤) في م: «سواه».

إِسْرَائِيلَ ، وَاشْتَهَرَتْ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ الْكَرِيمَةِ ، وَالصُّفَاتِ الشَّرِيفَةِ ،
 حَتَّى إِنَّهُ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ زَكْرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مَوْضِعَ عِبَادَتِهَا ، يَجِدُ عِنْدَهَا رِزْقًا
 غَرِيبًا فِي غَيْرِ أَوَانِهِ ، فَكَانَ يَجِدُ عِنْدَهَا فَاكِهَةً الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ ، وَفَاكِهَةً
 الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ ، فَيَسْأَلُهَا : ﴿ أَأَنْتِ لَئِذَا هَذَا ﴾ فَتَقُولُ : ﴿ هُوَ مِنْ عِنْدِ
 اللَّهِ ﴾ أَيْ ؛ رِزْقُ رَزَقِيهِ اللَّهُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . فَعِنْدَ
 ذَلِكَ وَهُنَالِكَ ، طَمِعَ زَكْرِيَّا فِي وُجُودِ وَلَدٍ مِنْ صُلْبِهِ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَسَنَّ وَكَبَّرَ .
 ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ، قَالَ
 بَعْضُهُمْ ^(١) : قَالَ : يَا مَنْ يَرْزُقُ مَرْيَمَ الثَّمَرَ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ ، هَبْ لِي وَلَدًا ، وَإِنْ كَانَ
 فِي غَيْرِ أَوَانِهِ . فَكَانَ مِنْ خَبْرِهِ وَقَضِيَّتِهِ ، مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ فِي قِصَّتِهِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ [٢٤٨/١] إِنَّ اللَّهَ
 اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ
 وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٧﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ
 لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَتَمْتُمْ أَنْتُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ
 ﴿٤٨﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى
 ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
 وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ
 كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾ وَيَعْلَمُ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥٢﴾ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ

(١) تفسير الطبري ٢/٢٤٨ ، القرطبي ٤/٧١ . الدر المنثور ٢/٢٠ ، ٢١ . وعزاه لإسحاق بن بشر .

(٢) التفسير ٢/٣٢ - ٣٦ .

جَنَّتْكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجَنَّتُمْ بِنَايَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ [آل عمران: ٤٢ - ٥١] .

يذكرُ تعالى أنَّ الملائكةَ بَشَّرَتْ مَرْيَمَ باصطفاءِ اللهِ لها ، من بين سائرِ نساءِ عالمي زَمَانِها ، بأنِ اختارَها لإِيجادِ وَلَدٍ مِنْها ، من غيرِ أبٍ ، وبُشِّرَتْ بأنِ يكونَ نبيًّا شريفًا ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ ﴾ أَي ؛ في صِغَرِهِ ، يَدْعُوهم إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لا شريكَ له ، وكذلك في حالِ كُهُولَتِهِ ، فَذَلَّ على أَنَّهُ يَتَلَعَّ الكُهُولَةَ ، وَيَدْعُو إلى اللَّهِ فيها ، وَأُمِرَتْ بِكَثْرَةِ العِبَادَةِ والقُنُوتِ والسُّجُودِ والرُّكُوعِ ؛ لَتَكُونَ أَهْلًا لهذه الكرامةِ ، ولتَقُومَ بِشُكْرِ هذه النِّعْمَةِ ، فيقالُ : إِنَّها كانت تَقُومُ في الصَّلَاةِ حَتَّى تَفْطَرَتْ قَدَمَاهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عنها وَرَجَمَها ، وَرَجَمَ أُمُّها وَأَباها . فَقَوْلُ الملائكةِ : ﴿ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ ﴾ أَي ؛ اختارَكَ واجْتَبَاكِ . ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ أَي ؛ من الأخلاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَأَعْطَاكِ الصِّفَاتِ الجميلةَ .

﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ المرادُ عالمي زَمَانِها ، كَقَوْلِهِ لموسى : ﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكِ عَلَى النَّاسِ ﴾ ، وَكَقَوْلِهِ عن بني إِسْرَائِيلَ : ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] . ومعلومٌ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ، عليه السَّلَامُ ، أَفْضَلُ مِنْ موسى ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ، أَفْضَلُ

وقد رَوَى الإمام أحمدُ، والبخاري، ومُسْلِم، والتِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائِيُّ^(٤)،

(٢) سقط من : ص .

(٣) في الأصل: «جرير». وانظر كلام ابن حزم في الفصل ١٧/٥ - ١٩.

(٤) المسند ٨٤/١، ١١٦، ١٣٢. البخاري (٣٤٣٢، ٣٨١٥). مسلم (٢٤٣٠). الترمذي (٣٨٧٧). النسائي في الكبرى (٨٣٥٤).

من طُرُقٍ عديدة، عن هشام بن عُرْوَةَ^(١)، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».

وقال الإمام أحمد^(٢): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِأَرْبَعٍ؛ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ». وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زَنْجُوهِ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ، وَصَحَّحَهُ^(٣).

وَرَوَاهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ^(٤)، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ^(٥)، وَابْنُ عَسَاكِرَ^(٦)، مِنْ طَرِيقِ تَمِيمِ بْنِ زِيَادٍ^(٧)، كِلَاهُمَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ».

وقال الإمام أحمد^(٨): حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «خَيْرُ نِسَاءِ

(١) في الأصل: «عن».

(٢) المسند ١٣٥/٣.

(٣) الترمذی (٣٨٧٨). (صحيح الترمذی ٣٠٥٣).

(٤) في الأصل: «سردق به». والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٣/٢ وعزاه لابن مردويه.

(٥) سقط من: ص.

(٦) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٨.

(٧) في الأصل: «زيادة».

(٨) المسند ٢٧٥/٢. (إسناده صحيح).

رَكِبْنَ الْإِبِلَ، صَالِحِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَخْتَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَزْعَاهُ لِرِزْقٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ». قال أبو هريرة: ولم تزكب مريمَ بغيرًا قط. وقد رواه مُسْلِمٌ في «صحيحه»^(١)، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به^(٢).

وقال أحمد^(٣): حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ الْحُبَابِ، حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَلِيٍّ، سَمِعْتُ أُمِّي يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ [٢٤٩/١] الْإِبِلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أَخْتَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَزْأَفُهُ بِرِزْقٍ عَلَى قَلَّةٍ ذَاتِ يَدٍ» قال أبو هريرة: وَقَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ «ابْنَةَ عِمْرَانَ» لَمْ تَزَكِبِ الْإِبِلَ. تَفَرَّدَ بِهِ، وَهُوَ عَلَى شَرْطِ «الصَّحِيحِ»^(٥). ولهذا الحديث طرقٌ أُخَرُ^(٦) عن أبي هريرة.

وقال أبو يعلى الموصلي^(٧): حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ أَبِي الْفُرَاتِ، عَنْ عِلْبَاءَ بْنِ أَحْمَرَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:

(١) مسلم (٢٥٢٧).

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) روى أحمد في مسنده الجزء الموقوف من الحديث، وسقط المرفوع من المسند؛ فقد قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٧١- بعدما أورد الحديث مرفوعه وموقوفه -: رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح. كما عزاه الحافظ ابن حجر إلى أحمد في الفتح ٦/ ٤٧٤. وقال محقق المسند المعتبر ٧/ ٤٢٤: وهو مذكور على التمام في جامع المسانيد لابن كثير الورقة ١٥٥/ب.

(٤ - ٤) في مسند أحمد: «ابنة الخطاب». وانظر: مجمع الزوائد ٤/ ٢٧١، الفتح ٦/ ٤٧٤.

(٥) في ص: «الصحيحين».

(٦) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة: المسند ٢/ ٥٠٢. وابن أبي عاصم في السنة (١٥٣٣). ومن طريق الأعرج عن أبي هريرة: البخاري (٥٣٦٥). مسلم (٢٥٢٧). المسند ٢/ ٢٩٣، ٤٤٩. ومن طريق ابن طاووس عن أبيه: البخاري (٥٣٦٥). مسلم (٢٥٢٧). ومن طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: ابن أبي عاصم في السنة (١٥٣١، ١٥٣٢).

(٧) مسند أبي يعلى (٢٧٢٢). (إسناده صحيح).

خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَ خُطُوطٍ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونَّ مَا هَذَا؟»
 قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ:
 خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْثَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ
 مُزَاجِمٍ امْرَأَةٌ فَوْعَوْنٌ». وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ ^(١) مِنْ طُرُقٍ عَنْ دَاوُدَ بْنِ ^(٢) أَبِي
 الْفَرَاتِ ^(٣).

وَقَدْ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ ^(٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي دَاوُدَ سَلِيمَانَ بْنِ
 الْأَشْعَثِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَاتِمٍ الْعَسْكَرِيُّ، حَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مِهْرَانَ بْنِ حَمْدَانَ،
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ دِينَارٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ
 اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «حَسْبُكَ مِنْهُنَّ أَرْبَعُ سَيِّدَاتٍ، نِسَاءُ الْعَالَمِينَ؛
 فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ، وَمَرْثَمُ بِنْتُ
 عِمْرَانَ».

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ ^(٥): حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ بَقِيَّةٍ ^(٦)، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ عَبْدِ
 اللَّهِ الْوَاسِطِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ ^(٧) أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ
 لِفَاطِمَةَ: أَرَأَيْتِ حِينَ أَكْبَيْتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَكَيتِ، ثُمَّ ضَحِكْتِ؟

(١) النسائي في الكبرى (٨٣٦٤).

(٢) سقط من: م.

(٣) في النسخ: «هند». وما أثبتناه هو الصواب. انظر مصدر التخريج. وتهذيب الكمال ٨/٣٧٧.
 وتحفة الأشراف ٥/١٥٢.

(٤) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٨.

(٥) ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٩.

(٦) في الأصل، ح، م: «منه». وانظر تهذيب الكمال ٣١/١١٥.

(٧) في الأصل: «على بن».

قالت : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْ وَجَعِهِ هَذَا فَبَكَيْتُ ، ثُمَّ أُكْبِيتُ عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَسْرَعُ أَهْلِهِ لِحُوقًا بِهِ ، وَأَنَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ ، فَضَحِكْتُ . وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي « الصَّحِيحِ » ^(١) . وَهَذَا إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ ، وَفِيهِ أَنَّهُمَا ^(٢) أَفْضَلُ الْأَرْبَعِ الْمَذْكُورَاتِ .

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد ^(٣) ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ يَزِيدَ ، هُوَ ابْنُ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ ^(٤) ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ » . إِسْنَادٌ حَسَنٌ ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ ^(٥) ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ ، وَقَدْ رَوَى نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(٦) ، وَلَكِنْ فِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ .

والمقصود أنَّ هذا يدلُّ على أنَّ مَرْيَمَ وَفَاطِمَةَ أَفْضَلُ هَذِهِ الْأَرْبَعِ ، ثُمَّ يَحْتَمِلُ الْإِسْتِثْنَاءُ [٢٤٩/١] أَنْ تَكُونَ مَرْيَمُ أَفْضَلَ مِنْ فَاطِمَةَ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى

(١) صحيح مسلم (٢٤٥٠) من طريق عروة بن الزبير ومسروق ، كلاهما عن عائشة .

(٢) في الأصل ، ص : « أنها » .

(٣) في المسند ٨٠ / ٣ .

(٤) في الأصل ، ح ، م : « نعيم » . وفي ص : « يعمر » . وانظر تهذيب الكمال ٤٥٧ / ١٧ .

(٥) أي إسناد أحمد ، فقد أخرج الترمذی حديثاً في مناقب الحسن والحسين رقم (٣٧٦٨) من طريق جرير بن عبد الله ، عن يزيد بن أبي زياد به ، وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح . وقال صاحب تحفة الأحوذى ٣٣٩ / ٤ - عقب قول الترمذی : هذا حديث حسن صحيح - : وأخرجه أحمد .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠١ / ٩ : قلت : رواه الترمذی غير ذكر فاطمة ومريم . ثم قال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠١ / ٩ من حديث علي بن أبي طالب ، وقال : رواه الطبرانی ، وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف .

السَّوَاءِ فِي الْفَضِيلَةِ؛ لَكُنْ وَرَدَ حَدِيثٌ، إِنْ صَحَّ عَيَّنَ الْإِحْتِمَالَ الْأَوَّلَ، فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ عَسَاكِرَ^(١) : أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ^(٢) بْنُ الْفَرَّاءِ، وَأَبُو غَالِبٍ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ابْنُ^(٣) الْبَتَّاءِ، قَالُوا: أَنْبَأَنَا أَبُو^(٤) جَعْفَرٍ بْنُ الْمُسْلِمَةِ، أَنْبَأَنَا أَبُو طَاهِرٍ الْمُخَلَّصُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سَلِيمَانَ، حَدَّثَنَا الرَّيِّزِيُّ، هُوَ ابْنُ بَكَّارٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَسَنِ^(٥)، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، ثُمَّ فَاطِمَةُ، ثُمَّ خَدِيجَةُ، ثُمَّ أَسِيَّةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ». فَإِنْ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ مُحْفُوظًا بِ«ثُمَّ» الَّتِي لِلتَّرْتِيبِ، فَهُوَ مُبَيِّنٌ لِأَحَدِ الْإِحْتِمَالَيْنِ اللَّذَيْنِ دَلَّ عَلَيْهِمَا الْإِسْتِنَاءُ، وَيُقَدِّمُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي وَرَدَتْ بِوَائِ الْعَطْفِ، الَّتِي لَا تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَلَا تَنْفِيهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ^(٦)، عَنْ دَاوُدَ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الدَّرَاوَزْدِيُّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ كُرَيْبٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، فَذَكَرَهُ بِوَائِ الْعَطْفِ لَا بِ«ثُمَّ» التَّرْتِيبِيَّةِ، فَخَالَفَهُ إِسْنَادًا وَمَثْنًا. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ مَرْذَوَيْهِ، مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ

(١) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٧٤.

(٢) فِي م: «الحسن».

(٣) فِي الْأَصْل: «أَنَا».

(٤) فِي الْأَصْل: «ابن».

(٥) فِي الْأَصْل: «الحسين».

(٦) وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ، الْجُزْءُ الْمَطْبُوعُ مِنْ تَرَاجِمِ النِّسَاءِ ص ٣٧٤.

يَكْمُلُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ثَلَاثٌ ؛ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » .

وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة ، إلا أبا داود^(١) ، من طريق ، عن شُعْبَةَ ، عن عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ ، عن مُرَّةَ الهمداني ، عن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » . فإنه حديث صحيح كما ترى ، اتفق الشيخان على إخراجِهِ ، ولفظه يقتضي حُضْرَ الْكَمَالِ فِي النِّسَاءِ فِي مَرْيَمَ وَآسِيَةَ ، ولعلَّ المراد بذلك ، في زمانِهِمَا ، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَفَلَتْ نَبِيًّا فِي حَالِ صِغَرِهِ ، فَآسِيَةُ كَفَلَتْ مُوسَى الْكَلِيمَ ، وَمَرْيَمُ كَفَلَتْ وَلَدَهَا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ ، فَلَا يَنْفِي كَمَالَ غَيْرِهِمَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، كَخَدِيجَةَ وَفَاطِمَةَ ؛ فَخَدِيجَةُ خَدَمَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَبْلَ الْبُعْثَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبَعْدَهَا أَزِيدَ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ، وَكَانَتْ [٢٥٠/١] لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ بِنَفْسِهَا وَمَالِهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا ، وَأَمَّا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّهَا خُصِّصَتْ بِمَزِيدِ فَضِيلَةٍ عَلَى أَخَوَاتِهَا ؛ لِأَنَّهَا أُصِيبَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَبَقِيَّةُ أَخَوَاتِهَا مِتْنَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَأَمَّا عَائِشَةُ ؛ فَإِنَّهَا كَانَتْ أَحَبَّ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكَرٍّ غَيْرَهَا ، وَلَا يُعْرَفُ فِي سَائِرِ النِّسَاءِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، بَلْ وَلَا فِي غَيْرِهَا ، أَغْلَمَ مِنْهَا وَلَا أَفْهَمَ ، وَقَدْ غَارَ اللَّهُ لَهَا حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا ، فَأَنْزَلَ بَرَاءَتَهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ ، وَقَدْ

(١) البخارى (٣٤١١ ، ٣٤٣٣ ، ٣٧٦٩ ، ٥٤١٨) . مسلم (٢٤٣١) . الترمذى (١٨٣٤) . النسائى فى الكبرى (٨٣٥٣ ، ٨٣٥٦) . ابن ماجه (٣٢٨٠) . المسند ٤/٣٩٤ ، ٤٠٩ .

عُمِّرَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَرِيبًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً ، تُبْلَغُ عَنْهُ الْقُرْآنَ وَالشُّنَّةَ ، وَتُقْتَى الْمُسْلِمِينَ ، وَتُضْلِحُ بَيْنَ الْمُخْتَلِفِينَ ، وَهِيَ أَشْرَفُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، حَتَّى خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُمُّ الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ ، فِي قَوْلِ طَائِفَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ ، وَاللَّاحِقِينَ ، وَالْأَحْسَنُ الْوَقْفُ فِيهِمَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ قَوْلَهُ ﷺ : « وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَذْكُورَاتِ وَغَيْرِهِنَّ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا عدا الْمَذْكُورَاتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

والمقصودُ ههنا ، ذِكْرُ مَا يَتَعَلَّقُ بِمَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَإِنَّ اللَّهَ طَهَّرَهَا وَاضْطَفَّاهَا عَلَى نِسَاءِ^(١) عَالَمِي زَمَانِهَا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَفْضِيلُهَا عَلَى النِّسَاءِ مُطْلَقًا ، كَمَا قَدَّمْنَا . وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ^(٢) أَنَّهَا تَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ ، فِي الْجَنَّةِ ، هِيَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ . وَقَدْ ذَكَّرْنَا فِي « التَّفْسِيرِ »^(٣) عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ ، أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ ، وَاسْتَأْنَسَ بِقَوْلِهِ : ﴿ نَبِيَّتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التَّحْرِيمُ : ٥] قَالَ : فَالْيُسُوبُ آسِيَةُ ، وَمِنْ الْأَبْكَارِ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ . وَقَدْ ذَكَّرْنَاهُ فِي آخِرِ سُورَةِ « التَّحْرِيمِ »^(٤) . فَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ الطَّبْرَانِيُّ^(٥) : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاجِيَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْعَوْفِيُّ^(٦) ، حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا عُمَى الْحُسَيْنُ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ نُفَيْعٍ عَنْ سَعْدِ بْنِ

(١) سقط من : الأصل .

(٢) وهو الحديث الآتي من رواية الطبراني وغيره .

(٣) التفسير ١٩٣ / ٨ .

(٤) التفسير ٢٠٠ / ٨ .

(٥) في المعجم الكبير (٢ / ٥٤٨٥) .

(٦) في الأصل : « الصوفي » .

مُجَنَّدَةٌ^(١) هو العَوْفِيُّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِي فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وامْرَأَةً فِرْعَوْنَ، وَأُخْتَ مُوسَى».

وقال الحافظ أبو يَعْلَى^(٢): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَزْرَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الثَّوْرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «أَشْعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِي مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ وَأَسِيَّةَ بِنْتَ مُزَاحِمٍ، وَكُلْتُمُ^(٤) أُخْتَ مُوسَى» [٢٥٠/١] ط. رواه أبو جَعْفَرٍ الْعُقَيْلِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الثَّوْرِ بِهِ^(٥)، وزاد: فقلت: هَنِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. ثُمَّ قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: وليس بمحفوظ.

وقال الزُّبَيْرُ^(٦) بْنُ بَكَّارٍ^(٧): حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ يَعْلَى بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ ابْنِ أَبِي رَوَّادٍ^(٨)، قال: دخل رسول الله ﷺ، على خَدِيجَةَ وَهِيَ فِي مَرَضِهَا الَّذِي تُوفِّيَتْ فِيهِ، فَقَالَ لَهَا: «بِالْكُزْهِ مِئِّي مَا أَرَى مِنْكَ يَا خَدِيجَةُ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي الْكُزْهِ خَيْرًا كَثِيرًا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَوَّجَنِي مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ، وَكُلْتُمُ أُخْتَ مُوسَى، وَأَسِيَّةَ امْرَأَةً فِرْعَوْنَ؟» قالت:

(١) في الأصل: «حِبَارَةٌ».

(٢) أخرجه ابن عساكر من طريق أبي يعلى به، في تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٤. والطبراني في الكبير (٨٠٠٦) من طريق عبد النور بن عبد الله به. وفيه عبد النور بن عبد الله، وهو كذاب. انظر المغني في الضعفاء ١/ ٥٨٠. والضعفاء والمتروكين ٢/ ١٥٥. وضعفه ابن كثير في التفسير ٨/ ١٩٣.

(٣) في ح، م: «ابن».

(٤) في الضعفاء الكبير ٤/ ٤٥٩: «كلثوم» بدل «كلثم».

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) في الأصل: «اليزيد».

(٧) ومن طريقه أخرجه ابن عساكر، في تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٤، ٣٨٥.

(٨) في م: «داود».

وقد فعلَ اللهُ بِكَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ؟ قال : « نَعَمْ » . قالت : بالرفاءِ والبتين .
ورَوَى ابنُ عساکر^(١) ، من حديثِ محمدِ بنِ زكريّا الغلابي^(٢) ، حَدَّثَنَا
العباسُ بنُ بَكَّارٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ الْهُذَلِيُّ^(٣) ، عن عِكْرَمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ
رسولَ اللهِ ﷺ ، دَخَلَ على خَدِيجَةَ ، وهى فى المَوْتِ ، فقال : « يا خَدِيجَةُ ،
إِذَا لَقِيتِ ضَرَائِرَكَ فَأَقْرِئِيهِنَّ مِنِّى السَّلَامَ » . قالت : يا رسولَ اللهِ ، وهل تَزَوَّجْتَ
قَبْلِي ؟ قال : « لَا ، وَلَكِنَّ اللهَ زَوَّجَنِي مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، وَآسِيَةَ بِنْتِ مُزَاجِمٍ ،
وَكَلْتَمَ أُخْتَ مُوسَى » .

ورَوَى ابنُ عساکر^(٤) ، من طريقِ سُؤَيْدِ بنِ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ صَالِحِ
ابنِ عُمَرَ ، عن الضُّحَّاكِ وَمُجَاهِدٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : نزل جِبْرِيلُ إلى رسولِ اللهِ
ﷺ ، بما أُرْسِلَ به ، وجلس يُحَدِّثُ رسولَ اللهِ ﷺ ، إِذْ مَرَّتْ خَدِيجَةُ ، فقال
جِبْرِيلُ : مَنْ هَذِهِ يا مُحَمَّدُ ؟ قال : « هَذِهِ صَدِيقَةُ أُمَّتِي » . قال جِبْرِيلُ : معي
إليها رسالةٌ مِنَ الرَّبِّ ، عَزَّ وَجَلَّ ، يُقَرِّئُهَا السَّلَامَ ، وَيُبَشِّرُهَا بِبَيْتٍ فى الْجَنَّةِ مِنْ
قَصَبٍ ، بَعِيدٍ مِنَ اللَّهَبِ ، لَا نَصَبَ فِيهِ وَلَا صَحْبَ . قالت : اللهُ السَّلَامُ ، ومنه
السَّلَامُ ، والسَّلَامُ عليكما ورحمةُ اللهِ ، وبَرَكَاتُهُ على رسولِ اللهِ ، ما ذلكَ البَيْتُ
الذى مِنْ قَصَبٍ ؟ قال : « لَوْلَوْهَ جَوْفَاءُ بَيْنَ بَيْتِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ ، وَبَيْتِ آسِيَةَ
بِنْتِ مُزَاجِمٍ ، وَهُمَا مِنْ أَزْوَاجِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وَأَضَلَّ السَّلَامُ على خَدِيجَةَ مِنْ
اللهِ ، وَبَشَّارَتِهَا بِبَيْتٍ فى الْجَنَّةِ ، مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَحْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ^(٥) ، فى

(١) المصدر السابق ص ٣٨٤ .

(٢) فى الأصل : « الغلابي » .

(٣) فى م : « الهزلى » .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨٣ .

(٥) فى ح ، م : « وصب » .

«الصَّحِيحُ»^(١). ولكنَّ هذا السياق بهذه الزيادات، غريبٌ جدًّا. وَكُلُّ هذه الأحاديث، في أسانيدِها نظَرٌ.

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي زُرْعَةَ الدَّمَشَقِيِّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَهُ عَنِ الصَّخْرَةِ؛ يَعْنِي صَخْرَةَ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ، فَقَالَ: الصَّخْرَةُ عَلَى نَخْلَةٍ، وَالتَّخْلَةُ عَلَى نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، وَتَحْتَ التَّخْلَةِ مَرْيَمُ [٢٥١/١] بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ، يُنْظِمَانِ^(٣) سُمُوطَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. ثُمَّ رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ^(٤) عِيَّاشٍ^(٥)، عَنْ ثَعْلَبَةَ ابْنِ مُثَلِّمٍ، عَنْ مَسْعُودِ بْنِ^(٦) عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، بِمِثْلِهِ. وَهَذَا مُتَكَرِّرٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، بَلْ هُوَ مَوْضُوعٌ.

ثُمَّ^(٧) قَدْ رَوَاهُ أَبُو زُرْعَةَ^(٨)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ، عَنْ مَسْعُودِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنِ عَائِذٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ كَعْبًا عَنْ صَخْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدِّسِ، فَذَكَرَهُ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٩): وَكَوْنُهُ مِنْ كَلَامِ كَعْبِ الْأَخْبَارِ،

(١) البخارى (٣٨٢٠، ٧٤٩٧)، مسلم (٢٤٣٢). كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٢) تاريخ دمشق، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٨٥، ٣٨٦.

(٣) فى ح: «يتنمطان».

(٤) فى م: «عن».

(٥) فى الأصل: «عباس».

وأخرجه ابن عساكر فى المصدر السابق ص ٣٨٥.

(٦) فى م: «عن».

(٧) سقط من: م.

(٨) المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق.

أَشْبَهُ . قُلْتُ : وَكَلَامُ كَعْبِ الْأَخْبَارِ هَذَا ، إِنَّمَا تَلَقَّاهُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، الَّتِي مِنْهَا
مَا هُوَ مَكْذُوبٌ مُفْتَعَلٌّ ، وَضَعَهُ بَعْضُ زَنَادِقَتِهِمْ أَوْ جُهَّالِهِمْ ، وَهَذَا مِنْهُ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

ذِكْرُ^(١) مِيلَادِ الْعَبْدِ الرَّسُولِ

عيسى ابن مَرْيَمَ الْبَتُولِ

قال الله تعالى^(٢) : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ۗ ۝ ١٨ ۖ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۗ ۝ ١٩ ۖ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۗ ۝ ٢٠ ۖ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ هَآئِهِ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۗ ۝ ٢١ ۖ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۗ ۝ ٢٢ ۖ فَلَجَّأَهَا الْيَمُوحُ إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ۗ ۝ ٢٣ ۖ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۗ ۝ ٢٤ ۖ وَهَزَيْتِ إِلَيْكِ يَجْنِعُ النَّخْلَةُ شَرْقَطٌ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِيًّا ۗ ۝ ٢٥ ۖ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۗ ۝ ٢٦ ۖ فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَنْمَرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ۗ ۝ ٢٧ ۖ يَتَأَخَتِ هَذُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۗ ۝ ٢٨ ۖ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ۗ ۝ ٢٩ ۖ قَالَ إِنِّي عَبْدُ

(١) سقط من : م .

(٢) التفسير ٥/٢١٣ - ٢٢٦ .

اللَّهُ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ
مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَلِلَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ [٢٥١/١ ط] فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ [مرم: ١٦ - ٣٧] .

ذَكَرَ تعالى هذه القِصَّةَ بعدَ قِصَّةِ زَكَرِيَّا، التي هي كالمَقْدِمَةِ لها والتَّوْطِئَةِ
قَبْلَهَا، كما ذَكَرَ في سورة «آلِ عِمْرَانَ»، قَرَنَ بَيْنَهُمَا في سِيَاقٍ وَاحِدٍ، وكما
قال في سورة «الأنبياء» ^(١): ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ
زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَاهَا فِيهَا مِنْ
رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿ [الأنبياء: ٨٩ - ٩١] .

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَرْيَمَ، لَمَّا جَعَلْنَاهَا أُمًّا مُحَرَّرَةً، تَخْدُمُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَأَنَّهُ
كَفَّلَهَا زَوْجُ أُخْتِهَا أَوْ خَالَيَتُهَا، نَبِيُّ ذَلِكَ الزَّمَانِ، زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ
اتَّخَذَ لَهَا مِخْرَابًا، وَهُوَ الْمَكَانُ الشَّرِيفُ مِنَ الْمَسْجِدِ، لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا
سِوَاهُ، وَأَنَّهَا لَمَّا بَلَغَتْ اجْتَهَدَتْ فِي الْعِبَادَةِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ نَظِيرُهَا

(١) التفسير ٣٦٤/٥، ٣٦٥.

فِي قُنُونِ الْعِبَادَاتِ ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْوَالِ مَا غَبَطَهَا بِهِ زَكِيًّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَأَنَّهَا خَاطَبَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِالْبِشَارَةِ لَهَا بِاصْطِفَاءِ اللَّهِ لَهَا ، وَبِأَنَّهُ سَيَهَبُ لَهَا وَلَدًا
زَكِيًّا ، يَكُونُ نَبِيًّا كَرِيمًا طَاهِرًا مُكَرَّمًا ، مُؤَيَّدًا بِالْمُعْجَزَاتِ ، فَتَعَجَّبَتْ مِنْ وُجُودِ
وَلَدٍ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ ؛ لِأَنَّهَا لَا زَوْجَ لَهَا ، وَلَا هِيَ يَمُنُّ تَنْزُوجُ ، فَأَخْبَرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِأَنَّ
اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ : كُنْ . فَيَكُونُ ؛ فَاسْتَكَاثَتْ
لِذَلِكَ وَأَنَابَتْ ، وَسَلَّمَتْ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَعَلِمَتْ أَنَّ هَذَا فِيهِ مِخْنَةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا ؛ فَإِنَّ
النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا بِسَبَبِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَى
ظَاهِرِ الْحَالِ ، مِنْ غَيْرِ تَدَبُّيرٍ وَلَا تَعْقُلٍ ، وَكَانَتْ إِثْمًا تَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ فِي زَمَنِ
حَيْضِهَا ، أَوْ لِحَاجَةِ ضَرُورِيَّةٍ لَا بُدَّ مِنْهَا ؛ مِنْ اسْتِقَاءِ مَاءٍ أَوْ تَحْصِيلِ غِذَاءٍ ، فَبَيْنَمَا
هِيَ يَوْمًا قَدْ خَرَجَتْ لِبَعْضِ شُغُورِهَا وَ ﴿ أَنْتَبَذَتْ ﴾ أَيْ ؛ انْفَرَدَتْ وَخَذَهَا
شَرِيقُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا الرُّوحَ الْأَمِينَ ، جِبْرِيلَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ
﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ
كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ . قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ ^(١) : عَلِمَتْ أَنَّ التَّحِيَّ ذُو نُهْيَةٍ . وَهَذَا يُرَدُّ قَوْلَ
مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ فَاسِقٌ مَشْهُورٌ بِالْفِسْقِ ، اسْمُهُ تَقِيٌّ ، فَإِنَّ
هَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ بَلَا دَلِيلَ ، وَهُوَ مِنْ أَشْخَفِ الْأَقْوَالِ . ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ ﴾ أَيْ ؛ خَاطَبَتْهَا الْمَلَكُ قَائِلًا : إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ، أَيْ ؛ لَسْتُ بِبَشَرٍ ،
وَلَكِنِّي مَلَكٌ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿ لِأَهَبَ لَكَ غُلَمًا زَكِيًّا ﴾ أَيْ ؛ وَلَدًا زَكِيًّا .
﴿ قَالَتْ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَمٌ ﴾ أَيْ ؛ كَيْفَ يَكُونُ لِي غُلَامٌ ، أَوْ يُوجَدُ لِي وَلَدٌ ،

(١) كَذَا فِي النسخ . وَفِي التفسير ٢١٤/٥ نَسَبَ ابْنُ كَثِيرٍ الْقَوْلَ إِلَى أَبِي وَائِلٍ . وَكَذَا الْقُرْطُبِيُّ ١/٩١
٩١ نَسَبَهُ إِلَى أَبِي وَائِلٍ أَيْضًا . وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ مُعْلَقًا مِنْ قَوْلِ أَبِي وَائِلٍ . وَانْظُرِ الْفَتْحَ ٤٧٦/٦ ،
٤٧٩ .

﴿ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴾ أى ؛ ولسْتُ ذاتَ زَوْجٍ [٢٥٢/١] ، وما أنا مِن يَفْعُلُ الفَاحِشَةِ . ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ أى ؛ فَأَجَابَهَا الْمَلَكُ عَنْ تَعَجُّبِهَا مِنْ وُجُودِ وَلَدٍ مِنْهَا ، وَالْحَالَةَ هَذِهِ قَائِلًا : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ ﴾ أى ؛ وَعَدَ أَنَّهُ سَيَخْلُقُ مِنْكَ غُلَامًا وَلَسْتَ بِذَاتِ بَغْلٍ ، وَلَا تَكُونِينَ مِنْ يَتِيمِينَ . ﴿ هُوَ عَلَى هَيْنٍ ﴾ أى ؛ وَهَذَا سَهْلٌ عَلَيْهِ ، وَيَسِيرٌ لَدَيْهِ ، فَإِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَنَجْعَلَ لَهَا آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ أى ؛ وَلَنَجْعَلَ خَلْقَهُ ، وَالْحَالَةَ هَذِهِ ، دَلِيلًا عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِنَا عَلَى أَنْوَاعِ الْخَلْقِ ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى ، وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى ، وَخَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ ، وَخَلَقَ بَقِيَّةَ الْخَلْقِ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾ أى ؛ نَرْحَمُ بِهِ الْعِبَادَ ، بِأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي صِغَرِهِ وَكِبَرِهِ ، فِي طُفُولِيهِ وَكُهُولِيهِ ، بِأَنْ يُفَرِّدُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَيُنْزَهُوهُ عَنِ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ ، وَالشُّرَكَاءِ وَالنُّظَرَاءِ ، وَالْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ تَمَامِ كَلَامِ جَبْرِيلَ مَعَهَا ، يَعْنِي أَنَّ هَذَا أَمْرٌ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ وَحَتَمَهُ وَقَدَّرَهُ وَقَرَّرَهُ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ^(١) ، وَلَمْ يَخْلِكِ سِوَاهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ كُنَايَةً ^(٢) عَنْ نَفْخِ جَبْرِيلَ فِيهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَرِّمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ [التَّحْرِيمُ : ١٢] . فَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ^(٣) ، أَنَّ جَبْرِيلَ نَفَخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا ، فَتَنَزَّلَتِ النَّفْخَةُ إِلَى

(١) تفسير الطبري ٦٢/١٦ .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) تفسير الطبري ٦٢/١٦ .

فَرَجَهَا ، فَحَمَلَتْ مِنْ قَوْزِهَا ، كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ عِنْدَ جَمَاعٍ بَغْلِهَا . وَمَنْ قَالَ أَنَّهُ نَفَخَ فِي فَمِهَا ، أَوْ أَنَّ الذِّي كَانَ يُخَاطِبُهَا هُوَ الرُّوحُ الذِّي وَلَجَ فِيهَا مِنْ فَمِهَا ، فَقَوْلُهُ خِلَافٌ مَا يُفْهَمُ مِنْ سِيَاقَاتِ هَذِهِ الْقِصَّةِ فِي مَحَالِّهَا مِنَ الْقُرْآنِ ؛ فَإِنَّ هَذَا السِّيَاقَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الذِّي أُرْسِلَ إِلَيْهَا ، مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَهُوَ جَبْرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا نَفَخَ فِيهَا ، وَلَمْ يُوَاجِهِ الْمَلَكُ الْفَرْجَ ، بَلْ نَفَخَ فِي جَنْبِهَا فَتَزَلَّتِ التَّفْخَةُ إِلَى فَرْجِهَا ، فَانْسَلَكَتْ فِيهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ ، فَذَلِكَ عَلَى أَنَّ التَّفْخَةَ وَلَجَتْ فِيهِ ، لَا فِي فَمِهَا ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أُبَيٍّ ^(١) ابْنِ كَعْبٍ ، وَلَا فِي صَدْرِهَا ، كَمَا رَوَاهُ الشُّدِّيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ ^(٢) ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ أَيْ ؛ فَحَمَلَتْ وَلَدَهَا ، ﴿ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَرْيَمَ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ ، لَمَّا حَمَلَتْ ضَاقَتْ بِهِ ذُرْعًا ، وَعَلِمَتْ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ سَيَكُونُ مِنْهُمْ كَلَامٌ فِي حَقِّهَا ، فَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ ، مِنْهُمْ وَهْبُ بْنُ مُبَيَّهٍ ^(٣) ، أَنَّهَا لَمَّا ظَهَرَتْ [٢٥٢/١ ظ] عَلَيْهَا مَخَايِلُ الْحَمْلِ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ فِطَنَ لَذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ عُبَادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، يُقَالُ لَهُ : يَوْسُفُ ابْنُ يَعْقُوبَ النَّجَّارُ . وَكَانَ ابْنُ خَالِهَا ، فَجَعَلَ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ عَجَبًا شَدِيدًا ، وَذَلِكَ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ دِيَانَتِهَا ، وَنَزَاهَتِهَا وَعِبَادَتِهَا ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرَاهَا حُبْلَى وَلَيْسَ لَهَا زَوْجٌ ، فَعَرَّضَ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : يَا مَرْيَمُ ، هَلْ يَكُونُ زَرْعٌ مِنْ غَيْرِ بَذْرِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، فَمَنْ خَلَقَ الزَّرْعَ الْأَوَّلَ ؟ ثُمَّ قَالَ : فَهَلْ يَكُونُ شَجَرٌ

(١) فِي الْأَصْلِ : « مُحَمَّدٌ » . وَانْظُرْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ ٣٦/٦ ، ٦٨/١٦ حَيْثُ سَاقَهُ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أُبَيٍّ . وَالْدُرُ الْمَشْهُورُ ٢٦٧/٤ ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ص ٣٦٨ .
(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٥٩٩/١ . وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ص ٣٦٣ .
(٣) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٥٩٤/١ ، ٥٩٥ مَطْوُولًا . وَتَفْسِيرُهُ ٦٤/١٦ ، ٦٥ .

من غير ماءٍ ولا مطرٍ؟! قالت : نَعَمْ ، فَمَنْ خَلَقَ الشَّجَرَ الْأَوَّلَ؟! ثُمَّ قَالَ : فَهَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ؟! قالت : نَعَمْ ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى . قَالَ لَهَا : فَأُخْبِرِينِي خَبْرَكَ . فقالت : إِنَّ اللَّهَ بَشَّرَنِي ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ [آل عمران : ٤٥ ، ٤٦] . وَيُرَوَّى مِثْلُ هَذَا عَنْ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١) ، أَنَّهُ سَأَلَهَا فَأَجَابَتْهُ بِمِثْلِ هَذَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَذَكَرَ الشُّدِّي بِإِسْنَادِهِ عَنِ الصَّحَابَةِ ، أَنَّ مَرْيَمَ دَخَلَتْ يَوْمًا عَلَى أُخْتِهَا ، فَقَالَتْ لَهَا أُخْتُهَا : أَشَعَرْتَ أَنِّي حُبْلَى ؟ فقالت مَرْيَمُ : وَشَعَرْتَ أَيْضًا أَنِّي حُبْلَى ؟ فَاغْتَنَّقَتْهَا ، وَقَالَتْ لَهَا أُمُّ يَحْيَى : إِنِّي أَرَى مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكَ . وَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٩] . وَمَعْنَى السُّجُودِ هَلْعُنًا ، الْخُضُوعُ وَالتَّعْظِيمُ ، كَالسُّجُودِ عِنْدَ الْمَوَاجَهَةِ لِلسَّلَامِ ، كَمَا كَانَ فِي شَرْعِ مَنْ قَبْلَنَا ، وَكَمَا أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ . وَقَالَ ابْنُ ^(٢) الْقَاسِمِ : قَالَ مَالِكٌ : بَلَغَنِي أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، ابْنَا خَالَةٍ ، وَكَانَ حَمَلُهُمَا جَمِيعًا مَعًا ، فَبَلَغَنِي أَنَّ أُمَّ يَحْيَى قَالَتْ لِمَرْيَمَ : إِنِّي أَرَى مَا فِي بَطْنِي يَسْجُدُ لِمَا فِي بَطْنِكَ . قَالَ مَالِكٌ : أَرَى ذَلِكَ لِتَفْضِيلِ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَيُخْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(٣) . وَرَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ ^(٤) ، قَالَ : قَالَتْ مَرْيَمُ : كُنْتُ إِذَا خَلَوْتُ حَدَّثَنِي وَكَلَّمَنِي ، وَإِذَا كُنْتُ

(١) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٥٩ .

(٢) في م : «أبو» .

(٣) التفسير ٢١٦/٥ .

(٤) التفسير ٢١٥/٥ . وتاريخ دمشق ٢٩/١٤ مخطوط .

بَيْنَ النَّاسِ سَبْعٌ فِي بَطْنِي . ثُمَّ الظَّاهِرُ ، أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، كَمَا تَحْمِلُ
النِّسَاءُ وَيَضْمَنُ لِمَقَاتِ حَمْلِهِنَّ وَوَضْعِهِنَّ ، إِذْ لَوْ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ لَذَكَرَ . وَعَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةَ ، أَنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ . وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : مَا هُوَ إِلَّا
أَنْ حَمَلَتْ بِهِ فَوْضَعَتْهُ ^(١) . قَالَ بَعْضُهُمْ ^(٢) : حَمَلَتْ بِهِ تِسْعَ سَاعَاتٍ . وَاسْتَأْنَسُوا
لِذَلِكَ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهَا مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ ^(٣) فَلَجَّاءَهَا الْمَخَاضُ
إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ . وَالصَّحِيحُ ، أَنَّ تَغْقِيبَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ ؛ كَقَوْلِهِ ^(٤) :
﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾ [الحج : ٦٣] ، وَكَقَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عِلْقَةً
فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا [١/
٢٥٣] ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .
وَمَعْلُومٌ أَنَّ بَيْنَ كُلِّ حَالَيْنِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفِقِ عَلَيْهِ ^(٥) .

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ^(٦) : ثُمَّ شَاعَ أَمْرُهَا ، وَاسْتَهَزَّ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهَا
حَامِلٌ ، فَمَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِ يَتِيمٍ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ زَكَرِيَّا . قَالَ : وَاتَّهَمَهَا بَعْضُ
الرُّنَادِقَةِ يَوْسُفَ ، الَّذِي كَانَ يَتَعَبَّدُ مَعَهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَتَوَارَتْ عَنْهُمْ مَرِيْمُ ،
وَاعْتَرَلَتْهُمْ وَانْتَبَذَتْ مَكَانًا قَصِيًّا . وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلَجَّاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ
النَّخْلَةِ ﴾ أَيُ ؛ فَأَلْجَأَهَا وَاضْطَرَّهَا الطَّلُقُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ، وَهُوَ - بِنَصِّ
الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ ، عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا ^(٧) ، وَابْنِ عَبَّاسٍ

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ٢٦٦/٤ ، والتفسير ٢١٦/٥ .

(٢) هو الحسن ، كما ذكره في الدر المنثور ٢٦٦/٤ . وعزاه لابن عساكر .

(٣) في ح ، م : ولقوله .

(٤) البخاري (٣٢٠٨ ، ٦٥٩٤ ، ٧٤٥٤) . مسلم (٢٦٤٣) .

(٥) التفسير ٢١٧/٥ .

(٦) النسائي (٤٤٩) . وانظر (ضعيف النسائي ١٤) .

بِإِسْنَادٍ صَحَّحَهُ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ مَرْفُوعًا^(١) أَيْضًا - بَيَّتَ لَحْمٌ، الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ بَعْضُ مُلُوكِ الرُّومِ فِيمَا بَعْدَ - عَلَى مَا سَنَدُكُمُوه - هَذَا الْبِنَاءَ الْمُشَاهِدَ الْهَائِلَ . ﴿ قَالَتْ يَلْتَنَنِي مِنْ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا ﴾ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ تَمَتُّي الْمَوْتِ عِنْدَ الْفِتَنِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا عَلِمَتْ أَنَّ النَّاسَ يَتَّهِمُونَهَا^(٢) وَلَا يُصَدِّقُونَهَا، بَلْ يُكَذِّبُونَهَا حِينَ تَأْتِيهِمْ بَغْلَامٌ عَلَى يَدِهَا، مَعَ أَنَّهَا قَدْ كَانَتْ عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَابِدَاتِ النَّاسِكَاتِ، الْمَجَاوِرَاتِ فِي الْمَسْجِدِ، الْمُتَقَطِّعَاتِ إِلَيْهِ، الْمُتَعَكِّفَاتِ فِيهِ، وَمِنْ بَيَّتِ النَّبُوءَةَ وَالذِّيانَةَ، فَحَمَلَتْ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْهَمِّ، مَا تَمَثَّلَ أَنَّ لَوْ كَانَتْ مَاتَتْ قَبْلَ هَذَا الْحَالِ، أَوْ كَانَتْ ﴿ نَسِيًا مَنَسِيًا ﴾ أَى ؛ لَمْ تُخْلَقْ بِالْكُلِّيَّةِ . وَقَوْلُهُ : (فَتَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا)، وَقُرِئَ : ﴿ مِنْ تَحْتِهَا ﴾ عَلَى الْخَفْضِ، وَفِي الْمُضْمَرِ قَوْلَانِ ؛ أَحَدُهُمَا، أَنَّهُ جَبْرِيلُ . قَالَهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ : وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عِيسَى إِلَّا بِحَضْرَةِ الْقَوْمِ^(٣) . وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَالشَّدْيِيُّ، وَقَتَادَةُ^(٤) . وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَسَعِيدُ ابْنِ جُبَيْرٍ، فِي رِوَايَةٍ : هُوَ ابْنُهَا عِيسَى . وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٥) . وَقَوْلُهُ : ﴿ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبِّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ قِيلَ : النَّهْرُ . وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ^(٦) . وَجَاءَ فِيهِ حَدِيثٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ^(٧)، لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٨)، وَهُوَ

(١) فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ ٢/ ٣٥٥ - ٣٥٧ .

(٢) فِي ح : « يَنْهَوْنَهَا » .

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/ ٦٨ . وَالتَّفْسِيرُ ٥/ ٢١٨ .

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/ ٦٧، ٦٨ . وَالتَّفْسِيرُ ٥/ ٢١٨ . وَلَمْ يَذْكُرِ الطَّبْرِيُّ قَوْلَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ .

(٥) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/ ٦٨ . وَالتَّفْسِيرُ ٥/ ٢١٨ .

(٦) انْظُرْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ١١/ ٩٤ .

(٧) الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ (٣٠٣/ ١٣٣) . وَلَفْظُهُ : « إِنْ السَّرَى الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ ، نَهْرٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لِتَشْرَبَ مِنْهُ » . قَالَ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ٧/ ٥٥ : فِيهِ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَابِلِيُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ .

(٨) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ١٦/ ٧١ .

الصَّحِيحُ . وعن الحسن ، والربيع بن أنس ، وابن أسلم ، وغيرهم ^(١) ، أَنَّهُ ابْنُهَا .
 والصَّحِيحُ الْأَوَّلُ ؛ لقوله : ﴿ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ يَجِدُ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا
 جَنِينًا ﴾ ، فذكر الطعام والشراب ، ولهذا قال : ﴿ فَكُلْ وَاشْرَبْ وَقَرِّ
 عَيْنًا ﴾ . ثُمَّ قيل : كان جذع النخلة يابسًا . وقيل : كانت نخلة مثمرة . فالله
 أعلم . ويَحْتَمِلُ أَنَّهَا كانت نخلة ، لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك ؛ لأن ميلاده
 كان في زمن الشتاء ، وليس ذاك وقت ثمر ، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى ،
 على سبيل الامتنان [٢٥٣/١ ظ] : ﴿ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِينًا ﴾ . قال عمرو بن
 ميمون ^(٢) : ليس شيءٌ خَيْرًا للنفْسَاءِ مِنَ الثَّمَرِ ^(٣) والرُّطْبِ . ثُمَّ تلا هذه الآية .
 وقال ابن أبي حاتم ^(٤) : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، حَدَّثَنَا شَيْتَانُ ، حَدَّثَنَا
 مسرور بن سعيد التميمي ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرِو الْأَوْزَاعِيِّ ^(٥) عن عُرْوَةَ
 ابنِ رُوَيْمٍ ، عن علي بن أبي طالب ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « أَكْرَمُوا
 عَمَّتُكُمُ النَّخْلَةَ ، فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الطَّيْنِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ آدَمُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ
 الشَّجَرِ يُلْقَحُ غَيْرَهَا » . وقال رسولُ الله ﷺ : « أَطْعَمُوا نِسَاءَكُمْ الْوُلْدَ الرُّطْبَ ،
 فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطْبٌ ، فَتَمْرٌ ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَجَرَةٍ
 نَزَلَتْ تَحْتَهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ » . وكذا رواه أبو يعلى في « مُسْنَدِهِ » ^(٦) ، عن

(١) تفسير الطبري ٧٠/١٦ ، ٧١ . والتفسير ٢١٩/٥ .

(٢) تفسير الطبري ٧٢/١٦ . وتاريخ دمشق ، الجزء المطبوع من تراجم النساء ص ٣٦٣ . والتفسير ٥/٢١٩ .

(٣) في الأصل : « الثمر » .

(٤) ومن طريق شيان ، أخرجه ابن عساكر في المصدر السابق ص ٣٦٠ .

(٥) في ح : « الأنصاري » . وفي م : « الأنصاري » .

(٦) مسند أبي يعلى (٤٥٥) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٩/٥ : فيه مسرور بن سعيد التميمي ، وهو ضعيف .

شَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخَ، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ سَعِيدٍ. وَفِي رِوَايَةٍ: مَسْرُورِ بْنِ سَعِيدٍ. وَالصَّحِيحُ: مَسْرُورُ بْنُ سَعِيدِ التَّمِيمِيِّ، أُوْرِدَ لَهُ ابْنُ عَدِيٍّ هَذَا الْحَدِيثَ، عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَهُوَ مُتَكَرِّرُ الْحَدِيثِ، "وَلَمْ أَسْمَعْ بِذِكْرِهِ إِلَّا فِي هَذَا الْحَدِيثِ". وَقَالَ ابْنُ جَبَانَ^(١): يَزْوِي عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ الْمُنَاكِيرَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْإِحْتِجَاجُ بِمَنْ يَزْوِيهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. وَهَذَا مِنْ تَمَامِ كَلَامِ الَّذِي نَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا. قَالَ: ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِي وَقَرِي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أَي: فَإِنْ رَأَيْتِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ ﴿فَقُولِي﴾ لَهُ، أَي: بِلسَانِ الْحَالِ وَالْإِشَارَةِ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أَي: صَمْتًُا. وَكَانَ مِنْ صَوْمِهِمْ فِي شَرِيعَتِهِمْ، تَرْكُ الْكَلَامِ وَالطَّعَامِ. قَالَه قَتَادَةُ وَالشَّيْخُ، وَابْنُ أَسَلَمَ^(٢). وَيدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ فَأَمَّا فِي شَرِيعَتِنَا، فَيُكْرَهُ لِلصَّائِمِ صَمْتُ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَنْمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ٧٦ يَتَأَخَتَ هُرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ، يُمْنٌ يَنْقُلُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَنَّهُمْ لَمَّا افْتَقَدُوا مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، ذَهَبُوا فِي طَلِبِهَا، فَمَرُّوا عَلَى مَحَلَّتَيْهَا وَالْأَنْوَارِ حَوْلَهَا، فَلَمَّا وَاجَهُوْهَا وَجَدُوا مَعَهَا وَلَدَهَا، فَقَالُوا لَهَا: ﴿يَنْمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أَي: أَمْرًا عَظِيمًا مُتَكَرِّرًا. وَفِي هَذَا الَّذِي قَالُوهُ نَظَرٌ، مَعَ أَنَّهُ كَلَامٌ يَنْقُضُ أَوَّلَهُ آخِرَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ظَاهِرٌ سِيَاقِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا حَمَلَتْ

(١ - ١) سقط من: ص. والحديث أخرجه ابن عدى، فى الكامل ٦/٢٤٢٤، ٢٤٢٥.

(٢) فى كتاب المجروحين ٣/٤٤.

(٣) تفسير الطبرى ١٦/٧٤، ٧٥، ٧٦. والتفسير ٥/٢٢٠.

بِنَفْسِهَا ، وَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا وَهِيَ تَحْمِلُهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(١) : وَذَلِكَ بَعْدَ مَا تَعَالَتْ ^(٢)
مِنْ نَفَاسِهَا بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْهَا تَحْمِلُ مَعَهَا وَلَدَهَا ﴿ ٢٥٤ 〉 قَالُوا يَنْمَرِمُ لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا فَرِيًّا ﴿ ٢٥٥ 〉 ، وَالْفَرِيَّةُ هِيَ الْفِعْلَةُ الْمُنْكَرَةُ الْعَظِيمَةُ مِنَ الْفَعَالِ وَالْمَقَالِ . [١٦
٢٥٤] . ثُمَّ قَالُوا لَهَا : ﴿ ٢٥٦ 〉 يَتَأَخَتَ هَرُونَ ﴿ ٢٥٧ 〉 قِيلَ : شَبَّهُوهَا بِعَابِدٍ مِنْ عِبَادِ
زَمَانِهِمْ ، كَانَتْ تُسَامِيهِ فِي الْعِبَادَةِ ، وَكَانَ اسْمُهُ هَارُونَ ^(٣) . وَقِيلَ : شَبَّهُوهَا
بِرَجُلٍ فَاجِرٍ فِي زَمَانِهِمْ ، اسْمُهُ هَارُونَ . قَالَه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ ^(٤) . وَقِيلَ : أَرَادُوا
بِهَارُونَ أَخَا مُوسَى ، شَبَّهُوهَا بِهِ فِي الْعِبَادَةِ ^(٥) . وَأَخْطَأَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرْظِيُّ
فِي زَعْمِهِ أَنَّهَا أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ نَسَبًا ^(٦) ؛ فَإِنَّ بَيْنَهُمَا مِنَ الدُّهْرِ الطَّوِيلَةِ ، مَا
لَا يَخْفَى عَلَى أَدْنَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يَزِدُّهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ الْفَظِيعِ ، وَكَأَنَّهُ
غَرَّهَ أَنَّ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ مَرْيَمَ أُخْتُ مُوسَى وَهَارُونَ ، ضَرَبَتْ بِالْذِّفِّ يَوْمَ نَجَّى اللَّهُ
مُوسَى وَقَوْمَهُ ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ ، فَاعْتَقَدَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ هَذِهِ ، وَهَذَا فِي غَايَةِ
الْبُطْلَانِ وَالْمُخَالَفَةِ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ ^(٧) مَعَ نَصِّ الْقُرْآنِ ^(٨) كَمَا قَرَّرْنَاهُ فِي
«التَّفْسِيرِ» ^(٩) مُطَوَّلًا ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ ^(١٠) . وَقَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ ^(١١) الدَّالُّ

(١) تاريخ دمشق ، الجزء المطبوع ، من تراجم النساء ص ٣٦٤ . والدر المنثور ٤ / ٢٧٠ .

(٢) في م : «تعلت» . وفي ص : «يغالب» . وتعالَتْ : خرجَتْ مِنْ نَفَاسِهَا وَطَهُرَتْ .

(٣) تفسير الطبري ٧٧ / ١٦ . والتفسير ٥ / ٢٢١ .

(٤) التفسير ٥ / ٢٢١ . والدر المنثور ٤ / ٢٧٠ . وعزاه كلاهما لابن أبي حاتم .

(٥) تفسير الطبري ٧٨ / ١٦ . والدر المنثور ٤ / ٢٧٠ . وعزاه لابن أبي حاتم .

(٦) التفسير ٥ / ٢٢١ .

(٧) تقدم ص ١٢١ حاشية (٢) .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل .

(٩) ٥ / ٢٢١ .

(١٠) هو المذكور بعد ، عن أحمد وغيره .

على أنه قد كان لها أخت اسمُه هارون، وليس في ذكرِ قصَّةِ ولادَتِها وتحريرِ أمِّها لها، ما يدلُّ على أنَّها ليس لها أخت سواها. والله أعلم.

قال الإمام أحمد^(١): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ سَمِعْتُ أَبِي يَذْكُرُهُ عَنْ^(٢) سِمَاكِ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ واثِلٍ، عَنْ الْمُغِيرَةِ^(٣) بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِلَى نَجْرَانَ، فَقَالُوا: أَرَأَيْتَ مَا تَقْرَأُونَ: ﴿يَتَأَخَتَ هَارُونَ﴾ وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بَكْذَا وَكْذَا. قَالَ: فَرَجَعْتُ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ». وَكْذَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ^(٤)، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِهِ. وَفِي رَوَايَةٍ: «أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَسْمَاءِ صَالِحِيهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ». وَذَكَرَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ^(٥) أَنَّهُمْ كَانُوا يُكْثِرُونَ مِنَ التَّسْمِيَةِ بِهَارُونَ، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُ حَضَرَ بَعْضَ جَنَائِزِهِمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، يَمُنُّ يُسَمَّى بِهَارُونَ، أَرْبَعُونَ أَلْفًا. فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والمقصودُ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿يَتَأَخَتَ هَارُونَ﴾. وَذَلِكَ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّهَا قَدْ كَانَ لَهَا أختُ نَسَبِيَّةٍ^(٥) اسمُه هارون، وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْدِّينِ وَالصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ؛ وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ أَى؛ لَسِتِ مِنْ بَيْتِ هَذَا شَيْئَتُهُمْ وَلَا سَجِيَّتُهُمْ؛ لَا أَخُوكَ وَلَا أُمُّكَ وَلَا أَبُوكَ، فَاتَّهَمُوهَا

(١) المسند ٢٥٢/٤.

(٢) (٢ - ٢) فِي الْأَصْل: «سَمَاكِ بْنُ عَلْقَمَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ».

(٣) مُسْلِمٌ (٢١٣٥). النَّسَائِيُّ (١١٣١٥). التِّرْمِذِيُّ (٣١٥٥). وَانْظُرْ مَا تَقْدِمُ ص ١٢١.

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٧٧/١٦. وَالتَّفْسِيرُ ٢٢٢/٥.

(٥) فِي الْأَصْل: «نَبِيٌّ».

بالفاحشة العظيمة، ورموها بالداهية الدهيئة، فذكر ابن جرير في «تاريخه»^(١) أنهم اتهموا بها زكريا، وأرادوا قتله، ففر منهم، فلحقوه وقد انشقت له الشجرة، فدخلها، وأمسك إبليس بطرف رداءه فنشروه فيها، كما قدمنا^(٢). ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار، فلما ضاق الحال، وانحصر [٢٥٤/١ ط] المجال وامتنع^(٣) المقال، عظم التوكل على ذي الجلال، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال ﴿فَأَسَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أى؛ خاطبوه وكلموه؛ فإن جوابكم عليه، وما تبغون من الكلام لديه. فعندها قال^(٤) من كان منهم جبارا شقيئا: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ أى؛ كيف نُحيلُنّا في الجواب على صبي صغير لا يعقل الخطاب، وهو مع ذلك رضيع في مهده، ولا يميز بين مخض^(٥) وزيد، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء، والتقصص لنا والازدراء؛ إذ لا تردّين علينا قولا نطقيّا، بل نُحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيّا، فعندها ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. هذا أول كلام تفوّ به عيسى ابن مريم، فكان أول ما تكلم به أن ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله ربه، فنزّه جناب الله عن قول الظالمين، في زعمهم أنه ابن الله، بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون، وقدّفوها به ورموها

(١) تاريخ الطبرى ١/٦٠٠، ٦٠١.

(٢) انظر ما تقدم ص ٤٠٦.

(٣) فى الأصل: «واتسع».

(٤) فى م: «قالوا».

(٥) فى الأصل: «مخض المحض». والمحض: اللبن الخالص الذى لم يخالطه ماء.

بَسْبِيهِ ، بقوله : ﴿ ءَاتَلْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ . فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعْطِي النُّبُوَّةَ مَنْ
هو كما زَعَمُوا ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَقَبَّحَهُمْ ، كما قال تعالى ^(١) : ﴿ وَيَكْفُرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ
عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٦] ، وذلك أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الْيَهُودِ فِي ذَلِكَ
الزَّمَانِ ، قالوا : إِنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ مِنْ زَيْنِ فِي زَمَنِ الْحَيْضِ ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ . فَبَرَّأَهَا اللَّهُ
مِنْ ذَلِكَ ، وَأَخْبَرَ عَنْهَا أَنَّهَا صِدِّيقَةٌ ، وَاتَّخَذَ وَلَدَهَا نَبِيًّا مُرْسَلًا ، أَحَدُ أُولَى الْعِزِّ
الْخَمْسَةِ الْكِبَارِ ، ولهذا قال : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ ﴾ وذلك أَنَّهُ
حَيْثُ كَانَ ، دَعَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَزَّهَ بَعْدَهُ عَنِ النَّقْصِ
وَالْعَيْبِ ؛ مِنْ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ . ﴿ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ
وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ وهذه وَظِيفَةُ الْعَبِيدِ فِي الْقِيَامِ بِحَقِّ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ؛
بِالصَّلَاةِ ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلِيقَةِ بِالزَّكَاةِ ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى طَهَارَةِ النُّفُوسِ مِنْ
الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ ، وَتَطْهِيرِ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ ، بِالْعَطِيَّةِ لِلْمَحَاوِجِ ، عَلَى اخْتِلَافِ
الْأَصْنَافِ ، وَقَرَى الْأَصْيَافِ ، وَالنَّفَقَاتِ عَلَى الزُّوْجَاتِ ، وَالْأَرْقَاءِ ، وَالْقَرَابَاتِ ،
وَسَائِرِ وُجُوهِ الطَّاعَاتِ ، وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أَى ؛ وَجَعَلَنِي بَرًّا بِوَالِدَتِي ، وَذَلِكَ أَنَّهُ تَأَكَّدَ حَقُّهَا عَلَيْهِ ،
لِتَمَحُّضِ جِهَتِهَا ، إِذْ لَا وَالِدَ لَهُ سِوَاهَا ، فَسُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْخَلِيقَةَ وَبَرَّأَهَا ،
وَأَعْطَى كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا . ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [٢٥٥/١] أَى ؛
لَسْتُ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ ، وَلَا يَصُدُّ مِنْنِي قَوْلٌ وَلَا فِعْلٌ يُنَافِي أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ .
﴿ وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ ، وهذه الْمَوَاطِنُ
الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي قِصَّةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، ثُمَّ لَمَّا
ذَكَرَ تَعَالَى قِصَّتَهُ عَلَى الْجَلِيلَةِ ، وَبَيَّنَّ أَمْرَهُ وَوَضَّحَهُ وَشَرَّحَهُ ، قَالَ : ﴿ ذَلِكَ

(١) التفسير ٣٩٩/٢ .

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ ﴿٣٥﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٦﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّتِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي آلِ عِمْرَانَ: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٨ - ٦٣]. ولهذا لما قَدِمَ وَقَدْ نَجَّوَانِ، وَكَانُوا سِتْنَيْنِ رَاكِبَيْنِ، يَزِجُجُ أَمْزُجَهُمْ إِلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنْهُمْ، وَيُؤْوِلُ أَمْزُجَهُمْ إِلَى ثَلَاثَةِ، هُمْ أَشْرَافُهُمْ وَسَادَاتُهُمْ، وَهُمْ: الْعَاقِبُ، وَالسَّيِّدُ، وَأَبُو حَارِثَةَ ابْنُ عُلْقَمَةَ، فَجَعَلُوا يُنَاطِرُونَ فِي أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ صَدْرَ سُورَةِ «آلِ عِمْرَانَ» فِي ذَلِكَ، وَيَتَنَ أَمْرَ الْمَسِيحِ، وَابْتِدَاءَ خَلْقِهِ وَخَلْقِ أُمِّهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَأَمْرَ رَسُولِهِ بِأَنْ يُبَاهِلَهُمْ إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وَيَتَّبِعُوهُ ^(١)، فَلَمَّا رَأَوْا عَيْنَيْهَا، وَأُذُنَيْهَا، نَكَلُوا وَنَكَصُوا، وَامْتَنَعُوا عَنِ الْمُبَاهَلَةِ، وَعَدَلُوا إِلَى الْمُسَالَمَةِ وَالْمُوَادَعَةِ، وَقَالَ قَائِلُهُمْ، وَهُوَ الْعَاقِبُ عَبْدُ الْمَسِيحِ: يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى، لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيِّ مُرْسَلٍ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَضْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ، فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ، وَإِنَّهَا لِلْإِسْتِصْالِ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ آتَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ

(١) فِي ح: «وَيَتَّبِعُوهُ».

فى صاحبكم ، فواديغوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم . فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ ، وسألوه أن يضرب عليهم جزية ، وأن يبعث معهم رجلاً أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ، وقد بينا ذلك فى تفسير « آل عمران »^(١) ، وسيأتى بنسب هذه القضية فى السيرة النبوية من كتابنا هذا ، إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة .

والمقصود ، أن الله تعالى لما^(٢) بين أمر المسيح ، قال لرسوله : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ يعنى من أنه عبد مخلوق من امرأة [٢٥٥/١ ط] من عباد الله ، ولهذا قال : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ أى ؛ لا يعجزه شيء ، ولا يكثره^(٣) ولا يؤوده ،^(٤) بل هو القدير الفعّال لما يشاء . ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] . وقوله : ﴿ وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُمْ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ . هو من تمام كلام عيسى لهم فى المهدي ، أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه وإلههم ، وأن هذا هو الصراط المستقيم . قال الله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّسْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ أى ؛ فاختلف أهل ذلك الزمان ، ومن بعدهم فيه ، فمن قائل من اليهود : إنه ولد زانية . واستمروا على كفرهم وعنادهم ، وقابلهم آخرون فى الكفر ، فقالوا : هو الله . وقال آخرون : هو ابن الله . وقال المؤمنون :

(١) التفسير ٣٨/٢ - ٤٥ .

(٢) سقط من : ح ، م .

(٣) فى ح ، م : « يكثره » .

(٤) سقط من : الأصل .

هو عبدُ الله ورسولُه ، وابنُ أُمِّتِه ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ . وَهَؤُلَاءِ هُمُ النَّاجُونَ الْمُتَابِعُونَ ، الْمُؤَيَّدُونَ الْمُتَصَوِّرُونَ ، وَمَنْ خَالَفَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقِيُودِ ، فَهُمْ الْكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ الضَّالُّونَ الْجَاهِلُونَ ، وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

قال البخاري^(١) : حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ ، أَنبَأَنَا الْوَلِيدُ ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانٍ ، حَدَّثَنِي جُنَادَةُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَخَذَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ ، وَالتَّارَ حَقٌّ ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » . قال الوليدُ : فَحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ عُمَيْرٍ ، عَنْ جُنَادَةَ ، وَزَادَ : « مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ »^(٢) . وقد رواه مسلم^(٣) عن داودَ بنِ رُشَيْيدٍ ، عن الوليدِ ، عن ابنِ^(٤) جابرٍ^(٥) به ، ومن طريقٍ أُخْرَى عن الْأَوْزَاعِيِّ^(٦) بِهِ .

(١) البخاري (٣٤٣٥) .

(٢) انظر الفتح ٦ / ٤٧٥ .

(٣) مسلم (٢٨) .

(٤) سقط من : م .

(٥) سقط من : الأصل .

بَابُ بَيَانِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

مُنَزَّةٌ عَنِ الْوَلَدِ

قال تعالى في آخر هذه السورة^(١) : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ ﴾ [مریم: ۸۸، ۸۹]. أى ؛ شيئًا عظيمًا ، ومُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا . ﴿ نَكَادُ السَّمَوَاتِ يَنْقَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنشُقُ الْأَرْضُ وَنَخِرُ الْجِبَالَ هَذَا ۖ ﴾ [۹۰-۹۱] أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۖ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ ﴿ ۹۲ ۚ ﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿ ۹۳ ۚ ﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمُ وَعَدَهُمْ عَدًّْا ﴿ ۹۴ ۚ ﴾ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۚ ﴿ ۹۵ ۚ ﴾ [مریم: ۹۰-۹۵]. فَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْبَغِي لَهُ الْوَلَدُ ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ ، خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَدَيْهِ ، وَجَمِيعُ سُكَّانِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عِبِيدُهُ ، وَهُوَ رَبُّهُمْ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَلَا رَبٌّ سِوَاهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٢) : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمُ بَيْنَ وَبَيْنَ يَغْتَرِ عَلَيْهِمْ سُبْحَنَهُ ۚ ﴾ [۲۰۶/۱] وَتَعَلَّى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿ ۱۰۱ ۚ ﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَفَنُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ ۱۰۲ ۚ ﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿ ۱۰۳ ۚ ﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ ۱۰۴ ۚ ﴾ [الأنعام: ۱۰۰-۱۰۳]. فَبَيَّنَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ

(١) التفسير ۲۶۱ / ۵ .

(٢) التفسير ۲۶۱ / ۵ ، ۲۶۲ .

(٣) التفسير ۳۰۰ / ۳ - ۳۰۵ .

شَيْءٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، وَالْوَلَدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ ! وَاللَّهُ تَعَالَى لَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا عَدِيلَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، فَلَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(١) : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤] . فَتَقَرَّرَ أَنَّهُ « الْأَحَدُ » الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ ﴿ الصَّمَدُ ﴾ وَهُوَ السَّيِّدُ الَّذِي كَمُلَ فِي عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ . ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أَي ؛ لَمْ يُوْجَدْ مِنْهُ وَلَدٌ . ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أَي ؛ وَلَمْ يَتَوَلَّدْ عَنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ . ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أَي ؛ وَلَيْسَ لَهُ عِدْلٌ وَلَا مُكَافِئٌ وَلَا مُسَاوٍ، فَقَطَعَ النَّظِيرَ الْمُدَانِيَّ وَالْأَعْلَى وَالْمُسَاوِيَّ ؛ فَانْتَفَى أَنَّ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، إِذْ لَا يَكُونُ الْوَلَدُ إِلَّا مُتَوَلِّدًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَعَادِلَيْنِ أَوْ مُتَقَارِبَيْنِ، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ غُلُوًّا كَبِيرًا .

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ ^(٢) : ﴿ يَتَّخِذُ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِيدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِثْلُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ يُؤْخَذْ فَيَسْجُدْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا

(١) التفسير ٨ / ٥٣٨ - ٥٤٨ .

(٢) التفسير ٢ / ٤٣٠ - ٤٣٣ .

فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿ [النساء: ١٧١ - ١٧٣] . يَنْهَى تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ وَمَنْ شَابَهُمْ ، عَنْ الْغُلُوِّ وَالْإِطْرَاءِ فِي الدِّينِ ، وَهُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ ؛ فَالنَّصَارَى - لَعَنَهُمُ اللَّهُ - غَلَوْا وَأَطْرَؤُوا الْمَسِيحَ حَتَّى جَاوَزُوا الْحَدَّ ، فَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقِدُوا أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَابْنُ أُمِّهِ الْعَذْرَاءُ الْبَتُولُ ، الَّتِي أَحْصَنْتْ فَرْجَهَا ، فَبَعَثَ اللَّهُ الْمَلَكَ جِبْرِيلَ إِلَيْهَا ، فَتَفَخَّ فِيهَا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ نَفْخَةً حَمَلَتْ مِنْهَا بِوَلَدِهَا عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالَّذِي اتَّصَلَ بِهَا مِنَ الْمَلِكِ هِيَ الرُّوحُ الْمَضَافَةُ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةً تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا يُقَالُ : بَيْتُ اللَّهِ ، وَنَاقَةُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ . وَكَذَا : رُوحُ اللَّهِ ، أُضِيفَتْ إِلَيْهِ تَشْرِيفًا لَهَا وَتَكْرِيمًا ، وَسُمِّيَ عِيسَى بِهَا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَبِي ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ أَيْضًا الَّتِي [٢٥٦/١ ط] عَنْهَا خُلِقَ ، وَبَسَّبَهَا وَجَدَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ^(١) : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] . وَقَالَ تَعَالَى ^(٢) : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَلْبُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦ ، ١١٧] . وَقَالَ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَاهُمُ اللَّهُ أَنْفَ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠] . فَأَحْبَزَ تَعَالَى أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ ، كُلٌّ مِنْ

(١) التفسير ٤٠/٢ .

(٢) التفسير ٢٣٠/١ - ٢٣٢ .

(٣) التفسير ٧٦/٤ ، ٧٧ .

الفريقين ادَّعُوا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا، وَزَعَمُوا أَنَّ لَهُ وَلَدًا، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيمَا زَعَمُوهُ، وَلَا فِيمَا اثْتَفَكُوهُ، إِلَّا مُجَرَّدُ الْقَوْلِ وَمُشَابَهَةُ مَنْ سَبَقَهُمْ إِلَى هَذِهِ الْمَقَالَةِ الضَّالَّةِ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ - عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ - زَعَمُوا أَنَّ الْعَقْلَ الْأَوَّلَ صَدَرَ عَنْ وَاجِبِ الْوُجُودِ، الَّذِي يُعْبَرُونَ عَنْهُ بِعِلَّةِ الْعِلَلِ، وَالْمَبْدَأِ الْأَوَّلِ، وَأَنَّهُ صَدَرَ عَنِ الْعَقْلِ الْأَوَّلِ عَقْلٌ ثَانٍ، وَنَفْسٌ وَفَلَكَ، ثُمَّ صَدَرَ عَنِ الثَّانِي كَذَلِكَ، حَتَّى تَنَاهَتْ الْعُقُولُ إِلَى عَشْرَةٍ، وَالتُّفُوسُ إِلَى تِسْعَةٍ، وَالْأَفْلَاحُ إِلَى تِسْعَةٍ^(١)، بِاِغْتِيَابَاتٍ فَاسِدَةٍ ذَكَرُوهَا، وَاخْتِيَابَاتٍ بَارِدَةٍ أَوْرَدُوهَا، وَلِبْسُطِ الْكَلَامِ مَعَهُمْ، وَبَيَانِ جَهْلِهِمْ وَقِلَّةِ عَقْلِهِمْ، مَوْضِعٌ آخَرُ. وَهَكَذَا طَوَائِفُ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ؛ زَعَمُوا لَجَهْلِهِمْ، أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ صَاهَرَتْ سَرَوَاتِ الْجِنِّ، فَقَوْلَدَ مِنْهُمَا الْمَلَائِكَةُ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ، وَتَنْزَعَةً عَمَّا يُشْرِكُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى^(٢): ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكِنَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَى^(٣): ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ إِرْبَكَ الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأَتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿ [الصافات: ١٤٩ - ١٦٠].

(١) فِي الْأَصْلِ: «سَبْعَةٌ».

(٢) التفسير ٧/ ٢١٠.

(٣) التفسير ٧/ ٣٦، ٣٧.

وقال تعالى^(١): ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩]. وقال تعالى في أوّل سورة «الكهف»^(٢)، وهى مكيّة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِّيُنْذِرَ بِأَسَا شَدِيدًا مِنَ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَتَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف: ١ - ٥]. وقال تعالى^(٣): ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَزِيزُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أُنْزِلُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يونس: ٦٨ - ٧٠]. فهذه الآيات المكيّة الكريمة تشتمل الرّد على سائر فِرَق الكفّرة؛ من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارى، الذين ادّعوا وزعموا بلا عِلْمٍ، أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا، سُبْحَانَهُ وتعالى عمّا يقول الظالمون المغتدّون عُلوًّا كبيرًا. ولَمَّا كَانَتِ النَّصَارَى، عليهم لعائن الله المتّابعة إلى يوم القيامة، مِنْ أَشْهَرِ

(١) التفسير ٣٣١/٥.

(٢) التفسير ١٣٢/٥، ١٣٣.

(٣) التفسير ٢١٧/٤، ٢١٨.

مَنْ قَالَ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ ، ذُكِرُوا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا ؛ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَبَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ ، وَقِلَّةِ عِلْمِهِمْ ، وَكَثْرَةِ جَهْلِهِمْ ، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ أَقْوَالُهُمْ فِي كُفْرِهِمْ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْبَاطِلَ كَثِيرُ التَّشْعُّبِ وَالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَاقُضِ ، وَأَمَّا الْحَقُّ فَلَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَرِبُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ^(١) : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] . فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ يَتَّحِدُ وَيَتَّفِقُ ، وَالْبَاطِلُ يَخْتَلِفُ وَيَضْطَرِبُ . فَطَائِفَةٌ مِنْ ضُلَّالِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ . تَعَالَى اللَّهُ ، وَطَائِفَةٌ قَالُوا : هُوَ ابْنُ اللَّهِ ، عَزَّ اللَّهُ . وَطَائِفَةٌ قَالُوا : هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ . جَلَّ اللَّهُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ « الْمَائِدَةِ » ^(٢) : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] . فَأَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ كُفْرِهِمْ وَجَهْلِهِمْ ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، الْمُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَالْهَهُ . وَقَالَ فِي أَوَاخِرِهَا ^(٣) : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ إِبْرَاهِيمَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٧٦) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧) أَفَلَا

(١) التفسير ٣٢٠/٢ ، ٣٢١ .

(٢) التفسير ٦٣/٣ ، ٦٤ .

(٣) التفسير ١٤٨/٣ - ١٥٠ .

يَتَوَبُّونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّ يُؤْفَكُونَ ﴿[المائدة: ٧٢ - ٧٥]﴾. حَكَمَ تَعَالَى بِكُفْرِهِمْ شَرْعًا وَقَدَرًا، وَأَخْبَرَ [٢٥٧/١] أَنَّ هَذَا صَدَرَ مِنْهُمْ، مَعَ أَنَّ الرُّسُولَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، قَدْ يَبِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ عَبْدٌ مَرْبُوبٌ مَخْلُوقٌ، مُصَوَّرٌ فِي الرَّجِيمِ، دَاعٍ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَوَعَّدَهُمْ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ بِالنَّارِ، وَعَدَمِ الْفَوْزِ بِدَارِ الْقَرَارِ، وَالْحَزَنِيِّ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْهَوَانِ وَالْعَارِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِنَّكُمْ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ابْنَ اللَّهِ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾. قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَغَيْرُهُ^(١): الْمُرَادُ^(٢) بِذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِالْأَقَانِيمِ^(٣) الثَّلَاثَةِ؛ أَقْنُومُ الْأَبِ، وَأَقْنُومُ الْإِبْنِ، وَأَقْنُومُ الْكَلِمَةِ الْمُبْتَدِئَةِ مِنَ الْأَبِ إِلَى الْإِبْنِ، عَلَى اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ مَا بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ^(٤) وَالْيَعْقُوبِيَّةِ وَالنَّسْطُورِيَّةِ، عَلَيْهِمْ لَعْنَتُ اللَّهِ، كَمَا سَبَّيْنُ كَيْفِيَّةَ اخْتِلَافِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَمَجَامِعَهُمُ الثَّلَاثَةَ فِي زَمَنِ قُسْطَنْطِينِ^(٥) بْنِ قُسْطَسٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْمَسِيحِ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَقَبْلَ الْبَغْثَةِ الْحَمْدِيَّةِ بِثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أَيُّ؛ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا كُفَّاءَ لَهُ، وَلَا

(١) تفسير الطبري ٣١٣/٦. وانظر تفسير القرطبي ٢٤٩/٦.

(٢) (٢ - ٢) فِي ص: «بِئْكَ».

(٣) فِي ح: «الْمَلَكَةِ».

(٤) (٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلُ.

(٥) فِي ح: «مِنْ».

صاحبة له ولا ولد، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ وَتَهَدَّدَهُمْ، فقال: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار، من هذه الأمور الكبار والعظائم التي تُوجِبُ النَّارَ، فقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ؟ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ثم يَبَيِّنُ حَالَ الْمَسِيحِ وَأُمِّهِ، وَأَنَّهُ عَبْدٌ رَسُولٌ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ؛ أَيْ لَيْسَتْ بِفَاجِرَةٍ، كَمَا يَقُولُهُ الْيَهُودُ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ. وفيه دليلٌ على أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ، كَمَا زَعَمَهُ طَائِفَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا^(١). وقوله: ﴿كَأَنَّا يَاقِلَانِ الْقَلْعَامُ﴾ كِنَايَةٌ عَنْ خُرُوجِهِ مِنْهُمَا، كَمَا يُخْرَجُ مِنْ غَيْرِهِمَا^(٢)، أَيْ؛ وَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، كَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا؟ تعالى اللَّهُ عن قولهم وجَهِلُّهُمْ غُلُوبًا كَبِيرًا. وقال الشَّدِيُّ وَغَيْرُهُ^(٣): الْمَرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾ زَعْمُهُمْ فِي عِيسَى وَأُمِّهِ أَنَّهُمَا إِلَهَانِ مَعَ اللَّهِ؛ يَعْنِي كَمَا يَبَيِّنُ تَعَالَى كُفْرَهُمْ فِي ذَلِكَ، بِقَوْلِهِ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ^(٤): ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ١٧/٣ - ١٩. وتفسير القرطبي ٨٣/٤، ٨٤.

(٢) في ص: «غيرها».

(٣) تفسير الطبري ٣١٤/٦. والتفسير ١٤٩/٣. والدر المنثور ٣٠٠/٢ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) التفسير ٢٢٦/٣ - ٢٣٠.

تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [المائدة: ١١٦ - ١١٨] . يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ
يَسْأَلُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ [٢٥٨/١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَلَى سَبِيلِ الْإِكْرَامِ لَهُ ، وَالتَّقْرِيعِ
وَالْتَوْيِخِ لِعَابِدِيهِ ، مِمَّنْ كَذَبَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى ، وَزَعَمَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ ، أَوْ أَنَّهُ اللَّهُ ، أَوْ
أَنَّهُ شَرِيكُهُ ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ ، فَيَسْأَلُهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ مَا يَسْأَلُهُ
عَنْهُ ، وَلَكِنْ لَتَوْيِخٍ مِّنْ كَذَبٍ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : ﴿ مَا أَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي
وَأُنْحَى إِلَهُتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴿ أَيْ ؛ تَعَالَيْتَ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ
شَرِيكٌ . ﴿ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴿ أَيْ ؛ لَيْسَ هَذَا يَسْتَحِقُّهُ
أَحَدٌ سِوَاكَ . ﴿ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿ . وَهَذَا تَأْدُّبٌ عَظِيمٌ فِي الْخِطَابِ وَالْجَوَابِ .
﴿ مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ حِينَ أَوْسَلْتَنِي إِلَيْهِمْ ، وَأَنْزَلْتَ عَلَيَّ الْكِتَابَ
الَّذِي كَانَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ فَسَّرَ ^(١) مَا قَالَ لَهُمْ بِقَوْلِهِ : ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ ﴾ أَيْ ؛ خَالِقِي وَخَالِقَكُمْ ، وَرَازِقِي وَرَازِقَكُمْ . ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ أَيْ ؛ رَفَعْتَنِي إِلَيْكَ حِينَ أَرَادُوا قَتْلِي وَصَلْبِي ،
فَرَحِمْتَنِي وَخَلَّصْتَنِي مِنْهُمْ ، وَأَلْقَيْتَ شِبْهِي عَلَى أَحَدِهِمْ ، حَتَّى انْتَقَمُوا مِنْهُ ،
فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ . ﴿ كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿
ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّقْوِيضِ إِلَى الرَّبِّ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَالتَّبَيُّرِ مِنْ أَهْلِ
النَّصْرَانِيَّةِ : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ ﴾ أَيْ ؛ وَهُمْ يَسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ ^(٢) .
﴿ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ، وَهَذَا التَّقْوِيضُ وَالْإِسْنَادُ إِلَى
الْمَشِيعَةِ بِالشَّرْطِ ، لَا يَقْتَضِي وَفُورَ ذَلِكَ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

(١) فِي ح : « قَرَأَ » .

(٢) فِي ح : « لِذَلِكَ » .

الْحَكِيمُ ﴿١﴾ وَلَمْ يَقُلْ : الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

وقد ذكرنا في « التفسير »^(١) ، ما رواه الإمام أحمد^(٢) ، عن أبي ذرٍّ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ ، قام بهذه الآية الكريمة^(٣) ليلة حتى أصبح : ﴿ إِن تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤) . وقال : « إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لَأُمَتِّي فَأَعْطَانِيهَا ، وَهِيَ نَائِلَةٌ ، إِن شَاءَ اللَّهُ ، لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » . وقال تعالى^(٥) : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادِنَا لَوِ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتُخَذَتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾^(٦) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴾^(٧) وَلَمْ يَنْفِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾^(٨) يُسْحِقُونَ الْإِنْسَانَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾^(٩) [الأنبياء : ١٦ - ٢٠] . وقال تعالى^(١٠) : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾^(١١) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الْإِنْدَ عَلَى [١ / ٢٥٨ ط] النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الْإِنْدِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [الزمر : ٤ ، ٥] . وقال تعالى^(١٢) : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴾^(١٣) سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف : ٨١ ، ٨٢] . وقال

(١) التفسير ٢٢٩ / ٣ .

(٢) في المسند ١٤٩ / ٥ .

(٣) - (٣) سقط من : ص .

(٤) التفسير ٣٢٨ / ٥ - ٣٣٠ .

(٥) التفسير ٧٥ / ٧ ، ٧٦ .

(٦) التفسير ٢٢٨ / ٧ ، ٢٢٩ .

تعالى^(١): ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى^(٢): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَمْ بَكِلْدٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدٌ ۝. وَتَبَتْ فِي «الصَّحِيحِ»^(٣) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: شَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ يَزْعُمُ أَنَّ لِي وَلَدًا، وَأَنَا الْأَخْدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُوَلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ». وَفِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا^(٤) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا أَخْدَ أَصْبِرُ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ يَزُوقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ». وَلَكِنْ تَبَتْ فِي «الصَّحِيحِ» أَيْضًا^(٥)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُعْلَى لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. وَهَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْأَمْصِيرِ﴾ [الحج: ٤٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نُعَمِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ [يونس: ٦٩، ٧٠]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُم رُؤِيًا﴾ [الطارق: ١٧].

(١) التفسير ١٢٨/٥، ١٢٩.

(٢) التفسير ٥٣٨/٨ - ٥٤٨.

(٣) البخاري (٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

(٤) البخاري (٦٠٩٩، ٧٣٧٨). مسلم (٢٨٠٤).

(٥) البخاري (٤٦٨٦) واللفظ له. مسلم (٢٥٨٣).

ذِكْرُ^(١) مَنْشَأِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ،

عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَبَيَانُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَيْهِ

مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

قد تقدّم^(٢) أنّه وُلِدَ بَيْتِ لَحْمٍ، قَرِيبًا^(٣) مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَزَعَمَ وَهْبُ بْنُ مُتَبِّهِ أَنَّهُ وُلِدَ بِمَصْرَ، وَأَنَّ مَرْيَمَ سَافَرَتْ هِيَ وَيُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ النَّجَّارَ، وَهِيَ رَاكِبَةٌ عَلَى حِمَارٍ. لَيْسَ بَيْنَهُمَا^(٤) وَبَيْنَ الْإِكَّافِ^(٥) شَيْءٌ. وَهَذَا لَا يَصِحُّ، وَالْحَدِيثُ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ^(٦) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَوْلَدَهُ كَانَ بَيْتِ لَحْمٍ، كَمَا ذَكَرْنَا، وَمَهُمَا عَارِضُهُ فَبَاطِلٌ.

وَذَكَرَ وَهْبُ بْنُ مُتَبِّهِ^(٧)، أَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ خَرَّتِ الْأَصْنَامُ يَوْمَئِذٍ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَأَنَّ الشَّيَاطِينَ حَارَتْ فِي سَبَبِ ذَلِكَ، حَتَّى كَشَفَ لَهُمْ إِبْلِيسُ الْكَبِيرُ أَمْرَ عِيسَى، فَوَجَدَهُ فِي حِجْرِ أُمِّهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مُخَدِّقَةٌ بِهِ، وَأَنَّهُ ظَهَرَ نَجْمٌ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ مَلِكَ الْفُرْسِ أَشْفَقَ مِنْ ظُهُورِهِ، فَسَأَلَ الْكَهَنَةَ عَنْ

(١) سقط من: م.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٤٤.

(٣) سقط من: الأصل.

(٤) في م: «بينهما».

(٥) الإكاف: برذعة الحمار.

(٦) تقدم ص ٤٤٤.

(٧) تاريخ الطبري ٥٩٤/١ - ٥٩٨.

ذلك فقالوا: هذا مولد^(١) عظيم في الأرض. فبعث رُسُلُهُ ومعهمْ ذَهَبٌ ومُرٌّ ولبانٌ، هديةً إلى عيسى، فلمَّا قَدِمُوا الشَّامَ سَأَلَهُمْ مَلِكُهَا عَمَّا أَقْدَمَهُمْ، فَذَكَرُوا له ذلك، فسأل عن ذلك الوقت، فإذا قد وُلِدَ فيه عيسى ابنُ مريمَ بَيْتِ [١/ ٢٥٩] المقدِّس، واشتهرَ أمرُهُ بسببِ كَلَامِهِ في المَهْدِ، فَأَرْسَلَهُمْ إِلَيْهِ بما معهم، وأَرْسَلَ معهم مَنْ يَغْرِفُهُ له؛ لِيَتَوَصَّلَ إِلَى قَتْلِهِ إذا انصرفوا عنه، فلمَّا وصلوا إلى مريمَ بالهدايا ورجعوا، قيلَ لها: إِنَّ رُسُلَ مَلِكِ^(٢) الشَّامِ إِنَّمَا جَاءُوا لِيَقْتُلُوا وَلَدَكَ. فاحْتَمَلَتْهُ، فَذَهَبَتْ به إلى مِصْرَ، فَأَقَامَتْ بها حتى بَلَغَ عُمْرُهُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَظَهَرَتْ عَلَيْهِ كراماتٌ ومُعْجِزاتٌ في حالِ صِغَرِهِ، فَذَكَرَ مِنْهَا، أَنَّ الدَّهْقَانَ الذي نَزَلُوا عِنْدَهُ افْتَقَدَ مَالًا مِنْ دَارِهِ، وَكَانَتْ دَارُهُ^(٣) لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا الْفُقَرَاءُ والضعفاءُ والمحايِجُ، فلم يَذَرِ مَنْ أَخَذَهُ، وَعَزَّ ذلك على مريمَ، عليها السَّلامُ، وشقَّ على الناسِ وعلى رَبِّ المنزلِ، وأَغْيَاهُمْ أَمْرُهَا، فلمَّا رَأَى عيسى، عليه السَّلامُ، ذلك، عَمَدَ إلى رَجُلٍ أَعْمَى، وَآخَرَ مُقْعَدٍ مِنْ جَمَلَةٍ مَنْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَيْهِ، فقال للأَعْمَى: احْمِلْ هَذَا الْمُقْعَدَ وانهضْ به. فقال: إني لا أَسْتَطِيعُ ذلك. فقال: بلى، كما فعلتَ أنتَ وهو حينَ أَخَذْتُمَا هَذَا الْمَالَ مِنْ تِلْكَ الْكُوفَةِ مِنَ الدَّارِ. فلمَّا قال ذلك، صَدَّقَاهُ فِيمَا قال، وَأَتَيَا بِالْمَالِ، فَعَظُمَ عيسى في أَغْيُنِ النَّاسِ وهو صَغِيرٌ جِدًّا.

وَمِنْ ذَلِكَ، أَنَّ ابْنَ الدَّهْقَانِ عَمِلَ ضِيافَةً لِلنَّاسِ؛ بسببِ طُهورِ أَوْلَادِهِ، فلمَّا اجتمعَ النَّاسُ وَأَطْعَمَهُمْ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَشْقِيَهُمْ شَرَابًا، يَغْنَى خَمْرًا، كما

(١) في الأصل، ص: «الموعد».

(٢) سقط من: ص.

(٣) (٣ - ٣) في ص: «إلى».

كانوا يَصْنَعُونَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، لَمْ يَجِدْ فِي جِرَارِهِ شَيْئًا ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى عِيسَى ذَلِكَ مِنْهُ قَامَ فَجَعَلَ يَمُرُّ عَلَى تِلْكَ الْجِرَارِ وَيُمِرُّ يَدَهُ عَلَى أَقْوَاهِهَا ، فَلَا يَفْعَلُ بِحِزَّةٍ مِنْهَا ذَلِكَ إِلَّا امْتَلَأَتْ شَرَابًا مِنْ خِيَارِ الشَّرَابِ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ جَدًّا ، وَعَظَّمُوهُ وَعَرَضُوا عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ مَالًا عَظِيمًا جَزِيلًا ، فَلَمْ يَقْبَلَاهُ ، وَارْتَحَلَا قَاصِدَيْنِ بِلَادَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بَشِيرٍ^(١) : أَنْبَأَنَا عِثْمَانُ بْنُ السَّاجِ وَغَيْرُهُ ، عَنْ مُوسَى بْنِ وَزْدَانَ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، وَعَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَوَّلَ مَا أَطْلَقَ اللَّهُ لِسَانَهُ ، بَعْدَ الْكَلَامِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ وَهُوَ طِفْلٌ ، فَمَجَّدَ اللَّهُ تَمَجِيدًا لَمْ تَسْمَعْ الْآذَانُ بِمِثْلِهِ ، لَمْ يَدْعُ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا جَبَلًا وَلَا نَهْرًا وَلَا غَيْثًا إِلَّا ذَكَرَهُ فِي تَمَجِيدِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَرِيبُ فِي غُلُوكَ ، الْمُتَعَالَى فِي ذُنُوكَ ، الرَّفِيعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقْتَ سَبْعًا فِي الْهَوَاءِ بِكَلِمَاتِكَ ، مُسْتَوِيَاتٍ طِبَاقًا ، أَجَبْنَ وَهُنَّ دُخَانٌ مِنْ فَرْقِكَ ، فَاتَيْنَ طَائِعَاتٍ لِأَمْرِكَ ، فِيهِنَّ مَلَائِكَتُكَ يُسَبِّحُونَ قُدْسَكَ لِتَقْدِيسِكَ ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ نُورًا [٢٥٩/١ ط] عَلَى سَوَادِ الظُّلَامِ ، وَضِيَاءً مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ الرِّعْدَ الْمَسِيحَ بِالْحَمْدِ ، فَبِعِزَّتِكَ تَجْلُو ضَوْءَ ظُلْمَتِكَ ، وَجَعَلْتَ فِيهِنَّ مَصَابِيحَ يَهْتَدِي بِهِنَّ فِي الظُّلُمَاتِ الْخَيْرَانِ ، فَتَبَارَكْتَ اللَّهُمَّ فِي مَقْطُورِ سَمَواتِكَ ، وَفِيمَا دَخَوْتَ مِنْ أَرْضِكَ ، دَخَوْتُهَا عَلَى الْمَاءِ ، فَسَمَكْتُهَا^(٢)

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٠/١٤ ، ٤١ مخطوط ، من طريق إسحاق بن بشر به .

(٢) في الأصل : « فسمكها » .

على تيار الموج المتغامر^(١) فأذلتها إذلال^(٢) الماء المتطاهر^(٣) ، فذلّ لطاعتك صعبها ، واستحى لأمرِكَ أمرها ، وخضعت لعزّتِكَ أمواجها ، ففجرت فيها بعد البحور الأنهار ، ومن بعد الأنهار الجداول الصغار ، ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار ، ثم أخرجت منها الأنهار والأشجار والثمار ، ثم جعلت^(٤) على ظهرها الجبال فتدنتها أوتادًا على ظهر الماء ، فأطاعت أطواذها وجلمودها ، فباركت اللهم ، فمن يبلغ ينفعه نفعك ؟ أمّن يبلغ يصفته صفتك ؟ تنشر السحاب ، وتنفك الرقاب ، وتقضي الحق ، وأنت خير الفاصلين ، لا إله إلا أنت سبحانك ، أمرت أن نستغفركَ من كُلِّ ذنب ، لا إله إلا أنت سبحانك ،^(٥) ستوت السماوات^(٦) عن الناس ، لا إله إلا أنت سبحانك ، إنما يخشاك^(٧) من عبادك الأكياس ، نشهد أنك لست بآله استحدثناك ، ولا ربّ يبيد ذكره ، ولا كان معك شركاء^(٨) يقضون معك^(٩) فندعوهم ونذكرك^(١٠) ، ولا أعانك على خلقنا أحد فتشكّ فيك ، نشهد أنك أحد صمد ، لم تلد ولم تولد ، ولم يكن لك كفؤ أحد .

وقال إسحاق بن بشر^(٨) ، عن جويبر^(٩) ومقاتل ، عن الضحّاك ، عن ابن عباس : إنّ عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد إذ كلّمهم طفلاً ، حتى بلغ

(١) في ح ، م : « الغامر » .

(٢ - ٣) في ح ، م : « التظاهر » .

(٣) في ص : « خلقت » .

(٤ - ٥) في ح : « استترت بالسموات » .

(٥) في م : « يقشاك » .

(٦ - ٧) سقط من : م ، ص .

(٧) في م : « نذكرك » .

(٨) المصدر السابق ٤٠/١٤ ، من طريق إسحاق .

(٩) سقط من : ص . وفي الأصل : « جرير » .

ما يَتْلُغُ الْعِلْمَانُ ، ثُمَّ أَنْطَقَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْبَيَانِ ، فَأَكْثَرَ الْيَهُودُ فِيهِ وَفِي
أُمِّهِ مِنَ الْقَوْلِ ، كَانُوا يُسْتَعُونَهُ ابْنَ الْبَغِيَّةِ ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَفَّرَهُمْ
وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٦] . قَالَ : فَلَمَّا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ
أَسْلَمَتْهُ أُمُّهُ فِي الْكُتَّابِ ، فَجَعَلَ لَا يُعَلِّمُهُ الْمُعَلِّمُ شَيْئًا إِلَّا بَدَرَهُ إِلَيْهِ ، فَعَلَّمَهُ أَبَا
جَادٍ ، فَقَالَ عِيسَى : مَا أَبُو جَادٍ ؟ فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : لَا أَدْرَى . فَقَالَ عِيسَى : كَيْفَ
تُعَلِّمُنِي مَا لَا تَدْرِي ؟ فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : إِذَا فَعَلَّمْنِي . فَقَالَ لَهُ عِيسَى : فَقُمْ مِنْ
مَجْلِسِكَ . فَقَامَ فَجَلَسَ عِيسَى مَجْلِسَهُ ، فَقَالَ : سَلْنِي . فَقَالَ الْمُعَلِّمُ : فَمَا أَبُو
جَادٍ ؟ فَقَالَ عِيسَى : الْأَلِفُ آلاءُ اللَّهِ ، الْبَاءُ بهاءُ اللَّهِ ، الْجِيمُ بهجَةُ اللَّهِ وَجَمَالُهُ .
فَعَجِبَ الْمُعَلِّمُ مِنْ ذَلِكَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ فَسَّرَ أَبَا جَادٍ .

ثم ذَكَرَ أَنَّ عِثْمَانَ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، عَنْ ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ عَلَى كُلِّ كَلِمَةٍ
كَلِمَةً ^(١) ، بِحَدِيثِ طَوِيلٍ [٢٦٠/١] مَوْضُوعٍ ، لَا "يُشْكُ فِيهِ وَلَا يُتَمَارَى" ^(٢) .

وهكذا رَوَى ابْنُ عَدِيٍّ ^(٣) مِنْ حَدِيثِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عِيَّاشٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ
ابْنِ يَحْيَى ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَعَنْ مِسْعَرِ بْنِ
كَذَّامٍ ، عَنْ عَطِيَّةٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، رَفَعَ الْحَدِيثَ فِي دُخُولِ عِيسَى إِلَى الْكُتَّابِ
وَتَعْلِيمِهِ الْمُعَلِّمَ مَعْنَى حُرُوفِ أَبِي جَادٍ ، وَهُوَ مُطَوَّلٌ لَا يُفْرَحُ بِهِ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ
عَدِيٍّ : وَهَذَا الْحَدِيثُ بَاطِلٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، لَا يَزُودُهُ غَيْرُ إِسْمَاعِيلَ .

وَرَوَى ابْنُ لَهْيَعَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَةَ ^(٤) ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) زيادة من : ح .

(٢) - ٢) في ح : « لا يسأل ولا يتمارى » . وفي م : « لا يسأل ولا يتمادى » .

(٣) في الكامل ٢٩٩ / ١ .

(٤) في ص : « نعمة » .

عَمَرُو^(١) يقول: كان عيسى ابنُ مريمَ وهو غلامٌ يلعبُ مع الصِّبيانِ ، فكان يقولُ لأَحَدِهِمْ : تُريدُ أنْ أُخْبِرَكَ ما خَبَأْتُ لَكَ أُمُّكَ ؟ فيقولُ : نَعَمْ . فيقولُ : خَبَأْتُ لَكَ كَذَا وَكَذَا . فيذهبُ الغلامُ منهم إلى أمِّه فيقولُ لها : أَطْعِمِينِي ما خَبَأْتِ لِي . فتقولُ : وأَيُّ شَيْءٍ خَبَأْتُ لَكَ ؟ فيقولُ : كَذَا وَكَذَا . فتقولُ له : مَنْ أَخْبَرَكَ ؟ فيقولُ : عيسى ابنُ مريمَ . فقالوا : واللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمْ هَؤُلَاءِ الصِّبيانَ مع ابنِ مريمَ لَيَفْسِدَنَّهُمْ . فجمعَهم في بَيْتٍ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ عيسى يَلْتَمِسُهُمْ ، فلم يجدْهم ، فَسَمِعَ ضَوْضَاءَهُمْ في بَيْتٍ ، فسألَ عنهم ، فقالوا : إِنَّمَا هَؤُلَاءِ قِرَدَةٌ وَخَنَازِيرُ . فقال : اللَّهُمَّ كَذَلِكَ . فكانوا كَذَلِكَ . رواه ابنُ عساکر^(٢) .

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرِ^(٣) ، عن جُوَيْرٍ ومقاتِلٍ ، عن الضَّحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : وكان عيسى يُرى العَجَائِبَ في صِبَاةٍ إِلَهاً مِنَ اللَّهِ ، ففشا ذلك في اليهودِ ، وَتَرَعَرَعَ عيسى ، فَهَمَّتْ به بنو إسرائيلَ ، فَخَافَتْ أُمُّهُ عَلَيْهِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى أُمِّهِ أَنْ تَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون : ٥٠] .

وقد اختلفَ السُّلَفُ والمفسِّرون في المرادِ بهذه الرُّبُوةِ التي ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ صِفَتِهَا أَنَّهَا ذَاتُ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ، وهذه صِفَةُ غَرِيَّةِ الشَّكْلِ ؛ وَهِيَ أَنَّهَا رُبُوءٌ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ ، الَّذِي أَغْلَاهُ مُسْتَوٍ يُقَرُّ عَلَيْهِ ، فَمَعَ ارْتِفَاعِهِ ، مُتَسِّعٌ ،

(١) في م ، ص : « عمر » .

(٢) في تاريخ دمشق ٣٩/١٤ المخطوط .

(٣) سبق تخريجه في ص ٤٦٨ حاشية (٨) .

ومع غُلُوهُ، فيه ^(١) «عَيْنٌ مِنَ» الماءِ مَعِينٌ؛ وهو الجارى السَّارِخُ على وجه الأرض،
 فقيل: المرادُ المكانُ الذى وَلَدَتْ فيه المسيح. وهو مَحَلَّةُ بَيْتِ المقدِسِ، ولهذا
 ﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾. وهو التَّهْرُ
 الصَّغِيرُ، فى قولِ جُمهورِ السَّلَفِ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، أَنَّهَا أَنْهَارُ دِمَشْقَ ^(٢). فلعلَّه أرادَ تَشْبِيهَ ذلكَ
 المكانِ بِأَنْهَارِ دِمَشْقَ. وقيلَ: ذلكَ بِمَضَرَ. كما زَعَمَهُ مَنْ زَعَمَهُ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ
 وَمَنْ تَلَقَّاهُ عَنْهُمْ. واللَّهُ أَعْلَمُ. ^(٣) وقيلَ: هى الرَّمْلَةُ.

و^(٤) قالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ: [٢٦٠/١ ظ] قالَ لنا إِدْرِيسُ، عن جَدِّهِ وَهْبِ
 ابْنِ مُنَبِّهٍ، قالَ: إِنَّ عِيسَى لَمَّا بَلَغَ ثَلَاثَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ بِلَادِ
 مِصْرَ إِلَى بَيْتِ إِيلِيَّا. ^(٥) قالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِ يَوْسُفُ ابْنُ خَالِ أُمِّهِ، فَحَمَلَهُمَا عَلَى
 حِمَارٍ، حَتَّى جَاءَ بِهِمَا إِلَى إِيلِيَّا ^(٦)، وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى أَخَذَتْ اللَّهُ لَهُ الْإِنْجِيلَ،
 وَعَلَّمَهُ التَّوْرَةَ، وَأَعْطَاهُ إِخْيَاءَ الْمَوْتَى، وَإِثْرَاءَ الْأَسْقَامِ، وَالْعِلْمَ بِالْغُيُوبِ بِمَا
 يَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ بِقُدُومِهِ، وَفَزِعُوا لِمَا كَانَ يَأْتِي مِنَ
 الْعَجَائِبِ، فَجَعَلُوا يَفْعَجِبُونَ مِنْهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَفَشَا فِيهِمْ أَمْرُهُ.

(١ - ١) فى ح، م: «عيون».

(٢) التفسير ٤٧٠/٥.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١/١٤ مخطوط، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

١) بَيَانُ نُزُولِ الْكُتُبِ الْأَرْبَعَةِ وَمَوَاقِيتِهَا

قال أبو زُرْعَةَ الدَّمَشَقِيُّ^(٢) : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ : أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى فِي سِتِّ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَنَزَلَ الزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ،^(٣) وَذَلِكَ بَعْدَ التَّوْرَةِ بِأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ^(٤) ، بَعْدَ الزَّبُورِ بِأَلْفِ عَامٍ وَخَمْسِينَ عَامًا ، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، فِي أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ . وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي « التَّفْسِيرِ »^(٥) عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ ، وَفِيهَا أَنَّ الْإِنْجِيلَ أُنْزِلَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي ثَمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .

وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي « تَارِيخِهِ »^(٦) أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَمَكَثَ حَتَّى رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً . كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ بِشْرِ^(٦) : وَأَنْبَأَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَمَقَاتِلَ

(١ - ١) ليس في : الأصل ، ص .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢/١٤ مخطوط ، من طريق أبي زرعة به .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) التفسير ٣٠٩/١ .

(٥) ٥٩٨/١ .

(٦) المصدر السابق ٤٣/١٤ ، من طريق إسحاق بن بشر به .

عن قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم: يا عيسى، جد في أمري ولا تهين، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إنك من غير فعل، وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد، وعلى فتوكل، خذ الكتاب بقوة، فسرو لأهل الشريانية، بلغ من بين يديك أتى أنا الحي القائم الذي لا أزول، صدقوا النبي الأمي^(١) العربي، صاحب الجمل والتاج - وهي العمامة - والمدرعة والتغليين والهرارة - وهي القضيبي - الأنجل العيتين، الصلت الجيين، الواضح الخدين، الجعد الرأس، الكث اللحية، المقرون الحاجيين، الأفتى الأنف، المفلج الثنايا، البادئ العنقفة، الذي كأن عنته إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من لحيه إلى شمرته تجري كالقضيبي، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره، شئن الكف والقدم، إذا التفت، التفت جميعا، وإذا مشى كأنما [٢٦١/١] يتقلع من صخر وينحدر من صلب، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفخ منه، لم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة، الطيب الريح، نكاح النساء، ذا النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت - يعنى فى الجنة - من قصب، لا نصب فيه ولا صحب، تكفله - يا عيسى - فى آخر الزمان كما كفل زكريا أمك، له منها فوخان مستشهدان، وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه، وشهد أيامه، وسمع كلامه.

(١) سقط من: ص.

«بَيَانُ شَجَرَةِ طُوبَى مَا هِيَ»^(١)

قال عيسى : يا رب ، وما طُوبَى ؟ قال : غَرَسُ شَجَرَةٍ أَنَا غَرَسْتُهَا بِيَدَيَّ فَهِيَ لِلْجَنَّةِ كُلِّهَا ، أَصْلُهَا مِنْ رِضْوَانٍ ، وَمَاؤُهَا مِنْ تَسْنِيمٍ ، وَبَرْدُهَا بَرْدُ الْكَافُورِ ، وَطَعْمُهَا طَعْمُ الزَّنَجَبِيلِ ، وَرِيحُهَا رِيحُ الْمِسْكِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا . قال عيسى : يا رب ، اسْقِنِي مِنْهَا . قال : حَرَامٌ عَلَى النَّبِيِّينَ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهَا ، حَتَّى يَشْرَبَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ، وَحَرَامٌ عَلَى الْأُمَمِ أَنْ يَشْرَبُوا مِنْهَا ، حَتَّى «تَشْرَبَ مِنْهَا»^(٢) أُمَّةٌ ذَلِكَ النَّبِيُّ . قال : يا عيسى ، أَرْفَعُكَ إِلَيَّ . قال : يا رب ، وَلِمَ تَرْفَعُنِي ؟ قال : أَرْفَعُكَ ثُمَّ أَهْبِطُكَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ؛ لِتَرَى مِنْ أُمَّةٍ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْعَجَائِبَ ، وَلِتَعَيَّنَهُمْ عَلَى قِتَالِ اللَّعِينِ الدَّجَالِ ، أَهْبِطُكَ فِي وَقْتِ صَلَاةٍ ، ثُمَّ لَا تُصَلِّيَ بِهِمْ ؛ لِأَنَّهَا أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ ، وَلَا نَبِيٍّ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ .

وقال هشامُ بْنُ عَمَّارٍ ، عن الوليدِ بْنِ مُسْلِمٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بْنِ زَيْدٍ ، عن أبيه ، أَنَّ عيسى قال : يا رب ، أَنْبِئْنِي عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ . قال : أُمَّةٌ أَحْمَدُ ، هُمْ عُلَمَاءُ حُكَمَاءُ ، كَانَتْهُمْ أَنْبِيَاءُ ، يَرِضُونَ مِنِّي بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَطَاءِ ، وَأَرْضَى مِنْهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِلا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ، يا عيسى ، هُمْ أَكْثَرُ سُكَّانِ الْجَنَّةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ تَذِلَّ أَلْسُنُ قَوْمٍ قَطُّ بِلا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ كَمَا ذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ ، وَلَمْ تَذِلَّ رِقَابُ قَوْمٍ قَطُّ بِالسُّجُودِ كَمَا ذَلَّتْ بِهِ رِقَابُهُمْ . رواه ابنُ عسَّاکَرٍ^(٣) .

(١ - ١) ليس في : الأصل ، ص .

(٢ - ٢) في ص : «تشهد» .

(٣) في تاريخ دمشق ٤٣/١٤ مخطوط .

(١) رَوَى مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ بْنِ بُذَيْلٍ الْغَفِيلِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْسَجَةَ ، قَالَ :
أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ : أَنْزِلْنِي مِنْ نَفْسِكَ كَهَمِّكَ ، وَاجْعَلْنِي ذُخْرًا لَكَ
فِي مَعَادِكَ ، وَتَقَرَّبْ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ أُحِبِّكَ ، وَلَا تَوَلَّ غَيْرِي فَأَخْذُلَكَ ، اضْبِرْ عَلَى
الْبَلَاءِ ، وَارْضَ بِالْقَضَاءِ ، وَكُنْ لِمَسَرَّتِي فِيكَ ، فَإِنَّ مَسَرَّتِي أَنْ أُطَاعَ فَلَا أُغْصَى ،
وَكُنْ مِنِّي قَرِيبًا ، وَأَخِي ذِكْرِي بِلِسَانِكَ ، وَلَتَكُنْ مَوْدَّتِي فِي صَدْرِكَ ، تَيْقِظُ مِنْ
سَاعَاتِ الْعَقْلَةِ ، وَاحْكُمْ لِي لَطِيفَ الْفِطْنَةِ ، وَكُنْ لِي رَاغِبًا رَاهِبًا ، وَأَمِثْ قَلْبَكَ
مِنَ الْخَشْيَةِ لِي ، وَزَاعِ اللَّيْلَ لِحَقِّ مَسَرَّتِي ، وَأَظْمِ نَهَارَكَ لِيَوْمِ الرَّيِّ عِنْدِي ، نَافِسْ
فِي [٢٦١/١ ظ] الْخَيْرَاتِ جَهْدَكَ ، وَأَعْرِفْ^(٢) بِالْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ ، وَقُمْ فِي
الْخَلَائِقِ بِنَصِيحَتِي ، وَاحْكُمْ فِي عِبَادِي بِعَدْلِي ، فَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ شِفَاءً وَسَاوِسَ
الصُّدُورِ مِنْ مَرَضِ النَّسْيَانِ ، وَجِلَاءِ الْأَبْصَارِ مِنْ غِشَاءِ الْكَلَالِ ، وَلَا تَكُنْ
حَلِيسًا^(٣) كَأَنَّكَ مَقْبُوضٌ وَأَنْتَ حَتَّى تَنْفُسُ ، يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، مَا آمَنْتَ بِي
خَلِيقَةً إِلَّا خَشَعْتَ ، وَلَا خَشَعْتَ لِي إِلَّا رَجَحْتَ ثَوَابِي ، فَأَشْهِدُكَ أَنَّهَا آمِنَةٌ مِنْ
عِقَابِي ، مَا لَمْ تُعَيِّرْ أَوْ تُبَدِّلْ شَيْئًا ، يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَكْرَ الْبَثُولَ ، ابْنُكَ عَلَى
نَفْسِكَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ بُكَاءَ مَنْ وَدَّعَ الْأَهْلَ ، وَقَلَا الدُّنْيَا ، وَتَرَكَ اللَّذَاتِ لِأَهْلِهَا ،
وَارْتَفَعَتْ رَغْبَتُهُ فِيمَا عِنْدَ إِلَهِهِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ ثَلَاثِينَ الْكَلَامَ ، وَتُقَشِّى السَّلَامَ ،
وَكُنْ يَقْظَانًا إِذَا نَامَتْ عُيُونُ الْأَبْرَارِ ، حَذَارٍ مَا هُوَ آتٍ مِنْ أَمْرِ الْمَعَادِ ، وَزَلَّازِلَ
شِدَائِدِ الْأَهْوَالِ ، قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ أَهْلٌ وَلَا مَالٌ ، وَاكْحَلْ عَيْنَكَ بِمُلْمُولِ^(٤) الْحُزْنِ

(١) المصدر السابق ١٤ / ٤٤ .

(٢) فِي ح ، م ، ص : « اعترف » ، وَقَالَ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : تَفْسِيرُهُ ؛ وَلَتَعْرِفَ بِالْخَيْرِ .

(٣) رَجُلٌ حَلَسَ ، أَيْ مَلَازِمٌ مَكَانَهُ لَا يَبْرَحُهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « بِمِلْ » . وَح ، م ، ص « بِمِلُول » . وَالثَّبْتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ . وَالمُلْمُولُ الْمَكْحَالُ . اللِّسَانُ

(م ل ل) .

إِذَا صَحِكَ الْبَطَّالُونَ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُخْتَسِبًا ، فَطَوَّبَى لَكَ إِنْ نَالَكَ مَا وَعَدْتُ الصَّابِرِينَ ، رَجَّحَ مِنَ الدُّنْيَا بِاللَّهِ يَوْمَ يَوْمٍ ، وَدُقْ مَذَاقَهُ مَا قَدْ هَرَبَ ^(١) مِنْكَ أَيْنَ طَعْمُهُ ، وَمَا لَمْ يَأْتِكَ كَيْفَ لَذَّتُهُ ، فَرَجَّحَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْبَلْغَةِ ، وَلَيْكُنْكَ مِنْهَا الْخَشِينُ الْجَشِيبُ ^(٢) ، قَدْ رَأَيْتَ إِلَى مَا تَصِيرُ ، أَعْمَلْ عَلَى حِسَابِ فَإِنَّكَ مَسْئُولٌ ، لَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ مَا أَعْدَدْتُ لِأَوْلِيَائِي الصَّالِحِينَ ، ذَابَ قَلْبُكَ ، وَزَهَقَتْ نَفْسُكَ .

وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ « الْقَدْرِ » ^(٣) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ابْنِ فَارِسٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، وَعَنِ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَقِيَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِبْلِيسَ ، فَقَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَكَ إِلَّا مَا كُتِبَ لَكَ ؟ قَالَ إِبْلِيسُ : فَارَقَ بِذُرْوَةِ هَذَا الْجَبَلِ ، فَتَرَدَّدَ مِنْهُ ، فَانْظُرْ تَعِيشُ أَمْ لَا ؟ فَقَالَ ابْنُ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ : فَقَالَ عِيسَى : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ : لَا يُجْرِيْنِي عَبْدِي ، فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا شِئْتُ . وَقَالَ الزُّهْرِيُّ : إِنَّ الْعَبْدَ لَا يَتَتَلَّى رَبَّهُ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَتَتَلَّى عَبْدَهُ .

قَالَ أَبُو دَاوُدَ ^(٤) : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَنبَأَنَا سُفْيَانُ ، عَنْ عَمْرِو ^(٥) ، عَنْ طَاوُسٍ قَالَ : أَتَى الشَّيْطَانُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ تَزْعُمُ أَنَّكَ صَادِقٌ ؟ فَأَتَتْ هَذِهِ ^(٦) فَأَلْقَى نَفْسَكَ . قَالَ : وَبِئْسَ ! أَلَيْسَ قَالَ : يَا ابْنَ آدَمَ ، لَا تَسْأَلْنِي هَلَكَ نَفْسِكَ ، فَإِنِّي أَفْعَلُ مَا أَسَاءُ .

(١) فِي ح ، م : « حَرْب » .

(٢) أَيْ الْغَلِيظُ .

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ٤٥/١٤ مَخْطُوطٌ ، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بِهِ .

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي دَاوُدَ بِهِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « عَمْر » . وَفِي ص : « عَمْرُو بْنُ طَاوُسٍ » . وَهُوَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ . انْظُرْ مَصْدَرَ التَّخْرِيجِ .

(٦) فِي ح ، م : « هَوَّة » .

وَحَدَّثَنَا ^(١) أَبُو تَوْبَةَ الرَّيِّعُ بْنُ نَافِعٍ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ طَلْحَةَ ، سَمِعْتُ خَالَدَ ابْنَ يَزِيدَ ، قَالَ : تَعَبَّدَ الشَّيْطَانُ مَعَ عِيسَى عَشْرَ سِنِينَ أَوْ سِتِّينَ ، أَقَامَ يَوْمًا عَلَى شَفِيرِ جَبَلٍ ، فَقَالَ الشَّيْطَانُ : أَرَأَيْتَ إِنْ أَلْقَيْتُ نَفْسِي ، هَلْ يَصِيبُنِي إِلَّا مَا كُتِبَ لِي ؟ قَالَ : إِنِّي لَسْتُ بِالَّذِي أُبْتَلَى رُبِّي [٢٦٢/١] ^(٢) وَلَكِنْ رُبِّي إِذَا شَاءَ ابْتَلَانِي . وَعَرَفَ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ ، فَفَارَقَهُ .

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا ^(٣) : حَدَّثَنَا سُرَيْجٌ ^(٤) بْنُ يُونُسَ ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ الْخَطَّابِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ ، قَالَ : كَانَ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُصَلِّي عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ ، فَأَتَاهُ إِبْلِيسُ ، فَقَالَ : أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَضَائِهِ وَقَدَرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَلَتِي نَفْسُكَ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ وَقُلْ : قَدَرٌ عَلَيَّ . فَقَالَ : يَا لَعِينُ ، اللَّهُ يَخْتَبِرُ الْعِبَادَ ، وَلَيْسَ الْعِبَادُ يَخْتَبِرُونَ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ . وقال أيضًا ^(٥) : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ ^(٦) ، سَمِعْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ : لَقِيَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ إِبْلِيسُ ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ : يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، أَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تَكَلَّمْتَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ أَحَدٌ قَبْلَكَ . قَالَ : بَلِ الرُّبُوبِيَّةُ لِلإِلَهِ الَّذِي أَنْطَقَنِي ، ثُمَّ يُحْيِيهِ ، ثُمَّ يُخَيِّبُنِي . قَالَ : فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى . قَالَ : بَلِ الرُّبُوبِيَّةُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ مَنْ أَحْيَيْتُ ثُمَّ يُحْيِيهِ . قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّكَ

(١) القائل أبو داود . المصدر السابق من طريق أبي داود به .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) المصدر السابق ، من طريق ابن أبي الدنيا به .

(٤) في النسخ : « شريح » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر تهذيب الكمال ١٠ / ٢٢١ .

(٥) في ص : « يسار » .

لِلْإِلَهِ فِي السَّمَاءِ وَإِلَهِ فِي الْأَرْضِ . قَالَ : فَصَكَّهُ جِبْرِيلُ صَكَّةً بِجَنَاحِهِ ، فَمَا تَنَاهَى دُونَ قُرُونٍ^(١) الشَّمْسِ ، ثُمَّ صَكَّهُ أُخْرَى بِجَنَاحِهِ ، فَمَا تَنَاهَى دُونَ الْعَيْنِ الْحَامِيَةِ ، ثُمَّ صَكَّهُ أُخْرَى ، فَأَدْخَلَهُ بِحَارَ السَّابِعَةِ ، فَأَسَاخَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ : فَأَسْلَكَهُ - فِيهَا حَتَّى وَجَدَ طَعْمَ الْحَمَاءَةِ ، فَخَرَجَ مِنْهَا وَهُوَ يَقُولُ : مَا لَقِيَ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ مَا لَقِيتُ مِنْكَ يَا ابْنَ مَرْيَمَ .

وَقَدْ رُويَ نَحْوُ هَذَا بِإِبْسَاطٍ مِنْهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ؛ فَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْخَطِيبُ^(٢) : أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ رَزْقَوَيْهِ ، أُنْبَأَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ سِنْدِيٍّ^(٣) ، حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْقَطَّانُ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيسَى الْعَطَّارُ ، أُنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ سُؤَيْدٌ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ ، قَالَ : صَلَّى عِيسَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَانصَرَفَ ، فَلَمَّا كَانَ بِيَعُضِ الْعَقْبَةِ^(٤) ، عَرَضَ لَهُ إِبْلِيسُ فَاحْتَبَسَهُ ، فَجَعَلَ يَغْرِضُ عَلَيْهِ وَيُكَلِّمُهُ وَيَقُولُ لَهُ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا . فَأَكْثَرَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ عِيسَى يَحْرِصُ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ ، فَجَعَلَ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا يَقُولُ : لَا يَنْبَغِي لَكَ يَا عِيسَى أَنْ تَكُونَ عَبْدًا . قَالَ : فَاسْتَغَاثَ عِيسَى بِرَبِّهِ ، فَأَقْبَلَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، فَلَمَّا رَآهُمَا إِبْلِيسُ ، كَفَّ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّا مَعَهُ عَلَى الْعَقْبَةِ ، اكْتَنَفَا عِيسَى ، وَضَرَبَ جِبْرِيلُ إِبْلِيسَ بِجَنَاحِهِ ، فَقَذَفَهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي . قَالَ : فَعَادَ إِبْلِيسُ مَعَهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُمَا لَمْ يُؤْمَرَا بِغَيْرِ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِعِيسَى : قَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَبْدًا ، إِنَّ غَضَبَكَ [٢٦٢/١ ظ] لَيْسَ

(١) كَذَا فِي النسخ . وَفِي تَارِيخِ دِمَشْقَ : «فَوْق» .

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٤٦/١٤ ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرِ الْخَطِيبِ بِهِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : «مَسْدَى» . وَفِي م : «سَبْدَى» .

(٤) الْعَقْبَةُ : طَرِيقُ فِي الْجَبَلِ وَعَر . اللِّسَانُ (ع ق ب) .

يَغْضَبُ عَبْدٌ، وقد رأيت ما لَقِيتُ منك حينَ غَضِبْتَ، ولكنْ أَدْعُوكَ إلى أمرٍ هو لك؛ أَمُرُ الشَّيَاطِينَ فَلْيَطِيعُوكَ، فإذا رَأَى الْبَشَرُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ قد أَطَاعُوكَ، عَبْدُوكَ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ أَنَّ تَكُونَ إِلَهًا لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَكُونُ إِلَهًا فِي السَّمَاءِ، وَتَكُونُ أَنْتَ إِلَهًا فِي الْأَرْضِ. فَلَمَّا سَمِعَ عِيسَى ذَلِكَ مِنْهُ، اسْتَغَاثَ بِرَبِّهِ، وَصَرَخَ صَرْخَةً شَدِيدَةً، فَإِذَا إِسْرَافِيلُ قد هَبَطَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، فَكَفَّ إبْلِيسُ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ مَعَهُمْ، ضَرَبَ إِسْرَافِيلُ إبْلِيسَ بِجَنَاحِهِ، فَصَلَّاهُ بِهِ عَيْنَ الشَّمْسِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَأَقْبَلَ إبْلِيسُ يَهْوِي، وَمَرَّ بِعِيسَى وَهُوَ بِمَكَانِهِ، فَقَالَ: يَا عِيسَى، لَقَدْ لَقِيتُ فِيكَ الْيَوْمَ تَعَبًا شَدِيدًا. فَرَمَى بِهِ فِي عَيْنِ الشَّمْسِ، فَوَجَدَ سَبْعَةَ أَمْلاكٍ عِنْدَ الْعَيْنِ الْحَامِيَةِ. قَالَ: فَغَطُّوهُ، فَجَعَلَ كُلُّمَا خَرَجَ^(١) غَطُّوهُ فِي تِلْكَ الْحَمَاءَةِ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَادَ إِلَيْهِ بَعْدُ.

قال^(٢): وَحَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا أَبُو حُدَيْفَةَ، قَالَ: وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ شَيْاطِينُهُ، فَقَالُوا: سَيِّدُنَا، قَدْ لَقِيتَ تَعَبًا. قَالَ: إِنَّ هَذَا عَبْدٌ مَعْصُومٌ، لَيْسَ لِي عَلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ، وَسَأُضِلُّ بِهِ بَشَرًا كَثِيرًا، وَأُبَيِّتُ فِيهِمْ أَهْوَاءَ مُخْتَلِفَةً، وَأَجْعَلُهُمْ شِيَعًا، وَيَجْعَلُونَهُ وَأُمَّهُ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيمَا أَيْدٍ بِهِ عِيسَى وَعَصَمَهُ مِنْ إبْلِيسَ قَرَأَنَا نَاطِقًا بِذِكْرِ نِعْمَتِهِ عَلَى عِيسَى، فَقَالَ: ﴿يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾. ^(٣) يَغْنَى: إِذْ قَوَّيْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ، يَغْنَى جِبْرِيلُ^(٤) ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

(١) فِي ح، م: «صَرَخَ».

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٤٦/١٤، ٤٧.

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنْ: الْأَصْلِ.

وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ ﴿١﴾ ، يعنى ، الإنجيلَ والتَّوراةَ والحِكْمَةَ ،
﴿٢﴾ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ عَنْكَ ﴿٣﴾ الآية [المائدة : ١١٠] . وَإِذْ جَعَلْتُ
المساكينَ لَكَ بِطَانَةً وَصَحَابَةً وَأَعْوَانًا تَرْضَى بِهِمْ ، وصحابةً وأعوانًا يَرْضَوْنَ بِكَ
هاديًا وقائداً إلى الجنةِ ، فذلك ، فاعلم ، خُلُقَانِ عظيمان ، مَنْ لَقِيتى بهما ، فقد
لَقِيتى بَأَرْكَى الخَلَائِقِ وَأَرْضَاهَا عِنْدِي ، وسيقولُ لك بنو إسرائيلَ : صُمْنَا فلم
يَتَقَبَّلْ صِيَامَنَا ، وصلَّينا فلم يَقْبَلْ صَلَاتَنَا ، وَتَصَدَّقْنَا فلم يَقْبَلْ صَدَقَاتَنَا ، وبَكَيْتَنَا
بِمِثْلِ حَيْنِ الْجِمَالِ فلم يَوْحَمْ بكاءَنَا . فَقُلْ لَهُمْ : وَلِمَ ذَلِكَ ؟ وما الذى يَمْتَنِعُنِي ؟
أَنَّ ذَاتَ يَدَى قُلْتُ ؟! أَوْ لَيْسَ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِيَدَى أَنْفِقُ مِنْهَا كَيْفَ
أَشَاءُ ، أَوْ أَنَّ الْبَخْلَ يَغْتَرِبُنِي ^(١) ؟ أَوْ لَسْتُ أَجْوَدَ مِنْ سَيْلٍ ، وَأَوْسَعَ مَنْ أَعْطَى ، أَوْ
أَنَّ رَحِمَتِي ضَاقَتْ ؟ وَإِنَّمَا يَتَرَاخَمُ الْمُتَرَاخِمُونَ بِفَضْلِ رَحْمَتِي ، وَلَوْلَا أَنَّ هَؤُلَاءِ
الْقَوْمَ ، يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، عَدُّوا ^(٢) أَنْفُسَهُمْ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي تُورِثُ فِي قُلُوبِهِمْ مَا
اسْتَأْتَرَوْا بِهِ الدُّنْيَا أَثَرَةً عَلَى الْآخِرَةِ ، لَعَرَفُوا مِنْ أَتَيْنَ أَتُوا ، وَإِذَا لَا يَقْنُتُوا أَنَّ أَنْفُسَهُمْ
هِيَ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ لَهُمْ ، وَكَيْفَ أَقْبَلُ صِيَامَهُمْ وَهُمْ يَتَقَوَّوْنَ عَلَيْهِ بِالْأَطْعِمَةِ [١/
٢٦٣] الْحَرَامِ ؟! وَكَيْفَ أَقْبَلُ صَلَاتَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ تَزْكُنُ إِلَى الَّذِينَ يُحَارِبُونِي
وَيَسْتَحِلُّونَ مَحَارِمِي ؟! وَكَيْفَ أَقْبَلُ صَدَقَاتِهِمْ وَهُمْ يَغْصِبُونَ النَّاسَ عَلَيْهَا ،
فَيَأْخُذُونَهَا مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا ؟! يَا عِيسَى ، إِنَّمَا أَجْزَى عَلَيْهَا أَهْلُهَا ، وَكَيْفَ أَرْحَمُ
بُكَاءَهُمْ وَأَيُّدِيَهُمْ تَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ ، ازْدَدْتُ عَلَيْهِمْ غَضَبًا ، يَا عِيسَى ،
وَقَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، أَنَّهُ مَنْ عَبَدَنِي وَقَالَ فَيْكَمَا يَقُولِي ،
أَنْ أَجْعَلَهُمْ جِيرَانَكَ فِي الدَّارِ ، وَرُقَقَاكَ فِي الْمَنَازِلِ ، وَشُرَكَاءَكَ فِي الْكِرَامَةِ ،

(١) فى ح ، م : « لا يعتربنى » .

(٢) كذا فى النسخ والتاريخ ، ولعلها « غروا » .

وَقَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، ^(١) أَنَّهُ مَنِ اتَّخَذَكَ وَأَمَّاكَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنَّ أَجْعَلُهُمْ فِي الذُّرُوكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ، وَقَضَيْتُ يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ^(٢) ، أَنِّي مُبَيِّتٌ ^(٣) هَذَا الْأَمْرَ عَلَى يَدَيِ عَبْدِي ^(٤) مُحَمَّدٍ ، وَأَخْتِمُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ ، وَمَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ ، وَمُهَاجَرُهُ بِطَبِيعَةِ ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ ، لَيْسَ بِفَطٍّ وَلَا غَلِيطٍ وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا مُتَرَزِّينَ ^(٥) بِالْفُحْشِ ، وَلَا قَوَالَ بِالْحَنَّا ، أَسَدُّهُ لِكُلِّ أَمْرِ جَمِيلٍ ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ ، أَجْعَلُ التَّقْوَى ضَمِيرَهُ ^(٦) ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ ، وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ ، وَالْإِسْلَامَ مِلَّتَهُ ، وَاسْمُهُ أَحْمَدُ ، أَهْدَى بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ ، وَأَعْلَمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ ، وَأُعْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَائِلَةِ ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الضُّعْفَةِ ، أَهْدَى بِهِ ، وَأَفْتَحُ بِهِ بَيْنَ آذَانِ صُمٍّ وَقُلُوبِ وَأَهْوَاءٍ مُخْتَلَفَةٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، أَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ، تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؛ إِخْلَاصًا لِاسْمِي ، وَتَصَدِيقًا لِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ ، أَلِيَهُمُ التَّنْشِيخَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّقْدِيسَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَيُيُوتِهِمْ وَمَنْقَلَبِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ ، يُصَلُّونَ لِي قِيَامًا وَقُعُودًا ، وَرُكْعًا وَسُجْدًا ، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفًا وَزُخُوفًا ، قُزْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ ، وَأَتَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ ، وَقُزْبَانُهُمْ فِي بَطُونِهِمْ ، رَهْبَانٌ بِاللَّيْلِ ، لُيُوثٌ بِالنَّهَارِ ، ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءَ ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

(١ - ١) سقط من الأصل ، ص .

(٢) في ص : « شئت » ، وفي تاريخ دمشق : « مسبب » .

(٣) زيادة من : ح ، م .

(٤) في ح ، م : « يزر » .

(٥) في الأصل : « ظهير » .

وَسَنَذْكُرُ مَا يُصَدِّقُ كَثِيرًا مِنْ هَذَا السِّيَاقِ ، بِمَا سَنُورِدُهُ مِنْ سُورَتَيْ «المائدة» و «الصف» ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبِهِ الثَّقَةُ . وَقَدْ رَوَى أَبُو حَازِمٍ إِسْحَاقُ بْنُ يَشِيرٍ^(١) بِأَسَانِيدِهِ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ ، وَوَهْبِ بْنِ مُثَنَّبٍ ، وَابْنِ عَبَّاسٍ وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ - قَالُوا : لَمَّا بُعِثَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ، جَعَلَ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ فَيَقُولُونَ : مَا أَكَلَ فَلَانُ الْبَارِحَةَ ، وَمَا أَذْخَرَ فِي بَيْتِهِ ؟ فَيُخْبِرُهُمْ ، فَيَزِدُّوا الْمُؤْمِنُونَ إِيمَانًا ، وَالْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ شُكًّا وَكُفْرَانًا ، وَكَانَ عِيسَى ، مَعَ ذَلِكَ ، لَيْسَ لَهُ مَنْزِلٌ يَأْوِي إِلَيْهِ ، إِنَّمَا يَسِيحُ فِي الْأَرْضِ ، لَيْسَ لَهُ قَرَارٌ وَلَا مَوْضِعٌ يُعْرَفُ بِهِ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَا أَحْيَا مِنَ الْمَوْتَى ، أَنَّهُ مَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى امْرَأَةٍ قَاعِدَةٍ عِنْدَ قَبْرِ وَهَى تَبْكِي ، [٢٦٣/١ ظ] فَقَالَ لَهَا : مَا لِكَ أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ ؟ فَقَالَتْ : مَاتَتْ ابْنَتِي لِي ، لَمْ يَكُنْ لِي وَلَدٌ غَيْرُهَا ، وَإِنِّي عَاهَدْتُ رَبِّي أَنْ لَا أَبْرَحَ مِنْ مَوْضِعِي هَذَا ، حَتَّى أَذُوقَ مَا ذَاقَتْ مِنَ الْمَوْتِ ، أَوْ يُحْيِيَهَا^(٢) اللَّهُ لِي فَأَنْظُرَ إِلَيْهَا . فَقَالَ لَهَا عِيسَى : أَرَأَيْتِ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا أَرَايَعَةً أَنْتِ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالُوا : فَصَلِّي رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَاءَ فَجَلَسَ عِنْدَ الْقَبْرِ ، فَنَادَى : يَا فَلَانَةُ ، قُومِي يَا ذُنُ الرَّحْمَنِ فَاخْرُجِي . قَالَ : فَتَحَرَّكَ الْقَبْرُ ، ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ ، فَاَنْصَدَعَ الْقَبْرُ يَا ذُنُ اللَّهِ ، ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةَ ، فَخَرَجَتْ وَهَى تَنْفُضُ رَأْسَهَا مِنَ التُّرَابِ ، فَقَالَ لَهَا عِيسَى : مَا بَطَأَ بِكَ عَنِّي ؟ فَقَالَتْ : لَمَّا جَاءَتْنِي الصَّيْحَةُ الْأُولَى بَعَثَ اللَّهُ لِي مَلَكًا فَرَكَّبَ خَلْقِي ، ثُمَّ جَاءَتْنِي الصَّيْحَةُ الثَّانِيَةُ ، فَرَجَعَ إِلَيَّ رُوحِي ، ثُمَّ جَاءَتْنِي

(١) المصدر السابق ٤٧/١٤ ، ٤٨ ، من طريق إسحاق بن بشر به .

(٢) فى ح : « يهيا » .

الصَّيْحَةُ الثَّالِثَةُ، فَنِخَفْتُ أَنَّهَا صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ، فَشَابَ رَأْسِي وَحَاجِبَتَايَ وَأَشْفَاؤُ عَيْنَيَّ؛ مِنْ مَخَافَةِ الْقِيَامَةِ. ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَى أُمِّي فَقَالَتْ: يَا أُمَّتَاهُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ أَذُوقَ كَرْبَ الْمَوْتِ مَرَّتَيْنِ؟ يَا أُمَّتَاهُ، اضْبِرِّي وَاحْتَسِبِي، فَلَا حَاجَةَ لِي فِي الدُّنْيَا، يَا رُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ، سَلْ رَبِّي أَنْ يَرُدَّنِي إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ يُهَوِّنَ عَلَيَّ كَرْبَ الْمَوْتِ. فَدَعَا رَبَّهُ فَقَبَضَهَا إِلَيْهِ، وَاسْتَوَتْ عَلَيْهَا الْأَرْضُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَازْدَادُوا عَلَيْهِ غَضَبًا.

وَقَدَّمْنَا فِي قِصَّةِ نُوْحٍ، أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلُوهُ أَنْ يُخَيِّبَ لَهُمْ سَامَ بْنِ نُوْحٍ، فَدَعَا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، وَصَلَّى لَهُ، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ لَهُمْ، فَحَدَّثَهُمْ عَنِ السَّفِينَةِ وَأَمْرِهَا، ثُمَّ دَعَا فَعَادَ ثَرَابًا^(١).

وَقَدْ رَوَى الشُّدِّيُّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَأَبِي مَالِكٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي خَبَرٍ ذَكَرَهُ، وَفِيهِ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَاتَ وَحُمِلَ عَلَى سَرِيرِهِ، فَجَاءَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَا اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ،^(٢) فَأَحْيَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣)، فَرَأَى النَّاسُ أَمْرًا هَائِلًا وَمَنْظَرًا عَجَبِيًّا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ^(٤): ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَتَرَىٰ

(١) تقدم ذلك ٢٧١/١ .

(٢) (٢ - ٢) سقط من : ح .

(٣) التفسير ٢١٨/٣ ، ٢١٩ .

الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
 مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا
 وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ [المائدة: ١١٠، ١١١]. يُذَكِّرُهُ تَعَالَى بِبِعْثِهِ عَلَيْهِ،
 وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ فِي خَلْقِهِ إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ أَبِي، بَلْ مِنْ أُمِّ بَلَا ذَكْرِ، وَجَعَلَهُ لَهُ آيَةً
 لِلنَّاسِ، وَدَلَالَةً عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، ثُمَّ إِرْسَالِهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ﴿وَعَلَى
 وَلَدَيْكَ﴾ فِي اصْطِفَائِهَا وَاخْتِيَارِهَا لِهَذِهِ النُّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، [١/٢٦٤و] وَإِقَامَةِ
 الْبُرْهَانِ عَلَى بَرَاءَتِهَا بِمَا نَسَبَهَا إِلَيْهِ الْجَاهِلُونَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ يَرْجُحُ
 الْقُدُّسِ﴾ وَهُوَ جَبْرِيلُ، بِإِلْقَاءِ رُوحِهِ إِلَى أُمِّهِ، وَقَوْنِهِ مَعَهُ فِي حَالِ رِسَالَتِهِ،
 وَمُدَافَعَتِهِ عَنْهُ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ أَيْ؛ تَدْعُو
 النَّاسَ إِلَى اللَّهِ فِي حَالِ صَغَرِكَ فِي مَهْدِكَ، وَفِي كَهُولِكَ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
 الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أَيْ؛ الْخَطَّ وَالْفَهْمَ. نَصَّ عَلَيْهِ بَعْضُ السَّلَفِ
 ﴿وَالْتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةَ الْعِصَى﴾ أَيْ؛ تُصَوِّرُهُ
 وَتُشَكِّلُهُ مِنَ الطِّينِ عَلَى هَيْئَتِهِ، عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ ﴿فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
 بِإِذْنِي﴾ أَيْ؛ بِأَمْرِي. يُؤَكِّدُ تَعَالَى بِذِكْرِ الْإِذْنِ لَهُ فِي ذَلِكَ؛ لِرَفْعِ التَّوْهُمِ.
 وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ﴾ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: وَهُوَ الَّذِي يُؤَلِّدُ أَعْمَى،
 وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْحُكَمَاءِ إِلَى مُدَاوَاتِهِ ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وَهُوَ الَّذِي لَا طِبَّ
 فِيهِ، بَلْ قَدْ مَرَضَ بِالْبَرَصِ وَصَارَ دَاوُهُ ^(١) غَضَالًا ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ أَيْ؛
 مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ بِإِذْنِي. وَقَدْ تَقَدَّمَ مَا فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى وَقُوعِ ذَلِكَ مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً

(١) فِي الْأَصْلِ، ص: «دَوَاوُهُ»
 (٢) وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي - ٤٨٤

تَمَّا فِيهِ كِفَايَةٌ . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ وذلك حين أرادوا صَلْبَهُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْقَذَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ ؛ صِيَانَةً لِحَنَابِهِ الْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى ، وَسَلَامَةً لَهُ مِنَ الرَّدَى . وَقَوْلُهُ : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَآمَنَّا وَآمَنَّا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ قيل : المراد بهذا الوحي وَحْيُ إِلْهَامٍ ^(١) . أَيْ أَرْشَدَهُمُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَذَلَّلَهُمْ عَلَيْهِ ، كَمَا قَالَ : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل : ٦٨] . ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْتَقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصاص : ٧] . وقيل : المراد وَحْيٌ بِوَاسِطَةِ الرَّسُولِ ، وَتَوْفِيقٌ فِي قُلُوبِهِمْ لِقَبُولِ الْحَقِّ ؛ وَلِهَذَا اسْتَجَابُوا قَائِلِينَ : ﴿ آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؛ أَنْ جَعَلَ لَهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا وَخَوَارِجِينَ يُنْصِرُونَهُ وَيَدْعُونَ مَعَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى لِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنُصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٢ ، ٦٣] . وَقَالَ تَعَالَى ^(٣) : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴾ ^(٤) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ

(١) فِي ص : « الْمَنَام » .

(٢) التفسير ٣٥/٢ - ٣٧ .

وَالْأَنْبَرَمَ وَأُنْحِ الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا [١/٢٦٤ ط] لِمَا بَيَّنَّ
 يَدَىٰ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ
 مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
 مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
 قَالَ الْحَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ رَبَّنَا
 ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٤﴾ وَمَكْرُؤًا
 وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٥﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٥٤] .

كانت مُعْجَزَةُ كُلِّ نَبِيٍّ فِي زَمَانِهِ بِمَا يُنَاسِبُ أَهْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ ؛ فَذَكَرُوا أَنَّ
 مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كَانَتْ مُعْجَزَتُهُ بِمَا يُنَاسِبُ أَهْلَ زَمَانِهِ ، فَكَانُوا سَحَرَةً
 أَذْكَاءَ ، فُبِعِثَ بِآيَاتٍ بَهَّرَتِ الْأَبْصَارَ ، وَخَضَعَتْ لَهَا الرِّقَابُ ، وَلَمَّا كَانَ السَّحَرَةُ
 خَبِيرِينَ بِقُنُونِ السَّحْرِ وَمَا يُنْتَهَى إِلَيْهِ ، وَعَايَنُوا مَا عَايَنُوا مِنَ الْأَمْرِ الْبَاهِرِ الْهَائِلِ ،
 الَّذِي لَا يُمْكِنُ صَدُورُهُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَجْرَى الْخَارِقِ عَلَى يَدَيْهِ تَضَدِيقًا لَهُ ،
 أَسْلَمُوا سِرَاعًا ، وَلَمْ يَتَلَعَّنُوهُ ، وَهَكَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بُعِثَ فِي زَمَنِ الطَّبَائِعِيَّةِ
 الْحُكَمَاءِ ، فَأُرْسِلَ بِمُعْجَزَاتٍ لَا يَسْتَطِيعُونَهَا وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهَا ، وَأُنِّي لِحَكِيمِ إِبْرَاهِيمَ
 الْأَكْمَرِ ، الَّذِي هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنَ الْأَعْمَى ، وَالْأَبْرَصِ ، وَالْمَجْذُومِ ، وَمَنْ بِهِ مَرَضٌ
 مُزْمِنٌ ، وَكَيْفَ يَتَوَصَّلُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَ الْمَيِّتَ مِنْ قَبْرِهِ ، هَذَا بِمَا يَغْلَمُ
 كُلُّ أَحَدٍ أَنَّهُ ^(١) مُعْجَزَةٌ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ مَنْ قَامَتْ بِهِ ، وَعَلَى قُدْرَةِ مَنْ أَرْسَلَهُ ،
 وَهَكَذَا مُحَمَّدٌ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، بُعِثَ فِي زَمَنِ

(١) سقط من : م .

الْفُصَحَاءِ الْبَلَّغَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، فَلَقْظُهُ مُعْجِزٌ، تَحَدَّى بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنُّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ أَوْ بِعَشْرِ سُورٍ مِنْ مِثْلِهِ أَوْ بِسُورَةٍ، وَقَطَعَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ، لَا فِي الْحَالِ وَلَا فِي الْإِسْتِقْبَالِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا وَلَنْ يَفْعَلُوا، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ كَلَامُ الْخَالِقِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَعْمَالِهِ.

والمقصودُ أنَّ عيسى، عليه السلام، لما أقامَ عليهم الحُجُجَ والبراهينَ، استمرَّ أَكْثَرُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، فَانْتَدَبَ لَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ طَائِفَةً صَالِحَةً، ^(١) «فَكَانُوا لَهُ» أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، قَامُوا بِمُتَابَعَتِهِ وَنُصْرَتِهِ وَمُتَنَاصَحَتِهِ، وَذَلِكَ حِينَ هَمَّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَوَسَّوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِهِ وَصَلْبِهِ، فَأَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَرَفَعَهُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ، وَأَلْقَى شِبْهَهُ عَلَى أَحَدِ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَهُمْ يَعْتَقِدُونَهُ عِيسَى، وَهُمْ فِي ذَلِكَ غَالِطُونَ، وَلِلْحَقِّ مَكَابِرُونَ، وَسَلَّمْ لَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ النَّصَارَى مَا ادَّعَوْهُ، [١/ ٢٦٥] وَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ فِي ذَلِكَ مُخْطِئُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِكِينَ﴾. وَقَالَ تَعَالَى ^(٢): ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ النُّورِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ

(١ - ١) ليس في : الأصل ، ص .

(٢) التفسير ١٣٥/٨ - ١٣٨ .

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ [الصف: ٦-٩] . إلى أن قال بعد ذلك ^(١) : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لَلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا بِطَائِفَةٍ مِنْ بَنَاتِ إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ [الصف: ١٤] . فعيسى ، عليه السلام ، هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل ، وقد قام فيهم خطيباً فبشّرهم بخاتم الأنبياء الآتى بعده ، ونوّه باسمه ، وذكر لهم صفته ليغرفوه ويؤتبعوه إذا شاهدوه ؛ إقامة للحجة عليهم ، وإحساناً من الله إليهم ، كما قال تعالى ^(٢) : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِذْ بَرَأَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

قال محمد بن إسحاق ^(٣) : حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال :

(١) التفسير ١٣٩/٨ ، ١٤٠ .

(٢) التفسير ٤٨١/٣ - ٤٨٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/١٦٦ ، ومن طريق ابن إسحاق رواه الطبري في تفسيره ٥٥٦/١ ، والحاكم في المستدرک ٢/٦٠٠ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٤٥) .

« دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » . وقد رُوي عن العِزْبَاضِ بْنِ سَارِيَّةَ ، وَأَبِي أَمَامَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوُ هَذَا ^(١) ، وَفِيهِ : « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وَبُشْرَى عِيسَى » . وَذَلِكَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا بَنَى الْكَعْبَةَ قَالَ : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ [الْبَقَرَةُ : ١٢٩] . وَلَمَّا انْتَهَتْ النَّبِيُّوَةُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى عِيسَى ، قَامَ فِيهِمْ خَطِيئًا ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ النَّبِيُّوَةَ قَدْ انْقَطَعَتْ عَنْهُمْ ، وَأَنَّهَا بَعْدَهُ فِي النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأُمِّيِّ ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، أَحْمَدًا ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، الَّذِي هُوَ مِنْ سُلَالَةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ . يُحْتَمَلُ عَوْدُ الصُّمَيْرِ إِلَى عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، [١/٢٦٥ ظ] وَيُحْتَمَلُ عَوْدُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ، ثُمَّ حَرَضَ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَنُصْرَةِ نَبِيِّهِ وَمُؤَاوَزَتِهِ وَمَعَاوَنَتِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ ، فَقَالَ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ أَيُ ؛ مَنْ يَسَاعِدُنِي فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﴾ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : النَّاصِرَةُ . فَسَمُّوا النَّصَارَى بِذَلِكَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ﴾ يَعْنِي ، لَمَّا دَعَا عِيسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَغَيْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، مِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ،

(١) حَدِيثُ الْعِرْبَاضِ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٥٦/١ . وَحَدِيثُ أَبِي أَمَامَةَ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ ٥/٢٦٢ ، وَابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ ١٠٢/١ ، وَابْنُ عَدَى فِي الْكَامِلِ ٢٠٥٥/٦ ، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ ٢٢٢/٨ : رَوَاهُ أَحْمَدُ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ ، وَلَهُ شَوَاهِدُ تَقْوِيهِ . قَالَ الْأَبْنَانِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (١٥٤٦) : قُلْتُ : مِنْهَا الْحَدِيثُ الَّذِي قَبْلَهُ أَيْ حَدِيثُ (١٥٤٥) .

فكان يَمُنُّ آمَنَ به أهلُ أنطاكيةَ بكمالِهِم ، فيما ذَكَرَهُ غيرُ واحدٍ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ
والتَّوَارِيخِ والتَّفْسِيرِ ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا^(١) ثَلَاثَةً ، أَحَدُهُمْ شَمْعُونُ الصِّفَا ، فَأَمَّنُوا
وَاسْتَجَابُوا^(٢) ، وَلَيْسَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمَذْكُورِينَ فِي سُورَةِ « يَس » ؛ لِأَنَّ تَقَدَّمَ تَقْرِيرَهُ
فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ^(٣) ، وَكَفَرَ آخَرُونَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَهُمْ جَمَاهُورُ
الْيَهُودِ ، فَأَيَّدَ اللَّهُ مَنْ آمَنَ بِهِ عَلَى مَنْ كَفَرَ فِيمَا بَعْدُ ، وَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ عَلَيْهِمُ
قَاهِرِينَ لَهُمْ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُعْطِيكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [آيَةُ آلِ عِمْرَانَ : ٥٥] . فَكُلُّ مَنْ كَانَ إِلَيْهِ أَقْرَبَ ،
كَانَ^(٥) غَالِبًا لِمَنْ دُونَهُ^(٦) ، وَلَمَّا كَانَ قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ،
مِنْ أَنَّ اللَّهَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، كَانُوا ظَاهِرِينَ عَلَى النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَوْا فِيهِ وَأَطَرَوْهُ ،
وَأَنْزَلُوهُ فَوْقَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَلَمَّا كَانَ النَّصَارَى أَقْرَبَ فِي الْجُمْلَةِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ
الْيَهُودُ فِيهِ^(٧) ، عَلَيْهِمْ لِعَائِثُ اللَّهِ ، كَانَ النَّصَارَى قَاهِرِينَ لِلْيَهُودِ فِي أَزْمَانِ الْفِتْرِ
إِلَى زَمَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) سقط من : ح .

(٢) فِي ص : « استعجلوا » .

(٣) تقدم في صفحة ٨ - ١٣ .

(٤) التفسير ٣٧ / ٢ - ٣٩ .

(٥ - ٥) فِي ح ، م ، ص : « عالياً فَمِنْ دُونِهِ » .

(٦) سقط من : ح ، م .

ذِكْرُ خَيْرِ الْمَائِدَةِ

قال الله تعالى^(١) : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقَتْنَا وَكُنْ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ١١٢ - ١١٥]. قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة، عن ابن عباس، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وغيرهم من السلف^(٢)، ومضمون ذلك، أنَّ عيسى، عليه السلام، أَمَرَ الحواريين [٢٦٦/١] بصيام ثلاثين يوماً، فلما أتموها، سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم لِيَأْكُلُوا مِنْهَا، وَتَطْمِئِنَّ بِذَلِكَ قُلُوبُهُمْ، أَنَّ اللَّهَ قد تَقَبَّلَ صِيَامَهُمْ وَأَجَابَهُمْ إِلَى طَلِبَتِهِمْ، وَتَكُونَ لَهُمْ عِيدًا يُفْطِرُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ فِطْرِهِمْ، وَتَكُونَ كَافِيَةً لِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، لِيَغْنِيَهُمْ وَفَقِيرِهِمْ، فَوَعَّظَهُمْ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي ذَلِكَ، وَخَافَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَقْرَأُوا بِشُكْرِهَا، وَلَا يُؤَدُّوا حَقَّ شُرُوطِهَا، فَأَبَوْا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ لَهُمْ ذَلِكَ مِنْ رَبِّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَلَمَّا لَمْ يُقْلِعُوا عَنْ ذَلِكَ، قَامَ إِلَى مُصَلَّاهُ وَلَيْسَ مِسْحًا مِنْ شَعْرِ، وَصَفَّ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَأَطْرَقَ رَأْسَهُ، وَأَسْبَلَ عَيْنَيْهِ بِالْبُكَاءِ، وَتَضَرَّعَ

(١) التفسير ٢١٩/٣ - ٢٢٦.

(٢) التفسير ٢١٩/٣ - ٢٢٥.

إلى الله في الدعاء والسؤال ، أن يجابوا إلى ما طلبوا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَائِدَةَ
 مِنَ السَّمَاءِ ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا تَنَحُّدِرُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ ، وَجَعَلَتْ تَذْنُو قَلِيلًا
 قَلِيلًا ، وَكَلَّمَا ذَنَتْ سَأَلَ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، رَبَّهُ ، عِزَّ وَجَلَّ ، أَنْ يَجْعَلَهَا
 رَحْمَةً لَا نِقْمَةَ ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا بَرَكَةً وَسَلَامَةً ، فَلَمْ تَزَلْ تَذْنُو حَتَّى اسْتَقَرَّتْ بَيْنَ
 يَدَيْ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهِيَ مُعْطَاةٌ بِمَنْدِيلٍ ، فَقَامَ عِيسَى يَكْشِفُ عَنْهَا ،
 وَهُوَ يَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ خَيْرَ الرَّازِقِينَ . فَإِذَا عَلَيْهَا سَبْعَةُ مِنَ الْحَيَّاتِ ، وَسَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ ،
 وَيُقَالُ : وَخَلَّ . وَيُقَالُ : وَرُمَانٌ وَثِمَارٌ^(١) . وَلَهَا رَائِحَةٌ عَظِيمَةٌ جَدًّا . قَالَ اللَّهُ
 لَهَا : كُونِي . فَكَانَتْ ، ثُمَّ أَمَرَهُم بِالْأَكْلِ مِنْهَا ، فَقَالُوا : لَا نَأْكُلُ حَتَّى تَأْكُلَ .
 فَقَالَ : إِنَّكُمْ الَّذِينَ ابْتَدَأْتُمُ السُّؤَالَ لَهَا . فَأَبَوْا أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ابْتِدَاءً ، فَأَمَرَ الْفُقَرَاءَ
 وَالْمَحَاوِجَ وَالْمَرْضَى وَالزُّمَنَى ، وَكَانُوا قَرِيبًا مِنْ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ^(٢) فَأَكَلُوا مِنْهَا فَتَبَرَأَ
 كُلُّ مَنْ بِهِ عَاهَةٌ ، أَوْ آفَةٌ ، أَوْ مَرَضٌ مُزْمِنٌ ، فَتَنِدَّمَ النَّاسُ عَلَى تَرْكِ الْأَكْلِ مِنْهَا ؛
 لِمَا رَأَوْا مِنْ إِصْلَاحِ حَالِ أَوْلَئِكَ ، ثُمَّ قِيلَ : إِنَّهَا كَانَتْ تَنْزِلُ كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً^(٣) ،
 فَيَأْكُلُ النَّاسُ مِنْهَا ، يَأْكُلُ آخِرُهُمْ كَمَا يَأْكُلُ أَوَّلُهُمْ ، حَتَّى قِيلَ : إِنَّهَا كَانَ يَأْكُلُ
 مِنْهَا نَحْوُ سَبْعَةِ آلَافٍ . ثُمَّ كَانَتْ تَنْزِلُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ، كَمَا كَانَتْ نَاقَةٌ صَالِحٍ
 يَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ . ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ عِيسَى أَنْ يَقْضُرَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ أَوْ
 الْمَحَاوِجِ ، دُونَ الْأَغْنِيَاءِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ ، وَتَكَلَّمُوا مُنَافِقُوهُمْ فِي
 ذَلِكَ ، فَرُفِعَتْ بِالْكُلَيْيَةِ ، وَمُسِخَّ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ خَنَازِيرَ .

(١) سقط من : الأصل .

(٢) في الأصل : « ستمائة » . وانظر التفسير ٣ / ٢٢٤ .

(٣) سقط من : الأصل ، ص .

وقد رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَابْنُ جَرِيرٍ^(١) جَمِيعًا، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ قُرَّةَ^(٢) الْبَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا سَفْيَانُ بْنُ حَبِيبٍ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ خِلَاسٍ^(٣)، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَزَلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ، خُبِيرٌ وَلَحْمٌ، وَأُمِرُوا أَنْ لَا يَخُونُوا، وَلَا يَدَّخِرُوا، وَلَا يَزِفَعُوا لَغْدٍ، فَخَانُوا، وَادَّخَرُوا، وَزَفَعُوا، فَمُسِخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ». ثُمَّ رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ^(٤) عَنْ بُنْدَارٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ [٢٦٦/١ ظ] عَنْ خِلَاسٍ، عَنْ عَمَّارٍ، مَوْثُوقًا، وَهَذَا أَصَحُّ، وَكَذَا رَوَاهُ^(٥) مِنْ طَرِيقِ سِمَاكِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي عِجْلٍ^(٦) عَنْ عَمَّارٍ، مَوْثُوقًا، وَهُوَ الصَّوَابُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَخِلَاسٌ عَنْ عَمَّارٍ مُنْقَطِعٌ، فَلَوْ صَحَّ هَذَا الْحَدِيثُ مَرْفُوعًا، لَكَانَ قَيْصَلًا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ؛ فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا فِي الْمَائِدَةِ، هَلْ نَزَلَتْ أَمْ لَا؟ فَالْجَمْهُورُ، أَنَّهَا نَزَلَتْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآثَارُ، وَكَمَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْ ظَاهِرِ سِيَاقِ الْقُرْآنِ، وَلَا سِيَّمًا قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ كَمَا قَرَّرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ جَرِيرٍ^(٧) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ إِلَى مُجَاهِدٍ، وَإِلَى الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، أَنَّهُمَا قَالَا: لَمْ تَنْزِلْ وَإِنَّهُمْ أَبَوْا نُزُولَهَا، حِينَ قَالَ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا

(١) عزاه في الدر المنثور ٣٤٨/٢ إلى ابن أبي حاتم، ورواه الطبري في تفسيره ١٣٤/٧. وانظر (ضعيف سنن الترمذي ٥٨٧).

(٢) في الأصل: «نزع»، وفي ص: «عرفة»، وانظر تهذيب الكمال ٣٠٣/٦.

(٣) في الأصل: «جلاس»، وفي «تفسير الطبري» بتحقيق أحمد شاكر ٢٢٨/١١: «خلاس». وهو الصواب انظر تهذيب الكمال ٣٦٤/٨.

وقال الشيخ أحمد شاكر: في المطبوعة: «جلاس»، وهو خطأ.

(٤) تفسير الطبري ١٣٤/٧.

(٥) تفسير ابن جرير ١٣٤/٧.

(٦) في الأصل: «عجيل». وهو خطأ. انظر تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (٢٢٨/١١).

(٧) تفسير الطبري ١٣٥/٧.

أَعَذَّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٤٠﴾ . ولهذا قيل : إِنَّ النَّصَارَى لَا يَعْرِفُونَ خَبَرَ الْمَائِدَةِ ،
وليس مذكورًا في كتابهم مع أن خَبَرَهَا يَمَّا تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ . وقد تَقَصَّيْنَا الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي « التفسير » ، فليَكْتُبْ مِن هُنَاكَ ، وَمَنْ
أَرَادَ مَرَاجَعَتَهُ فَلْيَنْظُرْهُ مِنْ ثَمَّ . وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِثَّةُ .

فصل

قال أبو بكر ابن أبي الدنيا^(١): حَدَّثَنَا رَجُلٌ سَقَطَ اسْمُهُ ، حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو هَلَالٍ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُوقِيِّ ، قَالَ : فَقَدَ الْحَوَارِيُّونَ نَبِيَّهُمْ عِيسَى ، فَقِيلَ لَهُمْ : تَوَجَّهْ نَحْوَ الْبَحْرِ . فَاَنْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْبَحْرِ ، إِذَا هُوَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ، يَوْفَعُهُ الْمَوْجُ مَرَّةً وَيَضَعُهُ أُخْرَى ، وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ مُرْتَدٍ يَنْصِفُهُ ، وَمُؤْتَرِّزٌ يَنْصِفُهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ - قَالَ أَبُو هَلَالٍ : ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنْ أَقَاضِيْلِهِمْ - : أَلَا أَجِيءُ إِلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَوَضَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَضَعَ الْأُخْرَى ، فَقَالَ : أَوْهَ ، غَرَقْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ . فَقَالَ : أَرِنِي يَدَكَ يَا قَصِيرَ الْإِيمَانِ ، لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ مِنَ الْيَقِينِ قَدَّرَ شَعِيرَةً ، مَشَى عَلَى الْمَاءِ . وَرَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ بْنُ الْأَعْرَابِيِّ^(٢) ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْحَكِيمِ^(٣) ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ ، عَنْ أَبِي هَلَالٍ ، عَنْ بَكْرِ ، بِنَحْوِهِ . ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا^(٤) : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ شَقِيقٍ^(٥) ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْعَثِ^(٦) ، عَنْ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ : قِيلَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ : يَا عِيسَى ، بِأَيِّ شَيْءٍ تَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ؟ قَالَ :

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٦/١٤ مخطوط ، من طريق ابن أبي الدنيا به .

(٢) المصدر السابق من طريق أبي سعيد بن الأعرابي به .

(٣) في الأصل ، ح : «الحكيم» . وانظر تبصير المنتبه لابن حجر ٢٤٤/١ .

(٤) تاريخ دمشق ٥٦/١٤ . مخطوط .

(٥) في م : «سفيان» . وانظر تهذيب الكمال : ١٣٤/٢٦ .

(٦) في تاريخ دمشق : «إبراهيم بن أبي الأشعث» . وانظر تهذيب الكمال ١٣٥/٢٦ .

بالإيمان واليقين . قالوا : فَإِنَّا آمَنَّا كَمَا آمَنْتَ وَأَيُّقُنَّا كَمَا أُيِّقُنْتَ . قال : فامشوا إذا . قال : فَمَشَوْا معه فى الموجِ فَغَرِقُوا . فقال لهم عيسى : ما لكم ؟ فقالوا : خِفْنَا الموج . قال : أَلَا خِفْتُمْ رَبَّ الموج . قال : فَأَخْرَجَهُمْ ثُمَّ ضَرَبَ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَبَضَ بِهَا ثُمَّ بَسَطَهَا ، فإذا فى إحدى يَدَيْهِ ذهبٌ ، وفى الأخرى مَدَرٌ أو حَصَى ، فقال : أَيُّهُمَا أَحَلَى فى قُلُوبِكُمْ ؟ قالوا : هذا الذهب . قال : فَإِنَّهُمَا عندى سواء . وقد قَدُمْنَا فى قِصَّةِ يحيى بن زكريا^(١) عن بعض السلف أَنَّ عيسى ، عليه السلام ، كان يَلْبَسُ الشَّعْرَ ، ويَأْكُلُ [٢٦٧/١] من وَرَقِ الشَّجَرِ ، ولا يَأْوِي إلى مَنْزِلٍ ولا أهلٍ ولا مالٍ ، ولا يَدَّخِرُ شَيْئًا لَغَدٍ . وقال بعضهم : كان يَأْكُلُ من غَزَلِ أُمِّهِ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه .

وروى ابنُ عساکر^(٢) عن الشعبي ، أَنَّهُ قال : كان عيسى ، عليه السلام ، إذا ذَكَرَ عنده الساعةُ صاح ، ويقول : لا ينبغي لابنِ مَرْيَمَ أَنْ تُذَكَّرَ عنده الساعةُ وَيَسْكُتَ . وعن عبد الملك بن سعيد بن أبي جَرٍّ^(٣) ، أَنَّ عيسى كان إذا سَمِعَ المؤعِظَةَ صَرَخَ صُراخَ الثُّكْلَى .

وقال عبدُ الرزاق^(٤) : أنبأنا مَعْمَرٌ ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ^(٥) : أَنَّ عيسى كان يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو ، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بِيَدِ غَيْرِي ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي ، فلا فقيرَ أفقرٍ مِنِّي ،

(١) تقدم ص ٤٠٣ - ٤٠٥ .

(٢) تاريخ دمشق ٥٧/٤ مخطوط .

(٣) فى م ، ص : « بحر » ، انظر تهذيب الكمال ٣١٣/١٨ .

(٤) أخرجه ابن عساکر فى تاريخ دمشق ٥٨/١٤ مخطوط ، من طريق عبد الرزاق به .

(٥) فى ح : « مروان » ، وفى م : « بلقان » . انظر تهذيب الكمال ١١/٥ .

اللَّهُمَّ لَا تُشِمِّتْ بِي عَدُوِّي، وَلَا تَسُوِّ بِي صَدِيقِي، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي. وقال الفضيل بن عياض^(١)، عن يونس ابن عُبيد: كان عيسى يقول: لَا «يُصِيبُ أَحَدٌ» حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا يُيَالَى مِنْ أَكْلِ الدُّنْيَا. قال الفضيل: وكان عيسى يقول: فَكَرَّثُ فِي الْخَلْقِ، فَوَجَدْتُ مَنْ لَمْ يُخْلَقْ أَغْبَطَ عِنْدِي مِمَّنْ خُلِقَ.

وقال إسحاق بن بشر^(٢)، عن هشام بن حسان، عن الحسن، قال: إِنَّ عِيسَى رَأْسَ الزَّاهِدِينَ^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قال: وَإِنَّ الْفَرَّارِينَ بِذُنُوبِهِمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ عِيسَى. قال: وَبَيْنَمَا عِيسَى يَوْمًا نَائِمٌ عَلَى حَجَرٍ قَدْ تَوَسَّدَهُ، وَقَدْ وَجَدَ لَذَّةَ النَّوْمِ، إِذْ مَرَّ بِهِ إِبْلِيسُ، فَقَالَ: يَا عِيسَى، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَرِيدُ شَيْئًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟ فَهَذَا الْحَجَرُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا. «فقام عيسى»^(٤) فَأَخَذَ الْحَجَرَ فَرَمَى بِهِ إِلَيْهِ، وَقَالَ: هَذَا لَكَ مَعَ الدُّنْيَا. وقال مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: خَرَجَ عِيسَى عَلَى أَصْحَابِهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ صَوْفٌ، وَكِسَاءٌ وَتُبَّانٌ، حَافِيًا بَاكِيًا شَعْنًا، مُصَفَّرَ اللَّوْنِ مِنَ الْجُوعِ، يَابَسَ الشَّفَتَيْنِ مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَا الَّذِي أُنْزِلْتُ الدُّنْيَا مَنَزِلَتَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَا عَجَبَ وَلَا فَخْرَ، أَتَدْرُونَ أَيْنَ يَتَّبِعِي؟ قَالُوا: أَتَيْنَ بَيْتَكَ يَا رُوحَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَيْتِي الْمَسَاجِدُ، وَطَيْبِي الْمَاءُ، وَإِذَا مَيَّ الْجُوعُ، وَسِرَاجِي الْقَمَرُ بِاللَّيْلِ، وَصَلَاتِي فِي الشِّتَاءِ مُشَارِقُ

(١) المصدر السابق، من طريق الفضيل به.

(٢ - ٣) في م: «نصيب». وفي ص: «تصيب».

(٣) المصدر السابق ٥٩/١٤، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٤) بعده في ح: «يَوْمَ الزَّاهِدِينَ».

(٥ - ٥) في م، ح: «فقال». وبعده من التاريخ: «غضبانا».

الشَّمْسِ، وَرَيْحَانِي بُقُولُ الْأَرْضِ، وَلِبَاسِي الصُّوفُ^(١)، وَشِعَارِي خَوْفُ رَبِّ الْعِزَّةِ، وَجُلَسَائِي الزُّمَنِي وَالْمَسَاكِينُ، أَصْبَحُ وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَأُمْسِي وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ، وَأَنَا طَيِّبُ النَّفْسِ،^(٢) غَنِيٌّ مُكْتَبِرٌ^(٣)، فَمَنْ أَعْنَى مِنِّي، وَأَرْبِيحُ؟ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٤).

وَرَوَى^(٥) فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ أَبَانَ بْنِ جِبَّانٍ أَبِي الْحَسَنِ الْعَقِيلِيِّ الْمِصْرِيِّ، حَدَّثَنَا هَانِئُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ الْإِسْكَدَرَانِيُّ، عَنْ حَيَّوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ، حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ، عَنْ^(٦) شُفَّيِّ بْنِ مَاتِعٍ^(٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى، أَنْ يَا عِيسَى، انْتَقِلْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، لِقَالًا تُعْرِفُ فَتُوَدَّى، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَرْوِجُكَ أَلْفَ حَوْرَاءَ، وَلَا أُولَى عَلَيْكَ أَرْبَعَمِائَةِ عَامٍ». وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ رَفَعَهُ، وَقَدْ يَكُونُ مَوْثُوقًا مِنْ رَوَايَةِ شُفَّيِّ بْنِ مَاتِعٍ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ^(٨)، عَنْ سَفِيَّانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ خَلْفِ بْنِ حَوْشِبٍ قَالَ: قَالَ عِيسَى لِلْحَوَارِيِّينَ: كَمَا تَرَكْتُ لَكُمْ الْمُلُوكَ الْحِكْمَةَ، فَكَذَلِكَ فَاتْرُكُوا [٢٦٧/١ ظ] لَهُمُ الدُّنْيَا.

(١) فِي م: «الصُّون».

(٢ - ٣) فِي النِّسْخِ: «غَيْرُ مَكْتَبِرٍ». وَالثَّبُوتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ.

(٣) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٦١/١٤ مَخْطُوطٌ.

(٤) تَارِيخِ دِمَشْقَ ٨٦/١٦، ٨٧ مَخْطُوطٌ.

(٥ - ٦) فِي م: «سَفِيٌّ بْنُ نَافِعٍ». انْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٥٤٣/١٢.

(٦) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ ٦١/١٤، مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ بِهِ.

وقال قتادة^(١) : قال عيسى ، عليه السلام : سَلُونِي لَيْتَ الْقَلْبَ ، وَإِنِّي صَغِيرٌ عِنْدَ نَفْسِي . وقال إسماعيلُ بْنُ عَيَّاشٍ عن عبدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال عيسى ، عليه السلام ، للحواريِّينَ : كُلُّوا خُبْزَ الشَّعِيرِ ، واشْرَبُوا الْمَاءَ الْقَرَّاحَ ، واخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ آمِنِينَ ، لِحَقِّ مَا أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا مَرَارَةٌ الْآخِرَةِ ، وَإِنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ ، وَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيُسْهِوا بِالْمُتَتَعِمِينَ ، لِحَقِّ مَا أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ شَرْكَكُمْ عَالَمٌ يُؤْثِرُ هَوَاهُ عَلَى عِلْمِهِ ، يَوْدُ أَنْ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِثْلُهُ . وَرَوَى نَحْوُهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢) .

وقال أبو مُصْعَبٍ^(٣) ، عن مالكٍ : إِنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عِيسَى كَانَ يَقُولُ : يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، عَلَيْكُمْ بِالْمَاءِ الْقَرَّاحِ ، وَالتَّحْقِلِ الْبَرِّيِّ ، وَالتَّخَبُّرِ الشَّعِيرِ ، وَإِيَّاكُمْ وَخُبْزَ الْبُرِّ ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقُومُوا بِشُكْرِهِ .

وقال ابنُ وَهْبٍ^(٤) ، عن سليمانَ بْنِ بِلَالٍ ، عن يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ ، قال : كَانَ عِيسَى يَقُولُ : اغْبِرُّوا الدُّنْيَا وَلَا تَغْمُرُوهَا . وَكَانَ يَقُولُ : حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَالنَّظَرُ يَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ . وَحَكَى وَهْبٌ بْنُ الْوَرْدِ مِثْلَهُ ، وَزَادَ : وَرُبَّ شَهْوَةٍ أَوْرَثَتْ أَهْلَهَا حُزْنَ طَوِيلًا^(٥) . وَعَنْ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا ابْنَ آدَمَ الضَّعِيفَ ، اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا ضَعِيفًا^(٦) ، وَاتَّخِذِ الْمَسَاجِدَ بَيْتًا ، وَعَلِّمْ عَيْنَكَ الْبُكَاءَ ، وَجَسَدَكَ الصَّبْرَ ، وَقَلْبَكَ التَّفَكُّرَ ، وَلَا تَهْتَمَّ

(١) تاريخ دمشق ٦٢/١٤ مخطوط .

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/١٤ مخطوط .

(٣) المصدر السابق ٦٣/١٤ من طريق أبي مصعب به .

(٤) المصدر السابق ٦٣/١٤ من طريق ابن وهب به .

(٥) تاريخ دمشق ٦٣/١٤ مخطوط .

(٦) في ص : « ضعیفًا » .

برزقي غَدٍ، فَإِنَّهَا حَطِيئَةٌ^(١). وعنه، عليه السَّلامُ، أَنَّهُ قالَ: كما أَنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَى مَوْجِ الْبَحْرِ دَارًا، فلا يَتَّخِذِ الدُّنْيَا قَرَارًا. وفي هذا يقولُ سَابِقُ الْبَزْزِيِّ:

لَكُمْ بِيوتٌ بِمَسْتَنٍّ^(٢) السَّيُولِ^(٣) وَهَلْ يَتَّقَى^(٤) عَلَى الْمَاءِ بَيْتٌ أَشْهُ مَدَرُ^(٥)

وقال سفيانُ الثَّورِيُّ^(٦): قال عيسى ابنُ مريمَ: لا يَسْتَقِيمُ حُبُّ الدُّنْيَا وَحُبُّ الآخِرَةِ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ، كما لا يَسْتَقِيمُ الْمَاءُ وَالنَّارُ فِي إِناءٍ. وقال إبراهيمُ الحَرَبِيُّ^(٧)، عن داودَ بنِ رُشيدٍ، عن أبي عبدِ اللَّهِ الصُّوفِيِّ، قال: قال عيسى: طالِبُ الدُّنْيَا مِثْلُ شاربٍ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلُّما ازدادَ شُرْبًا ازدادَ عَطَشًا، حتَّى يَقْتُلَهُ. وعن عيسى، عليه السَّلامُ، أَنَّ الشَّيْطَانَ مع الدُّنْيَا،^(٨) وَمَكْرَهُ مع^(٩) المالِ، وتَزِينَهُ مع الهوى، واشتِمَكَانَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ^(١٠). وقال الأَعْمَشُ^(١١)، عن خَيْثَمَةَ: كان عيسى يَصْنَعُ^(١٢) الطَّعَامَ لِأَصْحابِهِ، ويقومُ عليهم، ويقولُ: هكذا فاصْنَعُوا بِالْقَرَى. وبه قالتِ امرأةُ لعيسى، عليه السَّلامُ: طُوْنِي لِحِجْرِ حَمَلَكْ، وَلِتُنْذِي

(١) تاريخ دمشق ٦٣/١٤، ٦٤ مخطوط.

(٢) في ح، ص: «بمستن».

(٣) في م: «السيوف».

(٤) في م: «يبنى».

(٥) المصدر السابق ٦٥/١٤.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المصدر السابق، من طريق إبراهيم الحربي به.

(٨ - ٨) في م: «فكره من».

(٩) تاريخ دمشق ٦٥/١٤ مخطوط.

(١٠) المصدر السابق ٦٦/١٤، من طريق الأعمش به.

(١١) في م: «يضع».

أَرْضَعَكَ . فقال: طُوِي لِمَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللَّهِ وَاتَّبَعَهُ ^(١) . وعنه : طُوِي لِمَنْ بَكَى مِنْ ذِكْرِ خَطِيئَتِهِ ، [٢٦٨/١ د] وَحَفِظَ لِسَانَهُ ، وَوَسِعَهُ يَتُّهُ ^(٢) . وعنه : طُوِي لِعَيْنِ نَامِثٍ ، وَلَمْ تُحَدِّثْ نَفْسُهَا بِالْمَعْصِيَةِ ، وَانْتَبَهَتْ إِلَى غَيْرِ إِثْمٍ ^(٣) . وعن مالك بن دينارٍ ، قال : مرَّ عيسى وأصحابه بجيفةٍ ، فقالوا : ما أَثَنَ رِيحُهَا . فقال : ما أبيضُ أَشْنَانِهَا . لِيَتَهَاوَمَ عَنْ الْغِيْبَةِ ^(٤) . وقال أبو بكرٍ ابنُ أبي الدنيا ^(٥) : حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عَدِيٍّ ، قَالَ : قَالَ عيسى ابنُ مريمَ : يَا مَعْشَرَ الْخَوَارِيزِ ، ارْضُوا بِدَنِيِّ الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ ، كَمَا رَضِيَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدَنِيِّ الدِّينِ مَعَ سَلَامَةِ الدُّنْيَا . قَالَ زَكَرِيَّا ^(٦) : وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ ^(٧) :

أَرَى رِجَالًا بِأَذْنَى الدِّينِ قَدْ قَتَعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْدُّونِ
فَاسْتَغْنِ بِالْدِّينِ ^(٨) عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَغْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

وقال أبو مُصْعَبٍ ^(٩) ، عَنْ مَالِكٍ : قَالَ عيسى ابنُ مريمَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا تُكْثِرُوا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ ، فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ الْعِبَادِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ ، وَانظُرُوا فِيهَا

(١) تاريخ دمشق ٦٦/١٤ مخطوط .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ٦٧/١٤ .

(٤) المصدر السابق ٦٨/١٤ .

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا ، في كتاب « ذم الدنيا » برقم (٤٤٩) .

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا ، في كتاب « ذم الدنيا » برقم (٤٥٠) .

(٧) وفي حلية الأولياء ٣٧٦/٦ : قال زكريا بن عدي : كان الثوري يتمثل . ثم ساق البيتين .

(٨) في ص : « بالله » .

(٩) في تاريخ دمشق : « مصعب » . انظر تهذيب الكمال (٢٧٨/١) . والأثر أخرجه ابن عساكر في

تاريخ دمشق ٧٠/١٤ مخطوط ، من طريق أبي مصعب به .

كَأَنَّكُمْ عبيدٌ ، فَأَيُّ النَّاسِ رَجُلَانِ مُعَافَى وَمُبْتَلَى ، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ ، وَاحْمَدُوا
اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ .

وقال الثَّوْرِيُّ^(١) : سمعتُ أبا يقول ، عن إبراهيم التَّيْمِيّ ، قال : قال عيسى
لأصحابه : بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ : مَنْ طَلَبَ الْفِرْدَوْسَ ، فَخُبِرَ الشَّعِيرِ لَهُ ، وَالنُّومُ فِي
الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ كَثِيرٌ .

وقال مالكُ بْنُ دِينَارٍ : قال عيسى : إِنَّ أَكْلَ الشَّعِيرِ مَعَ الرَّمَادِ ، وَالنُّومُ عَلَى
الْمَزَابِلِ مَعَ الْكِلَابِ لَقَلِيلٌ فِي طَلَبِ الْفِرْدَوْسِ^(٢) .

وقال عبدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ^(٣) : أَتَبْنَا سَفِيانَ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي
الْجَعْدِ ، قَالَ : قَالَ عيسى : اْعْمَلُوا لِلَّهِ ، وَلَا تَعْمَلُوا لِبُطُونِكُمْ ، انظُرُوا إِلَى هَذِهِ
الطَّيْرِ ، تَغْدُو وَتَزُوحُ ، لَا تَحْرُثُ وَلَا تَحْصُدُ ، وَاللَّهُ يَزْرُقُهَا ، فَإِنْ قَلْتُمْ : نَحْنُ أَعْظَمُ
بُطُونًا مِنَ الطَّيْرِ . فَانظُرُوا إِلَى هَذِهِ الْأَبَاقِرِ^(٤) مِنَ الْوَحُوشِ وَالْحُمُرِ ، فَإِنَّهَا تَغْدُو
وَتَزُوحُ لَا تَحْرُثُ وَلَا تَحْصُدُ ، وَاللَّهُ يَزْرُقُهَا .

وقال صفوانُ بْنُ عَمْرٍو^(٥) ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ^(٦) ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ
قَالَ : قَالَ الْخَوَارِيُّونَ لِلْمَسِيحِ : يَا مَسِيحَ اللَّهِ ، انظُرْ إِلَى مَسْجِدِ اللَّهِ مَا أَحْسَنَهُ .
قَالَ : آمِينَ آمِينَ ، بِحَقِّ^(٧) أَقُولُ لَكُمْ : لَا يَثْرُكُ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ حَجَرًا قَائِمًا

(١) المصدر السابق ، من طريق الثوري به .

(٢) تاريخ دمشق ٧٠/١٤ مخطوط .

(٣) المصدر السابق ٧١/١٤ ، من طريق عبد الله بن المبارك به .

(٤) في م : « الْأَبَاقِير » .

(٥) المصدر السابق ٧٥/١٤ ، من طريق صفوان بن عمرو به .

(٦) في م : « عبد الله » . انظر تهذيب الكمال ٤٤٦/١٢ .

(٧) بعده في م : « ما » .

إِلَّا أَهْلَكَهُ بِذُنُوبِ أَهْلِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْنَعُ بِالذَّهَبِ وَلَا بِالْفِضَّةِ، وَلَا بِهِذِهِ الْأَخْجَارِ الَّتِي تُعْجِبُكُمْ شَيْئًا، إِنَّ أَحَبَّ^(١) إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْقُلُوبُ الصَّالِحَةُ، وَبِهَا يُعَمَّرُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَبِهَا يُخَرَّبُ اللَّهُ الْأَرْضَ إِذَا كَانَتْ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ.

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه»^(٢): أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصُّوفِيُّ [٢٦٨/١ ظ]، أَخْبَرَنَا عَائِشَةُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْوَزْكَانِيَّةُ^(٣)، قَالَتْ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْهَيْثَمِ^(٤) إِمْلَاءً، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ إِمْلَاءً، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ^(٥) الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا سَهْلُ^(٦) بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ^(٧)، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنِ الْمُعْتَمِرِ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: مَرَّ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى مَدِينَةٍ خَرِبَةٍ فَأَعْجَبَهُ الْبُيُوتَانُ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ، مَرُّ هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُجِيبَتِي. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ: أَتَيْتُهَا الْمَدِينَةُ الْخَرِبَةُ، جَاوِبِي عِيسَى. قَالَ: فَنَادَتْ الْمَدِينَةُ^(٨) عِيسَى: حَبِيبِي، وَمَا تَرِيدُ مِنِّي؟ قَالَ: مَا فَعَلَ أَشْجَارُكَ، وَمَا فَعَلَ أَنْهَارُكَ، وَمَا فَعَلَ قُصُورُكَ، وَأَيْنَ سُكَّانُكَ؟ قَالَتْ: حَبِيبِي، بَجَاءِ وَعْدِ رَبِّكَ الْحَقِّ، فَيَبْسُتُ أَشْجَارِي، وَتَنْشِفُ أَنْهَارِي، وَتُخْرِبُتُ قُصُورِي، وَمَاتَ سُكَّانِي. قَالَ: فَأَيُّ أَمْوَالِهِمْ؟ قَالَتْ: جَمَعُوهَا مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، مَوْضُوعَةً فِي بَطْنِي، لِلَّهِ مِيرَاثُ

(١) بعده في الأصل: «ما».

(٢) تاريخ دمشق ١٤/٧٥، ٧٦ مخطوط.

(٣) في الأصل: «الدركانية». وفي ص: «الدركية».

(٤) في الأصل: «الهيثم». وفي م: «الهيثم».

(٥) سقط من: ح.

(٦) في م: «سهيل».

(٧) في ح: «الخطلي».

(٨) في تاريخ دمشق: «الملائكة». وهو خطأ.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . قال : فنَادَى عيسى ، عليه السَّلامُ : فَعَجِبْتُ مِنْ ثَلَاثِ
أُنَاسٍ ؛ طَالِبِ الدُّنْيَا وَالْمَوْتِ يَطْلُبُهُ ، وَبَانِي الْقُصُورِ وَالْقَبْرِ مَنْزِلُهُ ، وَمَنْ يَضْحَكُ مِلْءَ
فِيهِ وَالنَّارُ أَمَامَهُ ، ابْنُ آدَمَ ، لَا بِالكَثِيرِ تَشْبَعُ ، وَلَا بِالْقَلِيلِ تَقْنَعُ ، تَجْمَعُ مَالَكَ لِمَنْ لَا
يَحْمَدُكَ ، وَتُقَدِّمُ عَلَى رَبِّ لَا يَقْدُرُكَ ، إِنَّمَا أَنْتَ عَبْدُ بَطْنِكَ وَشَهْوَتِكَ ، وَلَئِنَّمَا تَمَلَأُ
بَطْنَكَ إِذَا دَخَلْتَ قَبْرَكَ ، وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ تَرَى حَشْدَ مَالِكَ فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ . هذا
حديثٌ غريبٌ جدًّا ، وفيه موعظةٌ حَسَنَةٌ ، فكتبناه لذلك .

وقال سفيانُ الثَّورِيُّ^(١) ، عن أبيه ، عن إبراهيمَ التَّيْمِيِّ ، قال : قال عيسى ،
عليه السَّلامُ : يَا مَعْشَرَ الْخَوَارِثِينَ ، اجْعَلُوا كُنُوزَكُمْ فِي السَّمَاءِ ، فَإِنَّ قَلْبَ الرَّجُلِ
حَيْثُ كَنَزَهُ . وقال ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ^(٢) ، عن عبد العزيزِ بْنِ ظَبْيَانَ ، قال : قال عيسى
ابْنُ مَرْيَمَ ، عليه السَّلامُ : مَنْ تَعَلَّمَ وَعَلَّمَ وَعَمِلَ ، دُعِيَ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَاءِ . وقال أَبُو كُرَيْبٍ : رَوَى أَنَّ عيسى ، عليه السَّلامُ ، قال : لَا خَيْرَ فِي
عِلْمٍ لَا يَقْبُرُ مَعَكَ الْوَادِي ، وَلَا يَعْمُرُ^(٣) بَكَ النَّادِي^(٤) .

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ^(٥) ، بِإِسْنَادٍ غَرِيبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا ، أَنَّ عيسى ،
عليه السَّلامُ ، قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْخَوَارِثِينَ ، لَا تُحَدِّثُوا
بِالْحِكْمَةِ^(٦) غَيْرَ أَهْلِهَا ، فَتُظْلِمُوهَا ، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا ، فَتُظْلِمُوهُمْ ، وَالْأُمُورُ
ثَلَاثَةٌ ؛ أَمْرٌ تَبَيَّنَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ غَيِّهِ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ

(١) أخرجه في تاريخ دمشق (٧٦/١٤) مخطوط ، من طريق الثوري به .

(٢) المصدر السابق ، من طريق ثور بن يزيد به .

(٣) في ح ، م «يعبر» ، وفي الأصل ، ص : «يعمر» . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤) تاريخ دمشق ٧٦/١٤ مخطوط .

(٥) المصدر السابق ٧٧/٦٤ .

(٦) في م : «بالحكم» .

فيه ^(١) فرُدُّوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

وقال عبدُ الرزَّاقِ ^(٢) : أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ : قَالَ عِيسَى : لَا تَطْرَحُوا اللَّؤْلُؤَ إِلَى الْخِنْزِيرِ ؛ فَإِنَّ الْخِنْزِيرَ لَا يَصْنَعُ بِاللَّؤْلُؤِ [٢٦٩/١] شَيْئًا، وَلَا تُعْطُوا الْحِكْمَةَ مَنْ لَا يُرِيدُهَا ؛ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ اللَّؤْلُؤِ، وَمَنْ لَا يُرِيدُهَا ؛ شَرٌّ مِنَ الْخِنْزِيرِ . وَكَذَا حَكَى وَهْبٌ وَغَيْرُهُ عَنْهُ ^(٣) . وَعَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ، فَإِذَا فَسَدْتُمْ، فَلَا دَوَاءَ لَكُمْ، وَإِنَّ فِيكُمْ خَصَلَتَيْنِ مِنَ الْجَهْلِ ؛ الضَّحْكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ، وَالصُّبْحَةُ ^(٤) مِنْ غَيْرِ سَهَرٍ ^(٥) . وَعَنْهُ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ فِتْنَةً ؟ قَالَ : زَلَّةُ الْعَالِمِ، فَإِنَّ الْعَالِمَ إِذَا زَلَّ زَلٌّ يَزِلُّ بِهِ عَالَمٌ كَثِيرٌ ^(٦) . وَعَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ : يَا عِلْمَاءَ الشُّوءِ، جَعَلْتُمْ الدُّنْيَا عَلَى رُءُوسِكُمْ، وَالْآخِرَةَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، قَوْلُكُمْ شِفَاءً، وَعَمَلُكُمْ ذَاءً، مَثَلُكُمْ مَثَلُ شَجَرَةٍ الدَّفْلِيِّ ^(٧)، تُعْجِبُ مَنْ رَأَاهَا، وَتَقْتُلُ مَنْ أَكَلَهَا ^(٨) . وَقَالَ وَهْبٌ : قَالَ عِيسَى : يَا عِلْمَاءَ الشُّوءِ، جَلَسْتُمْ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَلَا أَنْتُمْ ^(٩) تَدْخُلُونَهَا، وَلَا تَدْعُونَ الْمَسَاكِينَ يَدْخُلُونَهَا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ عَالِمٌ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ ^(١٠) . وَقَالَ مَكْحُولٌ : التَّقَى يَحْيَى، وَعِيسَى فَصَافِحَهُ عِيسَى، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ لَهُ

(١) سقط من : الأصل .

(٢) المصدر السابق، من طريق عبد الرزاق به .

(٣) تاريخ دمشق ٧٧/١٤ مخطوط .

(٤) في الأصل : « الصبحة » . والصبحة : نومة الغداة .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق .

(٧) الدفلي : نبت مر، زهره كالورد الأحمر، يتخذ للزينة .

(٨) المصدر السابق ٨٧/١٤ .

(٩) سقطت من : النسخ، وهي مثبتة من تاريخ دمشق .

(١٠) المصدر السابق .

يحيى : يا ابن خالة ، ما لى أراك ضاحكاً كأنك قد أمنت . فقال له عيسى : ما لى أراك غابساً كأنك قد يمست . فأوحى الله إليهما : إن أحبكما إلى أبشكما بصاحبه^(١) . وقال وهب بن منبّه : وقف عيسى هو وأصحابه على قبر ، وصاحبه يُدلى فيه ، فجعلوا يذكرون القبر وضيقه ، فقال : قد كنتم فيما هو أضيّق منه فى^(٢) أرواح أمهاتكم ، فإذا أحب الله أن يوسع وسّع^(٣) . وقال أبو عمر^(٤) الضريز : بلغنى أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقطر جلدّه دماً^(٥) .

والآثار فى مثل هذا كثيرة جداً ، وقد أورد الحافظ ابن عساكر منها طرفاً صالحاً ، اقتصرنا منه على هذا القدر ، والله تعالى الموفق للصواب .

(١) المصدر السابق ١٤ / ٨٠ ، ٨١ .

(٢) فى م : « من » .

(٣) المصدر السابق ١٤ / ٨١ .

(٤) فى الأصل : « عمرو » .

(٥) المصدر السابق .

ذِكْرٌ^(١) رَفَعَ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

إِلَى السَّمَاءِ فِي حِفْظِ الرَّبِّ، وَبَيَانُ

كُذِّبِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، عَلَيْهِمُ

لَعْنَتُنِ اللَّهِ، فِي دَعْوَى الصَّلْبِ

قال الله تعالى^(٢): ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكِرِينَ ۖ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْأُفَعْكَ إِيَّايَ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ﴾ [آل عمران: ٥٤، ٥٥]. وقال تعالى^(٣): ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ (١٥٥) وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۖ﴾ (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ [٢٦٩/١ ط] وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعِ الظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ﴾ (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۖ﴾ (١٥٨) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ

(١) سقط من: م.

(٢) التفسير ٣٧/٢ - ٣٩.

(٣) التفسير ٣٩٩/٢ - ٤١٩.

بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿ [النساء: ١٥٥ - ١٥٩] فَأُخْبِرَ
تعالى أَنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَعْدَ مَا تَوَفَّاهُ بِالْثَّوْمِ عَلَى الصَّحِيحِ الْمَقْطُوعِ بِهِ ،
وَحَلَّصَهُ بِمَنْ كَانَ أَرَادَ أَذِيَّتَهُ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَشَّوْا بِهِ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ الْكَفَرَةِ فِي
ذَلِكَ الزَّمَانِ .

قال الحسن البصري ، ومحمد بن إسحاق ^(١) : كان اسمه داود بن يورا ^(٢)
فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ وَصَلَبِهِ ، فَحَصَرُوهُ فِي دَارٍ بَيْلِدٍ ^(٣) بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَذَلِكَ عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ
لَيْلَةُ السَّبْتِ ، فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ دُخُولِهِمْ أُلْقِيَ سَبْهُهُ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ الْحَاضِرِينَ
عِنْدَهُ ، وَرُفِعَ عِيسَى مِنْ رُوزَنَةِ ^(٤) مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ
يَنْظُرُونَ ، وَدَخَلَ الشَّرْطُ فوجدوا ذلك الشَّابَّ الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ سَبْهُهُ ، فَأَخَذُوهُ
ظَانِّينَ أَنَّهُ عِيسَى ، فَصَلَبُوهُ وَوَضَعُوا الشُّوْكَ عَلَى رَأْسِهِ إِهَانَةً لَهُ ، وَسَلَّمُوا لِلْيَهُودِ
عَامَّةَ النَّصَارَى الَّذِينَ لَمْ يُشَاهِدُوا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى أَنَّهُ صُلِبَ ، وَضَلُّوا
بِسَبَبِ ذَلِكَ ضَلَالًا مَبِينًا كَثِيرًا فَاحْشًا بَعِيدًا ، وَأُخْبِرَ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِنْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ أَي ؛ بَعْدَ نَزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ فِي آخِرِ
الزَّمَانِ ، قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ ، فَإِنَّهُ يَنْزِلُ وَيَقْتُلُ الْخِزْيَرِ ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَضَعُ
الْجِزْيَةَ ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ ، كَمَا بَيَّنَّا ذَلِكَ بَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ عِنْدَ
تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ سُورَةِ «النِّسَاءِ» ^(٥) ، وَكَمَا سَنُورِدُ ذَلِكَ مُسْتَقْصًى

(١) تفسير الطبري ١٤/٦ ، وتاريخ دمشق ٨٢/١٤ مخطوط .

(٢) فِي الْأَصْلِ ، ح : «نودا» . وَفِي م : «نورا» . وَفِي ص : «فودا» . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ .

(٣) سَقَطَ مِنْ : م .

(٤) الرُّوزَنَةُ : الْكُوَّةُ .

(٥) التفسير ٤٠١/٢ - ٤١٩ .

فى كتاب « الفتن والملاحم » عند أخبار المسيح الدجال^(١) ، فنذكر ما ورد فى نزول المسيح المهديّ ، عليه السلام ، من ذى الجلال ؛ لقتل المسيح الدجال^(٢) الكذاب الداعى إلى الضلال . وهذا ذكر ما ورد من^(٣) الآثار فى صفة رّفيعه إلى السماء .

قال ابن أبى حاتم^(٤) : حدّثنا أحمد بن سنان ، حدّثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء ، خرج على أصحابه ، وفى البيت اثنا عشر رجلاً منهم - من الحوارئين يعنى - فخرج عليهم من بعين فى البيت ، ورأسه يقطر ماءً ، فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن بى . ثم قال : أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ، ويكون [٢٧٠/١] معى فى درجتى ؟ فقام شاب من أخذتهم سناً ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : اجلس . ثم أعاد عليهم ، فقام الشاب ، فقال : أنا . فقال : أنت هو ذاك . فألقى عليه^(٥) شبه عيسى ، ورفع عيسى من روضة فى البيت إلى السماء . قال : وجاء الطلب من اليهود ، فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه ، فكفر به^(٦) بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمن به ، وافترقوا ثلاث فِرَقٍ ، فقالت طائفة : كان الله فىنا ما شاء ، ثم صعد إلى السماء . وهؤلاء اليعقوبيّة ، وقالت

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) فى م : « فى » .

(٣) ذكره فى الدر المنثور ٢/٢٣٨ . وعزاه لابن أبى حاتم .

(٤) فى الأصل : « عن » . انظر تهذيب الكمال ٢٨/٥٦٨ .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) سقط من : الأصل .

فِرْقَةٌ: كان فينا ابنُ الله ما شاء، ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ. وهؤلاءِ التَّسْطُورِيَّةُ،
وقالت فِرْقَةٌ: كان فينا عبدُ الله ورسولُهُ ما شاء اللهُ^(١)، ثُمَّ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ،
وهؤلاءِ المسلمون، فتظاهرتِ الكافرتان على المشيئة فقتلوهما، فلم يَزَلِ
الإسلامُ طامِسًا حتى بعثَ اللهُ محمدًا ﷺ. قال ابنُ عباسٍ: وذلك قولُهُ
تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]. وهذا
إسنادٌ صحيحٌ - إلى ابنِ عباسٍ - على شَرْطِ مسلم^(٢)، ورواه النسائي^(٣)،
عن أبي كُرَيْبٍ، عن أبي مُعَاوِيَةَ به نَحْوَهُ، ورواه ابنُ جرير^(٤) عن سَلَمِ بْنِ
جُنَادَةَ، عن أبي مُعَاوِيَةَ، وهكذا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، وَمِمَّنْ ذَكَرَ
ذلك مُطَوَّلًا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ^(٥)، قال: وَجَعَلَ عيسى، عليه
السلامُ، يدعو اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يُؤَخَّرَ أَجَلُهُ، يعنى لِيَبْلُغَ الرِّسَالَةَ، وَيُكْمِلَ
الدَّعْوَةَ، وَيُكْثِرَ النَّاسَ الدُّخُولَ فِي دِينِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ. قيل: وكان عنده
من الحواريين اثنا عشر رجلًا؛ بَطْرُسُ، وَيَعْقُوبُ بْنُ زَبْدَى^(٦)، وَيُحَنَسُ أَخُو
يَعْقُوبَ، وَأَنْدَرَاوُسُ، وفيلبُّسُ، وأَبْرَثَلْمَا، وَمَتَّى، وَثُوماسُ، وَيَعْقُوبُ بْنُ
حَلْفِيَا، وَتَدَّائُسُ، وفتاتيا، يُودُسُ زكريا يُوطَا، وهذا هو الذى دَلَّ اليهودَ
على عيسى. قال ابنُ إِسْحَاقَ: وكان فيهم رجلٌ آخَرُ اسمُهُ سرجسُ، كَتَمَتْهُ

(١) سقط من الأصل، والمثبت من تاريخ دمشق ٨٤/١٤ مخطوط.

(٢) وهو كما قال رحمه الله.

(٣) النسائي في الكبرى (١١٥٩١).

(٤) فى الأصل، ص: «خزيمة». ورواه ابن جرير فى تفسيره ٩٢/٢٨.

(٥) فى النسخ: «مسلم». انظر تهذيب الكمال ٢١٨/١١.

(٦) أخرجه الطبرى فى تفسيره ١٤/٦، ١٥ من طريق محمد بن إسحاق به.

(٧) فى الأصل: «ريدا». وفى ح، ص: «زيدا». وفى م: «زيدا». والمثبت من تفسير الطبرى.

النَّصَارَى ، وهو الذى أُلْقِيَ شَبَهُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ ، فَصُلِبَ عَنْهُ ^(١) . قال : وبعضُ النَّصَارَى يَزْعُمُ أَنَّ الذى صُلِبَ عَنْ ^(٢) الْمَسِيحِ ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ ، يُودَسَ زَكْرِيَا يوطا . واللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال الضَّحَّاكُ ، عن ابنِ عباسٍ : اسْتَخْلَفَ عِيسَى شَمْعُونُ ، وَقَتَلَتِ الْيَهُودُ يُودَسَ زَكْرِيَا يوطا الذى أُلْقِيَ عَلَيْهِ الشَّبَهُ ^(٣) . وقال أَحْمَدُ بْنُ مَرْوَانَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْجَهْمِ ^(٤) . قال : سَمِعْتُ الْفَرَّاءَ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ﴾ قال : إِنَّ عِيسَى غَابَ عَنْ خَالَتِهِ زَمَانًا ، فَأَتَاهَا فَقَامَ رَأْسُ الْجَالُوتِ الْيَهُودِيِّ ، فَضَرَبَ عَلَى عِيسَى ، حَتَّى [٢٧٠/١ ظ] اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ دَارِهِ ، فَكَسَرُوا الْبَابَ ، وَدَخَلَ رَأْسُ الْجَالُوتِ لِيَأْخُذَ عِيسَى ، فَطَمَسَ اللَّهُ عَيْنَيْهِ عَنْ عِيسَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَمْ أَرَهُ . وَمَعَهُ سَيْفٌ مَسْلُورٌ ، فَقَالُوا : أَنْتَ عِيسَى . وَأُلْقِيَ اللَّهُ شَبَهُ عِيسَى عَلَيْهِ ، فَأَخَذُوهُ ، فَقَتَلُوهُ ، وَصَلَبُوهُ ، فَقَالَ جَلٌّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ^(٥) . وقال ابنُ جريرٍ ^(٦) : حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ ، عَنْ هَارُونَ بْنِ عَثْرَةَ ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ ، قَالَ : أَتَى عِيسَى وَمَعَهُ سَبْعَةُ عَشَرَ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي بَيْتٍ ، فَأَحَاطُوا بِهِمْ ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِمْ ، صَوَّرَهُمُ اللَّهُ كُلَّهُمْ عَلَى صُورَةِ عِيسَى ، فَقَالُوا لَهُمْ : سَحَرْتُمُونَا ، لَتُبَرِّزَنَّ لَنَا عِيسَى ، أَوْ لَنَقْتُلَنَّكُمْ جَمِيعًا ، فَقَالَ

(١) تفسير الطبري ١٥/٦ .

(٢) فى الأصل : « هو » .

(٣) تاريخ دمشق ٨٥/١٤ مخطوط .

(٤) فى ح : « الحميم » . انظر لسان الميزان ١١٠/٥ .

(٥) تاريخ دمشق ٨٤/١٤ مخطوط ، من طريق أحمد بن مروان به .

(٦) تفسير الطبري ١٢/٦ ، ١٣ .

عيسى لأصحابه : مَنْ يَشْتَرِي مِنْكُمْ نَفْسَهُ الْيَوْمَ بِالْجَنَّةِ . فقال رجلٌ : أنا . فخرج إليهم ، فقال : أنا عيسى . وقد صَوَّرَهُ اللَّهُ عَلَى صُورَةِ عيسى ، فأخذوه فقتلوه وصلَّبوه ، فَمِنْ ثَمَّ سُبُّهُ لَهُمْ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا عيسى ، وَظَنَّتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ ، أَنَّهُ عيسى ، وَرَفَعَ اللَّهُ عيسى مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ .

قال ابن جرير ^(١) : وَحَدَّثَنَا الْمُثَنَّى ، حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ أَنَّهُ سَمِعَ وَهْبًا يَقُولُ : إِنْ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ لَمَّا أَعْلَمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ خَارِجٌ مِنَ الدُّنْيَا جَزَعَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ ، فَدَعَا الْحَوَارِيْنَ وَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا ، فَقَالَ : احْضُرُونِي اللَّيْلَةَ ؛ فَإِنَّ لِي إِلَيْكُمْ حَاجَةً . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ اللَّيْلِ عَشَاهُمْ ، وَقَامَ يَخْدُمُهُمْ ^(٢) ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنَ الطَّعَامِ ، أَخَذَ يُغَسِّلُ أَيْدِيَهُمْ وَيُوَضِّئُهُمْ بِيَدِهِ ، وَيَمْسَحُ أَيْدِيَهُمْ بِشَيْبِهِ ، فَتَعَاطَمُوا ذَلِكَ وَتَكَارَهَوْهُ ، فَقَالَ : أَلَا مَنْ رَدَّ عَلَيَّ شَيْئًا اللَّيْلَةَ مِمَّا أَصْنَعُ فَلَيْسَ مِنِّي ، وَلَا أَنَا مِنْهُ . فَأَقْرَوْهُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : أَمَّا مَا صَنَعْتُ بِكُمْ اللَّيْلَةَ مِمَّا خَدَمْتُكُمْ ^(٣) عَلَى الطَّعَامِ ، وَغَسَلْتُ أَيْدِيَكُمْ بِيَدِي ، فَلْيَكُنْ لَكُمْ بِي أُسْوَةٌ ، فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي خَيْرُكُمْ ، فَلَا يَتَعَظَّمُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلْيَبْذُلْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْسَهُ ، كَمَا بَذَلْتُ نَفْسِي لَكُمْ ، وَأَمَّا حَاجَتِي الَّتِي اسْتَعَنْتُكُمْ عَلَيْهَا ، فَتَدْعُونَنِي ^(٤) اللَّهُ وَتَجْتَهِدُونَ فِي الدُّعَاءِ أَنْ يُؤَخَّرَ أَجَلِي . فَلَمَّا نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ لِلدُّعَاءِ وَأَرَادُوا أَنْ يَجْتَهِدُوا ، أَخَذَهُمُ التَّوَمُّ حَتَّى لَمْ يَسْتَطِيعُوا دُعَاءً ، فَجَعَلَ يُوقِظُهُمْ ، وَيَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ،

(١) تفسير الطبري ١٣/٦ . تاريخ الطبري ٦٠١/١ ، ٦٠٢ .

(٢) في الأصل : « يخدمهم » .

(٣) في الأصل : « حدثكم » .

(٤) سقط من : م .

أما تَضْبِرُونَ لى لَيْلَةً وَاحِدَةً ، تُعِينُونِى فِيهَا ؟ فَقَالُوا : وَاللّٰهُ مَا نَذْرِى مَا لَنَا ، وَاللّٰهُ لَقَدْ كُنَّا نَسْمُرُ فَنُكْثِرُ السَّمَرَ ، وَمَا نَطِيقُ اللَّيْلَةَ سَمَرًا ، وَمَا نُرِيدُ دُعَاءَ إِلَّا حِيلَ يَبْنَتَا وَيَبْنَتَهُ . فَقَالَ : يُذْهَبُ بِالرَّاعِى وَتَتَفَرَّقُ الْغَنَمُ ، وَجَعَلَ يَأْتِى بِكَلَامٍ نَحْوِ هَذَا ، يَنْبَغِ بِهِ نَفْسُهُ . [٢٧١/١] ثُمَّ قَالَ : الْحَقُّ لِيَكْفُرَنَّ بى أَحَدُكُمْ قَبْلَ أَنْ يَصْبِيحَ الدِّيكُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَلِيَبْعِثَنِّى أَحَدُكُمْ بِدِرَاهِمٍ يَسِيرَةٍ ، وَلِيَأْكُلَنَّ ثَمْنِى . فَخَرَجُوا وَتَفَرَّقُوا ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ تَطْلُبُهُ فَأَخَذُوا شَمْعُونَ - أَحَدَ الْحَوَارِيِّينَ - فَقَالُوا : هَذَا مِنْ أَصْحَابِهِ . فَجَحَدَ ، وَقَالَ : مَا أَنَا بِصَاحِبِهِ . فَتْرَكُوهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ آخَرُونَ ، فَجَحَدَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ سَمِعَ صَوْتَ دِيكٍ ، فَبَكَى وَأَخْرَزَتْهُ . فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى أَحَدُ الْحَوَارِيِّينَ إِلَى الْيَهُودِ ، فَقَالَ : مَا تَجْعَلُونَ لى إِنْ دَلَلْتُكُمْ عَلَى الْمَسِيحِ . فَجَعَلُوا لَهُ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا فَأَخَذَهَا وَدَلَّاهُمْ عَلَيْهِ . وَكَانَ شُبَّهَ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ فَأَخَذُوهُ ، وَاسْتَوْثَقُوا مِنْهُ ، وَرَبَطُوهُ بِالْحَبْلِ وَجَعَلُوا يَقُوذُونَهُ ، وَيَقُولُونَ : أَنْتَ كُنْتَ تُنْحِى الْمَوْتِى ، وَتَنْتَهَرُ الشَّيْطَانَ ، وَتُبْرِئُ الْمَجْنُونِ ، « أَفَلَا تُنَجِّى » نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْحَبْلِ ؟ وَيَضُصُّقُونَ عَلَيْهِ ، وَيُلْقُونَ عَلَيْهِ الشُّوْكَ ، حَتَّى أَتَوْا بِهِ الْخَشَبَةَ الَّتِى أَرَادُوا أَنْ يَصْلُبُوهُ عَلَيْهَا ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَصَلَبُوا مَا شُبَّهَ لَهُمْ ، فَمَكَثَ سَبْعًا . ثُمَّ إِنَّ أُمَّهُ وَالْمَرْأَةَ الَّتِى كَانَ يَدَاوِيهَا عِيسَى ، فَأَبْرَأَهَا اللَّهُ مِنَ الْجَنُونِ ، جَاءَتَا تَبْكِيَانِ حَيْثُ كَانَ الْمَصْلُوبُ ، فَجَاءَهُمَا عِيسَى ، فَقَالَ : عَلَامَ تَبْكِيَانِ . قَالَتَا : عَلَيْكَ . فَقَالَ : إِنِّى قَدْ رَفَعَنِى اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يُصِبنِى إِلَّا خَيْرٌ ، وَإِنَّ هَذَا شَيْءٌ شُبَّهَ لَهُمْ ، فَأَمْرًا الْحَوَارِيِّينَ أَنْ يَلْقَوْنِى إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا . فَلَقُوهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ أَخَذَ عَشَرَ ، وَقَفَّدَ الَّذِى كَانَ بَاعَهُ وَدَلَّ عَلَيْهِ الْيَهُودَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَصْحَابَهُ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ

(١-١) فى الأصل : « أَلَا تَفَك » . وفى ح ، ص : « أَلَا تَفَتَكَ » .

نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ ، فَاخْتَنَقَ وَقَتَلَ نَفْسَهُ . فقال : لو تاب لتابَ اللَّهُ عليه . ثم سَأَلَهُمْ عَنْ غُلَامٍ يَتَّبِعُهُمْ يَقَالُ لَهُ : يُحَنَّا^(١) . فقال : هو معكم . فَانْطَلَقُوا فَإِنَّهُ سَيُضَيِّحُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَحْدُثُ بِلُغَةٍ قَوْمٌ فَلْيُنْذِرْهُمْ وَلْيُنْذِرْهُمْ . وهذا إسنادٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ ، وهو أَصَحُّ مِمَّا ذَكَرَهُ النَّصَارَى ، لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ جَاءَ إِلَى مَرْيَمَ ، وَهِيَ جَالِسَةٌ تَبْكِي عِنْدَ جِذْعِهِ ، فَأَرَاهَا مَكَانَ الْمَسَامِيرِ مِنْ جَسَدِهِ ، وَأَخْبَرَهَا أَنَّ رُوحَهُ رُفِعَتْ ، وَأَنَّ جَسَدَهُ صُلِبَ ، وَهَذَا بَهْتٌ وَكَذِبٌ وَاخْتِلَاقٌ وَتَحْرِيفٌ وَتَبْدِيلٌ وَزِيَادَةٌ بَاطِلَةٌ فِي الْإِنْجِيلِ عَلَى خِلَافِ الْحَقِّ وَمَقْتَضَى الثَّقَلِ .

وَحَكَى الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢) ، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ حَبِيبٍ ، فِيمَا بَلَغَهُ أَنَّ مَرْيَمَ سَأَلَتْ مِنْ بَيْتِ الْمَلِكِ - بَعْدَ مَا صُلِبَ الْمَصْلُوبُ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ ، وَهِيَ تَحْسَبُ أَنَّهُ ابْنُهَا - أَنَّ يُنْزَلَ جَسَدَهُ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، وَدُفِنَ هُنَاكَ ، فَقَالَتْ مَرْيَمُ لَأُمِّ يَحْيَى : أَلَا تَذْهَبِينَ بِنَا نَزُورُ قَبْرَ الْمَسِيحِ . فَذَهَبْنَا فَلَمَّا دَنَيْنَا مِنَ الْقَبْرِ ، قَالَتْ مَرْيَمُ لَأُمِّ يَحْيَى : أَلَا تَسْتَتِرِينَ . فَقَالَتْ : وَمِمَّنْ أَسْتَتِرُ . فَقَالَتْ : [٢٧١/١] مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ عِنْدَ الْقَبْرِ . فَقَالَتْ أُمُّ يَحْيَى : إِنِّي لَا أَرَى أَحَدًا . فَزَجَّتْ مَرْيَمُ أَنْ يَكُونَ جَبْرِيلُ ، وَكَانَتْ قَدْ بَعْدَ عَهْدِهَا بِهِ ، فَاسْتَوْقَفَتْ أُمُّ يَحْيَى وَذَهَبَتْ نَحْوَ الْقَبْرِ ، فَلَمَّا دَنَتْ مِنَ الْقَبْرِ ، قَالَ لَهَا جَبْرِيلُ ، وَعَرَفْتَهُ : يَا مَرْيَمُ ، أَيْنَ تُرِيدِينَ ؟ فَقَالَتْ : أَرُورُ قَبْرَ الْمَسِيحِ وَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَأُحْدِثُ عَهْدًا بِهِ . فَقَالَ : يَا مَرْيَمُ ، إِنَّ هَذَا لَيْسَ الْمَسِيحَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ الْمَسِيحَ ، وَطَهَّرَهُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَلَكِنْ هَذَا الْفَتَى الَّذِي أُلْقِيَ شَبَّهُهُ عَلَيْهِ وَصُلِبَ وَقُتِلَ مَكَانَهُ ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَهُ قَدْ

(١) فِي الْأَصْلِ ، م ، ص : « يَحْيَى » . انظر تفسير الطبري ٣٧٠ / ٩ ، بتحقيق أحمد شاكر .

(٢) تَارِيخُ دِمَشْقَ ، الْجُزْءُ الْمَطْبُوعُ مِنْ تَرَاجِمِ النِّسَاءِ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

فقدوه ، فلا يَذْرُون ما فُعِلَ به ، فهم يَتَكُونُ عليه ، فإذا كان يومُ كذا وكذا ، فَأَتَى غَيْصَةَ^(١) كذا وكذا ، فَإِنَّكَ تَلْقِيَنِ الْمَسِيحَ . قال : فَزَجَعْتُ إِلَى أُخْتِهَا ، وَصَعِدَ جَبْرِيلُ ، فَأَخْبَرْتُهَا عَنْ جَبْرِيلَ ، وما قال لها من أَمْرِ الْغَيْصَةِ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ ، ذَهَبَتْ فَوَجَدَتْ عِيسَى فِي الْغَيْصَةِ ، فَلَمَّا رَأَاهَا أَسْرَعَ إِلَيْهَا ، فَأَكْبَتْ عَلَيْهَا ، فَقَبَّلَ رَأْسَهَا ، وَجَعَلَ يَدْعُو لَهَا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ ، وقال : يَا أُمُّهُ ، إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَقْتُلُونِي ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَفَعَنِي إِلَيْهِ ، وَأَذِنَ لِي فِي لِقَائِكَ ، وَالْمَوْتُ يَأْتِيكَ قَرِيبًا ، فَاصْبِرِي وَادْكُرِي اللَّهَ . ثُمَّ صَعِدَ عِيسَى فَلَمْ تَلْقَهُ إِلَّا تِلْكَ الْمَرَّةَ حَتَّى مَاتَ . قال : وَبَلَّغَنِي أَنَّ مَرْيَمَ بَقِيَتْ بَعْدَ عِيسَى خَمْسَ سِنِينَ ، وَمَاتَتْ وَلَهَا ثَلَاثُ وَخَمْسُونَ سَنَةً ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا .

وقال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : كَانَ عُمُرُ عِيسَى ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَوْمَ رُفْعِهِ ، أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٢) . وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا جُرُودًا مُرَوَّدًا مُكَحَّلِينَ ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٣) . وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ : « عَلَى مِيلَادِ عِيسَى ، وَحُسَيْنِ يَوْسَفَ^(٤) ، وَكَذَا قَالَ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، أَنَّهُ قَالَ : رُفِعَ عِيسَى ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً^(٥) .

فَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي « مُسْتَدْرَكِهِ » ، وَيَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ الْقَسْرِيُّ فِي « تَارِيخِهِ »^(٦) ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ ، عَنْ نَافِعِ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ

(١) الغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف .

(٢) تاريخ دمشق ٨٢/١٤ مخطوط .

(٣) الترمذی (٢٥٤٥) . حسن (صحيح سنن الترمذی ١٩٨٥) .

(٤) أخرجه الطبرانی في الكبير ٢٥٦/٢٠ بنحوه .

(٥) تاريخ دمشق ٨٨/١٤ مخطوط .

(٦) المعرفة والتاريخ للقسوى ٣/٣١٦ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٨٧/١٤ مخطوط ، من طريق الحاكم به .

عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ، أَنَّ أُمَّهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَتْهُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: أَخْبَرْتَنِي فَاطِمَةُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهَا أَنَّهُ «لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ كَانَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ إِلَّا عَاشَ الَّذِي بَعْدَهُ نَصْفَ عُمَرِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّهُ أَخْبَرَنِي: أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَاشَ عَشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ، فَلَا أُرَانِي إِلَّا ذَاهِبًا عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ. هَذَا لَفْظُ الْقَسَوِيِّ؛ فَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

قال الحافظ ابن عساكر^(١): والصحيح أن عيسى لم يبلغ هذا العمر، وإنما أراد به مدة مقامه في أمته، كما روى سفيان بن عُيينة، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة، قال: قالت فاطمة: قال [٢٧٢/١] لى رسول الله ﷺ: «إن عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة. وهذا منقطع. وقال جرير، والثوري، عن الأعمش عن إبراهيم: مكث عيسى في قومه أربعين عامًا^(٢). ويروى عن أمير المؤمنين علي، أن عيسى، عليه السلام، رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان، وتلك الليلة في مثلها توفى علي بعد طعنه بخمسة أيام^(٣). وقد روى الضحاك، عن ابن عباس أن عيسى لما رفع إلى السماء جاءته سحابة فذنت منه حتى جلس عليها، وجاءته مريم فودعته وبكت، ثم رفع وهي تنظر إليه وألقى إليها عيسى بزودا له، وقال: هذا علامة ما يبتى وينتلك يوم القيامة. وألقى عمامته إلى^(٤) شمعون، وجعلت أمه تودعه بأصبعها، تشير بها إليه حتى غاب عنها^(٥). وكانت تحبه حبا شديدا؛ لأنه توفّر

(١) تاريخ دمشق ٨٨/١٤ مخطوط.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ٨٧/١٤.

(٤) في م: «على».

(٥) تاريخ دمشق ٨٥/١٤ مخطوط.

عليها حُبُّه من جَهَّتِي الوالدين، إذ لَا أَبَ له، وكانت لَا تُفَارِقُهُ سَفَرًا وَلَا حَضَرًا. قال بعضُ الشُّعْرَاءِ^(١):

وكنْتُ أرى كالموتِ من بينِ ساعةٍ فكيفَ يَبِينُ كَانَ مَوْعِدَهُ الحشرُ
وذكر إسحاقُ بْنُ بِشْرِ، عن مُجَاهِدِ بْنِ جَبْرِ^(٢)، أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا صَلَبُوا ذَلِكَ
الرَّجُلَ الَّذِي شُبِّهَ لَهُمْ، وَهُمْ يَحْسِبُونَهُ الْمَسِيحَ، وَسَلَّمْ لَهُمْ أَكْثَرُ النَّصَارَى؛
بَجْهِلِهِمْ ذَلِكَ، تَسَلَّطُوا عَلَى أَصْحَابِهِ بِالْقَتْلِ وَالضُّرْبِ وَالْحَبْسِ فَبَلَغَ أَمْرُهُمْ إِلَى
صَاحِبِ الرُّومِ، وَهُوَ مَلِكُ دِمَشْقَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ
تَسَلَّطُوا عَلَى أَصْحَابِ رَجُلٍ كَانَ يَذْكُرُ لَهُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَانَ يُخْبِي
الموتى، وَيُزَيِّرُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيَفْعَلُ الْعَجَائِبَ، فَعَدُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ،
وَأَهَانُوا أَصْحَابَهُ وَحَبَسُوهُمْ. فَبَعَثَ فَجِئَ بِهِمْ، وَفِيهِمْ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا،
وَشَمْعُونُ، وَجَمَاعَةٌ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِ الْمَسِيحِ، فَأَخْبَرُوهُ عَنْهُمْ فَتَابَعَهُمْ^(٣) فِي
دِينِهِمْ، وَأَعْلَى كَلِمَتِهِمْ، وَظَهَرَ الْحَقُّ عَلَى الْيَهُودِ، وَعَلَتْ كَلِمَةُ النَّصَارَى
عَلَيْهِمْ، وَبَعَثَ إِلَى الْمَصْلُوبِ قَوْضِيعَ عَنْ جِذْعِهِ، وَجِئَءَ بِالْجِذْعِ الَّذِي صُلِبَ
عَلَيْهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَعَظَّمَهُ، فَمِنْ ثَمَّ عَظَّمَتِ النَّصَارَى الصَّلِيبَ، وَمِنْ هَهْنَا
دَخَلَ دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الرُّومِ^(٤). وَفِي هَذَا نَظَرٌ مِنْ وَجْهِهِ؛ أَحَدُهَا، أَنَّ يَحْيَى
ابْنَ زَكَرِيَّا نَبِيٌّ، لَا يُقَرُّ عَلَى أَنَّ الْمَصْلُوبَ عِيسَى؛ فَإِنَّهُ مَعْصُومٌ يَعْلَمُ مَا وَقَعَ عَلَى
جِهَةِ الْحَقِّ. الثَّانِي، أَنَّ الرُّومَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِ الْمَسِيحِ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ،

(١) هو سلمة بن يزيد الجعفي. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٠٨٠.

(٢) في م: «جبير». انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨.

(٣) في م: «فبايعهم».

(٤) تاريخ دمشق ٨٥/ ١٤ مخطوط.

وذلك فى زمانِ قسطنطينَ بنِ قسطنسَ بانى المدينة المنسوبة إليه على ما سَنَدُكُوه . الثالثُ ، أَنَّ اليهودَ لَمَّا صَلَّبُوا ذلكَ الرَّجُلَ ، ثُمَّ أَلْقَوْهُ بِخَشَبَتِهِ جَعَلُوا مكانه مَطْرَحًا لِلْقَمَامَةِ وَالنَّجَاسَةِ وَجَيْفٍ [٢٧٢/١ ظ] الميَّاتِ والقاذوراتِ ، فلم يَزَلْ كذلكَ حتى كان فى زمانِ قسطنطينَ المذكورِ ، فَعَمَدَتْ أُمُّه هيلانةُ الحِزَانِيَّةُ الفندقانيَّةُ فاستخرَجَتْه من هُنَالِكَ معتقِدةً أَنَّهُ المسيحُ ، ووجدوا الخَشَبَةَ التى صَلَّبَ عليها المصلوبُ ، فذكروا أَنَّهُ ما مَسَّها ذُو عَاهَةٍ إِلَّا عُوْفَى . فاللَّهُ أَعْلَمُ أَكَانَ هذا أَمَ لا ؟ وهل كان هذا ؛ لأنَّ ذلكَ الرجلَ الذى بذلَ نَفْسَه كان رجلاً صالحاً ، أو كان هذا مِخَنَةً وَفِتْنَةً لِأُمَّةِ النَّصَارَى فى ذلكَ اليومِ ؟ حتى عَظَّمُوا تلكَ الخَشَبَةَ ، وَغَشَّوْها بِالذَّهَبِ وَاللَّائِى ، ومن ثَمَّ اتَّخَذُوا الصُّلْبَانَاتِ ، وَتَبَرَّكُوا بِشَكْلِهَا وَقَبَلُوها لَعَنَهم اللَّهُ ، وَأَمَرَتْ أُمُّ المَلِكِ هيلانةُ فَأُرِيَتْ تلكَ القَمَامَةُ ، وبُنِى مكانها كنيسةٌ هائلةٌ مزخرفةٌ بأنواعِ الزَّيْنَةِ . فهى هذه المشهورةُ اليومَ ببلدِ يَنْتِ المقدِسِ ، التى يُقالُ لها : القَمَامَةُ . باعتبارِ ما كانَ عِنْدَها ، ويُستَعملونها القِيَامَةَ ، يعنونُ التى يقومُ جَسَدُ المسيحِ مِنْها . ثم أَمَرَتْ هيلانةُ بأنْ تُوضَعَ قَمَامَةُ البَلَدِ ، وَكُنَّاسَتُهُ وقاذوراتُهُ على الصَّخْرَةِ التى هى قِبْلَةُ اليهودِ ، فلم تَزَلْ كذلكَ حتى فَتَحَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ، يَنْتَ المقدِسِ ، فَكَنَسَ عنها القَمَامَةَ بِرِدَائِهِ ، وطَهَّرَها من الأَحْبابِ والأَنْجَاسِ ، ولم يضعِ المسجدَ وراءَها ، ولكن أَمَامَها ، حيثُ صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ليلةَ الإسراءِ بالأنبياءِ ، وهو الأَقْصَى .

صِفَةُ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وَشَمَائِلُهُ وَفَضَائِلُهُ

قال الله تعالى^(١): ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ قيل: سُمِّيَ المسيح؛ لِمَسْحِهِ الْأَرْضَ، وهو سياحته فيها، وفِزاره بدينه من الفتنِ في ذلك الزَّمانِ؛ لِشِدَّةِ تَكْذِيبِ الْيَهُودِ لَهُ، واقترائهم عليه وعلى أمِّه، عليهما السَّلَامُ. وقيل: لِأَنَّهُ كَانَ تَمْسُوحُ الْقَدَمَيْنِ. وقال تعالى^(٢): ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾. وقال تعالى^(٣): ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]. والآياتُ في ذلك كثيرةٌ جدًا. وقد تَقَدَّمَ ما ثَبَّتَ في «الصَّحِيحَيْنِ»^(٤): «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَطْعَنُ فِي خَاصِرَتِهِ حِينَ يُوَلَّدُ، فَيَسْتَهْلُ صَارِخًا إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الْحِجَابِ». وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ، عَنْ جُنَادَةَ، عَنْ عُبَادَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ^(٥): «مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أَلْفَاها إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى

(١) التفسير ١٤٨/٣ - ١٥٠.

(٢) التفسير ١١٨/٣.

(٣) التفسير ١/١٧٥، ١٧٦.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٢٠.

(٥) تقدم تخريجه ص ٤٥٣.

ما كان من العمل» رواه البخاري [٢٧٣/١]، وهذا لفظه، ومسلم.

وروى البخاري، ومسلم^(١) من حديث الشَّعْبِيِّ، عن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَدَّبَ الرَّجُلُ أُمَّتَهُ، فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا كَانَ لَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا آمَنَ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ثُمَّ آمَنَ بِى، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَالْعَبْدُ إِذَا اتَّقَى رَبَّهُ وَأَطَاعَ مَوْلَاهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ». هذا لفظ البخاري.

وقال البخاري^(٢): حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى، أَنبَأَنَا هِشَامٌ، عَنْ مَعْمَرٍ (ح) وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي سَعِيدُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِى بِهِ: «لَقِيتُ مُوسَى». قَالَ: فَتَعَنَّتْهُ فَإِذَا رَجُلٌ حَسْبُهُ قَالَ: «مُضْطَرِبٌ رَجُلُ الرَّأْسِ، كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ شَنْوَةَ». قَالَ: «وَلَقِيتُ عِيسَى». فَتَعَنَّتْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «رَبْعَةٌ أَحْمَرُ، كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ،^(٣) يَغْنَى الْحَمَامُ^(٤)، وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدَهُ بِهِ». الحديث. وقد تقدَّم فى قِصَّتَيْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. ثُمَّ قَالَ^(٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ كَثِيرٍ، أَنبَأَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ عَثْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ عِيسَى، وَمُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ؛ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ جَعْدٌ عَرِيضُ الصُّدْرِ، وَأَمَّا مُوسَى فَآدَمُ بَجْسِيمٌ سَبِطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رَجَالِ الزُّطِّ».

(١) البخاري (٣٤٤٦)، ومسلم (١٥٤).

(٢) البخاري (٣٤٣٧). وقد تقدم هذا الحديث فى ٣١٦/١ مخرجا فى المسند.

(٣ - ٣) قال ابن حجر: هو تفسير عبد الرزاق. فتح الباري ٤٨٤/٦.

(٤) البخاري (٣٤٣٨). عن ابن عباس وليس ابن عمر، انظر تحفة الأشراف، وكلام الحافظ ابن حجر

فى النكت الظراف. التحفة ٥/٢٢٢، ٢٢٣.

تَفَرَّدَ بِهِ الْبَخَارِيُّ^(١) .

وَحَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُثَنِّرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ^(٢)، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ،
عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ، يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانِي
النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ أَعْوَرُ
الْعَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، وَأَرَانِي اللَّيْلَةَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ فِي الْمَنَامِ، فَإِذَا
رَجُلٌ آدَمٌ كَأَحْسَنِ مَا يُرَى مِنْ أَذْمِ الرِّجَالِ، تَضَرَّبُ لِيْهُ بَيْنَ مَنَكِبَيْهِ، رَجُلٌ
الشَّعْرِ، يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً، وَاضْعَا يَدَيْهِ عَلَى مَنَكِبَيْ رَجُلَيْنِ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ،
فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ رَأَيْتُ رَجُلًا وَرَاءَهُ جَعْدًا قَطَطًا
أَعْوَرَ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَشْبَهِهِ مَنْ رَأَيْتُ بَابِنِ قَطْنٍ، وَاضْعَا يَدَيْهِ^(٣) عَلَى مَنَكِبَيْ رَجُلٍ
يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْمَسِيحُ الدَّجَالَ^(٤). وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٥)
مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ. ثُمَّ قَالَ الْبَخَارِيُّ: تَابِعَهُ عُبَيْدُ^(٦) اللَّهِ بْنُ نَافِعٍ. ثُمَّ
سَاقَهُ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سَالِمٍ، عَنْ^(٧) ابْنِ عُمَرَ^(٨). قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَابْنُ
قَطْنٍ رَجُلٌ مِنْ خُرَاعَةَ، هَلَكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ^(٩). فَبَيَّنَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ
عَلَيْهِ، صِفَةَ الْمَسِيحَيْنِ؛ مَسِيحِ الْهُدَى^(١٠) وَمَسِيحِ الضَّلَالَةِ [١/٢٧٣ ظ]؛ لِيُعْرَفَ

(١) البخارى (٣٤٣٩).

(٢) فى الأصل: «ضميرة».

(٣) فى م: «يده».

(٤) مسلم (١٦٩).

(٥) فى م: «عبد».

(٦) سقط من: م.

(٧) البخارى (٣٤٤١).

(٨) البخارى (٣٤٤١).

(٩) فى م: «المهدى».

هذا إذا نزل، فيؤمن به المؤمنون، ويُعرف الآخر فيحذرهُ الموحّدون.

وقال البخاري^(١): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنبَأَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَى عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَشْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسْرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا، وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. فَقَالَ عِيسَى: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ عَيْتِي». وكذا رواه مسلم^(٢) عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق^(٤).

وقال أحمد^(٥): حَدَّثَنَا عَفَّانٌ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حُمَيْدِ الطَّوِيلِ، عَنِ الْحُسَيْنِ وَغَيْرِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَأَى عِيسَى رَجُلًا يَشْرِقُ، فَقَالَ: يَا فُلَانُ، أَسْرَقْتَ؟ فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ مَا سَرَقْتُ. قَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَذَّبْتُ بَصْرِي». وهذا يدلُّ على سَجِيَّةِ^(٦) طاهرة؛ حيثُ قَدَّمَ حَلِيفَ ذَلِكَ الرَّجُلِ - وَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا لَا يَخْلِفُ بِعَظَمَةِ اللَّهِ كَاذِبًا - عَلَى مَا شَاهَدَهُ مِنْهُ عِيَانًا، فَقِيلَ عُذْرُهُ، وَرَجَعَ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ. أَيْ؛ صَدَّقْتُكَ. وَكَذَّبْتُ بَصْرِي؛ لِأَجْلِ حَلِيفِكَ.

وقال البخاري^(٧): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسَفَ، حَدَّثَنَا سَفِيَّانٌ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) البخاري (٣٤٤٤).

(٢) - ٢) سقط من: م.

(٣) مسلم (٢٣٦٨).

(٤) في الأصل: «ابن».

(٥) المسند ٣٨٣/٢.

(٦) السجية: الطبيعة والخلق.

(٧) البخاري (٣٤٤٧).

«تُحْشَرُونَ حُفَاةَ غُرَاةٍ غُرْلًا». ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ
وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ فَأَوَّلُ الْخَلْقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ، ثم يُؤْخَذُ بِرِجَالِ
مِنْ أَصْحَابِي ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشَّمَالِ ، فَأَقُولُ : أَصْحَابِي . فَيَقَالُ : إِنَّهُمْ لَمْ^(١)
يَزَالُوا مُزْتَدِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْذُ فَارَقْتَهُمْ . فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عِيسَى
ابْنُ مَرْيَمَ : ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ
الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ۞ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ
تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ . تَقَرَّدَ بِهِ دُونَ مُسْلِمٍ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ .

وقال^(٢) أيضًا : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الْحَمِيدِيُّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، سَمِعْتُ
الزُّهْرِيَّ ، يَقُولُ : أَخْبَرَنِي عُيَيْنُ^(٣) اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، سَمِعَ عُمَرَ
يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « لَا تُظْطَرُونِي كَمَا أَطْرَبَ
النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » .

وقال البخاري^(٤) : حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ^(٥) إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ ،
عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي
الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ ؛ عِيسَى ، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : جُرَيْجٌ . يُصَلِّي ،
إِذْ جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ ، فَقَالَ : أَجِيبُهَا أَوْ أَصَلِّي ؟ فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ [١/ ٢٧٤] لَا تُثِمِّتْهُ
حَتَّى تُرِيَهُ وَجْهَ الْمَوْمِسَاتِ . وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ
وَكَلَّمَتْهُ ، فَأَتَى ، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا ، فَوَلَدَتْ غُلَامًا ، فَقِيلَ لَهَا :

(١) فِي م : « لَنْ » .

(٢) الْبُخَارِيُّ (٣٤٤٥) .

(٣) فِي م : « عَبْد » .

(٤) الْبُخَارِيُّ (٣٤٣٦) .

(٥ - ٥) سَقَطَ مِنْ : م .

مِنْ؟ فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ. فَأَتَوْهُ وَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، فَأَنْزَلُوهُ وَسَبَّوْهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى الْغَلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غَلَامُ؟ قَالَ: فَلَانُ الرَّاعِي. قَالُوا: أَنْتَبَيِ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ. وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرَضِّعُ ابْنًا لَهَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ. فَتَرَكَ تَذْيِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَذْيِهَا يَمُصُّهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، يَمُصُّ أَصْبُعَهُ: «ثُمَّ مَرَّ بِأُمِّهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ. فَتَرَكَ تَذْيِهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَقَالَتْ: لِمَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأُمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقَتِ وَزَنَيْتِ. وَلَمْ تَفْعَلْ».

وقال البخاري^(١): حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عُلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ». تَفَرَّدَ بِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَرَوَاهُ ابْنُ جِبَّانَ^(٢) فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ الْحَفَرِيِّ، عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنِ أَبِي الزُّنَادِ^(٣) عَنِ الْأَعْرَجِ^(٤)، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وقال أحمد^(٥): حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، هُوَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي الزُّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْأَنْبِيَاءِ إِخْوَةُ أَوْلَادُ عُلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى

(١) البخاري (٣٤٤٢).

(٢) الإحسان (٦١٩٥).

(٣ - ٣) سقط من: النسخ. والمثبت من صحيح ابن حبان.

(٤) المسند ٤٦٣/٢.

نبيّ». وهذا إسناده صحيح على شرطيهما، ولم يُخرِجوه من هذا الوجه .
وأخرجه أحمد^(١)، عن عبد الرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن هَمَامٍ، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، بنحوه .
وأخرجه ابن حبان^(٢) من حديث عبد الرزاق به بنحوه .

وقال أحمد^(٣) : حَدَّثَنَا يَحْيَى، عن ابن أبي عَروبة، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبي ﷺ، قال : « الأنبياء إخوة لِعَلَّاتٍ، ودينتهم واحدٌ وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن يَتَنى وَيَتَنَّهُ نبيٌّ، وإنه نازلٌ، فإذا رَأَيْتُمُوهُ فَاغْرِفُوهُ، فإنه رجلٌ مَزْبُوعٌ إلى الحُمْرَةِ والبياضِ، سَبَطَ، كأنَّ رأسَهُ يَقْطُرُ، وإنْ لم يُصْبِهِ بَلَلٌ، بين مُمَصَّرَتَيْنِ^(٤) فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْحَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ، وَيُعْطِلُ الْمِلَلَ، حتى تَهْلِكَ في زمانه الْمِلَلُ^(٥) كُلُّهَا غَيْرَ الْإِسْلَامِ، وَيُهْلِكُ اللَّهُ في زمانه الْمَسِيحَ الدَّجَالَ الْكَذَّابَ، وَتَقَعُ الْأُمَمَةُ في الْأَرْضِ حتى تَزَوَّجَ الْإِبِلُ مع الْأُسْدِ [٢٧٤/١ ط] جميعًا، وَالثُّمُورُ مع الْبَقَرِ، وَالدُّنَابُ مع الْغَنَمِ، ويلعبُ الصَّبِيَّانُ وَالْغُلَمَانُ بِالْحَيَاتِ، لا يَضُرُّ بعضهم بعضًا، فَيَمُوتُ ما شاء اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ، ثُمَّ يُتَوَفَّى، فَيُصَلَّى عليه المسلمون، وَيَذْفُونَهُ ». ثم رَوَاهُ أَحْمَدُ^(٦) عن عَفَّانَ، عن هَمَامٍ، عن قَتَادَةَ،

(١) المسند ٣١٩/٢ . (صحيح) .

(٢) الإحسان (٦١٩٤) . قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٣) المسند ٤٣٧/٢ .

(٤) يياض بالأصل . وفي ح : « مخصرتين » . والممصرة من الثياب : التي فيها صفرة خفيفة . النهاية لابن الأثير (م ص ر) .

(٥) سقط من : م .

(٦) المسند ٤٠٦/٢ . (إسناده صحيح) ، انظر السلسلة الصحيحة (٢١٨٢) .

عن عبد الرحمن، ^(١) عن أبي هريرة، فذكر نحوه. وقال: «فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون» ^(٢). ورواه أبو داود ^(٣)، عن هذبة بن خالد، عن همام بن يحيى به نحوه. وروى هشام بن ^(٤) غروة، عن صالح مولى ^(٥) أبي هريرة، عنه ^(٥) أن رسول الله ﷺ، قال: «فيمكث فى الأرض أربعين سنة». وسيأتى بيان نزوله، عليه السلام، فى آخر الزمان فى كتاب «الملاحم»، كما بسطنا ذلك أيضا فى «التفسير» عند قوله تعالى فى سورة «النساء» ^(٦): ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. وقوله: ﴿وَلَا يَكْفُرُ لَكُمْ وَالْأَيَةُ﴾ [الزخرف: ٦١]. ولأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق، وقد أقيمت صلاة الصبح، فيقول له إمام المسلمين: تقدم يا روح الله فصل. فيقول: لا، بعضكم على بعض أمراء، تكريم الله هذه الأمة. وفى رواية، فيقول له عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك. فيصلى خلفه، ثم يركب ومعه المسلمون فى طلب المسيح الدجال، فيلحقه عند باب لُد، فيقتله بيده الكريمة. وذكرنا أنه قوى الرجاء حين بُنيت هذه المنارة الشرقية بدمشق التى هى من حجارة بيض، وقد بُنيت أيضا من أموال النصارى حين حرقوا التى هُدمت وما حولها، فينزل عليها عيسى ابن مريم، عليه السلام، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ولا يقبل من

(١ - ١) سقط من: ح.

(٢) أبو داود (٤٣٢٤) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٦٣٥).

(٣) فى الأصل: «عن».

(٤) فى الأصل: «عن».

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) التفسير ٣٩٩/٢ - ٤١٩.

أَحَدٌ إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَأَنَّهُ يَحُجُّ مِنْ فَجِّ الرُّوحَاءِ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، أَوْ لِيُتَبَيَّنَ،
وَيُقِيمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يَمُوتُ فَيُذْفَنُ فِيمَا قِيلَ فِي الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، وَصَاحِبَيْهِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ^(١) فِي آخِرِ
تَرْجُمَةِ الْمَسِيحِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي كِتَابِهِ، عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا، أَنَّهُ يُذْفَنُ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَى بَكْرٍ وَعُمَرُ فِي الْحُجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَلَكِنْ لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ.

وَقَالَ أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ^(٢): حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أَحْزَمَ الطَّائِي حَدَّثَنَا أَبُو قُتَيْبَةَ
سَلَّمَ^(٣) بْنُ قُتَيْبَةَ، حَدَّثَنِي أَبُو مَوْدُودِ الْمَدَنِيُّ، حَدَّثَنَا عِثْمَانُ بْنُ الصُّحَّاحِ، عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: مَكْتُوبٌ
فِي التَّوْرَةِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ، وَعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، يُذْفَنُ مَعَهُ. قَالَ أَبُو
مَوْدُودٍ: وَقَدْ بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ قَبْرِ. ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.
كَذَا قَالَ. وَالصُّوَابُ^(٤) الصُّحَّاحُ بْنُ عِثْمَانَ الْمَدَنِيِّ. وَقَالَ الْبُخَارِيُّ^(٥): هَذَا
الْحَدِيثُ لَا يَصِحُّ عِنْدِي، وَلَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ.

[٢٧٥/١] وَرَوَى الْبُخَارِيُّ^(٦) عَنْ يَحْيَى بْنِ حَمَادٍ، عَنْ أَبِي عَوَّانَةَ، عَنْ
عَاصِمِ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي عِثْمَانَ التَّهْدِي^(٧)، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: الْفَتْرَةُ مَا بَيْنَ
عَيْسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ، سِتْمَاةٌ سَنَةٍ. وَعَنْ قَتَادَةَ: خَمْسُمِائَةٍ وَسِتُونَ سَنَةً^(٨).

(١) فِي الْأَصْلِ: مَا جِهَ. وَالْحَدِيثُ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٠٥/١٤ مَخْطُوطٌ.

(٢) التِّرْمِذِيُّ (٣٦١٧). ضَعِيفٌ (ضَعِيفُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ ٧٤٣).

(٣) فِي النِّسْخِ: «مُسْلِمٌ». وَالثَّبْتُ مِنْ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ. وَانْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٢٣٢/١١.

(٤) بَعْدَهُ فِي الْأَصْلِ: «قَوْلٌ». وَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ: «وَالْمَعْرُوفُ».

(٥) التَّارِيخُ الْكَبِيرُ (٢٦٣/١).

(٦) الْبُخَارِيُّ (٣٩٤٨).

(٧) فِي الْأَصْلِ: «الْمَهْدِيُّ». وَفِي ص: «الْيَزِيدِيُّ». انْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٤٢٤/١٧.

(٨) تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ١٨٦/٢.

وقيل: خَمْسُمِائَةٍ وأربعون سَنَةً. وعن الضَّحَّاك: أَرْبَعُمِائَةٍ وَبِضْعٍ وَثَلَاثُونَ سَنَةً^(١). والمشهورُ سِتْمِائَةٍ سَنَةٍ. ومنهم من يقول: سِتْمِائَةٍ وَعِشْرُونَ سَنَةً بِالْقَمَرِيَّةِ فَتَكُونُ سِتْمِائَةٍ بِالشَّمْسِيَّةِ. واللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال ابنُ جِبَّانَ^(٢) في «صحيحه»: ذِكْرُ المِدَّةِ الَّتِي بَقِيََتْ فِيهَا أُمَّةُ عِيسَى عَلَى هَذِيهِ. حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى، حَدَّثَنَا أَبُو هَمَّامٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ الْهَيْثَمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْوَضِيِّنَ^(٣) بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ نَصْرِ بْنِ عَلْقَمَةَ، عَنْ مُجَبِّيرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ دَاوُدَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ، فَمَا قُتِلُوا وَلَا بَدَّلُوا، وَلَقَدْ مَكَثَ أَصْحَابُ الْمَسِيحِ عَلَى سُنَّتِهِ وَهَذِيهِ مِائَتَيْنِ سَنَةً». وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ جَدًّا، وَإِنْ صَحَّحَهُ ابْنُ جِبَّانَ. وَذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ^(٤)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، أَنَّ عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ وَصَّى الْخَوَارِئِينَ بِأَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّاسِ فِي إِقْلِيمٍ مِنَ الْأَقَالِيمِ مِنَ الشَّامِ، وَالْمَشْرِقِ، وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ، فَذَكَرُوا أَنَّهُ أَصْبَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُ الْمَسِيحُ إِلَيْهِمْ. وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ الْإِنْجِيلَ نَقَلَهُ عَنْهُ أَرْبَعَةٌ؛ لُوقَا، وَمَتَّى^(٥)، وَمَرْقُسُ، وَيُوحَنَّا^(٦). وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ تَفَاوُتٌ كَثِيرٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كُلِّ نَسَخَةٍ وَنَسَخَةٍ، وَزِيَادَاتٌ كَثِيرَةٌ وَنَقْصٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأُخْرَى، وَهَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ

(١) تفسير الطبري ١٦٧/٦.

(٢) الإحسان (٦٢٣٦). قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف.

(٣) في الأصل: «الوطن».

(٤) تاريخ الطبري ٦٠٢/١، ٦٠٣.

(٥) في الأصل: «حنا».

(٦) في الأصل، ح: «يحننا».

منهم اثنانِ مَن أدرك المسيح ورآه، ^(١) وهما متى ويوحنا^(٢) ومنهم اثنانِ من أصحاب^(٣) أصحابه . والله أعلم . ^(٤) وهما مرقس ولوقا . وكان مَن آمنَ بالمسيحِ وصَدَّقَه من أهلِ دمشقَ رجلٌ يقالُ له : ضينا^(٥) ، وكان مُخْتَفِيًا في مَغَارَةٍ داخلِ البابِ الشَّرْقِيَّ قَرِيبًا مِنَ الْكَنِيسَةِ الْمُصَلَّبِيَّةِ ؛ خَوْفًا مِنْ بُولِصَ الْيَهُودِيِّ ، وكان ظالِمًا غَاشِمًا مُبْغِضًا لِلْمَسِيحِ ، وَلَمَّا جَاءَ بِهِ . وكان قد خَلَقَ رَأْسَ ابْنِ أَخِيهِ حَيًّا آمَنَ بِالْمَسِيحِ ، وَطَافَ بِهِ فِي الْبَلَدِ ، ثُمَّ رَجَمَهُ حَتَّى مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ . وَلَمَّا سَمِعَ بُولِصُ أَنَّ الْمَسِيحَ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ دِمَشْقَ جَهَّزَ بَعَالَهُ وَخَرَجَ لِيَقْتُلَهُ فَنَلَقَاهُ عِنْدَ كَرْبَا ، فَلَمَّا وَاجَهَ أَصْحَابَ الْمَسِيحِ ، جَاءَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَضَرَبَ وَجْهَهُ بِطَرَفِ جَنَاحِهِ فَأَعْمَاهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ تَصْدِيقُ الْمَسِيحِ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَاعْتَذَرَ يَمًّا صَنَعَ ، وَأَمَنَ بِهِ فَقَبِلَ مِنْهُ ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَمْسَحَ عَيْنَيْهِ ؛ لِيَرُدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ ، فَقَالَ : أَذْهَبْ إِلَى ضِينَا عِنْدَكَ بِدِمَشْقَ فِي طَرَفِ الشُّوقِ الْمُسْتَطِيلِ مِنْ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) سقط من : ح ، ص .

(٣) من هنا إلى قوله : (كتاب أخبار الماضين) سقط من الأصل . وفي ص : وقد أنشد الشيخ شهاب الدين القرافي في كتابه « الرد على النصارى » لبعضهم يرد عليهم في قولهم بصلب المسيح ، وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم أنه ابن الله ، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا :

عجبًا للمسيح بين النصارى	والى والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلبوه
فإن كان ما تقولون حقًا	وصحيحًا فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعداى	أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضيًا بأذاهم	فاعذروهم لأنهم وافقوه
ولئن كان ساخطًا فاتركوه	واعبدوهم لأنهم غلبوه

(٤) فى ح : « حنيناً » .

المُشْرِقِ ، فهو يَدْعُو لكَ . فجاء إليه فدَعَا ، فَرُدَّ عليه بَصَرُهُ ، وحَسُنَ إيمانُ بولصَ
بالمسيحِ ، عليه السلامُ ، أَنَّهُ عبدُ اللَّهِ ورسولُهُ ، وَبَيَّنَّتْ لَهُ كنيسةُ باسْمِهِ ، فهي
كنيسةُ بولصَ المشهورةُ بدمشقَ ، مِنْ زَمَنِ فَتَحَها الصُّحابةُ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ،
حتى خَرِبَتْ فِي الزَّمانِ الذي سَنُورِدُهُ . إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

فصل

اختلف أصحاب المسيح، عليه السلام - بعد رفيعه إلى السماء - فيه على أقوال، كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف، كما أوردناه عند قوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾، قال ابن عباس وغيره: قال قائلون منهم: كان فينا عبد الله ورسوله، فرفع إلى السماء. وقال آخرون: ^(١) هو الله. وقال آخرون: هو ابن الله ^(٢). فالأول هو الحق، والقولان الآخران كفر عظيم، كما قال: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مریم: ٣٧]، وقد اختلفوا في نقل الأناجيل على أربعة أقاويل، ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدثت فيه الطامة العظمى، والبليّة الكبرى اختلف البطارقة ^(٣) الأربعة وجميع الأساقفة، والقساوسة، والشمامسة، والرهبان في المسيح على أقوال متعدّدة، لا تنحصر ولا تنضب، واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين، باني القسطنطينية، وهم المجمع الأول، فصار الملك إلى قول أكثر فِرقة اتفقت على قول من تلك المقالات، فسّموا الملائكة، ودخض من عداهم، وأبعدهم، وتفرّدت الفرقة التابعة لعبد الله بن أديوس، الذي ثبت على أن عيسى عبد من عباد الله، ورسول من رسله، فسكنوا البراري والبادي، وبَنَوْا الصوامع

(١-١) في ح: «كان فينا فارتفع إلى السماء».

(٢) تفسير الطبرى ٩٢/٢٨.

(٣) انظر ما تقدم في صفحة ١١ حاشية (٧).

والدِّيَارَاتِ وَالْقَلَايَاتِ ، وَقَنَعُوا بِالْعَيْشِ الزَّهِيدِ ، وَلَمْ يُخَالَطُوا أَوْلَئِكَ الْمِلَلَ
وَالنَّحَلَ ، وَبَنَتِ الْمَلَائِكَةُ الْكُنَائِسَ الْهَائِلَةَ ، عَمَدُوا إِلَى مَا كَانَ مِنْ بَنَاءِ الْيُونَانِ ،
فَحَوَّلُوا مُحَارِبَتَهَا إِلَى الشَّرْقِ ، وَقَدْ كَانَتْ إِلَى الشُّمَالِ إِلَى الْجَدْيِ .

بَيَانُ بِنَاءِ بَيْتِ لَحْمٍ وَالْقِمَامَةِ

وَبْنَى الْمَلِكُ قُسْطَنْطِينُ بَيْتَ لَحْمٍ عَلَى مَحَلِّ مَوْلِدِ الْمَسِيحِ، وَبَنَتْ أُمُّهُ هِيلَانَةُ الْقِمَامَةَ، يَعْنَى عَلَى قَبْرِ الْمَضْلُوبِ، وَهُمْ يُسَلِّمُونَ لِلْيَهُودِ أَنَّهُ الْمَسِيحُ، وَقَدْ كَفَّرَتْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَوَضَعُوا الْقَوَانِينَ وَالْأَحْكَامَ، وَمِنْهَا مُخَالِفٌ لِلْعَقِيدَةِ الَّتِي هِيَ التَّوْرَةُ، وَأَخْلَوْا أَشْيَاءَ هِيَ حَرَامٌ بِنَصِّ التَّوْرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْخَنَزِيرُ، وَصَلُّوا إِلَى الشَّرْقِ وَلَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ صَلَّى إِلَّا إِلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَ مُوسَى، وَمُحَمَّدٌ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ صَلَّى إِلَيْهَا بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ حُوِّلَ إِلَى الْكَعْبَةِ الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ^(١)، وَصَوَّرُوا الْكَنَائِسَ وَلَمْ تَكُنْ مُصَوَّرَةً قَبْلَ ذَلِكَ، وَوَضَعُوا الْعَقِيدَةَ الَّتِي يَحْفَظُهَا أَطْفَالُهُمْ وَنِسَاؤُهُمْ وَرَجَالُهُمُ الَّتِي يَسْمُونَهَا بِالْأَمَانَةِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَكْبَرُ الْكُفْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَجَمِيعُ الْمَلَكِيَّةِ وَالنَّسْطُورِيَّةِ أَصْحَابِ نَسْطُورِسَ أَهْلِ الْمَجْمَعِ الثَّانِي، وَالْيَعْقُوبِيَّةِ أَصْحَابِ يَعْقُوبَ الْبَرَادَعِيِّ، أَصْحَابِ الْمَجْمَعِ الثَّالِثِ، يَعْتَقِدُونَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ، وَيَخْتَلِفُونَ فِي تَفْسِيرِهَا، وَهِيَ أَنَا أَخْكِيهَا، وَحَاكِيَ الْكُفْرِ لَيْسَ بِكَافِرٍ، لِأَبْثُ، عَلَى مَا فِيهَا، رَكَّةَ الْأَلْفَاظِ وَكَثْرَةَ الْكُفْرِ وَالْخَبَالِ الْمُفْضِي بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّارِ ذَاتِ الشُّوَاطِظِ؛ فَيَقُولُونَ، عَلَيْهِمْ لِعَائِنِ اللَّهِ الْمَتَابَعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: نَوْمُنُ بِإِلَهِ وَاحِدٍ ضَابِطِ الْكُلِّ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ؛ كُلُّ مَا يُرَى، وَكُلُّ مَا لَا يُرَى، وَبِرَبِّ وَاحِدٍ يَسُوعُ الْمَسِيحِ ابْنِ اللَّهِ، الْوَحِيدِ الْمَوْلُودِ مِنَ الْأَبِّ قَبْلَ

(١) انظر صحيح مسلم (٥٢٥).

الدَّهْوَرِ، نَوْرٍ مِّنْ نَّوْرِ إِلَهِ حَقٍّ، مِّنْ إِلَهِ حَقٍّ، مَوْلُودٍ غَيْرِ مَخْلُوقٍ، مَسَاوٍ لِلْأَبِ
فِي الْجَوْهَرِ الَّذِي كَانَ بِهِ كُلُّ شَيْءٍ مِّنْ أَجْلَيْنَا، نَحْنُ الْبَشَرُ، وَمِنْ أَجْلِ خَلَاصِنَا
نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَجَسَّدَ مِنْ رُوحِ الْقُدُّسِ، وَمِنْ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ وَتَأَنَسَّ، وَضَلَبَ
عَلَى عَهْدِ مَلَاطَسَ النِّبْطِيِّ، وَتَأَلَّمَ وَقُبِرَ، وَقَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، كَمَا فِي
الْكِتَابِ، وَصَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ الْأَبِ. وَأَيْضًا فَسَيَأْتِي
بِجَسَدِهِ^(١)؛ لِيَدَبِّرَ الْأَحْيَاءَ وَالْأَمْوَاتَ، الَّذِي لَا فَنَاءَ لِمُلْكِهِ، وَرُوحُ الْقُدُّسِ الرَّبُّ
الْمَحْيِي الْمُنْبِثُ مِنَ الْأَبِ مَعَ الْأَبِ، وَالابْنُ مَسْجُودٌ لَهُ، وَبِمَجْدِ النَّاطِقِ فِي
الْأَنْبِيَاءِ، كَنِسَبَةِ وَاحِدَةٍ جَامِعَةٍ مَقْدَسَةٍ يَهُودِيَّةٍ، وَاعْتَرَفَ بِمَعْمُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ لِمَغْفِرَةِ
الْخَطَايَا، وَأَنَّهُ حَيٌّ قِيَامَةً الْمَوْتَى وَحَيَاةَ الدَّهْرِ الْعَتِيدِ كَوْنُهُ. آمِينَ.

(١) فِي ح: «بِمَجْدِهِ».

كتاب أخبار الماضين

من بنى إسرائيل وغيرهم إلى آخر زمن الفترة سوى أيام العرب وجاهليتهم ،
فإننا سنورد ذلك بعد فراغنا من هذا الفصل إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى :
﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه :
٩٩] . وقال : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف : ٣] .

خبر ذى القرنين

قال الله تعالى ^(١): ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَهَابْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ ﴿٨٤﴾ فَأَنْبَعَ سَبَبًا ۚ ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ ۚ ﴿٨٦﴾ وَإِمَّا أَنْ نُنَجِّدَ فِيهِمْ حَسَنًا ۚ ﴿٨٧﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ۚ ﴿٨٨﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۚ ﴿٨٩﴾ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا ۚ ﴿٩٠﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ۚ ﴿٩١﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۚ ﴿٩٢﴾ ثُمَّ أَنْبَعَ سَبَبًا ۚ ﴿٩٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۚ ﴿٩٤﴾ قَالُوا يَبْدَأُ الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ ﴿٩٥﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ ﴿٩٦﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۚ ﴿٩٧﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۚ ﴿٩٨﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۚ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٨٣ - ٩٨].

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا، وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغرب، ومَلَكَ الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة الثامّة، والسُلطان

(١) التفسير ١٨٥/٥ - ١٩٦.

المؤيد المظفر المنصور القاهر المقيسط . والصحيح ، أنه كان ملكاً من الملوك العادلين ، وقيل : كان نبياً . وقيل : كان رسولاً . وأغرب من قال : كان ملكاً من الملائكة . وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فإنه سمع رجلاً يقول لآخر : يا ذا القرنين ، فقال : مه ، ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة ^(١) . ذكره السهيلي ^(٢) .

وقد روى وكيع ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : كان ذو القرنين نبياً ^(٣) . وروى الحافظ ابن عساكر ^(٤) ، من حديث أبي محمد بن أبي نصر ، عن أبي إسحاق ^(٥) إبراهيم بن محمد ^(٦) بن أحمد ^(٧) بن أبي ثابت ^(٨) ، حدثنا محمد بن حماد ، أنبأنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي ذئب ^(٩) عن المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا أدرى أتبغ كان ليعينا أم لا ، ولا أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا ، ولا أدرى ذو القرنين كان نبياً أم لا » . وهذا غريب من هذا الوجه . وقال إسحاق بن بشر ^(٩) ، عن عثمان بن الساج ، عن خصيف ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : كان

(١) رواه الطبري في تفسيره ١٦/١٧ . وابن هشام في السيرة ١/٣٠٧ . وابن عبد الحكم في فتوح مصر ص ٣٩ . وذكره الحافظ في الفتح ٦/٣٨٣ ، وقال : حكاه الثعلبي .

(٢) الروض الأنف ٣/١٨١ .

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/٣٣٧ من طريق وكيع به .

(٤) تاريخ دمشق ١٧/٣٣٧ .

(٥) بعده في الأصل ، م ، ص : « بن » . وهو خطأ . انظر تاريخ دمشق ٧/٩٩ .

(٦-٦) سقط من النسخ ، ومن تاريخ دمشق . والمثبت من ترجمته . انظر تاريخ دمشق ٧/٩٩ .

(٧) في م : « ذؤيب » . وانظر تاريخ دمشق ٧/٩٩ .

(٨) في ح ، م : « ذؤيب » . وانظر تهذيب التهذيب ٩/٣٠٣ .

(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٧/٣٣٩ من طريق إسحاق بن بشر به .

ذو الْقَرْنَيْنِ مَلِكًا صَالِحًا، رَضِيَ^(١) اللَّهُ عَمَلَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، وَكَانَ مَنْصُورًا، وَكَانَ الْخَضِرُ وَزِيرَهُ. وَذَكَرَ أَنَّ الْخَضِرَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ عَلَى مُقَدِّمَةِ جَيْشِهِ، وَكَانَ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَشَاوِرِ، الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَلِكِ بِمَنْزِلَةِ الْوَزِيرِ فِي اضْطِلَاحِ [٢٧٦/١] النَّاسِ الْيَوْمَ^(٢). وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ وَغَيْرُهُ، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَسْلَمَ عَلَى يَدَيِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، وَطَافَ مَعَهُ بِالْكَعْبَةِ الْمُكْرَمَةِ هُوَ وَإِسْمَاعِيلُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣).^(٤) وَزَوَّيَ عَنْ عُيَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَابْنِهِ عَبْدَ اللَّهِ وَغَيْرِهِمَا، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ حَجَّ مَاشِيًا، وَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمَّا سَمِعَ بِقُدُومِهِ، تَلَقَّاهُ وَدَعَا لَهُ وَرَضَّاهُ، وَأَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَذَى الْقَرْنَيْنِ السَّحَابَ يَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ^(٥). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ ذَا الْقَرْنَيْنِ؛ فَقِيلَ: لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ فِي رَأْسِهِ شَبَهُ الْقَرْنَيْنِ^(٦). وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: كَانَ لَهُ قَرْنَانِ مِنْ نُحَاسٍ فِي رَأْسِهِ. وَهَذَا ضَعِيفٌ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ: لِأَنَّهُ مَلَكَ فَارَسَ وَالزُّومَ^(٧). وَقِيلَ: لِأَنَّهُ بَلَغَ قَوْزِي الشَّمْسِ غَرْبًا وَشَرْقًا، وَمَلَكَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَرْضِ. وَهَذَا أَشْبَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ قَوْلُ الزُّهْرِيِّ^(٨).^(٩) وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ مِنْ شَعْرِ يَطَأُ فِيهِمَا؛ فَسُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ^(١٠). وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ يَشِيرٍ، عَنْ^(١١)

(١) فِي التَّارِيخِ: «أَرْضِي».

(٢) انْظُرْ تَارِيخَ دِمَشْقَ ١٧/٣٤٥، ٣٤٨.

(٣) أَخْبَارُ مَكَّةَ الْمَشْرِقَةِ لِلْأَزْرَقِيِّ ص ٣٩.

(٤ - ٤) سَقَطَ مِنْ: ص.

(٥) تَارِيخَ دِمَشْقَ ١٧/٣٤٠، ٣٤١.

(٦) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ ٩/١٦. التَّفْسِيرُ ٥/١٨٦.

(٧) أَخْرَجَهُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٧/٣٣٦.

(٨ - ٨) سَقَطَ مِنْ: ص.

(٩) أَخْرَجَهُ عَنِ الْحَسَنِ، ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (١٧/٣٣٦).

^(١) عبد الله بن زياد بن سمعان، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنه قال: دعا ملكًا جبارًا إلى الله فضربه على قومه فكسره ورضه، ثم دعاه فذق قرنه الثاني، فكسره، فسمي ذا القرنين^(٢). وروى الثوري^(٣) عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن علي بن أبي طالب، أنه سئل عن ذي القرنين فقال: كان عبدًا ناصح الله فتأصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قومه فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلى الله فضربوه على قومه الآخر فمات، فسمي ذا القرنين. وهكذا رواه شعبة، عن^(٤) القاسم بن أبي بزة^(٥)، عن أبي الطفيل، عن علي به^(٦). وفي بعض الروايات، عن أبي الطفيل عن علي، قال: لم يكن نبيًا ولا رسولًا ولا ملكًا، ولكن كان عبدًا صالحًا^(٧).

وقد اختلف في اسمه؛ فروى الزبير بن بكار، عن ابن عباس: كان اسمه عبد الله بن الضحاك بن معدي^(٨). وقيل: مضعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الأزدي بن غوث^(٩) بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن سبأ بن قحطان.

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) أخرجه ابن عساکر في تاريخ دمشق ٣٣٦/١٧، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/١٦، من طريق سفيان الثوري به.

(٤) سقط من: ح، م.

(٥) في ص: «مرة». وانظر التقريب ١١٥/٢.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٩/١٦، من طريق شعبة به.

(٧) تاريخ دمشق ٣٣٤/١٧، ٣٣٥.

(٨) تاريخ دمشق ٣٣١/١٧. وعزاه الحافظ في الفتح ٣٨٤/٦ للزبير بن بكار في «كتاب النسب»،

وقال: وإسناده ضعيف جدًا.

(٩) في الأصل، م: «عون». وفي ح: «عوف»، وفي ص: «عرب».

وقد جاء في حديث^(١) أنه كان من حمير، وأمه روميّة، وأنه كان يُقال له: ابنُ الفيلسوف؛ لِعَقْلِهِ. وقد أنشدَ بعضُ الحِميريين^(٢) في ذلك شِعْراً يَفْخَرُ بكونه أحدَ أجدادِهِ فقال:

قَدْ كَانَ ذُو الْقَرْيَينِ جَدِّي^(٣) مُشِلِّمًا مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتُحْشَدُ^(٤)
بَلَغَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ يَبْتَغِي أَسْبَابَ أَمْرِ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ
فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَاطٍ^(٥) حَزْمِدٍ
[٢٧٦/١] مِنْ بَعْدِهِ بَلْقَيْسُ كَانَتْ عَمَّتِي مَلَكَتْهُمْ حَتَّى أَتَاهَا الْهُدْهُدُ^(٦)

قال السَّهْلِيُّ^(٧): وقيل: كان اسمه مَرْزَئِي بنَ مَرْذَبَةَ^(٨)، ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ^(٩)، وَذَكَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ^(١٠) أَنَّ اسْمَهُ الصَّعْبُ بنُ ذِي مَرَاثِدٍ^(١١). وَهُوَ أَوَّلُ التَّبَابِعَةِ، وَهُوَ الَّذِي حَكَّمَ لِإِبْرَاهِيمَ فِي بَيْتِ السَّبْعِ^(١٢). وَقِيلَ: إِنَّهُ أَفْرِيدُون

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣٢/١٧.

(٢) هو تبع الحميري، كما صرح به ابن عساكر في تاريخه ٣٣٢/١٧. وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص ٣٨، والحافظ في الفتح ٣٨٤/٦.

(٣) في قصص الأنبياء للثعلبي ص ٣٢٦، والتفسير الكبير للفخر الرازي ١٦٤/٢١: «قبلي».

(٤) في قصص الأنبياء وتفسير القرطبي ٤٩/١١: «تسجد». وفي تاريخ دمشق: «تحسد». وفي البيت عيب وهو الإقواء.

(٥) خلب أي الطين. ثاط مفردا ثاطة وهي الطين، حثاة كان أو غير ذلك.

(٦) في الأصل، ح، ص: «المزهد». وهو لفظ رواية ابن عساكر، وفي البيت عيب وهو الإقواء.

(٧) الروض الأنف ١٧٨/٣.

(٨) في م، ص: «مرزبان بن مرزبة». وفي الفتح ٣٨٤/٦: «مرزبان بن مردية» بالبدال المهملة.

(٩) السيرة النبوية ٣٠٧/١.

(١٠) التيجان في ملوك حمير ص ١١٠، وفيه: الصعب بن ذى مرثد.

(١١) في ح: «الصعب بن دنى مزاید». وفي م، ص: «الصعب بن ذى مراثد».

(١٢) في ح: «اليسع». وانظر الروض الأنف ١٧٩/٣. والتعريف والإعلام ص ١٩٩.

ابنُ أَشْفِيانَ، الذى قَتَلَ الضَّحَّاكَ^(١). وفى خطبة قُس: يا مَعَشَرَ إِبادِ، أين^(٢)
الصَّعْبُ ذو القَرَنَيْنِ، مَلِكُ الخافِقَيْنِ، وأَذَلُّ الثَّقَلَيْنِ، وَعُمَرُ أَلْفَيْنِ، ثُمَّ كان
كَلْحِظَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ أَنشَدَ ابنُ هِشامٍ للأَعشى^(٣):

والصَّعْبُ ذو القَرَنَيْنِ أَصْبَحَ ثاوِيًا بالْحِنْوِ^(٤) فى جَدَثِ أُمَيِّمٍ^(٥) مُقِيمٍ
وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِي، وابنُ ماكُولًا أَنَّ اسمَه هَرْمَسٌ^(٦). ويقالُ: هَرْدِسٌ^(٨)
ابنُ فَيْطونَ بنِ رُومى بنِ لِنطى بنِ كِسْلوَجِيَّ بنِ يُونانَ بنِ يافَثَ بنِ نوحَ. فاللَّهُ
أَعْلَمُ. وقال إِسحاقُ بنُ بِشْرِ، عن سَعِيدِ بنِ بِشِيرٍ، عن قَتادَةَ قال: إِسْكَندَرُ هو
ذو القَرَنَيْنِ، وأبوهُ أَوَّلُ القِياصِرَةِ، وكان مِنْ وَلَدِ سامِ بنِ نُوحٍ، عليه
السَّلامُ^(٩). فأما ذو القَرَنَيْنِ الثَّانِي فهو إِسْكَندَرُ بنُ فِيلَيْسَ بنِ مَضْرِمٍ بنِ
هَرْمَسٍ^(١٠) بنِ هَرْدَسٍ^(١١) بنِ مِيطونَ بنِ رُومى بنِ لِنطى^(١٢) بنِ يُونانَ بنِ يافَثَ بنِ
نونَةَ بنِ سَرْحونَ بنِ رومَةَ بنِ ثَرْنَطَ بنِ توفيلَ بنِ رومى بنِ الأصْفَرِ بنِ اليَفزِ بنِ

(١) انظر تاريخ الطبرى ١/ ٢١١.

(٢) فى ح، م، ص: «بن».

(٣) لم نجده فى ديوان الأَعشى الكبير، ولا فى ديوان أَعشى همدان. والبيت فى ديوان لبيد ص ١٠٩،
وقد نسبَه ابن منظور فى اللسان مادة (ص ع ب) إلى لبيد.

(٤) فى الأصل: «بالحر». وفى ح: «بالخير». وفى م، ص: «بالحنو». والمثبت من الروض الأنف،
وفتح البارى ٦/ ٣٨٤. قال الحافظ: والحنو بكسر المهملة وسكون النون فى ناحية المشرق. وقال السهيلي
فى الروض ٣/ ١٨٠: وقوله: بالحنو. يريد حنو قُرأقر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق.

(٥) فى م، ص: «أشم».

(٦ - ٦) سقط من الأصل.

(٧) انظر تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣١. والإكمال ١/ ٥٥٩، ٥٦٠.

(٨) فى ح: «هرويس». وفى ص: «هروس». والمثبت من التاريخ والإكمال.

(٩) تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٣.

(١٠) فى الأصل: «بن مردس». وسقط من: م، ص.

(١١ - ١١) فى تاريخ دمشق: «أنطى».

العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل . كذا نسبته الحافظ ابن عساكر في « تاريخه »^(١) ، المقدوني اليوناني المصري ، باني إسكندرية ، الذي يُورّخ بأيامه الروم ، وكان متأخراً عن الأول بدهرٍ طويل ، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة ، وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره ، وهو الذي قتل دارا بن دارا ، وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم^(٢) . ولما نبهنا عليه ؛ لأن كثيراً من الناس يفتقد ، أنهما واحد ، وأن المذكور في القرآن هو الذي كان أرسطاطاليس وزيره ، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير وفساد عريض طويل كثير ، فإن الأول كان عبداً مؤمناً صالحاً ، ومليكاً عادلاً ، وكان وزيره الخضر ، وقد كان نبياً على ما قرّزناه قبل هذا . وأما الثاني ، فكان مشركاً ، وكان وزيره فيلسوفاً ، وقد كان بين زمانيهما أزيد من ألفي سنة . فأين هذا من هذا ، لا يشتويان ، ولا يشتيهان ، إلا على غبي لا يعرف حقائق الأمور .

قوله تعالى^(٣) : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف : ٨٣] . كان سببه أن قريشاً سألوا اليهود عن شيء يمتحنون به علم رسول الله ﷺ ، فقالوا لهم : سلوه عن رجل طواف في الأرض ، وعن فتية خرجوا ، لا يُدري ما فعلوا . فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذِي الْقَرْنَيْنِ^(٤) . ولهذا قال : ﴿ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أي ؛ من خبره وشأنه

(١) تاريخ دمشق ١٧ / ٣٣٠ .

(٢) انظر التفسير ٥ / ١٨٥ . والكامل لابن الأثير ١ / ٢٨٣ .

(٣) التفسير ٥ / ١٨٥ .

(٤) انظر أثر ابن عباس في تفسير الطبري ١٥ / ١٩١ . وسيرة ابن هشام ١ - ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ودلائل

النبوة للبيهقي ٢ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

﴿ ذِكْرًا ﴾ أَي ؛ خبرًا نافعا كافيًا في تعريف أمره وشرح حاله فقال : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴾ أَي ؛ وَسَعْنَا مَمْلَكَتَهُ فِي الْبِلَادِ [٢٧٧/١] وَأَعْطَيْنَاهُ مِنْ آلَاتِ الْمَمْلَكَةِ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَحْصِيلِ مَا يَحَاوِلُهُ مِنَ الْمِهْمَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَقَاصِدِ الْجَسِيمَةِ .

قال قُتَيْبَةُ ، عن أَبِي عَوَانَةَ ، عن سِمَاكِ ، عن حَبِيبِ بْنِ جِمَازٍ ^(١) ، قال : كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَسَأَلُهُ رَجُلٌ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، كَيْفَ بَلَغَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ ؟ فَقَالَ : سَخَّرَ لَهُ السَّحَابُ ، وَمُدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابُ ، وَبُسِطَ لَهُ فِي الثُّورِ . وَقَالَ : أَرَيْدُكَ ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ ، وَسَكَتَ عَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ^(٢) .

وعن أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَعِيِّ ، عن عمرو بن عبد الله الوادعي ، سَمِعْتُ معاوية يقول : مَلَكَ الْأَرْضَ أَرْبَعَةٌ ؛ سَلِيمَانُ بْنُ دَاوُدَ النَّبِيُّ ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَذُو الْقَرْنَيْنِ ، وَرَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حُلْوَانَ ، وَرَجُلٌ آخَرُ . فَقِيلَ لَهُ : الْخَضِرُّ ؟ قَالَ : لَا ^(٣) .

وقال الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ^(٤) : حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الضُّحَّاكِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ ، قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّهُ مَلَكَ الْأَرْضَ كُلَّهَا أَرْبَعَةٌ : مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ ؛ سَلِيمَانُ النَّبِيُّ ، وَذُو الْقَرْنَيْنِ ، وَتَمْرُودُ ، وَبُخْتُ نَصْرَ . وَهَكَذَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ بَشِيرٍ ^(٥) ، سِوَاءً .

(١) في م ، ص : « حماد » . وانظر الاستيعاب ٤٤٢/١ .
(٢) ذكره المصنف في التفسير ١٨٧/٥ ، وعزاه إلى « المختارة » للحافظ الضياء المقدسي . وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٣٣/١٧ . من طريق أبي عوانة به .
(٣) المصدر السابق ٣٣٦/١٧ من طريق أبي إسحاق به .
(٤) المصدر السابق ، من طريق الزبير به .
(٥) في الأصل : « بشر » . وانظر السير ٣٠٤/٧ . وقوله أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ١٧/٣٣٧ .

وقال إسحاق بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن قال: كان ذو القرنين، ملك بعد الثمود، وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب، مد الله له في الأجل ونصره، حتى قهر البلاد واحتوى على الأموال، وفتح المدائن وقتل الرجال وجال في البلاد والقيلاع، فسار حتى أتى المشرق والمغرب، فذلك قول الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي؛ خبراً ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي؛ علماً بطلب أسباب المنازل^(١).

قال إسحاق^(٢): وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز، فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه، ولأ قتله. وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعبيد بن يعلى، والسدي، وقاتدة، والضحاك ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يعني علماً^(٣). وقال قتادة، ومطر الزرق: معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني تعليم الألسنة، كان لا يغزو قوماً إلا حدثهم بلغتهم^(٤).

والصحيح أنه يؤم كل سبب يتوصل به إلى نيل مقصوده في المملكة وغيرها؛ فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه، ويعيث على أهل الإقليم الآخر.

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفاً وستمائة سنة يحوب الأرض،

(١) المصدر السابق ٣٣٩/١٧، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٢) هو ابن بشر. وأخرج هذه الزيادة من هذا الطريق ابن عساكر في تاريخه ٣٤٠/١٧.

(٣) تفسير الطبري ٩/١٦. التفسير ١٨٦/٥، ١٨٧.

(٤) تفسير الطبري ٩/١٦، ١٠. التفسير ١٨٦/٥، ١٨٧.

وَيَدْعُو أَهْلَهَا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَفِي كُلِّ هَذِهِ الْمَدَّةِ نَظَرٌ . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ . وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ ، وَابْنُ عَسَاكِرَ ^(١) [٢٧٧/١ ط] حَدِيثًا مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ :
﴿ وَءَايَتُهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ مُطَوَّلًا جَدًّا ، وَهُوَ مُتَكَرِّرٌ جَدًّا . وَفِي إِسْنَادِهِ
مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ الْكُذَيْبِيُّ ^(٢) وَهُوَ مُتَّهَمٌ ، فَلِهَذَا لَمْ نَكْتُبْهُ لِسُقُوطِهِ عِنْدَنَا . وَاللَّهُ
أَعْلَمُ .

وقوله : ﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أى ؛ طريقًا ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ﴾
يعنى مِنَ الْأَرْضِ ، انتهى إلى حيث لا يمكنُ أَحَدًا أَنْ يُجَاوِزَهُ ، وَوَقَفَ عَلَى حَافَةِ
الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : أَوْقْيَانُوسُ الَّذِي فِيهِ الْجَزَائِرُ الْمُسَمَّاةُ
بِالْخَالِدَاتِ ، الَّتِي هِيَ مَبْدَأُ الْأَطْوَالِ ، عَلَى أَحَدِ قَوْلَيْ أَزْبَابِ الْهَيْئَةِ ، وَالثَّانِي مِنْ
سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ كَمَا قَدَّمْنَا ^(٣) . وَعِنْدَهُ شَاهِدٌ مَغِيبِ الشَّمْسِ - فِيمَا رَأَاهُ بِالنَّسْبَةِ
إِلَى مُشَاهَدَتِهِ - ﴿ تَقَرُّبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ وَالْمَرَادُ بِهَا الْبَحْرُ فِي نَظَرِهِ ، فَإِنَّ
مَنْ كَانَ فِي الْبَحْرِ أَوْ عَلَى سَاحِلِهِ يَرَى الشَّمْسَ كَأَنَّهَا تَطْلُعُ مِنَ الْبَحْرِ ، وَتَغْرُبُ
فِيهِ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَجَدَهَا ﴾ أى ؛ فِي نَظَرِهِ ، وَلَمْ يَقُلْ : إِذَا هِيَ . ﴿ تَقَرُّبُ
فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أى ؛ ذَاتِ حَمَاقَةٍ . قَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ : وَهُوَ الطِّينُ
الْأَسْوَدُ . وَقَرَأَهُ بَعْضُهُمْ (حَامِيَّةً) ^(٤) . فَقِيلَ : يَرْجِعُ إِلَى الْأَوَّلِ . وَقِيلَ : مِنْ
الْحَرَارَةِ . وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْمَقَابِلَةِ لِيَوْهَجِ ضَوْءُ الشَّمْسِ وَشُعَاعُهَا .

(١) دلائل النبوة ٦/ ٢٩٥ ، ٢٩٦ . تاريخ دمشق ١٧/ ٣٣٨ .

(٢) فى الأصل ، ص : « الكريمى » . وانظر ترجمته فى الكامل فى ضعفاء الرجال ، لابن عدى ٦/ ٢٢٩٤ - ٢٢٩٦ .

(٣) تقدم فى ١/ ٥٣ .

(٤) انظر تفسير الطبرى ١٦/ ١١ ، ١٢ . والتفسير ٥/ ١٨٨ . والبحر المحيط ٦/ ١٥٩ .

وقد رَوَى الإمامُ أحمدُ^(١) عن يزيدَ بنِ هارونَ ، عن العوّامِ بنِ حَوْشِبٍ ، حدَّثنى مولى لعبدِ اللهِ بنِ عمرو ، عن عبدِ اللهِ قال : نَظَرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الشمسِ حينَ غابَتْ فقالَ : « فى نارِ اللهِ الحاميةِ ، لولا ما يَزَعُها مِنْ أمرِ اللهِ لَأَحْرَقَتْ »^(٢) ما على الأرضِ « فيه غرابَةٌ ، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ لم يُسَمَّ ، ورَفَعَهُ فيه نَظَرٌ ، وقد يكونُ مَوْقُوفًا مِنْ كلامِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو ، فإنَّه أصاب يومَ التَّيْمُوكِ زامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، فكان يُحَدِّثُ منها . واللهُ أعلمُ .

وَمِنْ زَعَمٍ مِنَ الْقُصَّاصِ ، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ جَاوَزَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ، وصارَ يَمْشِى بِجَبْوَهِهِ فى ظُلُمَاتٍ مُدَدًّا طَوِيلَةً ، فقد أخطأ ، وَأَبْعَدَ النُّجْعَةَ ، وقال ما يُخالفُ العَقْلَ والنُّقْلَ .

(١) فى المسند ٢/٢٠٧ . (إسناده ضعيف) .

(٢) فى المسند : « لأهلك » .

«بَيَانُ طَلَبِ ذِي الْقَرْنَيْنِ عَيْنَ الْحَيَاةِ»^(١)

وقد ذَكَرَ ابْنُ عَسَاكِرَ^(٢) مِنْ طَرِيقِ وَكَيْعٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ، عَنْ أَبِيهِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ خَبْرًا مُطَوَّلًا جَدًّا، فِيهِ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يُقَالُ لَهُ: رِناقِيلُ^(٣). فَسَأَلَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ: هَلْ تَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ عَيْنًا يُقَالُ لَهَا: عَيْنُ الْحَيَاةِ؟ فَذَكَرَ لَهُ صِفَةً مَكَانِهَا، فَذَهَبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِي طَلَبِهَا وَجَعَلَ الْخَصِيرَ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، فَانْتَهَى الْخَصِيرُ إِلَيْهَا فِي وَادٍ فِي أَرْضِ الظُّلُمَاتِ، فَشَرِبَ مِنْهَا وَلَمْ يَهْتَدِ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهَا. وَذَكَرَ اجْتِمَاعَ ذِي الْقَرْنَيْنِ بِيَعِضِ الْمَلَائِكَةِ فِي قَصْرِ هُنَاكَ، وَأَنَّهُ [١/٢٧٨و] أَعْطَاهُ حَجَرًا، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى جَيْشِهِ سَأَلَ الْعُلَمَاءَ عَنْهُ، فَوَضَعُوهُ فِي كِفَّةٍ مِيزَانٍ، وَجَعَلُوا فِي مُقَابَلَتِهِ أَلْفَ حَجَرٍ مِثْلِهِ، فَوزَنَهَا، حَتَّى سَأَلَ الْخَصِيرَ فَوَضَعَ قُبَالَهُ حَجَرًا، وَجَعَلَ عَلَيْهِ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ فَزَجَّحَ بِهِ، وَقَالَ: هَذَا مِثْلُ ابْنِ آدَمَ لَا يَشْبَعُ حَتَّى يُوَارَى بِالتُّرَابِ. فَسَجَدَ لَهُ الْعُلَمَاءُ تَكْرِيمًا لَهُ وَلِإِعْظَامًا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ حَكَّمَهُ^(٤) فِي أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿أَمْ أَمْثَلُ مَا كُنَّا نَعْتَذِرُ بِهِ﴾ (٨٧) فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ عَذَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَدَأَ بِعَذَابِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ أَرْجَزُ عِنْدَ الْكَافِرِ ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ

(١ - ١) ليس في الأصل، ص.

(٢) تاريخ دمشق ٣٤٦/١٧ - ٣٥١.

(٣) في تاريخ دمشق: «زيافيل».

(٤) في ص: «حكمهم». وفي م: «حكم».

الْحَسَنُ وَسَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿١٧﴾ فَبَدَأَ بِأَلْهَمُمْ وَهُوَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ ، وَعَطَفَ عَلَيْهِ الْإِحْسَانَ مِنْهُ إِلَيْهِ ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ وَالْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أَيْ ؛ سَلَكَ طَرِيقًا رَاجِعًا مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ ، فَيُقَالُ : إِنَّهُ رَجَعَ فِي ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً . ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أَيْ ؛ لَيْسَ لَهُمْ يَتُوتٌ وَلَا أَكْنَانٌ يَسْتَتِرُونَ بِهَا مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ . قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ : وَلَكِنْ كَانُوا يَأْوُونَ ، إِذَا اشْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْحَرُّ ، إِلَى أَشْرَابٍ قَدْ اتَّخَذُوهَا فِي الْأَرْضِ ، شَبَّهَ الْقُبُورِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ أَيْ ؛ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَنَحْفَظُهُ وَنَكْلُوهُ بِحِرَاسَتِنَا فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ مَغَارِبِ الْأَرْضِ إِلَى مَشَارِقِهَا .

وَقَدْ رَوَى عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وَابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ السَّلَفِ ، أَنَّ ذَا الْقُرَيْنَيْنِ حَجَّ مَاشِيًا ، فَلَمَّا سَمِعَ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلُ بِقُدُومِهِ ، تَلَقَّاهُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعَا ، دَعَا لَهُ الْخَلِيلُ وَوَصَّاهُ بِوَصَايَا ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ جَاءَ بِفَرَسٍ لِيُرْكَبَهَا فَقَالَ : لَا أُرْكَبُ فِي بَلَدٍ فِيهِ الْخَلِيلُ . فَسَخَّرَ اللَّهُ لَهُ السَّحَابَ ، وَبَشَّرَهُ إِبْرَاهِيمُ بِذَلِكَ ، فَكَانَتْ تَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ ^(١) .

قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ (١٧) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿ يَعْنِي غُثْمًا ^(٢) . فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ هُمُ التُّرُكُ ، أَبْنَاءُ عَمٍّ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ هَاتَيْنِ الْقَبِيلَتَيْنِ قَدْ تَعَدَّوْا عَلَيْهِمْ وَأَفْسَدُوا فِي بِلَادِهِمْ ، وَقَطَعُوا الشُّبُلَ عَلَيْهِمْ ، وَبَذَلُوا لَهُ جِمَلًا ، وَهُوَ الْخَرَاجُ عَلَى

(١) رَوَى مَعْنَى هَذَا ، ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ ١٧ / ٣٤٠ ، ٣٤١ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ وَابْنِهِ ، مِنْ طَرَفٍ مُتَعَدِّدَةٍ .

(٢) غُثْمٌ جَمْعُ أَغْثَمٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَفْصَحْ لِعِجْمَةٍ فِي مَنْطِقِهِ .

أَنْ يُقِيمَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ ، فامتنع مِنْ أَخْذِ الْخَرَاجِ ؛
اِكْتِفَاءً بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الْجَزِيلَةِ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ ثُمَّ طَلَبَ
مِنْهُمْ أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ رِجَالًا وَآلَاتٍ ، لِيُنَبِّئَ [٢٧٨/١ ظ] بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ، وَهُوَ
الرَّوْثُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ ، وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ إِلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ بَيْنَهُمَا ، وَبَقِيَّةُ ذَلِكَ
بِحَارٌ مُغْرَقَةٌ ، وَجِبَالٌ شَاهِقَةٌ ، فَبَنَاهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى ، مِنْ الْحَدِيدِ وَالْقَطْرِ ، وَهُوَ
الْثُّحَاسُ الْمَذَابُ . وَقِيلَ : الرِّصَاصُ . وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ ، فَجَعَلَ بَدَلَ اللَّيْنِ حَدِيدًا
وَبَدَلَ الطَّيْنِ ثُحَاسًا ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَمَا أَسْتَطِعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ أَى ؛
يَقْلُبُوا عَلَيْهِ بِسِلَاحٍ وَلَا غَيْرِهَا ﴿ وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴾ أَى ؛ بِمَعَاوِلَ ، وَلَا
فُؤُوسٍ وَلَا غَيْرِهَا ، فَقَابِلَ الْأَسْهَلِ بِالْأَسْهَلِ ، وَالْأَشَدَّ بِالْأَشَدِّ ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ
مِنْ رَبِّي ﴾ أَى ؛ قَدَّرَ اللَّهُ وَجُودَهُ ، لِيَكُونَ رَحْمَةً مِنْهُ بِعِبَادِهِ أَنْ يَمْنَعَ بِسَبَبِهِ عُذْوَانَ
هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى مَنْ جَاوَزَهُمْ فِي تِلْكَ الْحِلَّةِ ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أَى ؛
الْوَقْتُ الَّذِي قَدَّرَ اللَّهُ خُرُوجَهُمْ عَلَى النَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ ﴿ جَعَلَهُمْ ذَكَاةً ﴾
أَى ؛ مَسَاوِيًا لِلْأَرْضِ وَلَا بُدَّ مِنْ كَوْنِ هَذَا ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾
كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ
حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿ ١٦ ﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾ الْآيَةُ [الْأَنْبِيَاءُ : ٩٦ ، ٩٧] . وَلِذَا
قَالَ هَهُنَا : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ يَعْنِي يَوْمَ فَتْحِ السَّدِّ ، عَلَى
الصَّحِيحِ ، ﴿ وَفُتِحَ فِي الشُّورِ فُجِعَتْلَهُمْ جَمْعًا ﴾ وَقَدْ أَوْزَدْنَا الْأَحَادِيثَ الْمَرْوِيَّةَ ،
^(١) « فِي خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ فِي « التَّفْسِيرِ » ^(٢) ، وَسُورَتُهَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ^(٣) فِي
كِتَابِ « الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ » مِنْ كِتَابِنَا هَذَا ، إِذَا انْتَهَيْنَا إِلَيْهِ ، بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ،

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) التفسير من ١٩٢ - ١٩٤ .

وحُسن توفيقه ، ومعوّيته ، وهدايته .

قال أبو داود الطيالسي ، عن الثوري : بلغنا أنَّ أوَّل مَنْ صافح ، ذو القرنين .
وروى عن كعب الأخبار أنَّه قال لمعاوية : إنَّ ذا القرنين لما حَضَرته الوفاة أَوْصَى
أُمُّهُ ؛ إذا هو مات أن تَصْنَعَ طعامًا ، وتَجْمَعَ نساء أهل المدينة ، وتَضَعَهُ بين
أيديهنَّ ، وتأذَّنَ لهنَّ فيه ، إلَّا مَنْ كانت تُكَلِّي ، فلا تأْكُل منه شيئًا ، فلَمَّا فَعَلَتْ
ذلك ، لم تَضَعْ واحدةً مِنْهنَّ يَدَها فيه ، فقالت لهنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كُلُّكُنَّ
تُكَلِّي ! فقلنَّ : إى واللَّهِ ما مِنَّا إلَّا مَنْ أَتُكِلَتْ . فكان ذلك تَسْلِيَةً لأُمِّهِ ^(١) .
وذكر إسحاق بن بشر ^(٢) ، عن عبد الله بن زياد ، عن بعض أهل الكتاب ،
وصيَّة ذى القرنين ، ومَوْعِظَتُهُ أُمُّهُ مَوْعِظَةٌ بليغة طويلة ، فيها حِكْمٌ وأُمُورٌ نافعة ،
وأنَّه مات وعمره ثلاثة آلاف سنة ، وهذا غريب .

قال ابن عساكر ^(٣) : وبلغنى من وجه آخر أنه عاش ستًا وثلاثين سنة ،
وقيل : كان عُمره ثنتين وثلاثين سنة ، وكان بعد داود بِسَبْعِمِائَةِ سنةٍ وأربعين
سنةً ، وكان بعد آدم بِخَمْسَةِ آلافٍ ومِائَةٍ وإحدى وثمانين ^(٤) [٢٧٩/١] سنةً ،
وكان مُلْكُهُ سِتَّ عَشْرَةِ سنةً . وهذا الذى ذَكَرَهُ إِنَّمَا يَنْطَبِقُ على إسكندر الثانى
لا الأوَّل ، وقد خَلَطَ فى أوَّل الترجمة وآخرها بينهما ^(٥) ، والصَّوابُ التَّفْرِيقُ كما
ذَكَرْنَا ، اقتداءً بجماعةٍ من الحفاظ . واللَّهُ أعلم .

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٥٨/١٧ .

(٢) المصدر السابق ٣٥٩/١٧ من طريق إسحاق بن بشر به .

(٣) تاريخ دمشق ٣٦١/١٧ .

(٤) فى ص : « ثلاثين » .

(٥) انظر تاريخ دمشق ٣٣٠/١٦ ، ٣٦١/١٦ .

وَيُؤْمِنُ جَعَلَهُمَا وَاحِدًا الْإِمَامُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، رَأَى السَّيْرَةَ، وَقَدْ أَنْكَرَ
ذَلِكَ عَلَيْهِ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّهَيْلِيُّ، رَجَمَهُ اللَّهُ، إِنْكَارًا بَلِيغًا، وَرَدَّ قَوْلَهُ رَدًّا
شَنِيعًا، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا تَفْرِيقًا جَيِّدًا، كَمَا قَدَّمْنَا. قَالَ: وَلَعَلَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُلُوكِ
الْمُتَقَدِّمِينَ، تَسَمَّوْا بِذِي الْقَرْنَيْنِ تَشْبِيْهًا بِالْأَوَّلِ^(١). وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) انظر الروض الأنف ٣/ ١٨٠.

ذِكْرُ أُمَّتِي يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

وصفاتِهم، وما وَرَدَ مِنْ

أخبارِهم، وصفةِ السِّدِّ

هم مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ بِلَا خِلَافٍ نَعْلَمُهُ، ثُمَّ الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ، مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، قُمْ فَابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ. فيقول: يَا رَبِّ، وَمَا بَعَثَ النَّارِ؟ فيقول: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتَشْعُونَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلَى الْجَنَّةِ. فَحِينَئِذٍ يَشِيبُ الصَّغِيرُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَيْنَا ذَلِكَ الْوَاحِدَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبَشِّرُوا؛ فَإِنَّ مِنْكُمْ وَاحِدًا، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا». وَفِي رِوَايَةٍ^(٢): فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا؛ فَإِنَّ فِيكُمْ أُمَّتَيْنِ؛ مَا كَانَتَا فِي شَيْءٍ إِلَّا كَثُرَتَا - أَيْ غَلَبَتَا - كَثْرَةً». وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى كَثَرَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَضْعَافُ النَّاسِ مِرَارًا عَدِيدَةً. ثُمَّ هُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ اسْتَجَابَ لِعَبْدِهِ نُوحٍ فِي دَعَائِهِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ

(١) البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣). مسلم (٢٢٢).

(٢) الترمذي (٣١٦٩). النسائي في الكبرى (١١٣٤٠). صحيح (صحيح الترمذي ٢٥٣٤).

﴿ دَيَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ فَأَنبِئْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْنَةِ ﴾ [العنكبوت: ١٥]. وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات: ٧٧]. وتقدّم في الحديث المَرْوِيُّ في «المسند» و«الشنن»^(١): أَنَّ نُوحًا وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةٌ؛ وَهُمْ سَامٌ، وَحَامٌ، وَيَافُثٌ، فَسَامٌ أَبُو الْعَرَبِ، وَحَامٌ أَبُو الشُّودَانِ، وَيَافُثٌ أَبُو الثُّوَكِ، فَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ طَائِفَةٌ مِنَ الثُّوَكِ، وَهُمْ مَعْلُ الْمَعُولِ، وَهُمْ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَكْثَرُ فُسَادًا مِنْ هَؤُلَاءِ، وَنَسَبْتُهُمْ إِلَيْهِمْ كَنَسْبَةِ هَؤُلَاءِ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الثُّوَكَ، إِنَّمَا سُمُّوا بِذَلِكَ، حِينَ بَنَى ذُو الْقَرْنَيْنِ السِّدَّ^(٢)، وَالْجَأُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ، فَبَقِيََتْ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَمْ^(٣) يَكُنْ عِنْدَهُمْ كَفْسَادِهِمْ^(٤) فَتَرَكُوا مِنْ وَرَائِهِ. فَلِهَذَا قِيلَ لَهُمْ: الثُّوَكُ.

وَمَنْ زَعَمَ [٢٧٩/١] أَنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ خُلِقُوا مِنْ نُطْفَةِ آدَمَ حِينَ احْتَلَمَ، فَاحْتَلَطَتْ بِتَرَابٍ، فَخُلِقُوا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ حَوَّاءَ، فَهُوَ قَوْلٌ حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو زَكْرِيَّا النَّوَاوِيُّ، فِي «شرح مُسْلِمٍ» وَغَيْرِهِ^(٥)، وَضَعَّفُوهُ، وَهُوَ جَدِيرٌ بِذَلِكَ؛ إِذْ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ مُخَالَفٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ؛ مِنْ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ الْيَوْمَ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ، بِنَصِّ الْقُرْآنِ. وَهَكَذَا مَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ عَلَى أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَطْوَالٍ مُتَبَايِنَةٍ جَدًّا؛ فَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ كَالنُّخْلَةِ السَّحُوقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ غَايَةٌ فِي الْقِصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَرِشُ أَذُنًا مِنْ أُذُنَيْهِ وَيَتَغَطَّى بِالْأُخْرَى، فَكُلُّ هَذِهِ أَقْوَالٌ بَلَا دَلِيلَ، وَرَجَحْتُ بِالْغَيْبِ بِغَيْرِ بُرْهَانٍ.

(١) تقدم تخريجه في ٢٦٩/١. وأخرجه كذلك الإمام أحمد في المسند ٩/٥. والترمذی (٣٢٣٠)،

(٣٢٣١، ٣٩٣١). ضعيف (ضعيف الترمذی ٨٢٦).

(٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) في ص: «تكن عندهم لفسادهم».

(٤) شرح مسلم ٩٨/٣.

والصحيح، أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم. وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ وَطَوَّلَهُ سِتُونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ»^(١). وهذا فيصّل في هذا الباب وغيره. وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذُرِّيَّتِهِ ألفًا، فإن صَحَّ في خبر قلنا به، وإلا فلا نَرُدُّه، إذ يَحْتَمِلُهُ العقل، والنقل أيضًا قد يُرْسَدُ إليه. والله أعلم. بل قد ورد حديث مُصَرِّحٌ بذلك، إن صَحَّ؛ قال الطبراني^(٢): حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَبَّاسِ الْأَصْبَهَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو مسعودٍ أَحْمَدُ بْنُ الْفُرَاتِ، حَدَّثَنَا أَبُو داودَ الطَّيَالِسِيُّ، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ وَهْبِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَلَوْ أُرْسِلُوا لَأَفْسَدُوا عَلَى النَّاسِ مَعَائِشَهُمْ، وَلَنْ يَمُوتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا تَرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَلْفًا فَصَاعِدًا. وَإِنْ مِنْ وَرَائِهِمْ ثَلَاثُ أُمَمٍ؛ تَاوِيلَ، وَتَارِيسَ، وَمَنْسَكَ». وهو حديث غريب جدًا، وإسناده ضعيف. وفيه نكارة شديدة. وأما الحديث الذي ذكره ابن جرير في «تاريخه»^(٣)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ فَامْتَنَعُوا مِنْ إِجَابَتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ، وَأَنَّهُ دَعَا تِلْكَ الْأُمَمَ الَّتِي هُنَاكَ؛ تَارِيسَ، وَتَاوِيلَ، وَمَنْسَكَ، فَأَجَابُوهُ، فَهُوَ حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ اخْتَلَقَهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَمْرٌ^(٤) بْنُ

(١) تقدم تخريجه في ٢١٥/١.

(٢) أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٨، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات. وقد قال المصنف - رحمه الله - في الفتن والملاحم ١/١٥٤: وقد يكون من كلام عبد الله بن عمرو من الزاملتين، والله أعلم.

قلت: يعني الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك، وكانتا محملتين بكتب من أهل الكتاب.

(٣) تاريخ الطبري ٧٠/١.

(٤) في الأصل: «ابن».

(٥) في الأصل، ح، م: «عمرو»، وانظر الكامل لابن عدي ١٦٨٣/٥.

الصُّبْحِ ، أَحَدُ الْكَذَّابِينَ الْكِبَارِ ، الَّذِينَ اعْتَرَفُوا بِوَضْعِ الْحَدِيثِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

فَإِنْ قِيلَ : فَكَيْفَ دَلَّ الْحَدِيثُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ ^(١) أَنَّهُمْ فِدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَّهُمْ فِي النَّارِ ، وَلَمْ يُنْعَثْ إِلَيْهِمْ رُسُلٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإِسْرَاءُ : ١٥] ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِعْذَارُ إِلَيْهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى [٢٨٠/١] : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . فَإِنْ كَانُوا فِي الزَّمَنِ الَّذِي قَبْلَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَدْ أَتَتْهُمْ رُسُلٌ مِنْهُمْ ، فَقَدْ قَامَتْ عَلَى أُولَئِكَ الْحُجَّةُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ، فَهُمْ فِي حُكْمِ أَهْلِ الْفِتْرَةِ ، وَمَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ . وَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ مِنْ طُرُقٍ ، عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ يُمْتَحَنُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ أَمَى ، دَخَلَ النَّارَ . وَقَدْ أَوْرَدْنَا الْحَدِيثَ بِطَرَفِهِ وَأَلْفَاظِهِ ، وَكَلَامِ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ ^(٢) فِي تَفْسِيرِنَا ^(٣) عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . وَقَدْ حَكَاهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ إِجْمَاعًا عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَامْتِحَانَهُمْ لَا يَفْتَضِي نَجَاتَهُمْ ، وَلَا يُتَأْفَى الْإِخْتِبَارَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُطْلِعُ رَسُولَهُ ﷺ ، عَلَى مَا يَشَاءُ مِنْ أَمْرِ الْغَيْبِ ، وَقَدْ أَطْلَعَهُ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ ، وَأَنَّ سَجَايَاهُمْ تَأْتِي قَبُولَ الْحَقِّ وَالْانْقِيَادَ لَهُ ، فَهُمْ لَا يُجِيبُونَ الدَّاعِيَ ^(٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ تَكْذِيبًا لِلْحَقِّ فِي الدُّنْيَا لَوْ بَلَغَهُمْ

(١) هُوَ حَدِيثُ بَعَثِ النَّارِ ، الَّذِي تَقْدَمُ ص ٥٥٢ .

(٢ - ٢) سَقَطَ مِنْ : ح ، م ، ص .

(٣) انْظُرِ الْحَدِيثَ بِطَرَفِهِ وَأَلْفَاظِهِ فِي التَّفْسِيرِ ٥٠/٥ - ٥٤ .

(٤) بَعْدَ هَذَا فِي م ، ص : «إِلَى» .

فيها؛ لَأَنَّ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ يَتَقَادُ خَلْقٌ مِمَّنْ كَانَ مُكَذِّبًا فِي الدُّنْيَا، فَيَقَاعُ
 الْإِيمَانَ هُنَاكَ؛ لِمَا يَشَاهَدُ مِنَ الْأَهْوَالِ، أَوَّلَى وَأَخْرَى مِنْهُ فِي الدُّنْيَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُتَجَرِّمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
 أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وَقَالَ
 تَعَالَى: ﴿اسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨].^(١) وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فَلَمْ يُجِيبُوا، فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُنْكَرٌ، بَلْ
 مَوْضُوعٌ، وَضَعَهُ عُمَرُ^(٢) بْنُ الصُّبْحِ^(٣).

وَأَمَّا السَّدُّ فَقَدْ تَقَدَّمَ^(٤) أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ بَنَاهُ مِنَ الْحَدِيدِ وَالتُّحَاسِ، وَسَاوَى بِهِ
 الْجِبَالَ الصُّمَّ الشَّامَخَاتِ الطُّوَالَ، فَلَا يُعْرِفُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بِنَاءً أَجْلٌ مِنْهُ،
 وَلَا أَنْفَعُ لِلْخَلْقِ مِنْهُ، فِي أَمْرِ دُنْيَاهُمْ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَقَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ:
 رَأَيْتُ السَّدَّ. قَالَ: «وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟» قَالَ: مِثْلَ الْبُرْدِ الْمُحْبَرِ. فَقَالَ: «رَأَيْتَهُ»^(٥).
 هَكَذَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ مُعَلِّقًا بِصِغَةِ الْجَزْمِ^(٦)، وَلَمْ أَرَهُ مُسْتَدًّا مِنْ وَجْهِ مُتَّصِلٍ
 أَوْ تَضْيِيقِهِ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَ جَرِيرٍ رَوَاهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» مُرْسَلًا^(٧) فَقَالَ: حَدَّثَنَا بِشَرٌّ،
 حَدَّثَنَا يَزِيدٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ

(١ - ١) سقط من: الأصل، ص.

(٢) في ح، م: «عمرو»، وراجع حاشية (٥) ص ٥٥٤.

(٣) في صفحة ٥٤٩.

(٤) في البخارى: «قد رأيت».

(٥) الفتح ٣٨١/٦. وقال ٣٨٦/٦: وصله ابن أبي عمر، من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة،
 عن رجل من أهل المدينة أنه قال للنبي ﷺ... وقال في تعليق التعليق ١٢/٤ تعليقاً على هذا الإسناد:
 هذا إسناد صحيح إلى قتادة، فإن كان سمعه من هذا الرجل فهو صحيح؛ لأن عدم معرفة اسم الصحابي
 لا يضر عند الجمهور. وانظر طرقه الموصولة في التعليق ١٢/٤ - ١٣.

(٦) تفسير الطبرى ٢٣/١٦.

اللَّهُ، قَدْ رَأَيْتُ سَدَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ . قال : « انْعَثُهُ لِي » . قال : كَالْبُرْدِ الْحَبِيرِ ،
طَرِيقَةُ سَوْدَاءَ وَطَرِيقَةُ حَمْرَاءَ . قال : « قَدْ رَأَيْتُهُ » .

وقد ذُكِرَ^(١) أَنَّ الْخَلِيفَةَ الْوَائِقَ بَعَثَ رُسُلًا مِنْ جِهَتِهِ ، وَكَتَبَ لَهُمْ كُتُبًا إِلَى
الْمُلُوكِ يُوصِلُونَهُمْ مِنْ [٢٨٠/١ ظ] بِلَادٍ إِلَى بِلَادٍ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى السَّدِّ ، فَيَكْشِفُوا
عَنْ نَحْبِهِ ، وَيَنْظُرُوا كَيْفَ بَنَاهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ ، وَعَلَى أَى صِفَةٍ ، فَلَمَّا رَجَعُوا أَخْبَرُوا
عَنْ صِفَتِهِ ، وَأَنَّ فِيهِ بَابًا عَظِيمًا وَعَلِيهِ أَقْفَالٌ ، وَأَنَّهُ بِنَاءٌ مُحْكَمٌ شَاهِقٌ مُنِيفٌ
جَدًّا ، وَأَنَّ بَقِيَّةَ اللَّيْلِ الْحَدِيدِ وَالْآلَاتِ فِي بُرْجٍ هُنَاكَ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يَزَالُ هُنَاكَ
حَرَسٌ لَتِلْكَ الْمُلُوكِ الْمُتَاخِمَةِ لِتِلْكَ الْبِلَادِ ، وَمَحَلَّتُهُ^(٢) فِي شَرْقَى الْأَرْضِ فِي جِهَةِ
الشَّمَالِ ، فِي زَاوِيَةِ الْأَرْضِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ . وَيُقَالُ : إِنَّ بِلَادَهُمْ مُتَّسِعَةٌ جَدًّا ،
وإنَّهُمْ يَفْتَاتُونَ بِأَصْنَافٍ مِنَ الْمَعَايِشِ ، مِنْ حِرَائَةِ ، وَزِرَاعَةٍ ، وَاصْطِيَادٍ مِنَ الْبَرِّ
وَمِنَ الْبَحْرِ ، وَهُمْ أُمَّمٌ وَخَلَقَ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُمْ . فَإِنْ قِيلَ : فَمَا
الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُمْ نَفْبًا ﴾
[الْكَهْفُ : ٩٧] . وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ^(٣) عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ
جَحْشٍ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ نَوْمٍ ،
مُحَمَّرًا وَجْهَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَنِلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ !
فُتِّحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ » . وَخَلَقَ يَشْعِينَ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قال : « نَعَمْ ، إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ » . وَأَخْرَجَاهُ فِي
« الصَّحِيحَيْنِ »^(٤) ، مِنْ حَدِيثِ وَهْبٍ ، عَنْ ابْنِ طَاوُسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي

(١) التفسير ١٩٣/٥ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَنَحَلَّتُهُ » .

(٣) الْبُخَارِيُّ (٣٣٤٦) . وَمُسْلِمٌ (٢٨٨٠) .

(٤) الْبُخَارِيُّ (٣٣٤٧) . مُسْلِمٌ (٢٨٨١) .

هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَذَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، مِثْلُ هذه». وَعَقَدَ تِسْعِينَ؟ فالجواب؛ أَمَا عَلَى قَوْلٍ مَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ هَذَا إِمَارَةً إِلَى فَتْحِ أَبْوَابِ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ، وَأَنَّ هَذَا اسْتِعَارَةٌ مَحْضَةٌ وَضَرْبُ مَثَلٍ، فَلَا إِشْكَالَ. وَأَمَا عَلَى قَوْلٍ مَنْ جَعَلَ ذَلِكَ إِخْبَارًا عَنْ أَمْرِ مُحْسُوسٍ، كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادَرُ، فَلَا إِشْكَالَ أَيْضًا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا أَسْتَطَعُوا لَمْ نَقْبَأْ﴾ أَي؛ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، لِأَنَّ هَذِهِ صِغَةُ خَبَرٍ ماضٍ، فَلَا يَنْفِي وَقُوعَهُ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ بِإِذْنِ اللَّهِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ قَدَرًا، وَتَسْلِيْطَهُمْ عَلَيْهِ^(١) بِالتَّذْرِيجِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حَتَّى يَتِمَّ الْأَجْلُ وَيَنْقَضِيَ الْأَمَدُ^(٢) الْمَقْدُورُ، فَيَخْرُجُونَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]. وَلَكِنْ الْحَدِيثُ الْآخِرُ أَشْكَلُ مِنْ هَذَا، وَهُوَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»^(٣) قَائِلًا: حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ لَيَخْفِرُونَ الشَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَزَوْنُ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسْتَخْفِرُونَهُ عَدَا. فَيَعُودُونَ [٢٨١/١] إِلَيْهِ كَأَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتُهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَزَوْنُ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمُ: ارْجِعُوا فَسْتَخْفِرُونَهُ عَدَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَيَسْتَبْنِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ^(٤) حِينَ^(٥) تَرْكُوهُ، فَيَخْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ

(١) فِي ص: «عَلَيْهِمْ».

(٢) فِي ح، م: «الْأَمْر».

(٣) الْمُسْنَدُ ٢/ ٥١٠، ٥١١. صَحِيح (السَّلْسَلَةُ الصَّحِيحَةُ ١٧٣٥).

(٤) فِي الْأَصْل، ح، م: «كَهَيْئَةِ».

(٥) فِي النِّسْخ: «يَوْم». وَالْمَثْبُوتُ مِنَ الْمُسْنَدِ.

على النَّاسِ فَيَنْشِقُّونَ^(١) الميَاةَ ، وَيَتَحَصَّنُ النَّاسُ مِنْهُمْ^(٢) فِي حُصُونِهِمْ ، فَيَزْمُونَ بِسَهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَتَرْجِعُ عَلَيْهَا كَهَيْئَةِ الدَّمِ ، فيقولونَ : قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ . فَيَبْعَثُ اللَّهُ^(٣) عَلَيْهِمْ نَعْفًا^(٤) فِي أَقْفَائِهِمْ ، فَيَقْتُلُهُمْ بِهَا . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ لَتَسْمَنُ^(٥) شُكْرًا مِنْ لَحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ » . وزواه أحمدُ أيضًا^(٦) عن حسنِ بنِ موسى ، عن شيان^(٧) ، عن قتادةَ به^(٨) . وهكذا زواه ابنُ ماجه من حديثِ سعيد^(٩) ، عن قتادةَ ، إلاَّ أَنَّهُ قال : حَدَّثَ^(١٠) أَبُو رَافِعٍ . ورواه التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي عَوَانَةَ^(١١) ، عن قتادةَ به . ثم قال : غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ . فقد أَخْبَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، أَنَّهُمْ^(١٢) كُلُّ يَوْمٍ^(١٣) يَلْحَسُونَهُ ، حَتَّى كَادُوا يَنْظُرُونَ^(١٤) شُعَاعَ الشَّمْسِ مِنْ وَرَائِهِ ؛ لِرَفْعِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَفَعُ هَذَا الْحَدِيثِ مُحْفُوظًا ، وَلَئِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ، كَمَا قاله بَعْضُهُمْ^(١٥) ، فقد اسْتَرْخَنَا مِنَ الْمُؤَوَّنَةِ ، وَإِنْ كَانَ مُحْفُوظًا فَيَكُونُ مُحْمُولًا عَلَى أَنَّ صَنِيعَهُمْ^(١٦) هَذَا يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

(١) فِي م : « فَيَسْقُونَ » . وَفِي ص : « فَيَسْقُونَ » . وَيَنْشِقُّونَ : يَشْرِبُونَ .

(٢) سَقَطَ مِنْ : ح ، م .

(٣ - ٤) فِي الْأَصْلِ : « بَعَا » .

(٥) بَعْدَ هَذَا فِي النُّسخِ : « وَتَشْكُرُ » . وَليست فِي الْمُسْنَدِ . وَشَكَرْتَ الدَّابَّةُ شُكْرًا : أَصَابَتْ مَرَعَى فَسَمِنَتْ عَلَيْهِ . الْوَسِيطُ (ش ك ر) .

(٦) الْمُسْنَدُ ٥١١/٢ .

(٧) فِي النُّسخِ : « سَفِيَان » . وَالْمُثَبِّتُ مِنَ الْمُسْنَدِ . وَانْظُرْ تَهْذِيبَ الْكَمَالِ ٥٩٢/١٢ ، ٥٩٣ .

(٨) سَقَطَ مِنْ : ح .

(٩) ابْنُ مَاجَه (صَحِيح) (صَحِيحُ ابْنِ مَاجَه ٣٢٩٨) .

(١٠) فِي ح ، م : « حَدِيثٌ » .

(١١) التِّرْمِذِيُّ (٣١٥٣) . صَحِيحُ (صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ ٢٥٢٠) .

(١٢ - ١٣) سَقَطَ مِنْ : الْأَصْلُ .

(١٤) فِي م : « يَنْظُرُونَ » .

(١٥) انْظُرِ التَّفْسِيرَ ١٩٤/٥ .

(١٦) فِي م : « ضَيَعَهُمْ » .

عند اقتراب خروجهم ، كما هو المزوئ عن كعب الأخبار ، أو يكون المراد بقوله : ﴿ وَمَا أَسْتَطْعُوا لَمْ نَقْبًا ﴾ أى ؛ نافذاً منه ، فلا ينفى أن يلحسوه ولا يتفدوه . والله أعلم . وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما فى « الصحيحين » عن أبى هريرة ، رضى الله عنه : « فُتِحَ اليومَ مِن رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِثْلُ هَذِهِ » وَعَقَدَ تِسْعِينَ . أى ؛ فُتِحَ فَتْحًا نافذاً فيه . والله أعلم .

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ

قال الله تعالى^(١): ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ۝١ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۝٢ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝٣ فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝٤ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝٥ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝٦ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝٧ هَتُولَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ۝٨ لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٩ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَنْبُذُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْفُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۝١٠ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ۝١١ وَنَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمِثْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ۝١٢ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا

(١) التفسير ١٣٤/٥ - ١٤٧.

أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَأَيْتُمْ أُعْلِمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَادَتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَبْدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَمْ غَيَّبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ [الكهف: ٩ - ٢٦] .

كان سبب نزول قصّة أصحاب الكهف، وخبر ذى القرنين، ما ذكره محمد بن إسحاق، فى «السيرة» وغيره^(١)، أن قريشاً بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ، ويسألونه عنها؛ ليختبروا ما يجيب به فيها، فقالوا: سلوه عن أقوام ذهبوا فى الدهر فلا يدرى ما صنعوا، وعن رجل طواف فى الأرض وعن الروح. فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] . ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِى الْقَرْنَيْنِ﴾ وقال ههنا: ﴿أَمَرُ

(١) تقدم تخريجه ص ٥٤٢ حاشية (٤) .

حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٣٥﴾ أَى ؛ ليسوا بِعَجَبٍ عَظِيمٍ [٢٨٢/١] بالنسبة إلى ما أَطْلَعْنَاكَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الْعَظِيمَةِ ، والآيَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْعَجَائِبِ الْغَرِيبَةِ . وَالْكَهْفُ هُوَ الْغَارُ فِي الْجَبَلِ . قَالَ شُعَيْبُ الْجَبَائِثِيُّ ^(١) : وَاسْمُ كَهْفِهِمْ حِيزُمْ . وَأَمَّا الرَّقِيمُ ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّهُ قَالَ : لَا أَذْرِي مَا الْمَرَادُ بِهِ . وَقِيلَ : هُوَ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَمَا جَزَى لَهُمْ ، كُتِبَ مِنْ بَعْدِهِمْ . اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ . وَقِيلَ : هُوَ اسْمُ الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ كَهْفُهُمْ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَشُعَيْبُ الْجَبَائِثِيُّ : وَاسْمُهُ بَنَاجِلُوسُ . وَقِيلَ : هُوَ اسْمُ وَادٍ ^(٢) عِنْدَ كَهْفِهِمْ . وَقِيلَ : اسْمُ قَرْيَةٍ هُنَاكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَالَ شُعَيْبُ الْجَبَائِثِيُّ : وَاسْمُ كُلِّهِمْ حُمْرَانُ ^(٣) . وَاعْتَنَاءُ الْيَهُودِ بِأَمْرِهِمْ وَمَغْرِفَةُ خَبِيرِهِمْ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ زَمَانَهُمْ مُتَقَدِّمٌ عَلَى مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا بَعْدَ الْمَسِيحِ ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا نَصَارَى . وَالظَّاهِرُ مِنَ السِّيَاقِ أَنَّ قَوْمَهُمْ كَانُوا مُشْرِكِينَ يَعْْبُدُونَ الْأَصْنَامَ . قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ وَغَيْرِهِمْ : كَانُوا فِي زَمَنِ مَلِكٍ يُقَالُ لَهُ : دَقْيَانُوسُ . وَكَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْأَكَابِرِ . وَقِيلَ : مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَاتَّفَقَ اجْتِمَاعُهُمْ فِي يَوْمٍ عِيدٍ لِقَوْمِهِمْ فَرَأَوْا مَا يَتَعَاطَاهُ قَوْمُهُمْ ، مِنْ الشُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ وَالتَّعْظِيمِ لِلْأَوْثَانِ ، فَنَظَرُوا بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ ، وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْ قُلُوبِهِمْ حِجَابَ الْعَقْلَةِ ، وَالْهَمَّهُمْ رُسْدَهُمْ ، فَعَلِمُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ، فَخَرَجُوا عَنْ دِينِهِمْ ، وَاتَّصَمُوا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَيُقَالُ : إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ لَمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ مَا هَدَاهُ إِلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ ، انْحَازَ عَنْ

(١) تفسير الطبري ١٥/١٩٩ ، والتفسير ٥/١٣٥ .

(٢) فِي ص : « وَاحِدٌ » .

(٣) تفسير الطبري ١٥/١٩٩ . والتفسير ٥/١٣٥ .

الناس ، وَاتَّفَقَ اجْتِمَاعُ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ، كَمَا صَحَّ فِي الْبُخَارِيِّ ^(١) « الْأَزْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ ، وَمَا تَنَازَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » . فَكَلَّ مِنْهُمْ سَأَلَ الْآخَرَ عَنْ أَمْرِهِ وَعَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى الْإِنْحِيَاذِ عَنْ قَوْمِهِمْ ، وَالتَّبَرُّيِ مِنْهُمْ ، وَالخُرُوجِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، وَالْفِرَارِ بِدِينِهِمْ مِنْهُمْ ، وَهُوَ الْمَشْرُوعُ حَالَ الْفِتَنِ وَظُهُورِ الشُّرُورِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴿١٥﴾ أَى ؛ بِدَلِيلٍ ظَاهِرٍ عَلَى مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ ، وَصَارُوا مِنَ الْأَمْرِ عَلَيْهِ ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (١٥) وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴿ أَى ؛ وَإِذْ قَدْ ^(٢) فَارَقْتُمُوهُمْ فِي دِينِهِمْ وَتَبَرَّأْتُمْ مِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُشْرِكُونَ [٢٨٢/١ ظ] ^(٣) مَعَ اللَّهِ ^(٣) ، كَمَا قَالَ الْخَلِيلُ : ﴿ إِنِّى بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (٢٦) إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِىنِ ﴿ [الزخرف : ٢٦ ، ٢٧] . وَهَكَذَا هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ^(٤) : إِذْ قَدْ فَارَقْتُمْ قَوْمَكُمْ فِي دِينِهِمْ ، فَاعْتَرَلُوهُمْ بِأَبْدَانِكُمْ لِتَسْلَمُوا مِنْهُمْ أَنْ يُوصِّلُوا إِلَيْكُمْ شَرًّا ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ أَى ؛ يُسَبِّلْ عَلَيْكُمْ سَبْرَهُ ، وَتَكُونُوا تَحْتَ حِفْظِهِ وَكَتْفِهِ ، وَيَجْعَلَ عَاقِبَةَ

(١) الْبُخَارِيُّ (٣٣٣٦) .

(٢) سَقَطَ مِنْ : م .

(٣ - ٣) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ .

(٤) سَقَطَ مِنْ : م .

أمركم إلى خير، كما جاء في الحديث^(١) : «اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا، وَمِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ» . ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى صِفَةَ الْغَارِ الَّذِي آوَوْا إِلَيْهِ، وَأَنَّ بَابَهُ مُوَجَّهٌ إِلَى نَحْوِ الشَّمَالِ، وَأَعْمَاقُهُ إِلَى جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَذَلِكَ أَنْفَعُ الْأَمَاكِنِ ؛ أَنْ يَكُونَ الْمَكَانُ قَلِيلًا، وَبَابُهُ نَحْوَ الشَّمَالِ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرُ﴾ ^(٢) «وَقُرِئَ : (تَزَّوُّرُ)» ^(٣) عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴿ فَأَخْبَرَ أَنَّ الشَّمْسَ، يَغْنَى فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَأَشْبَاهِهِ، تُشْرِقُ أَوَّلَ طُلُوعِهَا فِي الْغَارِ فِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ، ثُمَّ تَشْرُعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ قَلِيلًا قَلِيلًا، وَهُوَ أَزْوَارُهَا ذَاتَ الْيَمِينِ فَتَرْتَفِعُ فِي جَوْ السَّمَاءِ وَتَقْلُصُّ عَنِ بَابِ الْغَارِ، ثُمَّ إِذَا تَضَيَّقَتْ لِلْغُرُوبِ، تَشْرُعُ فِي الدُّخُولِ فِيهِ مِنْ جِهَتِهِ الشَّرْقِيَّةِ قَلِيلًا قَلِيلًا إِلَى حِينَ الْغُرُوبِ، كَمَا هُوَ الْمَشَاهِدُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ، وَالْحِكْمَةُ فِي دُخُولِ الشَّمْسِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَنْ لَا يَفْسُدَ هَوَاؤُهُ ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ عَاجِلِ اللَّهِ﴾ أَيُ ؛ بَقَاؤُهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ دَهْرًا طَوِيلًا مِنَ السِّنِينَ، لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ، وَلَا تَتَغَدَّى ^(٤) أَجْسَادُهُمْ فِي هَذِهِ ^(٥) الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَبُزْهَانِ ^(٦) قُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ^(٧) وَتَحَسَّبَهُمْ أَيْكَافًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴿ قَالَ بَعْضُهُمْ : لِأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مَفْتُوحَةٌ ؛ لَعَلَّا تَفْسُدَ بِطَوِيلِ الْعَمَلِ

(١) رواه أحمد . في المسند ١٨١ / ٤ . والطبراني في الكبير (١١٩٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٧٨ / ١ . رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات .

(٢ - ٣) سقط من الأصل ، ص .

(٣) في الأصل : «تعدى» .

(٤ - ٥) في الأصل : «المدد الطوال» .

(٥) في ص : «برهانه و» .

﴿ وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ قيل : فى كُلِّ عامٍ يَتَحَوَّلُونَ مَرَّةً مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ ، وَيُحْتَمَلُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ . ﴿ وَكَلَبَهُمْ بِسِطِّ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ قَالَ شُعَيْبُ الْجَبَائِىُّ : اسْمُ كَلَبِهِمْ حُمْرَانٌ . وَقَالَ غَيْرُهُ : الْوَصِيدُ أَشْكَفُ^(١) الْبَابِ . وَالْمُرَادُ أَنَّ كَلَبَهُمُ الَّذِى كَانَ مَعَهُمْ ، وَصَحْبَهُمْ حَالِ انْفِرَادِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ ، لَزِمَهُمْ وَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ فِي الْكَهْفِ ، بَلْ رَبَضَ عَلَى بَابِهِ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْوَصِيدِ ، وَهَذَا مِنْ جُمْلَةِ أَدَبِهِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ مَا أُكْرِمُوا بِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ ، وَلَمَّا كَانَتِ التَّبَعِيَّةُ مُؤَثَّرَةً ، حَتَّى^(٢) فِي كَلْبٍ هَؤُلَاءِ ، صَارَ بَاقِيًا مَعَهُمْ بَيَقَائِهِمْ ؛ لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا سَعِدَ بِهِمْ ، فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي حَقِّ كَلْبٍ فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ تَبَعَ أَهْلَ الْخَيْرِ وَهُوَ أَهْلٌ لِلْإِكْرَامِ . وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُصَّاصِ [٢٨٣/١] وَالْمُفَسِّرِينَ لِهَذَا الْكَلْبِ نَبَأً وَخَبْرًا طَوِيلًا ، أَكْثَرُهُ مُتَلَقَّى مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ ، وَكَثِيرٌ مِنْهَا كَذِبٌ ، وَمِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ ، كَاخْتِلَافُهُمْ فِي اسْمِهِ وَلَوْزِنِهِ .

وَأَمَّا اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ فِي مَحَلَّةِ هَذَا الْكَهْفِ ، فَقَالَ كَثِيرُونَ : هُوَ بِأَرْضِ أَيْلَةَ . وَقِيلَ : بِأَرْضِ نَيْنَوَى . وَقِيلَ : بِالْبَلْقَاءِ . وَقِيلَ : بِيَلَادِ الرُّومِ . وَهُوَ أَشْبَهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَا هُوَ الْأَنْفَعُ مِنْ خَيْرِهِمْ^(٣) وَالْأَهَمُّ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَوَصَفَ حَالَهُمْ ، حَتَّى كَأَنَّ السَّامِعَ رَأَى ، وَالْخَبِيرَ مُشَاهِدًا لِصِفَةِ كَهْفِهِمْ^(٤) ، وَكَيْفِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْكَهْفِ وَتَقْلِبِهِمْ مِنْ جَنْبٍ إِلَى جَنْبٍ ، وَأَنَّ كَلَبَهُمْ بِاسِطٌّ

(١) الْأَسْكَفَةُ : عَتَبَةُ الْبَابِ .

(٢) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ ، وَبَعْدَهَا فِي م : « كَانَ » .

(٣) فِي ص : « خَيْرِهِمْ » .

(٤) بَعْدَهُ فِي ص : « وَهَيْئَتِهِمْ » .

ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ . قال : ﴿ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾ أى ؛ لما عليهم من المهابة والجلالة فى أمرهم الذى صاروا إليه ، ولعل الخطاب ههنا لجنس الإنسان المخاطب ، لا لخصوصية^(١) الرسول ﷺ ، كقوله : ﴿ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالذِّنِّ ﴾ [التين : ٧] أى ؛ أيها الإنسان ؛ وذلك لأن طبيعته البشرية تفر من رؤية الأشياء المهيبة غالباً ، ولهذا قال : ﴿ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ﴾ ، ودل على أن الخبر ليس كالمعانيمة ، كما جاء فى الحديث^(٢) ؛ لأن الخبر قد حصل ولم يحصل الفِرار ولا الرُغْب . ثم ذكر تعالى أنه بعثهم من رقدتهم بعد نؤمهم بثلاثمائة^(٣) سنة وتسع سنين ، فلما استيقظوا ، قال بعضهم لبعض : ﴿ كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ أى ؛ بدراهمكم هذه ، يعنى التى معهم ، إلى المدينة ، ويقال : كان اسمها دفسوس^(٤) . ﴿ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا ﴾ أى ؛ أطيب مالا ﴿ فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ أى ؛ بطعام تأكلونه ، وهذا من زهدهم وورعهم ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أى ؛ فى دُخُولِهِ إِلَيْهَا ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (١٩) إِيَّاهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴾ أى ؛ إن عُدْتُمْ فى مِلَّتِهِمْ بعد إذ أنقذكم الله منها ؛ وهذا كله لظنهم أنهم إنما رقدوا يوماً أو بعض يوم أو أكثر من ذلك ، ولم يحسبوا أنهم قد رقدوا أزيد من ثلاثمائة سنة وقد تبدلت الدول أطواراً عديدة ، وتغيرت البلاد ومن عليها ، وذهب أولئك القرن

(١) فى ح ، م ، ص : « بخصوية » .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ١٤٨ حاشية (٣) .

(٣) فى الأصل : « ثلاثمائة » .

(٤) كذا فى النسخ . وفى تفسير الطبرى ١٥/١٢٦ ، والكمال لابن الأثير ١/٣٣٥ ، والقرطبي ١٠/

٣٧٥ : « أفسوس » . وانظر معجم البلدان ١/٣٣٠ .

الذين كانوا فيهم، وجاء غيرهم وذهبوا، وجاء غيرهم؛ ولهذا لما خرج أحدُهم، وهو تيزدوسيس^(١) فيما قيل، وجاء إلى المدينة مُتَنَكِّراً؛ لئلاً يَعْرِفَهُ أَحَدٌ من قومه فيما يَحْسِبُهُ، تَنَكَّرَتْ لَهُ الْبِلَادُ^(٢) وَاسْتَنَكَّرَهُ مَنْ رَأَاهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَاسْتَعْرَبُوا شَكْلَهُ وَصِفَتَهُ وَدِرَاهِمَتَهُ. فيقال: إِنَّهُمْ حَمَلُوهُ إِلَى مُتَوَلِّيهِمْ، وَخَافُوا مِنْ أَمْرِه أَنْ يَكُونَ جَاسُوسًا، أَوْ تَكُونَ لَهُ صَوْلَةٌ^(٣) يَخْشَوْنَ [٢٨٣/١ ظ] مِنْ مَضَرَّتِهَا^(٤)، فيقال: إِنَّهُ هَرَبَ مِنْهُمْ. ويقال: بَلْ أَخْبَرَهُمْ خَبْرَهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَانْطَلَقُوا مَعَهُ لِيَرِيَهُمْ مَكَانَهُمْ، فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنَ الْكَهْفِ، دَخَلَ إِلَى إِخْوَانِهِ، فَأَخْبَرَهُمْ حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ، وَمِقْدَارَ مَا رَقَدُوا، فَعَلِمُوا أَنَّ هَذَا^(٥) مِنْ قُدْرَةِ^(٦) اللَّهِ. فيقال: إِنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا رَاقِدِينَ. ويقال: بَلْ مَاتُوا بَعْدَ ذَلِكَ.

✓ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَلَدَةِ، فيقال: إِنَّهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا إِلَى مَوْضِعِهِمْ مِنَ الْغَارِ، وَعَمَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَمْرَهُمْ. ويقال: لَمْ يَسْتَطِيعُوا دُخُولَهُ حِشًّا. ويقال: مَهَابَةٌ لَهُمْ. واختلفوا فِي أَمْرِهِمْ؛ فَقَائِلُونَ يَقُولُونَ: ﴿أَبْتُوا عَلَيْهِمْ بُتَيْنًا﴾ أَي؛ سُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَ الْكَهْفِ؛ لِقَلَّ يَخْرُجُوا أَوْ لِقَلَّ يَصِلَ إِلَيْهِمْ مَا يُؤْذِيهِمْ، وَآخَرُونَ، وَهُمْ الْغَالِبُونَ عَلَى أَمْرِهِمْ، قَالُوا: ﴿لَنَتَّخِذَكَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ أَي؛ مَعْبَدًا يَكُونُ مُبَارَكًا لِمَجَاوَرَتِهِ هَؤُلَاءِ^(٧) الصَّالِحِينَ. وهذا كَانَ شَائِعًا

(١) فِي الْأَصْل: «تندرسيس»، وَفِي ح: «تيزدوسيس»، وَالَّذِي فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ٢١٧/١٥، ٢١٨: يَمْلِيخَا، وَأَنْ تِيزْدُوسِيسَ اسْمُ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ عَلَى الْمَدِينَةِ حِينَ قِيَامِهِمْ.

(٢) فِي ص: «البلد».

(٣) فِي الْأَصْل، ح: «طوية».

(٤) فِي الْأَصْل، ح: «معرتها».

(٥ - ٥) فِي الْأَصْل، ح، م: «أمر قدره».

(٦) سَقَطَ مِنَ الْأَصْل.

فِيَمَنْ كَانَ قَبْلُنَا، فَأَمَّا فِي شَرْعِنَا، فَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(١) عَنْ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ
 مَسَاجِدَ». يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا
 أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ فَمَعْنَى أَعِزَّنَا أَطْلَعْنَا عَلَى
 أَمْرِهِمُ النَّاسَ. قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّ الْمَعَادَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ
 لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذَا عَلِمُوا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ رَقَدُوا أُرِيدَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، ثُمَّ^(٢)
 قَامُوا، كَمَا كَانُوا مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّ مَنْ أَبْقَاهُمْ كَمَا هُمْ قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ
 الْأَبْدَانِ وَإِنْ أَكَلَتْهَا الدِّيدَانُ، وَعَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ وَإِنْ صَارَتْ أَجْسَامُهُمْ
 وَعِظَامُهُمْ رُفَاتًا، وَهَذَا يَمَّا لَا يَشْكُ فِيهِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ
 أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. هَذَا وَيُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ:
 ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ إِلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ، إِذْ عَلِمَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَتْلُعَ مِنْ
 عِلْمٍ غَيْرِهِمْ بِهِمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَعُودَ عَلَى^(٣) الْجَمِيعِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:
 ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا
 بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فَذَكَرَ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي
 كَمِّيَّتِهِمْ، فَحَكَى ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ وَضَعَّفَ الْأَوَّلَيْنِ، وَقَوَّرَ الثَّالِثَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ
 الْحَقُّ؛ إِذْ لَوْ قِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ لَحَكَاهُ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الثَّالِثُ هُوَ الصَّحِيحُ لَوَّاهُ،
 فَدَلَّ عَلَى مَا قُلْنَاهُ، وَلَمَّا كَانَ التَّنَازُعُ فِي مِثْلِ هَذَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ وَلَا جَدْوَى
 عِنْدَهُ، أَرْشَدَ نَبِيِّهِ ﷺ، إِلَى الْأَدَبِ فِي مِثْلِ هَذَا [٢٨٤/١] الْحَالِ، إِذَا

(١) البخارى (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) فى الأصل: «و».

(٣) فى الأصل: «إلى».

اختلف الناس فيه ، أن يقول : الله أعلم . ولهذا قال : ﴿ قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ ﴾ . وقوله : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أى ؛ من الناس ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ أى ؛ سهلاً ، ولا تتكلف إعمال الجدال فى مثل هذا الحال ، ولا تستفت فى أمرهم أحداً من الرجال ؛ ولهذا أبهم تعالى عدتهم فى أول القصة ، فقال : ﴿ إِنَّمَا فَتِيَّةٌ مَأْمُونَةٌ بِرَبِّهِمْ ﴾ ولو كان فى تعيين عدتهم كبير فائدة ^(١) لذكرها عالم الغيب والشهادة . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْخُلَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ أدب عظيم أرشد ^(٣) الله تعالى إليه ، وحث خلقه عليه ، وهو ما إذا قال أحدهم : إني سأفعل فى المستقبل كذا . فيشرع له أن يقول : إن شاء الله . ليكون ذلك تحقيقاً لعزمه ؛ لأن العبد لا يعلم ما فى غد ولا يدرى أهذا الذى عزم عليه مُقَدَّرٌ أم لا ، وليس هذا الاستثناء تعليقاً ، وإنما هو تحقيقى ، ولهذا قال ابن عباس : إنه ^(٤) يصح إلى سنة . ولكن قد يكون فى بعض المحال لهذا ولهذا ، كما تقدم ^(٥) فى قصة سليمان ، عليه السلام ، حين قال : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة ، تلد كل امرأة ^(٥) مِنْهُنَّ غلاماً يُقاتل فى سبيل الله . فقيل له : قل : إن شاء الله . فلم يقل ، فطاف ، فلم تلد مِنْهُنَّ إلا امرأة واحدة نصف إنسان . قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ، لو قال : إن شاء الله . لم يحث ، وكان ذرئاً لحاجته » .

(١) سقط من : ح .

(٢) فى م ، ص : « أرشده » .

(٣) سقط من : م .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٣٤٨ .

(٥) فى م : « واحدة » .

وقوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ . وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب، فيذكر ما كان قد نسيه . وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أى؛ إذا اشتبه الأمر وأشكل حال والتبس أقوال الناس فى شىء، فازغب إلى الله 'يُسِّرْهُ لَكَ'، وَيُسْهِلْهُ عَلَيْكَ، ثم قال: ﴿وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ . لما كان فى الإخبار بطول مدة لبيتهم فائدة عظيمة، ذكرها تعالى، وهذه التسع المزیدة بالقمرية، وهى لتكميل ثلاثمائة شمسية، فإن كل مائة قمرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ أى؛ إذا شئت عن مثل هذا، وليس عندك فى ذلك ثقل، فرد الأمر فى ذلك إلى الله، عز وجل ﴿لَمْ يَغِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أى؛ هو العالم بالغيب، فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَأَسْمِعَ﴾ يعنى، أنه يضع الأشياء فى محالها؛ ليعلمه^(٢) التام بخلق، وبما يستحقونه، ثم قال: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أى؛ بل هو المنفرد بالملك والمتصرف فيه، وخذه لا شريك له .

(١ - ١) فى ص: «يسرك» .

(٢) فى الأصل، ص: «يعلمه» .

قِصَّةُ الرَّجُلَيْنِ ؛ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ

قال الله تعالى فى سورة «الكهف» ، بعدَ قِصَّةِ أصحابِ الكهفِ ^(١) :

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا زَجَلَيْنِ [٢٨٤/١ ظ] جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ (٣٢) كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظَلِرْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۝ (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝ (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۝ (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا ۝ (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَىٰ مَا أَفْقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْخَرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرِفًا ۝ (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ [الكهف: ٣٢-٤٤] . قال بعضُ النَّاسِ : هذا مِثْلُ مَضْرُوبٍ وَلَا يَلْزَمُ أَن يَكُونَ وَاقِعًا . والجمهورُ أَنَّهُ أَمْرٌ قَدْ وَقَعَ ، وقوله : ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا ﴾ يعْنِي لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ ،

(١) التفسير ١٥٣/٥ - ١٥٦ .

فِي عَدَمِ اجْتِمَاعِهِم بِالضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، وَازْدِرَائِهِم بِهِمْ، وَافْتِخَارِهِمْ عَلَيْهِمْ،
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾
 [يس: ١٣]. كَمَا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى قِصَّتِهِمْ قَبْلَ قِصَّةِ، مُوسَى، عَلَيْهِ
 السَّلَامُ^(١)، وَالْمَشْهُورُ أَنَّ هَذَيْنِ كَانَا رَجُلَيْنِ مُضْطَجِعَيْنِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا مُؤْمِنًا
 وَالْآخَرُ كَافِرًا، وَيُقَالُ: إِنَّهُ كَانَ لَكُلِّ مِنْهُمَا مَالٌ، فَأَتَفَقَ الْمُؤْمِنُ مَالَهُ فِي طَاعَةِ
 اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ ابْتِغَاءً وَجْهِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ اتَّخَذَ لَهُ بُسْتَانَيْنِ^(٢)، وَهُمَا الْجَنَّتَانِ
 الْمَذْكُورَتَانِ فِي الْآيَةِ، عَلَى الصِّفَةِ وَالتَّعْبِ الْمَذْكُورِ؛ فِيهِمَا أَعْنَابٌ، وَنَخْلٌ تَحْفُ
 تِلْكَ الْأَعْنَابُ، وَالزَّرُوعُ فِي خِلَالِ^(٣) ذَلِكَ، وَالْأَنْهَارُ سَارِحَةٌ هَلْهِنَا وَهَلْهِنَا
 لِلْسَّقِيِّ وَالتَّنَزُّهِ، وَقَدْ اسْتَوْسَقَتْ^(٤) فِيهِمَا الشَّمَارُ، وَاضْطَرَبَتْ فِيهِمَا الْأَنْهَارُ،
 وَابْتَهَجَتْ الزَّرُوعُ وَالشَّمَارُ، وَافْتَحَرَ مَالِكُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ الْفَقِيرِ قَائِلًا لَهُ:
 ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أَيُّ؛ وَأَمْتَعُ^(٥) جَنَابًا^(٦). وَمَرَادُهُ أَنَّهُ خَيْرٌ
 مِنْهُ، وَمَعْنَاهُ، مَاذَا أَعْنَى عَنْكَ إِنْفَاقُكَ مَا كُنْتَ تَمْلِكُهُ فِي الْوَجْهِ الَّذِي صَرَفْتَهُ
 فِيهِ؟ كَانَ الْأَوَّلَى بِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَمَا فَعَلْتُ لِتَكُونَ مِثْلِي. فَافْتَحَرَ عَلَى صَاحِبِهِ
 ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ أَيُّ؛ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ
 ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنْ اتِّسَاعِ^(٧) أَزْوَاجِهَا، وَكَثْرَةِ
 مَائِهَا وَحُسْنِ نَبَاتِ [٢٨٥/١] أَشْجَارِهَا؛ وَلَوْ قَدْ بَادَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ

(١) انظر ما تقدم من ص ٨ - ١٣.

(٢) فِي م: «بساتين».

(٣) سَقَطَ مِنْ: ح، م.

(٤) فِي م، ص: «استوتق». واستوتق الشيء: اجتمع وانضم، الوسيط (و س ق).

(٥) فِي الْأَصْلِ: «أَبْنَع»، وَفِي ح، م: «أَوْسَع».

(٦) فِي ح، م، ص: «جَنَابًا».

(٧) سَقَطَ مِنْ: ح.

الأشجار، لَأَسْتَحْلَفَ مَكَانَهَا أَحْسَنَ مِنْهَا، وَزُرْعُهَا دَارَةٌ^(١) لِكثْرَةِ مِيَائِهَا. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ ﴿فَوَيْلٌ لِّبَزْهَرَةٍ^(٢) الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، وَكَذَّبَ بِوُجُودِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ الدَّائِمَةِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ أَي؛ وَلَيْنَ كَانَ ثُمَّ آخِرَةٌ وَمَعَادٌ، فَلَأَجِدَنَّ هُنَالِكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اغْتَرَّ بِدُنْيَاهُ، وَاعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِهِ ذَلِكَ فِيهَا إِلَّا لِحُبِّهِ لَهُ وَخُطُوبَتِهِ عِنْدَهُ، كَمَا قَالَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، فِيمَا قَصَّ اللَّهُ مِنْ خَبَرِهِ وَخَبَرِ خَبَابِ ابْنِ الْأَرْتِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧، ٧٨]. وَقَالَ تَعَالَى إِنْخِبَارًا عَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠]. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]. وَقَالَ قَارُونُ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. أَي؛ لَعَلِمَ اللَّهُ فِي^(٣) أَنِّي أَسْتَحْلِفُهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]. وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَىٰ قِصَّتِهِ فِي أَثْنَاءِ قِصَّةِ مُوسَى^(٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنَ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضِيعِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبا: ٣٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ

(١) فِي الْأَصْلِ: «دَائِرَةٌ».

(٢) فِي الْأَصْلِ: «مِنْ هَذِهِ».

(٣) فِي ح، م: «بِي»، وَفِي ص: «بِي».

(٤) انْظُرْ مَا تَقْدِمُ مِنْ ص ٣٠٩ - ٣١٢.

مَالٍ وَبَيْنَ ۞ سُارِعُ هَمٍّ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]. وَلَمَّا اغْتَرَّتْ
هَذَا الْجَاهِلُ بِمَا خَوَّلَهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَجَحَدَ الْآخِرَةَ، وَادَّعَى أَنَّهَا إِنْ وُجِدَتْ
لَيَجِدَنَّ عِنْدَ رَبِّهِ خَيْرًا مِمَّا هُوَ فِيهِ، وَسَمِعَهُ صَاحِبُهُ يَقُولُ ذَلِكَ ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ
وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ۞ أَيْ؛ يُجَادِلُهُ ۞ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ
سَوَّاهُ رَجُلًا ۞ أَيْ؛ أَجَحَدْتَ الْمَعَادَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ
نُطْفَةٍ ثُمَّ طَوَّرَكَ ^(١) أَطْوَارًا، حَتَّى صِرْتَ رَجُلًا سَوِيًّا سَمِيعًا بَصِيرًا، تَعْلَمُ وَتَبْطِشُ
وَتَفْتَهُمُ، فَكَيْفَ أَنْكَرْتَ الْمَعَادَ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْبِدَاءِ ۞ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ۞
أَيْ؛ لَكِنْ أَنَا أَقُولُ بِخِلَافِ مَا قُلْتَ، وَأَعْتَقِدُ خِلَافَ مُعْتَقَدِكَ ۞ هُوَ اللَّهُ رَبِّي
وَلَا أَشْرُكَ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ أَيْ؛ لَا أَعْبُدُ سِوَاهُ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْبَغُ الْأَجْسَادَ بَعْدَ
فَنَائِهَا، وَيُعِيدُ الْأَمْوَاتَ وَيَجْمَعُ الْعِظَامَ الرُّفَاتَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي
خَلْقِهِ، وَلَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ، ثُمَّ أَرْسَدَهُ إِلَى مَا كَانَ الْأَوَّلَى بِهِ أَنْ يَسْلُكَهُ
عِنْدَ دُخُولِ جَنَّتِهِ، فَقَالَ: ۞ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ ۞ وَلِهَذَا يُسْتَحَبُّ لِكُلِّ مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ حَالِهِ أَنْ يَقُولَ
كَذَلِكَ.

[٢٨٥/١ ظ] وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ، فِي صِحَّتِهِ نَظَرٌ؛ قَالَ أَبُو يَعْلَى
الْمُؤَصِّلِيُّ ^(٢): حَدَّثَنَا جَرَّاحُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا ^(٣) عُمَرُ بْنُ يُونُسَ ^(٤)، حَدَّثَنَا عِيسَى
ابْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُرَّارَةَ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) فِي م: «صورك».

(٢) ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ ٣/ ٣٥٠، وَعَزَاهُ لِأَبِي يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَالْهَيْثَمِيُّ
فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ ١٤٠/ ١٠ وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ وَالْأَوْسَطِ وَفِيهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ
ضَعِيفٌ.

(٣ - ٣) فِي ح: «عمر بن يوسف»، وَفِي م: «عمرو بن يوسف».

« مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً ؛ مِنْ أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ ، فَيَقُولُ : مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . فَيَرَى فِيهِ آفَةً دُونَ الْمَوْتِ » . وكان يتأول هذه الآية : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ . قال الحافظ أبو الفتح الأزدي : عيسى بن عَون ، عن عبد الملك بن زُرارة ، عن أَنَسٍ ، لا يَصِحُّ .

ثُمَّ قال المؤمنُ للكافرِ : ﴿ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ ﴾ أى ؛ فى الدارِ الآخرة ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ قال ابن عباس والضحاك وقتادة^(١) : أى ؛ عذابًا مِنَ السَّمَاءِ . والظاهر أَنَّهُ المطرُ المُرْعِجُ الباهرُ ، الذى يَقْتَلِعُ زُرْعَهَا وأشجارها ﴿ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ وهو الترابُ الأملَسُ الذى لا نبات فيه ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا ﴾ وهو ضِدُّ المَعِينِ السَّارِحِ ﴿ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبْنَا ﴾ يعنى ، فلا تَقْدِرُ على استِزْجَاعِهِ . قال الله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ ﴾ أى ؛ جاءه أَمْرٌ أَحاطَ بجميعِ حواصلِهِ ، وَخَرَّبَ جَنَّتَهُ ، وَدَمَّرَهَا ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ أى ؛ خَرِبَتْ بالكُلِّيَّةِ ، فلا عَوْدَةَ لَهَا ، وذلك "ضِدُّ ما كان عليه أَمَلٌ" ، حيثُ قال : ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ وَنَدِمَ على ما كان سَلَفَ مِنْهُ مِنَ الْقَوْلِ الذى كَفَرَ بِسَبَبِهِ بِاللَّهِ العَظِيمِ ، فهو يقولُ : ﴿ يَلَيْسَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ . قال الله تعالى : ﴿ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً يَصُورُنَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴾ ﴿٤٢﴾ هُنَالِكَ ﴿ أى ؛ لم يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ يَتَدَارَكُ ما قَرَطَ مِنْ أَفْرِهِ ، وما كان له قَدْرَةٌ فى نَفْسِهِ على^(٢) شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا لَمْ يَنْفُذْ لَكُمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَلَا نَاصِرٌ ﴾

(١) تفسير الطبرى ٢٤٩/١٥ . والتفسير ١٥٥/٥ .

(٢ - ٢) فى الأصل : «ضد ما كان أمل فيها» ، وفى ص : «بعد ما كان أمل منها» .

(٣) سقط من : ح .

[الطارق: ١٠]. وقوله: ﴿الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ومنهم مَنْ يَتَدَيُّ بقوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وهو حَسَنٌ أَيْضًا، كقوله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]. فالْحُكْمُ الذى لا يُرَدُّ ولا يُمَانَعُ ولا يُعَالَبُ - فى تلك الحالِ وفى كُلِّ حالٍ - لِلَّهِ الْحَقِّ. ومنهم مَنْ رَفَعَ ﴿الْحَقِّ﴾ جَعَلَهُ صِفَةً لِـ ﴿الْوَلِيَّةِ﴾ وهما مُتَلَازِمَانِ^(١). وقوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾^(٢) أى؛ مُعَامَلَتُهُ خَيْرٌ لِّصَاحِبِهَا ثَوَابًا، وهو الجزاء، وخَيْرٌ عُقْبًا^(٣)؛ وهو العَاقِبَةُ فى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وهذه الْقِصَّةُ تَضَمَّنَتْ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَزَكِّنَ إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ولا يَغْتَرَّ بِهَا، ولا يَتَوَقَّ بِهَا، بل يَجْعَلُ طَاعَةَ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ فى كُلِّ حَالٍ نُضْبَ عَيْنِيهِ، وَلِيَكُنْ بِمَا فى يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فى يَدِهِ. وفيها، أَنَّ مَنْ قَدَّمَ شَيْئًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَالْإِنْفَاقِ فى سَبِيلِهِ، غُدِّبَ بِهِ، وَرُبَّمَا سُلِبَ مِنْهُ؛ [٢٨٦/١] مُعَامَلَةٌ لَهُ بِنَقِيضِ قَصْدِهِ. وفيها، أَنَّ الْوَاجِبَ قَبُولُ نَصِيحَةِ الْأَخِ الْمُشْفِقِ، وَأَنَّ مُخَالَفَتَهُ وَبَالَ وَدَمَارٌ عَلَى مَنْ رَدَّ النَّصِيحَةَ الصَّحِيحَةَ. وفيها، أَنَّ النَّدَامَةَ لا تَنْفَعُ إِذَا حَانَ الْقَدَرُ، وَنَفَذَ الْأَمْرُ الْحُكْمَ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

(١) فى ح، م: «متلازمان».

(٢ - ٣) سقط من: ح.

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ

قال الله تعالى^(١): ﴿ إِنَّا بَلَوْتُهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسْتَعِينُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَبْرَأَ لَنَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [القلم: ١٧ - ٣٣] . وهذا مثلُ ضرِّه الله لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ ، فيما أَنْعَمَ به عليهم مِنْ إِزْسَالِ الرِّسُولِ الْعَظِيمِ الْكَرِيمِ إِلَيْهِمْ ، فِقَابِلُوهُ بِالْكَذِبِ وَالْمُخَالَفَةِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَنسَوْنَ أَلْقَارُ ﴾ [إبراهيم: ٢٨ ، ٢٩] . قال ابنُ عباسٍ : هم كُفَّارُ قُرَيْشٍ . فَضَرَبَ تَعَالَى لَهُمْ مَثَلًا بِأَصْحَابِ الْجَنَّةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَنْوَاعِ الزُّرُوعِ وَالشَّامِرِ الَّتِي قَدْ انْتَهَتْ ، وَاسْتَحَقَّتْ أَنْ تُجَدَّ ؛ وَهُوَ الصَّرَامُ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا ﴾ . فِيمَا بَيْنَهُمْ ﴿ لَيَصْرِمُنَّهَا ﴾ أَى ؛ لَيَجِدُنَّهَا ، وَهُوَ الْاسْتِغْلَالُ^(٢) ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ أَى ؛ وَقْتُ الصُّبْحِ ، حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ فَقِيرٌ وَلَا مُحْتَاجٌ فَيَغْطُوهُ شَيْئًا ، فَحَلَفُوا عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ

(١) التفسير ٢٢٢/٨ ، ٢٢٣ .

(٢) استغل الضيعة : أخذ غلتها . الوسيط (غ ل ل) .

يَسْتَشْنُوا فِي يَمِينِهِمْ^(١)، فَعَجَزَ هُمَ اللَّهُ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا الْآفَةُ الَّتِي أَخْرَقَتْهَا؛ وَهِيَ
السَّفْعَةُ^(٢) الَّتِي اجْتَنَحَتْهَا وَلَمْ تُبْقِ بِهَا شَيْئًا يُنْتَفَعُ بِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَطَافَ عَلَيْنَا
طَافٌ مِّن رَّيِّكَ وَهُوَ تَائِبُونَ﴾^(٣) فَاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿أَيُ؛ كَاللَّيْلِ الْأَسْوَدِ الْمُتَصَرِّمِ
مِنَ الضِّيَاءِ، وَهَذِهِ مَعَامِلَةٌ بَنَاقِصُ الْمَقْصُودِ﴾ فَنَادَا مُصْبِحِينَ ﴿أَيُ؛ فَاسْتَيْقِظُوا
مِن نَوْمِهِمْ، فَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: ﴿أَعْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِيرِينَ﴾
أَيُ؛ بَاكِرُوا إِلَى بُسْتَانِكُمْ فَاصْرِمُوهُ قَبْلَ أَنْ يَزْتَفِعَ النَّهَارُ وَيَكْثُرَ السُّؤَالُ ﴿فَانْطَلَقُوا
وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾ أَيُ؛ يَتَحَدَّثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ خُفْيَةً قَائِلِينَ: ﴿لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ
مَسْكِينٌ﴾ أَيُ؛ اتَّقُوا عَلَى هَذَا، وَاشْتَرُوا عَلَيْهِ ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ قَدِيرِينَ﴾
أَيُ؛ انْطَلَقُوا مُجِدِّينَ فِي ذَلِكَ قَادِرِينَ عَلَيْهِ^(٤) مُصَمِّمِينَ مُصَرِّينَ^(٥) عَلَى هَذِهِ النَّيَّةِ
الْفَاسِدَةِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ^(٦): ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرِّ﴾ أَيُ؛ غَضِبَ عَلَى
الْمَسَاكِينِ. وَأَبْعَدَ الشَّدِيدُ [٢٨٦/١ ط] فِي قَوْلِهِ: أَنَّ اسْمَ حَزْنِهِمْ حَزْدٌ، ﴿فَلَمَّا
رَأَوْهَا﴾ أَيُ؛ وَصَلُوا إِلَيْهَا، وَنَظَرُوا إِلَى مَا حَلَّ بِهَا، وَمَا قَدْ صَارَتْ إِلَيْهِ مِنَ
الضَّغَةِ الْمُتَكَرِّرَةِ بَعْدَ تِلْكَ التَّضَرَّةِ وَالْحُسْنِ وَالْبَهْجَةِ، فَانْقَلَبَتْ بِسَبَبِ النَّيَّةِ
الْفَاسِدَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ ﴿قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ﴾ أَيُ؛ قَدْ تَهَنَّا^(٧) عَنْهَا وَسَلَكْنَا غَيْرَ
طَرِيقِهَا. ثُمَّ قَالُوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أَيُ؛ بَلْ غَوَيْتَنَا بِسَبَبِ سُوءِ قَضْدِنَا،
وَحَرَمْنَا بَرَكَةَ حَزْنِنَا ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَغَيْرُ

(١) فِي ح: «نَهْيِهِمْ».

(٢) فِي الْأَصْلِ، ح، ص: «السَّقْعَةُ». وَالسَّقْعَةُ: السَّوَادُ وَالشَّحُوبُ. وَالسَّوَاغُ: لَوَافِحُ الشُّمُومِ.
اللسان (س ف ع).

(٣ - ٣) فِي ح، م: «مُضَرِّينَ».

(٤) التفسير ٢٢٢/٨.

(٥) فِي م: «نَهْنِيْنَا».

واحد^(١) : هو أعدلهم وخيرهم . ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ قيل : تَسَبِّحُونَ . قاله مجاهد ، والسُّدِّي ، وابنُ جُرَيْج^(٢) . وقيل : تقولون خيراً بَدَل ما قُلْتُم من الشَّرِّ ﴿ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿ ٢٩ ﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ فَتَدِمُوا حَيْثُ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ^(٣) ، واعتَرَفُوا بِالذَّنْبِ بَعْدَ الْعُقُوبَةِ ، وذلك حَيْثُ لَا يَنْجَعُ ، وقد قيل : إِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا إِخْوَةً ، وقد وَرِثُوا هَذِهِ الْجَنَّةَ عَنْ آبِيهِمْ ، وَكَانَ يَتَصَدَّقُ مِنْهَا كَثِيرًا ، فَلَمَّا صَارَ أَمْرُهَا إِلَيْهِمْ اسْتَهْجَنُوا أَمْرَ آبِيهِمْ ، وَأَرَادُوا اسْتِغْلَالَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يُعْطُوا الْفُقَرَاءَ شَيْئًا ، فَعَابَهُمَ اللَّهُ هَذِهِ^(٤) الْعُقُوبَةُ ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّدَقَةِ مِنَ الثَّمَارِ ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ يَوْمَ الْجَدَادِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ كُلُّوْا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ [الأنعام : ١٤١] . ثُمَّ قِيلَ : كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ قَرِيَةٍ يُقَالُ لَهَا : ضَرَوَانُ^(٥) . وَقِيلَ : مِنْ أَهْلِ الْحَبَشَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أَيْ ؛ هَكَذَا نُعَذِّبُ مِنْ خَالَفَ أَمْرَنَا ، وَلَمْ يَغْطِفْ عَلَى الْحَاوِيجِ مِنْ خَلْقِنَا ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ﴾ أَيْ ؛ أَغْظَمُ وَأَظْمُ^(٦) مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وَقِصَّةُ هَؤُلَاءِ شَبِيهَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ

(١) تفسير الطبري ٣٤ / ٢٩ . والتفسير ٢٢٣ / ٨ .

(٢) في ح ، م : « جرير » .

(٣) سقط من : الأصل ، ح ، ص .

(٤) في ح ، م : « أشد » .

(٥) في الأصل : « حفران » .

(٦) في ح ، م : « أحكم » .

فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ [النحل: ١١٢،
١١٣]. قيل: هذا مثلٌ مضروبٌ لأهلِ مكة. وقيل: هم أهلُ مكة أنفُسُهُم،
ضَرَبَهُمْ مَثَلًا لَأَنْفُسِهِمْ. ولا يُتَافَى^(١) ذلك، واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلم.

(١) بعده في الأصل: «شيء من».

قِصَّةُ أَصْحَابِ

أَيَّلَةَ الَّذِينَ اعْتَدَوْا فِي سَبْتِهِمْ

قال الله تعالى ، فى سورة «الأعراف» ^(١) : ﴿ وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِّنْهُمْ لِمَ نَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدَرَةٌ إِلَّا لِرِيبِكُمْ وَلَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَهْنِئْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا ﴿١/٢٨٧و﴾ الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦] .

وقال تعالى ، فى سورة «البقرة» ^(٢) : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلَّانَهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥ ، ٦٦] .

وقال تعالى ، فى سورة «النساء» ^(٣) : ﴿ أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء: ٤٧] .

(١) التفسير ٤٩١/٣ - ٤٩٦ .

(٢) التفسير ١٥٠/١ - ١٥٤ .

(٣) التفسير ٢٨٦/٢ .

قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة^(١)، والسدي، وغيرهم^(٢) :
هم أهل أيلة. زاد ابن عباس^(٣) : بين مدين والطور. قالوا^(٤) : وكانوا متمسكين
بدين الثوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم
السكينة في مثل هذا اليوم؛ وذلك أنه كان يحرم عليهم الاضطياذ فيه،
وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان في مثل يوم
السبت، يكثر غشائها لمحلتهم من البحر؛ فتأتى من ههنا وههنا ظاهرة آمنة
مسترسلة، فلا يهيجونها ولا يذعرونها. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾
وذلك لأنهم كانوا يضطادونها فيما عدا السبت. قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ
نَبِّئُهُمْ﴾ أى؛ نخبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت. ﴿يَمَّا كَانُوا
يَفْسُقُونَ﴾ أى؛ بسبب فسقهم المتقدم، فلما رأوا ذلك، اختالوا على
اضطياذها في يوم السبت، بأن نصبوا الحبال والشباك والشصوص، وحفروا
الحفر التى يجرى معها الماء إلى مصانع قد أعدوها، إذا دخلها السمك لا
يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان
مسترسلة يوم السبت؛ علقّت بهذه المصايد، فإذا خرج سبتهم أخذوها،
فغضب الله عليهم ولعنهم؛ لما اختالوا على خلاف أمره، وائتهكوا محارمه
بالحيل التى هى ظاهرة للتأطير، وهى فى الباطن مخالفة مخصصة، فلما فعل ذلك
طائفة منهم، افترق الذين لم يفعلوا ذلك فرقتين؛ فرقة أنكروا عليهم صنيعهم

(١) سقط من : ص .

(٢) تفسير الطبرى ٩٠/٩، ٩١. والتفسير ٤٩٢/٣. والدر المنثور ١٣٦/٣.

(٣) تفسير الطبرى ١/٣٣٠، ٩٠/٩. والتفسير ٤٩٢/٣.

(٤) تفسير الطبرى ١/٣٢٩ - ٣٣١، ٩٣/٩ - ٩٥. والتفسير ١/١٥١، ١٥٢، ٣/٤٩٣ - ٤٩٥.

هذا ، واختيالهم على مخالفة الله وسرعه في ذلك الزمان ، وفرقة أخرى لم يفعلوا ولم ينهوا ، بل أنكروا على الذين نهوا ، وقالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يقولون لهم : ما الفائدة في نهيكهم هؤلاء وقد استحقوا العقوبة لا محالة ؟ فأجابتهم الطائفة المنكرة بأن قالوا : ﴿ مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أى ؛ فيما أمرنا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فنقوم به خوفاً من عذابه . ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أى ؛ ولعل هؤلاء يتزكّون ما هم عليه من هذا الصنيع ، فيقيهم الله عذابه ، ويغفّر عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا . قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أى ؛ لم يلتفتوا إلى من نهاهم [١]

٢٨٧ ط] عن هذا الصنيع الشنيع الفطيع ﴿ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾^(١) وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر^(٢) ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم المرتكبون الفاحشة ﴿ بِعَذَابٍ بَعْيسٍ ﴾ وهو الشديد المؤلم الموجع . ﴿ يَمَّا كَانُوا يَقْسُقُونَ ﴾ . ثم فسر العذاب الذى أصابهم بقوله : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وسندك ما ورد من الآثار^(٣) فى ذلك .

والمقصود هنا أن الله تعالى أخبر أنه أهلك الظالمين ، ونجى المؤمنين المنكرين^(٣) ، وسكت عن الشاكين ، وقد اختلفَ فيهم العلماء على قولين ؛ فقليل : إنهم من الناجين . وقيل : إنهم من الهالكين . والصحيح الأول عند المحققين ، وهو الذى رجع إليه ابن عباس ، إمام المفسرين ، وذلك عند مناظرة

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) فى ح ، م : والآيات .

(٣) سقط من : الأصل .

مَوْلَاهُ عِكْرِمَةَ ، فَكَسَاهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حُلَّةً سَيِّئَةً ؛ تَكْرِمَةً . قُلْتُ : وَلَئِنَّمَا لَمْ يُذَكِّرُوا مَعَ التَّاجِينَ ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا بَيَاطِنَهُمْ تِلْكَ الْفَاحِشَةَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا ظَوَاهِرَهُمْ بِالْعَمَلِ الْمَأْمُورِ بِهِ مِنَ الْإِنْكَارِ الْقَوْلِيِّ ، الَّذِي هُوَ أَوْسَطُ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ، الَّتِي أَعْلَاهَا الْإِنْكَارُ ، بِالْيَدِ ، ذَاتِ الْبَيَانِ ، وَبَعْدَهَا الْإِنْكَارُ الْقَوْلِيُّ بِاللِّسَانِ ، وَثَالِثُهَا الْإِنْكَارُ بِالْجَنَانِ . فَلَمَّا لَمْ ^(١) يُذَكِّرُوا ، لَمْ يُذَكِّرُوا ^(٢) مَعَ التَّاجِينَ ، إِذْ لَمْ يَفْعَلُوا الْفَاحِشَةَ ، بَلْ أَنْكَرُوا . وَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ ^(٣) ، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ، عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَحَكَى مَالِكٌ ^(٤) ، عَنْ ابْنِ زُومَانَ ، وَشَيْبَانٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، وَعَطَاءِ الْخُرَّاسَانِيِّ ^(٥) ، مَا مَضْمُونُهُ أَنَّ الَّذِينَ ارْتَكَبُوا هَذَا الصَّنْعَ ، اغْتَرَلَهُمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ ، وَنَهَايَهُمْ مَنْ نَهَايَهُمْ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَقْبَلُوا ، فَكَانُوا يَبِيتُونَ وَحَدَهُمْ وَيُغْلِقُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ أَبْوَابًا ، حَاجِزًا لِمَا كَانُوا يَتَرَقَّبُونَ مِنْ هَلَاقِهِمْ ، فَأَصْبَحُوا ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْوَابُ نَاحِيَّتِهِمْ مُغْلَقَةٌ لَمْ يَفْتَحُوهَا ، وَارْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الضُّحَاءُ ، فَأَمَرَ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْبَلَدِ رَجُلًا ^(٦) أَنْ يَصْعَدَ عَلَى سَلَالِمٍ ، وَيُشْرِفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، إِذَا هُمْ قِرْدَةٌ لَهَا أذْنَابٌ يَتَعَاوُونَ وَيَتَعَادَوْنَ ، فَفَتَحُوا عَلَيْهِمُ الْأَبْوَابَ فَجَعَلَتِ الْقِرْدَةُ تَعْرِفُ قَرَابَاتِهِمْ ، وَلَا تَعْرِفُهُمْ قَرَابَاتَهُمْ ، فَجَعَلُوا يَلُودُونَ بِهِمْ ، وَيَقُولُ لَهُمُ النَّاهُونَ : أَلَمْ نَنْهَكُمْ عَنْ صَنِيعِكُمْ ؟ فَتَشِيرُ الْقِرْدَةُ بِرُؤُوسِهَا أَنَّ نَعَمْ . ثُمَّ بَكَى عَبْدُ

(١ - ١) فى ح ، م : « يذكروا نجوا » . وفى ص : « يذكروا ولم ينكروا ونجوا » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٣) الطبرى فى تفسيره ٩٦/ ٩٧ من طريق أشهب به ، وذكره المصنف فى التفسير ٤٩٥/ ٣ .

(٤) رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢٠٩/ ١ من طريق شيبان به وقول عطاء ذكره المصنف فى تفسيره ١/ ١٥١ .

(٥) سقط من : ح . وفى الأصل ، ص : « لرجل » .

اللَّهُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: إِنَّا لَنَرَى مُنْكَرَاتٍ كَثِيرَةً، وَلَا تُنْكِرُهَا، وَلَا نَقُولُ فِيهَا شَيْئًا. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: صَارَ شَبَابُ الْقَرْيَةِ قِرْدَةً، وَشَبُوحُهَا خَنَازِيرٌ^(١). وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٢)، مِنْ طَرِيقِ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُمْ^(٣) لَمْ يَعِيشُوا إِلَّا فَوَاقًا^(٤)، ثُمَّ هَلَكُوا، مَا كَانَ لَهُمْ نَسْلٌ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٥): إِنَّهُ لَمْ يَعِشْ مَسَخٌ قَطُّ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَلَمْ يَأْكُلْ هَوْلَاءٍ وَلَمْ يَشْرَبُوا وَلَمْ يَنْسِلُوا. وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَا الْآثَارَ فِي ذَلِكَ، فِي تَفْسِيرِ سُورَتَي «الْبَقَرَةِ»، وَ«الْأَعْرَافِ». وَلِلَّهِ الْحَمْدُ [٢٨٨/١] وَالْمِنَّةُ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ^(٦)، وَابْنُ جَرِيرٍ^(٧)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، أَنَّهُ قَالَ: مُسِخَتْ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُمَسِّخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرٌ^(٨)، وَأَمَّا هُوَ مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ، كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَشْفَارًا. وَهَذَا صَحِيحٌ إِلَيْهِ، وَغَرِيبٌ مِنْهُ جَدًّا، وَمُخَالِفٌ لظَاهِرِ الْقُرْآنِ، وَلَمَّا نَصَّ عَلَيْهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٩).

(١) تفسير الطبري ٩/ ١٠١. والتفسير ١٥١/١. وتفسير ابن أبي حاتم ٢١٠/١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢٠٩/١. وإسناده ضعيف.

(٣ - ٣) سقط من: ح.

(٤) الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٢٠٩/١. وإسناده ضعيف.

(٦) في ص: «جريح». والأثر أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٣٢/١، بدون قوله: «وخنازير». قال

الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٥١/١ عقب لإيراده الأثر من رواية ابن جرير: وهذا سند جيّد عن مجاهد.

قلت: وبه يتقوّى سند ابن أبي حاتم، حيث تابع عيسى أبا حذيفة.

(٧) سقط من: الأصل، ص. وهذا يوافق لفظ رواية ابن جرير، حيث أشرنا في الحاشية السابقة.

(٨) بعده في ح، م:

(قصة أصحاب القرية) - - تقدم ذكرها قبل قصة موسى، عليه السلام. (قصة سيل): سيأتى

ذكرها في أيام العرب، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة. (قصة قارون وقصة بلعام): تقدمتا في قصة

موسى. وهكذا (قصة الخضر) و (قصة فرعون والسحرة): كلها في ضمن قصة موسى. و (قصة

البقرة): تقدمت في قصة موسى. وقصة ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ آلِهَتِهِ﴾: في

قصة حزقيل. وقصة ﴿الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: في قصة شمويل..

وقصة (الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ): في قصة عزيز.

فهرس

الجزء الثانى من البداية والنهاية

الموضوع	الصفحة
باب ذكر أم أهلكوا بعامة	٥
قصة قوم يس ، وهم أصحاب القرية	١٠
قصة يونس عليه الصلاة والسلام	١٦
ذكر فضل يونس عليه السلام	٢٨
ذكر قصة موسى الكليم عليه الصلاة والسلام	٣١
فصل : تحريض فرعون على قتل موسى وإسلام السحرة	٨١
ذكر هلاك فرعون وجنوده	١٠٣
فصل : فيما كان من أمر بنى إسرائيل بعد هلاك فرعون	١١٧
فصل : فى دخول بنى إسرائيل التيه	١٣١
سؤال الرؤية	١٣٨
قصة عبادتهم العجل فى غيبة كليم الله موسى عليه السلام	١٤٥
ذكر حديث آخر بمعنى ما ذكره ابن حبان	١٦٠
قصة بقرة بنى إسرائيل	١٦٥
قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام	١٦٩

١٨١	ذكر الحديث الملقب بحديث الفتون
١٩٧	ذكر بناء قبة الزمان
٢٠١	قصة قارون مع موسى عليه السلام
٢٠٩	ذكر فضائل موسى عليه السلام
٢١٨	ذكر حج موسى عليه السلام إلى البيت العتيق وصفته
٢٢١	ذكر وفاته عليه السلام
٢٢٧	ذكر نبوة يوشع ... بعد موسى وهارون
٢٤٣	ذكر قصتي الخضر وإلياس عليهما السلام
٢٧٢	إلياس عليه السلام
٢٧٩	باب ذكر جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى
٢٨٠	قصة حزقيل
٢٨٥	قصة اليسع
٢٨٧	فصل: في اضطراب أمر بني إسرائيل بعد اليسع
٢٨٩	قصة شمويل
٣٠٠	قصة داود عليه السلام
٣١٩	ذكر كمية حياته وكيفية وفاته
٣٢٣	قصة سليمان بن داود

٣٥٢	ذكر وفاته ومدة ملكه وحياته
٣٥٧	باب ذكر جماعة من أنبياء بنى إسرائيل بعد داود وسليمان
٣٦٠	أرميا بن حلقيا من سبط لاوى بن يعقوب
٣٦١	ذكر خراب بيت المقدس
٣٧٥	ذكر شىء من خبر دانيال عليه السلام
٣٨٠	ذكر عمارة بيت المقدس بعد خرابها
٣٨٣	قصة العزيز
٣٨٩	فصل : عزيز نبى من أنبياء بنى إسرائيل
٣٩٣	قصة زكريا ويحيى عليهما السلام
٤١١	بيان سبب قتل يحيى عليه السلام
٤١٦	قصة عيسى ابن مريم عليهما السلام
٤٣٧	ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم البتول
٤٥٤	باب بيان أن الله تعالى منزّه عن الولد
٤٦٥	ذكر منشأ عيسى ابن مريم عليهما السلام
٤٧٢	بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها
٤٧٤	بيان شجرة طوبى ما هى
٤٩١	ذكر خبر المائدة

٤٩٥	فصل : فى مشى عيسى على الماء
٥٠٧	ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء
٥١٩	صفة عيسى عليه السلام وشماله وفضائله
٥٣١	فصل : اختلاف أصحاب المسيح عليه السلام بعد رفعه إلى السماء
٥٣٣	بيان بناء بيت لحم والقمامة
٥٣٥	كتاب أخبار الماضين
٥٣٦	خبر ذى القرنين
٥٤٧	بيان طلب ذى القرنين عين الحياة
٥٥٢	ذكر أمتى يأجوج ومأجوج وصفاتهم، ... وصفة السد
٥٦١	قصة أصحاب الكهف
٥٧٢	قصة الرجلين ؛ المؤمن والكافر
٥٧٨	قصة أصحاب الجنة
٥٨٢	قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا فى سبتهم

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الثانى

ويليه الجزء الثالث ، وأوله :

قصة لقمان

رقم الإيداع ١٩٩٧/٤٤٧٠ م
I.S.B.N : 977 - 256 - 146 - 8

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٦٠٢ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص. ب ٦٣ إنباءة